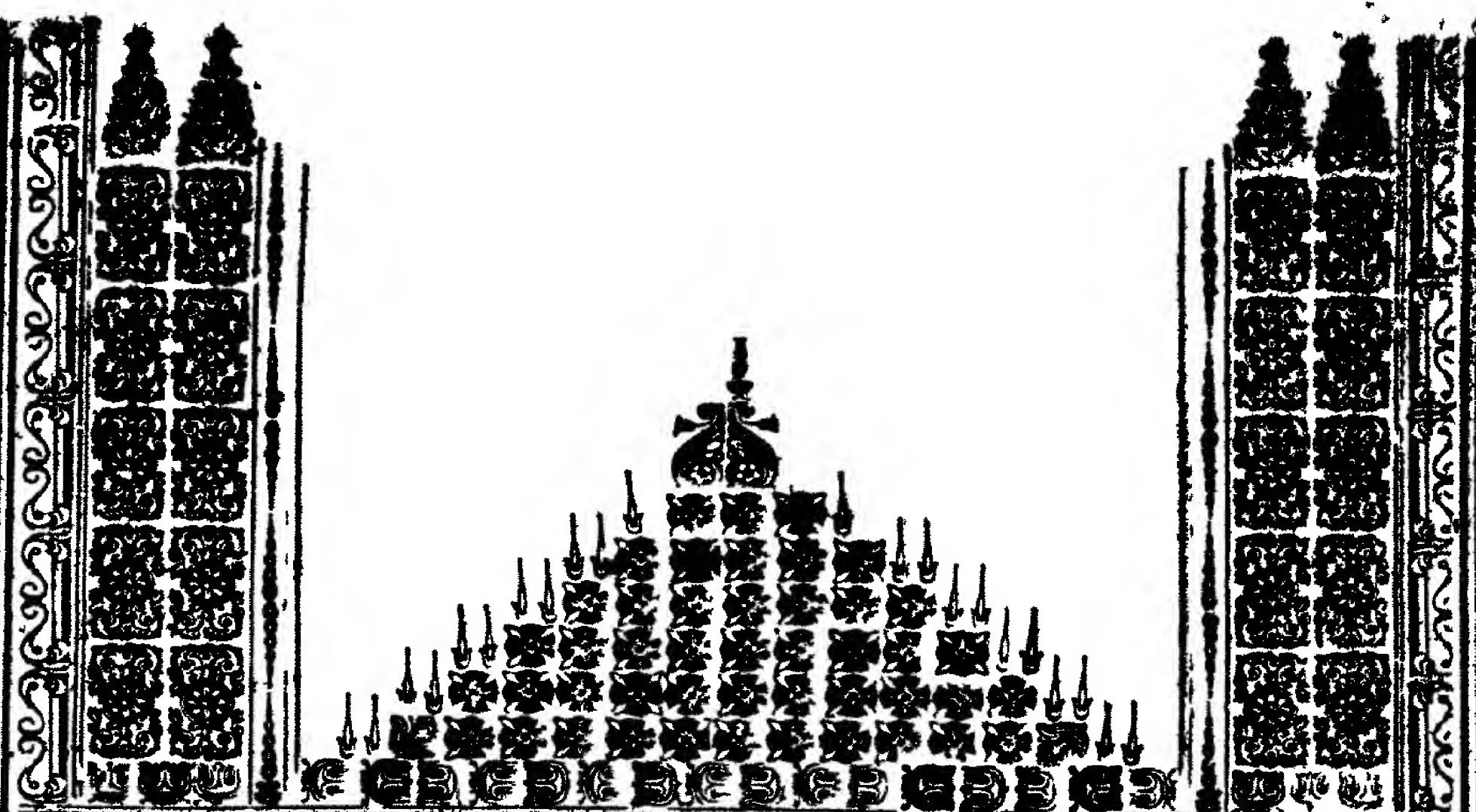


﴿ الطبعة الاولى ﴾

الجزء الاول
من التفسير المنير لعالم
التنزيل المسفر عن وجوه محاسن
انتاويل المسمى طبعا المعناه مخرّج لمبيد
لكشف معنى قرآن مجيد لجامعة العالم النحرير
وعلم الفضل الشهير المتحلي بكرم الشيم ومهابة
الاعزاز العلامة الشيخ محمد نووي من علماء
الحجاز نفع الله تعالى بعلمه المسلمين
وجعله اواياهم من خيار
أحبه المقبولين

بالطبعة العشانية سنة ١٣٠٥



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته وخضع كل شيء
لملكه فسبحان الله شارع الاحكام المميز بين الحلال والحرام أحمد على ما نفع من غوامض العلوم
بأخراج الافهام والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أزال بيانه كل ابهام وعلى آله وأصحابه أولى
اللقاء والاحلام صلاة وسلاما دائما ثمين ما دامت الايام (أما بعد) فيقول أحقر الورى محمد نوري قد أمرني
بعض الاعزة عندي أن أكتب تفسير القرآن المجيد فترددت في ذلك زمانا طويلا خوفا من الدخول في
قوله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وفي قوله صلى الله عليه وسلم من قال
في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فأجبتهم الى ذلك للاقتداء بالسلف في تدوين العلم ابقاء على الخلق
وليس على فعلى مزيد ولكن لكل زمان تجديد وليكون ذلك عوناً للقاصرين مثلي وأخذته من
الفتوحات الالهية ومن مفاتيح الغيب ومن السراج المنير ومن تنوير المقباس ومن تفسير أبي السعود
(ومعنيته) مع الموافقة لتاريخه سراج ليبد لكشف معنى قرآن مجيد وعلى الكريم الفتاح اعتمادى
واليه تفويضى واستنادى والآن أشعر بحسن توفيقه وهو المعين لكل من لجأ به

(سورة الفاتحة مكية أو مدنية سبع آيات)

والسابعة صراط الدين الى آخرها ان كانت البسملة منها وان لم تكن منها فالسابعة غير المقصود
عليهم الى آخرها وهي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم أحدها علم الاصول وقد جمعت الالهيات
الى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والنبوات في الذين أنعمت عليهم والمدار الآخرة في تلك

يوم الدين وثانيها علم الفروع وأعظمه العبادات وهي مالتيقودية وهما مفتقرتان إلى أمور المعاش
من المعاملات والمناكبات ولا بد لها من الأحكام التي تقتضيها الأمور والنواهي وثالثها علم تحصيل
الكليات وهي علم الأخلاق ومنه الاستقامة في الطريق وقوله وإياك نستعين وقد
جعت الشريعة كلها في الصراط المستقيم ورابعها علم القصص والأخبار عن الأمم الخالية وقد جمعت
السعداء من الأنبياء وغيرهم في الذين أنعمت عليهم والاشقياء من الكفار في غير المقضوب عليهم
ولا الضالين (بسم الله الرحمن الرحيم) الباء بها الله والسين ابتداء اسمه مع جميع والميم ابتداء اسمه بمجيد مليك
والالف ابتداء اسمه الله واللام ابتداء اسمه لطيف والهاء ابتداء اسمه هادي والراء ابتداء اسمه رزاق
والحاء ابتداء اسمه حلیم والنون ابتداء اسمه نافع ونور (الحمد لله) والشكر لله بنعمه السوابغ على عباده
الذين هداهم للإيمان أي خالق الخلق ورازقهم ومحو لهم من حال إلى حال (الرحمن) أي العاطف على البار والفاخر بالزرق لهم ودفع الآفات عنهم (الرحيم) أي الذي يستر عليهم الذنوب
في الدنيا ويرحمهم في الآخرة فيدخلهم الجنة (مآلث يوم الدين) بآيات الف عند عاصم والكسائي
ويعقوب أي متصرف الأمر كله في يوم القيامة كما قال تعالى يوم لا تلك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله
وعند الباقين يحذف الف والمعنى أي المتصرف في أمر القيامة بالأمر والنهي (إياك نعبد) أي
لا نعبد أحدا سواك (وإياك نستعين) أي بك نستعين على عبادتك فلا حول عن المعصية إلا بعصمتك
ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيقك (اهدنا الصراط المستقيم) أي زدنا هداية إلى دين الإسلام والمعنى
أدناهم هديين إليه (صراط الذين أنعمت عليهم) أي دين الذين مننت عليهم بالدين من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين (غير المقضوب) أي غير دين اليهود الذين غضبت عليهم ولا الضالين
أي وغير دين النصارى الذين ضلوا عن الإسلام ويقال المقضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المناقون
لأن الله تعالى ذكر المؤمنين في أول البقرة في أربع آيات ثم ثني في ذكر الكفار في آيتين ثم ثلث بذكر
المناقين في ثلاث عشرة آية ويسن للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين وهو اسم بمعنى فعل أمر
وهو استجب

(سورة البقرة مدنية أو مكية مائتان وسبع وثمانون آية وكلما تها ثلاث

آلاف ومائة وحر وفيها خمس وعشرون ألفا وخمسمائة

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه
الذي انفرد الله به وهى سر القرآن فمن نؤمن بظواهرها ونفوض العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها
طلب الإيمان بها والله تعالى اختص بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء والأنبياء اختصوا بعلم لا تقدر عليه
عقول العلماء والعلماء اختصوا بعلم لا تقدر عليه عقول العامة وقال أبو بكر رضي الله عنه في كل كتاب
سر وسر الله في القرآن أوائل السور (ذلك الكتاب لا ريب فيه) أي هذا الكتاب الذي يقرؤه عليكم
رسولي محمد لا شك في أنه من عندي وإن آمنتم به هديتكم وإن لم تؤمنوا به عذبتكم (هدى للتقين) أي
رحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بما يخاب عنهم من الجنة والنار
والصراط والميزان والبعث والحساب وغير ذلك وقيل المراد بالنفس القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم

لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (ويقومون الصلاة) أي يقومون الصلاة الخمس بالشروط
 والأركان والهيئات (وعمار زقتهم ينفقون) أي عما أعطيناهم من الأموال يتصدقون لطاعة الله
 تعالى وهو أبو بكر الصديق وأصحابه (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل من
 قبلك) على سائر الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور وغيرهما من سائر الكتب السابقة على القرآن
 (وبالآخرة هم يوقنون) أي وهم يصدقون بما في الآخرة من البعث بعد الموت والحساب ونعيم الجنة وهو
 عند الله بن سلام وأصحابه (أولئك) أي أهل هذه الصفقة (على هدى) أي كرامة نزل (من ربهم
 وأولئك هم المفلحون) أي الناجون من السخط والعذاب وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (إن
 الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي الذين كفروا في علم الله متساردين هم
 أنذارك إياهم بالقرآن وعدمه وهم لا يريدون أن يؤمنوا بما جئت به فلا تطمع يا أشرف الخلق في إيمانهم
 ثم ذكر الله سبب تركهم الإيمان بقوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) أي طبع الله على
 قلوبهم فلا يدخلها إيمان وعلى سمعهم فلا يسمعون بما يسمعون من الحق ووجد السمع لوحدة السموع
 وهو الصوت (وعلى أبصارهم غشاوة) مبتدأ وخبر أي على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يبصرون
 الحق (ولهم عذاب عظيم) أي شديد في الآخرة وهم رؤساء اليهود الذين وصفهم الله بأنهم يكتمون
 الحق وهم يعلمون وهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وجرى بن أخطب ويقال هم مشركو أهل مكة
 هتبة وشيبة والوليد بن المغيرة وأبي جهل (ومن الناس من يقول آمنا) في السر (بالله وباليوم
 الآخر) أي بالبعث بعد الموت الذي فيه جزاء الأعمال (وما هم بمؤمنين) في السر (يخادعون الله)
 أي يكذبونه في السر (والذين آمنوا) أي أبابكر وسائر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وما يخادعون)
 أي يكذبون (الأنفسهم) وهذه الجملة حال من ضمير يخادعون أي يفعلون ذلك والحال أنهم
 ما يضررون بذلك لأنفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم وقرأ عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي
 وما يخادعون بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال وقرأ الباقر بن ضم الياء وفتح الخاء مع المد وكسر الدال
 ولا خلاف في قوله يخادعون الله فالجميع قرؤا بضم الياء وفتح الخاء وبالالف بعدها وكسر الدال وأما
 الرسم فبغير ألف في الموضعين (وما يشعرون) أن الله يطلع نبيه على كذبهم (في قلوبهم مرض)
 أي شك وظلمة (فزادهم الله مرضا) أي شكوا وظلمة بما أنزل من القرآن لانه كلما أنزل آية كفروا بها
 فزادوا وشكوا وخلافا (ولهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة يخلص وجعه إلى قلوبهم (بما كانوا
 يكذبون) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالتشديد أي بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم
 وقرأ الباقر بن ضم الياء وفتح الدال أي بكذبهم في قلوبهم آمنا في السر وهم المنافقون عبد الله بن أبي وجدي بن قيس
 ومعتب بن قشير (واذا قيل لهم) أي لهؤلاء المنافقين (لا تفسدوا في الأرض) بتعويق الناس عن
 دين محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا انما نحن مصلحون) وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة
 الصلاح لما في قلوبهم من المرض قال الله تعالى رداعليهم أبلغ رد (ألا) أي بلى (انهم هم المفسدون)
 بها بالتعويق (ولكن لا يشعرون) أن الله تعالى يطلع نبيه على فسادهم (واذا قيل لهم آمنوا) بمحمد
 صلى الله عليه وسلم والقرآن أي ان المؤمنين نهمو المنافقين من وجهين أحدهما النهي عن الفساد
 وهو التخلي عن الرذائل وثانيها الأمر بالإيمان وهو التحلي بالفضائل (كما آمن الناس) أي الكاملون
 في الإنسانية العاملون بقضية العقل كأصحاب النبي أو كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمنين أهل الكتاب

والمعنى آمنوا إيماناً مقروناً بالاخلاص متعمداً عن شوائب النفاق عما تلا إيمانهم (قالوا) فيما بينهم
لا بحضرة المسابن (أنؤمن) بحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كما آمن السفهاء) أى الجهال وانما
سفهاؤهم المؤمنين لتحقير شأنهم لأن أكثرهم فقراء وبعضهم موال كصهيب وبلال أولعدهم بالمبالاة بمن
آمن منهم أن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأصحابه قال الله تعالى رداعليهم أبلغ رد (ألا) أى إلى (أنهم هم
السفهاء) أى الجهال الخرفى (ولكن لا يعلمون) أنهم سفهاء (واذا لقوا) أى المناقون (الذين
آمنوا) أبا بكر وأصحابه (قالوا آمنا) فى السر كإيمانكم (واذا خلوا) أى عادوا (إلى شياطينهم)
أى أكبرهم الذين يقدرون على الفساد فى الأرض وهم خمسة نفر كعب بن الأشرف من اليهود بالمدينة
وأبو بردة بن أبي أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن الأسود بالشام (قالوا)
لهم ثلاثيات وهم موافقهم المبائنة (انامعكم) أى على دينكم فى السر (انما نحن) فى اظهار
الإيمان عند المؤمنين (مستهزؤن) بهم من غير أن يخطر ببالنا الإيعان حقيقة (الله يستهزئ بهم)
أى الله يعاملهم معاملة المستهزئ فى الدنيا وفى الآخرة أما فى الدنيا فلا نه تعالى أطلع الرسول على أمرهم
مع أنهم كانوا يبالغون فى اخفائهم عنه وأما فى الآخرة فقال ابن عباس إذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون
النار فتح الله من الجنة باباً على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المناققين فإذا رأى المناقون الباب مفتوحاً
خرجوا من الجحيم ويتوجهون إلى الجنة وأهل الجنة ينظرون إليهم فإذا وصلوا إلى باب الجنة سعد عليهم
الباب وذلك قوله تعالى فالיום الذين آمنوا من الكفار يفصحون (ويعدهم فى طغيانهم) أى يزيدهم
فى ضلالتهم (يعمهمون) أى يترددون فى الكفر وتركة تكميرين (أولئك الذين اشتروا الضلالة
بالحدى) أى أولئك الموصوفون بالصفات السابقة من قوله ومن الناس اختاروا الكفر على الإيمان
(فأربحت تجارتهم) أى فلم يرجحوا فى تجارتهم بل خسروا (وما كانوا مهتدين) إلى طرق التجارة فإن
المقصود منها سلام رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا رأس مالهم العقل والصرف وربحهم الهدى
(مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً) أى صفة المناققين فى حال تفاقم كصفة الذى أوقد ناراً فى ظلمة لى
يأمن بها على نفسه وأهله وماله (فلما أضأت ماحولة) أى فلما أضأت النار المكان الذى حول المستوقد
فأبصروا آمن مما يخافه (ذهب الله بنورهم) أى أطفأ الله النور المقصود باليقاد فبقى المستوقدون فى
ظلمة وخوف (وتركهم) أى المستوقدين (فى ظلمات) ظلمة الليل وظلمة تراكم العمائم فيه
وظلمة انطفاء النار (لا يبصرون) ماحولهم فكذلك هؤلاء المناقون آمنوا على أنفسهم وأولادهم
وأموالهم بسبب اظهار كلمة الإيمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب وهم فى القبر وما بعده
(صم) عن الحق فلا يسمعونهم مما يقول (بكم) عن الخير فلا يقولونه قولاً مطابقاً للواقع لما سبق أنهم
مؤمنون ظاهراً (عمى) عن طريق الهدى فلا يرونه رؤية نافعة (فهم لا يرجعون) عن كفرهم
وضلاتهم (أو كصيب) أوصفة المناققين كصفة أصحاب مطر نازل (من السماء) أى السحاب ليلاً
وهم فى مفازة (فيه) أى الصيب (ظلمات) ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة اطلال الغمامة مع ظلمة
الليل (ورعد) وهو صوت يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب إذا أخذتها الريح فتصوت
عند ذلك من الارتعاد (وبرق) وهو ما يلمع من السحاب (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابهم
فى آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصيحة الشديدة من صوت الرعد يكون معها قطرة نار (حذر
الموت) من سماعها فكذلك هؤلاء المناقون إذا نزل القرآن المشبه بالمطر فى أن كلا سبب الحياة ونفيه ذكر

الكفر المشبه بالظلمات وعدم الاهتداء وذكروا عبيد على الكفر المشبه بالرعد في ازعاجه وارهابه وذكروا
 الخبيث البينة المشبه بالبرق في ظهوره يعدون آذانهم من ههنا القرآن حذرا لميل الى الايمان الذي هو
 بمنزلة الموت عندهم فان ترك الدين موت (والله محيط بالكافرين) علما وقدره فلا يفوتونه تعالى لان
 الخبيث لا يفوت المحيط (يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء) أي البرق (لهم مشوا فيه) أي في ضوء البرق
 (وإذا أظلم عليهم قاموا) أي بقوا في الظلمة وهذا تمثيل لازعاج ما في القرآن قلوبهم باختطاف البرق
 بأبصارهم ولتصديقهم لما يحبونه من تحصيل الغنية وعصمة الدماء والاموال بعشيتهم في البرق ولوقوفهم
 لما يكرهون من التكليف الشاق عليهم كالصلاة والصوم بوقوفهم في الظلمة (ولو شاء الله) أن يذهب
 بسمعهم وأبصارهم (لذهب بسمعهم) بقصيف الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق كذلك لو شاء الله
 لذهب بسمع المنافقين بزجر ما في القرآن وعييدهم ما فيه وأبصارهم بالبيان (ان الله على كل شيء) أي
 عاقل من ذهاب السمع والبصر (قدير) قال الفخر الرازي وأضاء امامتكم يعني كلما نور لهم مبلكا
 أخذوه واما غير متعد يعني كلما لمع لهم مشوا فيه بطرح نوره ويقويه قراءة ابن أبي عملة كلما ضاء (يا أيها
 الناس) أي يا أهل مكة أو يا أيها اليهود (اعبدوا ربكم) أي وحدوه بالعبادة (الذي خلقكم)
 نسما من النطفة (والذين من قبلكم) أي أنشأهم ولم يكونوا شيئا (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا
 السخط والعذاب بعبادته ولعل للاطماع لكن الكريم الرحيم اذا أطمع أجرى اطماعه مجرى وعده
 المحتوم فلهذا السبب قيل لعل في كلام الله تعالى يعني كي (الذي جعل لكم الأرض فراشا) أي
 بساطا (والسما بناء) أي سقفا رفوعا وعبر عنه بالبناء لاحكامه (وأنزل من السماء ماء) وعن
 خالد بن معدان قال المطر ماء يخرج من تحت العرش فينزل من السماء الى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا
 فيجتمع في موضع فتجىء السحاب السود فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث شاء (فأخرج به من الثمرات
 رزقا لكم) أي أنبت الله بالمطر من ألوان الثمرات طعاما لكم ولسائر الخلق (فلا تجعلوا لله أندادا) أي
 شركاء في العبادة (وأنتم تعلمون) أن الانداد لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله أو يقال وأنتم تعلمون انه
 ليس في التوراة والانجيل جواز اتحاد الانداد (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) محمد من القرآن
 في انه من عند نفسه (فأوبسورة من مثله) أي من ما هو على صفة ما نزلنا في الفصاحة وحسن النظم
 والاختبار بالغيوب (وادعوا شهداءكم من دون الله) أي ادعوا أكابركم من غيره تعالى عن يوافقكم
 في انكار أمر محمد ليعينوكم على المعارضة واجهكم موالكم وعليكم فيما يمكن ويتعذر وقد كان في العرب
 أكابر يشهدون على المتنازعين في الفصاحة بأن أحدهما أعلا درجة من الآخر (ان كنتم صادقين)
 في مقالكم ان محمد ايقول من تلقا نفسه (فان لم تفعلوا) أي لم تأوبسورة من مثل المنزل (ولن
 تفعلوا) أي لن تقدر وأن تحيثوا بمثله (فاتقوا النار) والمعنى اذا ظهر عجزكم عن المعارضة مع عندكم
 صدق محمد عليه السلام واذا مع ذلك فاتركوا العناد واذلتم العناد استوجبتم العقاب بالنار (التي
 وقودها الناس) أي حطبها الكفار (والحجارة) المعبودة لهم قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
 حصب جهنم (أعدت) أي هيئت تلك النار (للكافرين) بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم (وبشر الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات) أي الطاعات (أن لهم جنات) أي بساكن ذات شجر ومساكن والمأمور
 بالبشارة اما رسول الله صلى الله عليه وسلم واما كل أحد يقدر على البشارة وهذا أحسن كما قال صلى الله
 عليه وسلم بشر المشائين الى المسجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة ولم يأمر صلى الله عليه وسلم بثلاث

واحد بعينه وقرأ زيد بن هني وبشر بلفظ المبني للفعول عطف على أعدت (تجري من تحتها) أي من
 تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أي أنهار النحر واللبن والعسل وللمناموهن مسروق أنهار الجنة
 تجري في غير أخدود (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) أي كل حين رزقوا من رزقها من الجنات من نوع
 ثمرة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي هذا مثل الذي أطعمنا في الجنة من قبل هذا الذي أحضر
 الناقال تعالى تصديقاً لتلك الدعوى (وأتوا به مشابها) أي أتتهم الملائكة والولدان برزق الجنة
 متشابه بعضه بعضاً في اللون مختلفاً في الطعم (ولهم فيها) أي الجنات (أزواج) من الخور والآدميات
 (مطهرة) من الحيض وجميع الاقذار ومن دنس الطبع وسوء الخلق (وهم فيها خالدون) أي دائمون
 لا يموتون ولا يخرجون (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً) أي إن الله لا يترك أن يبين للخلق مثلاً أي
 مثل كان (بعوضة فافوقها) في الذات كالذباب والعنكبوت أو في الغرض المقصود من التمثيل كجنح
 البعوضة وكيف يستحي الله من ذكر شيء واجتمع الخ لاثق كلهم على تخليقه ما قدر وأعلى به والمراد
 بالبعوضة هنا الناموس وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر وله ستة أرجل وأربعة أجنحة
 وذنب وخرطوم مخوف وهو مع صغره بغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمال فيبلغ منه الغاية
 حتى أن الجمل يموت من قرصته (فأما الذين آمنوا فاعلمون أنه) أي ضرب المثل (الحق) أي الثابت
 (من ربهم) فلا يسوغ إنكاره لأنه ليس عينا بل هو مشتعل على الأمرار والقوائد (وأما الذين
 كفروا) من اليهود (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) تميز نسبة من اسم الإشارة أي أي فائدة في
 هذا المثل قال الله تعالى في جوابهم (يضل به) أي هذا المثل عن الدين (كثيراً) من اليهود
 (ويهدى به كثيراً) من المؤمنين (وما يضل به إلا الفاسقين) أي الخارجين عن حد الإيمان (الذين
 ينقضون عهد الله) هو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوب وجوده و وحدانيته وعلى وجوب صدق
 رسوله (من بعد ميثاقه) أي توكيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) فأنه أمرهم أن يصلوا أحبلهم
 بحبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين واتصلوا بالكفار (ويفسدون في الأرض) بتعويق الناس
 عن الإيمان بمعدى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك) الموصوفون بنقض العهد وما بعده (هم الخاسرون)
 أي المقبوضون بذهاب حسناتهم التي عملوها وبذهاب نعيم الجنة الذي وأطاعوا الله لوجوده (كيف
 تكفرون بالله و) الحال أنكم (كنتم أمواتاً) أجساماً لا حياة لها نطفاً وعلقاً ومضغاً (فأحياكم)
 بنفخ الأرواح فيكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) بالنشور (ثم إليه ترجعون)
 بعد الخشوف فيجازيكم على أعمالكم إن خير الخيرون شرافشر ثم والمعنى ثم إليه تنشرون من قبوركم للحساب
 (هو الذي خلق لكم) أي لاجل انتفاعكم في الدين والدنيا بالاستدلال على موجدكم وإصلاح الأبدان
 (ما في الأرض جميعاً ثم استوى) أي قصد (إلى) خلق (السماء) أي ثم تعلقت إرادته قطعاً حاداً
 بترجيح وجود السماء على عدمها فتلقت القدرة بإيجادها (فسواهن) أي جعل السماء (سبع
 سموات) والحاصل أن الله تعالى خلق الأرض من غير بسط في يومين ثم خلق السموات السبع مبسوطة
 في يومين ثم خلق ما في الأرض مما ينتفع به في يومين عن ابن مسعود قال إن الله تعالى كان عرشه على
 الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماء
 سماء ثم أيس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والاثني فجعل
 الأرض على حوت والحوت في الماء على صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على الصخرة والصخرة على

الى يحق فترك الحوت وتزلزلت الارض فارسي عليها الجبال فقربت فاجبال تفخر على الارض (والله بكل
 شيء عليم) فلا يمكن أن يكون خالقها للارض وما فيها والسموات وما فيها من العجائب والغرائب الا اذا كان
 عالما محيطا بجزئياتها وكمياتها (واذا قال ربك للملائكة) فاذا نصب باضمار اذ كر وقيل زائدة وقيل بمعنى
 قد ويجوز أن يتنصب بقالوا أتجعل أي قالوا ذلك القول وقت قول الله تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة
 روى الفصحاء عن ابن عباس انه تعالى انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا في الارض محاربين مع
 ابليس لان الله تعالى لما أسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله
 ابليس في جند من الملائكة فقتلهم ابليس بعسكره حتى أخرجوه من الارض وألحقوهم بجزائر البحر
 وهو لا منزان الجنان أنزلهم الله من السماء الى الارض لطرده الجن الى الجزائر والجبال وسكنوا الارض
 تخفف الله عنهم العباداة وكان ابليس يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله الهيب
 وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال تعالى له ولجنده (اني جاعل في
 الارض خليفة) أي بدلا منكم ورافعكم الى فكر هو اذ لك لانهم كانوا أهون الملائكة عباداة والمراد به آم عليه
 السلام (قالوا) استكشافا عما خفي عليهم من الحكمة لا اعتراضا على الله تعالى ولا طعنا في بني آدم
 على طريق الغيبة (أتجعل فيهما من يفسد فيها) بالمعاصي بمقتضى القوة الشهوانية (ويسفك الدماء)
 بالظلم بمقتضى القوة الغضبية فغفلوا عن مقتضى القوة العقلية التي بها يحصل السكال والفضل (ونحن
 نسبح) أي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين (بحمدك) على ما أنعمت به علينا من فنون
 النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العباداة فالتسبيح لآظهار صفات الجلال ومجد لتذكير صفات الانعام
 (ونقدس لك) أي نصفيك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا
 عن الذنوب لاجلك أي فنحن أحق بالاستخلاف (قال) تعالى (اني أعلم ما لا تعلمون) من مصلحة استخلاف
 آدم عليه السلام (وعلم آدم الاسماء كلها) أي أسماء كل ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع
 اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد آدم اليوم (ثم عرضهم) أي ذوات الاشياء (على الملائكة) بأن
 صور الله الاشياء في قلوبهم فصارت كأنهم شاهدها أو خلق الله تعالى معاني الاسماء التي علمها آدم
 حتى شاهدتها الملائكة (فقال) تعالى لهم توبيعنا (أنبؤني باسماء هؤلاء) المسميات (ان كنتم
 صادقين) في زعمكم أنكم أحق بالخلافة عن استخلفته (قالوا) اقرارا بالهجز (سبحانك) أي تبنا اليك
 من ذلك القول (لأعلم لنا الا ما علمتنا) أي وانما قالوا أتجعل فيهما من يفسد فيها لان الله تعالى أعلمهم ذلك
 فكانهم قالوا انك أعلمتنا انهم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء فقلنا لك أتجعل فيهما من يفسد فيها
 وأما هذه الاسماء فانك ما أعلمتنا كيفيتها فكيف نعلمها (انك أنت العليم) أي الذي لا يخرج عن عمله
 شيء (الحكيم) أي المحكم لصنعه (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أي اخبر الملائكة (باسمائهم)
 أي المسميات (فلما أنبأهم باسمائهم) مفصلة وبين لهم أحوال كل من المسميات وخواصه وأحكامه
 المتعلقة بالمعاش والمعاد (قال) الله تعالى لهم موبخا (الم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض)
 أي أعلم غيب ما يكون فيهما (وأعلم ما تبدون) أي تظهرون من قولكم أتجعل فيها الى آخره (وما كنتم
 تكفون) أي من استبطانكم انكم أحق بالخلافة وروى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود أن المراد
 بقوله تعالى ما تبدون قولهم أتجعل فيهما من يفسد فيها بقوله وما كنتم تكفون ما أمر ابليس في نفسه
 من الكبر ومن أن لا يسجد وقيل لما خلق الله تعالى آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا اليك ما شاء فلن

يخلق

مخلوق ربنا خلقا لا كنهأ كرم عليه منه فهذا الذي كتموه (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تعظيم
 لآدم من غير وضع الجبهة على الأرض (فسجدوا إلا إبليس أبى) عن أمر الله (واستكبر) أى
 تعاضم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى صار من الكافرين بأبائه عن أمر الله ويقال إن
 إبليس حين اشتغاله بالعبادة كان منافقا كلفرا وهذا السجود كان قبل دخول آدم الجنة وروى أن
 بنى آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر
 حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين بها وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل
 هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة
 ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السراشق الواحد من سرادقات العرش التي
 عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وممكة إذا قوبلت به السموات والأرضون وما فيها وما بينها
 فأنها كلها تكون شيئا يسيرا وقدر صغيرا وما من مقدار موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم
 زجل بالتسبيح والتعديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالنطرة في البحر
 ولا يعلم عددهم إلا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة التي
 هم جنود جبريل عليه السلام وكلهم مشتغلون بعبادته تعالى لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم
 ولا كيفية عبادتهم إلا الله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك) حواء (الجنة وكل منهما) أكلا
 (رغدا) أى واسع العيش (حيث شئتما) أى في أى مكان أردتما منها (ولا تقربا هذه الشجرة) روى
 أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشجرة فقال هي الشجرة
 المباركة السنبلة وعن مجاهد وقتادة هي التين وعن يزيد بن عبد الله هي التارج وعن ابن عباس هي
 شجرة العلم عليها من كل لون وفن (فتكونا من الظالمين) أى فتصير من الضارين لأنفسكما ويقال من الذين
 وضعوا أمر الله تعالى في غير موضعه (فأزلهما الشيطان) أى أزلهما إبليس (عنها) أى الجنة
 وقرأ حمزة بآلف بعد الزاى والباقون بغير ألف وتشديد اللام (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من الرغد
 (وقلنا) لآدم وحواء وإبليس (اهبطوا) انزلوا إلى الأرض فهبط آدم بسرديب من أرض الهند على
 جبل يقال له نود وهبطت حواء بجدة وإبليس بالآيلة من أعمال البصرة (بعضكم لبعض عدو) قال
 الله تعالى إن الشيطان لكاعد ومبين (ولسكن في الأرض مستقر) أى منزل (ومتاع) أى منفعة
 ومعاش (إلى حين) أى إلى وقت الموت (فتلقى آدم من ربه كلمات) أى حفظ آدم من ربه كلمات لكي
 تكون سبيله ولا ولادة إلى التوبة وقرأ ابن كثير ينصب آدم ورفع كلمات أى جاءته عن الله تعالى كلمات
 قال سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي
 إنك أنت خير الغافرين لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فارحني إنك أنت خير
 الراحمين لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فتاب على إنك أنت التواب الرحيم وقال
 مجاهد وقتادة هي ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (فتاب عليه) أى
 رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة (أنه هو التواب) أى الرجاء على عبادته بالمغفرة (الرحيم) أى
 البالغ في الرحمة لمن مات على التوبة (قلنا اهبطوا منها) أى الجنة (جميعا) أما في زمان واحد أو في أزمنة
 متفرقة وفائدة تكرير الأمر بالهبوط أن آدم وحواء لما أتيا بالزلة أمر بالهبوط فتأباعد الأمر به وروى
 في قلبهما أن الأمر به لما كان بسبب الزلة فبعد التوبة لا يبقى الأمر به فأعاد الله الأمر به مرة ثانية ليه
 أن الأمر به باق بعد التوبة لأن الأمر به كان تحقيقا للوعده المتقدم في قوله تعالى إني جاعل في الأرض

خليفة وعلى هذا فالجمع لاثنتين فقط آدم وحواء ويحتمل كون الجمع لهما ولولديهما قابيل وأقلميا بناء
 على القول بأنهما ولدا في الجنة ولعل عدم ذكرهما كونهما تابعين لأبويهما وكان قابيل قد غضبه أبواه
 لقتله هابيل (فأما يأتينكم) يا ذرية آدم (منى هدى) دلالة كدليل العقل والنقل وإن للشرطية أدغمت
 في ما الزائدة للتأكيد (فن تبسح هداى) بأن تأمل الأدلة بحقها واستنتج المعارف منها (فلا خوف عليهم)
 فيما يستقبلهم من العذاب (ولاهم يحزنون) على ما فاتهم من الدنيا وبقاى فلا خوف عليهم إذا ذبح الموت
 ولا هم يحزنون إذا طبقت النار وزوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن يقتضى
 الوصول إلى كل اللذات والمرادات وهذا يدل على أن المكاف الذى أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف فى القبر
 وعند البعث وعند حضور الموقف وعند تطاير الكتب وعند نصب الميزان وعند الصراط (والذين كفروا)
 برسلنا المرسل اليهم (وكذبوا بآياتنا) المنزلة عليهم سواء كانوا من الأنس أو من الجن (أولئك أصحاب النار)
 أى أهل النار وملأوا بها حيث لا يفارقونها (هم فيها خالدون) أى دائمون لا يخرجون منها ولا يموتون
 فيها (يا بنى إسرائيل) أى يا أولاد يعقوب وهذا خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من
 فولاد يعقوب عليه السلام فى أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم)
 أى على آبائكم من الأنحاء من فرعون وعلق الجبروت وظليل الغمام فى التيه وانزال المن والسلوى فيه
 واعطاء الجبر الذى كان كراس الرجل يسقيهم ماشوا من الماء متى أرادوا واعطاء عمود من النور ليضي
 لهم بالليل وجعل رؤسهم لا تتشعث وتياهم لا تبلى وجعلهم أنبياء وملوكا بعد أن كانوا عبيدا للقبط وانزال
 الكتب العظيمة التى ما أنزلها الله على أمة سواهم أى أقيوا بشكر تلك النعمة (وأوفوا بعهدى) أى
 أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصى ومن الوفاء بالأمر الإيمان بمحمد صلى الله
 عليه وسلم (أوف بعهدكم) أى أرض عنكم وأدخلكم الجنة (واياى فارهبون) فيما تأتون وتركون
 واعلم أن كل من كان خوفه فى الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس روى أنه ينادى مناد يوم
 القيامة وعزتى وجلالى أنى لا أجمع على عبدى خوفين ولا آمنين من أمنى فى الدنيا خوفته يوم القيامة
 ومن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن (مصدقا) أى موافقا
 بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وبعض الشرائع (لما معكم) من التوراة (ولا تكونوا أول
 كافرين) أى بالقرآن من اليهود فإن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها قرينة والنضير
 فكفروا به صلى الله عليه وسلم ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر ويقال ولا تكونوا أول من يخدم
 المعرفة لأن كفر قريش كان مع الجهل لامع المعرفة (ولا تشتروا بآياتى) أى بكتمان صفة محمد (ثمنا
 قليلا) أى عوضا يسيرا وذلك لأن رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف وحي بن أخطب وأمثالهما
 كانوا يأخذون من سفلة اليهود الهدايا وعلموا أنهم لو اتبعوا محمد لا تقطعت عنهم تلك الهدايا فأصرروا على
 الكفر لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر المحرور ذلك لأن الدنيا كلها بالنسبة إلى الدين قليلة جدا ثم تلك الهدايا
 كانت فى نهاية القلة بالنسبة إلى الدنيا (واياى فاتقون) أى تخافونى فى شأن هذا النبى صلى الله عليه
 وسلم (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكفروا الحق) والباء للاستعانة والمعنى ولا تخططوا الحق بسبب
 الشبهات التى توردونها على السامعين وذلك لأن النصوص الواردة فى التوراة والإنجيل فى أمر محمد كانت
 نصوصا خفية يحتاج فى معرفتها إلى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ريشوشون وجه الدلالة على
 المتأملين فيها بسبب القاء الشبهات (وأنتم تعلمون) ما فى اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم
 يوم القيامة وذلك لأن التلبس صار صارا للخلق عن قبول الحق إلى يوم القيامة وداعيا لهم إلى الاستقرار

على الباطل الى يوم القيامة ثم ذكر الله لزوم الشرائع عليهم بعد الايمان (واقموا الصلاة) أى أتموا
الصلاوات الخمس (وأقوا الزكاة) أى أعطوا زكاة أموالكم (واركعوا مع الراكعين) أى صلوا
الصلاوات الخمس مع المصلين محمد وأصحابه في جماعتهم وخص الله الركوع بالذكور تحريضا لليهود على
الاتباع بصلاة المسلمين فإن اليهود لا ركوع في صلاتهم فسكانه تعالى قال صلوا الصلاة ذات الركوع
في جماعة (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) روى عن ابن عباس أنه قال إن أخبار المدينة إذا
جاءهم أحد في الخفية لاستعلام أمر محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هو صادق فيما يقول وأمره حق
فاتبعوه وهم كانوا لا يتبعونه لطمعهم في الهدايا والصلاة التي كانت تصل اليهم من أتباعهم ويقال إن
جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر
منكم ويدعوا الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا
به فبكتهم الله تعالى بذلك فقال (وأنتم تتلون الكتاب) أى التوراة الناطقة بنعوت محمد صلى الله عليه
وسلم (أفلا تعقلون) أى أتلونه فلا تعقلون ما فيه (واستعينوا) أيها اليهود على ترك ما تحبون
من الدنيا وعلى الدخول فيما تستثقله طبا عكم من قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم (بالصبر) أى
بحبس النفس عن اللذات (والصلاة) فإنها جامعة لأنواع العبادات (وإنها) أى الصلاة (الكبيرة)
أى لشاقة (الاعلى الخاشعين) أى المائلين الى الطاعة (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) بالموت في
كل لحظة وذلك لأن كل من كان منتظرا للموت في كل لحظة لا يفارق قلبه الخشوع فهم يبادرون الى
التوبة لأن خوف الموت عما يقوى دواهي التوبة (وأنهم اليه راجعون) فى الآخرة فيجازيهم بأعمالهم
(يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) أى واذكروا انى
فضلت آباءكم على الموجودين فى زمانهم لاعلى من مضى ولاعلى من يوجد بعدهم وأيضا معنى تفضيلهم
على جميع العوالم ان الله تعالى بعث منهم رسولا كثيرة لم يبعثهم من أمة غيرهم ففضلوا لهذا النوع من
التفضيل على سائر الأمم (واتقوا) أيها اليهود ان لم تؤمنوا (يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا
يقبل) بالتأنيث على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وبالتذكير على قراءة الباقيين (منها شفاعة ولا يؤخذ منها
عدل) أى فداء (ولاهم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله تعالى ومعنى الآية أن يوم القيامة
لا تنوب نفس عن نفس شيئا ولا تحمل عنها شيئا أصابها بل يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه ومعنى هذه
النيابة ان طاعة المطيع لا تقضى عن العاصي ما كان واجبا عليه (واذنجيناكم) وقرئ أنجيناكم
وفجيتكم فاذنى موضع نصب عطف على نعمتى عطف تفصيل على مجمل وكذلك الظروف الآتية فى
الكلام المتعلق ببنى اسرائيل وينقضى عند قوله تعالى سيقول السفهاء والخطاب للموجودين فى زمن
نبينا تذكير لهم بما أنعم الله على آباؤهم لان النجاء الآباء سبب فى وجود الأبناء والمعنى ويا بنى اسرائيل
اذكروا اذنجيناكم (من آل فرعون) أى أتباعه وأهل دينه وهم فرعون أكثر من أربع مائة
سنة وهو الوليد بن مصعب بن زريان (يسومونكم سوء العذاب) أى يطلبون لكم أشد العذاب ثم بين
الله ذلك بقوله (يذبحون أبناءكم) صفارا وقرئ يذبحون بالخفيف (ويستحيون نساءكم) أى
يتركونهن حتى أحاطت بيوت مصر وأحرقت كل قبطنى وترك بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة
وسألهم عن ذلك فقالوا يولد فى بنى اسرائيل ولد يكون هلاك القبط وذوال ملكك على يده فأمر فرعون
بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل حتى قتل من أولادهم اثني عشر ألف صبي (وفى ذلكم بلاء من ربكم

عظيم) والبلاء ههنا هو المحنة ان أشير بلفظ ذلكم الى صنع فرعون والنعمه ان أشير به الى الانجاء وحمل
 السلام على النعمه أحسن لانها هي التي صدرت من الله تعالى ولان موضع المحنة على اليهود انعام الله
 تعالى على اسلافهم ثم ان كون استبقاه نسايمهم على الحياة محنة مع انه ترك للعذاب لما أن ذلك كان
 للاستعمال في الاعمال الشاقة وكان سبباً لانقطاع النسل ولفساد أمر معيشتهم (واذ فرقنا بكم
 البحر) أي واذا كروا اذ قلنا بسببكم أي لاجل ان يتيسر لكم سلوكه (فأنجيناكم) من الفرق
 بانخراجكم الى الساحل (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) التظام أمواج البحر بفرعون وقومه
 وترون بعد ثلاثة أيام جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل وفرعون معهم طافين روى انه تعالى أمر
 موسى عليه السلام أن يسري ببني اسرائيل وكانوا اثني عشر سبطاً كل سبط خمسون ألفاً فلما خرج موسى
 ببني اسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك ثم اجتمع الى فرعون ألف ألف ومائتا
 ألف كل واحد منهم على فرس فتبعوا موسى وقومه نهاراً وصادفوهم على شاطئ البحر فضرب موسى
 بعصاه لبحر فانشق البحر اثني عشر جبلاً في كل واحد منها طريق فكان فيه وحل فهبت الصبا لجف البحر
 حتى صار طريقاً يسافاً أخذ كل سبط منهم طريقاً فمضى فرعون والموسى ان بعضنا لا يرى صاحبه
 فضرب موسى عصاه على البحر فصار بين الطرق منافذ وكوى فرأى بعضهم بعضاً فلما وصل فرعون شاطئ
 البحر رأى ابليس واقفاً فنهاه على الدخول فجاء جبريل على حجرة فتقدم فرعون وهو على الخيل فتبعه فارس
 فرعون فلما دخل فرعون البحر صاح ميكائيل هم من خلفهم وهو على فرس فقال الحقوا آخركم بأولكم
 فلما دخلوا البحر ولم يبق واحد منهم التظم البحر عليهم وغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ
 وهو بحر العزم طرف من بحر فارس وقيل كان ذلك اليوم يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك
 اليوم شكر الله تعالى (واذ واعدنا موسى) قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير ألف في هذه السورة وفي الاعراف
 وطه وقرأه الباقر بالالف في المواضع الثلاثة (أربع ليلاً) بأعطاء الكتاب (ثم اتخذتم الجبل)
 أي عبدتم الجبل المسمى هموت (من بعده) أي بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) أي ضارون
 لانفسكم * قيل وعدم موسى عليه السلام بني اسرائيل وهرعصر ان أهلك الله عدوهم أتاهاهم بكتاب
 من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره أن يجيئ
 الى الطور ويصوم فيه ذا القعدة وعشر ذي الحجة فذهب اليه واستخلف هرون على بني اسرائيل ومكث في
 الطور أربعين ليلة وأنزلت عليه التوراة في ألواح من زبرجد فلما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بني
 اسرائيل الثياب والحلي الذي استعاروه من القبط لعمل عرس قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي
 لا تحل لكم فاحرقوها لجمعوا ناراً وأحرقوها وكان موسى السامري في مسيره مع موسى عليه السلام في
 البحر نظر الى حافداً به جبريل عليه السلام حين تقدم على فرعون في دخول البحر فقبض قبضة من تراب
 حافر تلك الدابة ثم ان السامري أخذ ما كان معه من الذهب والفضة وصور منه عجلاً في ثلاثة أيام مرصعاً
 بالجواهر كالحسن ما يكون وألقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت ومشى فقال للقوم هذا الهكم واله موسى
 فتركهم ههنا وخرج يطلبه وكانت بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى
 عشرون يوماً ولم يرجع موسى عليه السلام وقعوا في الفتنة فعبدوا كلهم الجبل الا هرون مع اثني عشر
 ألف رجل وكان موسى السامري رجلاً صانعاً من جماعة يقال لها سامرة وكان منافقاً يظهر الاسلام
 وكان من بني اسرائيل من قوم يعبدون البقر (ثم عفونا عنكم) أي محونا ذنوبكم حين تبتم (من بعد

ذلك) أي من بعد عبادتكم الجبل (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروا نعمة عفوي وتستمتروا
 بعد ذلك على طاعتي (واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان) أي واذا كروا إذا عطينا موسى التوراة
 وبينافيهما الحلال والحرام والأمر والنهي وغير ذلك (لعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا بتدبر الكتاب
 من الضلال (واذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا الجبل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم) أي انكم
 نقصتم أنفسكم الثواب الواجب بالاقامة على عهد موسى عليه السلام (باتخاذكم الجبل) أي بعبادتكم
 الجبل فقالوا لموسى فماذا تأمرنا فقال لهم (فتوبوا إلى بارئكم) أي إلى خالقكم ولو أظهرتم التوبة
 بالبدن دون القلب فأنتم ما تبتم إلى الله وانما تبتم إلى الناس قالوا كيف نتوب فقال لهم (فاقتلوا أنفسكم)
 أي سلّموا أنفسكم للقتل وارضوا به فأجابوا فأخذ عليهم الموائيق ليصبروا على القتل فأجمعوا مجتمعين فكل
 قبيلة على حدة وأتاهم بالاثني عشر ألفا الذين لم يعبدوا الجبل البتة وبأيديهم السيوف فقال التائبون ان
 هؤلاء اخوانكم قد أنوكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه
 أو مد طرفه إليهم أو اتقاهم بيد أو رجل فيقولون آمين فجعلوا يقتلون من الصبح إلى المساء وقام موسى
 وهرون عليهما السلام يدعوان الله تعالى ويقولان البقية البقية يا الهنا فإوحى الله إليهما أني قد غفرت لمن
 قتل وتبت على من بقي وكان القتلى سبعين ألفا (ذلكم) أي القتل في التوبة (خير لكم عند
 بارئكم) لما فيه طهارة عن الشرك (فتاب عليكم) أي قبل توبة من قتل منكم وغفر لمن لم يقتل
 من بقية المجرمين وعفاه عنهم من غير قتل (انه هو التواب) أي المتجاوز لمن تاب (الرحيم) على من مات على
 التوبة (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة) وذلك لما رجع موسى
 عليه السلام من الطور إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة الجبل حرق الجبل وألقاه في البحر اختار من
 قومه سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا إلى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى يسمعنا كلامه فسأل
 موسى عليه السلام ذلك فأجابته الله ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا
 من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وكان موسى عليه السلام متى كلمه ربه وقع على
 جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم النظر إليه رجع القوم كلام الله مع موسى عليه السلام يقول
 له افعل كذا ولا تفعل كذا فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك
 لا نصدق لك بأن ما سمعناه كلام الله حتى نرى الله معاينة فأحرقهم نار من السماء وما تواجيهما وقام موسى
 رافعا يديه إلى السماء يدعو ويقول يا الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول
 توبتهم فارجع إليهم وليس معي منهم واحد فقال الذين يقولون فلم يزل موسى مستغلا بالدعاء حتى ردا الله
 أرواحهم وبطلب توبة بني اسرائيل من عبادة الجبل فقال لا أقبل إلا أن يقتلوا أنفسهم (وأنتم
 تنظرون) إلى النار الواقعة من السماء (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أي ثم أحييناكم بعد حرقتكم
 بالنار وبعد موتكم يوما وليلة وذلك لاظهار آتار القدرة ولا يستوفوا بقية آجالهم وارزاقهم ولو ما ويا بقضاء
 آجالهم لم يحيوا إلى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروا احيائي (وظللنا عليكم الغمام) أي
 جعلنا السحاب الرقيق يظلكم من حر الشمس أي وكان يسير يسيرهم وكانوا يسرون ليلا ونهارا وينزل
 عليهم بالليل عمود من نور يسير ون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وذلك في التيه وهو وادي بين الشام
 ومصر وقدره تسعة فراسخ مكنوا فيه أربعين سنة متعيرين لا يمتدون إلى الخروج منه وسبب ذلك مخالفتهم
 أمر الله تعالى بقتال الجبار الذين كانوا بالشام حيث امتنعوا من القتال (وأزلنا) في التيه (عليكم المن)

وهو شئ كالصمغ كان يقع على الاشجار طعمه كالشهد وكان يقع على اشجارهم من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلاوى) فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة يأخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت والسلاوى وهو طائر ليس له ذنب ولا يطير الا قليلا ويوت اذا سمع صوت الرعد كما ان الخفاف يقتله البرد فيلهمه الله ان يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء أو ان المطر والرعد فيخرج من الجزائر وينتشر في الارض وخاصيته ان اكل لحمه يلين القلوب القاسية (كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) أى من مستلذات ما رزقناكم ولا تدخر والغد فادخر وافقطع الله ذلك عنهم ودود ما ادخروه (وما ظلمونا) أى وما نقصونا بما ادخروا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) أى يضرون لنقص انفسهم حظها من النعم (واذ قلنا) لهم بعد خروجه من لسان موسى أو على لسان يوشع (ادخلوا هذه القرية) روى ان موسى عليه السلام سار بعد انقضاء الاربعين سنة عن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا بفتح الهمزة وكسر الراء قرية الجبارين وهي بين القدس وحوارن وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض فيها وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي وان الله تعالى أمره بقتال الجبارة فسارهم يوشع وقتل الجبارة وصار الشام كله لبني اسرائيل (فكلوا منها) أى تلك القرية (حيث شئتم رغدا) أى موسعا عليكم (وادخلوا الباب) أى باب القرية أى من أى باب كان من أبوابها السبعة أو من باب يسمى باب الحطة أو باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام (مجيذا) أى مخمخين متواضعين كالراكم (وقولوا حطة) أى ان القوم أمرنا بان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وأن يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وقرأ ابن أبي عملة بالنصب والمعنى حط عنادنا ونوبنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) وقرأنا نافع بالتذكير وابن عامر بالتأنيث على البناء للمجهول والباقون بالنون المفتوحة (وستزيد المحسنين) بالطاعة في حسناتهم (فبدل الذين ظلموا) انفسهم (قولوا لغير الذي قيل لهم) أى أمرهم أى فدخلوا الباب زاحفين على أديبارهم قائلين حنطة على شعيرة استخفافا بأمر الله تعالى (فأنزلنا على الذين ظلموا) أى غير والامر (جزا) أى طاعونا مقدرا (من السماء بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم أى خروجه عن الطاعة روى أنه مات بالطاعون في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا فهذا الوياة غير الذي حل بهم في التيه (و) اذكروا (اذا استسقى موسى لقومه) في التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا حملها آدم معهما من الجنة فتوارثها الإنبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى وروى أن ذلك الحجر حجر طورى حمله معه وكان مربعه أربع جوانب وكان ذراعا في ذراع ينبع من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى ذلك السبط وكانوا ست مائة ألف وسبعة الممسكر اثنا عشر ميلا ثم قيل كان حجرا أعطاه الله عليه اثنا عشر ثديا كثندي المرأة يخرج من كل ثدي نهر اذا ضرب عصاه عليه (فانفجرت منه اثنا عشر عينا) أى نهرها (قد علم كل أناس) أى سبط (مشر بهم) أى موضع مشربهم من نهرهم روى أنه كان لكل سبط عين من اثنتي عشرة عينا لا يشرك فيها غيره وقلنا لهم (كلوا) من المن والسلاوى (واشربوا) من الانهار كلها (من رزق الله) أى كلوا واشربوا من رزق الله الذي يأنبكم بلاقع (ولا تعثوا في الارض مفسدين) أى لا تتفادوا في الفساد في الارض في حالة

افسادكم وبقا لا تمشوا في الارض على خلاف امر موسى (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) أي على أكل طعام واحد وهو المن والسلوى (فادع لنا) أي اسأل لأجلنا (ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها) أي من أطايبه التي تؤكل كالسكرفس والكراث والنعناع (وقثائمها وفومها) أي ثومها كما هو مروي عن ابن عباس وجاهد وهو اختيار الكسائي لأن الثوم بائنا في حرف عبد الله بن مسعود (وعدها وبصلها قال) أي موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى) أي أخس وهو الثوم والبصل (بالذي هو خير) أي أشرف وهو المن والسلوى فإنه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة إلى السعي (اهبطوا مصرا) أي اخرجوا من هذا المكان إلى المكان الذي خرجتم منه (فإن لكم) هناك (ما سألتهم وضربت عليهم الذلة) أي جعلت على فروع بني اسرائيل الذلة بالجزية (والمسكنة) أي زى الفقر (وباؤا بغضب) أي استحقوا الغضب أي اللعنة (من الله ذلك) أي الذلة والمسكنة واللعنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي بسبب أنهم كانوا يجحدون على الاستمرار بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وآية الرجم التي في التوراة وبلا نجيل (ويقتلون النبيين بغير الحق) أي ظلماروي أن اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار ولم يغتموا حتى قاموا في آخر النهار يتسوقون مصالحهم وقتلوا زكريا ويحيى وشعيبا وغيرهم من الانبياء (ذلك) الغضب (بما عصوا وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون الحد بقتل الانبياء واستحلال المعاصي وهذا الذل الذي أصابهم هو بسبب قتلهم عيسى في زعمهم وقوله تعالى وضربت عليهم الذلة معه بعض العلماء من باب المعجزات لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن ضرب الذلة والمسكنة عليهم وقد وقع الأمر كذلك فكان هذا أخبارا عن الغيب فيكون مجزا وهذا الكلام إلى قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون معترض في خلال القصص المتعلقة بحكاية أحوال بني اسرائيل الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام لأن قتل الانبياء إنما كان من فروعهم وذريتهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا) أي الذين تهودوا (والنصارى) أي الذين تنصروا (والصابئين) أي الخارجين من دين إلى دين وهم قوم من النصارى يخلقون وسط رؤسهم ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة يقولون صبات قلوبنا أي رجعت قلوبنا إلى الله (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) فيه ايمانهم وبين ربهم (فلهم أجرهم عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تقويت الثواب والمعنى ان الذين آمنوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في زمن الفترة بعيسى عليه السلام مثل قس ابن ساعدة وبخيرة الراهب وحبيب النجار وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وأب ذر الغفاري ووفد النجاشي والذين كانوا على الدين الباطل الذي لليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا لهم أجرهم عند ربهم أو المعنى ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون واليهود والنصارى والصابئين كل من أتى منهم بالايان الحقيقي صار من المؤمنين عند الله وهذا قول سفيان الثوري (واذا أخذنا ميثاقكم) أي اقراركم بقبول التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) أي رفعنا فوق رؤسكم الجبل مقدار قامة كالظلمة وكان فرسخا في فرسخ حتى أعطينا الميثاق وقلنا (خذوا ما آتيناكم) أي اعملوا بما أعطيناكم من المكتاب (بقوة) أي بجهد (واذكروا ما فيه) من الثواب والعقاب واحفظوا ما فيه من الحلال والحرام (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا المعاصي (ثم قوليت) أي أعرضت عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) أي رفع الطور وابتداء التوراة (قلوا فضل الله عليكم) بتأخير العذاب (ورحمته) بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليكم (لكنتم من

(الحامرين) أى لصرتهم من المغبونين بالعقوبة وبالانهمالك في المعاصي (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
 في السبت) أى وبالله لقد عرفتم عقوبة الذين تجاوزوا الحد منكم يوم السبت في زمن داود عليه السلام
 روى انهم امرؤا بان يتعمدوا يوم السبت للعبادة ويتركوا الصيد وهؤلاء القوم كانوا في زمن داود عليه
 السلام وكانوا يسكنون بأيلة على ساحل البحرين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان
 من كل أرض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا
 حياضاً عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس
 في الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم أخذوا السهل وهم خائفون من العقوبة فلما طال الزمان استحسن الابناء
 بسنة الآباء فشى اليهم طوائف من أهل المدينة الذين كرهوا الصيد يوم السبت ونهوه فلم يتهوا وقالوا
 نحن في هذا العمل منذ أزمان فإزادنا الله به الآخر اقبل لهم لا تغتروا فربما نزل بكم العذاب فأصبح القوم
 قردة خاسئين فكتبوا كذلك ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتوالدوا ثم هلكوا وذلك قوله تعالى (فقلنا
 لهم كونوا) أى صيروا (قردة خاسئين) أى ذليلين مبعدين عن الرحمة والشرف (لجعلناها) أى
 المسخنة أو القردة أو قرية أصحاب السبت أو هذه الامة (نكالا لما بين يديها وما خلفها) أى عقوبة رادعة
 للامم التي في زمانها وبعدها الى يوم القيامة أو لما قرب من تلك القرية وما تباعد عنها وعقوبة لا جل ما تقدم
 على هذه الامة من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) أى لكل متق مع تلك الواقعة فإنه يخاف
 ان فعل مثل فعلهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم والمراد بقوله تعالى كونوا سرعة التكوين وانهم صاروا
 كذلك كما أراد الله بهم (واذ قال موسى لقومه) أى واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لا حولكم
 (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) روى عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلاً فقيراً في بني اسرائيل
 قتل ابن أخيه أو أخاه أو ابن عمه لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شك ذلك الى موسى عليه السلام
 فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلم يظفر قالوا له سل لنار بك حتى يبينه فسأله فأوحى الله اليه ان الله
 يأمركم أن تذبحوا بقرة فتعجبوا من ذلك ثم شددوا على انفسهم بالاستغفار حالاً بعد حال واستقصوا في طلب
 الوصف فلما تعينت البقرة لم يجدوها بذلك الذئب الا عند انسان معين ولم يبيعها الا بأضعاف ثمنها فاشتروها
 فذبحوها وأمرهم موسى أن يأخذوا عضواً منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فصار المقتول حياً وعين لهم قاتله
 وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قوداً (قالوا ألتخذنا هزواً) أى أتستهزئ بنا يا موسى فان سؤالنا عن
 أمر القتيل وأنت تأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لانهم لم يعلموا أن الحكمة هي حياة القتيل بضربه ببعض
 البقرة واخباره بقاتله (قال) أى موسى (أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين) أى المستهزئين
 بالثومنين لان الهزء في أثناء تبليغ أمر الله تعالى جهل فلما علموا أن الأمر بالذبح حق (قالوا ادع لنا)
 أى لاجلنا (ربك يبين لنا ما هي) أى ما سنها صغيرة أو كبيرة (قال انه) أى الله تعالى (يقول انها
 بقرة لا فارض) أى كبيرة في السن (ولا بكر) أى صغيرة (عوان بين ذلك) أى وسط بين المسنة
 والقتية (فأفعلوا ما أمروا) به من ذبحها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه) تعالى
 (يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) أى صاف لونها (تسر الناظرين) اليها بسبب حسنها وتعجبهم من
 شدة صفرتها لغرابتها وخرجها عن المعتاد (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أعاملة هي أم لا (ان
 البقر تشابه علينا وإنا ان شاء الله لمهتدون) الى وصفها أو الى القاتل (قال انه) تعالى (يقول انها
 بقرة لا ذلول) أى غير مدللة (تثير الارض) أى تقلبها للزراعة (ولا تسقى الحرث) أى الزرع

(مسألة) من كل عيب (لا شية فيها) أى لا خلط فى لونها قال مجاهد لا يبيض فيها ولا سواد (قاوا
الآن جئت بالحق) أى نطق بالبيان المحقق ففتشوا عليها فوجدها عند الفتى البارلامه فاشتروها
على جلدتها (فذبجوها وما كادوا يفعلون) أى ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم ويقال وما
كادوا أن يذبجوها لاجل غلاء ثمنها أو لحوف الفضيحة فى ظهور القاتل روى أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ
صالح له ابن طفل وله عجلة فأتى بها الى الفضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر فكانت
من أحسن البقور وأمنها فلما كبر الابن كان بار الوالدته فكان يقسم الليل أثلاثا يصل ثلثا وينام ثلثا
ويجلس عند رأس أمه ثلثا فلما أصبح احتطب على ظهوره فيبيع الحطب فى السوق ثم يتصدق بثلثه
ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه ثم أمرته أمه أن يأخذ تلك العجلة من الفضة فلما أخذها
قالت له أمه انك فقير يشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فبيع هذه البقرة فقال بكم أبيعها
قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير شورتى وكان ثمن البقرة اذ ذاك ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث
الله ملكا ليختبر الفتى كيف يبره بوالدته فقال الملك له بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير بشرط رضى
والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأذن أمك فقال الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبالم آخذها الا برضا
أمى فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضائى فانطلق بها الى السوق وأتى
الملك فقال استأذنت أمك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أتصها عن ستة دنانير على أن أستأذنها فقال الملك
انى أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأذنها فأتى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان
الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أنا أمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال
الملك له اذهب الى أمك وقل لها مسكى هذه البقرة فاب موسى بن عمران يشترىها منك لتقتل يقتل فى بنى
اسرائيل فلا تبيعها الا بعل مسكه اذهب اذ ذاك فأمسكتها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة
بعينها مكافأة للفتى على بربوبه ففعل الله تعالى (واذ قتلتم نفسا) اسمه عاميل وقيل نكار
(فادارأتم فيها) أى تخاضعتم فى شأنها (والله مخرج) أى مظهر (ما كنتم تسكتون) من قتلها
وهذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وهما فادارأتم قوله (فقلنا اضربوه) أى القتل
(ببعضها) أى بعض من أعضاء البقرة قيل بذنبها وقيل بلسانها وقيل بفخذها الا عين ففعلوا ذلك فقام
القتيل حيا بأذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه فقتل قاتله الحرم
الميراث وفى الحديث ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) أى كما أحياء الله عاميل فى الدنيا
(بحسب الله الموت) فى الآخرة من غير احتياج الى آله (ويريك آياته) أى يجعلكم مبصرين دلائل
قدرته وأحيائه لليت (لعلكم تعقلون) أى لئى تعلموا أن من قدر على احياء نفس واحدة قدر على
احياء نفوس كثيرة فتصدقوا بالبعث بعد الموت (ثم قست قلوبكم) أيها اليهود فلم تقبل الحق (من
بعد ذلك) أى احياء عاميل واخباره بقاتله أو من بعد الامور التي جرت على أجدادكم (فهى كالحجارة)
فى القساوة (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة ما يتفجر منه الانهار) قال الحكماء ان الانهار
انما تنشأ عن أبخرة تجتمع فى باطن الارض فان كان ظاهر الارض رخوا انشقت تلك الابخرة وانفصلت
وان كان ظاهر الارض حرجيا اجتمعت تلك الابخرة حتى تسكن كثرة عظيمة فتشق الارض وتسيل تلك
المياه أنهارا (وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء) أى العيون الصغار التي هى دون الانهار (وان
منها ما يهبط) أى يتدحرج من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله) أى من انقياد أمر الله

قلوبكم أيها اليهود لا تتحرك من خوف الله واللام في الملام لا ابتداء دخلت على اسم ان وهو ما يعني الذي
والضمير منه ويشفق ويهبط يهود عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أي ان الله يحافظ لا يحمال
القاسية قلوبهم حتى يجازيهم في الآخرة وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون) أي أفتطمعون أيها
النبي والمؤمنون أن يؤمن هؤلاء اليهود بواسطتكم ويستحييوا لكم والحال ان طائفة منهم وهم أحبارهم
يسمعون كلام الله في التوراة ثم يغيرونه من بعد المعنى الذي فهموه بعبه ولهم وهم يعلمون أنهم هم مفترون
وذلك كنعت محمد صلى الله عليه وسلم فكانت صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة لكل العين أربعة جعد
الشعر حسن الوجه فكتبوا به طويلا أزرق العين سبط الشعر وقال ابن عباس والمعنى أفترجو
يا أمرف الخلق أن تؤمن بك اليهود والحال ان أسلافهم وهم السبعون المختارون للبيقات الذين كانوا مع
موسى يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يغيرونه من بعد ما علموه يقينا وهم يعلمون أنهم يغيرونه وذلك أنهم
قالوا سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وان شئتم أن لا تفعلوا
فلا بأس (واذ القوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أي ان منافق أهل الكتاب كانوا اذا القوا أصحاب سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به ونشهد أن صاحبكم صادق وان قوله حق ونجد بنعته
في كتابنا (واذا خلا بعضهم) أي رجع الساكثون الذين لم ينافقوا (إلى بعض) آخر منهم وهو
منافقوهم (قالوا) أي الساكتون موبخين للمنافقين (أتحدثونهم) أي المؤمنين (بما فتح الله
عليكم) أي بما بين الله لكم في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم به عند ربكم)
أي ليقيموا الحجة عليكم بما أنزل ربكم في كتابه في ترك اتباع محمد مع اقراركم بصدقه وقوله تعالى ليحاجوكم
متعلق بالتحديث والمراد بهذا تشديد التوبيخ فان التحديث بذلك لاجل هذا الغرض لا ليكاد يصدر عن
العقل أي أتحدثونهم بذلك ليحاجوكم بكتاب الله وحكمه ويقال عند الله كذا معناه في كتابه وحكمه
(أفلا تعقلون) ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولا يعلمون) أي اللاعنون أو المنافقون أو كلاهما (أن
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي أسرارهم الكفروا اعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار
غيره فيسرعوا عن ذلك (ومنهم) أي اليهود (أميون) أي جهلة (لا يعلمون الكتاب) أي
لا يعرفونه بقراءة ولا كتابة وطريقة تفهم التقليد (الأمانى) أي الاما هم عليه من أمانيتهم في أن الله
لا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وهم يحملهم أحبارهم على غنى قلوبهم من أن
النار لا تمسهم الا أياما معدودة ومن أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وقال الاكثرون لا بقدر ما يتلى
عليهم فيسمعونه أو لا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى (وانهم لا يظنون) أي ما هم يعرفون
الكتاب الا بان يذكر لهم تأويله فظنوه (فويل) أي عذاب أليم أو مسيل صيد أهل جهنم أو شدة الشر
(للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا) في الكتاب الذي جاء (من عند الله ليشتروا به)
أي ليأخذوا لانفسهم بمقابلته الكتاب المحرف (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا وهم اليهود وغيروا
صفة النبي في التوراة راية الرجم وغيره فغير وآية الرجم بالجلد والتحميم أي تسويد الوجه (فويل
لهم) أي فشد العذاب لهم (عما كتب أيديهم) أي فيما غيرت أيديهم (وويل لهم عما يكسبون)
أي يصيبون من الحرام والرشوة (وقالوا) أي اليهود (ان غشنا النار الا أياما معدودة) أي قليلة
قال مجاهد ان اليهود كانت تقول عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فالتة تعالى يعذبهم مكان ألف سنة يوما

فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة أيام وحكى الاصمعي عن بعض اليهود انهم عبدوا الجبل سبعة أيام فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة أيام وذلك كما أخرج الطبراني وغيره بسند حسن عن ابن عباس وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير عن طرق ضعيفة عنه انها أربعين يوماً (قل) لهم يا أشرف الخلق (أتخذتم عند الله عهداً) أي خبراً فإن خبره تعالى أو كد من العهود المؤكدة من بالقسم والنذر (فلن يخلف الله عهده) أي فإن الله تعالى منزّه عن الكذب في وعده ووعيده لأن الكذب صفة نقص والنقص على الله محال (أم تقولون) مفترين (على الله ما لا تعلمون) وقوعه أي أم لم تتخذوا من الله عهداً بل تتقولون عليه تعالى (بلى) تمسكم النار أبداً (من كسب سيئة) أي كفراً (وأحاطت به خطيئته) أي كبريته بأن مات على الكفر (فأرثلك) أي أهل هذه الصفة (أصحاب النار) أي ملازموها في الآخرة (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها أما أصحاب الكفار غير الكافرين فإنا نقطع بأنه تعالى يعفو عن بعض العصاة وعن بعض المعاصي ولما كانت وقوف في حق كل أحد على التعيين أنه هل يعفو عنه أم لا ونقطع بأنه تعالى إذا عذب أحداً منهم مدة فإنه لا يعذبها أبداً بل يقطع عذابه وهذا قول أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة وقرآننا في خطيئته بالجمع والمراد بالخطيئات أنواع الكفر المتجددة في كل وقت (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (وإذا أخذنا) في التوراة (ميثاق بني إسرائيل) الذين كانوا في زمن موسى (لا تعبدون إلا الله) أي لا تشكرون به شيئاً قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي بالياء على الغيبة وقرأ عبد الله وأبي لا تعبدوا بصريح النهي وهذه قراءة شاذة (وبأولادهم إحساناً) وهو متعلق بمعدوف أي وتحسنون أو أحسنوا بالبر بهما وإن كانا كافرين بأن لا يؤذيهم ما البتة ويوصل إليهم ما من المنافع قدر ما يحتاجان إليه فيدخل فيه دعوتهم ما إلى الإيمان إن كانا كافرين وأمرهما بالمعروف على سبيل الرفق إن كانا فاسقين (وذى القربى) أي أحسنوا بالاقارب بصلة الرحم (واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً) وقرأ حمزة والكسائي بضم الحاء والسين وقرئ قراءة شاذة حسناً بضمين وحسنى كبشرى والقول الحسن هو الذي يحصل انتفاعهم به (وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة) والمراد بالصلاة والزكاة ما فرض عليهم في ملتهم فقبلتم ذلك الميثاق المذكور (ثم توليتم) أي أعرضتم عن الوفاء بالميثاق (الأقليل منكم) أي آباءكم وهو من أقام اليهودية على طريقها قبل النسخ ويقال الأقليل منكم وهم من أسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأنتم معرضون) عن الطاعة كآبائكم (وإذا أخذنا ميثاقكم) أي وإذا كروا يا أيها اليهود المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وسلم وقت أن أخذنا الميثاق على آبائكم في التوادة (لا تسفكون دماءكم) أي لا يقتل بعضكم بعضاً (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا تخرج بعضكم بعضاً من منازلكم يا بني قريظة والنضير (ثم أقررتم) بوجوب المحافظة على الميثاق (وأنتم تشهدون) أي تعلمون ذلك (ثم أنتم هؤلاء) أي هؤلاء الحاضرون بعد ذلك (تقتلون أنفسكم) أي يقتل بعضكم بعضاً (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) أي من منازلهم ذلك الفريق (تظاهرون عليهم) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بتخفيف الظاهر والباقيون بالتشديد أي يتعادون لبعضكم بعضاً (بالأثم) أي المعصية (والعدوان) أي التجاوز في الظلم (وان يأتوكم أسارى) أي أسارى أهل دينكم (تفادوهم) بالمال أو غيره أي وإن يقع ذلك الفريق الذي تخرجونه من دياره وقت الحرب حال كونه أسيراً في يد حلفائكم تفدوه قرأ حمزة أمير بن قح

الهمة وسكون السين مع الامة وقرأعاهم والسكسائي تغادوهم بضم التاء وفتح الفاء والباقون بفتح التاء
 وسكون الفاء (وهو) أي الشأن (محرم عليكم اخراجهم) قال السدي ان الله تعالى أخذ على بني
 اسرائيل في التوراة الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وأيماناً عبداً وأمة
 وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكان قريظة والنضير أخوين كالاوس والخزرج
 فافترقوا فكانت قريظة خلفاء الاوس والنضير خلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة
 فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها ثم اذا أمر رجل من
 الفريقين فدوهم كالأوس واحد من النضير ووقع في يد الاوس افتدته قريظة منهم بالمال وهكذا يقال في
 عكس ذلك فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تغدوهم فيقولون أمرنا ان نغديهم وحرّم علينا
 قتالهم واكن نستحي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى بقوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أي تفعلون
 بعض الواجبات وهو المفاداة (وتكفرون ببعض) أي فلم تتركوا المحرم وهو القتال والاخراج والمعادنة
 (فاجزاء من يفعل ذلك منكم الاخرى) أي ذم عظيم وتحقير بالغ (في الحياة الدنيا) فكان خزي
 قريظة القتل والسبي وقد قتل صلى الله عليه وسلم منهم سبع مائة في يوم واحد وخزي بني النضير الاجلاء
 الى ازرعات واريحما وقيل هو ضرب الجزية على النضير في الشام وعلى من بقي من قريظة الذين سكنوا
 خيبر (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) أي عذاب جهنم لما ان معصيتهم أشد المعاصي (وما الله
 بغافل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم تناء الخطاب في يعملون وأما في ردون فالسبعة بالغيبة
 فقط وأما تناء الخطاب فشاذة وهذه الجملة زجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة (أولئك
 الذين اشتروا الحياة الدنيا) أي استبدلوها (بالآخرة) بأن اختاروا الكفر على الايمان (فلا يخفف
 عنهم العذاب) لا بالانقطاع ولا بالقلة في كل وقت أو في بعض الاوقات (ولا هم ينصرون) فلا يدفع
 أحد هذا العذاب عنهم (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) أي التوراة (وقفينا من بعده
 بالرسول) أي أتبعناهم اياه مترتين وهم يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا
 وعزير وخرقيش والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وجميع الانبياء بين موسى وعيسى
 على أربعة مائة الف واربعة آلاف ومدة ما بينهما ألف وتسعمائة سنة وخمسة
 وعشرون سنة (وآتيناهم عيسى بن مريم البينات) أي المعجزات كاحياء الموتى وابطال الكهنة
 ككهم خلقيا أوطار يا وبراء البرص وكالاخبار بالمغيبات وكالانجيل ثم عيسى بالسريانية أي شروع
 ومعناه المبارك ومريم بالسريانية بمعنى الحادوم وفي كتاب لسان العرب هي المرأة التي تكره مخالطة
 الرجال (وأيدناه) قرأه ابن كثير بمعد الهمة وتخفيف الياء أي قويناه (بروح القدس) وهو
 جبريل وهو الذي بشر مريم بولادته اذ غاب عيسى عليه السلام من نفقة جبريل وهو الذي رباه في
 جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء (أفكلما جاءكم) يا معشر
 اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم) أي بما لا يوافق قلوبكم من الحق (استكبرتم) أي تعظمتم عن
 الايمان به والاتباع له (فريقا كذبتم وفريقا تقتلون) أي كذبت طائفة محمد صلى الله عليه وسلم
 وعيسى عليه السلام وقتلتم فريقا يحيى وزكريا (وقاروا) أي اليهود (قلوبنا غاف) أي مغشاة
 بأغشية من قولك يا محمد أي قلوبنا أوعية لسكل علم وهي لا تفي علمك وكلامك (بل لعنهم الله بكفرهم)
 أي ليس عدم قبولهم للحق الخلل في قلوبهم ولكن الله أبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم فأبطل

استعدادهم عن القبول (فقليل ما يؤمنون) أي لا يؤمنون إلا بقليل مما كفوا به لانهم كانوا يؤمنون بالله
 الا أنهم كانوا يكفرون بالرسل وقال قتادة والاصم وأبو مسلم أي لا يؤمن منهم الا القليل وذلك نظير قوله
 تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا (ولما جاءهم) أي اليهود المعاصرين له صلى
 الله عليه وسلم (كتاب من عند الله) وهو القرآن (مصدق لما معهم) أي موافق لكتابهم التوراة
 بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه (وكانوا) أي اليهود (من قبل) أي من قبل بعث
 محمد ونزول القرآن (يستفتحون) أي يسألون الفتح أي النصر (على الذين كفروا) أي مشركي العرب
 أسد وغطفان ومنزينة وجهينة وهم عدوهم يقولون اذادهم عدو الله افتح علينا وانصرنا بالنبي الامي
 (فلما جاءهم ما عرفوا) من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة وقال
 ابن عباس وقتادة والسدي نزلت هذه الآية في شأن بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس
 والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثه يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد قرب زمانه
 ينصرنا عليكم (فلعنة الله على الكافرين) أي ابعاد الله من خيرات الآخرة عليهم (بشما اشتروا
 به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله) أي بشئ شيا اشتروا به أنفسهم كفرهم بالقرآن المصدق
 والتوراة أي ان هؤلاء اليهود لما اعتقدوا أنهم بما فعلوه خلصوا أنفسهم من العقاب وأصلوها الى
 الثواب فقد اشترىوا أنفسهم به في زعمهم وقال الاكثرون الاشتراء هنا بمعنى البيع لان المذموم لا يكون
 الا لما كان حاصلهم لما كان زائلا عنهم والمعنى باعوا أنفسهم بكفرهم لان الذين حصلوه على منافع
 أنفسهم هو الكفر فصاروا بائعين أنفسهم بذلك لكن لما كان الغرض بالبيع والشراء ابدال ملك بملك
 صلح أن يوصف كل واحد من المتبادلين بأنه بائع ومشتري لوقوع هذا المعنى من كل واحد منهما (بغيا أن
 ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أي حسدا على أن ينزل الله النبوة بفضله على محمد وطلب لما
 ليس لهم أي فأنهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم بالنبوة المنتظرة يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب
 حملهم ذلك على الحسد وقد أجاز العلماء أن يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا وأن ينزل الله مفعولا له
 وناصبه بغيا (فباؤا بغضب على غضب) أي فاستحقوا لعنة بعد لعنة لا موصدت عنهم) وللشكافرين
 عذاب مهين) أي يهانون بالعذاب الشديد بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه (واذا قيل لهم)
 أي واذا قال المؤمنون لليهود والموجودين في زمن نبينا (آمنوا بما أنزل الله) أي بكل ما أنزل الله من
 الكتب الالهية جميعا (قالوا) في جواب هذا القيل (نؤمن بما أنزل علينا) أي بما أنزل على
 أنبيائنا من التوراة وكتب سائر الانبياء الذين أتوا بقرير شرع موسى عليه السلام (ويكفرون بما
 وراءه) فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم يكفرون بما بعده وهو الانجيل والقرآن (وهو) أي ما وراءها أنزل على
 نبينهم من الانجيل والقرآن (الحق مصدق لما معهم) أي موافق بالتوحيد لكتبهم (قل) لهم
 يا أشرف الخلق الراموا بيانا لكفرهم بالتوراة التي ادعوا الايمان بها (فلم تقتلون أنبياء الله
 من قبل ان كنتم مؤمنين) والمعنى ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما زعمتم فلا يشرى كنتم تقتلون أنبياء
 الله من قبل لان في التوراة تحريم القتل وذلك لان التوراة دلت على أن المعجزة تدل على الصدق ودلت
 على أن من كان صادقا في ادعاء النبوة فان قتله كفر واذا كان الامر كذلك كان السعي في قتل ذكر يا
 ويحيى وعيسى كفرا فلم سعيت في ذلك ان صدقتم في ادعائكم كونكم مؤمنين بالتوراة والمعنى انهم لو
 آمنوا بالتوراة لما قتلوا الانبياء فآل أمرهم الى كفرهم بجميع ما أنزل الله تعالى لا ببعض كما ادعوا فان قيل

وله تعالى آمنوا خطاب لهؤلاء الموجودين وقوله فلم تقتلون حكاية فعل اسلافهم فكيف وجه الجمع بينهما
 قلنا معنا انكم بهذا التكذيب للانجيل والقرآن خرجتم من الايمان بما آمنتم كما خرج اسلافكم
 بقتل بعض الانبياء عن الايمان بالباقيين (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أي بالآيات التسع وهم
 نعصار اليد والسنون ونقص الفرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وقلوب البحر (ثم
 اتخذتم العجل) أي عبدتم العجل (من بعده) أي من بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) أي
 كافرون بعبادته (واذا أخذنا ميثاقكم) أي اقراركم (ورفعنا فوقكم الطور) أي رفعنا فوق رؤسكم
 الجبل حين امتنعتم من قبول التوراة وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) أي اعملوا بما أعطيناكم من
 الكتاب بحمد (واسمعوا) أي اطيعوا ما تؤمرون (قالوا سمعنا) قولك يا ذاننا (وعصينا) أمرك
 بقلوبنا وغيرها (وأشر بواقي قلوبهم) أي وأدخلوا في قلوبهم حب عبادة العجل
 بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك (قل) لهم يا أشرف الخلق (بسمي يا مريم به ايمانكم) بما
 أنزل عليكم من التوراة قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل (ان كنتم مؤمنين) بالتوراة كما رعتهم
 فان يجوز فيها الوجهان من كونها نافية وشرطية وجوابها محذوف تقديره فبسمي يا مريم (قل ان كانت
 لكم الدار الآخرة) أي نعيم الدار الآخرة (عند الله) وهو الجنة (خالصة من دون الناس) أي
 خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق بأن صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى
 (فتمنوا الموت) كأن تقولوا ليتنا موت (ان كنتم صادقين) في مقالكم لان من أيقن انه من أهل
 الجنة اشتاق اليها وتمن سرعة الوصول الى النعيم (ولن يتمنوه) أي لن يسألوا الموت (أبدا بما قدمت
 أيديهم) أي بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم
 وبالقرآن وكتحريف التوراة (والله عليم بالظالمين) أي الكافرين فيجازيهم (ولتجدتهم) أي والله
 لتجدن اليهود يا محمد (أحرص الناس على حياة) أي بقاء في الدنيا (ومن الذين أشركوا) أي وأحرص
 من مشركي العرب المنكرين للبعث لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له (يود) أي
 يتمنى (أحدهم لو يعمر ألف سنة) والمراد بالف سنة التكثير لا خصوص هذا العدد وليس المراد بها قول
 الاعاجم عش ألف سنة لو مصدرية وهي مع صلاتها في تأويل مصدر مفعول يود (وما هو بجزخزحه من
 العذاب أن يعمر) فاعل لمزخزح أي وما أحدهم عن بعده من النار تعمره ألف سنة (والله بصير
 بما يعملون) فيجازيهم به قرأ السبعة بالياء التحتية ويعقوب من العشرة بالفوقية روى أن النبي صلى
 الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن مسعود فقال يا محمد كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم الذي
 يحيى في آخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرني عن
 الولد أمن الرجل يكون أم من المرأة فقال أما العظام والعصب والعروق من الرجل وأما اللحم والدم والظفر
 والشعر فمن المرأة فقال صدقت فبال الرجل يشبه أعمامه دون أخواله يشبه أخواله دون أعمامه فقال
 أيهما غلب ماؤه صاحبه كان الشبه له قال صدقت أخبرني أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي
 التوراة ان النبي الامي يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل
 تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر الله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرم من على
 نفسه أحب الطعام والشراب وهو لحمان الابل والبانها فقالوا نعم فقال له بقيت خصلة واحدة ان قلتها
 فآمنت بك أي ملك ياتيك بما تقول عن الله قال جبريل قال ان ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا

مكائيل يأتي بالبشر والخافلو كان هو الذي يأتيك آتيا بك فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين (قل من كان عدوا لجبريل (لأنه ينزل القرآن على محمد فقد خلع ربقة الانصاف (فانه) أي جبريل (نزل) أي القرآن (على قلبك باذن الله) أي بامر الله وخص القلب بالذكر لأنه خزانة الحفظ وبيت الرب (مصدق لما بين يديه) أي لما قبل القرآن من الكتب الالهية لان الشرائع التي تشتمل عليها سائر الكتب كانت مقدرة بالاوقات ومنتهية في هذا الوقت فان النسخ ببيان انتهاء مدة العبادة وحيث لا يكون بين القرآن وسائر الكتب اختلاف في الشرائع (وهدي) أي ببيان ما وقع التكليف به من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (وبشري) أي ببيان ثواب تلك الأعمال (للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل ومكائيل فان الله عدو للكافرين) وخص الله جبريل بالذكور رداعلى اليهود في دعوى عداوته وضم اليه ميكائيل لانه ملك الرزق الذي هو حياة الاجساد كما ان جبريل ملك الوحي الذي هو حياة القلوب والارواح وقدم جبريل لشرفه لان العلم أشرف من الاغذية وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لان عداوة الرسل بسبب نزول الكتب ونزولها بتتزيل الملائكة وتنزيلهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب وجبريل قرأ حمزة والكسائي بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء مكسورة وقرأ شعبة كذلك الا انه حذف الياء بعد الهمزة وكسر الراء والباقيون بكسر الجيم والراء من غير همزة بعد الراء الا أن ابن كثير ففتح الجيم وميكائيل قرأ أبو عمرو وحفص ميكال بغير همزة ولا ياء بين الالف واللام وقرأ نافع همزة بعد الالف ولا ياء بعد الهمزة والباقيون همزة بعد الالف وياه قال ابن عباس ان اليهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث من العرب كفروا به ومجدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذين جبل يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاء نابشي من البينات وما هو بالذي كان ذكر لكم فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولقد أنزلنا اليك) يا أشرف الخلق (آيات بينات) أي آيات القرآن الذي لا يأتي بمثله الجن والانس (وما يكفر بها الا الفاسقون) وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم من العهد في محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد اليه في محمد عهدا فأنزل الله هذه الآية (أو كما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) أي أ كفروا بالآيات وكما عاهدوا الله عهدا كقولهم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم لئن خرج النبي لنؤمنن به ولنخرجن المشركين من ديارهم وكما كوتهم عاهدوا الله على ان لا يعينوا عليه صلى الله عليه وسلم أحد من المشركين ثم أعانوا عليه قريشاوم الخندق نبذه فريق منهم (بل أكثرهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون بل أبد الحسد لهم وقيل لا يصدقون بكتابهم لانهم كانوا في قومهم كالمناققين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر لهم الايمان بكتابهم ورسولهم ثم لا يعملون بمقتضاه (ولما جاءهم رسول من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أي أعطوه وعسكوا به (كتاب الله وراه ظهورهم كما هم لا يعلمون) انه كتاب الله أي فكفروا وعنادا والكتاب مفعول ثان لا وتواو كتاب الله مفعول نبذ وقال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خافهم به بالتوراة فانفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة موافقة القرآن لما رأوا أخذوا بكتاب آصف ومهر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن (واتبعوا) أي اليهود وهو معطوف على نبذ (ما تلووا) أي تكذب (الشياطين

على ملك سليمان) من السحر وكانت الشياطين دفنته تحت كرسيه لما تزعم ملكه فلم يشعر بذلك
 سليمان فلما مات استخرجوه وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فاعلموا وواقبوا على تعلمه ورفضوا
 كتب انبيائهم وفشت الملامة على سليمان فلم تزل هذه حائهم حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه
 وسلم وانزل الله عليه براءة سليمان ومدة تزعم ملكه اربعون يوما وسبب ذلك ان احدي زوجاته عبدت
 صنما اربعين يوما وهو لا يشعر بها فعاتبه الله تعالى بنزع ملكه اربعين يوما وذلك ان ملكه كان في خاتمه
 وهو من الجنة وكان اذا دخل الحلال نزع ووضع عند زوجته تسهي الامينة ففعل ذلك يوما فجاء جني
 اسمه صخر وتصور بصورة سليمان ودخل على الامينة وقال اعطيني خاتمي قد فتنته له فسخرت له الجن
 والانس والطير والريح وجلس على كرسي سليمان فجاء سليمان الامينة وطلب الخاتم فرأت عورته غير
 الصورة التي تعرفها منه فقالت له ما انت سليمان وهو قد اخذ الخاتم فلما تم الاربعون طارا الجني من فوق
 الكرمي ومر على البحر والقي الخاتم فيه فابتلعه فمكة فوقع في يد سليمان فاخذه من بطنها ولبسه ورجع
 له الملك فامر الجني باحضار صخر فأتوا به فحبسه في صخرة وسد عليه بالرصاص والحديد وورماها في قعر البحر
 (وما كفر سليمان) أي ما كتب سليمان السحر وما عمل به لان العمل بالسحر كفر في شريعته وأما في شرعنا
 فان اعتقد دفاعه حل استعمانه كفر والا فلا وأما تعلمه فان كان ليعمل به فحرام أوليتوقاه فباح أولا
 ولا فكره (ولكن الشياطين كفروا) أي كتبوا واستعملوا السحر وقرأ الكن ابن عامر وحزرة والسكسائي
 بتخفيف النون مع الكسر ورفع الشياطين (يعلمون) أي الشياطين (الناس السحر) ويقصدون به
 اضلالهم (وما أنزل على الملوك) عطف على السحر أي ويعلمونهم ما ألهماهم من السحر وقيل عطف
 على ما أتوا واختار أبو مسلم ان ما في محل جر عطف على ملك سليمان وذلك ان الملوك أنزلت عليهم السحر
 امتحانا من الله للناس هل يتعلمونه أولا كما امتحن قوم طالوت بالشرب من النهر وقيل انما أنزل الله عليه
 للتمييز بينه وبين المجرى لئلا يغتر به الناس لان السحرة كثروا في ذلك الزمن واستنبطوا أبوابا غريبة
 من السحر وكأوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلموا الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا
 من معارضة أولئك الكذابين واظهار أمرهم على الناس (ببابل) وهو بلد في سواد العراق (هاروت
 وماروت) عطف بيان للملكين لانهم ما ملكا نزل من السماء كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقيل
 ما أنزل نفي معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان كأنه تعالى قال لم يكفر سليمان ولم ينزل على الملكين
 سحر لان السحرة كأوا يسندون السحر الى سليمان يزعموا انه عما أنزل على الملكين ببابل هاروت
 وماروت فكذبهم الله تعالى على ذلك وقيل ان الملكين هما جبريل وميكائيل أخرجه البخاري في تاريخه
 وابن المنذر عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن عطية وحيث نذ يكون هاروت وماروت مرفوعا بدل من
 الشياطين بدل البعض كما هو قراءة الزهري وعلى هذا كما قاله الحسن والفصحاء فهمما علمان من بابل
 يعلمان السحر وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام فهما داود وسليمان كما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد
 الرحمن بن ابري وقيل كانا رجلين صالحين من الملوكة (وما يعلمان من أحد) أي وما يعلم الملك كان أحدا
 السحر (حتى يقولوا) أولا (انما نحن فتنة) أي امتحان من الله تعالى للناس (فلا تكفر) أي فلا تتعلم
 ولا تعمل به أي لا يصفان السحر لاحد الى ان يقولوا لا يذلا الصيحة له فيقول له هذا الذي نصفه لك وان كان
 الغرض منه أن يتميز به الفرق بين السحر والمهجة ولكنه يمكن ان تتوصل به الى المفاسد والمعاصي فإياك
 بعد وقوفك عليه أن تستعمله في ما نهيت عنه أو تتوصل به الى شيء من الاعراض العاجلة (فيتعلمون) أي

الاحد والمراد به السحرة منهما أى الملكين أو السحر والتميز على الملكين أو القننة والكفر (ما يفرقون
 به بين المرء وزوجه) اما بأن يعتقد ان ذلك السحر مؤثر في هذا التفريق فيصير كافرا واذا صار كافرا بانت
 منه امر أنه فيحصل تفرق بينهما واما بالتقوية والحيل فيبغض كل منهما في الآخر (وما هم) أى السحرة أو
 اليهود أو الشياطين (بضارين به) أى باستعمال السحر (من أحد الا باذن الله) أى بإيجاد الله وارا دته
 وعلمه (ويتعلمون) أى الشياطين واليهود والسحرة بعضهم من بعض (ما يضرهم) في الآخرة (ولا
 ينفعهم) في الدنيا ولا في الآخرة وهو السحر (ولقد علموا) أى اليهود (لمن اشترأ) أى استبدل ما تناولوا
 الشياطين (ماله في الآخرة) أى في الجنة (من خلاق) أى نصيب أو ماله في النار من خلاص أى ان اليهود
 لما نبذوا كتاب الله وراه ظهروهم واقبلوا على التمسك بما تناولوا الشياطين فكأنهم قد اشترأوا ذلك السحر
 بكتاب الله (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أى وباللحس شيئا باعوا به حظ أنفسهم في الآخرة الكفر أو تعلم
 السحر (لو كانوا يعلمون) قبحه على اليقين (ولو أنهم) أى اليهود (آمنوا) بمحمد المشار اليه في
 قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ أو بما أنزل اليه من آيات المذكورة بقوله تعالى ولقد
 أنزلنا إليك آيات بينات أو بالتوراة التي أريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله
 وراه ظهروهم (واتقوا) بأن تابوا من اليهودية واستعمال السحر (لمثوبه من عند الله خير) أى
 لشيء من ثواب الله خير لهم (لو كانوا يعلمون) ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا) للنبي صلى الله
 عليه وسلم (راعنا) وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا عليهم شيئا من العلم
 راعنا يا رسول الله أى تأن بنا حتى نفهم كلامك واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسايون بها فيما بينهم فلما
 سمعوا المؤمنين يقولون راعنا خاطبوا به النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعنون بها تلك المسبة ويضحكون
 فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ منهم وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي
 بيده لئن سمعتم من أحد منكم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربن عنقه قالوا أولستم تتولونها
 فتهمي المؤمنون عنها وأمرنا ببلغظة أخرى لئلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وذلك قوله تعالى (وقولوا انظرونا) أى انظر الينا والمقصود منه ان المعلم اذا انظر إلى المتعلم كان آتيانه
 للكلام على نعت الافهام أقوى وقيل لا تحمل علينا قانه ابن زيد (واسمعوا) أى أحسنوا اسماع ما يقوله
 النبي صلى الله عليه وسلم بأذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجون إلى الاستعادة (والكافرين)
 أى اليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) هو النار (ما يورثون الذين كفروا من
 أهل الكتاب) وهم اليهود (ولا المشركين) من العرب (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) أى ما يجب
 اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه ومشركوا العرب أبو جهل وأصحابه ان ينزل عليكم وحى من ربكم لانهم
 يحسدونكم به (والله يختص برحمته) أى بوحيه (من يشاء) أى من كان أهلا لذلك وهو محمد صلى الله عليه
 وسلم (والله ذو الفضل العظيم) بالوحى على محمد صلى الله عليه وسلم من غير علة ولما قال الكفار ان محمدا
 يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه وما يقوله الا من تلقاه نفسه نزل قوله تعالى (ما ننسخ من
 آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قرأ ابن عامر ننسخ بضم النون الاولى وكسر السين وقرأ ابن كثير
 وأبو عمر ونسأ بفتح النون الاولى والسين وبهمزة سا كنة بعد السين أى ما تبدل آية اما بأن تبدل حكمها
 فقط أو تلاوتها فقط أو تبدلها معا أو نتر كهما كما كان فلا تبدلها نأت بأنفع من المنسوخ وأخف في
 العمل بها أو نأت بعملها في الثواب والنفع والعمل أو يقال ما نفع من آية قد عمل بها أو نوتر نسخها فلا نرفع

تلاوتها ولا تزيل حكمها نأت بما هو أنفع للعباد في السهولة كنسخ وجوب مصابرة الواحد لعشرة من
الاعداء وجوب مصابرة اثنين أو في كثرة الأجر كنسخ التخير بين الصوم والغدية بتعيين الصوم أو نأت
بعلتها في التكليف والثواب كنسخ وجوب استقبال حفرة بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة فهما
متساويان في الأجر (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) وهذا تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره على
قدرته تعالى على تصريف المكلف تحت مشيئته وحكمه وحكمته وأنه لا دافع لما أراد ولا مانع لما اختار
(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) وهذا هو التنبيه على أنه تعالى اغما حسن منه التكليف لمحض
كونه مالم يخلق مستوليا عليهم لا لثواب يحصل ولا لعقاب يندفع (وما لكم) يا معشر اليهود (من دون
الله) أي غيره (من ولي) أي قريب ينفعكم (ولا نصير) يمنع عنكم عذابه وفرق بين الولي
والنصير بأن الولي قد يجز عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ولما قالت اليهود يا محمد
اثننا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة نزل قوله تعالى (أم تريدون) أي أتريدون (أن
تسألوا رسولكم) أي الرسول الذي جاءكم (كما سأل موسى) أي سأله بنوا اسرائيل رؤية الرب
وغير ذلك (من قبل) أي من قبل هذا الرسول (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل)
أي ومن يجتر الكفر على الإيمان أي بأن يأخذ الكفر بدل الإيمان فقد أخطأ الطريق المستوي أي
الحق (ود كثير من أهل الكتاب) أي من أخبار اليهود كعبد بن الأشرف وحي بن أخطب وأبو ياسر
ابن أخطب (لو يردونكم) يا عمارو يا حذيفة ويا معاذ بن جبل (من بعد إيمانكم) محمد
والقرآن (كفاراً) أي غنى كثير من اليهود أن يصيروكم من بعد إيمانكم مرتدين روى أن
فخاص بن عاذر ورازي بن قيس ونفر من اليهود قالوا لحذيفة وعمار بن ياسر بعد رقة أحد ألم تروا
ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم
سبيلاً فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا أمر شديد قال فاني قد شاهدت الله تعالى أني لا أكفر بمحمد
ما عشت فقالت اليهود ما هذا فقد صبا وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبالقرآن
اماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخواناً ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فقال أصبتم
خيراً أو أفلهما فنزلت هذه الآية (حسد من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) في كتابهم أن
محمد هو الحق وقالت صفيية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي وعمي من عندك فقال أبي لعمي
ما تقول فيه قال أقول انه النبي الذي بشره موسى عليه السلام قال فماترى قال أرى معاداته أيام الحياة
فهذا حكم الحسد (فاعفوا) أي اتركوهم فلا تؤاخذوهم (واصفحوا) أي أعرضوا عنهم فلا تلوموهم
(حتى يأتي الله بأمره) فيهم أي يقتل بني قريظة وسببهم واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية
عليهم أو بآذنه في القتال (إن الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم من القتل والاجلاء
(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) الواجبين عليكم ولما أمر الله المؤمنين بالعفو والصمغ عن اليهود
أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم فقال أقيموا الصلاة (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أي عمل صالح أي أي
شيء من التطوعات تقدموه لمصلحة أنفسكم (تجدوه عند الله) أي تجدوا ثوابه مدخر عند الله (إن
الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل (وقالوا) عطف على ود (لن يدخل الجنة الا من كان هوداً
أو نصارى) أي قالت يهود المدينة لن يدخل الجنة الا اليهود ولا دين الا دين اليهودية وقالت نصارى
نجران لن يدخل الجنة الا النصارى ولا دين الا دين النصرانية وقرأ أبي بن كعب الا من كان يهودياً أو

نصرانياً أى قالوا ذلك لما تناظرنا بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم (تلك) أى الامانى الباطلة وهى
أمنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من دينهم وأمنيتهم ان يروا المؤمنين كفاراً وأمنيتهم ان لا يدخل الجنة
غيرهم (أمانيتهم) أى مقنياتهم على الله ما ليس فى كتابهم (قل) يا أشرف الخلق (هاؤنا)
برهانكم) أى أحضر واجتكم من كتابكم (ان كنتم صادقين) فى مقاتلتكم (بلى) يدخل
الجنة غيرهم (من أسلم وجهه) أى من أخلص نفسه (لله) لا يشرك به شيئاً (وهو محسن) فى جميع
أعماله (فله أجره) الذى وعد له على عمله (عند ربّه) أى فى الجنة (ولا خوف عليهم) فى الدارين من
لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من قوات مطلوب ولما قدم نصارى نجران على رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتاهم أخبار اليهود فتخاصموا فى الدين حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود ما أنتم على شئ
من الدين وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين أنزل الله تعالى هذه الآية (وقالت اليهود)
أى يهود المدينة (ليست النصارى على شئ) أى أمر يعتد به من الدين قاله رافع بن حرملة فسكف
بعيسى والانجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) قاله رجل من أهل نجران فكفر بموسى
والتوراة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وهم) أى الفريقان (يتلون الكتاب) المنزل عليهم ويقولون
ما ليس فيه وكان حق كل منهم أن يقرب بحقيقة دين خصمه بحسب ما ينطق به كتابه فان فى كتاب اليهود
تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعته به (قال الذين
لا يعلمون) كتاب الله قال السدى هم العرب وقال عطاءهم أم كانت قبل اليهود والنصارى كما أخرجهما
ابن جرير (مثل قولهم) بدل من ذلك بيان للكاف أى لاهل كل دين أنهم ليسوا على شئ يصح (فأله)
يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه) من الدين (يختلفون) فيقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى
استحقه وقال الحسن أى فآله يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من منع مساجد
الله أن يذكروا فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى) أى عمل (فى خرابها) بالهدم أو التعطيل
بانقطاع الذكر (أولئك) المانعون الساعون فى خرابها (ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) أى
ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا المساجد الا بخشية وخضوع وقيل معنى هذه الجملة النهى عن تمكين الكفار
من الدخول فى المسجد واختلاف الائمة فى ذلك فجوز أبو حنيفة مطلقاً ومنعه مالك مطلقاً وفرق الشافعى
بين المسجد الحرام وغيره وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنهم قرئش كما قيل ان هذه الآية نزلت فى
شأن مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله بحكمة وألجؤوا الى الهجرة
فصاروا مانعين له ولا مصابه ان يذكروا الله فى المسجد الحرام وقد كان الصديق رضى الله عنه بنى مسجداً
عند داره فنعى وكان عن يؤذيه ولدان قرئش ونساؤهم وقيل ان أبا بكر رضى الله عنه كان له موضع صلاة
فخر به قرئش لما هاجروا من طريق العنوة عن ابن عباس أنهم النصارى كما نقل عن ابن عباس ان
طيطيوس ابن اسبيانوس الرومى ملك النصارى وأصحابه غزوا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا
ذرائعهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يرزل بيت
المقدس خراباً حتى بناه المسلمون فى زمن عمر رضى الله عنه ومعنى هذه الآية حيث نذروا أحد أظلم فى كفره عن
خرب بيت المقدس لكيلا يذكروا الله بالتوحيد والاذان وعمل فى خرابه من القاء الجيف فيه أولئك
أى أهل الروم ما كان لهم أمن فى دخوله الا مستخفين من المؤمنين مخافة القتل وهذا الحكم عام لكل من
فعل ذلك فى أى مسجد كان (لهم فى الدنيا عزي) أى هو ان بالقتل والسبي وضرب الجزية عليهم

(ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار (ولله المشرق والمغرب) أي له تعالى كل الأرض فان
منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو المسجد الأقصى فقد جعلت لكم الأرض كلها مسجدا (فأينما تولوا)
وجوهكم في الصلاة بأمره (فثم) أي هناك (وجه الله) أي قبلته كما قاله مجاهد وقرئ بفتح التاء
واللام أي فأيما توجهوا إلى القبلة فثم مرضاة الله (إن الله واسع) برحمته يريد التوسعة على عباده
(عليم) بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها أي إن الله تعالى أراد تحويل المؤمنين عن استقبال بيت
المقدس إلى الكعبة فبين تعالى أن المشرق والمغرب وجميع الجهات علو كة له تعالى فأيما أمركم الله
بإستقباله فهو القبلة لأن القبلة ليست قبلته لذاته بل إن الله تعالى جعلها قبلته فأن جعل الكعبة قبلته
فلا تنكروا ذلك لأنه تعالى يدبر عباده كيف يريد وقال ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس أنكر
اليهود ذلك فنزلت هذه الآية رداعليهم وقال أبو مسلم إن اليهود أنما استقبلوا بيت المقدس لأنهم اعتقدوا
أن الله تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى أنما استقبلوا المشرق لأن عيسى عليه السلام ولد هناك
فرد الله عليهم بهذه الآية (وقالوا اتخذ الله) أي صنع (ولدا) وقرأ ابن عامر قالوا بغير واو قبل القاف أي
قالت إليه هود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله فقال
الله تعالى رداعليهم (سبحانه) وهي كلمة تنزيه ينزه الله تعالى بها نفسه عما قالوه (بل له ما في السموات
والأرض) والملكية تنافي الولدية أي ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها
عزير والمسيح والملائكة (كل له قانتون) أي كل ما في السموات والأرض مطيعون له لا يستعصى
شيء منهم على تكوينه ومشيتته فالطاعة هنا طاعة الإرادة لا طاعة العباداة (بديع السموات والأرض)
أي موجد هابلا مثال (واذا قضى أمرا) أي إذا أراد إيجاد شيء (فأما يقول له كن فيكون) أي
أحدث فيحدث وقوله كن تخيل لسهولة حصول المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة
حدوثها من غير توقف كطاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع ولا يكون من المأمور إلا بأمره وقرأ ابن
عامر كن فيكون بالنصب في كل القرآن إلا في موضعين في أول آل عمران في قوله تعالى كن فيكون
الحق من ربك وفي الأنعام في قوله تعالى كن فيكون الحق فانه رفعهما وقرأ الكسائي بالنصب في النحل
ويس وبالرفع في سائر القرآن والباقيون بالرفع في كل القرآن أما بالنصب فعلى جواب الأمر وأما
الرفع فاما على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فهو يكون أو معطوف على يقول أو معطوف على كن من
حيث المعنى كما هو قول الفارسي (وقال الذي لا يعلمون) للنبي صلى الله عليه وسلم وهم اليهود منهم رافع بن
حرملة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس أو النصارى كما قاله مجاهد وسفهم بعدم العلم لعدم علمهم
بالتوحيد والنبوة كما ينبغي أو هم كفار العرب كما أخرج عن قتادة (لولا يكلمنا الله) أي هلا يكلمنا
الله مشافهة من غير واسطة بالأمر والنهي كما يكلم الملائكة أو موسى وهلا ينص على نبوته وهذا
منهم استكبار (أو تأتينا آية) أي فان كان الله تعالى لا يفعل ذلك فلم لا يخلص بآية ومعجزة تأتينا وهذا
منهم إنكار في كون القرآن آية ومعجزة لأنهم لو أقر وأبكونه معجزة لاستحال أن يقولوا ذلك ثم أجاب الله
تعالى عن هذه الشبهة بقوله (كذلك) أي مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد (قال الذين
من قبلهم) أي من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم (مثل قولهم) في التشديد وطلب الآيات فقالوا
أرنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد وقالوا اجعل لنا الها وقالوا هل يستطیع ربك أن ينزل
علينا مائدة من السماء (تشابهت قلوبهم) أي توافقت قلوبهم مع آباؤهم واستوت كلمتهم في الكفر

والعناد (قد بينا الآيات) أي نزلنا بينة (لقوم يوقنون) أي يطلبون اليقين وحاصل هذا الجواب من الله تعالى أنا قد أيدنا قول محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وبيننا صحة قوله بالآيات وهي القرآن وسائر المعجزات فكان طلب هذه الزوائد من باب التعتن وإذا كان كذلك لم يجبه اجابته (أنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أي أنا أرسلناك ملتبسا بالقرآن والدين لتكون مبشرا لمن اتبعك واهتدى بدينك ومنذرا لمن كفر بك وضل عن دينك أو المعنى أنا أرسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) قرأ الجمهور برفع التاء واللام على الخبر أي ولست بمسؤول عنهم ما لهم لم يؤمنوا بما أنزل عليك بعدما بلغت ما أرسلت به وقرأنا نافع بالجزم وفتح التاء على النهي أي لا تسأل عن حال كفار أهل الكتاب التي تكون لهم في القيامة ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها وذلك اعلام بكل شدة عقوبة الكفار فلا يستطيع السامع أن يسمع خبرها (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أي لن ترضى عنك يهود المدينة ولو خليتهم وشأنهم (حتى تتبع) دينهم وقبلتهم ولن ترضى عنك نصارى نجران ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم وقبلتهم (قل إن هدى الله هو الهدى) أي قل لهم يا أشرف الخلق رد القول لهم لك لن ترضى عنك حتى تتبع ديننا إن دين الله هو الاسلام وإن قبله الله هي الكعبة (ولئن اتبعت) على سبيل التقدير أو المراد من هذا الخطاب أمته صلى الله عليه وسلم (بأهواءهم) أي أقوالهم التي هي أهواء النفس وهو المعبر عنها أولا بقوله تعالى ملتهم اذ هم الذين ينتسبون اليها أما الشريعة الحقيقية من الله فقد غيروها تغييرا أي والله لئن اتبعت ملتهم وقبلتهم (بعد الذي جاءك من العلم) أي من الدين المعلوم صحته في ان دين الله هو الاسلام وقبله الله هي الكعبة (مالك من الله) أي من عذاب الله (من ولي) أي قريب ينفعك (ولانصير) يمنعك منه (الذين آتيناهم الكتاب) عبد الله بن سلام وأصحابه وبحير الراهب وأصحابه والنجاشي وأصحابه (يتلون حق تلاوته) أي يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتدبرون في معانيه ويخضعون عند تلاوته ويدينون أمره ونهيهم لمن سألهم (أولئك يؤمنون به) أي بكتابهم وبمشتابهم ويتوقفون فيما أشكل عليهم منه ويفوضونه الى الله تعالى ويعملون بحكمه (ومن يكفر به) أي بالكتاب المؤتي بأن يغيره (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الكفر بالايان (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) ومن جملة النعمة التوراة وذكر النعمة اغما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن لازم الايمان بها الايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان نعت النبي من جملة ما فيها (وأني فضلتكم) بالاسلام (على العالمين) أي الموجدون في زمانكم (واتقوا يوما) أي اخشوا عذاب يوم (لا تجزى نفس عن نفس شيئا) من عذاب الله (ولا يقبل منها عدل) أي فداء (ولا تنفعها شفاعاة ولا هم ينصرون) أي يمنعون عما يريد الله بهم ثم ذكر الله تعالى قصة ابراهيم توبيخا لأهل الملل المخالفين وذلك لان ابراهيم يعترف بفضل جميع الطوائف قديما وحديثا فالمشركون كانوا متشرفين بانهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا متشرفين بانهم من أولاده فحكي الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام امورا توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم واتقياد شرعه لان ما اوجبه الله تعالى على ابراهيم جاء به محمد كأفعال الحج واستقبال الكعبة وفي ذلك حجة عليهم فقال تعالى (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) أي بأوامر ونواهي قيل قال ابن عباس وقتادة هي

مناسك الحج كالأحرام والطوائف والسعي والرمي وقال ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه
وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس وخمس في الجسد أما التي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق والسواك
وقص الشارب وفرق الرأس أي فرق شعره إلى الجانب الأيمن والجانب الأيسر وأما التي في البدن فالحتان
وحلق العانة وتنظيف الأبط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء وقرأ ابن عباس وأبو حنيفة إبراهيم ربه برفع
إبراهيم ونصب ربه والمعنى إن إبراهيم دعاه ربه بكلمات من الدعاء كفعل المختبر هل يجيبه الله تعالى اليهن
أم لا (فأمن) أي قام بها حق القيام وأداها أحسن التأدية من غير تفريط (قال) تعالى له (إني جاعلك
لناس إماماً) أي قدوة في الدين إلى يوم القيامة والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون رسولا من عند الله
مستقلاً بالشرع وأن يكون نبياً إذ لم يبعث بعده بنى إلا كان من ذريته مأموراً باتباعه في الجملة (قال)
أي إبراهيم (ومن ذريتي) أي واجعل من بعض أولادي أئمة يقتدى بهم في الدين (قال) الله (لا ينال
عهدي الظالمين) أي لا يصيب عهدي بالإمامة والنبوة الكافرين وكل عاص فانه ظالم لنفسه وقرأ قتادة
والأعمش وأبو رجاء الظالمون رفعاً بالفاعلية وعهدي مفعول به وفي هذا دليل على عصمة الأنبياء عليهم
السلام من الكبائر مطلقاً (واذ جعلنا البيت) أي جميع الحرم (مثابة للناس) أي مرجعاً لهم فإنهم
يثوبون إليه كل عام بأعيانهم أو بأمثالهم كما قاله الحسن أو المراد لا ينصرف عنه أحد الا وهو يمتني العود
إليه كما قاله ابن عباس ومجاهد والمعنى جعلنا الكعبة موضع ثواب يثابون بحججه واعتماره (وأمننا) أي
موضع أمن لمن يسكنه ويلجأ إليه من الأعداء والحسف والمسح أو آمننا من حجه من عذاب الآخرة من حيث
إن الحج يجب ما قبله وحمل بعضهم هذه الكلمة على الأمر على سبيل التأويل والمعنى إن الله تعالى أمر
الناس بأن يجعلوا ذلك الموضع آمناً من الغارة والقتل فكان البيت محترماً بحكم الله تعالى (واتخذوا من
مقام إبراهيم مصلية) روى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان بيني البيت
واسماعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف
إبراهيم عن وضع الحجارة قام على حجر وهو مقام إبراهيم عليه السلام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزرة وعاصم
والكسائي واتخذوا بكسر الخاء على صيغة الأمر قال قتادة والسدي أمروا أن يصلوا عنده وعلى هذا
فهذه الجملة كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام فكانت تعالاه قال واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وأمناء واتخذوا أنتم يأمة محمد من مقام إبراهيم مصلية والتقدير أنا لما شرفناه وصفناه بكونه
مثابة للناس وأمناء فاتخذوه قبلة لأنفسكم وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على صيغة الماضي فهو
أخبار عن ولد إبراهيم أنهم اتخذوا من مقامه مصلية (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أي أمرناهما (أن تطهرا
بيتي) أي بأن أسما على التقوى وقيل معناه عرفا الناس أن بيتي طهرا لهم متى حجوه وزاروه وأقاموا فيه
(للطائفين والعاكفين والركع السجود) جمع راكم وساجد فالمراد بالطائفين من يقصد البيت حاجاً أو معتمراً
فيطوف به وبالعاكفين من يقيم هناك ويحاور بالركع السجود من يصلي هناك قال عطاء فإذا كان
الشخص طائفاً فهو من الطائفين وإذا كان عاكفاً فهو من العاكفين وإذا كان مصلياً فهو من الركع
السجود ثم إذا فسرنا الطائفين بالغرباء حيث تدل الآية على أن الطواف للغرباء أفضل من الصلاة روى
عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن الطواف لأهل الأمصار أفضل والصلاة لأهل مكة أفضل (واذ قال
إبراهيم رب اجعل هذا) الحرم (بلداً آمناً) أي كثير الخصب فإن الدنيا إذا طلبت لتقتوي بها على
دين كان ذلك من أعظم أركان الدين فإذا كان البلد آمناً وحصل فيه الخصب تفرغ أهله لطاعة الله

تعالى وأيضاً ان الحصب عما يدعوا الانسان الى تلك البلدة فهو سبب اتصاله في الطاعة (وارزق أهله) أي الحرم (من الثمرات) وقد حصل في مكة الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روى أن الطائف كانت من مدائن الشام في أردن فلما دعا ابراهيم بهذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها موضعها إلا أن فيها أكثر ثمرات مكة (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهل بدل البعض خصهم سيدنا ابراهيم بالدعاء مراعاة لحسن الادب وفي ذلك ترغيب لقومه في الايمان (قال) تعالى (ومن كفر) أي أرزقه (فأمتعته) بالرزق (قليلاً) أي مدة عمره وقرأ ابن عباس بسكون الميم (تم أضطره) أي ألجأه في الآخرة (الى عذاب النار وبئس المصير) هي النار (واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) أي واذ رفع ابراهيم واسماعيل الجدران التي هي من البيت أي التي هي بعضه المستتر من الارض قيل بنى ابراهيم البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وأسسها من حراء وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من السماء وكان يا قوته بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود يقولان (ربنا تقبل منا) بناءً بيتك (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا في جميع أعمالنا (ربنا واجعلنا مسلمين) أي مخلصين (لك) بالتوحيد والعبادة لا نعبد الا اياك (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) أي واجعل بعض أولادنا جماعة مخلصين لك (وأرنا مناسكنا) أي علمنا سنن هجنا (وتب علينا) أي تجاوز عنا تقصيرنا والعبد وان اجتهد في طاعة ربه فانه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه اما على سبيل السهو أو على سبيل ترك الأولى فكان هذا الدعاء لاجل ذلك (انك أنت التواب) أي المتجاوز لمن تاب (الرحيم) به (ربنا وابعث فيهم) أي في ذريتنا (رسولاً منهم) أي من أنفسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال أنادعوة أبي ابراهيم أخرجه أحمد من حديث العرياض بن سارية وغيره (يتلوا عليهم آياتك) أي يذكروهم بالآيات ويدعوهم اليها ويحملهم على الايمان بها (ويعلمهم الكتاب) أي يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلمهم معاني الكتاب وحقائقه (والحكمة) قال الشافعي رضي الله عنه الحكمة سنة رسول صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة (ويزكيهم) أي يطهرهم من شركهم (انك أنت العزيز) أي القادر الذي لا يغلب (الحكيم) أي العالم الذي لا يجهل شيئاً ههنا سؤال ما الحكمة في ذكر ابراهيم مع محمد في باب الصلاة حيث يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم لجوابه أن ابراهيم دعا لمحمد بهذه الدعوة فأجرى الله ذكر ابراهيم على السنة أمة محمد الى يوم القيامة أداء عن حق واجب على محمد لا ابراهيم والجواب الثاني أن ابراهيم سأل ربه بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي أبق لي ثناء حسناً في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجاب الله تعالى فقرن بين ذكرهما ابقاء للثناء الحسن على ابراهيم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم والجواب الثالث أن ابراهيم كان أبا الملة ومحمد كان أبا الرحمة وفي قراءة ابن مسعود النبي أدلى بالثؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لم اغتالكم مثل الوالد أي في الرأفة والرحمة فلما وجب لكل واحد منهما حق الابوة من وجه قرن بين ذكرهما في باب الثناء والصلاة والجواب الرابع أن ابراهيم كان منادى الشريعة في الحج ومحمد كان منادى الايمان فجمع الله تعالى بينهما في الذكر الجميل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) أي لا يكره أحد ملة ابراهيم الا من جهل نفسه وخسر نفسه كما قاله الحسن أي فلم يفكر في نفسه فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنعة على وحدانية الله وعلى حكمته

ثم يستدل بذلك على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (واقدا مصطفىنا في الدنيا) أي اخترناه في الدنيا
للرسالة من دون سائر الخليفة وعرفناه الملة التي هي جامعة للتوحيد والعدل والشرائم (وانه في الآخرة لمن
الصالحين) أي مع آباء المرسلين في الجنة (اذ قال له ربه) عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس
واطلاعه أمارات الحدوث فيها وذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك حين خرج من السرب (أسلم) أي
فرد في مقالته وقل لا اله الا الله (قال أسلمت لرب العالمين) ويقال قال له ربه حين دعا قومه الى التوحيد
أسلم أي أخلص دينك وعملك لله قال أسلمت أي أخلصت ديني وعملي لله رب العالمين ويقال قال له ربه
حين ألقى في النار أسلم نفسك الي قال أسلمت نفسي لله رب العالمين أي فوضت أمري اليه وقد حقق ذلك
حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار (ووصي) وقرأ نافع وابن عامر وأوصي به مرة
مفتوحة قبل واوسا كنة (بها) أي باتباع الملة (ابراهيم بنيه) وكانوا ثمانين امة عايل وهو أول
أولاده وأمه هاجر القبطية وامه محق وامه سارة والبقية وهم مدن ومدين ويقشان وزمران واشبق وشوح
امهم قنطوراء الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة (ويعقوب) والاشهر انه معطوف على ابراهيم
ويجوز كونه مبتدأ محذوف الخبر والمعنى أن يعقوب وصي كوصية ابراهيم وقرئ بالنصب عطفا على بنيه
والمعنى وصي بها ابراهيم بنيه وناقضته يعقوب (يا بني) هو على افعال القول عند البصريين ومتعلق
بوصي عند الكوفيين لانه في معنى القول (ان الله اصطفى) أي اختار (لكم الدين) أي دين الاسلام
الذي هو صفوة الأديان (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) أي فأثبتوا على الاسلام حتى تموتوا مسلمين مخلصين
له تعالى بالتوحيد والعبادة روي أن اليهود قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ألسنت تعلم أن يعقوب
أوصي بنيه باليهودية يوم مات فنزلت هذه الآية (أم كنتم شهداء) أي كنتم يامعشر اليهود حضرة
(اذ حضر يعقوب الموت) بماذا أوصي بنيه باليهودية أو الاسلام أي حضره أسباب الموت (اذ قال
لبنيسه ما تعبدون من بعدى) أي أي شيء تعبدونه بعد موتي (قالوا نعبد الهك واله آباؤك ابراهيم
وامماعيل وامحق الها واحد ونحن له مسلمون) أي مقرون بالعبادة والتوحيد (تلك) أي ابراهيم
ويعقوب وبنوهما (أمة) أي جماعة (قد خلت) أي مضت بالموت (لها) أي لتلك الامة (ما كسبت)
من الخير أي جزاؤه (ولكم) أي يامعشر اليهود (ما كسبتن) أي جزاء ما كسبتوه من العمل (ولا تستألون)
يوم القيامة (عما كانوا يعملون) كما لا يستألون عن عملكم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا صغية
حمة محمد يا فاطمة بنت محمد اثقني يوم القيامة بأعمالكم لا بأنسابكم فاني لا أغني عنكم من الله شيئا وقال
ومن ابطأ به عمله لم يسرع عمله (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أي قالت يهود المدينة للمؤمنين كونوا
هودا أي اتبعوا اليهودية وقالت نصارى نجران للمؤمنين كونوا نصارى أي اتبعوا الصراية (تهتدوا)
من الضلالة (قل بل ملة ابراهيم) أي قل يا أشرف الخلق بل اتبعوا ملة ابراهيم أي بل نكون أهل ملة
ابراهيم (حنيفا) أي مستقيما مخالفا لليهود والنصارى منحرفا عنهما (وما كان من المشركين) أي
ما كان ابراهيم على دينهم وهذا اعلام ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقوله عزيز بن
الله والمسيح بن الله (قولوا) أيها المؤمنون هؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ذلك (آمننا بالله وما
أنزل إلينا) وهو القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) من الصحف العشرة (وامماعيل وامحق ويعقوب
والاسباط) وهم بنو يعقوب وكانوا اثني عشر رجلا وهم يوسف وبنيامين وروبييل ويهوذا وشمعون
ولاوي ودان ونفتالي وجاد وزبولون ويشجرون دان والصف انما أنزلت على ابراهيم لئلا يكون لما كانوا متعبدين

بتلك الهف كانوا داخلين تحت أحكامها فكانت منزلة اليهم ايضا كما ان القرآن منزل الينا (وما أوتي موسى) من التوراة (وعيسى) من الانجيل (وما أوتي النبيون من ربهم) من كتبهم والهجرات (لا نفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل تؤمن بجميعهم (ونحن له) أي الله (مسلمون) أي مخلصون (فإن آمنوا) أي اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) أي فإن آمنوا بالتوراة من غير تهيف وتحريف كما أنكم آمنتم بالقرآن من غير تهيف وتحريف فقد اهتدوا لأنهم يتوصلون بذلك إلى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى فإن صاروا مؤمنين بمثل ما به صرتم مؤمنين فقد اهتدوا من الضلالة بدين محمد وابراهيم (وإن تولوا) أي أعرضوا عن الايمان بالنبيين وكتبهم (فإنهم في شقاق) أي فإنهم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق (فسيكفيهم الله) أي سيكفيك الله شقاقهم وقد أنجز الله تعالى وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية عليهم (وهو السميع العليم) فيدرك ما يقولون وما يضمرون وقادر على عقوبتهم (صبغة الله) أي اطلبوا صبغة الله وهي دين الاسلام عبر بها عن الدين لكونه تطهير للمؤمنين من أوساخ الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتمدا خلا في قلوبهم كما أن شأن الصبغ بالنسبة إلى الثوب كذلك كقيل اغتاسمى دين الله بصبغة الله لأن اليهود تصبغ أولادها يهودا والنصارى تصبغ أولادها نصارى بمعنى أنهم يلتقونهم فيصبغونهم بذلك لما يشربون في قلوبهم فقال تعالى صبغة الله أي اتبعوا دين الله (ومن أحسن من الله صبغة) أي لا صبغة أحسن من صبغة تعالى لأنه تعالى يصبغ عباده بالايمان ويظهرهم به من أوساخ الكفر (ونحن له) أي لله الذي أعطانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكر الهماولساثر نعمه (قل أتحتاجون في الله) أي في شأن الله أن اصطفى رسوله من العرب لا منكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لا نزل عليكم وترؤنكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) فإنه أعلم بتدبير خلقه وبعين يصلح للرسالة وبعين لا يضلح لها فلا تعترضوا على ربكم فإن العبد ليس له أن يعترض على ربه بل يجب عليه تفويض الأمر بالكلية له (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لا يرجع الينامن أفعالكم ضرر وانما امرادنا نفعكم وارشادكم (ونحن له مخلصون) في العبودية ولستم كذلك فنحن أولى بالاصطفاء (أم تقولون) قرأه ابن عامر وحزرة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء على المخاطبة فأم يحتمل أن تكون متصلة معادلة للهمزة والتقدير بأي المجتئين تتعلقون في أمرنا بالوجه جيد أم باتباع دين الانبياء وان تكون منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الانتقال من التوبيخ على الحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرأه الباقر بالياء على صيغة الغيبة فأم منقطعة غير داخلية تحت الأمر واردة من الله تعالى توبيخا لهم لا من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهمسج الالتفات (إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أي أولاد يعقوب (كانوا) قبل نزول التوراة والانجيل (هودا أو نصارى قل) يا أشرف الخلق لهم (أأنتم أعلم) بدينهم (أم الله) فإن الله أعلم وخبره أصدق وقد أخبر في التوراة والانجيل وفي القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا مسلمين مبرئين من اليهودية والنصرانية (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم (من كتم شهادة) ثابتة (عنده) كائنة (من الله) وهو شهادته تعالى لابراهيم عليه السلام بدين الاسلام والبراءة من اليهودية والنصرانية وهم اليهود (وما الله بفاعل عما تعملون) أي تسكتون من الشهادة (تلك أمة قد دخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) هذا تكرير ليكون وعظا لليهود وزجر لهم حتى لا يتسكلموا على فضل الآباء فكل واحد يؤخذ

يعمله (سيقول السفهاء) أي الجهال الذين خفت أحلامهم (من الناس) وهم اليهود كما قاله ابن عباس ومجاهد لا نكحوا النسخ وكرامة التوجه إلى الكعبة والعائل منهم رفاعة بن قيس وقرم بن عمرو ركب بن الأشرف ورافع بن حرملة والطاج بن عمرو والربيع بن أبي الحقيق وقيل هم المناقون كما قاله السدي لمجرد الاستهزاء والطعن وقيل هم مشركوا العرب كما قاله ابن عباس والبراء بن عازب والحسن والأصم الطعن في الدين (ما ولاهم) أي أي شيء صرف المؤمنين (عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي بيت المقدس (قل) لهم يا أشرف الخلق (لله المشرق والمغرب) أي الجهات كلها ملكا والخلق عبيده لا يختص به مكان وإنما العبرة بامتثال أمره لا بخصوص المكان (يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) أي موصل إلى سعادة الدارين وقد هدايا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة تارة أخرى (وكذلك) أي كما هديناكم إلى قبلة هي أو وسط القبيل (جعلناكم) يا أمة محمد (أمة وسطا) أي خيارا عدولا وعدو حين بالعلم والعمل (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة أن رسلكم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي يشهد بعد التكم روى أن الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبين على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيقولون أمة محمد يشهدون لنا فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم الماضية من أين عرفتم وأنتم بعدنا فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمتهم فيزكيهم ويشهد بعد التهم وقيل معنى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا أنه صلى الله عليه وسلم إذا دعى على أمة أنه بلغهم قبل منه هذه الدعوى ولا يطالب بشهيد يشهد له فسهيت دعواه شهادة من حيث قبولها وعدم توقفها على شيء آخر (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول عن ينقلب على عقبيه) أي وما صيرنا لك القبلة الآن الجهة التي كنت عليها أولا وهي الكعبة إلا لنعلم من يتبعهم ونعلم حيثئذ من يتبع الرسول في التوجه إلى ما أمر به عن يرتد عن دين الإسلام وكان صلى الله عليه وسلم يصلي إلى الكعبة فلما حاجر أمر بالصلاة إلى حجرة بيت المقدس تألفا لليهود فصلى إليها سبعة عشر شهرا ثم حول إلى الكعبة وأردت قوم من المسلمين إلى اليهودية وقالوا رجع محمد إلى دين آباءه (وان) هي الحفة من الثقبلة أي وانها (كانت) أي التولية إلى الكعبة (لكبرة) أي شاقة على الناس (الاعلى الذين هدى الله) منهم وهم الثابتون على الإيمان (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي ثباتكم على الإيمان بل أعد لكم الثواب العظيم وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة وصلايتكم إليها أي فإن الله لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلاة (إن الله بالناس) أي بالمومنين (لرؤوف رحيم) فلا يدع صلاتهم إلى بيت المقدس (قد نرى قلب وجهك في السماء) فقد لتكم برأي كثير أنرى تصرف نظرك في جهة أسما انتظر اللوح وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم أبيه وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مخرج لهم ولحالقة اليهود فكان ينتظر نزول جبريل بالوحى بالتحويل (فلنولينك قبلة ترضاها) أي فلنحولنك في الصلاة إلى قبلة تحبها لا غرض من المحبة التي أثمرتها في قلبك (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي فاحرف وجهك بذلك تلقاء الكعبة أي استقبل عينها بصدرك في الصلاة وإن كنت بعيدا عنها والمراد بالمسجد الحرام هنا الكعبة كما هو في أكثر الروايات وقال آخرون المراد بالمسجد الحرام جميع المسجد الحرام والمراد به الحرم كله روى عن ابن عباس أنه قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد

قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب وهذا قول مالك (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)
 أى فى أى موضع كنتم يا أمة محمد منه برأوى بحر مشرق أو مغرب فأصرفوا وجوهكم تلقاء المسجد الحرام
 الذى هو بمعنى الكعبة (وان الذين أوتوا الكتاب) هم أخبار اليهود وعلماء النصارى (ليعلمون أنه)
 أى التوراة الى الكعبة (الحق من ربهم) لمعايتهم لما هو مستور فى كتبهم من أنه صلى الله عليه وسلم يصلى
 الى القبلتين ولكن يكتمونه (وما الله بغافل عما يعملون) قرأه ابن عامر وحزرة والكشاف بالتاء اما خطاب
 للمسلمين أى وما الله بساء عما تعملون أيها المسلمون من امتثال أمر القبلة واما خطاب لاهل الكتاب أى
 وما الله بغافل عما تكتمون يا أهل الكتاب خبر الرسول وخبر القبلة وقرأ الباقر بالباء على أنه راجع
 لهؤلاء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) أى والله لئن جئت الذين أعطوا
 الكتاب اليهود والنصارى بكل حجة قطعية دالة على صدقك فى ان تحولك بأمر من الله ما صلوا الى قبلك
 وما دخلوا فى دينك (وما أنت بتابع قبلتهم) أى اليهود والنصارى وهذا بيان أن هذه القبلة لا تصير
 منسوخة وحسم اطماع أهل الكتاب وقرى بتابع قبلتهم بالاضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض)
 فليهود بيت المقدس وللنصارى المشرق (ولئن اتبعتم أهواءهم) أى الامور التى يحبونها منكم (من
 بعد ما جاءك من العلم) أى الوحي فى أمر القبلة بألك لا تعود الى قبلتهم (انك اذا) أى انك لو فعلت
 ذلك على سبيل تقدير المستحيل وقوعه (لن الظالمين) لانفسهم (الذين آتيناهم الكتاب) أى
 أعطيناهم علم التوراة (يعرفونه) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جليلة يميزون بينه وبين
 غيره (كما يعرفون أبناءهم) لا تشبه عليهم أبناءهم وأبناء غيرهم قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 لعبد الله بن سلام رضى الله عنه كيف هذه المعرفة المذكورة فى هذه الآية فقال عبد الله يا عمر لقد عرفت
 حين رأيته كما عرف ابني ومعرفتي بمحمد أشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذاك فقال أشهد أنه رسول
 الله حقاً وقد نعت الله تعالى فى كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل عمر رأسه وقال وفعل الله يا أبا سلام
 فقد صدقت (وان فريقاً منهم) أى من أهل الكتاب (ليكتمون الحق) أى أمر محمد صلى الله عليه
 وسلم (وهم يعلمون) أن صفة محمد مكتوبة فى التوراة وان نجيب وان كتمان الحق معصية (الحق من
 ربك) مبتدأ وخبر أى الحق الذى أنت عليه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن من ربك ويحتمل
 أن الحق خبر مبتدأ محذوف أى ما كتبه هو الحق وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك بالنصب على
 انه بدل من الاول أو مفعول ليعلمون (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين فى أن علماء أهل الكتاب
 علماء حق نبوتك وشريعتك (ولكل وجهة) قال بعضهم أى لكل قوم من المسلمين جهة من الكعبة
 يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية وقال آخرون ولكل واحد من الرسل وأصحاب
 الشرائع جهة قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرمى وقبلة الكروبيين البيت المعمور
 وقبلة الأنبياء الذين قبلك حتى عيسى عليه السلام بيد المقدس وقبلة الكعبة وهى قبلة إبراهيم (هو)
 أى الله (موليها) أى أمر بأن يستقبلها وفى قراءة عبد الله بن عامر النخعي هو مولاها وهى قراءة ابن عباس
 وأبى جعفر محمد بن على الباقر والمعنى هو أى كل قوم مول لتلك الجهة وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
 (فأستبقوا الخيرات) أى فبادروا يا أمة محمد الى الطاعات وقبول أوامرها (أفماتكونوا) أى فى أى
 موضع تكونوا من برأوى بحر (يأت بكم الله جميعاً) أى يجمعكم الله يوم القيامة فجزاكم على الخيرات
 (ان الله على كل شئ قدير) من جمعكم وغيره (ومن حيث خرجت) أى من أى مكان خرجت اليه

للسفر (فول وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام وانه) أي هذا الأمر (الحق) أي الثابت الموافق للحكمة (من ربك وما الله بفاقل مما تعلمون) قرأه أبو عمرو وبالياء على الغيبة وهو راجع للكفار أي من انكار أمر القبلة والباقون بالتاء على الخطاب (ومن حيث خرجت) في أسفاركم ومغازيلكم من المنازل القريبة والبعيدة (فول وجهك) في الصلاة (شطر المسجد الحرام) أي تلقاء (وحيث ما كنتم) من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين في بر أو بحر (قولوا وجوهكم) في الصلاة من محالكم (شطره) أي المسجد الحرام وكرر الله تعالى أمر التولي لشطر المسجد الحرام ثلاث مرات التأكيد أمر القبلة لأن الدسح من مظان الفتنة والشبهة مع انه تعالى علق بكل آية فائدة أما في الآية الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد وأمر هذه القبلة حق لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والانجيل وأما في الآية الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق وشهادة الله بكونه حقا ما غيرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقا وأما في الآية الثالثة فبين أنه تعالى قطع حجة اليهود والمشركين وذلك قوله تعالى (لئلا يكون للناس) أي اليهود والمشركين (عليكم حجة) أي مجادلة في التولي والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن محمدًا يهوديًا أو يتبع قبلتنا وذلك مدفوع بأن المنعوت في التوراة قبلته صلى الله عليه وسلم الكعبة وتدفع احتجاج المشركين بأنه صلى الله عليه وسلم يدعي مله إبراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم) أي الا المعادين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الاميل الى دين قومه وحبا للبلد (فلا تخشوهم) أي فلا تخافوا ما اعتنهم في قبلتكم فانهم لا يضررونكم (واخشوني) أي احذروا عقابي فلا تخالفوا أمري (ولا تم نعمتي عليكم) بالقبلة كما أتممت عليكم بالدين (ولعلكم تهتدون) الى الحق (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) أي من نسبكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مامتعلق بما قبله أي ولا تم نعمتي عليكم في أمر القبلة كما أتمتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول وامام متعلق بما بعده أي كما ذكرتمكم بالارسل فاذا كروني (يتلو عليكم آياتنا) أي يقرأ عليكم القرآن بالأمر والنهي (ويرزكم) أي يظهركم من الذنوب بالتوحيد والصدقة (ويعلمكم الكتاب) أي معاني القرآن (والحكمة) أي السنة (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أي يعلمكم أخبار الأمم الماضية وقصص الأنبياء وأخبار الحوادث المستقبلية (فاذا كروني) باللسان والقلب والجوارح فالصلاة مشتملة على الثلاثة فالأول كالتسبيح والتكبير والثاني كالخشوع وتدبر القراءة والثالث كالركوع والسجود (أذكركم) بالاحسان والرحمة والنعم في الدنيا والآخرة (واشكروا لي) نعمتي بانطاعة (ولا تكفرون) أي لا تتركوا شكرها (يا أيها الذين آمنوا استعينوا) على تمحيص الذنوب (بالصبر) على أداء فرائض الله وترك المعاصي وعلى المرازي (والصلاة) أي بكثرة صلاة التطوع في الليل والنهار (ان الله مع الصابرين) بالنصر (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) كسائر الأموات (بل أحياء) أي بل هم كأحياء أهل الجنة في الجنة يرزقون من التحف (ولكن لا تشعرون) بحياتهم وحالهم قال ابن عباس نزلت الآية في قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار فإلهاجرون عبيدة بن الحرث ابن عبيد المطلب وعمر بن أبي وقاص وذو الشمالين وعمر بن نفيلة وعامر بن بكر ومهجع بن عبد الله والنصار سعيدي بن خيفة وقيس بن عبد المنذر وزيد بن الحرث وتميم بن الهمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة ومعوذ بن عفرة وعوف بن عفرة وكان الناس يقولون مات فلان ومات فلان فنهى الله تعالى ان يقال فيهم انهم ماتوا وقال آخرون ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم طلبا لمرضاة محمد

من غير فائدة فنزلت تلك الآية (ولنبأونكم) أي والله لنصيبكم أصابة من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء أم لا (بشيء) أي بقليل (من الخوف) من العدو (والجوع) في حط السنين (ونقص من الأموال) بالهلاك (والانفس) بالقتل والموت (والثمرات) بالجوائح قال الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكاة والصدقات والنقص من الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد (وبشر الصابرين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأني منه البشارة (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا) باللسان والقلب معا (ان الله) أي نحن عبيد الله (وانا اليه راجعون) بعد الموت قال أبو بكر الوراق ان الله اقرار ما بالملك له تعالى وانا اليه راجعون اقرار على أنفسنا بالهلاك (أولئك عليهم صلوات) أي مغفرة (من ربهم ورحمة) أي لطف (وأولئك هم المهتدون) للاسترجاع حيث سألوا القضاء الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) أي من علامات مواضع العبادات لله بالحج والعمرة (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أي فلا اثم عليه في أن يسعى بينهما سعيها قال ابن عباس كان على الصفا صم اسمه اساف وعلى المروة صم آخر اسمه نائلة وكان أهل الجاهلية يطوفون بهما ويتمسحون بهما فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لاجل الصغين فأذن الله تعالى فيه وأخبر أنه من شعائر الله لا من شعائر الجاهلية (ومن تطوع خيرا) أي زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة حتى طاف بالصفا والمروة تطوعا (فان الله شاكر) أي مجاز على الطاعة (عليم) أي يعلم قدر الجزاء فلا يحس المستحق حقه (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات) هي كل ما أنزل الله على الانبياء (والهدى) أي ما يهدي في وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والايان به من الدلائل العقلية والقلبية (من بعد ما بيناه للناس) أي ابني اسرائيل (في الكتاب) أي التوراة (أولئك يلعنهم الله) أي يبعدهم من رحمته (ويلعنهم اللاعنون) أي يسألون الله أن يلعنهم ويقولون اللهم العنهم وهؤلاء دواب الارض كذا قال مجاهد أخرجه سعيد بن منصور وغيره وقال قتادة والربيع هم الملائكة والمؤمنون أخرجه ابن جرير (الذين تابوا) أي ندموا على ما فعلوا (وأصلحوا) بالعزم على عدم العود (وبينوا) ما كتموه (فألئك أتوب عليهم) أي أقبل توبتهم (وانا للتواب) أي القابل لتوبة من تاب (الرحيم) أي المبالغ في نشر الرحمة لمن مات على التوبة (ان الذين كفروا) بالسكتمان وغيره (وماتوا وهم كفار) بالله ورسوله (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) حتى أهل دينهم فانهم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا (خالدين فيها) أي اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب) طرفه عين (ولا هم ينظرون) أي يؤجلون من العذاب فاذا استمهلوا لا يمهلون واذا استغثوا لا يغاثون (والحكم) أي المستحق منكم العبادة (اله واحد) أي فرد في الالهية (لا اله الا هو) أي لا معبود لنا موجد الا اله الواحد (الرحمن الرحيم) خبر ان آخران للبتة اذ الرحمن المبالغ في النعمة والرحيم كثير النعمة (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر عما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) اعلم أنه تعالى لما حكم بالوحدانية ذكر غمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده تعالى وعلى براهته من الانداد النوع الاول السموات والارض والآيات في السماء هي ممكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآيات في

الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والشمس
والنار النوع الثاني الليل والنهار والآيات فيها ما تعاقبها بالجي والذهب واختلافهما في الطول
والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانتظام أحوال العباد في معاشهم بالراحة في الليل والسعي
في الكسب في النهار النوع الثالث السفن والآيات فيها جريانها على وجه الماء وهي موقرة بالانقال
والرحال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل السفن مع قوة سلطان الماء وهيجان
البحر فلا ينحى منه الا الله تعالى النوع الرابع ركوب السفن والحمل عليها في التجارة والآيات في ذلك
أن الله تعالى لم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجارتهم ومنافعهم وأيضا فان الله تعالى
خص كل قطر من أقطار العالم بشئ معين فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الأخطار في الاسفار من ركوب
السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع
الخامس نزول المطر من السماء والآيات في ذلك ان الله جعل الماء سببا للحياة لجميع الموجودات من
حيوان ونبات وانه ينزله عند الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء وينزله بمكان دون مكان النوع
السادس انتشار كل دابة في الارض والآيات في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم
مع ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنه والطباع والخلق والوصاف الى غير
ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان (النوع السابع) الريح والآيات فيه انه جسم لطيف
لا يمسك ولا يرى وهو مع ذلك في غاية القوة بحيث يقطع الشجر والمخرو ويخرب البنيان وهو مع ذلك حياة
الوجود فلو أمسك طرفه عين مات كل ذي روح وأنت ماعلى وجه الارض (النوع الثامن) السحاب والآيات
في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى
معلقا بين السماء والارض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسندة قال القاضي زكريا ان السحاب من شجرة
مثمرة في الجنة والمطر من بحر تحت العرش (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) أى ومن الكفار
من يعبد من غير الله أو ثانا (يحبونهم) حبا كائنا (كحب الله) أى كحبهم لله تعالى أى يسوون بينه
تعالى وبين الأصنام في الطاعة والتعظيم أو يحبون عبادتهم أصنامهم كحب المؤمنين الله تعالى بالعبادة
(والذين آمنوا أشد حبا لله) من الكفار لا أصنامهم فاب المؤمنين لا يتضرعون الا الى الله تعالى بخلاف
المشركين فانهم يعدلون الى الله عند الحاجة وعند زوال الحاجة يرجعون الى الأصنام (ولو يرى الذين
ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) قرأ الجمهور ولو يرى بالياء المنقوطة
من تحت مع فتح الهمزة من أن عند القراء السبعة والمعنى ولو يعلم الذين شركوا بالله شدة عذاب الله
وقوته لما اتخذوا من دونه أندادا وعلى قراءة بعض القراء غير السبع بكسر الهمزة من ان كان التقدير ولو
يعلم الذين ظلموا بعبادة الأصنام عجزها حال مشاهدتهم عذاب الله لقالوا ان القوة لله وقرأنا نافع وابن عامر
ترى بالتاء المنقوطة من فوق مع فتح الهمزة على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد من يصلح
للخطاب والمعنى ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ترى أن القوة لله جميعا ولو كسرت الهمزة كان المعنى
ولو ترى الذين أشركوا اذ يرون العذاب لقلت ان القوة لله جميعا وقرأ ابن عاصم يرون بضم الياء (اذ تبرا
الذين اتبعوا) أى القادة وهم الرؤسا من مشركي الانس (من الذين اتبعوا) أى السفلة (ورأوا
العذاب) أى وقد رأى القادة والسفلة العذاب في الآخرة (وتقطعت بهم الأسباب) أى تقطعت عنهم
المواصلات والارحام والاعمال والعهود والالقيينهم أى أنكر القادة أضلال السفلة يوم القيامة حين

يجمعهم الله (وقال الذين اتبعوا) أي السفلة (لو أن لنا كرة) أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا (فنتبرأ منهم)
 أي القادة هناك (كما نبرأ منكم) اليوم (كذلك) أي كما أراهم الله شدة عذابه (بريهم الله أعمالهم
 حسرات) أي ندامات شديدة (عليهم) أي على تغريبطهم (وبأهم) أي القادة والسفلة (بخارجين
 من النار) بعد دخولها (يا أيها الناس) قال ابن عباس نزلت الآية في الذين حرّموا على أنفسهم
 السواثل والوسائل والبحار وهم قوم من ثقيف وبنو هاشم ابن صعصعة وخزاعة وبنو مدلج (كلوا مما في
 الأرض) أي من الحرث والانعام (حلالا طيبا) أي مباحا بأن لا يكون متعلقا به حق الغير (ولا
 تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تقتدوا طرق وساوس الشيطان في تحريم الحرث والانعام (أنه لكم
 عدو مبين) أي ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة (انما يأمركم بالسوء) أي القبيح من الذنوب التي
 لاحد فيها (والفحشاء) أي المعاصي التي فيها حد (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) أي يبان تغفروا
 على الله ما لا تعلمون أن الله تعالى حرم هذا وذلك (واذا قيل لهم) أي لمشركي العرب (اتبعوا ما أنزل
 الله) من التوحيد وتحليل الطيبات (قالوا) لا نتبعه (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) أي ما وجدناهم
 عليه من عبادة الأصنام وتحريم الطيبات ونحو ذلك قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) أي أيّ تبعونهم
 وإن كان آباؤهم (لا يفعلون شيئا) من الدين (ولا يهتدون) إلى الحق (ومثل الذين كفروا كمثل
 الذي يذوق عذابا لا يسمع إلا دعاء ونداء) أي وصفة الذين كفروا في اتباعهم آباءهم وتقليد هم لهم كصفة
 الراعي الذي يصوت على ما لا يسمع من البهائم فأنها لا تسمع إلا صوت الراعي من غير فهم لكلامه أصلا فكما
 أن الكلام مع البهائم عبث عديم الفائدة فكذا التقليد يقال مثل الذين كفروا في قلة عقلهم في عبادتهم
 للأوثان كمثل الراعي الذي يتكلم مع البهائم فكما يحكم على الراعي بقلة العقل فكذا هؤلاء (هم) لأنهم
 لم يسمعوا الحق (بكم) لأنهم لم يستجيبوا لما دعوا إليه (هم) لأنهم أعرضوا عن الدلائل (فهم
 لا يعقلون) أي لا يفقهون أمر الله ودعوة نبي صلى الله عليه وسلم كما لا تفهم البهائم كلام الراعي
 (يا أيها الذين آمنوا) كلوا من طيبات ما رزقناكم (أي كلوا من حلال ما أعطيناكم من الحرث
 والانعام) واشكروا لله على ما رزقكم الطيبات (إن كنتم إياه تعبدون) أي إن صبح أنكم
 تخلصونه بالعبادة وتقرّون أنه تعالى هو المذموم لا غير فان الشكر رأس العبادات (انما حرم عليكم الميتة)
 أي أكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة أو أكلها الجراد فهما خارجان عنهما باستثناء
 الشرع تخرج الطحال من الدم (والدم ولحم الخنزير) أي جميع أجزائه وانما خص اللحم لأنه
 المقصود بالكل (وما أهل به لغير الله) فموصول وبه نائب الفاعل والباء بمعنى في مع حذف مضاف
 والمعنى وما صبح في ذبحه لغير الله والكفار يرفعون الصوت لآلهتهم عند الذبح وقال الربيع ابن أنس
 وابن زيد والمعنى وما ذكر عليه غير اسم الله وعلى هذا فغير الله نائب الفاعل واللام صلة قال العلماء لو أن
 مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدا وذبحته ذبيحة مرتد (فإن اضطر) أي
 أحوج إلى أكل ما ذكر بأن أصابه جوع شديد ولم يجد حلالا يسد به الرمق أو أكره على تناول ذلك
 (غير باغ) أي غير طالب للذة (ولأعاد) أي متجاوزا لحد الجوعه كما نقل عن الحسن وقتادة والربيع
 ومجاهد وابن زيد وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد على المسلمين بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي
 بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد رحمه الله (فلاثم عليه) في أكل ما ذكر (إن الله
 غفور) إن أكل في حال الاضطرار (رحيم) حيث أباح في تناول قدر الحاجة (إن الذين يكتمون

ما أنزل الله من الكتاب المشتمل على الأحكام من المحللات والمحرمات وعلى نعت محمد صلى الله عليه وسلم
 (ويشترون به) أى بالسكتمان (ثمناً قليلاً) أى عوضاً حقيراً (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار)
 أى إلا الحرام الذى هو سبب النار يوم القيامة (ولا يكلمهم الله) بكلام طيب (يوم القيامة ولا يزيكهم)
 أى لا يظهورهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) يخلص الله لى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة
 بالهدى والعذاب بالمغفرة) أى أولئك السكاتون اختاروا ما تجب به النار على ما تجب به الجنة (فما
 أصبرهم على النار) أى فما أجراً هم على النار (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أى ذلك الوعيد
 معلوم لهم بسبب أن الله نزل الكتاب بالصدق أو ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب ببيان الحق وهم
 قد حرفوا تأويله (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها
 (لنى شقاق بعيد) أى لنى خلاف بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق)
 أى جهة الكعبة (والمغرب) أى جهة بيت المقدس وقرأ حفص وحمرزة بنصب البر على أنه خبر مقدم
 (ولكن البر) ولكن الشخص البر (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى
 المال على حبه) أى مع حب المال وهو أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر (ذرى
 القربى) أى القرابة (واليتامى) أى المحايىج منهم (والمساكين وابن السبيل) أى مار
 الطريق (والسائلين) أى الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال (وفى الرقاب) أى فى المكاتبين وقيل
 فى اشتراء الرقاب لاعتاقها (وأقام الصلاة) المفروضة منها (وآتى الزكاة) أى المفروضة (والموفون
 بعهدهم) عطف على من آمن (إذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس (والصابرين)
 مفعول لفعل محذوف كذكر (فى البأساء) أى الخوف والبلايا والشدائد (والضراء) أى الامراض
 والابجاع والجوع (وحيز البأس) أى وقت شدة القتال فى سبيل الله (أولئك الذين صدقوا) فى
 الدين وطلب البر (وأولئك هم المتقون) عن الكفر (تذنيه) قوله ليس البر هو اسم جامع لكل
 طاعة ثم قوله ولكن البر هو اسم فاعل والاصل بر ربك سر الراى الاولى فلما أريد الادغام نقلت كسرة الراء
 الى الباء بعد سلب حركتها وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل الذى هو البار كجاء القراءة الشاذة واختلف فى
 الخطاب بهذه الآية فقال بعضهم المراد مخاطبة اليهود لما شددوا فى الثبات على التوجه جهة بيت المقدس
 فقال تعالى ليس البر هذه الطريقة ولكن البر من آمن بالله وقول به ضمهم بل المراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا
 انهم قد نالوا البغية بالتوجه الى الكعبة من حيث كانوا يحبون ذلك فخطبوا بهذا الكلام وقال بعضهم
 بل هو خطاب لكل وقال الله تعالى ان صفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل
 الا عند مجموع أمور أحدها الايمان بالله فأهل الكتاب أخلوا بذلك فان اليهود قالوا بالتجسيم ووصفوا الله
 تعالى بالجذل وقالوا عزير بن الله وان النصرى قالوا المسيح بن الله وثانيها الايمان باليوم الآخر فاليهود
 أخلوا بهذا الايمان حيث قالوا نحن نؤمن بالنار الا أياماً معدودة والنصرى أنكروا المعاد الجسماى
 وثالثها الايمان بالملائكة فاليهود أخلوا بذلك حيث أظهروا عداوة جبريل عليه السلام ورابعها
 الايمان بكتب الله فاليهود والنصرى قد أخلوا بذلك حيث لم يقبلوا القرآن وخامسها الايمان بالنبين
 واليهود أخلوا بذلك حيث قتلوا الانبياء وطعنوا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وسادسها بذل الاموال
 على وفق أمر الله تعالى واليهود أخلوا بذلك لانهم يلقون الشبهات لطلب المال القليل وسابعها اقامة
 الصلوات والزكوات واليهود كانوا يمنعون الناس منها وثامنها الوفاء بالعهد واليهود نقضوا العهد (يا أيها

الذين آمنوا كتب عليكم القصاص (أى فرض عليكم المماثلة وصفه وفعلا (فى القتل) أى بسبب قتل القتلى عند مطالبة الولي بالقصاص (الحرب بالحر) أى الحر يقتل بقتل الحر لا يقتل العبد (والعبد بالعبد) وبالحر من باب أولى (والانثى بالانثى) وبينت الأحاديث أنه يتمثل أحد النوعين المذكورين بالآخر ويعتبر أن لا يفصل القاتل القاتل بالدين والأصلية والحرية (فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء له باحسان) أى فمن سهل له من أولياء الدم من أخيه الذى هو اقاتل شئ من المال فعلى ولي الدم مطالبة ذلك المال من ذلك القاتل من غير تشديد بالمطالبة وعلى القاتل أداء الدية الى ولي الدم من غير مماطلة وبخس بل على بشر وطلاقة وقول جميل ومعنى هذه الآية أن الله تعالى حث الأولياء إذا دعوا الى الصلح من الدم على الدية كلها أو بعضها أن يرضوا به ويعفوا عن القود (ذلك) أى الحكم من جواز القصاص والعفو عنه على الدية (تخفيف) فى حكمكم (من ربكم ورحمة) للقاتل من القتل لأن العفو وأخذ الدية محرمان على اليهود بل فرض عليهم القصاص وحده والقصاص والدية محرمان على النصارى بل فرض عليهم العفو على الإطلاق وفى ذلك تضيق على ~~كل~~ من الوارث والقاتل وهذه الأمة مخيرة بين الثلاث القصاص والدية والعفو تيسيرا عليهم (فمن اعتدى) أى جاوز الحد (بعد ذلك) أى بعد بيان كيفية القصاص والدية (فله عذاب أليم) أى شديد الألم فى الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) أى ولكم فى مشروعية القصاص حياة لأن من أراد قتل الشخص اذا علم القصاص ارتدع عن القتل فيتسبب لحياة نفسه ولأن الجماعة يقتلون بالواحد فتنتشر الفتنة بينهم فاذا اقتصر من القاتل سلم الباقيون فيكون ذلك سببا لحياتهم (يا أولى الألباب) أى ذوى العقول الخالية من الهوى (لعلكم تتقون) أى لئلى تتقوا المساهلة فى أمره وترك المحافظة عليه (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) أى فرض عليكم الوصية للوالدين والأولاد كما قاله عبد الرحمن بن زيد أو الرحمن بن زيد كما قاله ابن عباس ومجاهد بالعدل بحسب استحقاقهم فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث اذا ظهرت على أحدكم امارات الموت كالمرض المخوف ان ترك ما لا فال الأصم انهم كانوا يوصون للأبدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الأقارب فى الفقر والمسكنة فأوجب الله تعالى فى أول الاسلام الوصية لهؤلاء منعاً للقوم عما كانوا يعتادوه (حقا على المتقين) أى حق ذلك حقا على الموحدين (من بدله) أى الوصية من وصى وشاهدا ما بانسكار الوصية من أصلها أو بالنقص فيها أو بتبديل صفتها أو غير ذلك (بعد ما سمعه) أى بعد علم الوصية (فانما نعمة) أى التبديل (على الذين يبدلونه) أى الوصية لا على الميت لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع (ان الله مهيمن) الوصية الميت (عليه) بالمبدل فيجازى الميت بالخير والمبدل بالشر (فمن خاف من موص) قرأه شعبة وحمة والكسافى بفتح الواو وتشديد الصاد أى من علم من ميت (جنفا) أى ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (أو اثما) أى عمدا فى الميل فى الوصية (فأصلح بينهم) أى فعل ما فيه الصلاح بين الموصى والموصى لهم برده الى الثلث والعدل (فلا اثم عليه) أى على من علم ذلك فى هذا الموضع وان كان فيه تبديل لانه تبديل باطل بحق بخلاف الاول (ان الله غفور) للميت ان جاروا خطأ ونلوصى (رحيم) للموصى حيث رخص عليه الرد الى الثلث والعدل ومعنى الآية ان الميت اذا أخطأ فى وصيته أو جار فيها متمدا فلا اثم على من علم ذلك ان يغيره ويرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء عليهم الصلاة والسلام

والأهم من لدن آدم عليه السلام (لعلكم تتقون) أي تتقون الله بصومكم وتركم لكم الشهوات فالرغبة في الطعام والمسكر وشبه ذلك أشد من الرغبة في غيرهما والاتقاء عنهما أشق فإذ أسهل عليكم اتقاء الله بترككم ما كان اتقاء الله بترك غيرهما أسهل وأخف أو المعنى لعلكم تتقون ترك المحافظة على الصوم بسبب عظم درجاته (أي أيام معدودات) أي في أيام قدرات بعد معلوم ثلاثين يوما وهي رمضان (فمن كان منكم مريضا) مريضا يضره الصوم ولو في أثناء اليوم (أو على سفر) أي مستقرا على سفر قصر (فعدة من أيام أخر) أي فعليها أن أفطر صوم عدة أيام المرض والسفر أي بقدر ما أفطر من رمضان ولو مفرقا وعن أبي عبيد بن الجراح أنه قال إن الله تعالى لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضائه أن شئت فواتر وإن شئت ففرق وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم على أي أيام من رمضان أفجزيني أن أقضيها متفرقة فقال له أرايت لو كان عليك دين فقضيته الدرهم والدرهمين أما كان يجزيك قال نعم قال فأن الله أحق أن يعفو ويصفح وعن عائشة أن حمزة الأسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل أصوم على السفر فقال صلى الله عليه وسلم صم إن شئت وأفطر إن شئت وروى الشافعي أن عطاء قال لابن عباس أقصر إلى عرفة فقال لا فقال إلى من الظهر إن فقال لا ولكن أقصر إلى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه) أي وعلى المطيعين للصيام أن أفطروا (فدية طعام مسكين) أي قدر ما يأكله في يوم وهو مدم من غالب قوت بلده وقرآن نافع وابن عامر بإضافة فدية وجمع مساكين قال ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما إن هذه الآية منسوخة وذلك لأنهم كانوا في صدر الإسلام محيرين بين الصيام والغذية وإنما خيرهم الله تعالى بينهما لأنهم كانوا يتعدوا الصيام فاشتد عليهم فرخص الله لهم في الإفطار وقيل إن هذه الآية نزلت في حق الشيخ الهرم والمعنى وعلى الذين يقدرون على الصوم مع المشقة فدية (فمن تطوع خيرا) كأن راد في الفدية على القدر الواجب أو صام مع إخراج الفدية (فهو) التطوع (خير له) بالثواب (وأن تصوموا) أي المرخصون لكم في الإفطار من المرضى والمسافرين والذين يقدرون على الصوم مع المشقة (خير لكم إن كنتم تعلمون) ما في الصوم من الفضيلة ومن المعاني المورثة للتعوى وبراءة الذمة فإن العبادة كلما كانت أشق كانت أكثر ثوابا (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) أي إن جبريل نزل بالقرآن جملة واحدة في ليلة العدر وكانت ليلة أربع وعشرين من رمضان من الألواح المحفوظة إلى السماء الدنيا فأملأه جبريل على السفرة فكتبوه في صحف وكانت تلك الصحف في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ثم نزل جبريل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجوما في ثلاث وعشرين سنة مدة النجوم بحسب الحاجة يوما بيوم آية وآيتين وثلاثا وسورة (هدى للناس) أي بيان للناس من الضلالة (وبينات من الهدى) أي وافحات من أمر الدين فالهدى الأول محمول على أصول الدين والهدى الثاني على فروع الدين (والفرقان) أي من الفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي من شهد منكم أول الشهر في الحضر فليصم كل الشهر وشهود الشهر إما بالرواية أو بما بالسمع فإذا رأى إنسان هلال رمضان وقد انقرد بتلك الرواية وردها لأمام شهادته لزمه أن يصوم لأنه قد حصل شهود الشهر في حقه فوجب عليه الصوم وإذا شهد عدلان على رؤية الهلال حكم به في الصوم والفطر جميعا وإذا شهد عدل واحد على رؤية هلال شوال لا يحكم به أما إذا شهد على هلال رمضان فيحكم به احتياطا لأمر الصوم أي يقبل قول الواحد في اتبات العبادة ولا يقبل في الخروج منها الا قول الاثنين لكي يصوموا ولا يفطروا احتياطا (ومن كان

(مريضاً) في شهر رمضان وإن كان مقيماً (أو على سفر) أي متلبساً بالسفر وقت طلوع الفجر وإن
 كان صحيحاً (فعدة) أي فعلية عدة (من أيام آخر) أي فليهم منها بقدر ما أفطر (يريد الله بكم
 اليسر) أي رخصة الإفطار في السفر (ولا يريد بكم العسر) أي لم يرد أن يوجدكم العسر في الصوم
 في السفر (ولتكموا العدة) أي لكي تصوموا في الحضر عدة ما أفطرت في السفر وقرأ أبو بكر عن
 عاصم بن قحطبة السكاف وتشديد الميم (ولتكبروا الله) عند انقضاء الصوم (على ما هذاكم) إلى هذه
 الطاعة قال ابن عباس حق على المسلمين إذا رزأه لال شوال أن يكبروا وقال الشافعي وأحب أظهار
 التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وإسحاق وأبو يوسف ومحمد (ولعلكم تشكرون) الله على
 رخصته قال الفراء قوله تعالى ولتكموا العدة علة للامر بعبادة العدة وقوله تعالى ولتكبروا الله علة
 ما علمكم الله من كيفية القضاء وقوله تعالى ولعلكم تشكرون علة للتسهيل (وإذا سألك عبادي عني)
 أي عن قرب وبعدى (فاني قريب) أي فقل لهم يا أشرف الخلق أني قريب منهم بالعلم والاجابة (أجيب
 دعوة الداع إذا دعان) قيل المراد من الدعاء التوبة عن الذنوب لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة
 واجابة الدعاء هو قبول التوبة وقيل المراد من الدعاء العبادة قال صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وما
 يدل على ذلك قوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم أن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
 جهنم داخرين وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع الداعي إذا دعاني بآيات الياء فيهما في الوصل والباقون
 بحذفها على الوصل في الأولى وعلى التحفيف في الثانية (فليستجيبوا لي) أي فليستجيبوا لي وليستسلموا لي
 (وليؤمنوا بي) وهذا الترتيب يدل على أن العبد لا يصل إلى نور الإيمان وقوته إلا بتقدم الطاعات
 والعبادات (لعلهم يرشدون) أي يهتدون لمصالح دينهم ودنياهم إذا استجابوا لي وآمنوا بي وسبب
 نزول هذه الآية قيل إن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقرئ ربنا فندعوه سرأ أم بعيد
 فندعوه جهراً فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى عن قتادة وغيره أن الصحابة قالوا كيف ندعوك ربنا
 يا نبي الله أي بالمناجاة أو بالنداء فأنزل الله هذه الآية وقال عطاء وغيره أنهم سألوا في أي ساعة
 ندعوا لله فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الحسن سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أين
 ربنا وقال ابن عباس إن يهود أهل المدينة قالوا يا محمد كيف يسمع ربك دعاءنا فنزلت هذه الآية
 (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) أي المجامعة مع نسائكم قال المفسرون كان في أول
 شريعة محمد صلى الله عليه وسلم إذا أفطر الصائم حل له الأكل والشرب والوقاع بشرط أن لا ينام ولا يصلي
 العشاء الأخيرة فإذا فعل أحدهما بأن نام أو صلى العشاء حرم عليه هذه الأشياء إلى الليلة القابلة فواقع
 عمر بن الخطاب أهل بيته بعد صلاة العشاء فلما اغتسل أخذ بيدي يولم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
 واعتذر إليه فقام رجال واعتزوا بالجماع بعد العشاء فنزلت هذه الآية ناصحة لتلك الشريعة (هن
 لباس لكم وأنتم لباس لهن) هذلمين لسبب إحلال الوقاع وهو صعبوبة اجتنابهن وستر أحدهما
 الآخر عن الفجور (علم الله أنكم كنتم تختافون أنفسكم) أي تظلمون بها لأنكم تسرون بالعصية
 في الجماع بعد صلاة العشاء (فلا تكل بعد النوم) (فتاب عليكم) أي قبل توبتكم (وعفا عنكم)
 أي محاذبكم ولم يعاقبكم في الحياة (فلا تكل بعد النوم) أي حين أحل الله لكم (باشروهن) أي
 جامعوهن (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي اطلبوا ما وضع الله لكم بالنكاح من التناسل وقوله
 العفة أي لا تباشروا النساء الشهوة ومحدثها وقيل هذا نهى عن العزل قال الشافعي لا يعزل الرجل

عن الحرّة لا يادنها ولا بأس أن يعزل عن الأمة وقيل معنى ذلك ابتغوا هذه المباشرة من الزوجة والمملوكة
فإن ذلك هو الذي كتب الله لكم أي قسم الله لكم (وكلوا واشربوا) من حين يدخل الليل (حتى
يتبين لكم المحيط الأبيض من المحيط الأسود) أي حتى يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل
حال كون المحيط الأبيض بعضا (من الفجر) الصادق ومعنى الصبح الصادق فجرا لأنه يتفجر منه النور
(ثم أتموا الصيام إلى الليل) أي إلى دخوله بغروب الشمس نزلت هذه الآية في شأن صرمة بن مالك بن
عدى وذلك أنه كان يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله فقال هل عندك طعام فقالت
لا وأخذت تصنع له طعاما فأخذ النور من التعب فأبغضته فذكره أن يأكل خوفا من الله فأصبح صائما
بجهود في عمله فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما وقع
فأنزل الله هذه الآية (ولا تبashروهن) أي لا تجامعهن ليلا ونهارا (وأنتم عاكفون) أي ما كنون
(في المساجد) بنسبة الاعتكاف للتقرب إلى الله تعالى (تلك) أي المباشرة (حدود الله) أي
معصية الله (فلا تقربوها) أي فلا تقربوا المعصية وأتركوا مباشرة النساء ليلا ونهارا حتى تفرقوا ومن
الاعتكاف (كذلك) أي هكذا (يبين الله آياته) أي أمره ونهيه (للناس) أو المعنى كما بين الله ما أمركم به
ونهاكم عنه كذلك يبين سائر أدلته على دينه (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا معصية الله نزلت هذه
الآية في حق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وعمار بن ياسر وغيرهما
فكانوا معتكفين في المسجد فيأتون إلى أهاليهم إذا احتاجوا ويجمعون نساءهم ويغتسلون
فيرجعون إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي لا تأخذ
بعضكم من بعض بالطريق الحرام شرعا (وتدلوها إلى المحاكم لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم)
أي ولا تدخلوا بالآمال إلى المحاكم لتأخذوا جملة من أموال الناس متلبسين بالاثم أي بالحلف الكاذب
(وأنتم تعملون) أنكم مبطلون فالأقدام على القبيح مع العلم بقبحه أقبح وصاحبه بالتوبيع أحق روى أن
عبدان بن الأسود الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فقوم بالحلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثم ناقضوا الآية فارتدع عن اليمين وأقر بالحق وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت
هذه الآية وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم
عالم بالخصومة وجاهل ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالم فقال من قضى عليه يا رسول الله
والذي لا إله إلا هو أني محق فقال انشئت أعاوده فعاوده فقضى للعالم فقال المقضى عليه مثل ما قال أولا ثم
عاوده ثالثا ثم قال صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بخصومته فأثمنا اقتطع قطعة من النار
فقال العالم المقضى له يا رسول الله إن الحق حقه فقال صلى الله عليه وسلم من اقتطع بخصومته وجده حق
غيره فليتبوأ مقعده من النار ومعنى اقتطع أي أخذ وسأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نوراً ثم لا يزال ينقص حتى يعود
دقيقا كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة) أي عن فائدة
اختلاف الأهلة بالزيادة والنقصان لماذا (قل) يا أشرف الخلق (هي مواقيت للناس والحج) أي هي
علامات لأغراض الناس الدينية والدنيوية والحج كعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وصيامهم
وأفطارهم وقضاء دينهم وأوقات زرعهم وحبسهم ودخول وقت الحج ونحوه ثم نزل في شأن نفر من

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كآفة وخزاعة كانوا يدخلون بيوتهم في الأحرام من خلفها أو من سطعها
كأفعلوا في الجاهلية قوله تعالى (وليس البربان تأوا البيوت من ظهورها) في الأحرام (ولكن البر من
اتقى) محارمه تعالى كالصيد وتوكل على الله تعالى في جميع أمورهم (وأقوا البيوت) أي ادخلوها
(من أبوابها) في الأحرام كغيره (واتقوا الله) في تغيير الأحكام أو في جميع أموركم (لعلكم تفلحون)
لكي تغوزوا بالخير في الدين والدنيا أوليكم تنجوا من السخط والعذاب (وقاتلوا) أي جاهدوا (في
سبيل الله) أي في طاعته وطلب رضوانه في الحل والحرم (الذين يقاتلونكم) أي يمدؤنكم بالقتال
من الكفار (ولا تعتدوا) عليهم بإبداء القتال في الحرم (إن الله لا يحب المعتدين) أي لا يريد الخير
للمتجاوزين الحد (واقتلوهم) إن بدؤكم (حيث تفقتهم وهم) أي وجدتموهم في الحل والحرم
(وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة (والفتنة أشد من القتل) أي والمحنة التي يفتن
بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تالم النفس بها وقيل وشركهم بالله
وعبادته الأوثان في الحرم وصدهم لكم عنه أشد من قتلهم إياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام)
أي لا تبدؤهم بالقتل في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه) أي الحرم بالابتداء (فإن قاتلوكم) فيه
بالابتداء (واقتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم فيه لأنهم الذين هتكوا حرمة فاستحقوا أشد العذاب قرأ
حزرة والكسائي ولا تقاتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كله بغير ألف (كذلك) أي مثل هذا الجزاء
الواقع منكم بالقتل والإخراج (جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا (ذنأنتهوا) عن الكفر
(فإن الله غفور) لهم ما قد سلف (رحيم) بهم (وقاتلوهم) بالابتداء منهم في الحل والحرم (حتى
لا تكون فتنة) أي كي لا توجد فتنة عن دينكم أي وقد كانت فتنتهم أنهم كانوا يؤذون أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بآفة حتى ذهبوا إلى الحبشة ثم واطبوا على ذلك الأذى حتى ذهبوا إلى المدينة وكان
غرضهم من آفة تلك الفتنة أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفارا فأمر الله تعالى هذه الآية والمعنى قاتلوهم
حتى تعلوا عليهم فلا يفتنوكم عن دينكم فلا تقعوا في الشرك (ويكون الدين) أي وكى يوجد الإسلام
والعبادة (لله) وحده لا يعبدون في الحرم سواء (فإن أنتهوا) عن قتالكم في الحرم (فلاعدوان)
أي فلا سبيل لكم بالقتل (الأعلى الظالمين) أي المبتدئين بالقتل أو المعنى فإن أنتهوا عن الأمر الذي
يوجب قتالهم وهو ما كفرهم أو قتالهم فلاقتل الأعلى الذين لا ينتهون عن الكفر فإنهم باصرارهم على
كفرهم ظالمون لأنفسهم (الشهر الحرام) الذي دخلت يا محمد فيه لقضاء العمرة وهو ذو القعدة من
السنة السابعة مقابل (بالشهر الحرام) الذي صدوك عن دخول مكة وهو ذو القعدة من السنة السادسة
أي من استحل دمكم من المشركين في الشهر الحرام فاستحلوه فيه (والحرمت) أي الشهر الحرام والبلد
الحرام وحرمة الأحرام (قصاص) أي يحسرى فيها بدل (فإن اعتدى عليكم) بالقتال في الحرم
أو الأحرام أو الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أي لجأزوه بمثل ما اعتدى عليكم به
(واتقوا الله) أي اخشوه بالابتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والحفظ (وأنفقوا في سبيل
الله) أي في طاعة الله لقضاء العمرة (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أي ولا تلقوا أنفسكم إلى الهلاك
بمنع النفقة في سبيل الله أو بالأسراف في النفقة أو بتضييع وجه المعاش (وأحسنوا) في الانفاق على
من ظنكم مؤنقه بأن يكون ذلك الانفاق وسطا فلا تسرفوا ولا تقروا ويقال وأحسنوا الظن في الله (إن
الله يحب المحسنين) أي يريدهم الخير ويشيهم نزلت الآيات من قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله إلى

ههنا في حق المحرمين مع النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء العجزة بعد عام الحديبية لانهم خافوا ان يقاتلهم
الكفار في الحرم والاحرام والشهر الحرام وكرهوا ذلك لان القتال في ذلك الوقت كان محرما في تلك
الاحوال الثلاثة (واتقوا الحج والعمرة لله) أي افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام بأركانها وشروطها
لأنه بأن تخلصهما للعبادة ولا تخلطهما بشئ من التجارة والغراض الدنيوية (فإن أحصرتم) أي منعتم
عن اتمامهما بعدوا (فما استيسر من الهدى) أي فعليكم إذا أردتم التحلل ما تيسر من الهدى من بدنة
أو بقرة أو شاة لترلك الحرم واذبحوها حيث أحصرتم في حل أو حرم (ولا تحلقوا رؤسكم) حتى يبلغ الهدى
محله) أي وقت مجي ذبحه وهو مكان الاحصار عند الشافعي لكن يندب ارساله الى الحرم خروجاً من
خلاف أبي حنيفة فإذا ذبحتم فاحلقوا ويجب نية التحلل عند الذبح والحلق وبه ما يحصل الخروج من
النسك قال الشافعي كل ما وجب على المحرم في ماله لا يجزئ الا في الحرم لمساكين أهله الا في نوعين
أحدهما من ساق هديا فعطب في طريقه فيذبحه ويحلى بينه وبين المساكين وثانيهما دم المحصر بالعدو
فانه يذبح حيث حبس لأن هذا الدم اغناو جب لازالة الخوف وزوال الخوف اغناي يحصل اذا قدر عليه
حيث أحصر (فإن كان منكم مريضا) في بدنه محتاجا الى المداواة واستعمال الطيب واللباس (أو) كان
(به أذى من رأسه) أي في ألم رأسه بسبب القمل والصبيان أو بسبب الصداع أو كان عنده خوف من
حدوث مرض أو ألم واحتاج الى الحلق أبيع له ذلك بشرط بذل الفدية كما قال تعالى (فدية) أي فعلية
فدية (من صيام) في ثلاثة أيام (أو صدقة) بثلاثة أصع من غالب قوت مكة على ستة مساكين لكل
مسكين نصف صاع (أو نسك) أي ذبح شاة (فإذا أمنتم) من العدو (فإن تمتع بالعمرة الى الحج)
أي فن تلتذذ بمظورات الاحرام كالطيب واللباس والنساء بسبب اتيانه بالعمرة الى الاحرام بالحج
(فما استيسر من الهدى) أي فعلية ما تيسر من الدم للجبران بخمسة شروط الاول أن يقدم العمرة على الحج
الثاني أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج الثالث أن يحج في هذه السنة الرابع أن لا يكون من حاضري المسجد
الحرام الخامس أن يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة ووقت وجوب هذا الدم بعدما أحرم بالحج
ويستحب أن يذبح يوم النحر ويجوز تقديم الذبح على الاحرام بالحج بعد الفراغ من العمرة لأن دم التمتع عندنا
دم جبران كسائر دماء الجبرانات وعند أبي حنيفة هو دم نسك كدم الاضحية فيختص بيوم النحر فلا يجوز
عنده الذبح قبله (فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي فن لم يجد الهدى لفقده أو فقد ثمنه فعليه صيام
ثلاثة أيام في حال اشتغاله باحرام الحج أي في أيام الاشغال بأعمال الحج بعد الاحرام وقبل التحلل
(وسبعة إذا رجعت) الى أهليكم ووطنكم مكة أو غيرها وقرأ ابن أبي عمير سبعة بالنصب عطفا على محل
ثلاثة أيام (تلك عشرة كاملة) في البذل عن الهدى قائمة مقامه (ذلك) أي لزوم الهدى وبذله على
التمتع (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي
ومن كان مسكنه وراء الميقات عند أبي حنيفة وأهل الحل عند طائوس وغير أهل مكة عنه ذلك
(واتقوا الله) فيما فرض عليكم (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن تهاون بحدوده (الحج أشهر
معلومات) أي أشهر الحج معروفة بين الناس وهي شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة على طلوع
فجر يوم النحر عند الشافعي (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) أي فن أوجب
الحج على نفسه بالاحرام فيهن فلا جماع ولا خروج عن حدود الشرع بارتكاب المظورات ولا خصام مع
الخدم والرفقة وغيرهما في أيام الحج وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفلا رفث ولا فسوق بالرفع والتنوين ولا جدال

بالنصب والباقون قرأ السكك بالنصب والمعنى على هذا ألا يكون رقت ولا فسوق ولا خلاف في الحج وذلك
 أن قریشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وترفع الخلاف بأن أمرؤا بأن يقفوا بعرفات
 كسائر العرب واستدل على أن المنهى عنه هو الرقت والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من
 حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولده أمه فانه صلى الله عليه وسلم لم يذكر الجدال (وماتفعلوا من
 خير) كصدقة وكرت المنهى (يعلمه الله) أي يقبله ويجزي به خير جزاء (وترزودوا فان خير الزاد
 التقوى) أي تزودوا من التقوى لمعادكم فانها خير زاد وهي فعل الواجبات وترك المحظورات ويقال
 وترزودوا ماتعشون به لسفركم في الدنيا فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم عن
 الظلم (واتقون يا أولي الألباب) أي ذوي العقول (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أي
 ليس عليكم حرج في أن تطلبوا رزقا من ربكم بالتجارة في الحج (فاذا أفضتم) أي رجعتكم (من عرفات
 فاذا كروا الله) بالتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل (عند المشعر الحرام) وهو جبل يقف عليه
 الامام ومسمى قزح وهو آخر حد المزلفة وقال بعضهم المشعر الحرام هو المزلفة لأن الذكر المأمور به عنده
 يحصل عقب الافاضة من عرفات وما ذاك إلا بالبيت بالمزلفة (واذكروا) أي الله (كم هذاكم) أي
 لأجل هدايته أياكم لعالم دينه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي وانكم كنتم من قبل الهدى لمن
 الجاهلين بالإيمان والطلعة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي ثم ارجعوا من المزلفة إلى منى
 قبل طلوع الشمس للرمي والنحر كرجع منها إبراهيم وإسماعيل في ذلك الوقت على ما جاء به الرسول صلى الله
 عليه وسلم وكان العرب الذين وقفوا بالمزلفة يرجعون إلى منى بعد طلوع الشمس وهذا كما اختاره الضحاك
 (واستغفروا الله) باللسان مع التوبة بالقلب وهو أن ينسدم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم على
 أن لا يقصر فيما بعد ويقصد بذلك تحصيل مرضاة الله تعالى (ان الله غفور) لذنوب المستغفر (رحيم)
 أي منعم عليه (فاذا قضيت مناسككم فاذا كروا الله كذاكم أباهكم) وكان العرب بعد الفراغ من
 الحج يقفون بين المسجد والجبل فيبالغون في الثناء على آبائهم في ذكركم مناقبهم وفضائلهم فقال الله
 تعالى هذه الآية فالمعنى فاذا فرغتم من عبادتكم المتعلقة بالحج كأنكم رميتكم بحجارة العقبة وطفتم واستقررتكم على
 فابذلوا جهدكم في الثناء على الله وذكر نعماته كما بذلتم جهدكم في الثناء على آبائكم في الجاهلية (أو أشد
 ذكرا) أي بل أكثر ذكرا من ذكر آبائكم لأن صفات الكمال لله تعالى غير متناهية (فمن الناس) أي
 المشركين أو المؤمنين (من يقول) في الموقف (ربنا آتنا) أي اعطنا (في الدنيا) ابلا وبقرا وغنما وعبيدا
 أو أمه ومالا (وماله في الآخرة من خلاف) أي من نصيب في الجنة بحجة (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا
 حسنة) أي علما وعبادة وعصمة من الذنوب وشهادة ورغنية وصحة وكفاة وتوفيقا للخير (وفي الآخرة حسنة)
 أي الجنة ونعيمها (وقنا عذاب النار) أي ادفع عنا العذاب (أولئك) أي أهل هذه الصفة (لهم نصيب)
 أي حظ وافر في الجنة (مما كسبوا) أي من حجهم (والله سريع الحساب) أي سريع القبول
 لدعاء عباده والاجابة لهم وعالم بجهلة سوالات السائلين (واذكروا الله) أي بالتكبير والتهليل والتعجيد
 (في أيام معدودات) أي في أيام التشريق الثلاثة (فمن تعجل) برجوعه إلى أهله (في يومين) بعد يوم
 النحر (فلاثم عليه) بتعجيله (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث حتى رمى فيه قبل الزوال أو بعده
 (فلاثم عليه) بتأخره فهم مخبرون في ذلك (لمن اتقى) أي ونفى الاثم لمن اتقى الله في حجه لانه المتشنع
 بحجه دون من سواه (واتقوا الله) أي احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام (واعلموا أنكم إليه)

تخشرون) أي للجزاء على أعمالكم بعد البعث (ومن الناس من يعجبك قوته في الحياة الدنيا) أي ومن
الناس من يعظم في قلبك كلامه عندما يتكلم لطلب مصالح الدنيا وهو الاخنس بن شريق الثقفي واسمه
أبي كان مناققا حسن العلانية خبيث الباطن (ويشهد الله على ما في قلبه) فإن الاخنس هذا أقبل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر الاسلام ويحلف بالله أنه يحبه ويتابعه في السر ويحتمل أنه يقول قاله
يشهد بأن الأمر كما قلت فهذا الاستشهاد بالله وليس يمين وقرأ ابن محيص يشهد الله بفتح الياء والهاء والمعنى
يعلم الله من قلبه خلاف ما أظهره (وهو الداحصام) قال قتادة شديدا القسوة في معصية الله جحدل
بالباطل عالم اللسان جاهل العمل وقال السدي أعوج الحصام (وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها) أي
وإذا انصرف من عندك اجتهد في إيقاع القتال بأن يقع الاختلاف بين الناس ويفرق كلهم ويؤدي
إلى أنه يبرأ بعضهم من بعض فينقطع الأرحام ويسفل الدماء (ويهلك الحرث) أي الزرع بالاحراق
(والنسل) أي الحيوان بالقتل فإن الاخنس لما انصرف من بدر مرربني زهرة وكان بينه وبين تقيف
خصومة فببيتهم ليلا فأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم (والله لا يحب الفساد) أي لا يرضى به (وإذا قيل
له) أي لذلك الناس (اتق الله) في فعلك (أخذته العزة بالأنثى) أي لزمه التكبر الحاصل بالأنثى
الذي في قلبه فإن التكبر غما حصل بسبب ما في قلبه من الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل (لحسبه
جهنم) أي كافيه جهنم جزاء له وعذابا (ولبئس المهاد) أي لبئس المستقر هي (ومن الناس من
يشري) أي يشتري (نفسه) بماله (ابتغضا مرضاة الله) روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت
في صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جندعان وفي عمار بن ياسر وفي سمية أمه وفي ياسر أبيه وفي بلال مولى
أبي بكر وفي خباب بن الارت وفي أبي ذر وفي عابس مولى حويطب أخذهم المشركون فعذبوهم فأما صهيب
فقتل لأهل مكة أني شيخ كبير ولي مال ومتاع وأنا أعطيكم مالي ومتاعي واشتري منكم ديني فرضا منه
بذلك وخلوا سبيله فأنصرف إلى المدينة فنزلت هذه الآية وعند دخول صهيب المدينة لقيه أبو بكر رضي الله
عنه فقال رجع بيعك يا أبا يحيى فقال وما ذاك فقال أنزل الله فيك قرآنا قرأ عليه هذه الآية وأما خباب بن
الارت وأبو ذر فقد فرأوا ثيابا المدينة وأما سمية فربطت بين بعيرين ثم قتلت وقتل ياسر وأما الباقر
فأعطوا بسبب العذاب بعض ما أراد المشركون فتركوا (والله رؤوف بالعباد) الذين قتلوا في مكة أبي عمار وأمه
وغيرهم ماله تعالى أرشدهم لما فيه مرضاه (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزلت هذه الآية
في شأن طائفة من مسلمي أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لأنهم حين آمنوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم أقاموا بعده على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا الحوم الأبل والبيان وكانوا يقولون
ترك هذه الأشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة فنحن نتركها احتياطا فكره الله تعالى ذلك
منهم وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة ولا يتمسكوا بشيء من أحكام التوراة اعتقادا له وعملا به لأنها صارت
منسوخة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تتبعوا طرق ترين الشيطان بتفريق الأحكام بالعمل
ببعضها الموافق لشرعية موسى وعدم العمل بالبعض الآخر المخالف لها (إنه لكم عدو مبين) أي ظاهر
العداوة (فانزلتم) أي ان أنصرفتكم عن الطريق الذي أمرتم به (من بعد ما جاءكم البينات) أي
الدلائل العقلية والنقلية كالمجزة الدالة على الصدق والبيان الحاصل بالقرآن والسنة (فاعلموا أن الله
عزيز) أي قوي بالنقمة لمن لا يتابع رسوله فلا يمنعكم ولا يفوته ما يريد منكم (حكيم) أي
عالم بواقب الأمور (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) أي ما ينظرون أهل

مكة الا أن يأتيهم الله بلا كيف يوم القيامة والملائكة في ظلل من الغمام فقوله في ظلل من الغمام والملائكة مقدم ومؤخر فنزل الغمام علامة لظهور أشد الا هو ال في القيامة قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (وقضى الأمر) أي تم فصل القضاء بين الخلائق وأخذ الحقوق لأربابها وانزال كل أحد من المكافين منزلته في الجنة والنار (والى الله ترجع الامور) أي ان الله تعالى ملك عباده في الدنيا كثير من أمور خلقه فاذا صاروا الى الآخرة فلا مالك للحكم في العباد سواء كما قال تعالى والأمر يومئذ لله قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ترجع بالبناء للمجهول على معنى ترد وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي ترجع بالبناء للفاعل أي تصير كقوله تعالى ألا الى الله تصير الامور قال نحر الدين محمد الرازي والاوزاعي عندي أن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة انما نزلت في حق اليهود والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم اكملوا طاعتكم في الايمان بأن تؤمنوا بجميع أنبياء الله وكتبه فادخلوا بايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه في الاسلام عن التمام ولا تتبعوا الشبهات التي تمسكون بها في بقاء تلك الشريعة وعلى هذا التقدير فقوله تعالى فان زلتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عز وجل حكيم يكون خطابا مع اليهود وحيتثذكون قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة حكاية عن اليهود والمعنى انهم لا يتقبلون دينك الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة الا ترى انهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جوهرة واذا كان هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع اجراء الآية على ظاهرها وذلك لان اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله المجى والذهاب وكانوا يقولون انه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا التقدير يكون هذا الكلام حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه فلا يحتاج حينئذ الى التأويل ولا الى حمل اللفظ على المجاز وذكر الله تعالى بعد ذلك ما يجري مجرى التهديد بقوله تعالى والى الله ترجع الامور (سل بني اسرائيل) قل يا أشرف الخلق لا ولاد يعقوب الحاضرين منهم قوبلنا (كم آتيناهم من آية بينة) أي معجزات موسى عليه السلام كخلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونتق الجبل وتكليم الله تعالى لموسى عليه السلام من السحاب وانزال التوراة عليهم فبدلوا مقتضاها رهوا الأيمان بها بالكفر فاستوجبوا العقاب من الله تعالى فانكم لو زلتم عن آيات الله تعالى لوقعتم في العذاب كما وقع لاسلافكم أو المعنى سل يا أشرف الخلق هؤلاء الحاضرين من بني اسرائيل تنبيههم على ضلالتهم كم آتيناهم من حجة بينة لمحمد صلى الله عليه وسلم يعلم بها صدقه وصحة شريعته وكفروا بها (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) أي ومن يغير آيات الله الباهرة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالكفر من بعد ما عرفها أو المعنى ومن يغير دين الله وكتابه بالكفر من بعد ما جاءه محمد به (فان الله شديد العقاب) لمن كفر به (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) أي حسن ما في الحياة الدنيا من سعة المعيشة لكفار مكة أبي جهل ورؤساء قريش (ويسخرون من الذين آمنوا) أي يسخرون على فقراء المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وخباب وسالم مولى أبي حذيفة وعامر بن فهيرة وأبي عبيدة بن الجراح وسلمان وبلال وصهيب بضيق المعيشة (والذين اتقوا) عن الدنيا الشاغلة عن الله تعالى (فوقهم يوم القيامة) لان المؤمنين في عليين والكافرين في سفلين ولانهم في أوج الكرامة وهم في حضيض المذلة ولان سخرية المؤمنين بالكفار يوم القيامة فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا (والله يرزق من يشاء) في الدنيا من كافر ومؤمن (بغير حساب)

أي بغير تكلف من الرزق ومن حيث لا يحتسب وقد أغنى الله المؤمنين عما أفاء عليهم من أموال صناديد
 قريش ورؤساء اليهود حتى ملوكهم كانوا كمنوز كسرى وقيصر (كان الناس أمة واحدة) قائمة على الحق
 ثم اختلفوا بسبب الحسد والله زرع في طلب الدنيا فان الناس وهو آدم وأولاده من الذكور والإناث كانوا
 أمة واحدة على الحق ثم اختلفوا بعد ذلك (فبعث الله النبيين مبشرين) بالجنة لمن آمن بالله (ومنذرين)
 بالنار لمن لم يؤمن بالله (وأرسل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) أي ليحكم
 الكتاب في الحق الذي اختلف الناس في ذلك الحق فالكتاب حاكم والمختلف فيه وهو الحق محكوم عليه
 (وما اختلف فيه) أي الحق (إلا الذين أوتوه) أي أعطوا الكتاب مع أن المقصود من انزال الكتاب
 أن لا يختلفوا وان يرفعوا الممازعة في الدين (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلائل العقلية التي نصبها
 الله تعالى على اثبات الأصول التي لا يمكن القول بالنبوة إلا بعد ثبوتها (بغيا بينهم) أي حسدا منهم أي
 أن الدلائل إمامعية وإمامعية أما السمعية فقد حصلت بإتيان الكتاب وأما العقلية فقد حصلت بالبيانات
 المتقدمة على إتيان الكتاب فبعد ذلك لم يبق في العدول عن الحق علة فلو حصل العدول لم يكن ذلك
 لا بحسب الحسد والحرص على طلب الدنيا (فهدي الله الذين آمنوا وما اختلفوا فيه من الحق باذنه) أي
 فهدي الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف بعلمه وإرادته وبكرامته قال ابن زيد اختلفوا في
 القبلة فصلت اليهود إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق فهذان الله لكعبة واختلفوا في الصيام فهذان
 الله لشهر رمضان واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فقلنا إنه
 كان جنيفيا سلميا واختلفوا في عيسى فاليهود فرطوا حيث أنكروا نبوته ورسالته والنصارى فرطوا
 حيث جعلوه الها وقلنا قولا عدلا وهو أنه عبد الله ورسوله (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)
 أي طريق حق لا يضل سالكه ويقال والله يثبت من يشاء على دين قائم برضيه (أم حسبتم أن تدخلوا
 الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين
 آمنوا معه متى نصر الله) قال ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر عليهم
 لأنهم خرجوا بالمال وتركوا ديارهم وأموالهم في أيدي المشركين وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية تطيبها لقلوبهم وقال قتادة والسدى نزلت في غزوة الخندق
 حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والحزن وقيل نزلت في حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لهباب
 محمد صلى الله عليه وسلم إلى متى تقتلون أنفسكم وترجون الباطل ولو كان محمد نبيا لما سلب الله عليكم الأسر
 والقتل ومعنى الآية أطمئنتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان بي وتصديق رسولي دون أن
 تعبدوا الله بكل ما كلفكم به وابتلاكم بالصبر عليه ودون أن ينالكم أذى الكفار والفقر ومقاساة الأهوال
 في مجاهدة العدو كما كان كذلك من قبلكم من المؤمنين وهو المراد من قوله تعالى ولما يأتكم مثل الذين خلوا
 من قبلكم أي والحال لم يأتكم شبه محنة المؤمنين الذين مضوا من قبلكم ثم بين الله ذلك الشبه مستهم
 البأساء والضراء فالبأساء تضيق جهات الحسير والمنفعة والضراء انفتاح جهات الشر والآفات والألم
 ومعنى زلزلوا أي حركوا بأنواع البلايا والازايا ومعنى حتى يقول الرسول لان الرسل عليهم السلام يكونون
 في غاية الثبات والصبر وضبط النفس عند نزول البلاء فاذا لم يبق لهم صبر حتى فجأوا كان ذلك هو الغاية
 القصوى في الشدة فلما بلغت بهم الشدة إلى هذه الدرجة العظيمة قيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) إجابة لهم
 من الله أو من قوم منهم والاحسن أن يقال فالذين آمنوا قالوا متى نصر الله ثم رسولهم قال ألا ان نصر الله

قريب روى الكلبي عن ابن عباس أن الآية نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا هرا و هو الذي
قتل يوم أحد وعنده مال عظيم فقال ماذا تنفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت هذه الآية (يسألونك
ماذا تنفقون) أي أي شيء تصرف المال (قل ما أنفقتم من خير) أي مال (فللوالدين والأقربين
واليتامى) أي المحتاجين منهم (والمساكين وابن السبيل) فلا نفاق على الوالدين واجب عند عجزهما
عن الكسب والملك والافتاق على الأقربين وهم الأولاد والأولاد قد يلزم عند فقد الملك فينبذ
الواجب فيما ذكر قدر الكفاية وقد يكون على صلة الرحم والافتاق على اليتامى والمساكين والممارين في
السبيل أمان جهة الزكاة أو من جهة صدقة التطوع فالمراد بهذه الآية من أحب التقرب إلى الله تعالى في
باب النفقة فالأولى له أن ينفقه في هذه الجهات فيقدم الأولى فالأولى في صدقة التطوع (وما تفعلوا من خير)
أي من سائر وجوه البر والطاعة (فإن الله به عليم) أي فيجازيكم عليه ويوفي ثوابه (كتب عليكم القتال)
أي لحرض عليكم قتال الكفرة في أوقات النفي العام مع النبي صلى الله عليه وسلم (وهو كره لكم) أي
والحال أن القتال مكره لكم طبعاً للشقة على النفس (وعسى أن تكرهوا شيئاً) كالجهاد في سبيل الله
(وهو خير لكم) لما تصيبون الشهادة والغنمة والأجر (وعسى أن تحبوا شيئاً) كالجلوس عن الجهاد
(وهو شر لكم) لأنكم لا تصيبون الشهادة ولا الغنمة ولا الأجر (والله يعلم) أن الجهاد خير لكم فذلك
يأمركم به (وأنتم لا تعلمون) ذلك ولذلك تكرهونه أو المعنى والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما
فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامثلوا بأمره تعالى نزلت تلك الآية في حق سعد بن أبي وقاص والمفدا بن
الأسود وأصحابهما (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) روى أكثر المفسرين عن ابن عباس أنه قال
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمته قبل قتال بدر بشهرين
وبعد سبعة عشر شهراً من مجيئه المدينة في ثمانية رهط وكتب له كتاباً وعهد أودفعه إليه وأمره أن
يفتحه بعد نزلهين ويقرأه على أصحابه ويعمل بما فيه فإذا فيه أما بعد فسر على بركة الله تعالى عن أتبعك
حتى تنزل بطن نخل فترصد بها غير قريش لعلاك أن تأتيا منه بخير فقال عبد الله سمعنا وطاعة لأمره
فقال لأصحابه من أحب منكم الشهادة فليمنطق معي فاني ماض لأمره ومن أحب التخلف فليتخلف
فرضي حتى بلغ بطن نخل بين مكة والطائف فرع عليهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فلما رأوا
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقوا رأس واحد منهم وأوهموه بذلك أنهم قوم عمار ثم أتى واقد بن
عبد الله الحنظلي وهو أحد من كان مع عبد الله بن جحش ورمى عمرو بن الحضرمي فقتله وأسر الاثنين
وساقوا العير بما فيه من تجارة الطائف حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت قريش
وقالوا قد استحل محمد الشهر الحرام شهر يأمّن فيه الحائف فبغض فيه الدماء والمساكين أيضاً قد تعجبوا
من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اني ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وقال عبد الله بن جحش يا رسول
الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلاندرى أني رجب أصبنا أم في جمادى فوقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى فنزلت هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغنيمة وعلى هذا التقدير فالأظهر أن هذا السؤال انما صدر عن المسلمين (قل) في جوابهم (قتال فيه)
أي الشهر الحرام وهو رجب (كبير) أي عظيم وزاد قد تم الكلام ههنا والوقف هنا تام
(وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج أهله منه أكبر عند الله) أي ولكن منع الناس
عن دين الله وطاعته وكفر بالله ومنع الناس عن مكة وأخرج أهله وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون

من مكة أعظم وزرا عند الله من قتل عمرو بن الحضرمي في رجب خطا مع أنه يجوز أن يكون ذلك القتل واقعا في جملة الآخرة (والفتنة) أي مافة أو الفتنة عن دين المسلمين تارة بإقائه الشبهة في قلوبهم وتارة بالتعذيب كفعلهم بـلال وصهيب وعمار بن ياسر (أكبر من القتل) أي أقطع من قتل عمرو بن الحضرمي روى أنه لما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن جحش إلى مؤمنى مكة إذا عبركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم بالكفر وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام (ولا يزالون) أي أهل مكة الكفرة (يقاقلونكم) أي يا المؤمنين (حتى يروذك عن دينكم) أي كي يردوكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل (ان استطاعوا) وهذا الاستبعاد لاستطاعتهم وأشارة إلى ثبات المسلمين في دينهم (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) بأن لم يرجع إلى الإسلام (فاوائلك) المصرون على الارتداد إلى دين الموت (حبطت أعمالهم) الحسنة التي عملوها في حالة الإسلام (في الدنيا والآخرة) محبوط الأعمال في الدنيا فهو أنه يقتل عند الظفر به ويقاقل إلى أن ينظر به ولا يستحق من المؤمنين نصرا ولا نساء حسنا وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من كل أحد وحبوط أعمالهم في الآخرة أن الردة تبطل استحقاقهم للثواب الذي استحقوه بأعمالهم السالفة أما لو رجع المرتد إلى الإسلام عادت إليه أعماله الصالحة مجردة عن الثواب فلا يكلف بإعادتها وهذا هو المعتمد في مذهب الشافعي (وأولئك أصحاب النار) أي ملازموها (هم فيها خالدون) أي مقيمون لا يخسر جون ولا يعوتون (وروى) أن عبد الله بن جحش قال يا رسول الله هب أنه لا عقاب علينا فيما فعلنا فهل نطمع منه أجرا وثوابا فنزلت هذه الآية (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله (والذين هاجروا) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم من مكة إلى المدينة (وجاهدوا) أي بذلوا جهدهم في قتل العدو كقتل عمرو بن الحضرمي الكافر (في سبيل الله) أي لأعلاء دين الله (أولئك يرجون رحمة الله) أي يطمعون في ثواب الله أو ينالون جنة الله (والله غفور رحيم) فيحقق لهم رجاءهم إذا ما تواضعوا على الإيمان والعمل الصالح (يسألونك عن الخمر والميسر) أي عن تناولهما (قل فيهما) أي في تعاطيهما (إثم كبير) أي عظيم بعد التحريم لما يحصل بسببهما من الخاصة والمشاة وقول الفحش وإتلاف للأموال ولأن الخمر مسلبة للعقل التي هي قطب الدين والدنيا وقرأ حمزة والكسائي كثير بالناء المثلثة (ومنافع للناس) قيل التحريم بالتجارة فيها وباللذة والفرح وتصفية اللون وحمل الخيل على الكرم وزوال الهم وهضم الطعام وتقوية الباء وتشجيع الجبان في شرب الخمر وإصابة المال بلا كد في القمار أي المنالفة بأخذ المال في أنواع اللعب (واثمهما) بعد التحريم (أكبر من نفعهما) قبل التحريم وقرئ أقرب من نفعهما ما قال المفسرون نزلت في الخمر أربع آيات نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم ثم إن عمر ومعاذ أو نفر من الصحابة منهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب وبعض الأنصار قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فأنها مذهب للعقل مسلبة للمال فنزل فيها قوله تعالى قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشر بها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشر بواو سكر واقام بعضهم يصلي اماما فقرا أقل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف لا فنزلت لا تقر بواو الصلاة وأنتم سكارى فقل من شر بها ثم اجتمع قوم من الأنصار وفيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء للأنصار فضربه أنصار يلهي بعير فشبهه شجرة موضحة فشبهه كالأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين

لنا في الخمر بما نأشأ فيا فترنا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب (ويسألونك ماذا ينفقون) أي أي قدر ينفقونه نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن الجموح سأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تنصديق من أموالنا و قيل السائل معاذ بن جبل وثعلبة وقال الرازي كان الناس لما رأوا الله ورسوله يحضن على الانفاق ويدلان على عظيم ثوابه سألوا عن مقدار ما كانوا به هل هو كل المال أو بعضه فأعلمهم الله تعالى أن العفو أي الفاضل عن الكفاية مقبول (قل العفو) أي ما بهل عما يكون فاضلا عن حاجة الانسان في نفسه وعياله ومن تلزمه مؤنتهم (كذلك) أي كما بين الله لكم قدر المنفق وحكم الخمر والميسر بأن فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام الشرعية (لعلكم تتفكرون في الدنيا) أنها فانية (والآخرة) أنها باقية فإذا تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة علمتم انه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا (ويسألونك عن اليتامى) كان أهل الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع بأموال اليتامى ورجعوا تزوجوا باليتيم طمعاً في مالها ثم ان الله تعالى أنزل قوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم نارا وقوله ولا تقر بوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن فعند ذلك ترك القوم مخالطة اليتامى والمقاربة من أموالهم والقيام بأمورهم فاختلت مصالح اليتامى وساءت معيشتهم فنقل ذلك على الناس فقال عبد الله بن رواحة وقيل ثابت بن رفاعه الانصاري يا رسول الله مال كلنا منازل تسكنها الا يتام ولا كنا يجود طعاما وشرابا يرددهم ماليه تيم فهل يجوز مخالطة اليتامى بالطعام والشراب والمسكن أم لا فنزلت هذه الآية (قل اصلاح لهم خير) أي قل يا أشرف الخلق اصلاح أموالهم من غير أخذ أجرة خير لكم من ترك مخالطتهم وأعظم أجرا لكم (وان تخالطوهم فاخوانكم) أي وان تخالطوهم بما لا يتضمن افساد أموالهم فذلك جائز لانهم اخوانكم في الدين (والله يعلم المفسد من المصلح) أي يعرف المفسد لا أموالهم بالمخالطة من المصلح لها وقيل يعلم ضماير من أراد الافساد والطمع في أموالهم بالنسكاح عن أراد الافساد (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لكفكم ما يستند عليكم أو اضيق الامر عليكم في مخالطتهم (ان الله عزيز) أي غالب على أمره قوي بالنقمة لمفسد مال اليتيم (حكيم) يحكم بما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على أساس طاقة البشر (ولا تنسكعوا للمشركات حتى يؤمن) أي ولا تتزوجوا للمشركات بالله الى أن يؤمن بالله بأن يقررن بالشهادة ويلتزم من أحكام الاسلام هذا مقرر على غير الكتابيات لما روى عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وروى عبد الرحمن بن عوف انه صلى الله عليه وسلم قال في حق المجوس سننوا بهم سنة أهل الكتاب غيرنا كفى نساءهم ولا آكلى ذباقتهم وسبب نزول هذه الآية ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فعند قدومه جاءت امرأة مشركة اسمها عناق فالتفت الحلاوة فقال ويحك ان الاسلام حال بيني وبينك فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ثم وعد لها أن يأذن الرسول صلى الله عليه وسلم فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه ما جرى في أمر عناق وسأله هل يحل له التزوج بها أنزل الله تعالى هذه الآية (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) أي لنسكاح أمة مؤمنة خير من نسكاح مشركة ولو أعجبتكم كم تلك المشركة بحسنها أو بجمالها أو بحريتها أو بنسبها قال السدي نزلت هذه الآية في حق عبد الله بن رواحة كان له أمة فأعتقها وتزوج بها فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أتنسكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله تعالى تلك الآية (ولا تنسكعوا للمشركين

حتى يؤمنوا) أى ولا تزوجوا الكفار ولو كانوا أهل كتاب المؤمنين حتى يؤمنوا (ولعبد مؤمن خير من مشرك) أى تزوجكم لعبد مؤمن خير من تزوجكم لمشرك (ولو أعجبكم) ذلك المشرك لماله وجهالة وقوته وحرية (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) أى إلى ما يؤدى إلى النار فإن الزوجة مظنة المحبة وذلك يوجب الموافقة في الأغراض وربما يؤدى ذلك إلى انتقال الدين بسبب موافقة المحبوب (والله يدعو إلى الجنة والمغفرة) بتبيان هذه الأحكام من الأباحة والتحريم فإن من تمسك بها استحق الجنة والمغفرة (بإذنه) أى بتيسيره تعالى وتوفيقه لأهل الذى يستحق به الجنة والمغفرة وقسراً الحسن والمغفرة بإذنه بالرفع أى والمغفرة حاصلة بتيسير الله تعالى (ويبين آياته) أى أمره ونهيته في التزوج والتزويج (للناس لعلمهم يتذكرون) قبح المنهى عنه وحسن المدعوا إليه (ويسألونك عن الحيض) أى الحيض والسائل عن ذلك ثابت الدحاح الانصارى وقيل عباد بن بشر وأسيد بن الحضير لأن أهل الجاهلية كانوا إذا حضت المرأة لم يؤاكلوا ولم يشاربوا ولم يجالسوها على فحش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس وأما النصارى كانوا يجامعونهن ولا يباليون بالحيض (قل) يا أشرف الخلق (هو) أى الحيض (أذى) أى قدر الأثر المذكرة التى فيه واللون القاسد والحدة القوية التى فيه كما قال صلى الله عليه وسلم دم الحيض هو الأسود المحترق أى المحترق من شدة حرارته (فاعتزلوا النساء في الحيض) أى في موضع الحيض (ولا تمربوهن) أى لا تجامعوهن (حتى يطهرن) وهذا تأكيد لحكم الاعتزال قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص ويعقوب الخضرى حتى يطهرن بسكون الطاء وضم الهاء بمعنى حتى يزول عنهن الدم وقرأ أشعبة وحزمة والكسائي بتشديد الطاء والهاء بمعنى يغتسلن (فإذا تطهرن) أى اغتسلن أو تيممن عند تعذر استعمال الماء (فأنوهن من حيث أمركم الله) أى جامعوهن في موضع أمركم الله به وهو القبل وقال الأصم والزجاج أى فأنوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات بالنسك وفهم من هذا الشرط أنه يشترط بعد انقطاع الحيض الاغتسال لأنه قد صار المجموع غايته وذلك بمنزلة قولك لا تكلم فلاناً حتى يدخل الدار فإذا طابت نفسه بعد الدخول فكلمه فإنه يجب أن يتعلق بإباحة كلامك بالامر من جميعاً واتفق مالك والأوزاعي والثوري والشافعي أنه إذا انقطع حيض المرأة لا يحل للزوج مجامعتها إلا بعد أن تغتسل من الحيض والمشهور عن أبي حنيفة أنها إن رأت الطهر دون عشرة أيام لم يقرها زوجها وإن رآته لعشرة أيام جاز أن يقرها قبل الاغتسال (إن الله يحب التوابين) بالنسبة إلى ماضى من الذنب والترك في الحاضر والعزم على أن لا يفعل مثله في المستقبل (ويحب للمتطهرين) أى المتزهرين عن المعاصى من أتيان النساء في زمان الحيض والأتیان في الأدبار وقيل يجب المستنجين بالماء (نساء كم حث لكم) أى فزوج نسائكم من هذه الأئمة لا ولدكم (فأنوا حثكم) أى من رعتكم (أنى شئتم) أى من أى جهة شئتم أى فالمراد من هذه الآية أن الرجل مخير بين أن يأتي زوجته من قبلها أو بين أن يأتيها من دبرها في قبلها لأن سبب نزول هذه الآية لما روى أن اليهود قاتلوا من جامع امرأته في قبلها من دبرها كان ولدها أحول مخبلاً ومنهم من قال بغير ذلك في التوراة فقد كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود (وقدموا لأنفسكم) من الأعمال الصالحة كالسمية عند الجماع وطلب الولد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال بسم الله عند الجماع فأما مولده فله حسنة بعد أن فاس ذلك الولد وعده عقبه إلى يوم القيامة (أنى شئتم) أى لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة (واتقوا الله) في أدبار النساء

ومجامعتهم في الحيض (واعلموا أنكم ملاقوه) أي الله بالبعث فتزودوا ما تنتفعون به فإنه تعالى يجزيكم
 بأعمالكم (وبشر المؤمنين) خاصة بالثواب والكرامة (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبروا
 وتتقوا وتصلحوا بين الناس) أي ولا تجعلوا ذكرا لله ما تعاب بسبب إيمانكم من أن تبروا وتتقوا وتصلحوا
 بين الناس قال ابن عباس أرجعوا إلى ما هو خير لكم وكفروا بيمينكم نزلت هذه الآية في شأن عبد الله بن
 وراحة فإنه حلف بالله أن لا يجسن إلى اخته وختنه أي زوج اخته بشير بن النعمان ولا يكلمهم سوا ولا
 يصلح بينهم ما فكان إذا قيل له في الصلح بقول قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي أن لا أبر في عيني (والله
 سميع) بيمينكم بترك الأحسان (عليم) بنياتكم وبكفارة اليمين (لا يؤاخذكم الله باللغو في
 أيمانكم) قال الشافعي رضي الله عنه إن اللغو قول العرب لا والله وبلى والله في الشراء والبيع وغير ذلك
 من ما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الخلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد
 الحرام ألف مرة لا تذكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وقال أبو حنيفة إن اللغو هو أن يحلف على شيء
 يعتقد أنه كان ثم بان أنه لم يكن فالشافعي لا يوجب الكفارة في المسئلة الأولى ويوجبها في الثانية وأبو
 حنيفة يحكم بالضد من ذلك (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أي قصده من الإيمان بمجد وربطت به
 فحنثتم فإذا حلف على شيء بالجحد في أنه كان حاصلًا ثم ظهر أنه لم يحصل فقد قصد بذلك اليمين تصديق قول
 نفسه وربط قلبه بذلك فلم يكن ذلك لغوا بل كان حاصلًا بكسب القلب (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم
 باللغو مع كونه ناشئًا من عدم الاحتياط (حليم) حيث لم يعجل بالموأخذة على عيب الجحد (للذين يؤلون من
 نسائهم تربص أربعة أشهر) أي للذين يحلفون أن لا يجامعوها من مطلقاً أو مدة تزيد على أربعة أشهر
 انتظاراً أربعة أشهر (فإن فارقا) أي رجعوا عن اليمين بالحنث بأن جامعوها قبل أربعة أشهر (فإن الله
 غفور) ليمينهم أن تابوا بفعل الكفارة (رحيم) حيث بين كفارتهم (وان عزموا الطلاق) أي ان
 حققوا الطلاق وبروا عينتهم (فإن الله سميع) ليمينهم (عليم) بعزمهم فليس لهم بعد التربص
 إلا الفينة أو الطلاق فإن بر المولى عينته وترك مجامعة امرأته حتى تجاوز أربعة أشهر بآنت منه امرأته
 بتطبيق واحدة وان جامعوها قبل ذلك فعليه كفارة اليمين كما قاله ابن عباس (والمطلقات) أي ذوات
 الأقراء من الحرث المدخول بهن (يتربصن بأنفسهن) في العدة (ثلاثة قروء) فلا تتوقف العدة على
 ضرب قاض (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من الحمل والحيض معا وذلك لأن المرأة
 لها أغراض كثيرة في كتمانها فإذا كتمت الحمل قصرت عدة عدتها فزوج بسرعة ورجعها كرهت
 مراجعة الزوج وأحبب الزوج آخر وأحببت أن يلتحق ولدها بالزوج الثاني فلهذه الأغراض
 تكتم الحمل وإذا كتمت الحيض فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الأول وقد تحب تقصير
 عدتها لتبطل رجعتيه ولا يتم لها ذلك إلا بكتمان بعض الحيض في بعض الأوقات (ان كن يؤمن بالله
 واليوم الآخر) فلا يجترئن على ذلك الكتمان وهذا الشرط للتغليظ حتى لو لم يكن مؤمنات كان عليهن
 العدة أيضا (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) أي أزواج المطلقات أحق برجعتهن في مدة ذلك
 التربص (ان أرادوا) أي البعولة بالرجعة (اصلاحا) والسبب في هذه الآية أن في الجاهلية كانوا
 يراجعون المطلقات ويريدون بذلك الإضرار بهن ليطلقوهن بعد الرجعة حتى تحتاج المرأة إلى أن تعتد
 عدة حادثة فنهوا عن ذلك (ولهن) عليهن من الحقوق (مثل الذي) لهن (عليهن) من الحقوق
 (بالمعروف) شرعا في حسن المعاشرة (والرجال عليهن درجة) أي فضيلة في الحق لأن حقوقهم عليهن

في أنفسهن وحقوقهن عليهن في المهر والنفقة (والله عزير) يقدر على الانتقام عن يخالف أحكامه
 (حكيم) فيما حكم بين الزوجين (الطلاق مرتان فامسك بعروف أو تسريح باحسان) أي ذلك الطلاق
 الذي حكمنا فيه بثبوت الرجعة للزوج هو أن وجد مرتان فالواجب بعدها تين المراتين اما امسك بعروف
 أي رجعة بحسن عشرة ولطف معاملة لا على قصد اضرار أو تسريح أي ارسال بترك المراجعة حتى تنقضي
 العدة وتحصل البيونة باحسان أي بغير ذكروه بعد المفارقة بأداء جميع حقوقها المالية وهذه الآية
 متناولة لجميع الاحوال لان الزوج بعد الطلقة الثانية اما أن يراجعها وهو المراد بقوله تعالى فامسك بعروف
 أو يتركها حتى تبين بانقضاء العدة وهو المراد بقوله تعالى أو تسريح باحسان أو يطلقها نالته وهو المراد
 بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد فكانت الآية مشتملة على بيان كل الاقسام ولو جعلنا التسريح
 مطلقا نالته لكان قوله تعالى فان طلقها طلقة رابعة فانه غير جائز وسبب نزول هذه الآية أن امرأة شكت
 الى عائشة رضي الله عنها بأن زوجها يطلقها ويراجعها كثيرا (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن
 شيئا) أي ومن جملة الاحسان انه اذا طلقها لا يأخذ منها شيئا من الذي أعطاه من المهر والثياب وسائر
 ما تفضل به عليها لانه استمتع بها في مقابلة ما أعطاه (الا أن يخاف أن لا يقيم حدود الله) أي أن لا يراعي
 مواجب أحكام الزوجة وقرأ حمزة بخاء بضم الياء (فان خفت أن لا يقيم حدود الله فلا جناح عليهما
 فيما افتدت به) أي فلا حرج على الزوج في أخذ ما افتدت الزوجة به نفسها من المال ليطلقها ولا
 عليها في اعطائه اياه بطيبة نفسها نزلت هذه الآية في شأن ثابت بن قيس بن شماس وفي شأن جميلة بنت
 عبد الله بن أبي اشترت نفسها من زوجها بعهرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت خذ منها
 ما أعطيتها واخل سبيلها ففعل فكان ذلك أول خلع في الاسلام وفي سنن أبي داود ان المرأة كانت حفصة
 بنت سهل الانصارية تتنبيه بجوز أن يكون أول الآية وهو قوله تعالى ولا يحل لكم أن تأخذوا خطايا
 للازواج وأخرها وهو قوله تعالى فان خفت خطايا اللائحة والحكم وذلك غير غريب في القرآن ويجوز
 أن يكون الخطاب كله لللائحة والحكم لانهم الذين يأمرون بالآخذ والاعطاء عند الترافع اليهم فكأنهم
 هم الآخذون والمؤتون ثم الخوف المذكور في هذه الآية يمكن حمله على الخوف المعروف وهو الاشفاق مما
 يكره وقوعه ويمكن حمله على الظن كما قرئ قراءة شاذة الا أن يظنوا الخوف اما أن يكون من قبل المرأة فقط
 أو من قبل الزوج فقط أو من قبلهما معا أولا يحصل الخوف من قبل واحد منهما فان كان الخوف من قبل
 المرأة بأن تكون ناشرة مبغضة للزوج فيحل له أخذ المال منها وان كان من قبل الزوج فقط بأن ينسحبها
 ويؤذيها حتى تلتزم الفداء فهذا المال حرام كما كان الخوف طاعلا من قبلهما معا فذلك المال حرام أيضا
 وان لم يحصل الخوف من قبل واحد منهما فقال أكثر المجتهدين ان هذا الخلع جائز والمال المأخوذ حلال
 وقال قوم انه حرام (تلك) أي ما تقدم ذكره من أحكام الطلاق والرجعة والخلع (حدود الله) أي أحكام
 الله بين المرأة والزوج (فلا تعدوها) أي فلا تتجاوزوا عنها (ومن يتعد حدود الله) أي ومن
 يتجاوز أحكام الله الى ما نهى الله عنه (فأولئك هم الظالمون) أي الضارون لانفسهم بتعريضها
 لسخط الله تعالى وعقابه (فان طلقها) بعد الطلقتين (فلا تحل له من بعد) أي من بعد التولية
 الثالثة (حتى تسلم زوجها غيره) أي المطلق مذهب جمهور المجتهدين ان المطلقة بالثلاث لا تحل لذلك الزوج
 الا بخمس شرائط تعتمد منه وتعد للثاني ويوطؤها ثم يطلقها ثم تعتمد منه وقال سعيد بن جبير وسعيد
 ابن المسيب تحل بمجرد العقد روى أن عجة بنت عبد الرحمن القرظي كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك

القرطبي فطلقها ثلاثاً فترجعت بعبد الرحمن بن الزبير القرطبي بفتح الزاي وكسر الباء فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت كنت تحت رفاعة فطلقني فبنت طلاق فترجعت بعبد الرحمن بن الزبير وانغمسه معه مثل هدبة الثوب وأنه أراد أن يطلقني قبل أبي عيسى أفأرجع إلى ابن عمي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتريدن أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك والعسيلة مجاز عن قليل الجماع اذ يكفي قليل انتشار وفي قصة عبد الرحمن بن الزبير نزل قوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره والحكمة في التحليل الردع عن المسارعة إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثاً (فإن طلقها) أي طلق الزوج الثاني المطلقة ثلاثاً (فلا جناح عليهما) أي المرأة والزواج الأول (أن يتراجعا) بنكاح جديد ومهر (إن ظننا أن يقيما حدود الله) أي أحكام الله فيما بين المرأة والزواج (وتلك) أي الأحكام (حدود الله) أي فرائض الله (بيدنا نفوم يعلمون) أنه من الله ويصدقون بذلك (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن ولم تنقض (فأمسكوهن بمعروف) أي فراجعوهن بغير ضرار بل بحسن الصحبة والمعاشرة (أو سرحوهن بمعروف) أي أو خلوهن حتى ينقض أجلهن بغير تطويل (ولا تمسكوهن ضراراً) أي لا تراجعوهن بسوء العشرة رتضييق النفقة (لتعتدوا) أي لتظلموهن بالالغاء إلى الافتداء ولتطيلوا عليهن العدة نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارتها حتى تبقى في العدة تسعة أشهر أو أكثر (ومن يفعل ذلك) أي الأمسك المؤدى إلى الظلم (فقد ظلم نفسه) أي أضرب بنفسه بتعريضها إلى عذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله) أي أمر الله ونهيه (هزوا) بأن تعرضوا عنها (وإذا كرروا نعمة الله عليكم) حيث هداكم إلى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية أي فاشكروها واحفظوها (وما أنزل) الله (عليكم من الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة (يعظكم به) أي يأمركم وينهاكم بما أنزل عليكم (واتقوا الله) في أوامره كلها ولا تخالفوه في نواهيه (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وتذرون (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) والخطاب أماً للزواج والمعنى حينئذ وإذا طلقتم النساء فانقضت عدتهن فلا تمنعهن من أن ينكحن من يريدون أن يتزوجوهن فإن الأزواج قد يعضلون مطلقاتهم ثم أن يتزوجن ظلمات وأماً للأولياء فنسبة الطلاق إليهم باعتبار تسببهم فيه كما يقع كثيراً أن الولي يطلب من الزوج طلاقها والمعنى حينئذ وإذا خلصتم النساء من أزواجهن بتطليقهن فانقضت عدتهن فلا تمنعهن من أن ينكحن الرجال الذين كانوا أزواجهن روى أن معقل ابن يسار زوج أخته جميلة عبد الله بن عاصم فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها ثم لم يجاء بخطبها لنفسه ورضيت المرأة بذلك فقال لها معقل إنه طلقك ثم تريدن مراجعته وجهي من وجهك حرام إن راجعته فأنزل الله تعالى هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقل وتلا عليه هذه الآية فقال معقل رغم أنفي لا مرد لي اللهم رضيت وسلمت لأمرك ثم أنشد أخته زوجها الأول عبد الله بن عاصم (إذا نراضوا بينهم) أي بأن يرضى كل واحد منهما ما أُلِزمه في هذا لعقد لصاحبه (بالمعروف) أي بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس (ذلك) أي تفضيل الأحكام (بوعظ به) أي بأمر به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المتعظ (ذلكم) أي العمل بالوعظ (أزكى لكم) أي أصح وأنفع لكم (وأطهر) للغلوب من العداوة والتهمة بسبب المحبة بينهما (والله يعلم) ما فيه صلاح أموركم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فعدوا رأيكم

(والوالدات) ولو مطلقات (برضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) من الأبوين
وليس فيما دون ذلك حد وانما هو على مقدار أصـلاح المولود وما يعيش به (وعلى المولود له) أي على
الأب (رزقهن) أي نفقتهن (وكسوتهن) لأجل الأرضاع اذا كن مطلقات من الأب طلاقاً بائناً
لعدم بقاء علة النكاح الموجبة لذلك ولو لم ترضعهم الوالدات لم يجب فإن كن زوجات أو رجعات فالرزق
والكسوة لحق الزوجية ولهن أجرة الرضاع ان امتنعن منه وطلبن ما ذكر (بالمعروف) أي بغير
إسراف وتقتير (لاتكاف نفس) بالنفقة على الرضاع (الأوسعها) أي الأبقدر ما أعطاه الله من
المال (لاتضار والدته بولدها) أي بأخذ ولدها منها بعد ما رضيت بما أعطى غيرها على الرضاع مع شدة
محبتها له (ولا مولود له) أي لا يضار أب (بولده) بطرح الولد عليه بعد ما عرف أمه ولا يقبل ثدي غيرها مع
أن الأب لا يمنع عليها من الرزق والكسوة (وعلى الواث مثل ذلك) أي على الصبي نفسه الذي هو
وارث أبيه المتوفى مثل ما على الأب من النفقة والكسوة فإنه ان كان له مال وجب أجر الرضاعة في ماله وان
لم يكن له مال أجبرت أمه على الرضاعة ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان وهو قول مالك والشافعي وقيل
المراد من الوارث الباقي من الأبوين أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا
واجعلهما الوارث منا (فان أرادنا) أي الوالدان (فصلاً) أي فطام الصبي عن اللبن قبل تمام
الحولين (عن تراض) أي باتفاق (منهما) لا من أحدهما فقط (وتشاور) أي تدقيق النظر
فيما يصلح الولد (فلا جناح عليهما) في ذلك وكما يجوز النقص عن الحولين عند اتفاق الأبوين عليه
كذلك تجوز الزيادة عليهما باتفاقهما (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي ان أردتم ان تطلبوا
مراضع لأولادكم (فلا جناح عليكم) في الاسترضاع (اذا سلمتم) الى المراضع (ما أتيتن) أي
ما أتيتنهن اياه أي ما أردتم ايتاءهن من الأجرة وقرأ ابن كثير وحده ما أتيتن مقصورة الالف أي ما أتيتن
به أي ما أردتم ايتاءه (بالمعروف) أي بالموافقة وليس تسليم الأجرة شرطاً لصحة الأجرة بل لتكون
المرضعة طيبة النفس راضية فيصير ذلك سبباً لصلاح حال الصبي والاحتياط في مصالحه (واتقوا الله) في
الضرار والمخالفة (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (والذين يتوفون منكم ويذرون
أزواجاً يتربص بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) أي والذين تقبض أزواجهم من رجالكم ويتربصون
أزواجاً ينتظرن بعدهم بأنفسهن في العدة أربعة أشهر وعشرة أيام وهذه العدة سببها الوفاة عند
الآثرين لا العلم بالوفاة كما قال به بعضهم فلوانتقضت المرأة أو أكثرها ثم بلغ المرأة خبر وفاة زوجها وجب
أن تعتد بما انتقضى والدليل على ذلك أن الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها انقضاء هذه المدة
(فاذا بلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت في تركهن (فيما فعلن
في أنفسهن) من التزين وغيره من كل ما حرم عليهن في زمن العدة لأجل وجوب الاحداد عليهن
(بالمعروف) أي بما يحسن عقلاً وشرعاً وقيل المخاطب بهذا الخطاب جميع المسلمين وذلك لانهم ان
تزوجن في مدة العدة وجب على كل واحد منعهن عن ذلك ان قدر على المنع فان عجز وجب عليه أن
يستعين بالسلطان (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير) فيجازيكم عليه (ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النساء أو كنتم في أنفسكم) أي ولا حرج عليكم فيما طلبتم النكاح من
النساء المعتدات بالوفاة والطلاق الثلاث بطريق التعريض وهو ذكر كلام محتمل مؤكداً بدلالة الحال
على المقصود كأن يقول ان جمع الله بيننا بالحلل يوجبني ذلك أو فيما أضرتم في قلوبكم من قصد نكاحهن

(علم الله أنكم ستذكروهن ولنكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا) أي اغما بأباح لكم التعريض لعله بأنكم لا تصبرون على السكوت عنهن لأن شهوة النفس إذا حصلت في باب النكاح لا يكاد يتجاوز ذلك المشتهي من العزم والتمني وبأنه لا بد من كونكم ستذكروهن بالخطبة فإذا ذكروهن وإن كن لا تواعدون بذكر الجماع وهو كما قال ابن عباس بأن لا يصف الخاطب نفسه لها بكثرة الجماع كأن يقول لها آتيلك الأربعة والخمسة إلا أن تسارروهن بالقول غير المنكر شرعا كأن يعدها الخاطب في السر بالاحسان إليها والاهتمام بشأنها والتكفل بعصا لها حتى يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكدا لذلك التعريض (ولا تعزموا) أي لا تحققوا (عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي - حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها وصارت منقضية (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما نيتتم عنه (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم على ذلك (واعلموا أن الله غفور) لمن يقطع عن عزمه خشية منه تعالى (حليم) لا يعاجلحكم بالعقوبة عن ذنوبكم (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوهن فريضة) وقرأ حمزة والكسائي عماسوهن بضم التاء وبالألف بعد الميم أي لا تقل عليكم بلزوم المهر إن طلقتم النساء ما لم تتجامعهن أو ما لم تبينا والهن مهر أفلا تعطوهن المهر (ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) أي أعطوهن متعة الطلاق جبرا لا يحاش الطلاق على الغنى قدر ماله وامكانه وعلى ضيق الرزق قدر ماله وطاقته تنبيه بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة واجبا على المؤمنين الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى طاعة الله تعالى لأن المتعة بدل المهر زالت هذه الآية في شأن رجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل أن يسمها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمتعها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك (وان طلقوهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعهن (وقد فرضتم لهن فريضة) أي وقد بينتم مهورهن (فنصف ما فرضتم) أي فنصف ما بينتم ساقط (الأن يعفون) أي إلا أن تسهل الزوجات بأبراء حقها فيسقط كل المهر (أو يعفو الذي بيده عقد النكاح) أي أو يسهل الزوج ببعث كل الصداق فيثبت السكك إليها (وأن تعفوا أقرب للتقوى) أي عفوبعضكم أيها الرجال والنساء أقرب للآفة وطيب النفس من عدم العفو الذي فيه التخصيف (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي ولا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض بأن يسهل الزوج المهر إليها بالسككية أو تترك المرأة المهر بالسككية (إن الله بما تعملون) من الفضل والاحسان (بصير) لا يضيع فضلكم واحسانكم بل يجازيكم عليه (حافظوا على الصلوات) الخمس بأدائها في أوقاتها كاملة الأركان والشروط وهذه المحافظة تكون بين العبد والرب كأنه قيل له احفظ الصلاة ليحفظك الإله الذي أمرك بالصلاة وتكون بين المصلي والصلاة فكأنه قيل احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة (والصلاة الوسطى) أي الفضلى قيل هي صلاة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وجابر وأبي أمامة الباهلي وهم من الصحابة وطاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهم من التابعين وهو مذهب الشافعي فإن أولها يقع في الظلام فأشبهت صلاة الليل وآخرها يقع في الضوء فأشبهت صلاة النهار ولأنها منفردة في وقت واحد لا تجمع بين غيرها ولأنها مشهودة لأنها تؤدي بحضرة ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل هي صلاة العصر وهو مروي عن علي وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة فإنها متوسطة بين صلاة شفع وصلاة وتر ولأن وقت صلاة العصر أخفى الأوقات فلا يظهر دخول وقتها إلا بنظر دقيق وتأمل عظيم في حال الظل فلما كانت معرفته أشق كانت الفضيلة فيها أكثر وقال بعض الفقهاء العصر وسط ولكن ليس هي

المذكورة في القرآن فهنا صلاتان وسطيان الصبح والعصر أحدهما ثبت بالقرآن والاخر بالسنة كما
 ان الحرم حرمان حرم مكة بالقرآن وحرم المدينة بالسنة واختار جمع من العلماء انها احدي الصلوات
 الخمس لا بعينها فابهمها الله تعالى تحريضا للعباد في المحافظة على ادا جميعها كما اخفى ليلة القدر في شهر
 رمضان واخفى ساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع الاسماء ليحفظوا على
 جميعها واخفى وقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا من الموت في كل الاوقات فيكون آتيا
 بالتوبة في كل الاوقات (وقوموا لله) في الصلاة (قانتين) اي ذاكرين داعين مواظبين على خدمة الله
 تعالى (فان خفتهم فرجالا أو ركبانا) اي فان خفتهم من عدو وغيرة فصلوا مشاة على أرجلكم بالايام
 في الركوع والسجود أو راكبين على الدواب حيثما توجهتم والخوف الذي يفيد هذه الرخصة اما أن يكون
 في القتال أو في غير القتال فالخوف في القتال اما أن يكون في قتال واجب أو مباح فالقتال الواجب هو
 كالقتال مع الكفار وهو الاصل في صلاة الخوف ويتحقق به قتال أهل البغي وكما اذا قصد الكافر نفسه
 فانه يجب الدفع عنه لئلا يكون اخلا بالمحق الاسلام وقد جوز الشافعي اداء الصلاة حال المسابقة والقتال
 المباح هو أن يدفع الانسان عن نفسه وعن كل حيوان محترم فيجوز في ذلك هذه الصلاة أما اذا قصد
 انسان باخذ المال فالاصح انه تجوز هذه الصلاة انולה صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد
 فالدفع عن المال كالدفع عن النفس وقيل لا تجوز لان حرمة الروح أعظم والخوف الحاصل في غير القتال
 كالهارب من الحرق والغرق والسبي والمطالب بالدين اذا كان معسرا خائفا من الحبس عاجزا عن بيعة
 الاهسا رفلهم أن يصلوا هذه الصلاة (فاذا أمنتهم) بزوال الخوف الذي هو سبب الرخصة (فادكروا
 الله) أي فافعلوا الصلاة (كما علمكم) بقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله
 قانتين لان سبب الرخصة اذا زال عاد الوجوب فيه والصلاة قد تسمى ذكرا كما في قوله تعالى فاسعوا
 الذكرا لله (ما لم تكونوا تعلمون) قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فاما فعول لعلمكم ان جعلت ما الاولي
 مصدرية أما ان جعلت موصولة فاعلم ان اولي أو من العائد المحذوف (والذين يتوفون منكم
 ويذرون أزواجا صبية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج) اي والذين يقربون من الوفاة من
 رجالكم ويتركون أزواجا عليهم أن يوصوا وصية لزوجاتهم في أموالهم بثلاثة أشياء النفقة والكسوة
 والسكنى الى تمام الحول من موتهم غير مخرجاتهم من مسكنهم وقرأ ابن كثير وناقع والكسائي
 وأبو بكر عن عاصم وصية بالرفع اي عليهم وصية أو المعنى والذين يقبضون من رجالكم ويتركون
 أزواجا بعد الموت وصية من الله لازواجهم فوصية مبتدأ ولازواجهم خبر اي أمره وتكليفه لمن
 (فان خرجن) عن منزل الأزواج باختيارهن قبل الحول (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت
 (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) اي غير منكر في الشرع اي فلا جناح على ورثة الميت
 في قطع النفقة والكسوة عنهن اذا خرجن من بيت زوجهن بما فعلن في أنفسهن من معروف من
 التزين ومن الاقدام على النكاح أو المعنى لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها
 حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها في الذي فعلن في أنفسهن من معروف من تزين وتشوق للزواج
 (والله عزيز) اي غالب على أمره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعي في أحكامه مصالح عباده واحتبار
 جمهور المفسرين ان هذه الآية منسوخة قالوا كان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل لم يكن
 لامرأته من ميراثه شيء الا النفقة والسكنى سنة ولكنها كانت مخيرة بين أن تعتد في بيت الزوج وأن تخرج

منه قبل الحول لكن متى خرجت سقطت نفقتها فهذه الوصية صارت مفسرة بالنفقة والكسوة والسكنى الى الحول فثبت ان هذه الآية توجب أمرين النفقة والسكنى من مال الزوج سنة والاعتداد سنة لان وجوب السكنى والنفقة من مال الميت سنة توجب المنع من التزوج بزوجة أخرى في هذه السنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين وقد دل القرآن على ثبوت الميراث لها بتعيين الربع أو الثمن ودلت السنة على انه لا وصية لوارث فصار مجموع القرآن والسنة ناسخا للوصية للزوجة بالنفقة والسكنى في الحول ووجوب العدة في الحول منسوخ بقوله تعالى يترهبمن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا (وللمطلقات متاع) أى متعة (بالمعروف) أى بقدر حال الزوجين وما يليق بهما (حقا على المتقين) قال الشافعى رحمه الله لكل مطلقة متعة الا المطلقة التى فرض لها مهر ولم يوجد فى حقها الميسر روى أنه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن الى قوله تعالى حقاً على المحسنين قال رجل من المسلمين ان أردت فعلت وان لم أرد لم افعل فقال تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين أى على كل من كان متقياً عن الكفر (كذلك) أى مثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) هذا وعد من الله تعالى بأنه سيدين لعباده من الأحكام ما يحتاجون اليه معاشاً ومعاداً (لعلكم تعقلون) أى لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ثم ذكر خبر غزاة بني اسرائيل فقال (ألم تر الى الذى خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) أى ألم يصل علمك الى الذين خرجوا من منازلهم لقتال عدوهم وهم ثمانية آلاف أو أربعة آلاف أو أربعون ألفاً كل ذلك عن ابن عباس على اختلاف الرواة فبينوا عن القتال مخافة القتل فأما تم الله مكانهم ثم أحياهم بعد ثمانية أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكاً من ملوك بني اسرائيل أمر عسكره بالقتال فخافوا القتال وقالوا الملكهم ان الأرض انتى نذهب اليها فيها الوياة فخن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوياة فأما تم الله تعالى بأسرهم وبقوا ثمانية أيام حتى اتفقوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم حظائر فأحياهم الله بعد الثمانية وبقي فيهم شئ من ذلك الثمن وبقي ذلك فى أولادهم الى هذا اليوم (ان الله لذو فضل على الناس) أى على أولئك القوم بسبب انه أحياهم ومكنهم من التوبة وعلى العرب الذين أنكروا المعاد الذين تسكوا بقول اليهود فى كثير من الأمور فبرجعون من الانكار الى الاقرار بالبعث بسبب أخبار اليهود لهم بهذه الواقعة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضله تعالى كما ينبغى أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره وهذه القصة تدل على أن الحذر من الموت لا يفيد فهذه القصة تشجع الانسان على الاقدام على طاعة الله تعالى كيف كان وترزىل عن قبله الخوف من الموت فكان ذكر هذه القصة فضلاً واحساناً من الله تعالى على عبده لان ذكر هذه القصة سبب لبعث العبد عن المعصية وقربه من الطاعة ثم قال الله لهم بعدما أحياهم (وقاتلوا فى سبيل الله) أى فى طاعة الله مع عدوكم ومميت العبادات سبيلاً الى الله تعالى من حيث ان الانسان يسلكها ويتوصل الى الله بها ومعلوم أن الجهاد تقوية للدين فكان طاعة فلاشك أن الجهاد مقاتل فى سبيل الله (واعلموا أن الله مهيمن) لكلامكم فى ترغيب الغير فى الجهاد وفى تنفير الغير عنه (عليهم) بما فى صدوركم من البواعث والاغراض وان ذلك الجهاد لغرض الدين أو لغرض الدنيا (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) قرأ أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائى فيضاعفه بالالف والرفع وقرأ عاصم فيضاعفه بالالف والنصب وقرأ ابن كثير فيضعفه بالتشديد والرفع بلا ألف وقرأ ابن عامر فيضعفه بالتشديد والنصب والمعنى من ذا الذى يعامل الله

بأنفاق ما في طاعته سواء كان الانفاق واجبا أو متطوعا به معاملة جامعة للخلال الذي لا يختلط بالحرام
والخاوص للخالص من المن والاذى وتلبية التقرب الى الله تعالى لا رياء ومهمة فيضا عفا الله جزاءه له في
الدنيا والآخرة أضعافا كثيرة لا يعلمها الا الله تعالى وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يكن
عنده ما يتصدق به فليعلن لليهود فإنه له صدقة ويرى أنه لما نزلت هذه الآية قالت اليهود ان الله فقير
ونحن أغنياء فهو يطلب منا القرض (والله يقبض ويبسط) أى يقبض الرزق عن من يشاء ولو أمسكه عن
الانفاق ويبسطه على من يشاء ولو أنفق منه كثيرا والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدم على
هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يقدم على هذه الطاعة (واليه ترجعون) فلما دبر ولاها كم سواء قال
ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن أبي الدحداح رجل من الانصار قال يا رسول الله انى حد يقتبين فان
تصدقت باحداهما فهل لي مثلهما في الجنة قال نعم قال وأم الدحداح هي قال نعم قال والصبيبة هي قال نعم
فتصدق بأفضل حديثيه وكانت تسمى الجنيينة فرجع أبو الدحداح الى أهله وكانوا في الحديقة
التي تصدق بها فقال على باب الحديقة وذو ذلك لامرأته فقالت أم الدحداح بارك الله لك في ما اشتريت
فخرجوا منها وسلموا فافكان صلى الله عليه وسلم يقول كم من نخلة رداح تدلى عروقه في الجنة لا بي
الدحداح (ألم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا للنبي لهم ابعث لنا ملكا) أى الم تخبر
يا أشرف الخلق عن قصة الرؤساء من بنى اسرائيل من بعد وفاة موسى حين قالوا للنبيهم شويل كما قاله
وهب بن منبه أو سمعون أو يوشع بن نون كما قاله قتادة أو حزقيل كما حكاه الكرماني أو اسمعيل بن حلقا
واسم أمه حسنة كما قاله مجاهد وسبب سؤال بنى اسرائيل نبيهم ذلك أنه لما مات موسى وعظمت
الخطايا سلب الله عليهم قوم حاولت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وغلبوا على
كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذرارهم وأسر وامن أبناء ملوكهم أربع مائة وأربعين غلاما وضرخوا
عليهم الجزية وأخذوا ثيابهم ولم يكن لهم حينئذ نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلك واقلما يبق
منهم الا امرأة حبلى فلبسوها في بيت فولدت غلاما فلما كبر كفه شيخ من علمائهم في بيت المقدس فلما
بلغ الغلام اثنا عشر ريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعث فيهم نبيا فلما
كذبوه وقالوا استهملت بالنبوة فان كنت صادقافين لنا ملك الجيش (نقاتل) بأمرهم مع عدونا
(في سبيل الله) أى في طاعة الله وانما كان صلاح أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وبطاعة
الملوك أنبياءهم فكان الملك هو الذي يسير بالجوع والنبي هو الذي يقيم أمرهم ويشير عليه برشده
(قال هبل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) أى قال نبيهم هل قاربتم أن لا تقاتلوا عدوكم
ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك (قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا) أى أى شئ ثبت لنا في ترك القتال الذي في طاعة الله والحوال انه قد أبعد بعضنا من
المنازل والاولاد والقائلون لنبيهم بما ذكر كانوا في ديارهم فسأل الله تعالى ذلك النبي فأوجب عليهم
القتال وعينه لهم ملكا ليقاتل بهم (فلما كتب) أى أوجب (عليهم القتال تولوا) أى أعرضوا عن
قتال عدوهم لما شاهدوا كثرة العدو وشوكتهم (الا قليلا منهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل
بحد (والله عليم بالظالمين) أى هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف دبه ولم يف بمما قيل من ربه (وقال لهم
نبيهم ان افقة دبعث لكم) أى لاجل سؤالكم (طالوت ملكا) أى لما سأل الله تعالى أن يبين
لهم ملكا أرسل الله له عصا وقرنا فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبك الذي يكون ملكا هو من يكون

طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فانتشر الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واصمه طالوت فدخل عليه رجل فانتشر الدهن في القرن فقام شمويل فقاسه بالعصا فكان على طولها وقال له قرب رأسك فقربه فدهنه النبي بدهن القدس وقال له أنت ملك بني اسرائيل الذي أمرني الله أن أملكك عليهم فقال طالوت أما علمت أن سببطي أدنى من سبط ملوك بني اسرائيل قال بلى فقال شمويل الله يوتى ملكه من يشاء كما قال الله تعالى (قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أى قالوا من أين يكون له الملك علينا والحال نحن أولى بالملك منه وليس له سعة المال لينفق على الجيش وانما قالوا ذلك لأنه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبط وسبط علكة فكان سبط النبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه موسى وهرون عليهم ما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلما قال لهم نبيهم ذلك أنكروا وقالوا هو دباغ أوراغ أو سقاء يستقى الماء على حماره وانما نزع الملك والنبوة منهم لانهم عملوا ذنبا عظيما كانوا ينسكبون النساء على ظهر الطريق جهارا فغضب الله عليهم بنزع ذلك منهم وكانوا يسمون سبط الاثم (قال) أى نبيهم (ان الله اصطفاه) أى اختاره بالملك (عليكم وزاده بسطة) أى سعة (في العلم) أى علم الحرب وعلم الديانات حتى قيل انه نبي أوحى اليه (والجسم) بالقوة على مبارزة العدو وبالجمال وبطول القامة فانه أطول من غيره برأسه ومنكبيه فكان أعلم بني اسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا (والله يوتى ملكه من يشاء) في الدنيا (والله واسم) بالعطية (عالم) بمن يليق بالملك (وقال لهم نبيهم) لما قالوا ليس ملكه من الله بل أنت ملكته علينا (ان آية ملكه) أى ان علامة صحة ملكه من الله (أن يأتىكم التابوت) أى الصندوق الذى أخذ منكم وهو صندوق التوراة وكانوا يعرفونه وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام لخطئه على بني اسرائيل لما عصوا وفسدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت أن يأتىكم التابوت من السماء الى الارض والملائكة يحفظونه فأتاهم والقوم ينظرون اليه حتى ترز عند طالوت (فيه سكينه من ربكم) أى كان في التابوت بشارات من كتب الله تعالى انزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بأن الله ينصر طالوت وجنوده ويرزىل عنهم الخوف من العدو (وبقية عما ترك آل موسى وآل هرون) وهى رضاى الألواح وعصا موسى وثيابه ونعلاه وشئ من التوراة ووراء هرون وعمامته (تحمله الملائكة) أى تسوقه الملائكة اليكم (ان فى ذلك) أى فى رد التابوت اليكم (آية لكم) أى علامة لكم دالة على ان ملكه من الله (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بتعليمه عليكم أو المعنى ان فى هذه الآية من نقل القصة معجزة باهرة دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بهذه التفاصيل من غير سماع من البشر ان كنتم عن يؤمن بدلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة والرسالة فلما رد اليهم التابوت قبلوا وخرجوا معه وهم ثمانون ألفا من الشبان الفارغين من جميع الاشغال (فلما فصل طالوت) أى خرج من بيت المقدس (بالجنود) أى بالجيش التى اختارها وكان الوقت قيظا وسلك بهم فى أرض قفرة فأصابهم حر وعطش شديد فطلبوا منه الماء (قال ان الله مبتليكم بنهر) أى يختبركم بنهر جارليظ هب منكم المطيع والعاصى وهو بين الاردن وفلسطين أى والمقصود من هذا الابتلاء أن يميز الصديق عن الزنديق والموافق عن المخالف (فمن شرب منه) أى

من ماء النهر (فليس مني) أي من أتباعي المؤمنين فلا يكون مأذونا في هذا القتال (ومن لم يطعمه) أي من لم يذقه (فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) فانه مني ويكون أهلا لهذا القتال قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وغرفة بفتح الغين وكذلك يعقوب وخلف وقرأ عاصم وابن عامر وحذرة والكسائي بالضم والغرفة بالهم الشئ القليل الذي يحصل في الكف والغرفة بالفتح الفعل وهو الاغتراف مرة واحدة فكانت تكفيهم هذه الغرفة لشربهم ودوابهم وحملهم (فشربوا منه) أي فلما وصلوا إلى النهر وقفوا فيه وشربوا منه بالكرع بالغم كيف شارا (الا قليلا منهم) ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا فلم يشربوا الا قليلا وهو الغرفة روى أن من اغترف غرفة كما أمر الله قوى قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه ودوابه وخدمه وحمله مع نفسه اما لانه كان مأذونا في أخذ ذلك المقدار واما لان الله تعالى يجعل البركة في ذلك الماء حتى يكفي لكل هؤلاء وذلك معجزة لنبي ذلك الزمان وأما الذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو (فلما جاوزه) أي النهر (هو) أي طالوت (والذين آمنوا معه) وهم أولئك القليل (قالوا) أي بعض من معه من المؤمنين لبعض (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي بجاربتهم وكانوا مائة ألف رجل شاكي السلاح (قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله) أي ملائكة الله بسبب هذه الطاعة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي كم من جماعة قليلة من المؤمنين غلبت جماعة كثيرة من الكافرين بنصر الله (والله مع الصابرين) أي معين الصابرين في الحرب بالنصرة يحتمل أن يقال المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين بعضهم عن يجب الحياة ويكره الموت فيخاف ويجزع ومنهم من كان شجاعا قوى القلب لا يبالي بالموت في طاعة الله تعالى فالأول هم الذين قالوا لا طاقة لنا اليوم والثاني هم الذين أجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ويحتمل أن يقال القسم الأول من المؤمنين لما شاهدوا قلة عسكرهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجارت وجنوده فلا بد أن نوطن على القتل لانه لا سبيل الى الفرار من أمر الله والقسم الثاني قالوا لا نوطن أنفسنا بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الأولين الترغيب في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الفريق الثاني الترغيب في طلب الفتح والنصرة (ولما برزوا) أي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصافوا (الجالوت) اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشام (وجنوده قالوا) جميعا متضرعين الى الله تعالى مستعينين به تعالى (ربنا أفرغ علينا صبرا) على مشاهدة المخاوف والامور الهائلة (وذهب أقدامنا) في مداحض القتال بكال القوة عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة (وانصرنا على القوم الكافرين) بقتلهم وهزمهم (فهزموهم باذن الله) أي كسروهم بنصرة الله اجابة لدعائهم (وقتل داود جالوت) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام كان راعيا وله سبعة اخوة مع طالوت فلما أبطأ خبر اخوته على أيهم أيسر أرسل ابنه داود اليهم ليأتيه بخبرهم فأتاهم وهم في المصاف وبادر جالوت الجبار وهو من قوم عاد الى البراز فلم يخرج اليه أحد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق لبارزني بعضكم فقال داود لا خوته أمانيكم من يخرج الى هذا الا قلف فسكتوا فذهب الى ناحية من الصنف ليس فيها اخوته فربه طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون عن يقتل هذا الا قلف فقال طالوت أتدع لي ابنتي وأعطيها نصف ملكي فقال داود فانا اخرج اليه وكان عادته أن يقاتل بالعلاج الذئب والاسد في الرعي وكان طالوت حاربا بجلادته فلما هم داود بأن يخرج الى جالوت مر بثلاثة أحجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا ميتة

جالوت فلم يخرج الى جالوت الكافر رماه فاصابه في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده ثلاثين رجلا فهزم الله تعالى جنود جالوت وخر جالوت قتيلا فاخذه داود ويجريه حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل وانصرفوا الى البلاد سالمين غانمين فجاء داود الى طالوت وقال انجزني ما وعدتني فزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك كما وعدته فكث معه كذلك أربعين سنة فمات طالوت وأتى بنو اسرائيل بداردوا أعطوه خزان طالوت واستقل داود بالملك سبع سنين ثم انتقل الى رحمة الله تعالى كما قال تعالى (وأتاه الله الملك) أي الكامل سبع سنين بعد موت طالوت أي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها (والحكمة) أي النبوة بعد موت شمويل وكان موته قبل موت طالوت ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة لاحد قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر ومع ذلك جمع الله تعالى له ولابنه سليمان بين الملك والنبوة (وعلمهما يشاء) كصناعة الدروع من الحديد وكان يلين في يده ويذهب عنه وفهم كلام الطير والنمل وكيفية القضاء وما يتعلق بمصالح الدنيا ومعرفة الالحان الطيبة ولم يعط الله تعالى احدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير ويركد الماء والجاري ويسكن الريح (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) بأهلها قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل المعنى ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لفسدت الارض عن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليندفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) (ولكن الله ذو فضل على العالمين) كافة بسبب ذلك الدفع (تلك) أي القصص بأخبار الامم الماضية (آيات الله) المنزلة من عنده تعالى (نتلوها عليك) أي بواسطة جبريل (بالحق) أي ملتبسة باليقين الذي لا يشك فيه أحد من أهل الكتاب لما يجدونها موافقة لما في كتبهم (وانك لمن المرسلين) الى الجن والانس كافة بشهادة اخبارك عن الامم الماضية من غير مطالعة كتاب ولا اجتماع على أحد بخبرك بذلك (تلك الرسل) أي جماعة الرسل (فضلنا بعضهم على بعض) في مراتب الكمال بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) بلا واسطة وهو موسى حيث كلمه ليلة الحيرة وهي تحيره في معرفة طريقه من مسيره من مدين الى مصر وفي الطور ومحمد حيث كلمه ليلة المعراج (ورفع بعضهم درجات) أي فضائل وهو ابراهيم لانه تعالى اتخذه خليلا وادبوت أحمدا مثله هذه الفضيلة وادريس فانه تعالى رفعه مكانا عليا وادفاه تعالى جمع له الملك والنبوة ولم يحصل هذا لغيره وسليمان فانه تعالى منحله الانس والجن والطير والريح ولم يكن هذا حاصل الا لبيه داود عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى خصه بأنه مبعوث الى الجن والانس وبأن شرعه ناسخ لكل الشرائع (وآتيناه عيسى بن مريم البينات) أي البجائب من احياء الموتى وبراء الكه والابرص والاخبار بالمغيبات (وأيدناه بروح القدس) أي أعناه بجبريل في أول أمره وفي وسطه وفي آخره وهو نفخ جبريل في عيسى وتعليمه العلوم وحفظه من الأعداء وعانته ورفعته الى السماء حين أرادت اليهود قتله (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد جاءتهم البينات) أي الذين جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (ولكن اختلفوا) في الدين (فتهم من آمن) بما جاء به أولئك الرسل من كل كتاب وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك فان اختلفا فهم في الدين يدعوهم الى المقاتلة (ولو شاء الله ما اقتتلوا) وهذا

التكرير ليس للتاكيد بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئة تعالى اعدم اقتتلهم بل الله تعالى مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتلهم ما اقتتلوا (واكن الله يفعل ما يريد) فيوفى من يشاء ويخذل من يشاء لا اعتراض عليه في فعله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) أي تصدقوا بشئ مما أعطيناكم من الاموال في طاعة الله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع) أي فداء (فيه ولا خلة) أي مودة (ولا شفاعة) للكافرين وقرأ ابن كثير و أبو عمرو بالغ في بيع وخلة وشفاعة والباقيون جميعا بالرفع (والكافرون هم الظالمون) حيث تركوا تقديم الخيرات ليوم حاجتهم وأنتم أيها الحاضرون لا تغتدوا بهم ولكن قدموا لانفسكم ما تجعلونه يوم القيامة فدية لانفسكم من عذاب الله تعالى وقيل المعنى والتاركون الزكاة هم الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب (الله لا اله) أي لا معبود بحق موجود (الا هو الحي) أي الباقي الذي لا يهيب عليه الموت والغناء (القيوم) أي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه في الابد والارزاق (لا تأخذه سنة) أي نعاس (ولا نوم) ثقيل فيشغله عن تدبيره وأمره أي لا يأخذه نعاس فضلا عن أن يأخذه نوم (له ما في السموات وما في الارض) وهذا رد على المشركين العابدين لبعض الكواكب التي في السماء وللانصنام التي في الارض أي فلا تصلح أن تكون معبودة لانها مخلوقة لله مخلوقه (من ذا الذي يشفع عنده الا بآذنه) أي لا يشفع عنده أحد من أهل السموات والارض يوم القيامة الا بأمره وهذا رد على المشركين حيث زعموا ان الانصنام تشفع لهم فانه تعالى لا يأذن في الشفاعة لغير المطيعين (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي يعلم ما قبلهم وما بعدهم أو ما فعلوه من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك (ولا يحيطون بشئ من علمه) أي يقليل من معلوماته (الاجمساء) أن يعلموه أي ان أحد الا يحيط بمعلومات الله تعالى الا ما شاء هو أن يعلمهم أو المعنى انهم لا يعلمون الغيب الا عند اطلاع الله به بعض أنبياءه على بعض الغيب (وسع كرسيه السموات والارض) فالكرسي جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة وهو أوسع من السموات والارض (ولا يؤوده حفظهما) أي لا يشغل عليه تعالى حفظ السموات والارض بغير الملائكة (وهو العلي) أي المتعالي بذاته عن الاشياء والانتظار (العظيم) أي الذي يستحق كل ما سواه بالنسبة اليه فهو تعالى أعلى وأعظم من كل شئ * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وعن علي أنه قال سمعت نبيكم على أعواد المنسبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت أي فاذا مات دخل الجنة ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد من قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات التي حوله (لا اكراه في الدين) أي لا اكراه على الدخول في دين الله (قد تبين الرشد من الغي) أي قد تميز الحق من الباطل والايان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الدلائل وروى انه كان لابي الحصين الانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فحلى سبيلهما ثم نزل في شأن منذر بن ساوى التميمي قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت) أي بالشيطان وبكل ما عبد من دون الله (ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) أي فقد استمسك بالنعمة المحسنة لا انقطاع لها أي فقد أخذ بالثقة لا انقطاع لصاحبها عن نعم الجنة ولا زوال عن الجنة ولا هلاك بالبقاء في النار (والله مسميع) لقول من يتكلم بالشهادتين وقول من يتكلم بالكفر

(عليم) بما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر وما في قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث أو يقال والله
سميع عليم لدعائك يا محمد بحرصك على اسلام اهل الكتاب وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يحب اسلام اهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله تعالى ذلك سرا وعلانية
(الله ولي الذين آمنوا) أي الله ناصر الذين آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه (يخرجهم) بلطفه
وتوفيقه (من الظلمات) أي الكفر (إلى النور) أي الإيمان (والذين كفروا) ككعب بن
الاشرف وأصحابه (أولياؤهم الطاغوت) أي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق (يخرجونهم)
بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال (من النور) الفطري أي الذي جبل عليه الناس كافة أو من
نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم (إلى الظلمات) أي ظلمات الكفر
والانهمالك في الضلال (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ما كثرون أبدا (ألم تر) أي ألم
تنظر (إلى) هذا الطاغوت كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور إلى الظلمات (الذي
حاج إبراهيم في ربه) أي إلى قصة الذي خاضع إبراهيم في دين رب إبراهيم وهو غر وذن كنعان (أن
أتاه الله الملك) أي فطغى وادعى الربوبية فحاج لأن أعطاه الله الملك (اذ قال إبراهيم ربني الذي يحيي
ويميت) أي يخلق الحياة والموت في الأجساد وقرأ حمزة ربني بسكون الياء وهذه الحاجة مع إبراهيم بعد
القائه في النار وخر وجهه منها سالما وذلك ان الناس قحطوا على عهد غر وذن وكان الناس يمتدرون من عنده
فكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأتاه إبراهيم فقال له
من ربك فقال له ذلك (قال أنا حيي وأميت قال إبراهيم) له ائتني ببستان ذلك فدعا غر وذن جلين من
السجن فقتل واحدا وترك واحدا قال هذا ببيان ذلك قال إبراهيم (فان الله يأتي بالشهس من المشرق)
في كل يوم (فأتى بهما من المغرب) ولو يوما واحدا ان كنت صادقا فيما تدعيه من الربوبية (فبهت الذي
كفر) أي سكت بغير حجة أي فيبقى مغلوبا لا يجد للحجة مقالا ولا للمسئلة جوابا (والله لا يهدي القوم
الظالمين) بالكفر إلى طريق الحق (أو كالذي) أي أرايت مثل الذي (مر على قرية) هي بيت
المقدس كما أخرجه ابن جرير عن وهب عن قتادة والضحاك وعكرمة والربيع أو القرية التي أهلك الله فيها
الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت كما نقل عن ابن زيد أي قد أرايت الذي مر على قرية كيف
هداه الله وأخرجهم من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والمآر هو عزيز بن سرحا كما روى عن علي بن أبي
طالب وعن عبد الله بن سلام وعن ابن عباس (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها بأن
سقطت السقوف أولا ثم الابنية (قال أني يحيي هذه الله بعد موتها) أي كيف يحيي الله أهل هذه
القرية بعد موتهم تعجبا من قدرة الله تعالى على أحيائها (فأما الله) مكانه فكان ميتا (مائة عام ثم
بعثه) أي أحياه في آخر النهار (قال) تعالى له (كم لبثت) أي مكنت هنا يا عزيز بعد الموت والقائل
هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك القول من قبله تعالى (قال لبثت يوما) ثم نظر إلى الشمس وقد بقي منها
شيء فقال (أو بعض يوم قال) أي الله له أو الملك (بل لبثت) ميتا (مائة عام فانظر إلى طعامك) أي التين
والعنب (وشرابك) أي العصير (لم يتسنه) أي لم يتغير ولم ينصب في هذه المدة المتطاولة فكان
التين والعنب كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته واللبن قد حلب من
ساعته (وانظر إلى حمارك) كيف تقطعت أوصاله وكيف تلوح عظامه بيضاء فعلنا ذلك الأحياء
لتعائن ما استبعدته من الأحياء بعد دهر طويل (وانجعلك آية للناس) أي لكي نجعلك علامة للناس

في احياء الموتى انهم يحيون على ما عوتون لانه مات شبابا وبعث شبابا وعبرة للناس لانه كان ابن اربعين سنة
 وابنه ابن مائة وعشرين سنة (وانظر الى العظام) أي عظام الحمار (كيف تنتشرها) قرأ نافع وابن
 كثير وأبو عمر وبالراء أي كيف يحييها ونخلتها وقرأ حمزة والكسائي تنتشرها بالراء المنقوطة أي كيف
 نرفع بعضها على بعض (ثم نكسوها الحما) أي نثبت عليها العصب والعروق واللحم والجلد والشعر
 ونجعل فيه الروح بعد ذلك (فلما تبين له) وقوع ما كان يستبعد وقوعه (قال أعلم أن الله على كل شيء)
 من الحياة والموت (قدير) روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في سبب نزول هذه الآية قال ان
 بختنصر البابلي غزا بني اسرائيل وهو في ستمائة ألف راية فسي من بني اسرائيل الكثير ومنهم عزيز وكان
 من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزيز تلك القرية التي انهدمت حيطانها ونزل تحت شجرة وهو على
 حمار فربط حماره وطاق في القرية فلم ير فيها أحدا ففجأ من ذلك وقال أني يحيي هذه الله بعد موتها وذلك
 على سبيل الاستبعاد بحسب العادة لا على سبيل الشك في قدرة الله وكانت الاشجار مثمرة فتناول من
 الفاكهة التين والعنب وشرب من عصير العنب وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ونام
 فأما الله تعالى في منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عن موته أيضا الانس والسباع والطيور ثم أحياء الله
 تعالى بعد مائة ونودي من السماء يا عزيز كم لبثت بعد الموت فقال يوما فأبصر من الشمس بقية فقال أو بعض
 يوم فقال الله تعالى بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشربك من العصير لم يتغير طعمها
 فنظر فاذا التين والعنب كما شاهد هما ثم قال تعالى وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض تلوح وقد
 تفرقت أوصانه وسمع صوتا أيتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم أجزاء العظام بعضها الى بعض
 ثم التصق كل عضو بما يليق به الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب والعروق ثم أنبت طراة اللحم
 عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق نفرا عزيزا جدا
 وقال أعلم أن الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس لما روى انه لما مضى من وقت موته سبعون
 سنة سلط الله ملكا من ملوك فارس فسار بجنوده حتى أتى بيت المقدس فعمره وصار أحسن مما كان ورد
 الله تعالى من بقي من بني اسرائيل الى بيت المقدس ونواحيه فعمره وهاتل اثنين سنة وكثروا كأحسن
 ما كانوا وأعمى الله العيون عن العزيز هذه المدة فلم يره أحد فلما مضت المائة أحياء الله تعالى منه عينييه
 وسائر جسده ميت ثم أحياء الله تعالى جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره كما سبق فلما دخل بيت المقدس
 قال القوم حدثنا آباؤنا أن عزيز بن مروحاً وابن شريكاً ماتا ببابل وقد كان بختنصر قتل في بيت
 المقدس أربعين ألفاً من قرأ التوراة وكان فيهم عزيز والقوم ما عرفوا انه يقرأ التوراة فلما أتاهم
 بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملأها عليهم عن ظهر قلبه لم يخسر منها حرفاً كانت التوراة قد دفت
 في موضع فأخرجت وعورض بها أملاء فما اختلفا في حرف فعد ذلك قالوا عزيز ابن الله (و) ألم تر
 (اذ قال ابراهيم) هذا دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجهم من الظلمات الى النور (رب
 أرني كيف يحيي الموتى) قال الحسن والضحك وقتادة وعطاء وابن جريح انه رأى جيفة مطروحة في
 شط النهر فاذا من البحر كل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت واذا ذهبت
 السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت فقال ابراهيم رب أرني كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون
 السباع والطيور ودواب البحر (قال) تعالى (أولم تؤمن) أي أتسأل ولم توقن بقدرى على الاحياء
 (قال بلى) أنا موثق بذلك (ولكن ليطمئن قلبي) أي ولكن سألت ما سألت لتسكن حرارة قلبي وأعلم

بأنى خليك مستجاب الدعوة والمطلوب من السؤال أن يصير العلم بالاستدلال ضروريا (قال نخذ أربعة من الطير) أشمتا وزاودا وكاوسا ورألا وهو فرخ النعام كما أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس من طريق الضحاك أوطاوسا وديكا وحمامة وغرنوقا وهو الكركي كما أخرج عنه من طريق حنش (فصرهن) قرأه حمزة بكسر الصاد والباقون بضمها وتخفيف الراء أى قطعهن وابلهن (اليك) فقطع إبراهيم أعضائها ولحومها وریشها ودماءها وخلط بعضها ببعض (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) أى ثم ضع على كل جبل من أربعة أجبل منهن جزأهن أى على حسب الطيور الأربعة وعلى حسب الجهات الأربعة أيضا (ثم ادعهن) بأسمائهن أى قل لهن تعالين يا وزو يا ديك ويا طاوس ويا رأل باذن الله تعالى (يا تينك سعييا) أى مشيا مريعا ولم تأت طائفة ليتمحقق أن أرجلها سليمة في هذه الحماة (واعلم أن الله عزيز) أى غالب على جميع الممككات (حكيم) أى عليم بعواقب الأمور وغايات الأشياء روى أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذيبحها وتنفريشها وتقطيعها جزأ جزأ وخلط دماؤها ولحومها وأن يعسك رؤسها بيده ثم أمر بأن يجعل أجزائها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالى ثم أخذ كل جزء يطير إلى الآخر حتى تكاملت الجثث ثم أقبلت كل جثة إلى رأسها سعييا على أرجلها وانضم كل رأس إلى جثته وصار الكل أحياء باذن الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) أى صفة صدقات الذين ينفقون أموالهم في دين الله كصفة حبة أخرجت سبع سنابل أو المعنى مثل الذين ينفقون أموالهم في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل زارع حبة أخرجت سافات شعب منه سبع شعب في كل واحدة منها سنبله (في كل سنبله مائة حبة) كما يشاهد ذلك في النرة والدخن بل فيهما أكثر من ذلك (والله يضاعف) فوق ذلك (لمن يشاء) على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ولذلك تفرقت مراتب الأعمال في مقادير الثواب (والله واسع) أى لا يضيق عليه ما يفضله من التضعيف (عليم) بنية المنفق وعن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من نار لا أذى) والمن هو الاعتداد بالنعمة واستعظامها على المنفق عليه والأذى بأن يؤذى المنفق عليه بالقول أو العيوس في وجهه أو الدعا عليه وقيل المراد هو المن على الله وهو العجب والأذى لصاحب النفقة (لهم أجرهم) أى ثواب انفاقهم (عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) أى فلا يخافون فقد أجورهم ولا يخافون العذاب البتة (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم نزلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهز جيش العسرة في غزوة تبوك بألف بعير باقتباها وألف دينار فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يقول يا رب عثمان رضيت عنه فارض عنه وأما عبد الرحمن بن عوف فإنه تصدق بنصف ماله أربعة آلاف دينار وقال كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسى وعليا أربعة آلاف وأخرجت أربعة آلاف لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤونتهم ولم يخطر ببالهم شيء من المن والأذى (قول معروف) أى كلام جميل يرد به السائل من غير إعطاء شيء (ومغفرة) من المسؤول عن بذاة لسان الفقير (خير) للسائل (من صدقة يتبعها أذى) لكونها مشوبة بضرر التعبير به بالسؤال (والله غني) عن صدقة العباد فأنما أمركم بالصدقة ليشيكم عليها (حليم) إذ لم يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذى بصدقته (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أى أجر صدقاتكم (بالمنا والأذى)

قال ابن عباس أي بالمن على الله معناه العجب بسبب صدقتكم وبالأذى للسائل وقال الباقون بالمن على
 الفقير وبالأذى للفقير (كالذي) أي كابطال أجر نفقة الذي (ينفق ماله رثاء الناس) أي سمعة الناس
 ولطلب المدح والشهرة (و) كالذي (لا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهو المنافق فإن المنافق والمرائي يأتيان
 بالصدقة لالوجه الله تعالى ومن يقرن الصدقة بالمن والأذى فقد أتى بتلك الصدقة لالوجه الله أيضا إذ لو كان
 غرضه من تلك الصدقة مرضاة الله تعالى لما من على الفقير ولا آذاه فالمقصود من الإبطال الاتيان بالانفاق
 باطلا لان المقصود الاتيان به ~~مما~~ يحاتم احباطه بسبب المن والأذى والوجه كما قال بعضهم اذا فعل ذلك
 فله أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن (مثله) أي خالة المرائي في الانفاق (كمثل
 صفوان) وقيل الضمير ما تدعى المنافق فيكون المعنى ان الله تعالى شبه المان والمؤذى بالمنافق ثم شبه
 المنافق بالجرا الكبير الأملس (عليه تراب) أي شئ من التراب (فأصابه وابل) أي مطر شديد
 (فتركه صلدا) أي جعل المطر ذلك الجرا أملس نقيما من التراب (لا يقدر وون على شئ مما كسبوا) أي
 لا يقدر وون على ثواب شئ في الآخرة مما أنفقوا في الدنيا رثاء أو المعنى لا يجسد المان والمؤذى ثواب صدقته
 كما لا يوجد على الصفوان التراب بعد ما أصابه المطر الشديد (والله لا يهدي القوم الكافرين) إلى الخير
 والرشاد وفي هذه الآية تعريض بأن كلام من الرياء والمن والأذى على الانفاق من خصائص الكفار فلا بد
 للمؤمنين أن يجتنبوها (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة
 بربوة أصابها وابل) أي مثل أموال الذين ينفقون أموالهم طلب رضا الله تعالى ويقيننا من قلوبهم بالشواب
 من الله تعالى وتصديقاً بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خيراً لهم مما تركوا كمثل بستان في مكان مرتفع مستو
 أصابه مطر شديد كثير (فسأنت أكلها ضعفين) أي فأخرجت ثمرها مضاعفاً مثلي ما يثمر غيرهما بسبب
 الوابل متحمل من الربيع في سنة ما يحمل غيرها في سنتين (فإن لم يصبها وابل فطل) أي رش مثل الرذاذ
 يكفيها لجلودتها ولطافة هوائها والمعنى أن نفقات هؤلاء زكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وإن كانت
 تنفقت باعتبار ما يقارنهما من الأحوال (والله بما تعملون) محلاً ظاهراً أو قلبياً (بصير) لا يخفى عليه
 شئ منه (أيودأ أحدكم) أي أيحب حباً شديداً أو يمتنى (أن تكون له جنة) أي بستان (من نخيل
 وأعناب تجري من تحتها) أي تطرد (الأنهار) من تحت شجرة تلك الجنة ومساكنها (له فيها من كل الثمرات)
 أي لذلك الواحد حال كونه في الجنة رزق من كل الثمرات (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء) أي وقد
 أصابه كبر السن فلا يقدر على الكسب والحال ان له أولاداً صغاراً لا يقدر وون على الكسب (فأصابها) أي
 الجنة (اعصار) أي ريح ترتفع إلى السماء كأنها عمود (فيه نار فاحترقت) أي تلك الجنة والمقصود
 من هذا المثل بيان انه يحصل في قلب هذا الانسان من الغم والحسرة والحيرة ما لا يعلمه الا الله فكذلك من أتى
 بالأعمال الحسنة الا انه لا يقصد بها وجه الله بل يقرن بها أموراً تخرجها عن كونها موجبة للشواب حين
 يقدم يوم القيامة وهو حيث تد في غاية الحاجة ونهاية العجز عن الاكتساب عظمت حسرته وتناهت حيرته
 (كذلك) أي مثل هذا البيان في أسرار النفقة المقبولة وغيرها (يبين الله لكم الآيات) أي الدلائل في
 سائر أمور الدين (لعلكم تتفكرون) أي لكي تتفكروا في أمثال القرآن (يا أيها الذين آمنوا
 أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أي زكوا من جيا دما جمعتم من الذهب والفضة وعروض التجارة والمواشي
 (ومما أخرجنا لكم من الأرض) من الحبوب والثمار والمعادن (ولا تيمموا الخبيث) أي ولا تقصدوا
 الردي من أموالكم (منه تنفقون ولستم بأخذه) فقوله منه استفهام على سبيل الإنكار وهو متعلق

بالفعل بعده والمعنى آمن الخبيث تنفقون في الزكاة والحال انه لم يستم قابلي الخبيث اذا كان لكم حق على صاحبكم (الا ان تغضوا فيه) أي الابان تساهلوا في الخبيث وتركوها بعض حقكم كذلك لا يقبل الله الردي منكم (واعلموا ان الله غني) عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم (حميد) أي مستحق الحمد على نعمة العظام وقيل حامد بقبول الجيد وبالاثابة عليه (الشيطان يعدكم الفقر) أي ابليس يخوفكم بالفقر عند الصدقة ويقول لكم امسكوا أموالكم فانكم اذا انصدقتهم صرتم فقراء أو المعنى النفس الامارة بالسوء توسوس لكم بالفقر (ويأمركم بالفحشاء) أي بالجمل ومنه الزكاة والصدقة (والله يعدكم) بسبب الانفاق (مغفرة منه) عز وجل (وفضلاً) أي خلفاً في الدنيا وثواباً في الآخرة (والله واسع) بالمغفرة للذنوب وبإغنائهكم واخلاف ما تنفقونه (عليهم) بنياتكم وصدقاتكم (يؤتي الحكمة من يشاء) فالحكمة هي العلم النافع وفعل الصواب ف قيل في حد الحكمة هي التخلق باخلاق الله بقدر الطاقة البشرية كقوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا بأخلاق الله تعالى (ومن يؤتي الحكمة) أي اصابة القول والفعل والرأي (فقد أوتي خيراً كثيراً) أي أعطى خير الدارين (وما يذكر) أي ما يتفكر في الحكمة (الأولوالالباب) أي الأصحاب العقول السليمة من الزكون الى متابعة الهوى (وما أنفقتم من نفقة) أي أي نفقة كانت في حق أو باطل في سر أو علانية قليلة أو كثيرة (أو نذرتهم من نذر) أي أي نذر كان في طاعة أو معصية بشرط أو بغير شرط متعلق بالمال أو بالأفعال كالصيام (فان الله يعلمه) أي ما أنفقتموه فيحاسبكم عليه (وما للظالمين) بالانفاق والنذر في المعاصي أو بمنع الزكاة وعدم الوفاء بالنذر أو بالانفاق بالخبيث أو بالرياء والمن والاذى (من أنصار) أي أعوان ينصرونهم من عقاب الله (ان تبدوا الصدقات فنعما هي) أي ان تظهروا الصدقات فنعماً شيئاً اظهرها بعد ان لم يكن رياءاً ومهمة (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) أي أفضل من ابدائها وايتائها الاغنيا روى انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر نكفر بالنون ورفع الراء وقرأ نافع وحزمة والكسائي بالنون والجزم أي ونكفر عنكم سيئاتكم بكم بقدر صدقاتكم وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم يكفر بالياء والرفع والمعنى يكفر الله أو يكفر الاخفاء وقرئ قراءة شاذة تكفر بالياء وبالرفع والجزم والفاعل راجع للصدقات وقرأ الحسن بالتاء والنصب باضمار أن (والله بما تعلمون) من الصدقة في السر والعلانية (خبير) لا يخفي عليه شيء منه (ليس عليكم هداهم) أي ليس عليكم هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم (ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته الى الدخول في الاسلام روى أن نتميلة أم أسماء بنت أبي بكر وجدتاهما مشركتان جاءتا أسماء تسألانها شيئاً فقالت لا أعطيكما - حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما السمتا على ديني فسألتها عن الصدقة على الكفار فقالت هل يجوز لنا يا رسول الله ان نتصدق على ذوي قرابة تنان من غير أهل ديننا فانزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتصدق عليهما (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أي وكل نفقة تنفقونها من نفقات الخير ولو على كافر فانما هو يحصل لانفسكم ثوابه فلا يضركم كفرهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) أي ولستم في صدقاتكم على أقرار بكم من المشركين تقصدون الا وجه الله فقد علم الله

هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم تبتغون بذلك وجه الله في صلة رحم وسد خلة مضطر وليس عليكم
 اهتداؤهم حتى يمنعكم ذلك من الانفاق عليهم (وماتنفقوا من خير) أى من مال على الفقراء (بوف
 اليكم) أى يوفى اليكم ثواب ذلك فى الآخرة (وانتم لاتظلمون) أى لاتنقصون من ثواب أعمالكم شيئا
 (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض) أى ذلك الانفاق المحثوث عليه
 للفقراء الذين حبسوا أنفسهم ووقفوها على الجهاد لان الجهاد كان واجبا فى ذلك الزمان نزلت هذه الآية
 فى حق فقراء المهاجرين من قريش وكانوا نحو أربع مائة وهم أصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشاء
 بالمدينة وكانوا ملازمين المسجد ويتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة لا يستطيعون سفرا
 فى الأرض ثم عدم الاستطاعة للسير اماله نشغلهم بصلاح الدين وبأمر الجهاد فذلك يمنعهم من الاشتغال
 بالكسب والتجارة واما خوفهم من الأعداء كما قاله قتادة وابن زيد لان الكفار كانوا مجتمعين حول المدينة
 وكانوا متي وجذوهم قتلوهم فذلك يمنعهم من السفر واما مرضهم بالجروح كما قاله سعيد بن المسيب ولججزهم
 لفقرهم كما قاله ابن عباس وذلك يمنعهم من السفر فحث الله عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به
 اذا أمسى (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أى يظنهم من لم يختبر أمرهم أغنياء لاظهارهم
 التحمل وتركهم المسئلة (تعرفهم) أيها المخاطب (بسمياعهم) أى بعلامتهم من الهيبة ووقع فى قلوب
 الخلق وأثار الحشوع فى الصلاة فكل من رآهم تواضع لهم روى انهم كانوا يقومون الليل للمسجد
 ويحتطبون بالنهار للتعفف (لايسألون الناس الخافا) أى لا سؤال لهم أصلا فلا يقع منهم الخاف أى
 كثرة التلطف وملازمة المسؤل أى انهم سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمنون الى ذلك السكوت من رثاة
 الحال واظهار الانكسار ما يقوم مقام السؤال على سبيل الخاف بل يزينون أنفسهم عند الناس
 ويتحملون بهذا الخلق ويجعلون فقرهم وحاجتهم بحيث لا يطلع عليه الا الخالق والمراد بقوله تعالى
 لايسألون الناس الخافا التنبيه على سوء طريقة من يسأل الناس الخاف عن ابن مسعود رضى الله عنه ان
 الله يحب العفيف المتعفف ويبغض الفاحش الذى السأل الملهف الذى أن أعطى كثيرا أفرط فى
 المدح وان أعطى قليلا أفرط فى الذم (وماتنفقوا من خير) أى من مال (فان الله به عليم) فيجازيكم
 على ذلك أحسن جزاء وهذا يجرى مجرى ما اذا قال السلطان العظيم لعبده الذى استحسنت خدمته ما يكفىك
 بأن يكون على شاهد كيفية طاعتك وحسن خدمتك فان هذا أعظم وقعا مما اذا قال له ان أجرك واصل
 اليك (الذين ينفقون أموالهم) فى الصدقة (بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) فى
 الجنة (ولا خوف عليهم) بالدوام (ولا هم يحزنون) اذا حزن غيرهم * قيل لما نزل قوله تعالى
 للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف الى أصحاب الصفة بدنانير وبعث على
 رضى الله بوسق من تمر لياقنزلت هذه الآية وقال ابن عباس ان عليا رضى الله عنه ما يملك غير أربعة
 دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال صلى الله عليه وسلم ما حملك على
 هذا فقال أن أستوجب ما وعدنى ربى فقال لك ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى شأن أبى بكر
 الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر
 وعشرة فى العلانية وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب انها نزلت فى عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان
 وقال الأوزاعي نزلت فى الذين يربطون الخيل للجهاد وينفقون عليها (الذين يأكلون الربا) أى يأخذونه
 استغلالا (لا يقومون) من قبورهم اذا بعثوا (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى

الآقيا ما كقيام الذي يتخيله الشيطان من اصابة الشيطان بالجنون في الدنيا أي ان كل الربا يبعث يوم
القيامة مجنوناً وذلك كالعلامة المخصوصة بآكل الربا فيعرفه أهل الموقف بتلك العلامة انه آكل الربا في
الدنيا فعلى هذا معنى الآية انهم يقومون مجانين كمن أصابه الشيطان بالجنون (ذلك) أي كون التخيل
علامة آكل الربا في الآخرة (بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) أي انما الزيادة في البيع كذا في زيادة الربا
أي لك العذاب بسبب انهم نظمو الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا
يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا أصلاً في الحل وقاسوا به
البيع مع وضوح الفرق بينهما فان أحد الدرهمين في الأول ضائع حتم في الثاني من غير عسائس الحاجة الى
السلعة أو بتوقع رواجها (وأحل الله البيع وحرم الربا) أي أحل الله لكم الربا في التجارة بالبيع
والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل (فمن جاءه موعظة) أي زجر وتخويف
عن الربا (من ربه فانهي) أي امتنع عن أخذه (فله ماسلف) قال السدي أي له ما أكل من الربا
وليس عليه رد ماسلف فأما ما لم يقض بعد النهي فلا يجوز له أخذه وانما له رأس ماله فقط (وأمره الى الله)
أي يجازيه على انتهائه عن أخذه ان كان عن قول الموعظة وصدق النية (ومن عاد) الى تحليل الربا
بعد التحريم (فاولئك أصحاب النار) أي ملازموها (هم فيها خالدون) أي ما كثون أبداً (يعق الله
الربا) أي يهلك المال الذي دخل فيه في الدنيا والآخرة قال ابن عباس ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة
ولا جهاد ولا حجاراً لصلته رحم (ويربى الصدقات) أي يبارك في المال الذي أخرجت منه في الدنيا
والآخرة وفي الحديث ان الملك ينادي كل يوم اللهم يسر لكل منفق خلاقاً ولمسك ثلغاً (والله لا يحب كل
كفار) أي جاحد بتحريم الربا (أنيم) أي فاجر بأخذه مع اعتقاد التحريم (ان الذين آمنوا) بالله
ورسله وكتبه وتحريم الربا (وعملوا الصالحات) أي فيما بينهم وبين ربهم وتركوا الربا (وأقاموا
الصلاة) أي أتوا الصلوات الخمس بما يجب فيها (وآتوا الزكاة) أي أعطوا زكاة أموالهم (لهم أجرهم
عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) من مكروهات (ولا هم يحزنون) على محبوبات (يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله) أي قوا أنفسكم عقابه (وذروا ما بقى من الربا) أي اتركوا طلب ما بقى مما زاد
على رؤس أموالكم (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بقلوبكم في تحريم الربا (فان لم تفعلوا) ما أمرتم
به بأن لم تتركوا الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أي فاستعدوا للعذاب من الله في الآخرة بالنار
ولعذاب من رسوله في الدنيا بالسيف (وان تبتم) من معاملة الربا (فلكم رؤس أموالكم) أي
أصولها دون الزيادة (لا تظلمون) الغريم بطلب الزيادة على رأس المال (ولا تظلمون) أي بنقصان
رأس المال وبالمطل (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) أي وان وقع غريم من غرمائكم ذو حالة
يتعسر فيها وجود المال فيجب عليكم امهاله الى وقت يسار وسعة (وان تصدقوا خير لكم) أي تصدقكم
على المعسر برؤس أموالكم خير لكم من الأخذ والتأخير لانه حصل لكم الثناء الجميل في الدنيا
والثواب الجزيل في الآخرة (ان كنتم تعلمون) فضل التصديق على الانتظار والقبض (واتقوا يوماً
ترجعون فيه الى الله) أي الى حسابه لاهمالكم وهو يوم القيامة (ثم توفي كل نفس ما كسبت) أي ثم
توفر فيه كل نفس برة وفاجرة جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) بنقص حسنة أو زيادة سيئة
(يا أيها الذين آمنوا) بالله والرسول (اذنوا ينتمدين الى أجل مسمى فاكتبوه) أي اذا دأب بعضكم
بعضاً وعامله نسيئة معطياً أو أخذ الى وقت معلوم بالايام أو الاشهر ونحوهما معاير رفع الجهانة لا بالحصار

ومحموه عمالا يرفعها فاكتموا الذين بأجله لأنه أوثق وأرفع للنزاع والا كثرون على ان هذه الكتابة أمر استحباب فان ترك فلا بأس وهو أمر تسليم ترجع فائدة الى منافع الخلق في دنياهم فلا يشاب عليه المكلف الا ان قصد الامتناع قال المفسرون المراد بالمداينة السلم فانه تعالى لما منع الربا في الآية المتقدمة أذن في السلم في جميع هذه الآية مع ان جميع المناقم المطلوبة من الربا حاصلة في السلم ولهذا قال بعض العلماء لا نذرة ولا منفعة وصل اليها بالطريق الحرام الا وضع الله تعالى لتحصيل مثل تلك النذرة طريقا حلالا وسيبلا مشروعا والرض غير الدين لان القرض أن يقرض الانسان دراهم أو دنانير أو حبا أو تمرا أو ما أشبه ذلك ويسترد مثله ولا يجوز فيه الاجل والدين يجوز فيه ذلك فذكر الاجل في القرض ان كان لغرض المقرض أفسده والا فلا يفسده ولا يجب الوفاء به لكمه يستحب قال ابن عباس ان هذه الآية نزلت في السلف لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسلفون في التمر الستين والثلاث فقال صلى الله عليه وسلم من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم وقال أكسر المفسرين ان البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فلا يكون داخل تحت هذه الآية ببيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت هذه الآية (وليكتب) كتاب الدين (بينكم) أي بين الدائن والمدين (كاتب بالعدل) أي بحيث لا يزيد في المال والاجل ولا ينقص في ذلك (ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) أي ولا يمنع أحد من ان يكتب كتاب الدين بين الدائن والمدين على طريقة ما علمه الله كتابة الوثائق فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله اياها (وليمل الذي عليه الحق) أي وبين المدين على الكاتب ما علمه من الدين لانه المشهود عليه فلا بد أن يكون هو المقر (وليتق الله ربه ولا يخش منه شيئا) أي ولا يخش المدين ربه بأن يقر ببلغ المال الذي عليه ولا ينقص ما عليه من الدين شيئا في القاء اللفاظ على الكاتب (فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يعل هو فليمل وليه) أي فان كان المدين نائص العقل مبذرا أو عاجزا عن سماع اللفاظ للكاتب لصغر أو كبر وضعف العقل أو لا يحسن السماع بنفسه على الكاتب لحرس أو جهل بالغة أو بما عليه فليقر على الكاتب ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة والمراد بالولي هو الولي لغة وهو من له ولاية عليه بأي طريق كان كوصي وقيم ومترجم (بالعدل) أي بالصدق من غير زيادة ونقص (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أي وأشهدوا على الدين شاهدين من الرجال البالغين الاحرار المسلمين وعند شريح وان سيرين وأحمد تجوز شهادة العبيد وأجاز أبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) أي فان لم يكن الشاهدان رجلين بأن لم يقصد اشهاد امرأ رجل وامرأتان كاثنون (من ترضون) لدينه وعدالته (من الشهداء) يشهدون وهذا تفسير للخبر (أن تفضل احداهما فتذكرا احداهما الاخرى) قرأ حمزة أن تفضل بكسر الهمزة ورفع والتشديد وقرأ نافع وعاصم والكسائي فتذكر بالتشديد والنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف والنصب أما سائر القراء فقرأوا بالنصب أن على حذف لام التعليل أي وانما اشترط التعدد في النساء لاجل أن تنسى احدى المرأتين الشهادة لضعف عقلهن فتذكر احداهما اذا كرهت للشهادة المرأة الاخرى الناسية لها (ولا ياب الشهداء اذا مدعوا) أي ولا يمنع الشهداء اذا دعوا الى تحمل الشهادة وأداها عند الحكام فيجوز الامتناع عليهم لان تحمل الشهادة فرض كفاية مطلقا والاداء كذلك ان زاد

المتحملون على من يثبت بهم الحق والافترض عين (ولا تساموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله)
 أي ولا تعلموا أن تكتبوا الدين لكثرة وقوع المداينة على أي حال كان الدين قليلا أو كثيرا وعلى أي
 حال كان الكتاب مختصرا أو مشبعا حال كون الدين مستقرا في ذمة المدين إلى وقت حوله الذي أقرب
 المدين أي فاستبوا الدين بصفة أجله ولا تهملوا الاجل في الكتابة وقوله تعالى ولا تساموا معطوف
 على قوله تعالى فاستبوا (ذلكم) أي الكتابة للدين (أقسط عند الله) أي أعادل في حكم الله
 (وأقوم للشهادة) أي أيدين للشاهد بالشهادة إذا نسي (وأدنى أن لا ترتابوا) أي وأقرب إلى انتفاء
 شككم في قدر الدين وأجله (الآن تكون تجارة حاضرة تدير ونهايتكم) قرأها هم تجارة بالنصب
 على أنه خبر تكون والباقيون بالرفع على أنه اسم تكون والخبر تدير ونهايا لا استنشاء متصل راجع
 إلى قوله تعالى إذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاستبوا والتقدير إذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاستبوا
 إلا أن يكون الاجل قريبا وهو المراد من التجارة الحاضرة وأما الاستنشاء منقطع فالتقدير لكنه إذا كانت
 تجارتكم ومداينتكم تجارة حالة تتعاطونها يداييد أو التقدير لكن إذا كانت تجارة حاضرة مقبوضة
 بينكم ولا أجل فيها (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أي ليس عليكم مضرة في ترك الكتابة
 في المداينة الحاضرة كأن ياعثوا بدهم في الذمة بشرط أن يؤدي الدرهم في هذه الساعة أي لا بأس بعدم
 الكتابة في ذلك لبعده عن التنازع والنسيان (وأشهدوا إذا تباعتم) بالاجل (ولا يضار كاتب)
 بالكتابة (ولا شهيد) بالشهادة وهذا إمام بني للفاعل فيكون نهيا للكاتب والشهيد عن اضرار من له
 الحق وهو قول أكثر المفسر والحسن وطاوس وقتادة يدل على ذلك قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضار
 بالافهار والكسر واختار الزجاج هذا القول لقوله تعالى وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم وذلك لأن اسم الفسق
 بمن يحرف الكتابة ومن يمتنع عن الشهادة حتى يبطل الحق بالكلية ولأنه تعالى قال فيمن يمتنع عن
 الشهادة ومن يكتفها فإنه آثم قلبه والاثم والفاسق متقاربان وإمام بني للفعول فيكون نهيا لصاحب الحق
 عن اضرار الكاتب والشهيد كأن يكلفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ولا يعطى الكاتب جعله ولا
 الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان فإن لهم ما طلب الجعل ولا يكلفان الكتابة والشهادة مجانا وهو قول ابن
 مسعود وعطاء ومجاهد ويدل على ذلك قراءة ابن عباس ولا يضار بالافهار والفتح وهذا لو كان نهيا
 للكاتب والشهيد لقيس وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ولأن دلالة الكلام من أول الآيات انما هو في
 المكتوب له والمشهود له وإذا كان هذا النهي متوجها للذين يقدمون على المداينة فالمنهيون عن اضرارهم
 (وإن تفعلوا) ما نهيتهم عنه من الضرر (فإنه فسوق بكم) أي فإن فعلكم ذلك معصية منكم وخروج
 عن طاعة الله (واتقوا الله) فيما حذر منه وهو هنا المضارة أو المعنى اتقوا الله في جميع أوامره ونواهيه
 (ويعلمكم الله) ما يكون ارشادا واحتياطا في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا في أمر الدين
 (والله بكل شيء) من مصالح الدنيا والآخرة (عليم) فلا يخفى عليه حالكم (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا
 كتابا فرهان مقبوضة) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وفره بنهم الرأه والهاء أو سكونه والباقيون فرهان
 بكسر الراء وقع الهاء مع المدوع على معنى في أو بمعنى إلى أي وإن كنتم مسافرين أو متوجهين إلى السفر ولم
 تجدوا كتابا أو آلة الكتابة في المداينة فرهان مقبوضة بدل من الشاهدين أو يقال في الوثيقة
 رهان مقبوضة (فإن أمن بعضكم) أي الدائن (بعضا) أي المدين بالدين بلارهن لحسن ظنه به
 (فليؤد الذي أئتمن) بالدين (أمانته) أي حق صاصبه (وليتق الله ربه) أي وليخش المدين ربه

في أداء الدين عند حلول الاجل من غير عماطة ولا انكار بل يملأ الدائن معاملة حسنة كما أحسن
ظنه فيه (ولا تكتموا الشهادة) عند الحكم بانكار العلم بتلك الواقعة أو بالامتناع من أداء
الشهادة عند الحاجة الى اقامتها (ومن يكتمها) أي الشهادة (فانه آثم قلبه) أي فاجر قلبه
(والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واقامتها ومن الخيانة في الامانة وعدمها (عليم) فيجازيكم على
ذلك ان خير الخيرون شرافشر (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملاكا من الملق والنجائب
بأمر عباده بما يشاء (وان تبدوا ما في أنفسكم) من العزم على السوء بأن تظهروه للناس بالقول
أو بالفعل (أو تخفوه) بأن تكتموه منهم (يحاسبكم به الله) يوم القيامة فالحواطر الحاصلة في القلب
على قسرين ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخاله في الوجود وما لا يكون كذلك بل تكون أمورا
خاطرة بالبال مع ان الانسان يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس فالقسم الاول يكون مؤاخذا به
والثاني لا يكون مؤاخذا به (فيغفر) بفضله (لمن يشاء) مغفرته (ويعذب) بعذابه (من يشاء)
تعذيبه وقد يغفر ان يشاء الذنب العظيم وقد يعذب من يشاء على الذنب الحقير لا يستل عما يفعل قرأ عاصم
وابن عامر فيغفرو ويعذب بالرفع والبقاء بالجزم (والله على كل شيء) من المغفرة والعذاب (قدير
آمن الرسول) أي صدق محمد صلى الله عليه وسلم (بما أنزل اليه من ربه) أي من القرآن قال الزجاج
لماد كرا الله تعالى في هذه السورة فرض الصلاة والركاة والصوم والحج وذكر الطلاق والايلاء والحيض
والجهاد وقصص الانبياء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك
انتهى (والمؤمنون كل) أي كل واحد منهم (آمن بالله) أي بوجوده وبصفاته وبأفعاله وبأحكامه
وبأسماؤه (وملائكته) أي بوجودها وبأهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم وانهم
وسائط بين الله وبين البشر وان كتب الله المنزلة انما وصلت الى الانبياء بواسطة الملائكة (وكتبه)
وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف وفتح التاء مع المد بأن يعلم أن هذه الكتب رضى من الله تعالى الى رسله
وانها ليست من باب الكهانة ولا من باب السحر ولا من باب القاء الشياطين والارواح الجبيلة وبأن يعلم
ان الوحي بهذه الكتب فانه تعالى لم يكن أحدا من الشياطين من القاء شيء من ضلالاتهم في أثناء هذا
الوحي الطاهر وبأن يعلم أن هذا القرآن لم يغير ولم يحرف فن قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء
فعله عثمان رضي الله عنه فقد أخرج القرآن عن كونه حجة وهو قول فاسد وبأن يعلم أن القرآن مشتمل
على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه (ورسله) بأن يعلم كونهم معصومين من الذنوب
وبأن يعلم أن النبي أفضل من ليس بنبي وان الرسل أفضل من الملائكة وأن يعلم أن بعضهم أفضل
من البعض (لان فرق بين أحد من رسله) أي يقول المؤمنون لان كفر بأحد من رسله بل تؤمن بعامة
رسالة كل واحد منهم (وقالوا) أيضا (معنا) قول ربنا (وأطعنا) أمر ربنا (غفرانك) أي
نسألك غفرانك من ذنوبنا (ربنا اريك المصير) أي المرجع بعد الموت (لا يكلف الله نفسا) من
الطاعة (الأوسعها) أي طاقتها (لها ما كسبت) أي ثوابه من الخير (وعليها ما اكتسبت) أي
وزره من الشر فان قلنا ان هذا من كلام المؤمنين فوجه النظم انهم لما قالوا اسمعنا وأطعنا فكأنهم قالوا
كيف لانهم ولا نطيع وأه تعالى لا يكلفنا إلا ما في وسعنا وطاعتنا اذا كان هو تعالى بمحكم الرحمة
الالهية لا يطالبنا إلا بالشيء السهل الهين فكذلك نحن بمحكم العبودية وجب أن نكون سامعين مطيعين
بأن قلنا أن هذا من كلام الله تعالى فوجه النظم انهم لما قالوا اسمعنا وأطعنا ثم قالوا بعده غفرانك ربنا

دل ذلك على ان قولهم غفرانك طلب لاغفرة عما يصدر عنهم من وجوه التقصير منهم على سبيل الحمد فلما
كان قواهم غفرانك طلبا لاغفرة من ذلك التقصير فلا شك في ان الله تعالى خفف عنهم ذلك وقال لا يكلف
الله نفسا الا وسعها والمعنى انكم اذا اعطتم واطعتم ولم تتعدوا التقصير فلو وقع منكم نوع تقصير على سبيل
السهو والغفلة فلا تكونوا خائفين منه فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وبالجملة فهذا الجواب لهم من
الله في دعائهم بقولهم غفرانك ربنا اه (ربنا لا تؤاخذنا) أي يا ربنا لا تعاقبنا (ان نسئنا) طاعتك
(أو أخطأنا) في أمرك (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) أي تكليفا بالامور الشاقة (كما حملته على
الذين من قبلنا) من بني اسرائيل أي لا تشدد علينا في التكليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال
المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليله وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة
ومن أصاب ثوبه نجاسة أمر بقطعها وكانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة في الدنيا وكانوا اذا أتوا بخطيئة
حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة) أي قوة (لنا به) من
الاملاء والعقوبة أي ولا تحمل علينا ايضا ما لا راحة لنا فيها من الاستكراه (واعف عنا) أي امح آثار
ذنوبنا (واغفر لنا) أي استر عيوبنا ولا تقضهنا بن عبادك (وارحنا) أي تعطف بنا وتفضل علينا
(أنت مولانا) أي أنت سيدنا وناصرنا ونحن عبيدك ويقال واعف عنا من المسخ كما مسخت قوم عيسى
واغفر لنا من الحسف كما خسفت بقارون وارحنا من القذف كما قذفت قوم لوط فلما دعوا بهذا الدعاء رفع
الله عنهم ذنوب حديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه وعفي عنهم من الحسف والمسخ والقذف
(فانصرنا على القوم الكافرين) أي انصرنا عليهم في محاربتنا معهم وفي مناظرتنا بالحق معهم وفي اعلاء
دولة الاسلام على دولتهم ولما مدح الله تعالى المتقين في أول السورة بين في آخر السورة انهم أمة محمد صلى
الله عليه وسلم فقال والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وهذا هو
المراد بقوله تعالى هناك الذين يؤمنون بالغيب ثم قال ههنا وقالوا اممعنا وأطعنا وهو المراد بقوله تعالى هناك
ويقومون الصلاة وعما رزقناهم ينفقون ثم قال ههنا غفرانك ربنا إليك المصير وهو المراد بقوله تعالى
هناك وبالآخرتهم يوقنون ثم حكى الله تعالى عنهم ههنا كيفية تضرعهم الى ربهم في قولهم ربنا
لا تؤاخذنا ان نسئنا أو أخطأنا الى آخر السورة وهو المراد بقوله تعالى ثم أولئك على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها

سورة آل عمران مدنية آياتها مائتان وكلماتها ثلاثة آلاف وأربعمائة
وستون وحر وفيها أربعة عشر ألفا وخمسمائة وخمس وعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي) أي الذي لا يموت ولا يزول (القيوم) أي القائم بذاته
والقائم بتدبير خلقه قال الكلبي والريبع بن أنس ومحمد بن اسحق نزلت هذه الآيات في شأن وفد
نصارى نجران وكانوا ستة من راسلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا المسجد حين صلى العصر
عليهم ثياب الخبرات وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم وثلاثة منهم كانوا كبار القوم أحدهم أميرهم
واممه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رأيهم واممهم لايمم الثالث حبرهم يقال له أبو حارثة بن علقمة فكلم
الايهم وعبد المسيح فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالوا قد أسلمنا فملك قال كذبتم اني عنكم من
الاسلام ثلاثة أشياء اثباتكم له ولدا وعبادتكما لأصليبا وكلكما الخنزير قالوا ان لم يكن عيسى ولدا لله

فمن أبوه وخاله هو صلى الله عليه وسلم في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أستم تعلمون انه لا يكون
 ولدا له هو يشبه أباه قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى
 قال أستم تعلمون أن ربنا قديم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل عيسى من ذلك شيئا قالوا
 لا قال أستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك
 الا ما علمه الله قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال أستم
 تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحديث قالوا بلى قال أستم تعلمون أن عيسى
 حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعتة كما تضع المرأة ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا
 بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله تعالى من ابتداء السورة الى آية المباحلة ثم ابتدأ
 احتج به النبي عليهم (نزل عليك الكتاب) أي القرآن وقرئ قراءة شاذة بتخفيف نزل ورفع الكتاب
 (بالحق) أي بالعدل في أحكامه أو بالصدق في أخباره وفي وعده ووعيده أو بالجمع المحقة انه من عند الله
 تعالى أو بالقول الفصل وليس بالهزل ولا بالمعاني الفاسدة المتناقضة (مصدق لما بين يديه) أي لما تقدمه
 من الكتب السالفة في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله تعالى عما لا يليق بشأنه تعالى وفي الامر
 بالعدل والاحسان وفي انباء الانبياء والامم الخالية وفي بعض الشرائع (وأنزّل التوراة) جملة على موسى
 ابن عمران (والانجيل) جملة على عيسى بن مريم (من قبل) أي من قبل تنزيل القرآن (هدى
 للناس) أي حال كونهم ما هادين من الضلالة أو أنزل هذه الكتب الثلاثة لهداية الناس (وأنزّل
 الفرقان) قيل المراد به الزبور فانه مشتمل على المواعظ الداعية الى الخير والزجر عن الشر الفارقة بين الحق
 والباطل ثم المختار عند الفخر الرازي أن المراد من الفرقان هو المميزات التي قرن بها الله تعالى بانزال هذه
 الكتب الثلاثة لانه لما أظهر الله تعالى تلك المميزات على وفق دعوى الرسل حصلت المفارقة بين دعوى
 الصادق ودعوى الكاذب فالميزة هي الفرقان (ان الذين كفروا بآيات الله) أي القرآن وغيره
 كوفد بني نجران ونحوهم بأن كذبوا بالآيات الناطقة بالتوحيد والتنزيه المبشرة بنزول القرآن ومبعث
 النبي صلى الله عليه وسلم (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم بها (والله عزيز) أي غالب لا يغلب
 (ذو انتقام) أي عقوبة عظيمة فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو الانتقام اشارة الى كونه
 فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل (ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
 هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) قصيرا أو طويلا حسنا أو قبيحا ذكر أو أنثى سعيدا أو شقيا
 وهذه الآية واردة في الرد على النصارى وذلك أن النصارى ادعوا الهية عيسى بأمرين بالعلم والقدرة
 فان عيسى كان يخبر عن الغيوب فيقول لهذا أنت أهككت في دارك كذا وصنعت في دارك كذا وكان
 يحيي الموتى ويرى الاكبر والابرص ويخلق من الطين كهية الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ثم انه تعالى
 استدل على بطلان قولهم في الهية عيسى وفي التثليث بقوله تعالى الحي القوم فالاله يجب أن يكون حيا
 قيوما وعيسى لم يكن كذلك فيلزم القطع بأنه لم يكن الها ولما قالوا ان عيسى أخبر عن الغيوب فوجب أن
 يكون الها فرد الله عليهم بم قوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء والمعنى لا يلزم من كونه
 عالما ببعض الغيبات أن يكون الها لاحتمال انه علم ذلك بتعليم الله تعالى له ذلك ولما قالوا ان عيسى
 كان يحيي الموتى فوجب أن يكون الها فرد الله عليهم بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء والمعنى
 ان حصول الاحياء على وفق قوله عليه السلام في بعض الصور لا يدل على كونه الها لاحتمال أن الله تعالى

أكرمه بذلك الأحياء انظار المعجزته وإكرامه ولما قالوا يا أيها المسمون أنتم توافقوننا على أن عيسى لم يكن له أب من البشر فوجب أن يكون ابنا لله فأجاب الله تعالى عن ذلك أيضا بقوله تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء فان هذا التصور لما كان من الله تعالى فان شاء صورته من نطفة الأب وان شاء صورته ابتداء من غير أب ولما فاو الرسول صلى الله عليه وسلم ألسنت تقول ان عيسى روح الله وكلته فهذا يدل على انه ابن الله فأجاب الله عن ذلك بأن هذا اللفظ من باب التشابهات فوجب دعه الى التأويل وذلك هو المراد بقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فظهر بذلك المذكور أن قوله تعالى الحى القيوم إشارة الى أن عيسى ليس بالاله ولا ابن الاله وأما قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء فهو جواب عن الشبهة المتعلقة بالعلم وقوله تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام جواب عن تمسكهم بقدرة عيسى على الأحياء ونحوه لانه لو قدر على الأحياء لقدر على الامانة ولو قدر على الامانة لمات اليهود الذين قتلوه على زعم النصارى فثبت أن حصول الأحياء في بعض الصور لا يدل على كونه الها وهو جواب أيضا عن تمسكهم بأن من لم يكن له أب من البشر وجب أن يكون ابنا لله فكأنه تعالى يقول كيف يكون عيسى ولدا لله وقد صورته في الرحم والمصور لا يكون أبالمصور وأما قوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب الى آخر آيات فهو جواب عن تمسكهم بما ورد في القرآن أن عيسى روح الله وكلته ثم انه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد زجر السائر النصارى عن قولهم بالتثليث فقال (لانه الا هو العزيز الحكيم) فالعزيز إشارة الى كمال القدرة والحكيم إشارة الى كمال العلم وهذا تثبيت لما تقدم من أن علم عيسى ببعض الغيوب وقدرته على الأحياء في بعض الصور لا يكفي في كونه الها فان الاله لا بد وان يكون كامل القدرة وهو العزيز وكامل العلم وهو الحكيم (هو الذي أنزل عليك الكتاب) أى القرآن (منه آيات محكمات) أى محكمات العبارة محفوظة من الاحتمال قطعية الدلالة على المعنى المراد (هن أم الكتاب) أى أصل في الكتاب وعمدة ترد اليها آيات متشابهات ومثال التشابه قوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فظاھر هذا الكلام انهم يؤثرون بأن يفسقوا والمحكم قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء راداعلى الكفار فيما حكي عنهم واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها والآية المتشابهة قوله تعالى نسوا الله فنسيهم والآية المحكمة قوله تعالى وما كان ربك نسيا (وأخر متشابهات) أى وآيات أخر محتملات لمعان متشابهة لا يتضح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهرة لا بنظر دقيق وتأمل أنيق (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أى ميل عن الحق الى الأهواء الباطلة (فيتبعون ما تشابه منه) أى فيتعلقون بظواهر المتشابه من الكتاب (ابتغاء الفتنة) أى طلب الفتنة في الدين وهى الضلال عنه فاتهم متى أوقعوا تلك المتشابهات في الدين صار بعضهم مخالفا لبعض وذلك يفضى الى الهرج والتقاتل (وابتغاء تأويله) أى وطلب تأويل المتشابه على ما ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان والمنصف يحمل الامر في الآيات على أقسام ثلاثة أحدها ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقا وثانيا الذى قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذلك هو الذى يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهرها وثالثها الذى لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فيكون من حقه التوقف فيه ويكون ذلك متشابهها بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر الا ان الظن الرابع حاصل في اجرائها على ظواهرها (وما يعلم تأويله الا الله) أى وما يعلم تأويل المتشابه حقيقة الا الله وحده ونقل عن ابن

عباس رضي الله عنهما انه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير لا يمكن لاحد جهله وتفسير
تعرّفه العرب بالسنتها وتفسير يعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تعالى (والراحمون في العلم يقولون
آمنابه) أي بالكتاب (كل) أي كل واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) والراحمون في العلم
هو الذي عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القطعية وعرف أن القرآن كلام الله تعالى بالدلائل
اليقينية وعرف أنه تعالى لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا رأى شيئاً متشابهاً وادل الدليل القطعي على ان
الظاهر ليس مراد الله تعالى علم حينئذ قطعاً عن مراد الله شيء آخر سوى ما دل عليه ظاهره ثم فوض تعيين
ذلك المراد الى الله تعالى وقطع بأن ذلك المعنى على أي شيء كان فهو الحق والصواب لانه علم أن ذلك
المتشابه لا بد وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى (وما يذكر الا أولوا الالباب) أي وما يتعظ بما في
القرآن الا ذو العقول الكاملة الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائفة وهذا مدح للراحمين بمجودة الذهن
وحسن النظر وهذه الآية دالة على علو شأن المتكلمين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية ويتوسلون بها
الى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ولا يفسرون القرآن الا بما يطابق دلائل العقول ويوافق اللغة
والاعراب ومن تكلم في القرآن من غير أن يكون متبحراً في علم الاصول وفي علم اللغة والنحو كان في غاية
البعد عن الله تعالى ولما آمن الراحمون في العلم بكل ما أنزل الله تعالى من المحكمات والمتشابهات
تضرعوا الى الله تعالى بقواهم (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) أي لا تغل قلوبنا عن دينك بعد
اذ هديتنا لدينك أو يقال ياربنا لا نجعل قلوبنا مائلة الى الباطل بعد أن تجعلها مائلة الى الحق (وهب لنا
من لدنك رحمة) أي نور لايمان والتوحيد والمعرفة في القلب ونور الطاعة والعبودية والخدمة في
الاعضاء وسهولة أسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية في الدنيا وسهولة تسكرات الموت عند الموت
وسهولة السؤال والظلمة في القبر وغفران السيئات وترجيح الحسنات في القيامة (انك أنت الوهاب)
لكل مطلوب فان هذا الذي طلبته منك في هذا الدعاء عظيم بالنسبة الى كنهه حقير بالنسبة الى كمال
كرمك وغاية جودك ورحمتك وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب والا بصار ثبت قلبي على
دينك (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أي ياربنا انك تجمع الناس للجزاء في يوم لا شك في
وقوعه فاجازنا فيه أحسن الجزاء (ان الله لا يخلف الميعاد) أي الوعد وهذا من بقية كلام الراحمين في
العلم وذلك لانهم لما طلبوا من ربهم أن يهونهم عن الزيف وأن يخصهم بالهداية وأنواع الرحمة فكأنهم
قالوا ليس غرضنا من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقرضة وانما غرضنا الاعظم منه ما يتعلق
بالآخرة فاننا نعلم انك يا الهنا جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك بالجزاء والحساب والميزان
والصراط والجنة والنار لا يكون خلف فن زاعج قلبه بقي هناك في العذاب أبداً لا يادومن أعطيته الهداية
وارحمته بقي هناك في السعادة والكرامة أبداً لا ياد (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم
ولا أولادهم) أي ان الذين كفروا كعب بن الاشرف وأصحابه وأبي جهل وأصحابه لن تنفعهم كثرة
أموالهم وكثرة أولادهم (من الله) أي من عذاب الله أو عند الله (شيئاً) وقيل ان المراد بهم هؤلاء وفد
لجيران وفلك لان أباحارثة بن علقمة قال لآخيه كرزاني لا علم أن محمداً رسول الله حقاً وهو النبي الذي كنا
نمظّره ولكنني ان أظهرت أيماناً بمحمد أخذ مولك الروم مني ما أعطوني من المال الكثير والجاه فأن الله
تعالى بين ان أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة نعم ان اللفظ عام وخصوص
السبب لا يمنع عموم اللفظ (وأولئك) المتصفون بالكفر (هم وقود النار) أي حطب النار الذي

تسعر به (كذاب آل فرعون) أي شأن هؤلاء في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم كشأن آل فرعون في التكذيب عيسى (والذين من قبلهم) أي من مكذبي الرسل كقوم هود وقوم صالح (كذبوا بآياتنا) وهي المعجزات ومتى كذبوا بما فقد كذبوا بالأنبياء بلا شك (فأخذهم الله بذنوبهم) أي عاقبهم الله بتكذيبهم المعجزات الدالة على صدق الرسل وانما استعمل الأخذ في العقاب لأن من ينزل به العقاب يصير كالأسور المأخوذ الذي لا يقدر على التخلص (والله شديد العقاب) وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما غزا قريشا في بدر ورجع إلى المدينة وجد يهود بني قينقاع في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا يوم بدر فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك إن قتلت نفرا من قريش أنما رالا يعرفون القتال لو قتلتما لعرفت فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل للذين كفروا) هم يهود بني قينقاع (ستغلبون) عن قريب في الدنيا وقد صدق الله تعالى وعده بقتل بني قريظة فقد قتل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في يوم واحد ستمائة جمعهم في سوق بني قينقاع وأمر السياف بضرب أعناقهم وأمر بجفر حفرة ورميهم فيها واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على أهلها وبالامر على بعض كل (وتحشرون) في الآخرة (إلى جهنم) دلت الآية على حصول النجاة في يوم القيامة والنشر والحشر وعلى أن مرد الكافرين النار (وبئس المهاد) أي الفراش جهنم وقرأ حمزة والكسائي بالغيبة في الفعلين أي بلغهم أنهم سيغلبون ويحشرون والباقون بالخطاب أي قل لهم في خطابك أيهم ستغلبون وتحشرون والفرق بينهما أنه على الخطاب يكون الأخبار بمعنى كلام الله تعالى وعلى الغيبة يكون بلغظه (قد كان لكم) أيها اليهود (آية) أي علامة لنبوته محمد صلى الله عليه وسلم (في فئتين) أي فئتين (التفتا) بالقتال يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا اثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا بين كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن السيوف ثمانية ومن الخيل فرسان للفعدان بن عمرو وارتد بن أبي مرثد (وأخرى كافرة) أي وجماعة أخرى كافرة بالله والرسول وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وقادوا مائة فرس وكانت معهم من الإبل سبعمائة وأهل الخيل كلهم كانوا دارعين وكان في الرجال دروع سوى ذلك (يرونها مثلهم رأي العين) أي يرى المشركون المؤمنين مثل عدد المشركين قريشا من ألفين أو مثل عدد المسلمين ستمائة وثلاثين رأي العين أو رأيها بالعين في ذلك أنه تعالى كثر المؤمنين في أعين المشركين مع قلتهم ليها يرونها فيعتزوا عن قتالهم قال ابن عباس يرون أنفسهم مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عباس عن عاصم من السبعة ويعقوب ترونهم بالخطاب والمعنى ترون أيها اليهود المشركين مثل المؤمنين في القوة والشوكة ومع ذلك غلبهم المؤمنون مع قلتهم جدا فيكون هذا أبلغ في إكرام المؤمنين وعناية الله بهم (والله يؤيد) أي يقوى (بنصره من يشاء) ولو بدري الأسباب العادية (إن في ذلك) أي في نصرته الله لمحمد يوم بدر ويقال أي في رؤية القليل كثيرا غلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح (لعبرة) أي لعظة عظيمة (لاولى الأبصار) أي لذوى العقول ووجه نظم هذه الآية أن الآية المتقدمة وهي قوله تعالى ستغلبون نزلت في شأن اليهود وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى الإسلام أظهروا التمرد وقالوا السنن أمثال قريش في الضعف وقلة المعرفة بالقتال بل معنا من الشوكة والمعرفة بالقتال ما يغلب كل من ينازعنا والله تعالى قال لهم انكم وان كنتم أقوياء وأرباب

العدة والعدة فانكم ستغلبون ثم ذكر الله تعالى ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك القول فقال قد كان لكم آية في فتنتين التقتا ثم قيل رويانا ان ابا حارثة ابن علقمة النصراني اعترف لاختيه بأنه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم في قوله الا انه لا يقرب ذلك خوفا من أن يأخذ منه ملوك الروم المال والجاء وأيضا رويانه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهر وامن أنفسهم القوة والسدة والاستظهار بالمال والسلاح فبين الله تعالى ان هذه الاشياء وغيرها من متاع الدنيا زائلة وان الآخرة خير وأبقى فقال (زين للناس خب الشهوات) أي الاشياء المشتبهات (من النساء) وانما قدمهن على الكل لان الالتذاذ من أكثر والاستئناس بهن أتم (والبنين) ولما كان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى خصه الله تعالى بالذكر ووجه التمتع بهم من حيث السرور بهم وغير ذلك (والقناطير المغنطرة من الذهب والفضة) والقنطار بلسان الروم مل مسك ثور من ذهب أو فضة والقنطار واحد والقناطير ثلاثة والمغنطرة تسعة ومعنى القناطير المغنطرة أي الاموال المجموعة أو الاموال المضروبة المقبوضة حتى صارت دراهم ودنانير وانما كانا محبوبين لانهما جعلتا من جميع الاشياء فالكهها كالمالك لجميع الاشياء (والخيل المسومة) أي المظهمة الحسان بأن تكون غرامحجلة (والانعام) وهي الابل والبقر والغنم (والحسرت) أي المزروع (ذلك) أي جميع ما سبق (متاع الحياة الدنيا) أي منفعة للناس في الدنيا ثم تفنى (والله عنده حسن المآب) أي المرجع في الآخرة وهو الجنة (قل) يا أشرف الخلق للكفار أو الناس عامة وهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ما أجمل أولا في قوله تعالى والله عنده حسن المآب (أو نبشكم بخير من ذلكم) أي زينة الدنيا (للذين اتقوا) أي تبتلوا الى الله تعالى وأعرضوا عما سواه فلا تشغلهم الزينة عن طاعة الله تعالى (عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار) أي عند ربهم بساتين تطرد من تحت شجرها ومساكنها أنهار الحمر والعسل واللبن والماء (خالدين فيها) أي مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وأزواج مطهرة) أي مهذبة من الحيض والنفاس والبصاق والماء وتشويه الخلقة وسوء العشرة والاخلال بالذميمة (ورضوان من الله) ورضاء ربهم أكبر عما هم فيه من النعيم (والله بصير بالعباد) أي بأحوال الذين اتقوا ثم وصفهم بقوله (الذين يقولون) في الدنيا (ربنا اننا آمننا) بل وبرسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) أي استرها وتجارز عنا (وقبض عذاب النار) أي ادفع عنا ذلك (الصابرين) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه وعلى المرازي (والصادقين) في أيمانهم وأقوالهم ونياتهم (والقانتين) أي المواطنين على العبادات (والمتقين) أموالهم في سبيل الله (والمستغفرين بالاسحار) أي في أواخر الليل بأي صيغة كانت وقيل أي المصلين التطوع فيها وأعظم الطاعات قدرا أمران أحدهما الخدمة بالمال واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الشفقة على خلق الله والإشارة بقوله تعالى هنا والمنفقين وثانيها الخدمة بالنفس واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لأمر الله والإشارة بقوله تعالى هنا والمستغفرين بالاسحار (شهد الله) أي بين خلقة باللائل السمعية والايات العقلية (أنه لا اله) أي لا مستحقا للعبودية موجود (الا هو والملائكة وارلوا العلم) وهم الذين عرفوا وحدانيته تعالى باللائل الفاطعة لان الشهادة انما تكون مقبولة اذا كان الاخبار مقرونا بالعلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد وهذا يدل على أن الدرجة العالية والمرتبة الشريفة ليست الا لعلماء الاصول فشهادة الله تعالى على توحيده هو أنه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة وأولى العلم هي اقرارهم بتوحيده تعالى

(قائم بالقسط) أي مقيم للعدل في جميع أموره وهذا بيان لسكائه تعالى في أفعاله بعد بيان كماله في ذاته (لأنه الإله العزيز الحكيم) فالعزة في الملك تلائم الوحدةانية والحكمة في الصنع تلائم القيام بالقسط قال الكلبي قدم حبران من أحبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فقالا له أنت محمد قال نعم قال له وأنت أحمد قال أنا محمد وأحمد قالوا فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال لهما سلا قالوا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجلان وفي المدارك من قرأها عند منامه وقال بعدها أشهد بعاشد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي عنده وديعة يقول الله يوم القيامة ان لعبدى هذا عهدى وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة (ان الدين عند الله الاسلام) فلا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة التى عليها الرسل عليهم السلام نزلت هذه الآية لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصرانية أنه لا دين أفضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك وقال ان الدين عند الله الاسلام وقرأ الكسائي بفتح همزة ان وهو ما يدل من أنه بدل كل من كل ان فسر الاسلام بالتوحيد نفسه أى بالايان بكونه تعالى واحدا أو بدل كل من بعض ان فسر الاسلام بالشريعة فانها تشتمل على التوحيد والعدل ونحوهما أو معطوف على أنه بحذف حرف العطف أو معنى على ان شهودا وقع على ان الدين اما باجراه انه على التعليل والتقدير شهد الله لاجل أنه لا إله الا هو ان الدين الآية أو باجرائه على قراءة ابن عباس وهو بكسره على جعل جملة انه اعتراضا وعلى ايقاع شهد على ان الدين من باب تقديم وتأخير والتقدير شهد الله ان الدين عند الله الاسلام وشهد بذلك الملائكة والنبيون والمؤمنون أو بأجرائه شهد مجرى قال مع جعل ان الدين معمولا للحكيم باسقاط الجار أى الحكيم بأن الدين أما جعله بدل اشتمال من أنه فمتنع بذلك التفسير لانه صار البدل اشتمل من المبدل منه ولان شرط بدل الاشتمال أن يكون المحاطب منتظرا للبدل عند سماع المبدل منه وهنا ليس كذلك ولا سيما ان هنا فصلا بين البدل والمبدل منه بأجنى (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أى أعطوا التوراة والانجيل من اليهود والنصارى في دين الاسلام وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش لانهم أميون ونحن أهل الكتاب (المن بعد ما جاءهم العلم) أى الدلائل التى لو نظروا فيها لحصل لهم العلم (بغيا بينهم) أى لاجل الحسد الكائن بينهم وطلب الرئاسة للشبهة وخفاء فى الامر (ومن يكفر بآيات الله) الناطقة بأن الدين عند الله هو الاسلام بأن لم يعمل بعمتهاها (فان الله سريع الحساب) أى فان الله يجازيه على كفره عن قريب فانه يأتى حسابه عن قريب (فان حاجوك) أى خاصمك اليهود والنصارى فى ان الدين عند الله الاسلام بعد قيام الحججة عليهم (فقل أسلمت وجهى) أى أخلصت نفسى أو على (الله) لا أشرك به فى ذلك غيره (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت أى وأسلم من اتبعن أو مفعول معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) أى اليهود والنصارى (والاميين) أى الذين لا كتاب لهم وهم مشركوا العرب (أسلمتم) أى فهل أسلمتم بعد أن أتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ثم أنتم على الكفر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال على الله عليه وسلم لليهود أن تشهدون ان عيسى كلمة الله وعبدوه ورسوله فما أوماعاذا الله وقال على الله عليه وسلم للنصارى أن تشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا اماعاذا الله أن يكون عيسى عبدا (فأسلموا) كما أسلمتم (فقد اهتدوا) للفوز والنجاة فى الآخرة (وان تولوا) عن الاسلام والاتباع لدينك لم يضروك

شيئا (فانما عليك البلاغ) أى ابلاغ الأدلة واظهار الحجّة فاذا بلغت ما جاء بك عن الله فقد أدبت ما عليك وليس عليك قبولهم (وانته بصير بالعباد) أى عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن فيجازى كلامهم بعلمه (ان الذين يكفرون بآيات الله) أى بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين بغير حق) أى بلا جرم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) أى فاعلمهم بعذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم روى عن أبي عبيدة بن الجراح انه قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثناعشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمر وأمن قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم قال الحسن هذه الآية تدل على ان القائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الخوف تلى منزلته في العظم منزلة الانبياء وروى أن رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (أولئك المتصفون بالصفات القبيحة) (الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أى بطلت محاسن أعمالهم في الدارين أما بطلانها في الدنيا فبإبدال المدح بالذم والثناء باللعن وبإيثارهم من القتل والسبي وأخذ المال منهم غنيمة والاسترقاق لهم الى غير ذلك من الذل الظاهر فيهم وأما بطلانها في الآخرة فبإزالة الثواب الى العقاب (ومالهم من ناصرين) من عذاب الله في إحدى الدارين (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أى حظا من علم التوراة وهم العلماء منهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد كما أخرجهم بن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (يدعون الى كتاب الله) أى التوراة (ليحكم) أى كتاب الله (بينهم) وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (تم يتولى فريق منهم) أى يعرض طائفة منهم بنو قريظة والنضير من أهل خيبر عن الحكم (وهم معرضون) أى مكذبون بذلك روى عن ابن عباس ان رجلا وامرأة من اليهود زنيا في خيبر وكاذا ذوى شرف وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهم بالشرف فها فيه فرجعوا في أمرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم رجا أن يكون عنده رخصة في ترك الرجم فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى وعدي بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فان فيها الرجم فنأعلمكم بالتوراة قالوا عبد الله بن صور يا القدي فأوا به وأحضروا التوراة فقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام قد جاوز موضعا يا رسول الله فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله وعلى اليهود ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البيعة ترجموا وان كانت حبلى تبرص حتى تضع مافي بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فترجموا فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ذلك) أى التولى والاعراض (بأنهم قالوا لن نؤمنسنا النار) أى لن تصيبنا في الآخرة (الا أيام معدودات) أى سبعة أيام (وغيرهم في دينهم) أى في ثباتهم على دينهم اليهودية (ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما أشبهه (فكيف) صنعهم (اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) أى في يوم لا شك في مجيئه (ووفيت كل نفس) برة وفاجرة (ما كسبت) أى جزاء ما عملت من ثواب أو عقاب (وهم لا يظلمون) فلا ينقص احد من ثواب الطاعات ولا يزد على عقاب السيئات (قل اللهم مالك الملك) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال

المنافقون منهم عبد الله بن أبي بن سائل واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم أولم يكف
 محمدا مكة والمدينة حتى يطمع في ملك فارس والروم فنزلت هذه الآية وروى انه صلى الله عليه وسلم لما خطب
 الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق حفرة
 كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاويل فوجهوا أسلما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره فذهب إليه لحاء
 رسول الله وأخذ المعول من سلمان فلما ضرب بها ضربة صدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لايتها أي المدينة
 كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال صلى الله عليه وسلم أضواء لي منها قصور الحيرة
 كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضواء لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة
 فقال أضواء لي منها قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون
 لا تعجبون من نبيكم يعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح
 لكم وأنتم اغماتحفروا الخندق من الخوف فنزلت هذه الآية وروى انها نزلت في شأن قريش لقولهم
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم كسر عرينهم على فرش الديباج فان كنت نبيا فأين ملكك (توت الملك)
 أي تعطي الملك في الدنيا (من تشاء) من خلعتك (وتتزع الملك عن تشاء) منهم اما بالموت وازالة العقل
 أو ازالة القوى والحواس أو بورد التلف على الاموال أو بسلب الملك (وتعزم تشاء) بالايان والحق
 وبالا موال الكثرة من الناطق والصامت وبالقضاء الهيبة في قلوب الخلق (وتذل من تشاء) بالكفر
 والباطل (بيد الخير) أي بقدرتك العز والذل والغنية والنصرة (انك على كل شيء) من ذلك (قدير
 توبج الليل) أي تدخل بعض الليل (في النهار) فيكون النهار أطول من الليل (وتوبج النهار في الليل)
 أي تدخل بعض النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار (وتخرج الحي من الميت) أي تخرج
 النحلة من النطفة والدجاجة من البيضة والسنبلة من الحبة والطيب من الخبيث كالتمويه من الذنب
 والمؤمن من الكافر كسيدنا عكرمة من أبي جهل فالمسلم حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد (وتخرج الميت من
 الحي) أي تخرج النطفة من الانسان والبيضة من الطير والحبة اليابس من النبات الحي والخبيث من
 الطيب كالحب من العباد والكافر من المؤمن ككنعان من سيدنا نوح عليه السلام (وترزق من تشاء
 بغير حساب) أي بلا تكلف ولا ضيق قال أبو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة
 أوجه بمعنى التعب قال تعالى رزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى اغميا وفي الصابرون
 أجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فأمن أو أمسك بغير حساب (لا يتخذ المؤمنون
 الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أي لا وال المؤمنون الكافرين لا استقلال ولا اشتراك مع المؤمنين
 وغم الخائر لهم قصر الموالاة والمحبة على المؤمنين بأن يوالي بعضهم بعضا فقط واعلم أن كون المؤمن مواليا
 للكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضيا بكفره ويتولاه لأجله وهذا ممنوع لأن الرضا بالكفر كفر
 وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع والثالث كون الكفار والمعونة
 والنصرة اما بسبب القرابة أو بسبب المحبة مع اعتقاد ان دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه
 لان الموالاة بهذا المعنى قد تجر إلى استحسن طريقته والرضا بدينه وذلك يخرجهم عن الاسلام فهذا هو الذي
 هدد الله فيه بقوله (ومن يفعل ذلك) أي الموالاة مع الكافرين بالاستقلال أو بالاشتراك مع المؤمنين
 (فليس) أي الموالى (من الله في شيء) أي ليس من ولاية الله في شيء يطلق عليه اسم الولاية (الا ان تتقوا
 منهم تقوا) أي لا تتخذوا الكافرين أولياء ظاهرا أو باطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم من جهتهم

فأنزل الله قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم) اسمعيل وإسمحق والأنبياء من أولادهما
الذين من حملتهم النبي صلى الله عليه وسلم (وآل عمران) موسى وهارون وقيل عيسى وأمه
حكاة الكرماني ورجحه ابن عساكر والسهيلى (على العاملين) أى على أهل زمان كل واحد منهم - م
بالإسلام وبالحصول الحميدة (ذرية بعضهما من بعض) أى اصطفى الآلين حان كونهم ذرية متسلسلة
متشعبة البعض من البعض فى النسب (والله مميح) لأقوال العباد (عليم) بضمائرهم وأفعالهم
وانما يصطفى من خلقه من يعلم أسمة أمته قولا وفعلوا ويقال والله مميح لقائه اليهود نحن من ولد إبراهيم
ومن آل عمران فمن أبناء الله وأحباءه وعلى دينه ولقائه النصارى المسيح ابن الله عليهم يعقوبتهم واذكر
يا محمد (اذ قالت امرأت عمران) حنة بنت فاقودا أم مريم حين شاخت وكانت يومافى ظل شجرة فقرأت
طائرا يطعم فرخانه فتحركت نفسها للولد قد عتربها أن يهب لها ولدا فحملت بمريم ومات عمران فلما عرفت
بالحمل قالت يا (رب انى نذرت) أن أجعل (لك مافى بطنى محررا) أى عتيقا من أمر الدنيا لطاعة
الله ومخلصا للعبادة وحاد مالم يدرس الكتاب ويعلم فى مسجد بيت المقدس (فتقبل منى) أى خذ منى
مانذرتة على وجه الرضا (انك انت السميع) لتضرعى بدعائى وندائى (العليم) بما فى ضميرى وقلبي
ونيتى (فلما وضعتها) أى ولدت المندورة التى فى بطنها (قالت رب انى وضعتها) أى مافى بطنى (أننى
والله أعلم بما وضعت) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وضعت بضم التاء على حكاية كلامها وانما قالت
ذلك للاعتذار ولازالة الشبهة التى فى قولها انى وضعتها أننى فانها خافت ان يظن بذلك القول أنها تخبر الله
تعالى وقرأ الباقر بسكون التاء أى انه تعالى قال والله أعلم بما وضعت تعظيما لولدها وتجهيلا لها به - در
ذلك الولد والمعنى والله أعلم بأن الذى ولدته وان كان أننى أحسن وأفضل من الذكر وهى غافلة عن ذلك
فلذلك تحسرت وقرأ ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أى انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب
والله هو العالم بما فيه من المجائب والآيات ثم قال تعالى حكاية عن قولها (وليس الذكر كالأنى) أى
وليس الذكر الذى يكون مطلوبى كالأنى التى هى موهوبة لله وهذا الكلام يدل على ان حنة كانت
مستغرقة فى معرفة جلال الله عالة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يرى العبد لنفسه ويحتمل أن هذه
الجملة محض كلامه تعالى والمعنى ليس الذكر الذى طلبته كالأنى التى ولدتها بل هى خير منه وان لم
تصلح للسدانة فان فيها منرايا آخر لا توجد فى الذكر (وانى سميتها) أى هذه البنت (مريم) أرادت حنة
بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا فان مريم فى لغتهم العائدة فى
لغة العرب (وانى أعيد ذهابك وذريتهم من الشيطان الرجيم) أى وانى ألجئ مريم وذريتها الى
رحمتك وعصمتك وألصق نفسها وأولادها بفضلك ورحمتك من الشيطان اللعين (فتقبلها ربها
بقبول حسن) بأن اختص الله تعالى مريم بأفامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل أننى قبلها أو بأن
أخذها الله من أمها عقب الولادة قبل أن ننشأ وتصلح للسدانة روى أن حنة حين ولدت مريم لغتها فى
خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وقالت خذوا هذه النذيرة فتنافسوا فيها
لانها كانت بنت امامهم الاعظم فى العلم والصلاح فقال زكريا أنا الحق بها لان خالتها عندي فقالت
الاحبار لا تقل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس ما تركت لامها التى ولدتها ولما كننا نترع عليها فانطلقوا
وكانوا تسعة وعشرين الى نهر جارف حطب يقال له قرقمق فالتقوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون التوراة بها
على أن كل من ارتفع قلبه فهو الراجح وعلى كل قلم اسم صاحبه ثم ألغوا أقلامهم ثلاث مرات فى كل مرة

يرتفع قمز كز يافوق الماء وترسب أقلامهم فاخذها زكريا (وانبتها باحسنا) أي رباعدها بعد
يصلها في جميع أحوالها وغذاها بالسنين والشهور والأيام غدا حسنا (وكفلها زكريا) أي جعله
الله مربيا لها وضامنا لمصالحها وقائما بتدبير أمورها ولما أخذها بنى لها غرفة في المسجد وجعل بابها في
وسطه لا يرقى إليه إلا بالسلم ولا يصعد إليها غيره وكان إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يأتيها بأكلها
وشربها ودهنها (كلما دخل عليها زكريا) وهو من ذرية سليمان بن داود (المحراب) أي الغرفة
(وجد عند رزقا) أي فاكهة الشتاء في الصيف مثل القصب وفاكهة الصيف في الشتاء مثل العنب
ولم ترضع ثديا قط بل يأتيها رزقها من الجنة (قال يا مريم أني لك هذا) أي من أين لك هذا الرزق الآتي
في غير حينه الذي لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة عليك (قالت هو من عند الله) أتاني به جبريل
من الجنة فتكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد (إن الله
يرزق من يشاء بغير حساب) أي بغير تقدير لكثرة الرزق أو من غير مسئلة في حينه وفي غير حينه
(هنالك) أي في ذلك المكان الذي كان قاعدا فيه عند مريم وشاهد تلك الكرامات أو في ذلك الوقت
الذي رأى فيه خوارق العادات عندها (دعا زكريا ربه قال) في مناجاته في جوف الليل (رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة) أي رب اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ولدًا مباركًا نقيًا صالحًا حارصًا
كهمتلك الجنة الهجوز العاقر مريم (إنك جميع الدعاء) أي مجيب الدعاء (فنادته الملائكة) أي
جبريل كما أخرج ابن جرير عن السدي (وهو قائم يصلي في المحراب) أي في الموضع العالي الشريف
في المسجد (أن الله يبشرك) بولدي يسمى (يحيى) قرأ ابن عامر وحزمة أن بكسر الهمزة والباء قون بالغ
(مصدقًا بكلمة من الله) أي بعيسى بن مريم بمعنى كونه كلمة من الله كونه مخلوقًا بلا أب قال ابن عباس
إن يحيى كان أكبر سنًا من عيسى بستة أشهر وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله ثم قتل يحيى
قبل رفع عيسى بمدة يسيرة (وسيدا) أي رئيسًا للمؤمنين في العلم والحلم والعبادة والورع قال ابن عباس
أي حلیمًا عن الجهول وقال مجاهد أي كريمًا على الله (وحصورا) أي مانعًا من النساء للعفة والزهد
لا لاهجز (ونبيًا من الصالحين) أي من المرسلين (قال رب أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر) أي قال
زكريا لجبريل يا سيدي من أين يكون لي ولد وقد أدركني كبر السن (وامرأتى عاقر) أي عقيم لا تلد
قال ابن عباس كان زكريا يوم بشره بالولد ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته أيشاع بنت فاقوذ بنت
تسعين وثمان (قال) أي جبريل (كذلك) أي الأمر كما قلت لك من خلق ولد منكم كما أنتم على حالكم
من الكبر (الله يفعل ما يشاء) من الأفاعيل الخارقة للعادة (قال) أي زكريا (رب اجعل لي آية)
أي علامة في حبل امرأتى (قال) أي الله تعالى (آيتك) أي علامتك في حبل امرأتك (أن لا تكلم
الناس) أي أن لا تقدر على تكليمهم من غير خرس (ثلاثة أيام) متوالية بلياليها (الأمر) أي
الانحراب بكيا الشفتين والحاجبين والعينين واليدين (واذكر ربك) باللسان والقلب في مدة الحبسة
عن كلام الدنيا مع الخلق شكر الله تعالى على هذه النعمة (كثيرا) أي ذكرًا كثيرًا على كل حال
(وسبح بالعشي والابكار) أي صل عشا وغدوة كما كنت تصلي (و) اذكر (اذ قالت الملائكة) أي
وجبريل لمريم مشافهة (يا مريم إن الله اصطفاك) بتفرغك لعبادته وتخصيصك بأنواع اللطف والهداية
والعصمة والكفاية في أمر المعيشة ومهاج كلام جبريل شفها (وطهرتك) من المعصية ومسيب الرجال
ومن الأفعال الذميمة ومن مقالة اليهود وبنوهم ويقال أنجباك من القتل (واصطفاك على نساء العالمين)

بولادة عيسى من غير أب ونطقه حال انفصاله من مريم حتى شهد ببراءتها عن التهمة وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهن
 السلام (يا مريم اقتني لربك) أي دومي على طاعته بأنواع الطاعات شكرًا لذلك ويقال أطيلي القيام
 في الصلاة شكرًا لربك (واسجدي) أي صلي منفردة (واركعي مع الرাকعين) أي صلي مع أهل
 الصلاة في بيت المقدس فإن اقتداء النساء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء قال
 المفسرون لما ذكرت الملائكة هذه الكلمات على مريم شفاها قامت مريم في الصلاة حتى ورمت قدميها
 وسال الدم والقيح من قدميها (ذلك) الذي مضى ذكره من حديث حنة ومريم وزكريا (من أنبياء الغيب)
 أي من أخبار الغائب عنك يا محمد (نوحيه إليك) أي ترسل جبريل بالقاء الغائب إليك (وما كنت لديهم)
 أي عند الذين تنازعوا في تربيته مريم (أذيلفون أعلامهم) التي كانوا يكتبون بها الكتب في جرى الماء ليعلموا
 (أيهم يكفل مريم) أي أي أحد هم يربي مريم وكان القراع على أن كل من جرى قلمه على عكس جرى
 الماء فالحق معه (وما كنت لديهم أذيتصمون) أي وما كنت هناك أذيتقارعون على تربيته مريم وأذ
 يختصمون بسببها (أذ قالت الملائكة) أي جبريل (يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) أي بولد يكون مخلوقا
 بكلمة من الله أي من غير واسطة الأسباب العادية فإن غير عيسى من كل علوق وإن وجد بكلمة كن
 لكنه بواسطة أب (اسمه) أي الولد (المسيح) سمى بالمسيح لأنه يسبح في البلدا ولأنه مامع بيده
 ذاعاهة الأبرئ من مرضه (عيسى بن مريم) وأغنا نسبة الله تعالى إلى الأم أعلامها بأنه محدث بغير
 الأب فكان ذلك سببا لزيادة فضله وعلو درجته (وجيها) أي ذاباه وشرف (في الدنيا) بالنبوة
 وبأحياء الموتى وبإبراء الأكمه والأبرص بسبب دعائه (والآخرة) يجعله شفيص أمته بقبول شفاعته
 فيهم وعلو درجته عند الله تعالى (ومن المقربين) إلى الله في جنة عدن وهذا الوصف كالتمنييه على أن
 عيسى سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة (ويكلم الناس في المهد) أي في حجر أمه وهو ابن أربعين
 يوما بقوله أنى عبد الله (وكهلا) أي بعد ثلاثين سنة أي أن عيسى يكلم الناس مرة واحدة في حجر أمه
 لاظهار طهارة أمه من الفاحشة ثم عند السكهوة يتكلم بالنبوة (ومن الصالحين) أي من المرسلين
 (قالت رب أنى يكون لى ولد) أي قالت مريم لجبريل ياسيدي من أين يكون لى ولد (ولم يمسنى بشر)
 بالجلال ولا بالحرام لأن المحررة لا تزوج أبدا كالأكرام (قال) أي جبريل (كذلك) أي
 الأمر كما قلت لك من خلق ولد منك بلا أب (الله يخلق ما يشاء أذا قضى أمرا) أي إذا أراد خلق شئ
 (فأما يقول له كن) لا غير (فيكون) من غير ريث فنفع جبريل في جيب درهما فوصل نفسه إلى
 فرجها فدخل رحمها فلهت منه (ويعلم الكتاب) قرأ نافع وعاصم بعلمه بالياء معطوف على الحال
 وهي قوله وجيها فكان جبريل قال وجيها وعلمه أو علمه بالياء معطوف على القول
 محذوف من كلام الملك تقديره وجيها ومقولا فيه نعلمه أو أن الله يبشرك بعيسى ويقول نعلمه كتب الانبياء
 والكتابة أي الخط (والحكمة) أي العلم المقترن بالعمل وتهذيب الأخلاق (والتوراة والإنجيل)
 وخصا بالذكر لفضلهما (و) نبعنه (رسولا إلى بني إسرائيل) أي كلهم وقيل هو معطوف على الأحوال
 السابقة كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا وقرى ورسول بالجر عطف على كلمة والمعتمد عند الجمهور أن
 عيسى أغنا بنى على رأس الأربعين وأنه عاش في الأرض قبل رفعه مائة وعشرين سنة وهو آخر أنبياء بني
 إسرائيل كما أن أولهم يوسف بن يعقوب (أنى قد جئتكم) بفتح الهمزة مجرور بالياء المقدرة التي للباسة

المتعلقة بمحذوف حال من رسول المقدس اقيم من معنى النطق والتقدير فلما جاءهم قال لهم اني رسول الله فيكم مله بساياتي قد جئتكم (بآية) أي بعلامة على صدقي في الرسالة (من ربكم) قالوا وما هي قال هي (اني اخلق) أي اصور (لكم من الطين كهية الطير) أي شيئاً مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) أي في فم ذلك المماثل لهية الطير (فيكون) أي فيصير (طيراً) حياً يطير بين السماء والارض (بإذن الله) أي بأمره تعالى فطلبوه بخلق الخفاش لانه أكمل الطير خلقاً وأبلغ دلالة على القدرة لانه نابوا سناناً ويضحك كما يضحك الانسان ويطير بغير ريش ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين ساعة بعد المغرب وساعة بعد طلوع الفجر والاني منه لهاندي وتحيض وتطهر وتلد فلما صور لهم خفاشاً فقالوا هذا صحر فهل عندك غيره قال نعم (وأبرئ الا كه) بالدعاء أي وأصحح الذي ولد أعمى أو المسوخ العينين (والابرص) وهو الذي في جلده بياض شديد فلما فعل ذلك قالوا هذا صحر فهل عندك غيره قال نعم (واحي الموتى بإذن الله) أي بالاسم الاعظم وهو يا حي يا قيوم فأحيا أربعة أنفس أحيا عازراً بعد موته بثلاثة أيام حتى عاش وولده وأحيا ابن الجوز وهو ميت محمول على السرير فنزل عن سريرته حياً ورجع الى أهله وعاش وولده وأحيا بنت العاشر أي الذي يأخذ العشور من الناس بعد يوم من موتها فعاشت وولدها فقالوا لعيسى انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يوتوا حقيقة بل أصابهم سكتة فأحيا الناس ام بن نوح وهو قد مضى من موته أكثر من أربعة آلاف سنة فقام على قبره فدعا الله باسمه الاعظم فقام من قبره وقال للقوم صدقوه فانه نبي الله ومات في الحال فأمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا صحر فهل عندك غيره قال نعم (وأنبئكم بما تآكلون) غدوة وعشية (وما تدخرون) أي ترفعون من غداء لعشاء ومن عشاء لغداء (في بيوتكم) عالم أعاينه (ان في ذلك) أي في ما قلت لكم من هذه الخمسة (آية) أي لهجة قوية دلالة على صحة رسالتي دلالة واضحة (لكم ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين انتفعتم بها (ومصدقاً لما بين يدي) أي لما قبلي (من التوراة) وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة وخمسة وسبعون سنة ومصدقاً معطوف على رسولنا وجهتكم (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب للبقر والغنم ولحوم الابل وعمالا صيدية له من السمك والطير ومن العمل في يوم السبت وهذا لا يقدح في كونه مصدقاً للتوراة لان النسخ تخصيص في الازمان (وجهتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بآيات (فاتقوا الله) في عدم قبولها (وأطيعون) فيما أمركم به وأنها كم عنه عن الله تعالى (ان الله ربي وربكم) وانما أظهر سيدنا عيسى المذموم وأقر بالعبودية لكي لا يتقولوا عليه الباطل فيقولوا انه اله وابن اله لان أقصراره بالعبودية لله يمنع عما تدعيه جهال النصاري عليه (فاعبدوه) أي لازموا طاعته التي هي الايمان بالأوامر والانتها عن المناهي أي لما كان الله تعالى رب الخلائق بأمرهم وجب على الكل ان يعبدوه وقوله تعالى ان الله ربي وربكم إشارة الى ان استكمال القوة النظرية بالتوحيد وقوله فاعبدوه إشارة الى أن استكمال القوة العملية بالطاعة (هذا) أي الجمع بين التوحيد والعبادة (صراط مستقيم) أي دين قائم برضا الله تعالى وهو الاسلام ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم لرجل قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لا أسأل عنه أحد بعدك (فلما أسس عيسى منهم الكفر) أي فلما سمع عيسى بإذنه من بني اسرائيل تكرار الكفر وطلبوا قتله لانهم كانوا عارفين بأنه هو المسيح المبشر به في التوراة وأنه ينسج دينهم (قال) لاصفياء أصحابه (من أنصاري

الى الله) أى من أنصارى حال التجاؤ الى الله ويقال من أعوانى مع الله على أعدائه (قال الحواريون)
 أى القصارون أى الذين يبيضون الثياب (فمن أنصار الله) أى نحن أعوانك مع الله على أعدائه قيل
 كانوا تسعة وعشرين منهم قطرس ويعقوب ولحيس وايدارانيس وقيلس وابن تلماس ومتنا
 وبوقاس ويعقوب بن حليفا وبداسيس وقياسا وبودس وكدمابوطا وسرجس وهو الذى ألقى
 عليه شبهه أخرج ذلك ابن جرير عن ابن اسحق وقيل كان الحواريون اثني عشر رجلا آمنوا بعيسى عليه
 السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا اجعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها السكل واحد
 رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا
 قال عليه السلام أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا
 حوارين أى ان اليهود لما طلبوا عيسى عليه السلام للقتل وكان هو فى الهرب عنهم قال لا ولئلا لاثنى
 عشر من الحوارين أىكم يحب أن يكون رفيقي فى الجنة على أن يلقي عليه شبهى فيقتل مكانى
 فأجابهم الى ذلك بعضهم (آمنوا بالله) فهذا استئناف مجرى مجرى العلة لما قبله والمعنى يجب علينا أن
 نكون من أنصار الله لاجل اننا آمننا بالله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن أولياء الله
 والمحاربة مع أعدائه (واشهد) يا سيدنا عيسى (بأننا مسلمون) أى مقرون بالعبادة والتوحيد لله
 وذلك اقرار منهم بأن دينهم الاسلام وأنه دين كل الانبياء صلوات الله عليهم واشهاد الله أيضا على أنفسهم
 بذلك فلما أشهدوا عيسى على ايمانهم واسلامهم تضرعوا الى الله تعالى وقالوا (ربنا آمننا بما أنزلت)
 من الكتاب أى الانجيل (واتبعنا الرسول) أى دين رسول الله عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين)
 أى اكتبنا فى جملة من شهد لك بالتوحيد ولا نبيا لك بالتصديق وقال ابن عباس فاما ~~كتبنا~~ فى زمرة
 الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه أو فاككتبنا مع محمد وأمه لانهم هم المخصوصون بأداء الشهادة (ومكروا)
 أى أراد اليهود قتل عيسى (ومكر الله) أى أراد الله قتل صاحبهم طيطيانوس وقيل مكرهم بعيسى هم
 بقتله ومكر الله تعالى بهم رفع عيسى الى السماء وذلك أن يهودا ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام
 وكان جبريل لا يفارقه ساعة فأمره جبريل أن يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل
 من تلك الروزنة وكان قد ألقى شبهه على غيره فأخذ وصب (والله خير الماكرين) أى أقوى المرين
 ويقال أفضل الصانعين روى عن ابن عباس ان ملك بنى اسرائيل اسمه يهودا لما قصد قتل عيسى أمره
 جبريل أن يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم
 يقال له طيطيانوس ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فلم ير عيسى فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه فخرج
 بخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا ارجعه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان
 كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم (اذ قال الله يا عيسى
 انى متوفيك) أى مستوفى أجلك المسمى وعاصمك من أن يقتلك الكفار (ورائعا الى) من الارض الى
 محل كرامتى والى محل ثوابك (ومطهرك من الذين كفروا) بك أى منجوك منهم (وجاعل الذين اتبعوك) أى
 الذين آمنوا بأنك عبد الله ورسوله والذين صدقوا بنبوتك وادعوا بحببتك كالنصارى (فوق الذين كفروا)
 بك وهم اليهود بالحجة والسيف والقهر والسلطان والاستعلاء والنصرة (الى يوم القيامة) فان ملك اليهود
 قد ذهب فلم تبق لهم قلعة ولا سلطان ولا شوكة فى جميع الارض بل يكونون مقهورين أين ما كانوا بالذلة
 والمسكنة وملك النصارى باق قائم الى قريب من قيام الساعة فان ترى أن دولة النصارى فى الدنيا أعظم

وأقوى من أمر اليهود ودوزكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الخواريين بعد رفع عيسى عليه السلام الى السماء فشمسوهم وعذبوهم فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته ثم بعث الى الخواريين فانتزعهم من أيديهم وسأهم عن عيسى عليه السلام فأخبروه فتابعهم على دينهم وأنزل المصاوب فغيبه وأخذ الخشبة فأكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملائكة طباريس وهو قد صار نصرانيا لانه لم يظهر ذلك ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ملطيس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بقدر أربعين سنة ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الجحاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح وقصد قتله (ثم الى مرجعكم) بالموت والخطاب لعيسى ومن آمن معه ومن كفر به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) أي تخاضعون في الدين (فأما الذين كفروا) بالله ورسوله (فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا) بالقتل والسبي والجزية والذلة (والآخرة) بالنار (ومالهم من ناصرين) أي مانعين من عذاب الله في الدنيا والآخرة (وأما الذين آمنوا) بالله والكتاب وبنبوة عيسى وبنبوة محمد (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (فيؤفيهم أجورهم) أي فيؤفونهم أجور أعمالهم في الجنة (والله لا يحب الظالمين) أي لا يريد إيصال الخير الى المشركين وقرأ حفص عن عاصم فيؤفيهم بالياء والفاعل راجع الى الله والماقون بالنون (ذلك) أي خبر عيسى (نتلوه عليك) أي تنزل عليك جبريل به (من الآيات) أي من آيات القرآن أو من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك (والذكر الحكيم) أي الذي ينطق بالحكمة أو المحكم فان القرآن ممنوع من تطرق الحلال اليه * وروى انه حضر وفد فجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ما شأنك تذكر صاحبنا وتسبه فقال من هو قالوا عيسى قال وما أقول قالوا تقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسا ناقط من غير أب ومن لا أب له فهو ابن الله ثم خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل فقال قل لهم اذا أتوك (ان مثل عيسى عند الله) أي ان صفة تخلق عيسى في تقدير الله وحكمه بلا أب (كمثل آدم) أي كما فقه قال آدم (خلقه من تراب) بلا أب وأم (ثم قال له) أي لا آدم (كن فيكون) أي نفخ فيه الروح وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان ولدا بلا أب فاذا كان آدم كذلك ولم يكن ابن الله فكذلك عيسى فن لم يقرب ان الله خلق عيسى من غير أب مع اقراره بخلق آدم بغير أب وأم فهو خارج عن طور العقلاء وأيضا اذا جاز ان يخلق الله آدم من التراب فجواز خلق الله تعالى عيسى من دم مريم من باب أولى فان هذا أقرب الى العقل من تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الام أقرب من تولد من التراب اليابس (الحق) أي الذي أنزل عليك من خبر عيسى انه لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه هو (من ربك) والباطل من النصاري واليهود والنصارى قالوا ان مريم ولدت الها واليهود ومواري بالافك ونسبوها الى يوسف النجار (فلا تكن من المتبرين) أي من الشاكين فيما بينت لك من تخليق عيسى بلا أب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تعريكا له لزيادة ثباته على اليقين ولكل سامع لينزع عما يورث الامتراء ثم ذكر الله تعالى خصومة وفد بني فجران مع النبي صلى الله عليه وسلم بعدما بين لهم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فقالوا ليس كما تقول ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه فقال الله تعالى (فن حاجبك) أي خاصمك من نصاري فجران (فيه) أي في شأن عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من الدلائل الموجبة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا) أي نخرج

بأنفسنا (وأنفسكم) أي اخرجوا بأنفسكم (ثم نبتهل) أي نجتهد في الدعاء ونخلصه أو نلاعن بيننا
وبينكم (فنجعل لعنة الله) فيما بيننا (على الكاذبين) على الله في حق عيسى وهم من يقولون
ان عيسى بن الله أو انه اله * روى انه صلى الله عليه وسلم لما ذكر الدلائل على نصارى نجران ثم انهم
أصروا على جهلهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني ان لم تقبلوا الحجّة أن أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم
حتى نرجع فننظر في أمرنا ثم تأتيل غد افلما رجعوا الى قومهم قالوا للعاقب وكان ذارأيهم يا عبد المسيح
ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمد انبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر
صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا بنت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان أبيتم الا
الاقامة على دينكم والاصرار على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من بيته الى المسجد وعليه مرط من شعر أسود محتضنا للحسين
أخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلى خلفه رضى الله عنهم أجمعين وهو يقول لهؤلاء الاربعة اذا
دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى اني لا أرى وجوها لو سألو الله تعالى ان يرزق جبالا
من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وان ثبت على ديننا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال
فاني أنا جزكم القتال فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا
على ان نؤدى اليك في كل عام ألفي حلة ألفا في صفر وألفا في رجب وثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين
بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح فصالحهم رسول الله على ذلك (ان هذا) الذي ذكرت
من الدلائل التي دلت على ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه ومن الدعا الى المباهلة مع وفد بني
نجران (لهو القصص الحق) دون كاذب النصارى (وما من اله الا الله) بلا شريك ولا ولدا ولا
زوجة (وان الله له العزيز) أي الغالب الذي لا يمنع القادر على جميع المقدورات (الحكيم) أي
العالم بجميع المعلومات وبجميع عواقب الامور فذكر العزيز الحكيم ههنا اشارة الى الجواب عن
النصارى في الشبهتين لعيسى القدرة على الاحياء ونحوه وأخبار الغيوب (فان تولوا فان الله عليم
بالفسدين) أي قال أبو عن قبول الحق وأعرضوا عما وصفت من ان الله هو الواحد انه يجب أن يكون
غالبا قادرا على جميع المقدورات عالما بالنهايات محيطا بالمعلومات مع اعترافهم بأن عيسى لم يكن كذلك
ومع قولهم ان اليهود قتلوه فاعلم أن اباهم واعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم
وفوض أمرهم الى الله فان الله عليم بفساد المفسدين مطلع على ما في قلوبهم من الاغراض الفاسدة قادر
على مجازاتهم (قل يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في شأن نصارى بني نجران كما قاله ابن عباس وذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر على نصارى نجران أنواع الدلائل أولا ثم دعاهم الى المباهلة ثانيا
فخافوا وقبلوا الصغار بأداء الجزية وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم فعبدل الى رعاية
الانصاف وترك المجادلة فكانه تعالى قال يا محمد اترك ذلك المنهج من الكلام واعبدل الى منهج آخر
يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم انه كلام مبني على الانصاف وترك الجدال وقل يا أهل الكتاب أي
يا معشر النصارى (تعالوا الى كلمتنا وبيننا وبينكم) أي هلموا الى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض
لا ميل فيه لاحد على صاحبه وقيل نزلت في حق يهود المدينة وقيل نزلت في شأن الفريقين وذلك لما قدم
وفد نجران المدينة والتقوا مع اليهود واختصموا في دين ابراهيم فزعمت النصارى انه كان نصرا نيا وانهم

على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهود يا ونحن على دينه وأولى الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين يرى من إبراهيم ودينه بل كان إبراهيم حنيفاً مسلماً وأنا على دينه فاتبعوا دينه الأسلام فقالت اليهود يا محمد ماتريد إلا أن نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ماتريد إلا أن تقول فيك ما قالت اليهود في عزيز فأنزل الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعاو إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أي يا معشر اليهود والنصارى هلموا إلى قصة عاد لمة مستقيمة بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب فإذا آمننا نحن وأنتم بها كنا على سواء والاستقامة تتم فسر الكلمة بقوله (أن لا نعبد إلا الله) أي أن نوحده بالعبادة ونحضره بها (ولا نشركه بشياً) أي ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نعتقد أهلاً إلا الله (ولا يتخذ بعضنا بعضاً رباباً من دون الله) أي لا يطيع أحد منا أحداً من الرؤساء في معصية الله تعالى وفيما أحدثوا من التحريم والتحليل ولا نقول عزيز بن الله ولا المسيح ابن الله لأنهم باشرنا مثلنا (فانقولوا) أي أبوا إلا الأصرار على الشرك (فقلوا والشهدوا بأننا مسلمون) أي فأنظروا أنت والمؤمنون بأنكم على هذا الدين وقولوا اعترفوا بأننا مقرون بالتوحيد والعبادة لله تعالى دونكم فقد رمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك وبأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام (يا أهل الكتاب) أي يا معشر اليهود والنصارى (لم تحتاجون في إبراهيم) أي لم تحتاجون في دين إبراهيم ولم تدعون أن إبراهيم عليه السلام كان منكم (وما أنزلت التوراة) على موسى (والإنجيل) على عيسى (الأمين بعده) أي من بعد إبراهيم بزمان طويل إذ كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وبعد نزول التوراة حدثت اليهودية وبعد نزول الإنجيل حدثت النصرانية (أفلا تعقلون) أي أتدعون أن إبراهيم منكم فلا تعقلون بطلان ادعائكم (ها أنتم هؤلاء حاجبتم) أي ها أنتم يا هؤلاء اليهود والنصارى خاضتمتم (فيما لكم به علم) في كتابكم أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وإنما محمد نبي مرسل وهو موجود في كتابكم بنعتهم فأنكرتم ذلك (فلم تحتاجون في ما ليس لكم به علم) في كتابكم لأنه ليس لدين إبراهيم ذكر في كتابكم أصلاً ولم تدعون أن شريعة إبراهيم مخالفة لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (والله يعلم) كيف كانت حال هذه الشرائع في المخالفة والموافقة (وأنتم لا تعلمون) كيفية تلك الأحوال ثم بين الله تعالى ذلك مفصلاً وكذبهم فيما ادعوه من موافقة إبراهيم لها فقال (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) أي ليس إبراهيم على دين اليهود ولا على دين النصارى (ولكن كان حنيفاً) أي مائلاً عن الأديان الباطلة كلها (مسلياً) أي على ملة التوحيد لا على ملة الأسلام الحادثة (وما كان من المشركين) وهذا تعرض بكون اليهود والنصارى مشركين بقولهم عزيز بن الله والمسيح بن الله ورد على المشركين في ادعائهم أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام (أن أولى الناس بإبراهيم) أي أن أقرب الناس إلى دين إبراهيم وأخصهم به (للذين اتبعوه) في زمانه (وهذا النبي) محمد (والذين آمنوا) بمحمد مدفعهم الذين يليق أن يقولوا نحن على دينه لأن غالب شرع محمد موافق لشرع إبراهيم أي أن حق الناس بدين إبراهيم فريقان أحدهما من اتبعه من أمته وثانيهما النبي وسائر المؤمنين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (والله ولي المؤمنين) أي ناصرهم وحافظهم ومكرمهم ثم ذكر دعوة كعب بن الأشرف وأصحابه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ وحذيفة وعمار بعد يوم أحد إلى دينهم اليهودية عن دين الأسلام فقال (ودت طائفة) أي تحنت (من أهل الكتاب لو يضلونكم) أي أن يضلونكم عن دينكم الأسلام (وما يضلون) عن دين الله (إلا أنفسهم) لأن

المؤمنون لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم يمتنعهم اضلال المؤمنين وهم صاروا خائنين حيث اعتقدوا
 شيئا ولا ح لهم أن الامر بخلاف ما تصوروه (وما يشعرون) ١ هذا نصرهم لان العذاب يضاعف لهم
 بسبب ضلالهم وتعني اضلال المسلمين (يا أهل الكتاب لما تكفرون بآيات الله) وهي الواردة في التوراة
 والانجيل من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخبار بأن الدين هو الاسلام وبأن ابراهيم كان خنيقا
 مسلما (وأنتم تشهدون) معتمدا اذا خلا بعضكم مع بعض وتنكرون اشتغال التوراة والانجيل على
 الآيات الدالة على نبوة محمد عند حضور عوامكم وعند حضور المسلمين أو المعنى لم تكفرون بالقرآن فانكم
 تنكرون عند العوام كونه مبعوثا وأنتم تشهدون بقلوبكم وعقولكم كونه مبعوثا (يا أهل الكتاب لم
 تلبسون الحق بالباطل) أي لما تخلطون المنزل من التوراة بالمحرف من عندكم كما نقل عن الحسن وابن
 زين أو لم تشككون للناس باظهار الاسلام بالتواضع أول النهار ثم الرجوع عنه في آخر النهار كما نقل عن
 ابن عباس وقتادة وقرئ تلبسون بتشديد الباء وقرأ يحيى بن وثان يلبسون بفتح الياء أي تكتمون الحق
 مع الباطل (وتكتمون الحق) أي الآيات الموجودة في التوراة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
 (وأنتم تعلمون) انكم انما تفعلون ذلك عناد ووحدا وتعلمون أن عقاب من يفعل مثل هذه الافعال عظيم
 أي أنتم أرباب العلم والمعرفة (وقالت طائفة من أهل الكتاب) هم اثنا عشر حبرا من أحبار يهود خيبر
 لسفلتهم منهم عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحريث وكعب وأصحابه من الرؤسا (آمنوا بالذي أنزل
 على الذين آمنوا) بمحمد أي آمنوا ببعض القرآن أي بالقبلة التي صلى اليها محمد وأصحابه (وجه النهار)
 أي أوله وهو صلاة الفجر (واكفروا) بالقبلة الاخرى التي صلوا اليها (آخره) صلاة الظهر فانه صلى
 الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس بعد ان قدم المدينة ففرح اليهود بذلك وطمعوا أن يكون منهم
 فلما حوله الله تعالى الى الكعبة عند صلاة الظهر شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف ومالك بن
 الصيف لأصحابهما آمنوا بالذي أنزل على محمد في شأن القبلة وصلوا اليها أول النهار ثم ارجعوا الى قبلكم
 وصلوا الى العصرة آخر النهار (لعلهم) أي أصحابه العوام (يرجعون) عن دينه وقبلته (ولا تؤمنوا الا لمن تبس
 دينكم) أي ولا تأتوا بذلك الايمان الا لاجل من تبس دينكم فان مقصود كل واحد حفظ أتباعه على
 متابعتهم أي غرضهم بالاتيان بذلك التلبس بقاء أتباعهم على دينهم أو المعنى لا تصدقوا بالنبوة الا لمن
 وافق دينكم اليهودية وقبلتكم بيت المقدس فأما من جاء بتغيير شيء من أحكام التوراة فلا تصدقوه
 (قل ان الهدى هدى الله) أي ان الدين دين الله وهو الاسلام والقبلة قبلة الله هي الكعبة (أن يؤتى
 أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) وهذا من جملة كلام الله تعالى فلا تنكروا يامعشر اليهود أن
 يعطى أحد سواكم من الدين والقبلة مثل ما أعطيتموه أو ان يحاجج المسلمون اياكم بذلك عند ربكم ان لم
 تقبلوا ذلك منهم وقرأ ابن كثير أن يؤتى بهم مرتين مع قصر الاولى وتسهيل الثانية على الاستفهام الذي
 للانكار والتوبيخ والمعنى آمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم من الشرائع ينكرون اتباعه
 وهذا الوجه مروى عن مجاهد وعيسى بن عمر وغاية ما في هذا الباب انه يقتضي هذا التأويل الى
 انه ما رادة الانكار لان عليه دليلا وهو قوله تعالى ان الهدى هدى الله فانه لما كان الهدى هدى الله
 كان له تعالى أن يؤتیه من يشاء من عباده ومتى كان الامر كذلك لزم ترك الانكار (قل ان الفضل)
 بالرسالة والنبوة والاسلام وقبلة ابراهيم (بيد الله) فانه مالك له (يؤتیه من يشاء) أي يعطيه محمدا
 وأصحابه والله تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أنهم آمنوا وجه النهار وكفروا آخره ليصير ذلك

شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الهدى هدى الله أى ان مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيزة قوة ولا أثر وثانيهم استنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا من الكتاب والحكم والنبوة فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (والله واسع) أى كمال القدرة فيقدر أن يتفضل على أى عبد شاء بأى تفضل شاء (عليم) أى كمال العلم فلا يكون شئ من أفعاله الاعلى وجه الحكمة والصواب (يختص برحمته) التى بلغت فى الشرف وعلو المرتبة الى أن تكون أعلى وأجل من أن تقاس من النبوة والرسالة والدين (من يشاء) محمدا وأصحابه (والله ذو الفضل العظيم) فلانهاية لمراتب اعزاز الله وكرامه لعباده (ومن أهل الكتاب) أى اليهود (من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) بغير تعب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) بل يستحله (الامادمت عليه قائما) أى مطالبا مخلصا ككعب بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس أودع قرشي عبد الله بن سلام ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأداه اليه وأودع قرشي آخر فخاص بن مازورا فخافه فزلت هذه الآية ~~تنبية~~ معنى الباء الصاق الامانة كما أن معنى على فى قولك أمنت على كذا استعلاء الامانة فمن اتى على شئ فقد صار ذلك الشئ فى معنى المتصدق به وصار المودع كالمتعنى على تلك الامانة (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل) أى ذلك الاستحلال والحياة مستحق بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل أى قدرة على المطالبة والالزام فانهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا أو المعنى ليس علينا فى أخذ أموال العرب سبيل أى انهم قالوا أموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أى انهم قالوا ان جواز الحياة مع المخالف مذكور فى التوراة وكانوا كاذبين فى ذلك وعالمين بكونهم كاذبين فيه ومن كان كذلك كانت خيائته أعظم وجرمه أخش (بلى) على اليهود فى العرب سبيل وهـ ذارد على اليهود ولكن (من أوفى بعهد) فيما بينه وبين الله أو بينه وبين الناس (واتقى) عن نقض العهد بالحياة وترك الامانة (فان الله يحب المتقين) وهذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات محصورة فى أمرين التعظيم لاسرائيل والشفقة على خلق الله فالوفاء بالعهد شتمل عليها ما عالان ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله وذلك أمر الله فالوفاء بالعهد تعظيم لاسرائيل ثم الوفاء كما يكون فى حق الغير يكون فى حق النفس فالوفاء بعهد النفس هو الآتى بالطاعات والتارك للمحرمات (ان الذين يشرون بعهد الله) أى من جميع ما أمر الله به وعما يلزم الشخص نفسه (وأيمانهم) وهى الحلف التى يؤكدها الانسان خبره من وعد أو وعيد أو انكار أو اثبات (ثمنا قليلا) من الدنيا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لا خلاق) أى لانصيب (لهم فى) خير (الآخرة) ونعيمها (ولا يكلمهم الله) أى يشتد غضب الله عليهم (ولا ينظر اليهم) بالاحسان والرحمة (يوم القيامة ولا يركبهم) أى لا يطهرهم من دنس ذنوبهم بالمغفرة (ولهم عذاب أليم) أى جميع يخلص وجهه الى قلوبهم تزلت هذه الآية فى حق عبدان بن الاشوع وامرى القيس اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فتوجهت اليه على امرى القيس فقال انظرنى الى الغد ثم جاء فى الغد وأقرله بالارض وقيل تزلت فى شأن الاشعث بن قيس كان بينه وبين رجل خصومة فى أرض وبثرا اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للرجل أقم بينك فقال ليس لى بينة فقال

للاشعث عيسى باليمين فهم الاشعث باليمين فانزل الله تعالى هذه الآية فنسكل الاشعث عن اليمين ورد
 الارض الى الحسم واعترف بالحق وهذا قول ابن جرير وقيل نزلت في شأن كعب بن الاشرف ويحيى بن
 الخطيب وأبي رافع وابابنه بن أبي الحقيق بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وأخذوا الرشوة
 على ذلك وحلفوا بأنه من عند الله لئلا يفوتهم الرشاء كما قاله عكرمة أو كتبوا بأيديهم كتابا في ادعائهم أنه
 ليس علينا في الاميين سبيل وحلفوا أنه من عند الله كما قاله الحسن وهذه الآية دلت على انها نزلت في
 اقوام حلفوا بالايمان الكاذبة فتحمل على جميع الروايات (وان منهم) أي من اليهود (لفريقا يلوون
 الستهم بالكتاب) أي طائفة يحرفون اللفظة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة
 حركات الاعراب تحريفات غير به المعنى وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ويحيى بن الخطيب وأبي
 يامر وشعبة بن عمار (لتحسبوه) وقرئ شاذة بالياء (من الكتاب) أي لكي يظنه السفلة أو
 المسلمون ان المحرف من التوراة (وما هو من الكتاب) أي والحال ان المحرف ليس من التوراة في نفس
 الامر وفي اعتقادهم (ويقولون هو) أي المحرف (من عند الله) أي موجود في كتب سائر
 الانبياء مثل اشعيا وأرخيا وحيفوف (وما هو من عند الله) فالانصار الجاهلون بالتوراة نسبوا ذلك
 المحرف الى انه من التوراة والاذكاه زعموا أنه موجود في كتب سائر الانبياء الذين جاءوا بعد موسى عليهم
 السلام وعلم من هذا التفسير المغايرة بين اللفظين فانه ليس كل ما لم يكن في الكتاب لم يكن من عند الله
 فان الحكم الشرعي قد ثبت تارة بالكتاب وتارة بالنسخة وتارة بالاجماع وتارة بالقياس والكل من عند الله
 (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أي يتعمدون ذلك الكذب مع العلم وعن ابن عباس رضي الله
 عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيره والتوراة وكتبوا كتابا يدلو فيه صفة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم (ما كان لبشر ان يوتييه
 الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) أي ما أمكن وما صحت لاحد من
 الانبياء كعيسى ومحمد ان يعطيه الله الكتاب أي التوراة أو القرآن والفهم لذلك الكتاب والنبوة ثم يقول
 ذلك البشر المشرف بالصفات الثلاثة للناس كونوا عبادا كائنه من لي متجاوزين الله اشرا كأفراد
 قال مقاتل والضحك نزلت هذه الآية في شأن نصارى نجران حيث يقولون ان عيسى عليه السلام أمرنا
 ان نتخذه ربا وقال ابن عباس لما قالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله نزلت هذه الآية
 وقال أيضا في مقالتهم نحن على دين ابراهيم وأمرنا هو بهذا الدين وقال ابن عباس وعطاء ان أبارافع
 القرظي من اليهود ورئيس وفد نجران من النصارى قال لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك
 ونتخذك ربا فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو ان نأمر بغير عبادة الله فبذلك بعثني
 الله ولا بذلك أمرني فنزلت هذه الآية وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض
 أفلا نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم
 واعرفوا الحق لاهله فنزلت هذه الآية (ولكن كونوا ربانيين) أي ولكن يقول ذلك البشر الذي
 رفعه الله الى أعلا المراتب كونوا علماء عاملين (بما كنتم تعملون الكتاب) قرأ عبد الله بن كثير وأبو
 عمرو ونافع بفتح التاء وسكون العين والباقون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة أي تعلمون الناس
 من الكتاب (وبما كنتم تدرسون) أي وبسبب كونكم تقرأون من الكتاب (ولا يأمركم أن تتخذوا
 الملائكة والنبيين أربابا) قرأ عاصم وحزمة وابن عامر بفتح الراء والغافل ضمير يعود على البشر

ولا ضريبة لتأ كيد معني النفي أي ما كان لبشر أن يجعله الله نبيا ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو باتخاذ
 الملائكة والنبيين أو بابا وقرأ الباقون برفع الراء على سبيل الاستئناف كما يدل على ذلك ما روى عن
 ابن مسعود أنه قرأ أولن يأمركم والفاعل حيث شذبهير يعود على الله كما قاله الزجاج وإلى محمد كما قاله ابن
 جرير أو إلى عيسى أو إلى كل نبي من الأنبياء كما قيل بكل أي ولا يأمركم يا معشر قريش واليهود
 والنصارى بأن تتخذوا الملائكة والنبيين أو بابا كما اتخذت الصائبة وقريش الملائكة واليهود عزيرا
 والنصارى المسيح (أي يأمركم بالكفر) أي كيف أمركم ذلك البشر والله تعالى بالكفر (بعداذ
 أنتم مسلمون) وهذا استفهام إنكاري وهو خطاب للمؤمنين على طريق التهجيب من حال غيرهم ويقال
 بعداذ أمركم بالاسلام (واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) أي أعطيناكم
 قرآننا فآتيناكم بالنون على التفخيم (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) وقرأ
 الجمهور لما بفتح اللام وقرأ حمزة بكسر اللام وقرأ سعيدي بن جبير لما مشددة أما القراءة بالفتح فلما وجهان
 ما هو اسم موصول مرفوع بالابتداء وخبره قوله لتؤمنن به وأما هو متضمن لمعنى الشرط فاللام في قوله
 لتؤمنن به هي المتلقة للقسم أما اللام في ما هي لام تحذف تارة وتذكر أخرى ولا يتفاوت المعنى وهذا
 اختيار سيبويه والمازني والزمجورج وقال أبو السعد واللام في لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى
 الاستخلاف وما تحتل الشرطية ولتؤمنن سادس جواب القسم والشرط وتحتل الخبرية وأما القراءة
 بكسر اللام فلأنها للتعليل وما أمصدرية أو موصول وأما قراءة لما بالتشديد فاما هي بمعنى حين أولن أجل
 ما على أن أصله لمن ما وأما معنى وإذا أخذ الله فقال ابن جرير الطبري واذكروا يا أهل الكتاب إذا أخذ الله
 ميثاق النبيين وقال الزجاج واذكروا يا محمد في القرآن إذا أخذ الله ميثاق النبيين والمقصود بهذه الآية
 أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده أن يصدق
 بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره أن أدركه وإن لم يدركه
 أن يأمر قومه بنصرته أن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد
 صلى الله عليه وسلم وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الله الميثاق من النبيين في
 أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبين بعضهم لبعض صفة محمد وفضله وهو قول علي وابن عباس وقتادة
 والسدي وقال علي بن أبي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله
 عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل إن المراد من الآية
 أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق على أنهم بأنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمنون به
 وينصرونه وهذا قول كثير من المفسرين والمراد من قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم هو محمد صلى
 الله عليه وسلم والمراد بكونه مصدقا لما معكم هو أن كيفية أحواله مذكورة في التوراة والإنجيل فلما ظهر
 على أحوال مطابقة لما كان مذكورا في تلك الكتب كان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم (قال) الله
 تعالى لهم (أأقررتكم) بالإيمان به والنصرة له (وأخذتم على ذلكم أصري) أي قبلتم على ما قلت
 عهدى (قالوا) أي النبيون (أقررتنا) بذلك (قال) الله تعالى (فأشهدوا وأنا معكم من
 الشاهدين) أي فليشهد بعضكم على بعض بالأقرار وأنا على أقراركم وأشهد بعضكم بعضا من
 الشاهدين (فمن تولي بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) أي من أعرض عن الإيمان بهذا الرسول
 وبنصرته بعدما تقدم من هذه الدلائل كان من الخارجين عن الإيمان (أفغير دين الله يبغون وله

أسلم من في السموات والارض طوطا وكرها واليه يرجعون) والوجه في هذه الآية ان هذا الميثاق لما
 كان مذكورا في كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا اطاعوا ما بين بصدق محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة
 فلم يبق لكفرهم سبب الا مجرد العداوة والحسد فصاروا كابليس الذي دعا الحسد الى الكفر فأعلمهم الله
 انهم متى كانوا كذلك كانوا اطالين دين الله ومعبودا سوى الله تعالى ثم بين ان الاعراض عن حكم
 الله تعالى عما لا يليق بالعقلاء فقال وله أسلم من في السموات والارض أى لجلال الله تعالى لا لغيره انتقاد في
 طرفي وجوده وعدمه لان كل ما سوى الله ممكن لذاته وكل ممكن لذاته لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا
 باعدامه سواء كان عقلا أو نفسا أو روحا أو جسما أو جوهر أو عرضا أو فاعلا أو فعلا ونظير هذه الآية
 في الدلالة على هذا المعنى قوله تعالى والله يسجد من في السموات والارض فالمسلمون الصالحون ينتقدون الله
 طوعا فيما يتعلق بالدين وينقادون له كرها فيما يخالف طباعهم من الفقر والمرض والموت وما أشبه ذلك
 أما الكافرون فهم منتقدون لله تعالى كرها على كل حال لانهم لا ينتقدون فيما يتعلق بالدين ويخضعون
 له تعالى في غير ذلك كرها لانه لا يمكنهم دفع قضائه تعالى وقدره وأيضا كل الخلق منتقدون لاهيته تعالى
 طوعا بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ومنقادون لتكاليفه تعالى
 واجباده فلا آلام كرها ثم الهمزة للاستفهام التوبيخ وموضعها الفظة يبعثون والتقدير أيبغون غير دين الله
 لان الاستفهام انما يكون عن الافعال الحوادث وقرأ حفص عن عاصم يبعثون ويرجعون بالياء على
 الغيبة فيهما أي انما ذكر الله تعالى حكاية اخذ الميثاق حتى يبين ان اليهود والنصارى يلزمهم الايمان
 بعدم صلى الله عليه وسلم فلما أصرروا على كفرهم قال تعالى على جهة الاستنكار أفعير دين الله يبعثون
 وقرأ أبو عمرو وتبعثون بالتاء خطا باليهود وغيرهم من الكفار ويرجعون بالياء ليرجع الى جميع المكلفين
 المذكورين في قوله تعالى وله أسلم من السموات والارض وقرأ الباقر بالتاء على الخطاب فيهما لان ما قبلهما
 خطاب كقوله تعالى أأقرتم وأخذتم وأيضا فلا يبعد أن يقال للمسلم والكافر أفعير دين الله تبعثون مع علمكم
 بانه أسلم له تعالى من في السموات والارض وان مرجعكم اليه وهو كقوله تعالى وكيف تكفرون وأنتم تتلى
 عليكم آيات الله وفيكم رسوله ولما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة أنه انما أخذ الميثاق على الانبياء في
 تصديق الرسول الذي يأتي مصداقا لما معهم بين الله تعالى من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصداقا لما
 معهم فقال (قل آمنوا بالله وما أنزل علينا) وهو القرآن (وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
 والاسباط) من الصحف والمراد بالاسباط احفاد يعقوب وأبنائه الاثنا عشر (وما أوتي موسى وعيسى) من
 التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما (والنبيون من ربهم) من الكتب والمعجزات (لان فرق
 بين أحد منهم) أي نقر بأنهم كانوا بأسرهم على دين واحد في الدعوة الى الله وفي الانقياد لتكاليف
 الله ولا تكفر بأحد منهم كما فعل اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) أي مستسلمون لامر الله بالرضا وترك
 المخالفة لا لسمعة رياء وطلب مال وتلك صفة المؤمنين بالله والكافرون يوصفون بالمخاربة لله ولما قال
 تعالى ونحن له مسلمون بين أن الدين ليس الا الاسلام فقال (ومن يبتغ غير الاسلام) أي غير التوحيد
 والانقياد لحكم الله (دينا فلم يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) بحرمان الثواب وحصول العقاب
 ولحق التأسف على ما فات في الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب في الدنيا في تقرير الدين
 الباطل ولفظ ديننا مفعول وغير الاسلام حال منه مقدم عليه أو مغميز أو بدل من غير (كيف يهدي الله
 قوما كفروا) أي كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر (بعد ايمانهم)

بالقلب (وشهدوا) أى والحال هم قد أقروا باللسان (أن الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (حق
وجاءهم بالبينات) أى الطبع الظاهرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم
الظالمين) أى الكافرين الأصليين والمرتدين وهذه الآية نزلت في شأن الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وهم
اثنا عشر رجلاً منهم أبو عامر الراهب والحارث بن سويد بن الصامت ووضوح بن الأسلت وطعيمة بن
بريق كما أخرجه عكرمة وابن العساکر (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين) فإن لعنة الله هي الأبعاد من الجنة وإنزال العقوبة واللعنة من الملائكة والناس هي بالقول وكل
ذلك مستحق لهم بسبب كفرهم فصلح أن يكون جزاء ذلك وجميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ولا يمكنه
يعتقد في نفسه أنه ليس ببطل ولا بكافر فإذا لعن الكافر وهو في علم الله كافر فقد لعن نفسه وإن كان
لا يعلم ذلك (خالدين فيها) أى اللعنة فلا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم في النار فلا يخلو شئ
من أحوالهم من أن يلعنهم لا عن من هؤلاء (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعثون) أى لا يؤخر
عذابهم من وقت إلى وقت (إن الذين تابوا) من الكفر (من بعد ذلك) أى الارتداد (وأصلحوا)
باطنهم وظاهرهم بالعمل الصالح (فإن الله غفور) لقبائهم في الدنيا بالستر (رحيم) في الآخرة
بالغفر نزلت هذه الآية في شأن الحارث بن سويد وهو رجل من الانصار فإنه لما لحق مكة مرتد اندم على
ردته فأرسل إلى قومه بالمدينة أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فنزل الله هذه الآية
فبعث بها إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة رتاب على يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبل الرسول توبته وحسن إسلامه (إن الذين كفروا) بالله (بعد إيمانهم) بالله (ثم ازدادوا كفراً)
أى ثم أصروا على الكفر (لن تقبل توبتهم) ما أقاموا على ذلك قال القاضي والقفال وابن الأنباري لما
قدم الله تعالى ذكر من كفر بعد الإيمان وبين أنه أهل للعنة إلا أن يتوب ذكر في هذه الآية أنه لو كفر
مرة أخرى بعد تلك التوبة فإنها تصير غير مقبولة وكأنها لم تكن والتقدير الذين تابوا من بعد ذلك
وأصلحو فإن الله غفور رحيم فإن كانوا كذلك ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم (وأولئك هم الضالون)
على سبيل السكال عن الهدى (إن الذين كفروا) بالله والرسول (وماتوا وهم كفار) بالله والرسول
(فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض) أى مقدار ما علوا الأرض مشرقها ومغربها (ذهباً ولو اقتدى به)
قال الزجاج إن الواو للعطف والتقدير لو تقرب إلى الله في الدنيا بملء الأرض ذهباً لم ينفعه ذلك مع كفره ولو
اقتدى من العذاب في الآخرة بملء الأرض ذهباً لم يقبل منه أو المراد بالواو التعميم في الأحوال كأنه قيل
لن يقبل من الكافر في جميع الأحوال في الآخرة ولو في حال افتدائه نفسه في الآخرة (أولئك لهم عذاب
أليم ومالهم من ناصرين) في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه (لن تنالوا البر) أى الثواب والجنة
أولن تبلغوا إلى التوكل والتقوى (حتى تنفقوا عما تحبون) من أموالكم وعملكم وجاهكم في معاونته
الناس وبدنكم في طاعة الله ومهجةكم في سبيله (وماتنفقوا من شئ) تريدون به وجه الله أو مدحة
الناس (فإن الله به عليم) هذا تعليل للجواب المحذوف أى فيجازيكم بحسبه جيداً كان أو ردياً فإنه
تعالى عالم بكل شئ تنفقونه من ذاته وصفاته علماً كاملاً بحيث لا يخفى عليه شئ (كل الطعام) أى
كل طعام حلال على محمد وأمه (كان حلالاً لبني إسرائيل) أى كان حلالاً كله على أولاد يعقوب (إلا
ما حرم إسرائيل) أى يعقوب (على نفسه) بالنذر (من قبل أن تنزل التوراة) على موسى وذلك بعد
إبراهيم بألف سنة * روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن يعقوب مرض مرضاً

شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرم من أحب الطعام والشراب عليه وكان أحب الطعام اليه لحوم الابل
وأحب الشراب اليه ألبانها قال الأصم لعل نفسه كانت مائلة إلى أكل تلك الأنواع فامتنع من أكلها قهرا
لنفس وطلباً لرضا الله تعالى كما يفعله كثير من الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وروى ان
اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تدعي انك على ملة ابراهيم فكيف تأكل لحوم الابل وألبانها مع
ان ذلك حرام في دين ابراهيم فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال ان ذلك كان حلالاً لابراهيم واسماعيل
وامحق ويعقوب عليهم السلام الا أن يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في
أولاده أي فالحرمة عليهم م ناشئة من نذره أيضاً فانكرا لليهود ذلك فأمرهم الرسول عليه السلام باحضار
التوراة وباستخراج آية منها تدل على ان لحوم الابل وألبانها كانت محرمة على ابراهيم عليه السلام
فحجزوا عن ذلك فظهر انهم كانوا كاذبين في ادعاء حرمة هذه الاشياء على ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى
(قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) في دعواكم بأن التحريم قديم قال تعالى (فمن اقترى) أي
اختلف (على الله الكذب) بادعاء انه تعالى حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل وعلى من
قبلهم من الأمم (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الحجية بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب لا على
عهد ابراهيم (فأولئك) المصريون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال (هم الظالمون) المستحون
لعذاب الله (قل صدق الله) في أن سائر الاطعمة كانت محللة لبني اسرائيل وانها انما حرمت على اليهود
جزاء على قبائح أفعالهم (فاتبعوا ملة ابراهيم) أي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم لانها ملة
محمد صلى الله عليه وسلم (حنيفاً) أي ما دلل عن الأديان الزائفة كلها (وما كان من المشركين) في أمر
من أمور دينه فإنه لم يدع مع الله الها آخر ولم يعبد سواه كما فعله العرب من عبادة الاوثان أو كما فعله اليهود
في ادعاء ان عزير ابن الله وكما فعله النصارى في ادعاء ان المسيح ابن الله * ولما حول صلى الله عليه وسلم
القبلة الى الكعبة طعن اليهود في نبوته وقالوا ان بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال لانه
وضع قبل الكعبة وتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ان
أول بيت وضع للناس للذي ببكة) أي ان أول بيت بني لعبادات الناس للبيت الذي هو ببكة مهيت
مكة ببكة لانه يملك بعضهم بعضاً أي يزدهون في الطواف روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن
أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة أي ان
آدم بنى الكعبة ثم بنى الاقصى وبين بنائهما أربعون سنة (مباركاً) أي ذا بركة مما يجلب
المغفرة والرحمة (وهدي للعالمين) أي قبلة لكل نبي ورسول وصديق ومؤمن يهتدون بذلك البيت
الى جهة صلاتهم وذلك لان تكليف الصلاة كان لازماً في دين جميع الانبياء عليهم السلام بدليل قوله
تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وعن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم
واسرائيل وعن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكافدلت الآية على ان جميع
الانبياء عليهم السلام كانوا يسجدون لله والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلة شيث وادريس ونوح
عليهم السلام موضعاً آخر سوى الكعبة لبطل قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة فوجب أن
يقال ان قبلة أولئك الانبياء المنة دمين هي الكعبة فدل هذا على ان هذه الجهة كانت أبداً مشرفة مكرمة
(فيه آيات بينات) أي علامات واضحة كالتحرف الطيور عن موازاة البيت فلا تعلوا فوقه بل اذا قابل
هواء وهو في الجوا انحرف عنه يمينا أو شمالاً ولا يستطيع أن يقطع هواء إلا اذا حصل له مرض فيدخل

هوالتدوى ومخالطة ضواى السباع الصيود فى الحرم من غير تعرض لها واهلاك أصحاب الفيل لما
 قصدوا تخريبه (مقام ابراهيم) وفيه دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم لان تأثير قدميه فى الصخرة
 الصماء وغوصهما فيها الى السكعين والانه بعض الحضرة دون بعض وابقاءه ألوف سنة بحجرة عظيمة
 (ومن دخله) أى الحرم (كان آمنا) أى ان من دخله للنسل تقربا الى الله تعالى كان آمنا من النار يوم القيامة
 وان الله أودع فى قلوب الخلق الشفقة على كل من التجأ اليه (ولله على الناس حج البيت) أى قصده للزيارة
 على وجه مخصوص (من استطاع اليه) أى حج البيت (سيلا) أى بلا غاب وجود الزاد والراحة والنفقة
 للعيال الى الرجوع (ومن كفر) أى بحمد فرض الحج (فان الله غنى عن العالمين) أى عن ايمانهم وحجهم قال
 الضحاك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان الستة المسلمين والنصارى
 واليهود والصابئين والمجوس والمشركين فخطبهم - م وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به
 المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نعبده فانزل الله تعالى قوله ومن كفر
 فان الله غنى عن العالمين أى ومن ترك اعتقاد وجوب الحج فان الله غنى عنه (قل يا أهل الكتاب) أى
 اليهود والنصارى (لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) أى لم تكفرون بآيات الله
 التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره والحال ان الله شهيد على
 أعمالكم ومجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجترؤا على الكفر بآياته (قل يا أهل الكتاب لم
 تصدون عن سبيل الله من آمن) أى لم تصرفون عن دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو ملة
 الاسلام من آمن بالله ومحمد وبالقرآن باضلالكم لضعفة المسلمين (تبغونها عوجا) أى تطلبون للسبيل
 زيفا لانكم قلتم النسخ يدل على البدء وقولكم ورد فى التوراة ان شريعة موسى باقية الى الابد (وأنتم
 شهداء) ان فى التوراة ان دين الله هو الاسلام لا يقبل غيره (وما الله بغافل عما تعملون) فانهم كانوا
 يظهر ون الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يظهر ون القاء الشبه فى قلوب المسلمين بل كانوا
 يحتالون فى ذلك بوجوه الخيل نزلت هذه الآية فى الذين دعوا عمارا وأصحابه الى دينهم اليهودية (يا أيها
 الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) هم شاس بن قيس وعمر بن شاس وأوس بن
 قبطى وجبار بن صخر (يردوكم) أى يصيروكم (بعدا عما أنكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى
 عليكم آيات الله وفيكم رسوله) أى كيف يوجد منكم الكفر والحال أن القرآن الذى فيه بيان الحق
 من الباطل يتلى عليكم على لسان نبيكم غصته طرية ومعكم رسول الله الذى يبين الحق ويدفع الشبه روى
 أن شاس بن قيس اليهود كان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد فاتفق أنه مر على نفر
 من الانصار الأوس والخزرج وهم فى مجلس يتحدثون وقد زال ما كان بينهم فى الجاهلية من العداوة ببركة
 الاسلام فشق ذلك على اليهود فجلس اليهم وذكرهم ما كان بينهم من الحروب قبل ذلك فى بقات وهو
 موضع فى المدينة وكان يوم بقات يوما اقتتل فيه الأوس والخزرج قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بمائة
 وعشرين سنة وكان الظفر فيه للأوس وقرأ عليهم بعض ما قيل فى تلك الحروب من الاشعار فتنازع القوم
 وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فوصل الخبر الى النبي صلى الله عليه
 وسلم فخرج اليهم فيمن معهم من المهاجرين والانصار وقال أترجعون الى أحوال الجاهلية وأنابن أظهركم
 وقد أكرمكم الله بالاسلام وألف بين قلوبكم فعرف القوم ان ذلك كان من عمل الشيطان ومن كيد ذلك
 اليهود فالتقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقيم

أولاً وأحسن آخر من ذلك اليوم قال الامام الواحدى اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلمكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفيين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت النبي صلى الله عليه وسلم أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يبيكون (ومن يعتصم بالله) أى من يستمسك بكتاب الله وهو القرآن (فقد هدى) أى فقد حصل له الهدى (الى صراط مستقيم) أى الى طريق موصل الى المطلوب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى حق معاذ وأصحابه ثم نزل فى أوس وخزرج لخصومة كانت بينهم فى الاسلام افتخروا فيها ثعلبة بن غنم وأسعد بن زارة بالقتل والغارة فى الجاهلية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أى كما يجب ان يتقى وهو استغفار الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما فى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ويقال أطيعوا الله كما ينبغى (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) لفظ النهى واقع على الموت والمقصود الامر بالاقامة على الاسلام أى ودوموا على الاسلام الى الموت وذلك لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل فى وسعهم (واعتصموا بحبل الله) أى بدينه وهو دين الاسلام أو بكتابه وهو القرآن (جميعاً) أى مجتمعين فى الاعتصام لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تتقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم لان الحق لا يكون الا واحداً وما عداه يكون ضلالاً (واذكروا نعمة الله عليكم) نعمة دنيوية وأخروية (اذ كنتم) فى الجاهلية (أعداء) يبغض بعضكم بعضاً ويحارب بعضهم بعضاً فألف بين قلوبكم (أى قذف الله فيها المحبة بتوفيقكم للاسلام) فأصبحتم بنعمته (أى فصرتم بدينه الاسلام) اخواناً فى الدين (وكنتم على شفا حفرة من النار) أى على طرفها أى وكنتم قريبين من الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فليس بين الحياة والموت المستلزم للوقوع فى الحفرة الا ما بين طرف الشئ الذى هو مثل الحياة وبين ذلك الشئ الذى هو مثل الموت (فأنقذكم منها) أى فأنجىكم من تلك الحفرة بأن هداكم للاسلام (كذلك) أى مثل البيان المذكور (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) أى لكي تهتدوا من الضلالة (ولتكن منكم أمة) أى ولتوجد منكم جماعة يقتدى بها فرق الناس (يدعون) الناس (الى الخير) فأفضل الدعوة هى دعوة الى اثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة المسكات (ويأمرون بالمعروف) والامر بالمعروف تابع للأمر به ان كان واجباً فواجب وان كان مندوباً فمندوب (وينهون عن المنكر) فالنهى عن الحرام واجب كله لان تركه واجب وهذه الامور من فروض الكفايات لانها لا تليق الا من العالم بالحال وسياسة الناس حتى لا يقع الأمور أو المنهى فى زيادة الفجور فان الجاهل رعباً الى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة (وأولئك هم المفلحون) أى المختصون بكمال الفلاح روى انه صلى الله عليه وسلم قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) أى تفرقوا بالعداوة واختلفوا فى الدين أو تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الاحبار رئيساً فى بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدهى انه على الحق وان صاحبه على الباطل قال الفخر الرازى انك اذا أنصفت علمت ان أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة (من بعد

ما جاءهم البينات) أي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (وأولئك)
 الذين تفرقوا (لهم عذاب عظيم) في الآخرة بسبب تفرقهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أي يوم
 تظهر حجة السرور على قوم ومموا بيباض الوجه والصفحة واشراق البشرة وسعي النور أمامه ويعينه ويوم
 تظهر كآبة الخوف والحزن على قوم ومموا بسواد اللون والصفحة واحاطة الظلمة بهم من كل جانب
 وقرئ تيباض وسواد (فأما الذين اسودت وجوههم) فيلقون في النار وتقول لهم الزبانية (أ كفرتم
 بعد إيمانكم) أي بعد ما ظهر لكم ما يوجب الإيمان وهو الدلائل التي نصيها الله تعالى على التوحيد
 والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج أي أ كفرتم يا أهل الكتاب بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لم بعد
 إيمانكم به قبل بعثته (فذوقوا العذاب) والامر بذوق العذاب على طريق الإهانة (عما كنتم
 تكفرون) أي بسبب كفركم (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) أي في جنة الله وعبر عنها
 بالرحمة تنبيهها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى
 وقرئ ابيضت كما قرئ اسودت (هم فيها خالدون) أي لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) أي
 الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار (آيات الله) أي دلائل الله (نتلوها عليك بالحق)
 أي بالمعنى الحق أو متلبسة بالعدل من أجزاء المحسن والمسي بما يستوجبانه (وما الله يريد ظلاما للعالمين)
 أي ما يريد الله فردا من افراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يفعلها وأما ظلم
 بعضهم بعضا فواقع كثير او كل واقع فهو بإرادته تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) ملكا وخالقا
 احياء وامواتا وبأية وتعذبا (والى الله) أي الى حكمه (ترجع الامور) فيجازى كل منهم (كنتم خير
 أمة اخرجت للناس) أي أظهرت للناس حتى عيزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها (تأمرون بالمعروف)
 أي بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وتنهون عن المنكر) أي عن الشرك ومخالفة الرسول
 (وتؤمنون بالله) إيمانا متعلقا بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وقال قتادة هم
 أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير
 أمة للناس (ولو آمن أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى إيمانا كاملا كما إيمانكم (لكان) أي
 ذلك الايمان (خيرا لهم) فانهم آثروا دينهم على دين الاسلام حبلا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا
 لحصلت لهم هذه الزيادة في الدنيا مع الثواب العظيم في الآخرة فكان ذلك خيرا لهم عما قنعوا به (منهم
 المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي ورهطه من النصارى (وأكثرهم
 الفاسقون) في أديانهم فيكونون مردودين عند الطوائف كلهم لان المسلمين لا يقبلونهم لكفرهم
 والكفار لا يقبلونهم لكونهم فاسقين فيما بينهم فلا يسواهم يجب الاقتداء بهم البتة عند أحد من العقلاء
 (لن يضرركم الا أذى) أي لن يضرركم اليهود ضررا البتة الا ضررا يسيرا وهو أذى أي ليس على المسلمين
 من اليهود ضرر وانما منتهى أمرهم أن يؤذوكم باللسان اما بالطعن في محمد وعيسى عليهما السلام واما
 باظهار كلمة الكفر كقولهم عزير بن الله واما بتحريف نصوص التوراة واما بالقائه الشبه في الامم واما
 بتخويف الضعفة من المسلمين (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) أي ينهزموا من غير ان يضرركم بقتل
 أو أمر (ثم لا ينصرون) أي ثم أخبركم انهم بعد صيرورتهم من هزيم لا يحصل لهم شوكة ولا قوة ولا
 يجدون النصر قط بل يبقون في الذلة أبدا كما قال تعالى (ضربت عليهم الذلة) أي جعلت عليهم الذلة
 بأن يحاربوا ويقتلوا وتغنم أموالهم وتسبي ذرارهم وتلك أراضهم (أيما تقفوا) أي صودفوا فلا

يقدر أن يقوموا مع المؤمنين الآن يعتصموا (بجبل من الله وجبل من الناس) أي المؤمنين فالامان
الحاصل للذي قسمان أحدهما الذي نص الله عليه وهو أخذ الجزية وثانيهما الذي قوض الله إلى رأي
الامام فيز يدفيه تارة وينقص بحسب الاجتهاد فالاول هو المسمى بجبل الله والثاني هو المسمى بجبل
المؤمنين (و باؤا بغضب من الله) أي داموا في غضب الله أو استوجبوا لعنة الله (وضربت عليهم
المسكنة) أي جعل عليهم زى الفقر واليهود في غالب الاحوال مساكن تحت أيدي المسلمين والنصارى
(ذلك) أي لزوم الذلة والمسكنة والمكث في اللعنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) الناطقة بنبوته محمد صلى
الله عليه وسلم حتى يحرفونها وبسائر الآيات القرآنية (ويقتلون الانبياء بغير حق) أي بلا حرم فان الذين
قتلوا الانبياء أسلافهم وهؤلاء المتأخرون كانوا راضين بفعل أسلافهم فنسب اليهم كما ان التحريف من
أفعال أحبارهم ينسب إلى كل من يتبعهم (ذلك) أي الكفر والقتل (بما عصوا) في السبب (وكانوا يعتدون)
أي يتجاوزون حدود الله باستحلال المحارم قال أرباب المعاملات مع الله من ابتلى بترك الآداب وقع
في ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الفريضة ومن ابتلى في ترك الفريضة وقع في استحقاق
الشرعية ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر (ليسوا) أي جميع أهل الكتاب (سواء) أي فليس من
آمن منهم كمن لم يؤمن (من أهل الكتاب أمة قائمة) أي جماعة عدل مهتدية بتوحيد الله وهم عبد الله
ابن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم معهم من اليهود كما أخرجه ابن جرير
وابن أبي حاتم عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن جريح قال هم عبد الله بن سلام وأخوه ثعلبة بن سلام
وسعية وميس وأسيد وأسيد هما ابنا كعب قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسلم عبد الله بن سلام
وأصحابه قالت احبار اليهود ما آمن محمد الا اشرارنا ولولا ذلك ماتت كوادين آباءهم فانزل الله تعالى هذه
الآية (يتلون آيات الله آناء الليل) أي يقرؤون القرآن ساعات الليل (وهم يسجدون) أي يصلون
التهجد في الليل وهذا كلام مستقل والصلاة تسمى سجودا (يؤمنون بالله واليوم الآخر) يؤمنون بالله
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل أصناف
الخيرات اللازمة والمتعدية (وأولئك) الموصوفون بالصفات السبعة (من الصالحين) أي من جملة
الذين صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثنائه وقال ابن عباس أي من صالحى أمة محمد صلى الله عليه
وسلم ويقال مع صالحى أمة محمد في الجنة مع أبي بكر وأصحابه وأعلم ان اليهود كانوا أيضا يقومون في الليالي
للتهجد وقراءة التوراة فلما مدح الله المؤمنين منهم بالتهجد وقراءة القرآن أردف ذلك بقوله يؤمنون بالله
واليوم الآخر يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات فإيمان بالله يستلزم
الإيمان بجميع أنبيائه ورسوله وكتبه والإيمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من المعاصى وإيمان اليهود
بالله مع قولهم عزير بن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسول ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته وعدم
الاحتراز عن معاصي الله وازلال الناس وصددهم عن سبيل الله ومباذرتهم إلى الشرور واعلم ان كمال
الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل وأفضل الاعمال الصلاة وأفضل الاذكار ذكر الله
وأفضل المعارف معرفة المبدأ ومعرفة المعاد فقوله تعالى يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون إشارة
إلى الاعمال الصالحة الصادرة عنهم وقوله تعالى يؤمنون بالله واليوم الآخر إشارة إلى فضل المعارف
الحاصلة في قلوبهم فكان هذا الشارة إلى كمال حالهم في القوة العملية وفي القوة النظرية وذلك أكل أحوال
الانسان وهي المرتبة التي هي آخر درجات الانسانية وأول درجات الملكية واعلم ان الغاية القصوى

في السكال أن يكون تاما وفوق التمام فكون الانسان تاما ليس الا في كمال قوته العملية وقوته النظرية
وكونه فوق التمام ان يسعى في تكميل الناقصين وذلك بطريقتين اما بارشادهم الى ما ينبغي أو بمنعهم عما
لا ينبغي ثم الوصف بالصلاح غاية المدح ويدل عليه القرآن والعقل فان الصلاح ضد الفساد وكل ما لا ينبغي
فهو فساد سواء كان في العقائد أو في الاعمال فاذا حصل كل ما ينبغي فقد حصل الصلاح فكان الصلاح
دالا على اكل الدرجات ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات الثمانية قال (وما يفلحوا من خير فلن
يكفروه) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالياء في الفعلين لان الكلام متصل بما قبله من ذكر
مؤمني اهل الكتاب فان جهال اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا
الايمان قال تعالى وما يفعلوا أي عبد الله بن سلام واصحابه من خير عما ذكر ويقال من احسان الى
محمد واصحابه فلن يكفروه أي لن ينسى ثوابه بل يشاؤوا وقسرا الباقيون بالتاء فيهما على الخطاب لجميع
المؤمنين الذين من جملتهم هؤلاء أي وما تفعلوا معاشر المؤمنين من خير فلن تمنعوا ثوابه وجزاءه بل تجازوا
عليه (والله عليم بالمتقين) وهذا بشارته لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده تعالى الا اهل
التقوى (ان الذين كفروا لن تغني عنهم) أي لن تدفع عنهم (أموالهم ولا اولادهم من الله) أي من
عذابه (شيأ أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) انما خص الله تعالى الاموال والاولاد بالذكر
لان انفع الجمادات هو الاموال وانفع الحيوانات هو الولد ثم بين تعالى ان الكافر لا يتنفع به ما البتة في
الآخرة وذلك يدل على عدم انتفاعه بشئ الاشياء بطريق الاولى (مثل ما ينفقون) أي الكفار (في
هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر) أي يرد مهلك أو حرق (أصاب حرق قوم ظلموا أنفسهم)
بالكفر والمعاصي (فاعلموا انهم) والمعنى مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل ريح المهلكة للزرع أو مثل
الكافر الذي أنفق أمواله في الحيات نحو بناء الاباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والايتم
والارامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك انفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلا
لآثار الحيات فكان كمن زرع زرعاً وتوقع منه نفع كثير فأصابته ريح فأحرقته فلا يبقى معه الا الحزن
والاسف هذا اذا أنفقوا الاموال في وجوه الحيات أما اذا أنفقوها فيما ظنوه انه من الحيات
وهو من المعاصي مثل انفاق الاموال في ايداء رسول الله وفي قتل المسلمين وتخريب ديارهم فقيه
أشد تأثيرا في ابطال آثار أعمال البر (وما ظلمهم الله) حيث لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفستهم
يظلمون) حيث أتوا بالنفقات مقرونة بالوجوه المانعة من كونهما مقبولة لله (يا أيها الذين آمنوا)
نزلت هذه الآية في شأن رجال من المؤمنين يشاورون اليهود في أمورهم لما كان بينهم من الرضا والخلف
ظنا منهم انهم ينصرون لهم في أسباب المعاش فنهاهم الله تعالى بهذه الآية عنه كما قاله ابن عباس أو في
رجال من المؤمنين كانوا يغترون بظواهر أقوال المنافقين فيغشون اليهم الامرار ويطلعونهم على الاحوال
فألله تعالى منعهم عن ذلك كما قاله مجاهد وقال الله تعالى (لا تأخذوا بظانته) أي خاصة بتباطون في الامور
(من دونكم) أي من غير اهل ملتكم من الكفار والمنافقين (لا يألونكم خبالا) أي لا يتركون جهدكم
في مضرتكم وفسادكم (ودوا ما عنتم) أي أحبوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر أي فان
الكفار لا يقصرون لكم في افساد دينكم فان عجزوا عنه أحبوا به لو بهم القاءكم في أشد أنواع الضرر
(قد بدت البغضاء من أفواههم) أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم بالطعن وغيره مما يدل على نفاقهم
وبأنهم يظهرون تكذيب نبيهم وكذبكم وينسبونكم الى الجهل والحق (وما تخفى صدورهم) من الحق

(أكبر) مما يظهر على ألسنتهم (قد بينا لكم الآيات) أي علامة الحسد والعداوة (إن كنتم تعقلون) الفرق بين ما يستحقه العدو والولي (ها أنتم أولاء) أي أنبياءكم أنتم يا معشر المؤمنين المخطئين في موالاتهم (تحبونهم) بسبب ما بينكم وبينهم من الرضاقة والمصاهرة وبسبب أنهم أظهر والكم الأيمان وأنهم يظهرون لكم محبة رسول الله (ولا يحبونكم) بسبب المخالفة في الدين وبسبب أن الكفر مستقر في باطنهم ولا أنهم يعلمون أنكم تحبون الرسول (وتؤمنون بالكتاب كله) وهم لا يؤمنون به وهم مع إيمانكم بكتبهم يغيضونكم فيما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم (واذا القوم) أي منافقوا اليهود (قالوا) نفاقا (آمننا) بمحمد فان نعته في كتابنا (واذا خلوا) أي رجع بعضهم إلى بعض (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) أي عضوا لأجل غمهم منكم أطراف الأصابع من شدة الغضب أي فاذا رجعوا إلى بعضهم أظهر واشدة العداوة على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة إلى عض الأنامل كما يفعل ذلك أحدنا إذا اشتد غيظه ولما كثر هذا الفعل من الغضب صار ذلك كناية عن الغضب حتى يقال في الغضب إن بعض يده غيظا وإن لم يكن هناك عض (قل موتوا بغيظكم) وهذا دعاء عليهم بآزاد ما يوجب هذا الغيظ وهو قوة الإسلام ودعاه عليهم بالموت قبل بلوغ ما يتقنون وليس أمر بالاقامة على الغيظ فإن الغيظ كفر والامر بالكفر غير جائز ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى قل موتوا بغيظكم أنه تعالى أمر رسوله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبصار بوعده الله إياهم بهلاك كون غيظا باهرا زالا سلام واذ لا لهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك (إن الله عليم بذات الصدور) أي أنه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر والبواعث والصوارف (إن تمسكم حسنة تسوهم) أي إن تصبكم منفعة الدنيا تحزنهم وذلك كهممة البدن وحصول الخصب والفوز بالغنية والاستيلاء على الأعداء وحصول المحبة بين الأحاب (وإن تصبكم سيئة) أي مضرة كمرض وفقر وانهمزام من عدو وقتل ونهب وغارة وحصول التفرقة بين الأقارب (يفرحوا) أي اليهود والمنافقون (بها) فإنهم متناهون في عداوتكم فاجتنبوهم (وإن تصبروا) على طاعة الله وعلى ما بينا لكم فيها من شدة وغم (وتتقوا) كل ما نهاكم عنه وتوكلوا في أموركم على الله (لا يضركم كيدهم) أي حيلتهم التي دبروها لاجلكم (شيئا) من الضر لأن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى واتي كل ما نهى الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره حيل المحتالين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر ولا يضركم بفتح الياء وكسر الضاد وسكون الراء والباقون لا يضركم بضم الضاد والراء المشددة على الجزم بسكون مقدر لا يتباع وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء للتحفيف (إن الله بما يعملون محيط) بالياء باتفاق القراء العشرة أي أنه عالم بما يعملون في معاداتكم فيعاقبهم عليه وفي قراءة شاذة بالتاء والمعنى أنه تعالى عالم بما تعملون من الصبر والتقوى فيفعل بكم ما أنتم مستحقون له (واذا غدوت من أهلك) أي واذا ذكر يا أشرف الخلق لأصحابك وقت خروجك من عند أهلك أي من حجرة عائشة إلى أحد ليتذكر وأما وقع في ذلك الوقت من الأحوال الناشئة من عدم الصبر فاعلموا أنهم لو لموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة روى أنه صلى الله عليه وسلم ذهب من منزل عائشة في المدينة فشي على رجله إلى أحد بعد صلاة الجمعة في نصف شوال وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت وجعل يصف أصحابه للقتال وكانوا ألفا وأقل وكان الكفار ثلاثة آلاف وجعل صلى الله عليه وسلم ظهره وظهر عسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال لأصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوكم الأديار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من

هذا المقام فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بن أبي مع ثلثمائة من المنافقين فبقى من عسكر المسلمين
 سبعمائة ثم قواهم الله حتى هزموا المشركين ثم طلبوا المدبرين وتركوا ذلك المقام واشتغلوا بطلب الغنائم
 وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين ففكر عليهم المشركون
 وتفرق المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشجع وجه الرسول وكسرت ربايته وشلت يد طهته ولم
 يبق معه صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر وعلي والعباس وطهته وسعد و وقعت الصيحة في العسكر أن محمداً
 قد قتل وكان رجل يكنى أبا سفيان من الانصار نادى الانصار وقال هذا رسول الله فرجع اليه المهاجرون
 والانصار وكان قد قتل منهم سبعون وكثر فيهم الجراح وكل ذلك يؤكده قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا
 لا يضركم كيدهم شيئا والطفر اغما حصل ببركة طاعتهم لله ولرسوله والالم يقوموا مع عدوهم (تبوأ
 المؤمنين مقاعد للقتال) أي تنزل المؤمنون بأحد أمكنة لقتال عدوهم (والله مهيمن) لا قوا لكم (عليهم)
 بضماؤكم ونياتكم فان النبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه في ذلك الحرب فذهب من قال له أقم بالمدينة
 وهو عبد الله بن أبي وأكثرا انصار ومنهم من قال له اخرج اليهم وكان لكل أحد غرض (اذ همت
 طائفتان منكم) بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج وهما جناح العسكر (أن تغشوا) أي
 بأن تجبن عن قتال العدو يوم أحد وترجعوا روى انه صلى الله عليه وسلم خرج مع تسعمائة وخمسين ووعدهم
 النصر ان صبروا فلبوا عند جبل أحد انزل ابن أبي المنافق مع ثلثمائة من أصحابه المنافقين وقال
 يا قوم لا شيء نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وأبو جابر السلمي وقالوا أسألكم بالله
 في حفظ نبيكم وأنفسكم أي فأنكم لو رجعت فأتاكم نصرته نبيكم وفاتتكم وقاية أنفسكم من العذاب
 لتخلفكم عن نبيكم فقال عبد الله بن أبي لو نعلم قتالا لا تبعناكم فذهب الطائفتان باتباع عبد الله بن أبي
 فعصمهم الله فثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (والله وليهم) أي عاصمهم عن
 اتباع تلك الخطوة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم فانه حسبهم ولما حكى الله عن
 الطائفتين انهما همتا بالهين والضعف أي بذلك بقصة بدر فان المسلمين كانوا في غاية الفقر والضعف
 والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة ولكن لما كان الله ناصر لهم قهر وأعداءهم وفازوا بمطلوبهم
 وقال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) بقلة العدد وضعف الحال وقلة السلاح والمال وعدم
 القدرة على مقاومة العدو فان المسلمين كانوا ثلثمائة وثلثون رجلا وما كان فيهم الا فرس واحد والكفار
 كانوا قريشين من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الاسلحة الكثيرة والعدة الكاملة (فاتقوا الله)
 في أمر الحرب ولا تخالفوا الامير الذي معكم (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته تعالى
 ونصرته (اذ تقول للمؤمنين) فاذا ما منصوب بنصركم ويكون هذا الوعد حصل يوم بدر وهذه الجملة
 من تمام قصة بدر ووقول أكثر المفسرين وأما بدل من قوله اذ همت أو بدل ثان من قوله تعالى واذ غدوت
 ويكون هذا الوعد حصل يوم أحد وهذه الجملة من تمام قصة أحد فيكون قوله ولقد نصركم الله معترضين
 الكلامين وهو مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق (ألن يكفيناكم) مع
 عدوكم (أن يعيدكم ربكم) أي ينصركم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من السماء قرأ ابن عباس
 منزلين مشددا لزاى مفتوحة والباقون بفتح الزاى مخففة وقرئ قراءة شاذة باسم الفاعل من الصيغتين أي
 منزلين النصر (بلى) يكفيناكم (ان تصبروا) مع نبيكم في الحرب (وتتقوا) معصية الله ومخالفة
 نبيه صلى الله عليه وسلم (ويأتوكم) أي يأتكم المشركون (من فورهم هذا) أي من ساعتهم هذه

من جهة مكة (يعدكم ربكم) أي ينصركم على عدوكم (بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) قرأ
 ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو أي معلمين أنفسهم أو خيلهم والباقون بفتح الواو أي معلمين
 بالصوف الأبيض في نواصي الدواب واذنابها أو مجزوزة اذنابهم أو مرسلين (وما جعله الله) أي ما جعل
 الله الامداد (الابشري لكم) بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) أي بالمدد وفي ذكر الامداد
 مطلوبان ادخال السرور في قلوبهم وحصول الطمأنينة على ان اعانة الله معهم (وما النصر الا من عند
 الله العزيز الحكيم) لا من العدة والعدد ولا من عند الملائكة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) واللام
 متعلق بقوله وما النصر والمعنى والمقصود من نصركم ان يهلك الله طائفة من كفار مكة يقتل وأسر
 (أو يكبتهم) أو يهزمهم ويخزيهم (فينقلبوا خائبين) أي يرجعوا منقطعي الآمال غير فائزين
 بطلوبهم بشئ (ليس لك من الامر شيء) وهذه الآية نزلت في قصة أحد لئلا يطمئن قلوبهم عليه وسلم
 من الدعاء عليهم لما روى ان عتبة بن أبي وقاص شجبه وكسر رباعيته وهي السن التي بين الثانية
 والنايب ثم أراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية ولما روى سالم بن عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه
 وسلم لعن أقواما فقال اللهم العن أباسفيان اللهم العن الحوث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزل
 قوله تعالى أو يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم ولما حصل له صلى الله عليه وسلم من
 الهم بأنه رأى حمزة بن عبد المطلب ورأى ما فعلوا به من المثلة وقال لا مثلن منهم بثلاثين فنزلت هذه الآية
 ومات في ذلك اليوم من المسلمين سبعون وأسر عشرون ومات من الكفار ستة عشر وروى علي بن
 عباس ان هذه الآية نزلت بسبب أنه صلى الله عليه وسلم أراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين
 انهزموا يوم أحد فغضب الله من ذلك وانما نص الله تعالى على المنع تقوية لهضمتهم (أو يتوب عليهم
 أو يعذبهم) وهذان اماما عطوفان على الامر والمعنى ليس لك يا أشرف الخلق من شأن هذه الحادثة شيء
 ومن التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء لانه ليس لك من مصالح عبادي شيء الا ما أوحى اليك وليس لك من
 سؤال اهلا كههم شيء لانه تعالى أعلم بالمصالح فربما تاب الله عليهم أو معطوفان على شيء أي ليس لك من
 أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل المراد بالامر ضد النهي والمعنى ليس لك من أمر خلق شيء
 أو من توبتهم أو من تعذيبهم شيء الا اذا كان على وفق أمرى والمقصود من الآية منعه صلى الله عليه وسلم
 من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وأمره وهذا هو الارشاد الى أكل درجات العبودية (فانهم ظالمون)
 أي بالمعاصي وهذه جملة مستقلة لكن المقصود من ذكرها تعليل لحسن التعذيب والمعنى أو يعذبهم فانه
 تعالى ان عذبهم انما يعذبهم لانهم ظالمون والمراد بالعذاب اما عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فعلم ذلك
 مفوض الى الله (ولله ما في السموات وما في الارض) ملكا وخالقا (يغفر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب
 من يشاء) تعذيبه وتقديم المغفرة على التعذيب الاعلام بأن رحمة تعالى سبقت غضبه وبأن الرحمة من
 مقتضيات الذات دون الغضب فانه من مقتضيات سيئات العصاة (والله غفور رحيم) والمغفرة والرحمة
 على سبيل الاحسان أما التعذيب فعلى سبيل العدل لان الطاعة لا توجب الثواب والمعصية لا توجب
 العقاب بل الكل من الله بحكم الهيئته وقهره وارادته (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا)
 الدرهم (مضاعفة) في الاجل وكان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى أجل فاذا
 جاء الاجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زد في المال حتى أزيد في الاجل فربما جعله مائتين ثم
 اذا حل الاجل الثاني فعل في مثل ذلك ثم الى آجال كثيرة فبأخذ بسبب تلك المائة أضعافها فها هو

المراد من قوله أضعاف مضاعفة وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين بلا ألف قبلها وقال القفال يحتمل أن تكون هذه الآية متصلة بما تقدم من جهة أن المشركين اغتا أنفقوا على ذلك العساكر أموا لا يجمعوها بسبب الربا فعمل ذلك يصير داعيا للمسلمين إلى الاقدام على الربا حتى يجمعوا المال وينفقوه على العسكر فيتمكنون من الانتقام منهم فحقانهاهم الله عن ذلك (واتقوا الله) فيما نهيتهم عنه من أخذ الربا وغيره (لعلكم تفهون) أي لكي تفهموا من العذاب والسخط (واتقوا النار) بأن تجتنبوا ما يوجبها وهو استحلال ما حرم من الربا وغيره (التي أعدت للكافرين) وكان أبو حنيفة يقول هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعده الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه وفي الآية * (تنبيه) * على أن النار بالذات للكفار وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله) فيما يأمركم به وينهاكم عنه من أخذ الربا وغيره (والرسول لعلكم ترحمون) الذي يبلغكم أوامر الله ونواهيه فان طاعة الرسول طاعة الله (وسارعوا) قرأنا فع وابن عامر بغير واو أي بادروا وقبلوا وقرئ شاذة وسابقوا (إلى مغفرة من ربكم) أي إلى الإسلام كما قاله ابن عباس وإلى أداء الفرائض كما قاله علي بن أبي طالب والصلوات الخمس وإلى الاخلاص كما قاله عثمان بن عفان وإلى الجهاد كما قاله الضحاك ومحمد بن اسحق وإلى التكبير الأولى كما قاله سعيد بن جبير وإلى جميع الطاعات كما قاله عكرمة وإلى التوبة من الربا والذنوب كما قاله الأصم وابن عباس (وجنة) أي فكما تجب المسارعة إلى المغفرة فكذلك تجب المسارعة إلى الجنة فمعنى الغفران إزالة العقاب ومعنى الجنة إيصال الثواب فلا بد للكاف من تحصيل الأمرين (عرضها السموات والأرض) أي عرضها مامثل عرض السموات والأرض لو جعلت السموات والأرض طبقات بحيث يكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحاً موطناً لأجزاء لا تتجزئ ثم وصل البعض ببعض طبقاتها وأحد السكان ذلك مثل عرض الجنة وهذا غاية في السعة لا يعلمها إلا الله تعالى (أعدت) أي هيئت الجنة (للمتقين) ثم ذكر الله تعالى صفات المتقين فقال (الذين ينفقون) أموالهم في سبيل الله تعالى (في السراء والضراء) أي في حال الغنى والفقر أو في سرور وحزن أو على وفق طبعهم وعلى خلافه كما يحكي عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب (والكاظمين الغيظ) أي الكافين غيظهم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظاً وهو يقدر على أنفاذه ملائكة الله قلبه أمناً وإيماناً وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه زوجته الله من الخور العين حيث يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة لكنه الذي يملك نفسه عند الغضب (والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ومحبة الله للعبد أعظم درجات الثواب روى عن عيسى بن مريم أنه قال ليس الأحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك ذلك مكافأة إنما الأحسان أن تحسن إلى من أساء إليك وأعلم أن الأحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه أما إيصال النفع إليه فيدخل فيه انفاق العلم بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه انفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا بأن لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءة بأساءة أخرى فهذا داخل في كظم الغيظ وإما في الآخرة بأن يبرئ ذمة الغير عن المطالبات فهذا داخل في العفو عن الناس فهذه الآية دالة على جميع جهات الأحسان إلى الغير (والذين إذا فعلوا فاحشة) أي معصية (أو ظلموا أنفسهم) بأن أتوا ذنباً أي ذنباً كان (ذكروا الله) أي خافوا الله قال بعضهم لما وصف الله تعالى الجنة بأنهم معدة للمتقين بين أن المتقين قسيمان أحدهما الذين أقبلوا على الطاعات وهم الذين وصفهم

الله بالانفاق وكظم الغيظ والعفوع عن الناس وثانيهما الذين أذنبوا ثم تابوا وعلى هذا فالاسم الموصول معطوف على الموصول قبله وقيل لما نذب الله تعالى في الآية الأولى إلى الأحسان إلى الغير نذب في هذه الآية إلى الأحسان إلى النفس وعلى هذا فالاسم الموصول معطوف على المحسنين روى ابن عباس أن هذه الآية نزلت في رجلين أنصاري وثقي والرسول صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بينهما وكان لا يفرقان في أحوالهما فخرج الثقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الأنصاري على أهله يتعاهداهم فكان يفعل ذلك ثم قام إلى امرأته ليقبلها فوضعت كفها على وجهها فندم الرجل فلما وافى الثقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرى الأنصاري وكان قد هاهم في الجبال للتوبة فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم سكت حتى نزلت هذه الآية وقال عطاء نزلت في شأن أبي سعيد تبهان التمارفانه أتمه امرأة حسناء تطلب منه تمرا بالشرا فقال لها هذا التمرا ليس يجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضعها إلى نفسه وقبلها فقالت له أتق الله فتركها وندم على ذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية (فاستغفروا الذنوب) أي أتوا بالتوبة على الوجه الصحيح لاجل ذنوبهم وهو الندم على فعل ماضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فهذا هو حقيقة التوبة فأما الاستغفار باللسان فذلك لا أثر له في إزالة الذنب بل يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار انقطاعه إلى الله تعالى وقوله فاستغفروا معطوف على جواب اذا (ومن يغفر الذنوب الا الله) أي لا يغفر ذنوب التائب أحد الا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) من الذنوب بأن أقبلوا عنها في الحال وهذا معطوف على قوله فاستغفروا (وهم يعلمون) ان الذين فعلوه معصية الله وهذه الجملة حال من فاعل يصروا (أولئك) الذين خافوا الله وتابوا من ذنوبهم (جزاؤهم مغفرة من ربهم) لذنوبهم (وجنات) أي بساتين (تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت شجرها ومساكنها أنهار الحمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) أي دائمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ونهم أجر العاملين) أي نعم ثواب التائبين المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنين) أي قدمضت من قبل زمانكم سنين الله تعالى في الامم السالفة المكذبة للرسول باهلا كهم ان لم يتوبوا وبالمغفرة ان تابوا فرغب الله تعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم إلى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الرياسة في الدنيا وطلب الجاه (فسيروا في الارض فانظروا) أي تعرفوا أيها المؤمنون أحوال الامم السالفة بسير أو غيره ثم تفكروا فيها للتسلي والاتعاظ (كيف كان عاقبة المكذبين) أي كيف صار آخر أمر المكذبين بالرسول الذين لم يتوبوا من تكذيبهم (هذا) القرآن (بيان) بالحلل والحرام (للناس) عامة (وهدي) من الضلالة (وموعظة للمتقين) فالحاصل ان البيان جنس تحت نوعان أحدهما الكلام الهادي إلى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خصص الله المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون به مادون غيرهم (ولا تنهوا) أي لا تضعفوا عن الجهاد مع عدوكم (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الغنائم يوم أحد ولا على ما أصابكم من القتل والجراحة وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة ومن الأنصار سبعون رجلا رضي الله عنهم أجمعين (وأنتم الاعلون) أي والحال انكم في آخر الامر الغالبون بالنصرة لكم دون عدوكم فان مصير أمرهم إلى الدمار حسب ما شاهدتم من أحوال أسلافهم

(ان كنتم مؤمنين) وهذا امام نصب بالنهي أو بوعد النصر والغلبة أي ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا
تخزنوا فان الايمان وجب قوة القلب والثقة بضعف الله تعالى وقلة المبالة بالاعداء أو ان كنتم مؤمنين
فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو بلا شك (ان يحبسكم قرح فقدمس القوم قرح مثله) أي ان
أصابكم قرح يوم أحد فقد أصاب أهل مكة يوم بدر قرح مثل ما أصابكم يوم أحد ثم لم يضعف ذلك قلوبهم
فانتم أحق بان لا تضعفوا وقيل ان المعنى ان نالكم يوم أحد قرح وانهم لم يهزموا فقد نال الكفار في ذلك اليوم مثل
ذلك فان المسلمين نالوا من الكفار قبل ان يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم مائة
وعشرين رجلا منهم صاحب لوأثمهم وجرحو اعددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة
عليهم في أول النهار (وتلك الايام) أي أيام الدنيا (نذاولها بين الناس) لا يدوم مسارها ولا مضارها
فيوم يحصل فيه السرور للمؤمنين والغم للاعداء و يوم آخر بالعكس وليس المراد من هذه المداولة ان الله
تعالى تارة ينصر المؤمنين والاخرى ينصر الكافرين وذلك لان نصرته الله منصب شريف فلا يليق
بالكافر بل المراد من هذه المداولة انه تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين ولو شدد المحنة
على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميع الاوقات لحصل العلم الاضطراري بان
الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب وأيضا ان المؤمن قد يقدم
على بعض المعاصي فيشدد الله المحنة عليه في الدنيا تأديباً له وأما تشديد المحنة على الكافر فانه غضب من
الله عليه وأيضا ان لذات الدنيا وآلامها غير باقية وانما السعادات المستمرة في دار الآخرة وروى ان أبا
سفيان صعد الجبل يوم أحد ثم قال أين ابن أبي كبشة أين أبي خفاقة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول
الله وهذا أبو بكر وهما أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب مجال فقال عمر لا سواء قتلتنا في
الجنة وقتلناكم في النار فقال ان كان الامر كما تزعمون فقد خسرنا اذا خسرنا (وليعلم الله الذين آمنوا)
واللام متعلقة بفعل مضمرة والتقدير وفعلنا هذه المداولة لكي يرى الله الذين اخلصوا في ايمانهم مقيمين من
المنافقين اذا أصابتهم المشقة كما وقع في أحد (ويتخذ منكم شهداء) أي يكرم الله من يشاء منكم بالشهادة
وهم شهداء أحد (والله لا يحب الظالمين) أي المشركين وانما يظهرهم في بعض الاحيان استدرأجا لهم
وابتلاء للمؤمنين (وليجمع الله الذين آمنوا) أي ليظهرهم من ذنوبهم بما يصيبهم في الجهاد ان كانت
الغلبة للكافرين على المؤمنين (ويعقق الكافرين) أي يهلكهم في الحرب ان كانت الغلبة للمؤمنين
على الكافرين (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) والخطاب
للذين انهزموا يوم أحد أي أظنتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بعميها والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد
والصبر أي الجمع بينهما أي لا تحسبوا ذلك والحال ان الله تعالى لم ير المجاهدين منكم في سبيل الله يوم أحد
والصابرين على قتال عدوهم مع نبيهم (ولقد كنتم تمنون الموت) بالشهادة في الحرب (من قبل ان تلقوه)
أي الموت يوم أحد حيث قلتم ليت لنا يوما كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه من الكرامة وكانوا قد ألقوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في الخرج ثم ظهر منهم خلائف ذلك (فقد رأيتموه) أي ان كنتم
صادقين في تمنيةكم الحرب فقد رأيتم الموت بمشاهدة أسبابه يوم أحد (وأنتم تنظرون) الى سيوف
الكفار حين قتل امامكم من قتل من اخوانكم فلم انهزمتم منهم ولم تثبتوا مع نبيكم (وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل) أي قدمضت من قبل محمد أمثاله من رسل الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد
والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بأحد أمر الرماة أن يلزموا أصل الجبل ثم قتل على طلحة صاحب

لواء الكفار وشدا الزبير والمقداد على المشركين فانهزم الكفار ثم بادروا قوم من الرماة الى الغنمية وكان خالد بن الوليد صاحب مينة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم ورعى عبد الله بن قيسته رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر ربا عيته وشجع وجهه وأقبل يريد قتله فذب عنه مصعب ابن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأحد فقتله ابن قيسته فظن انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فهناك قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا بأيديهم وقال قوم من المنافقين لو كان محمد نبينا لما قتل وان كان قد قتل فارجعوا الى دينكم الاول فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حي لا يموت ومات صنعون في الحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك عما يقول هؤلاء المسلمون وأبرأ اليك عما جاء به هؤلاء المنافقون ثم سل سيفه فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس ويقول الى عباد الله فأول من عرفه صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال عرفت عينيه تحت المغفر ترزهران فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن امسك فأنحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هزيعتهم فقالوا يا نبي الله فدينناك بأبائنا وأمهاتنا أتأال خبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولي لنا مدبرين فأنزل الله تعالى هذه الآية (أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) أي أصرتم كفارا بعد ايمانكم ان مات محمد أو قتل كغيره من الرسل فتخالفوا سنن اتباع الانبياء قبلكم في ثباتهم على ملل أنبيائهم بعد موتهم أي لا ينبغي منكم الارتداد حيث نزل ان محمدا صلى الله عليه وسلم مبلغ لا معبود وقد بلغكم والمعبود باق فلا وجه لرجوعكم عن الدين الحق لو مات من بلغكم اياه (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) أي ومن يرجع الى دينه الاول وهو الشرك فلن ينقص الله رجوعه شيئا وانما علك نفسه باقباله على العذاب (وسيجزي الله الشاكرين) أي الثابتين على دين الاسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف كأنس بن النضر وأمثاله (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) أي بإرادة الله وقصائه (كتابا مؤجلا) أي كتب الله الموت كتابا موقتا كتابة أجله ورزقه سواء لا يسبق أحدهما الآخر وهذا اعلام بأن الحذر لا يدفع القدر وان أحد الايموت قبل الاجل واذا جاء الاجل لا يندفع الموت بشئ فلا فائدة في الجبن والخوف (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا) أي منفعة الدنيا (نوته منها) أي نعطة من الدنيا ما يريد بها نساء ان نعطيه اياه وماله في الآخرة من نصيب (ومن يرد) بعمله (ثواب الآخرة) أي منفعة الآخرة (نوته منها) أي نعطة من الآخرة ما يريد بها نساء من الاضلاع حسب ما جرى به الوعد الكريم (وسيجزي الله الشاكرين) أي نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما أتاهم الله تعالى من القوى الى ما خلق لاجله من طاعة الله تعالى فاعلم ان الذين حضر وايوم أحد كانوا فريقين منهم من يريد الدنيا كالذين تركوا المركز طلبا للغنمية والثناء وهؤلاء لا بدوا ان يهزموا ومنهم من يريد الآخرة كالذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا والذين حضر والذين لا بدوا ان يهزموا واعلم ان هذه الآية وان وردت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان المؤثر في جلب الثواب والعقاب الدواعي والمقصود لا نظواهر الاعمال كما في قوله صلى الله عليه وسلم اغما لاهمال بالنيات فان من وضع الجبهة على الارض في صلاة الظهر والشمس قداء فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان ذلك

من أعظم دعائم الاسلام وان قصده عبادة الشمس كان ذلك أعظم من دعائم الكفر (وكأن من نبي قاتل
معرييون كثير فهاوهموا لما أصابهم في سبيل الله) قرأ ابن كثير كائن بالف بعد الكاف بعدها همزة
مكسورة والباقون بهمزة بعد الكاف بعدها ياء مشددة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وقتل مبنيا للفعل
وقتادة كذلك الا انه شدد التاء وباقي السبعة قاتل وضمير الفعل يعود على المبتداء والجملة خبر المبتداء
وجملة معرييون من المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال من ضمير الفعل وكثير صفة لبيون والمعنى على
القراءة الاولى وكثير من الانبياء قتلوا وبعدهم الذين بقوا من جماعتهم فهاوهموا أى ضاعفوا في دينهم بل
استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي ان يكون حالكم يا أمة محمد هكذا قال سعيد بن جبير
ما معنابني قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط والمعنى
على القراءة المشهورة وكثير من نبي قاتل لاءلاء كلمة الله وأعزاز دينه كائنا معه في القتال جماعات كثيرة
من أصحابه فأصابهم من عدوهم قرح فهاوهموا أى جبنوا لان الذى أصابهم اغما هو في طاعة الله واقامة
دينه ونصرة رسوله فكذلك ينبغي أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد (وما ضاعفوا) أى عجزوا عن قتال
عدوهم (وما استكانوا) أى ذلوا العدوهم كما فعلتم حين قيل قتل نبيكم وأردتم ان تعتصدوا بالمنافق عبد
الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان (والله يحب الصابرين) على تحمل الشدائد في طريق الله
أى يكرمهم ويعظمهم (وما كان قولهم) بعدما قتل نبيهم (الا أن مالوا) هذا الدعاء وقولهم
بالنصب خبر كان واسمها ان وما بعدها (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) الصغار والكبار (وامرأنا) أى
افراطنا (في أمرنا) بآيات الذنوب العظيمة الكبيرة (وثبت أقدامنا) بإزالة الخوف عن القلوب
 وإزالة الخواطر الفاسدة عن الصدور (وانصرنا على القوم الكافرين) وهذا تأديب من الله تعالى في
كيفية الطب بالادعية عند النوائب والمحن سواء كان في الجهاد أو غيره (فأتاهم الله ثواب الدنيا)
بالنصرة والغنمة وقهر العدو والثناء الجميل وانشرح الصدر بنور الايمان وزوال ظلمات الشبهات
وكفارة المعاصي والسيئات (وحسن ثواب الآخرة) أى حكم الله لهم بمحصول الجنة وما فيها من المرافق
واللذات وأنواع السرور والتعظيم في الآخرة (والله يحب المحسنين) أى المعترفين بكونهم مسيئين
فلما اعترفوا بذلك سماهم الله محسنين كأن الله تعالى يقول لهم اذا اعترفتم باسائتكم وعجزكم فأنا أصفكم
بالاحسان وأجعلكم أحباء لنفسي حتى تعلموا انه لا سبيل للعبد الى الوصول الى حضرة الله الا باظهار
الذلة والمسكنة والعجز (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) أى المنافقين في قولهم للمؤمنين
المتهمين ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل (يردوكم على أعقابكم) أى يرجعوكم
الى دينكم الاول قال على والمراد بالذين كفروا المنافقون كما تقدم وقال السدي وغيره المراد بهم
أبوسفيان بن حرب لانه شجرة الفتن وكبير القوم في ذلك اليوم ومعنى الآية حينئذ ان تخضعوا لابي سفيان
وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل المراد عبد الله بن أبي وأتباعه من المنافقين لانهم قالوا لو
كان محمد رسول الله ما وقعت له هذه الواقعة فارجعوا الى دينكم الذى كنتم فيه وقال ابن عباس والمراد بهم
اليهود كعب وأصحابه والمراد بالذين آمنوا حذيفة وعمار (فتنقلبوا خاسرين) أى فترجعوا مغبونين
في الدارين بالانقياد للعدو والتذلل له وبالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد (بل الله
مولاكم) أى ناصركم (وهو خير الناصرين) أى أقواهم بالنصرة فلا ينبغي أن تطيعوا الكفار
لينصروكم لانهم عاجزون (سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أى سنقذف في قلوب كفار مكة

المخافة منكم حتى انهزموا وذلك ان الكفار لما هزموا المسلمين في أحد أوقع الله الرعب في قلوبهم فتركوهم
 وفر وامنهم من غير سبب حتى روى ان أباسفيان صعد الجبل وقال أين ابن أبي كبشة وأين ابن أبي خفاقة
 وأين ابن الخطاب فأجابهم ودارت كلمات بينهم وما تجاسر أبوسفيان على النزول من الجبل والذهاب
 اليهم (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به) أي بعبادته (سلطانا) أي كتابا ولا رسولا (وما أوأهم النار)
 أي مسكنهم في الآخرة النار (وبشس مشوى الظالمين) أي وبشس مقر الكافرين النار (ولقد صدقكم
 الله وعده) يوم أحد نزلت هذه الآية لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة وقد
 أصابهم ما أصابهم بأحد قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى هذه
 الآية (إذا تحسبهم) أي تقتلونهم - مقتلا كثيرا في أول الحرب (بأذنه) أي بعلمه ونصرته (حتى إذا
 فشلتم) أي إلى ان ضعفت في الرأي أو إلى حين ملتم إلى الغنيمة (وتنازعتم في الأمر) أي اختلفتم في أمر
 الحرب أو في أمثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أمر الرماة بأن لا يبرحوا
 عن مكانهم - مالبته وجعل أميرهم عبد الله بن جبير فلما ظهر المشركون أقبل الرماة عليهم - م بالرمي الكثير
 حتى انهزم المشركون ثم ان الرماة رأوا نساء المشركين صعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت
 خلاخيلهن فقالوا الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله عهد الرسول الينا أن لا نبرح عن هذا المكان فأبوا عليه
 وذهبوا إلى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة قليلة دون العشرة إلى أن قتلهم المشركون (وعصيتهم)
 أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاقامة في أصل الجبل وتركتم المركز لاجل تحصيل الغنيمة (من بعد
 ما أراكم متحبين) أي من بعد أراكم النبي صلى الله عليه وسلم النصر والغنيمة (منكم) أي من
 الرماة (من يريد الدنيا) بجهاده وهم الذين تركوا المركز لاجل الغنيمة (ومنكم) أي من الرماة
 (من يريد الآخرة) بجهاده وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى قتلوا وهم عبد الله بن جبير وأصحابه (ثم صرفكم
 عنهم) أي ثم رد الله المسلمين عن الكفار وألقى الهزيمة عليهم وسلط الكفار عليهم (ليبتليكم) أي
 ليجعل ذلك الصرف حنة عليكم لتتوبوا إلى الله وتستغفروا فيما خالفتكم فيه أمره وملتم فيه إلى الغنيمة
 (ولقد عفا عنكم) لما علم من كدكم على المخالفة وتفضلا منه تعالى (والله ذو فضل على المؤمنين)
 حيث لم يستأصل الرماة (أذ تصعدون) أي تذهبون في الأرض (ولا تلوون على أحد) أي ولا
 تلتفتون إلى أحد من شدة الحرب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي وهو واقف في آخركم وكان
 يقول إلى عباد الله إلى عباد الله أنارسل الله من يكرهه الجنة (فأنا بكم غما بكم) أي جازاكم الله
 غما حصل لكم بسبب الانهزام وقتل الاحباب وفوت الغنائم بكم حصل للرسول بسبب عصيانكم أمره
 (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من الغنيمة (ولما أصابكم) من القتل والجراحة قال أبو السعد أي
 لتتمروا على الصبر في الشدة فلا تحزنوا على نفع فات أو ضرات (والله خير بما تعملون) أي عالم
 بأعمالكم ومقاصدكم قادر على مجازاتها ان خيرا خيرا وان شرا شرا (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة)
 من العدو (نعاسا يغشى طائفة منكم) أي يأخذ النعاس المهاجرين وعامة الانصار (وطائفة) وهم
 المناقون عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير وأصحابهما (قد أهتهم أنفسهم) أي أوقعتهم في الهموم لان
 أسباب الخوف وهي قصد العدو كانت حاصلة لهم والدافع لذلك وهو الوثوق بوعد الله ورسوله غير معتبر
 عندهم لانهم كانوا مكذبين بالرسول في قلوبهم فلذلك عظم الخوف في قلوبهم (يظنون بالله غير الحق
 ظن الجاهلية) أي كانوا يقولون في أنفسهم لو كان محمد محقا في دعواه لما سلط الكفار عليه وهذا ظن

فأسد والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لا خد عليه فإن النبوة خلقة من الله تعالى يشرف عبده بها وليس يجب في العقل أن الله تعالى إذا شرف عبده بخلقة أن يشرفه بخلقة أخرى بل له الأمر والنهي كيف شاء بحكم الألهية (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) أي هل لنا من النصر الذي وعدنا به محمد نصيب قط وهذا الكلام أن كان قائله من المناققين كعبد الله بن أبي فاعنا قاله طعننا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام وأن كان من المؤمنين المحققين كان غرضه منه اظهار الشفقة أنه متى يكون الفرج ومن أين يكون تحصل النصر (قل إن الأمر) أي التدبير (كله الله) فإنه تعالى قد دبر الأمر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) أي يقولون فيما بينهم -م بطريق الخفية مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين لأنكار والتكذيب مخافة القتل (يقولون) أي معتب بن قشير وعبد الله بن أبي (لو كان لنا من الأمر شيء ما قلناه ههنا) أي لو كان لنا من التدبير والرأي شيء ما قتل من قتل منا في هذه المعركة وما غلبنا (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) أي قل يا أشرف الخلق لهم لو جلستم في بيوتكم في المدينة لخرج منكم من كتب الله عليهم القتل إلى مضاجعهم أي أما كنهم التي ما وافيا عند أحد حتى يوجد ما علم الله أنه يوجد فإن الحذر لا يدفع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر الله عليهم القتل لا بد وأن يقتلوا لأن الله تعالى لما أخبر أنه يقتل قلوبهم لا تقتل لا تقبل علمه جهلا وذلك محال (و) فرض الله عليكم القتال ولم ينصركم يوم أحد (ليبتلي الله ما في صدوركم) أي ليعاملكم معاملة من يختبر ما في قلوبكم من الإخلاص والنفاق وليظهر ما فيهما من السرائر وفي المثل المشهور لا تكرر هو اللعن فأنها حصاد المناققين (وليحص ما في قلوبكم) أي يخلصها من الوسوس (والله عليم بذات الصدور) أي بما في القلوب من الخير والشر (إن الذين تولوا منكم) أي انهزموا يوم أحد وهم عثمان بن عفان ورافع بن المعلى وخارجة ابن زيد (يوم التقى الجمعان) جمع محمد صلى الله عليه وسلم وجمع أب سفيان (انما أسترزهم الشيطان) أي أزرهم الشيطان بوسوسته أن محمد اقتل (يبعض ما كسبوا) أي بشؤم بعض ما كسبوا من الذنوب بترك المركز وبالحرص على الغنمة أو على الحياة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (إن الله غفور) لمن تاب (حليم) أي لا يجعل لهم بالعقوبة وأما الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الأنصار الحباب بن المنذر وأبو دجانة وهاشم بن ثابت والحارث بن الصمت وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أي في نفس الأمر وهم المناققون عبد الله بن أبي وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) أي لأجل اخوانهم في النسب أو في الكفر والنفاق (إذا ضربوا في الأرض) أي ساروا فيها للتجارة أو غيرها فأتوا (أو كانوا غزى) فقتلوا (لو كانوا عندنا) أي مقيمين في المدينة (مما أتوا) في سفرهم (وما قتلوا) في غزواتهم (ليجعل الله ذلك) أي ظنهم أن اخوانهم لو لم يسافروا ولم يحضروا القتال لعاشوا (حسرة) أي حزنا (في قلوبهم -م) واللام العاقبة أي أنهم قالوا ذلك لأهمل قلوب المسلمين ليضيق صدرهم وليخلفوا عن القتال فلما كان المؤمنون لم يلتفتوا إلى قولهم فيضيع سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل الندامة في قلوبهم (والله يحيي ويميت) فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وإن لم يجاهد فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغزى مع اقتحامهما

لموارد الخوف وبعيت القاعد عن القتال والمقيم مع حيازتهم لاسباب السلامة (والله بما تعملون بصير)
فحيازهم على قوتهم واعتقادهم ويجازيكم أن تعاتلوهم في ذلك (ولئن قتلتم في سبيل الله) أى في
الجهاد (أو متهم) في سفركم للغزو مع الكفار أو في بيوتكم وكنتم مخلصين من النفاق (لمغفرة من الله)
لذنوبكم (ورحمة) منه لكم (خير مما تجمعون) أى مما تجمعونه أنتم لو لم تموتوا من الاموال التى تعد
خبرات وقرأ حفص عن عاصم بالغيبة أى خير مما يجمعونه هؤلاء الكفرة من منافع الدنيا وطيباتهما مدة
أعمارهم قال الفخر الرازى والاصوب عندى أن اللام في ولئن للتمأ كيد فيكون المعنى ان وجب ان تموتوا
أو تقتلوا في سفركم وغزوكم فكذلك يجب أن تفوزوا بالمغفرة والرحمة فلماذا تحتزون عن الموت والقتل بل
ذلك مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون لان الموت الذى يستحق الثواب العظيم كان خيرا من الموت من
غير فائدة (ولئن متهم) في حضر أو سفر (أو قتلتم) في الجهاد أو غيره (لألى الله تحشرون) لجميع
العالمين يوقفون في عرصة القيامة وبساط العدل فيجتمع المظلوم مع الظالم والمقتول مع القاتل والله تعالى
يحكم بين عبده بالعدل واعلم أن الله تعالى رغب المجاهدين في الآية الاولى بالمغفرة والرحمة وفي هذه
الآية بالحشر الى الله زيادة في اعلاء الدرجات يروى ان عيسى بن مريم مر بأقوام نحفت أبدانهم واصفرت
وجوههم ورأى عليهم آثار العباداة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هوأ كرم من أن
لا يخلصكم من عذابه ثم مر بأقوام آخرى فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة
فقال هوأ كرم من أن يمنعهكم رحمة ثم مر بقوم ثالث ورأى آثار العبودية عليهم ثم أكثر فسألهم فقالوا
نعبد لانه الهنا ونحن عبده لا لرغبة ولا لرغبة فقال أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون فقله تعالى
لمغفرة من الله إشارة الى من يعبد خوفه من عقابه وقوله ورحمة إشارة الى من يعبد له لطلب ثوابه وقوله
تعالى لالى الله تحشرون إشارة الى من يعبد الله لمجرد الربوبية والعبودية وهذا أعلا المقامات وأبعد
النهايان في العبودية في علو الدرجة فهو هؤلاء الذين بذلوا أنفسهم وأبدانهم في طاعة الله ومجاهدة عدوه يكون
حشرهم اليه واستثناسهم بكرمه وعتقه بمشروق نور ربوبيته (فبما رحمة) فما استفهام للتعجب
تقديره فبأى رحمة (من الله لنت لهم) وذلك لانه لما كانت جنائيتهم عظيمة ثم انه صلى الله عليه وسلم
لم يظهر تغليظا في القول البتة علوا ان هذا لا يتأتى الا بتأييد ربانى فكان ذلك موضع التعجب من كمال ذلك
التأييد (ولو كنت قظا) باللسان (غليظ القلب) أى قاسيه (لانفضوا من حولك) أى لتهفروا
من عندك ولم يسكنوا اليك ولو انفضوا من حولك فأت المعصود من الرسالة (فاعف عنهم) فيما يتعلق
بحقوقك (واستغفر لهم) من الله تعالى فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتعالم الشفقة عليهم واكمال البر بهم
(وشاورهم فى الامر) فان المشاورة تقتضى شدة محبتهم له صلى الله عليه وسلم لانها تدل على رفعة
درجتهم فترك المشاورة معهم اعانة لهم قال صلى الله عليه وسلم ما شاور قوم قط الا هدوا الارشد
أمورهم (فاذا عزمتم) عقب المشاورة على شئ (فتوكل على الله) فى امضاء أمرك على ما هو أصلح
وليس التوكل اهمال التدبير بالكافة والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل التوكل
هو ان يراعى الانسان الاسباب الظاهرة ولا يكتفى لا يعول بقلبه عليها بل يعول بقلبه على عصمة الله واعانته
(ان الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصالح (ان ينصركم الله فلا
غالب لكم) أى ان ينصركم كما ينصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) أى يترك الله نصرتمكم
كיום أحد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) أى فلا أحد ينصركم على عدوكم من بعد خذلانه تعالى

(وعلى الله فليتكوا كل المؤمنين) بالنصرة وغيرها (وما كان لنبي أن يغفل) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم
 بفتح الياء وضم الغين أى وما جازلني أن يخون أمتي في الغنائم قال الكلبي ومقاتل نزلت هذه الآية حين
 ترك الرماة المركة يوم أحد طلبا للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له
 وإن لا يقسم الغنائم كالم يقسمها يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم لهم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركة حتى
 يأتيكم أمرى فقالوا تر كنا ببيعة أخواننا وقوفاً فقال صلى الله عليه وسلم ظننتم أن أغفل فلا تقسم لكم
 فنزلت هذه الآية وقرأ الباقر من السبعة يغفل بضم الياء وفتح الغين أى وما جازلني أن يخون لأن الوحي
 كان يأتيه حالاً فلا فن خانة فرعاً نزل الوحي فيه فيحصل له مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ولان الحيانة
 في حقه صلى الله عليه وسلم الخش لأنه أفضل البشر ولان المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر كما روى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقعت في يده يوم حنين غنائم هوازن غل رجل بمخيط فنزلت هذه الآية
 (ومن يغفل يأت بما غفل) أى يأت بالذي غفله بعينه يحمله على عنقه (يوم القيامة ثم توفى كل نفس) أى
 تعطى وإفياها (كسبت) أى جزاء ما عملت من الغلول وغيره (وهم) أى كل نفس (لا يظلمون) بزيادة
 عقاب أو بنقص ثواب لأنه تعالى عادل في حكمه (أمن اتبع رضوان الله) أى أمن اتقى فاتبع رضوان
 الله بالإيمان به والعمل بطاعته (كن به بسخط من الله) أى كن استحق بسخط من الله بالكفر به
 والاشتغال بعصيته (ومأواه) أى الغال أو من استوجب بسخط الله (جهنم وبئس المصير) جهنم
 (هم درجات عند الله) أى الفريقان مختلفون في درجات الثواب والعقاب في حكم الله وعلمه باختلاف
 مراتب الطاعات والمعاصي (والله بصير عما يعملون) أى بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم بحسبها
 (لقد من الله على المؤمنين) أى لقد أحسن إليهم (اذبح فيهم رسولا من أنفسهم) أى بعث آدميا
 ولد في بلدهم ونشأ فيمابينهم وهم كانوا عارفين بأحواله من أول العمر إلى آخره أنه ملازم الصدق والأمانة
 وهو صار شرفاً للعرب ونفراً لهم وذلك لأن الاقتحار بإبراهيم عليه السلام كان مشتمراً كافيه بين اليهود
 والنصارى والعرب ثم إن اليهود يفتخرون بموسى والتوراة والنصارى يفتخرون بعيسى والإنجيل فما
 كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمداً وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائداً على شرف جميع
 الأمم فهذا وجه الفائدة في قوله تعالى من أنفسهم (يتلو عليهم آياته) أى القرآن أى يبلغ الوحي من
 عند الله إلى الخلق بالامر والنهي (ويرزقيهم) أى يطهرهم بالتوحيد من الشرك وبأخذ الزكاة من
 الذنوب ويكمل نظرهم بحصول المعارف الإلهية (ويعلمهم الكتاب) أى ظواهر الشريعة أو يعرفهم
 التأويل (والحكمة) أى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها (وإن كانوا من قبل) أى والحال أنهم
 كانوا من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) أو المعنى وما كانوا من قبل محمداً والقرآن
 إلا في ضلال بين وذلك لأن دين العرب قبل ذلك كان أزدل الأديان وهو عبادة الأوثان وأخلاقهم أزدل
 الأخلاق وهو الغارة والنهب والقتل وأكل الأطعمة الرديئة ثم لما بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم
 إليهم انتقلوا ببركته من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أحسنها وصاروا أفضل الأمم في العلم
 والزهد والعبادة وعدم الالتفات إلى الدنيا وطيباتها ولا شأن هذا أعظم المنفعة (أولما أصابتكم
 مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) أى أقلتم متعجبين من أين أصابنا هذا ونحن ننصر الإسلام الذي هو دين
 الحق ومعنا الرسول وهم ينصرون دين الشرك بالله فكيف صاروا منصورين علينا وقد تقدم الوعد بالنصر
 حين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك وذلك لأن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد

سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين رأساً وسبعين والاسير في حكم المقتول لان الامر يقتل أسيره
ان أراد (قل هو) أي حصول هذا الامر (من عند أنفسكم) أي بشؤم معصيته - كم بترككم المركز أو حرصكم
على الغنيمة (ان الله على كل شيء قدير) فانه قادر على نصركم لو ثبتتم وصبرتم كما هو قادر على التخليئة بينكم
وبين عدوكم اذا خالغتم وعصيتهم (وما أصابكم) في أحد من القتل والجراحة (يوم التقى الجمعان) جمع محمد
وجمع أبي سفيان (فبأذن الله) أي فهو بقصائه وارادته (وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم)
أي وليظهر الله للناس الثابتين على الايمان والذين أظهروا النفاق والامتناع من الجهاد مع وجود
الطلب وهم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث رجعوا يوم أحد الى المدينة قال لهم عبد الله بن جبير أو عبد الله
ابن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله الانصاري اذكركم الله أن تتخذوا نبيكم وقومكم عند حضور العدو
(تعالوا) الى أحد (قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) أي كونوا امام رجال الدين أو من رجال الدنيا
فان كان في قلبكم حب الدين والاسلام فقاتلوا الله ما في طاعة الله وان لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفعاً عن
أنفسكم وأهليكم وأموالكم وبلدكم (قالوا لو علم قتالا) أي لو نحسن قتالاً ونقدر عليه (لا تبعناكم)
الى أحد (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) أي هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا أقرب منهم للإيمان
فانهم كانوا قبل هذه الواقعة يظهرون الايمان من أنفسهم وما ظهرت منهم امانة تدل على كفرهم
فلما رجعوا عن عسكر المسلمين تباعدوا بذلك عن أن يظن بهم كونهم مؤمنين وأيضاً قولهم ذلك يدل على
كفرهم لانه اما على السخرية بالمسلمين واما على عدم الوثوق بقول النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد منهما
كفر (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) فانهم أظهروا أمرين ليس في قلوبهم واحد منهما أحدهما
عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيه ما فاتهم عالمون بالقتال غير ناوين للاتباع
بل كانوا مصرين على الانخزال عازمين على الارتداد (والله أعلم بما يكتمون) أي يعلم من تفاصيل تلك
الاحوال ما لا يعلمه غيره (الذين قالوا) أي الذين نافقوا وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (لاخوانهم) أي
لاجل اخوانهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو أقاربهم (و قد) (فعدوا) عن القتال بالانخزال
(لو أطاعونا) أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك (ماقتلوا) كما لم يقتل (قل) للمنافقين (فادروا)
أي ادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) في أن القعود ينجي منه وروى انه أنزل الله بهم الموت فأت
منهم يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً من غير قتال ومن غير خروج لاظهار كذبهم (ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتاً) نزلت هذه الآية في حق قتلى أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن
عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى
عليهم أجمعين وأما شهداء بدر فنزلت فيهم آية البقرة ولاتنقلوا من يقتل في سبيل الله الآية (بل) هم
(أحياء عند ربهم يرزقون) التحف من الجنة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال في صفة الشهداء ان ارواحهم في أجواف طير خضر وانها ترد أنهار الجنة وتأك كل من ثمارها
وتسرح حيث شاءت وتأري الى قناديل من ذهب تحت العرش وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألا أبشركم أن أبالك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال ما تريد يا عبد الله بن عمرو
أن أفعل بك فقال يا رب أحب أن تردني الى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى (فرحين بما آتاهم الله من فضله)
وهو شرف الشهادة والقرب من الله والتمتع بالنعيم المخلد عاجلاً (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من
خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي ان الشهداء يقول بعضهم لبعض تركنا اخواننا فلانا

ففلانا في صف المقاتلة مع الكفار فيقتلون ان شاء الله فيصيبون من الرزق والكرامة ما أصبنا أي
 يخرجون بحسن حال اخوانهم الذين تركوهم في الدنيا بدوام انتفاء الخوف والحزن وبطوقهم بهم لان الله
 بشرهم بذلك (يستبشرون بنعمة من الله) أي بثواب أعمالهم من الله (وفضل) أي زيادة عظيمة
 من الكرامة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) من الشهداء وغيرهم (الذين استجابوا لله والرسول من
 بعدما أصابهم القرح) في أحد منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن
 مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح وجابر بن عبد الله (لذين أحسنوا منهم) في طاعة
 الرسول في ذلك الوقت (واتقوا) في التخلف عن الرسول (أجر عظيم) روى أن أباسفيان وأصحابه
 لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء فماتوا وقالوا انا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم بل
 الواجب أن نرجع ونستأصلهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يهرب
 الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوة فندب أصحابه الى الخروج في طلب أبي سفيان وقال
 لا أريد أن يخرج الآن معي الا من كان معي في القتال بالامس فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع
 قوم من أصحابه قليل كانوا سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال على
 يسار الطريق لمن أراد اذا الحليفة وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الا حرفا لقي
 الله تعالى الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فترزت هذه الآية (الذين قالوا اللهم الناس) وهو أعرابي من
 خزاعة أو جماعا كيون من عبد القيس أو نعيم بن مسعود الاشجعي (ان الناس) أي أباسفيان
 وأصحابه (قد جمعوا لكم) في اللطيمة وهي سوق في قرب مكة (فاخشوهم) بالخروج اليهم روى ان
 أباسفيان لما عزم على أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر ان شئت فقال صلى الله
 عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله تعالى فلما حضر الاجل خرج أبوسفيان مع قومه حتى
 نزل عبر الظهر ان قال في الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فربه ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للمرة
 فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم
 اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب وقد بدا لي أن أرجع ولكن ان خرج محمد ولم أخرج
 زاد بذلك جراءة فاذهب الى المدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد
 المسلمين يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال لهم أين تريدون فقالوا واعدنا أباسفيان بموسم بدر ان نقتل
 فيها فقال لهم ما هذا بال رأي أتوكم في دياركم وقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع
 هذا الكلام في قلوب بعضهم فكره الخروج فلم اعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك قال والذي نفس
 محمد بيده لا يخرجن اليهم ولولم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وباقي الجماعة عيشون وفيهم ابن مسعود
 فذهبوا وكلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها
 كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظرا أباسفيان ثمان ليال ولم يلق أحدا
 من المشركين وافتقوا السوق وباعوا ما كان معهم من التجارات واشتروا أدما وزبيبا ورجعوا في الدرهم
 درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غافين كما قال تعالى (فزادهم إيمانا) أي زادهم هذا الكلام
 المخوف جراءة بالخروج اليهم وعزم امتا كداعلى محاربة الكفار وعلى طاعة الرسول (وقالوا حسبنا
 الله) أي كافينا الله وثقتنا به (ونعم الوكيل) أي الكفيل بالنصرة والكافي (فانقلبوا بنعمة من الله)
 أي نخرجوا الى بدر فرجعوا من بدر ملتبسين بسلامة وثواب من الله (وفضل) أي ربح في التجارة (لم يمسهم)

أى لم يصيبهم في الذهب والمجىء (سوء) أى قتل ولا جراح (واتبعوا رضوان الله) في طاعة رسوله
 (والله ذو فضل عظيم) يدفع العدو عنهم ويعطيهم ثواب الغزو ويرضى عنهم (انما ذلكم الشيطان
 يخوف أوليائه) قرأ ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أوليائه وقرأ أبي بن كعب يخوفكم بأوليائه
 أى ذلكم الميثب الشيطان يخوفكم أيها المؤمنون المشركين أباسفيان وأصحابه وقال الحسن والسدي
 معنى هذه الآية الشيطان يخوف أوليائه الذين يطيعونه ويختارون أمره وهم المنافقون ليقعدوا عن
 قتال المشركين فاما أوليائه الله فانهم لا يخافون الكفار اذا خوفهم الشيطان ولا ينقادون لأمره (فلا
 تخافوهم) أى أوليائه الشيطان بالخروج اليهم (وخافون) في مخالفة أمرى بالجلوس (ان كنتم
 مؤمنين) فان الايمان يقتضى تقديم خوف الله على خوف الناس ويستلزم عدم الخوف من شر الشيطان
 وأوليائه (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى فى جميع
 ما فى القرآن الا قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر فى سورة الانبياء فانه فتح الياء وضم الزاى كباقي القراء
 فى جميع ما فى القرآن (انهم لن يضروا الله شيئا) اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية فقيل
 انها نزلت فى شأن كفار قريش والله تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم والمعنى لا يحزنك من يسارع فى
 الكفر بنصرته بأن يقصد جمع العساكر بجواربتك وابطال هذا الدين وازالة هذه الشريعة وهذا المقصود
 لا يحصل لهم بل يفعل أمرهم وترزول شوكتهم ويعظم أمرك ويعلو شأنك فانهم لن يضروا الله شيئا
 بهذا الصنيع وانما يضررون أنفسهم وقيل نزلت فى شأن المنافقين انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب
 وقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر وقيل نزلت فى شأن رؤساء اليهود كعب بن الاشرف وأصحابه
 الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم لمتاع الدنيا (يريد الله) بذلك (أن لا يجعل لهم حظا) من
 الثواب (فى الآخرة) أى الجنة (ولهم عذاب عظيم) فى النار (ان الذين اشترى الكفر بالايمان لن
 يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس هم المنافقون اختاروا الكفر على الايمان فانهم متى
 كفوا مع المؤمنين أظهروا الايمان فاذا خلوا الى شياطينهم كفروا وتركووا الايمان فكان ذلك كأنهم
 اشترى الكفر بالايمان ويمكن حمل هذه الآية على اليهود ومعنى اشترى الكفر بالايمان منهم انهم
 كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمنون به قبل مبغته ويستنصرون به على أعدائهم فلما بعث
 كفروا به وتركووا ما كانوا عليه فكانهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر بدلا عنه كما يفعل المشتري من
 اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه (ولا يحسبن الذين كفروا انهم انما يغفلون) أى غفل لهم بتطويل الاعمار (خير
 لانفسهم انما يغفلون) أى ذنبا فى الدنيا ودركات فى الآخرة (ولهم عذاب مهين) يهانون
 به يوما فيوما ساعة بعد ساعة قال الفخر الرازى بين الله تعالى فى هذه الآية ان بقاء هؤلاء المتخلفين عن
 القتال ليس خيرا من قتل أولئك الذين قتلوا فى أحد لان هذا البقاء صار وسيلة الى الخزي فى الدنيا
 والعقاب الدائم فى القيامة وقتل أولئك الذين قتلوا فى أحد صار وسيلة الى الثناء الجميل فى الدنيا والثواب
 الجزيل فى الآخرة فترغب أولئك المثبتين فى مثل هذه الحياة وتنفرهم عن مثل ذلك القتل لا يقبله
 الا جاهل قرأ ابن كثير وأبو عمرو فى الآية ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن الذين يدخلون لا تحسبن
 الذين يفرحون فلا تحسبنهم بالتاء وضم الباء فى قوله تعالى تحسبنهم وقرأ نافع وابن عامر بالياء الا قوله
 فلا تحسبنهم فانه بالتاء وقرأة حمزة كلها بالتاء وقيل نزلت الآية من قوله ولا يحزنك الى ههنا فى حق
 مشركي أهل مكة يوم أحد (ما كان الله ليذر المؤمنين) أى ليترك المخلصين (على ما أنتم عليه) أيها

الناس من اختلاط المنافقين بالخلصين واظهارهم انهم من اهل الايمان (حتى يميز الخبيث) أي المتافق (من الطيب) أي المؤمن بالقائه المحن والمصائب والقتل والهزيمة فمن كان مؤمناً ثبت على إيمانه وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كان منافقاً أظهر نفاقه و~~كفره~~ أو بالقرائن فإن المسلمين كانوا يفرحون بنصرة الاسلام وقوته والمنافقين كانوا يغتمون بذلك (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أي ان عادة الله جارية بانه لا يطلع عوام الناس على غيبه بل لا سبيل لـ~~كم~~ الى معرفة ذلك الامتياز الا بالامتهانات من التكاليف الشاقة كبذل الاموال والانفس في سبيل الله فأما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلهذا قال تعالى (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) فخصهم باعلامهم ان هذا مؤمن وهذا منافق أو المعنى فيمتحن خلقه بالشرائع على أيديهم حتى يتميز الفريقان بالامتحان أو المعنى وما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصير وامستغنين عن الرسول بل الله يخص من يشاء من عباده بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل (فآمنوا بالله ورسوله) أي لما طعن المنافقون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بوقوع الحوادث المذكورة في أحاديث الله تعالى انه كان فيها مصالح منها تمييز الخبيث من الطيب ولم يبق بعد جواب هذه الشبهة الا أن تؤمنوا بالله ورسوله (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) أي الكفر والنفاق (فلكم أجر عظيم) أي ثواب وافر في الجنة (ولا يحسبن الذين يخولون عباد الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم) أي لا يتوهم من هؤلاء الجحلاء ببذل المال في الجهاد ان يجلبهم هو خير لهم بل هو شر لهم لانه يبقى عقاب يجلبهم عليهم (سيطوقون ما يخولوا به يوم القيامة) أي سيجعل ذلك المال طوقاً من النار في عنقهم وقيل ان المراد البخل بالعلم وذلك لان اليهود كانوا يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك الكتمان بخلاً حيث كان معنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقاً من نار قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة والمعنى انهم عوقبوا في أفواههم وألسنتهم بهذا اللجام لانهم لم ينطقوا بأفواههم وألسنتهم بما يدل على الحق (ولله ميراث السهوات والارض) أي له تعالى ما يتوارثه أهلها من مال وغيره (والله عاتعملون) من البخل والسخاء (خير) فيجازيكم عليه أو فيجازيهم عليه (لقد سمع الله قول الذين قالوا) أي فخصاص بن عاذوراه كما قاله ابن عباس والسدي وأوحى بن أحطب كما قاله قتادة أو كعب بن الأشرف كما نقله ابن عساكر روى أنه صلى الله عليه وسلم كتب: أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الاسلام وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فقال فخصاص اليهود ان الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه أبو بكر في وجهه وقال ولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقل فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر ما قاله فنزلت هذه الآية تهديقالا بي بكر رضى الله عنه والجمع حيث تدمع كون القاتل واحداً رضا الباقين بذلك (ان الله فقير) محتاج يطلب منا القرض (ونحن أغنياء) ولا نحتاج الى قرضه (سنكتب ما قالوا) أي من العظيمة الشنعاء في هائف الحفظة ليقرأوا ذلك يوم القيامة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله أو المراد سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يعلم الخلق الى يوم القيامة شدة جهلهم وطعنهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما قدروا عليه (وقتلهم الانبياء بغير حق) في اعتقادهم كما في نفي الامر أي نكتب عليهم رضاهم بقتل آبائهم الانبياء بغير جرم أو المعنى سنحفظ عن الفريقين معاقبوا لهم وأفعالهم (وتقول) عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتاب أو عند

الالتقاء في النار ويحتمل أن يكون هذا القول كناية عن حصول الوعيد وان لم يكن هناك قول وقرأ حمزة
 سيكتب بالياء وضمها على لفظ ما لم يسم فاعله وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء والباقون بالنون ونصب
 اللام من قتلهم وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وبالبناء للفاعل (ذوقوا عذاب الحريق) أي
 المحرق (ذلك) أي هذا العذاب المحرق (بما قدمت أيديكم) أي بسبب ما اقترفتهم من التفوه بتلك
 العظيمة وغيره من المعاصي (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي والامر أنه تعالى ليس بعذب لعبيده بغير
 ذنب من قبلهم (الذين قالوا) نصب على الذم أو جرعت للذين الأول أي لقد سمع الله قول الذين قالوا قال
 ابن عباس نزلت هذه الآية في حق كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وهب بن يهودا
 وزيد بن التابوت وفخااص بن عاذوراء وحبي بن أخطب وغيرهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
 يا محمد تزعم أنك رسول الله وأنه تعالى أنزل عليك كتابا وقد عهد الله اليها في التوراة أن لا تؤمن لرسول
 حتى يأتينا بقربان تأكله النار ويكون لها دوى خفيف تنزل من السماء فان جئتنا بهذا صدقناك فترلت
 هذه الآية (ان الله عهد اليها) أي أمرنا في الكتاب (أن لا تؤمن لرسول) أي ان لا نصدق أحدا
 بالرسالة (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) ما كان عليه أمر أنبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب
 بالقربان من النعم أو من الصدقات غير الحيوان فيقوم النبي في البيت ويدبحه ويبنوا اسرائيل
 واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء أي لا دخان لها ولها دوى فتأكل القربان أي تحرقه وهذا من
 أباطيلهم فان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه مهجزة فهو وساثر المجهزات سواء وقد تقدمت
 المجهزات الكثيرة لمحمد صلى الله عليه وسلم وطلبهم لهذا المجهز وقع على سبيل التعنت لا على سبيل
 الاسترشاد ولذلك رد الله عليهم بقوله (قل) يا أشرف الخلق (قد جاءكم رسول من قبلي بالبينات)
 أي بالمجهزات الواضحة (وبالذي قلتم) وهو القربان الذي تأكله النار (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين)
 في مقاتلتكم انكم تؤمنون لرسول يأتياكم بما اقترحتهم فان ذكر يا ويحي وعيسى وغيرهم من الانبياء
 عليهم السلام قد جاءكم بما قلتم في مجهزات أخر فالكلم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم (فان
 كذبوك) في أصل النبوة والشرعية فتسل (فقد كذب رسل من قبلك جاوا بالبينات) أي المجهزات
 (والزبر) أي الصحف كصحف ابراهيم وموسى (والكتاب المنير) أي الواضح وهو التوراة والانجيل
 والزبور وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الباء كقراءة ابن عباس دلالة على المغيرة وقصر أهشام وبالكتاب
 باعادة الباء والباقون بغير الباء فيهما (كل نفس ذائقة الموت) أي كل حيوان حاضر في دار الدنيا كيف
 يذوق الموت وروى عن الحسن انه قرأ ذائقة الموت بالتنوين ونصب الموت وقرأ الهمش بطرح التنوين
 مع نصب الموت (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) أي وانما تعطون أجرية أعمالكم على تمام يوم
 قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية إشارة الى ان بعض أجورهم يصل اليهم قبله كما يدل عليه قوله صلى
 الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (فنزح) أي أبعد (عن
 النار) بالتوحيد والعمل الصالح (وأدخل الجنة فقد فاز) أي نال غاية مقصوده وقال النبي صلى الله
 عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر
 ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) أي ليس ما في الدنيا من
 النعيم الا كمتاع البيت في بقائه مثل الخرف والزجاجة وغير ذلك أي ان العيش في هذه الدنيا يغير
 الانسان بما يغنيه من طول البقاء وسينة قطع عن قريب فوصفت بأنها متاع الغرور لانها تغري بئذ المحبوب

وتخيّل للانسان انه يدوم وليس بدائم قال بعضهم الدنيا ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشر وقال
سعيد بن جبران هذا في حق من آثر الدنيا على الآخرة وأما من طلب الآخرة بها فانها نعم المتاع (لتبلى
في أموالكم وأنفسكم) أي والله لتختبرن في ذهاب أموالكم بالمهلكات كالغرق والحرق والتسكليف
كالزكاة والجهاد وفي ما يصيب أنفسكم من البلاء كالأمراض والأوجاع والقتل والضرب ومن
التسكليف كالصلاة والجهاد والصبر فيهما (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
أشركوا إذا كثروا) أي ولتسمعن من اليهود والنصارى ومشركي العرب أنواع الأذى من الطعن في
الدين الخفيف والقرح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن وتخطيشة من آمن وما كان
من كعب بن الأشرف واضربه من هجاء المؤمنين وتشبيب نسائهم وتحريض المشركين على مضادة
رسول صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خفيه (وان تصبروا) على تلك البلى وأذى الكفار
وتستعملوا احتمال المكروه ومدارة الكفار في كثير من الأحوال (وتتقوا) أي تحترزوا عما لا ينبغي
وعن المداهنة مع الكفار وعن السكوت عن اظهار الانكار (فان ذلك) أي الصبر والتقوى (من
هزم الأمور) أي من حزم أمور المؤمنين وخبرها ومن صواب التدبير والمعنى فان ذلك مما قد عزم عليكم
فيه أي ألزمت الأخذ به وما يجب ان يعزم عليه كل أحد لانه حميد العاقبة (واذا أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تسكتونه) أي واذا كروا وقت أخذته تعالى العهد على علماء اليهود
والنصارى لتذكركن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والانجيل وللناس
ولا تلقوا فيها التاريكات الفاسدة والباطلة قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو بالغيبة في الفعلين
والباقون بالخطاب فيهما (فتبذوه) أي طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) أي فلم يعملوا به (واشتروا
به) أي الكتاب (ثمنًا قليلًا) أي شيئًا تافهًا من الدنيا أي أخفوا الحق لئلا يسألوا به الى وجدان شيء من الدنيا
(فبئس ما يشترون) أي بئس شيئًا يشترونه ذلك الثمن فكل من لم يبين الذي للناس وكنتم شيئًا منه لغرض
فاسد من تسهيل على الظلمة وتطبيب قلوبهم أو لجر منفعة أو لحوق أوليخ للعلم دخل تحت هذا الوعيد
قال صلى الله عليه وسلم من كنتم علماء عن أهل الجحيم بلجام من نار وعن محمد بن كعب قال لا يحل لاحد من
العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وكان قتادة يقول طوبى لعالم
ناطق ولمستمع واع هذا علم لما قبضه وهذا سمع خبر افو عاه (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا) أي بما فعلوا
من تحريف نصوص التوراة وتفسيرها بتفسيرات باطلة (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي
يحبون أن يوصفوا بالدين والفضل والعفاف والصدق (فلا تحسبنهم بعبادة) أي بعبادة (من العذاب)
وقيل نزلت هذه الآية في شأن المنافقين فانهم يفرحون بما أوتوا من اظهار الايمان للمسلمين على سبيل
النفاق من حيث انهم كانوا يتوصلوا بذلك الى تحصيل مصالحهم في الدنيا ثم كانوا يتوقعون من النبي صلى
الله عليه وسلم أن يحمدهم على الايمان الذي لم يكن موجودا في قلوبهم ولا شأن ان هذه الآية واردة في
الكفار والمنافقين الذين أمر الله رسوله بالصبر على أذاهم فان أكثر المنافقين كانوا من اليهود والاولى
اجراء الموصول على العموم فيشتمل على كل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح أعجاب ويود أن
يعدحه الناس بما هو عار منه من سداد السيرة واستقامة الطريقة والزهد والقبال على طاعة الله وقرأ
حمزة وعاصم والكسائي تحسبن وتحسبنهم بالتاء الفوقية وكلاهما بفتح الباء والتقدير لا تحسبن يا محمد
وأيها السامع أو كلاهما بضم الباء والخطاب للمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بعبادة وقوله

تعالى فلا تحسبنهم تاكيد والغاء مقحمة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالياء التحتية وكلاهما
بفتح الباء والفاعل للرسول وبضمها والفاعل من يتأتى منه الحسبان أو بفتح الباء في الأول وضمها في
الثاني وهو قراءة أبي عمرو والفاعل هو الموصول والمفعول الأول محذوف والتقدير ولا يحسبن الذين يفرحون
أنفسهم بغفارة من العذاب ويجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف المفعولين مع اختصار الدلالة لمفعولي
الفعل الثاني عليهما أي لا يحسبن هؤلاء أنفسهم فائزين أو على أن الفعل الأول مسند للرسول أو لكل
حاسب ومفعوله الأول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند
إلى ضمير الموصول والغاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانته صلى الله عليه وسلم
ومفعولاه مابعد (ولهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة (ولله ملك السموات والأرض) أي له تعالى
السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء إيجادا واعداما أحياء واماتة تهذيب
وإثابة وهو تعالى يملك ما فيهما من خرائن المطر والنبات والرزق (والله على كل شيء قدير) فلا يشذ من
ملكوته شيء من الأشياء وكل ما سواه تعالى مقدوره تعالى (إن في خلق السموات والأرض) أي في
إنشائهما على ما هما عليه في ذواتهما وصفاتهما (واختلاف الليل والنهار) أي في تعاقبهما في وجه الأرض
وكون كل منهما خلفه للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها الناشئين من حركات السموات وسكون
الأرض أو في تفاوتهما بآزاد أو انتقاص باختلاف حال الشمس بالنسبة إلى ناقربا وبعدا بحسب الأزمنة
أو في اختلافا فيهما بحسب الامكنة (لآيات) كثيرة عظيمة دالة على وحدانيته تعالى وقدرته تعالى
(لأولئك الآيات) أي لذوي العقول المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في حكمه المودعة
في الأنفس والآفاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل مستلق على فراشه أذ رفع رأسه فنظر
إلى النجوم وإلى السماء وقال أشهد أن لك رباً وخالقاً اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا عبادة كالتفكير وحكي أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلمته
سحابة فعبد في تلك المدة فتى من فتيانهم فأتته سحابة فقالت له أمه لعل فرطه صدرت منك في مدتلك
فقال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال نعم قالت فما أوتيت إلا من ذلك (الذين
يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أي الذين لا يغفلون عن الله تعالى في جميع أوقاتهم لا طمئناناً
قلوبهم بذكره تعالى واستغراقهم في مراقبته لما أيقنوا بأن كل ما سواه فائض منه وعائد إليه
فلا يشاهدون حالاً من الأحوال في أنفسهم ولا في الآفاق إلا وهم يعاينون في ذلك شأنهم شأنه تعالى
فالمراد بذكره تعالى مطلقاً سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه
بذكر اللسان أو لا وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لأنها الأحوال
المعتادة التي لا يحلوها إلا الإنسان غالباً والمراد تعميم الذكر للأوقات قال النبي صلى الله عليه وسلم من
أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) وعلى وفق
هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق أي لأن الاستدال بالخلق
على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة وانما يمكن وقوعه على نعت المخالفة فاذا استدل بحدوث هذه
المحسوسات على قدم خالقها وبكميتها وكيفيتها وشكلها على براءة خالقها عن الكمية والكيفية والشكل
وقوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه معناه من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم ومن
عرف نفسه بالإمكان عرف ربه بالوجوب ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء فكان التفكير في

الخلق ممكن من هذا الوجه أما التفكير في الخالق فهو غير ممكن البتة فاذا لا يتصور حقيقة الا بالساوب فنقول انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا في الجهة ولا شكل أن حقيقة المخصوصة مغايرة لهذه الساوب وتلك الحقيقة المخصوصة لا سبيل للعقل الى معرفتها فيصير العقل كالواله فلهذا السبب نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التفكير في الله وأمر بالتفكير في المخلوقات فلهذه الدققة أمر الله في هذه الآية بذكره ولم يأمر بالتفكير فيه بل أمر بالتفكير في مخلوقاته قال بعض العلماء الفكرة تذهب النقلة وتجلب للقلب الخشية كما ينبت الماء الزرع وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض أى وذلك لان عمله هو التفكير في معرفة الله لانه لا يقدر أحد أن يعمل بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وانما هو عمل القلب واعلم أن دلائل التوحيد محصورة في قسمين دلائل الآفاق ودلائل الأنفس ونشكل أن دلائل الآفاق أعظم وأعجب فلو أن الانسان نظر الى ورقة صغيرة من أوراق شجرة رأى في تلك الورقة عرقا واحدا اعتدافى وسطها ثم يتشعب من ذلك العرق عروق كثيرة الى الجانبين ثم يتشعب منها عروق دقيقة ولا يزال يتشعب من كل عرق عروق أخر حتى تصير في الدقة بحيث لا يراها البصر وعند هذا يعلم أن الخالق في تدبير تلك الورقة على هذه الحلقة حكما بالغة وأمرارا عجيبا ولو أراد الانسان أن يعرف كيفية خلقه الورقة لعجز فاذا عرف أن عقله قاصر عن الوقوف على كيفية حلقة تلك الورقة الصغيرة فاذا قاس تلك الورقة الى السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الأرض مع ما فيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف أن تلك الورقة بالنسبة الى هذه الاشياء كالعدم فاذا عرف قصور عقله عن معرفة ذلك الشيء الحقير عرف انه لا سبيل له الى الاطلاع على عجائب حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض واذا عرف بهذا البرهان قصور عقله لم يبق معه الا الاعتراف بأن الخالق أجل من أن يحيط به وصف الواسفين ومعارف العارفين بل يسلم أن في كل ما خلقه الله تعالى حكما بالغة وأمرارا عظيمة ولا سبيل له الى معرفتها فعند هذا يقول (ربنا ما خلقت هذا) أى المخلوق العجيب (باطلا) أى بغير حكمة بل خلقته بحكمة عظيمة وهى أن تجعلها مساكن للسكان الذين اشتغلوا بطاعتك وتحرزوا عن معصيتك ومدار المعاش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة أحوال المبدأ والمعاد (سبحانك) وهذا اقرار بعجز العقول عن الاحاطة بأثار حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض أى ان الخلق اذا تفكروا في هذه الاجسام العظيمة لم يعرفوا منها الا هذا القدر وهوان خالقها ما خلقها باطلا بل خلقها لحكم عجيبة وأمرار عظيمة وان كانت العقول قاصرة عن معرفتها (فمنا عذاب النار) أى ادفع عنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع اعلم انه تعالى لما حكى عن هؤلاء العباد المخلصين ان ألسنتهم مستغرقة بذكر الله تعالى وأبدانهم في طاعة الله وقلوبهم في التفكير في دلائل عظمة الله ذكرانهم مع هذه الطاعة يطلبون من الله أن يقيمهم عذاب النار لانه يجوز على الله تعذيبهم لانه لا يقع من الله شيء أصلا (ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجت به) أى اهتته (وما للظالمين) أى الكافرين (من أنصار) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم) أى سمعنا مناداه منادوه كما قال محمد بن كعب القرآن المجيد يدعو الناس الى الايمان أى آمنوا بعتولى أموركم (فآمنا) أى فامتثلنا بأمره وأجبنا نداه (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أى كباثرتنا (وكفرنا سيئاتنا) أى صغائرنا وقيل المراد بالاول ما يزل بالتوبة وبالثانى ما تكفره الطاعة العظيمة وقيل المراد بالاول ما أتى به الانسان مع العلم بكونه معصية وبالثانى ما أتى به الانسان مع جهله بذلك (وتوفنا

مع الأبرار) أي على مثل أعمالهم لتكون في درجاتهم يوم القيامة أو المعنى توقفنا على الإيمان واجتماعنا مع
 أرواح النبيين والصالحين (ربنا وأتينا ما وعدتنا على رسلك) والجبار والمجرر متعلق بوعده تنأى
 وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة المصدر مؤكده محذوف أي وعدتنا وعدا كأننا على السنة
 رسلك وقيل والمعنى وقفنا للأعمال التي نصير بها أهلاً لوعده من الثواب واعصمنا من الأعمال التي نصير
 بها أهلاً للعقاب والحزى (ولا نخزنا) أي لا تفضحنا (يوم القيامة نلكت لا تخلف الميعاد) وهذا يدل على
 أن المقتضى لحصول منافع الآخرة هو الوعد لا الاستحقاق وفي الآثار عن جعفر الصادق من حربه أمر
 فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله عما يخاف وأعطاه ما أراد واستدل بهذه الآية (فاستجاب لهم ربهم)
 فيما سألوهم من غفران الذنوب وأعطاه الثواب (أنى لا أضيع عمل عامل منكم) وقرأ الجمهور بفتح
 الهمزة وقرأ أبي باني بالباء التي للسببية وقرأ عيسى بن عمر بكسر الهمزة والمعنى انى لا أبطل ثواب عامل
 عامل منكم والمراد حصلت اجابة دعائكم في كل ما طلبتموه (من ذكر أو أنثى) فلا تفاوت في الاجابة
 وفي الثواب بين الذكر والانثى اذا كانا في التمسك بالطاعة على السوية (بعضكم من بعض) أي بعضكم
 كبعض في الثواب عن الطاعة والعقاب على المعصية (فالذين هاجروا) أي اختاروا المهاجرة من
 أوطانهم في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم (وأخرجوا من ديارهم) أي ألبأهم الكفار الى الخروج
 من منازلهم التي ولدوا فيها (وأوذوا في سبيلي) أي بسبب طاعتي ومن أجل ديني (وقاتلوا وقتلوا)
 قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وقتلوا بالالف وقتلوا مخففة والمعنى قاتلوا العدو معه صلى الله عليه وسلم
 حتى قتلوا في الجهاد وقرأ ابن كثير وابن عامر وقتلوا بالالف وقتلوا مشددة لتكرار القتل فيهم
 وقيل معناه قطعوا وقرأ حمزة والكسائي وقتلوا بغير ألف أولا وقتلوا بالالف ثانياً أي قتلوا
 وقد قاتلوا (لا كفرن عنهم سياتهم) ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله
 والله عنده حسن الثواب) أي ان الله تعالى وعدم فعل ذلك بأمر ثلاثة أولها محو السيئات
 وغفران الذنوب وذلك هو الذي طلبوه بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وثانيها اعطاء
 الثواب العظيم وهو دخول الجنان وهو الذي طلبوه بقولهم وآتينا ما وعدتنا على رسلك وثالثها كون
 الثواب مقرراً وبالاعتظيم وهو المشار اليه بقوله تعالى من عند الله وهو الذي طلبوه بقولهم ولا تخزنا
 يوم القيامة وقوله تعالى ثواباً ما صدره مؤكده المعنى ما قبله لان معنى مجموع قوله تعالى لا كفرن ولا دخلنهم
 لا يبينهم فكأنه قيل لا يبينهم ثابته من عند الله وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب تأكيده كون
 الثواب في غاية الشرف روى ان أم سلمة قالت يا رسول الله اني لم أسمع ذكراً النساء في الهجرة فنزل قوله
 تعالى فاستجاب لهم ربهم الى هنا ولما قال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيماترى من الخير ونحن في الجهد
 نزل قوله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) أي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة
 ووفرة الحظ ولا تغتر بظاهرها ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع (متاع قليل) أي
 ذلك الذي ترى من الخير منفعه يسيرة في الدنيا لا قدر لها في مقابلة ما أعد الله للمؤمنين من الثواب قال صلى
 الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليمنظر به يرجع رواه مسلم (ثم
 ماواههم) أي مصيرهم (جهنم وبشس المهاد) أي بشس مامهد والانتفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا
 ربهم) من الشرك والمعاصي وان أخذوا في التجارة (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها)
 فلا يضرهم ذلك الكسب (نزلنا من عند الله) أي حال كونه الجنات عطاهوا كراماً من الله لهم كما تعد

الضيافة للضيف اكراما (وما عند الله) من الثواب الدائم (خير للابرار) أي للواحد من عباد الله
فيه الفجار في الدنيا من المتاع القليل السريع الزوال (وان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل
اليهم) أي القرآن (وما أنزل اليهم) أي التوراة والانجيل قال ابن عباس وجابر وقتادة نزلت هذه
الآية في شأن أمة النجاشي حين مات وأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم بموته فقال
النبي لأصحابه أخرجوا فاصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع وكشف الله له إلى أرض
الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه واستغفر له فقال المناقون انظروا إلى هذا يصلي على عجل حبشي
نصراني لم يره قط وليس على دينه وقال ابن جريج وابن زيد نزلت في حق عبد الله بن سلام وأصحابه وقال
عطاء نزلت في حق أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على
دين عيسى فأسلموا وقال مجاهد نزلت في حق مؤمن من أهل الكتاب كلهم (خاشعين لله) أي متواضعين
لله في الطاعة (لا يشترطون بآيات الله غنا قليلا) أي لا يكتفون أمر الرسول ونعته كما فعله غيرهم من
أهل الكتاب لغرض المأكل والملبس (أو لثك) أي المتصفون بصفات حميدة (لهم أجرهم عند
ربهم) في الجنة (إن الله سريع الحساب) أي سريع لا يصال الأجر الموعود اليهم من غير حاجة إلى
تأمل لكونه عالم بجميع الاشياء فيعلم ما لكل واحد من الثواب والعقاب (يا أيها الذين آمنوا اصبروا)
على مشقة الاستدلال في معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات نحو
الفلاسفة وعلى مشقة أداء الواجبات والمندوبات وعلى مشقة الاحتراز عن المنهيات وعلى شدة الدنيا
من المرض والفقر والخوف (وصابروا) على تحمل المكروه الواقعة بينكم وبين غيركم فيدخل فيه تحمل
الأخلاق الرديئة من أهل البيت والأقارب والجيران وترك الانتقام عن أساءة والعفو عن ظلم ولا يشار
على الغير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهد والمصابرة مع المبطلين وحل شبههم (ورابطوا)
أي جاهدوا القوى التي هي مصادر الأفعال الذميمة من الشهوة والغضب والحرص أو المعنى انتظروا
الصلاة بعد الصلاة (واتقوا الله) في مخالفة أمره وبتقوى الله يحصل دفع القوى الداعية إلى القبائح
والمنكرات (لعلكم تفلحون) أي كي تنتظموا في زمرة الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل كرب
فظهر أن هذه الآية مشتملة على علوم الأصول والفروع وعلى الحكم والأسرار

سورة النساء مدنية وآياتها مائة وست وسبعون وكمالاتها ثلاثة آلاف

وخمس وأربعين حرف وفها ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم) بالتناسل (من نفس واحدة) أيكم
آدم (وخلق منها) أي من نفس آدم (زوجها) أمكم حواء روى أنه تعالى لما خلق آدم وأسكنه الجنة
ألقى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها
عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن ذهبت تقيمها كسرتها وإن
تركتها وفيها عوج استقمت بها (وبث منهما) أي نشر من تلك النفس وزوجها بطريق التوالد
(رجالاً كثيراً ونساءً) كثيرة روى بن جرير عن ابن إسحاق أن بني آدم لصلبه أربعون في هشرين بطناً
فيما يحفظ من ذكورهم قابيل وهابيل وأباز وشبوبة وهندومر أنيس وهور وسند وبارق وشيث ومن
نساءهم أقيمت وأشوف وجزر ورو ووز وراقال ابن هسا كرو وقد روى أن من بني آدم لصلبه عبد المغيث

وتوأمته أمة المغيث ووداوسوا عاويغوث ويعوق ونسرا وجميع أنساب بني آدم ترجع إلى شيث وسائر أولاده انقضت أنسابهم من الطوفان (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) قرأ عليهم وحزمة والكسائي تساءلون بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ حمزة وحده والأرحام بجر الميم والتقدير واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام لأن العادة حرت في العرب بأن أحدهم قديس تعطف غيره بالرحم فيقول أسألك بالله والرحم ورجعوا فذلك فقال أسألك بالرحم وأما قراءة الأرحام بالنصب فعناء واتقوا الله بالترام طاعته واجتناب معاصيه واتقوا الأرحام بوصولها وعدم قطعها فيما يتصل بالبر والاحسان والاعطاء أو يقال والزمو الأرحام وصلوها ورددات الآية على جواز المسئلة فيما بيننا بالله كقوله بالله أسألك روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه (إن الله كان عليكم رقيبا) أي حافظا مطلقا على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مریدا لمجازاتهم على ذلك (وآتوا اليتامى) الذين بلغوا (أموالهم) التي عندكم وقال أبو السعود أي لا تعرضوا لأموال اليتامى بسوء حتى تأتيهم وتصل إليهم سالمة سواء أريد باليتامى الصغار أو ما يعم الصغار والسكر (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) أي لا تبدلوا الحرام الذي هو مال اليتامى بالحلل الذي هو مالكم الذي أبيع لكم من المكاسب بأن تتركوا أموالكم وتأكلوا أموالهم (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أي لا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم حتى لا تفرقوا بين أموالهم وأموالكم في حل الاتفاع بها فلا يحل لكم من أموالهم ما زاد على قدر الأقل من أجر تكلم ونفقتكم (إنه) أي وأكل مال اليتيم (كان حوبا كبيرا) أي ذنبا عظيما عند الله نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فنعه عنه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها التهم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع ماله إليه (وان خفتم) يا أولياء اليتامى (أن لا تقسطوا) أي أن لا تعدلوا (في اليتامى) إذا نكحتهم موهن (فأنكحوا) غيرهن من الغرائب روى عن عسرة أنه قال قلت لعائشة ما معنى قوله تعالى وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى قالت يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها وماله ويريد أن ينكحها بأدنى من صداقها ثم إذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لها من يذب عنها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في الكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لا تهجبه وانما تزوجها كراهة أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء بعبثها ويربص بها إلى أن تموت فبرئها فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية وروى عن عكرمة أنه قال كان الرجل عنده نسوة وایتام فاذا أنفق مال نفسه على النسوة ولم يبق له مال وصار محتاجا أخذ في انفاق أموال اليتامى عليهن فقبل لهم لا تز يدواعي أربع فانهم كانوا يتزوجون من النساء ما شاؤا تسعاً أو عشرة وكان تحت قيس بن الحرث ثمان نسوة فحرم الله عليهم ما فوق الأربع أي وان خفتم أن لا تعدلوا في حق اليتامى إذا تزوجتم بهن بإساءة العشرة أو بنية ص الصداق فأنكحوا (ما طاب لكم من النساء) أي فتزوجوا من استطابتها نفوسكم ومالت إليها قلوبكم من الأجنبية (مثنى وثلاث ورباع) ولا تز يدواعي أربع (فان خفتم أن لا تعدلوا) بين هذه الأعداد في القسمة والنفقة كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد وكما تعدلوا في حق اليتامى (فواحدة) أي فالزمو أو فاختر واواحدة وذروا الجمع وقرئ فواحدة بالرفع أي فكفت

واحدة أو خمسكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) أي من السراري فإنه لا قسمة لهن عليكم (ذلك أدنى أن لا تقولوا) أي اختيار الحرة الواحدة أو التمسرى أقرب إلى أن لا تملوا ميبلا محظورا بالنسبة إلى ما عداهما والامر يدور مع عدم الجور لا مع تحقق العدل (وأتوا النساء) اللاتي أمرتم بنكاحهن (صدقاتهن) أي مهرهن (فحيلة) أي فريضة من الله تعالى كما قاله ابن عباس وقتادة وابن جرير وابن زيد وأغافروا المحلة بالفرية لأن الفحيلة في اللغة معناها الديانة والملة والشرعة والمذهب فقوله تعالى وأتوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهرهن لأنها شر يعطون دين ومذهب وما هو كذلك فهو فريضة وانتصاب فحيلة على أنها مفعول له أو حال من الصدقات (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا) أي فإن وهبن لكم شيئا من الصدق بطبيعة نفس من غير أن يكون السبب فيه شكاسة أخلاقكم معهن أو سوء معاشرتكم معهن (فكلوه) أي خذوا ذلك الشيء وتصرفوا فيه (هنيئا) أي حالا بلا تأثم (مرثا) أي بلا ملامة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى قضاته أن النساء يعطين رغبة ورهبة فأبى امرأة أعطته ثم أرادت أن ترجع فذلك لها (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أي وبأبيها الأولياء لا تؤتوا المبذرين من اليتامى الذين يكونون تحت ولايتكم أموالهم التي في أيديكم التي جعل الله الأموال معاشكم أي لا يحصل معاشكم إلا بهذا المال مخافة أن يضيعوها وأضاف الله المال إلى الأولياء من حيث أنهم ملكوها والتصرف فيه لا لأنهم ملكوها والمال ويكفي حسن الإضافة أدنى سبب (وارزقوهم فيها) أي انفقوا عليهم (واكسوهم) وأما قال الله فيها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك أمرا يجعل بعض أموالهم رزقاً لهم بل أمرهم بأن يجعلوا أموالهم مكاناً لرزقهم وكسوتهم بأن يتجروا فيها ويشمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول المال (وقولوا لهم قولا معروفا) أي جميلاً وهو كل ما سكنت إليه النفس من قول لحسنه شرعاً أو عقلاً كأن يقول الولي للصبي مالك عندي وأنا خازن له فإذا رشدت سلمت إليك أموالك (وابتئوا اليتامى) أي واختبروا من لا يتبين منهم السفه قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أموالهم بما يليق بحالهم بأن تجربوا أولاد التجار بالبيع والشراء والمماكسة فيهما وولد الزراع بالزراعة والنفقة على القوام بها والأتى فيما يتعلق بالغزل والقطن وصون الأطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الأمير ونحوه بالاتفاق مدة في خبز وماء ولحم ونحوها قال أبو حنيفة رضي الله عنه تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي محيطة لان قوله تعالى وابتئوا اليتامى أمر الأولياء بأن يأذنوا لهم في البيع والشراء قبل البلوغ وذلك يقتضي صحة تصرفاتهم وقال الشافعي ولا يصح عقد الصبي المميز بل ينعن في المماكسة فإذا أراد العقد عقد الولي لأنه لا يجوز دفع المال إليه حال الصغر فثبت عدم جواز تصرفه حال الصغر (حتى إذا بلغوا النكاح) أي إذا بلغوا مبلغ الرجل الذي يلزمه الحدود وذلك بأن يحتلموا وانغمسوا في الاحتلام ببلوغ النكاح لأنه انزال الماء الدافق الذي يكون في الجماع (فإن أنستم) أي عرفتكم (منهم رشداً) أي اهتدأوا إلى وجوه التصرفات من غير تبذير وعجز عن خديعة الغير (فادفعوا إليهم أموالهم) التي عندكم من غير تأخر عن حد البلوغ وقرئ رشداً بفتحين ورشداً بضمين وعند الشافعي يعتبر مع مصلح المال صلاح في الدين بأن لا يرتكب كبيرة ولا يصير على صغيرة وعند أبي حنيفة هو غير معتبر وفائدة هذا الخلاف أن الشافعي يرى الحجر على الفاسق وأباً حنيفة لا يراه (ولا تأكلوها) أي أموال اليتامى أيها الأولياء (اسرفوا بداراً) أي مسرفين بغير حق ومبذرين إلى انفاقها (أن يكبروا) أي مخافة كبرهم فيمنعوكم عن ذلك وتقولون ننفق كما نشتهي

قبل أن يكبر اليتامى فينزعوهما من أيدينا (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (غنيا) عن مال
 اليتيم (فليستعفف) أي فليتنزه عن أكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الرزق اشفاقا على اليتيم وإبقاء
 على ماله (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (فقيرا) محتاجا (فليأكل بالمعروف) أي بقدر حاجة
 خدمته لليتيم وعمله في مال اليتيم ويقال فليأكل بالمعروف أي بالقرض ثم إذا أيسر قضاءه وإن مات ولم
 يقدر على القضاء فلا شيء عليه وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية وهذا القرض في أصول
 الأموال أما نحو ألبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فباح لنحو الوصي إذا كان غير مضر
 بالمال وهذا قول أبي العالية وغيره (فإذا دفعتم إليهم) أي اليتامى (أموالهم) بعد البلوغ
 والرشد (فأشهدوا) ندبا (عليهم) عند الدفع فإن الأشهاد أبعد من الخصومة ولو ادعى الوصي بعد
 بلوغ اليتيم أنه قد دفع المال إليه أو قال أنفقت عليه في صغره فقال مالك والشافعي لا يصدق وقال أبو
 حنيفة يصدق مع اليمين وقال الشافعي القيم غير مؤتمن من جهة اليتيم وإنما هو مؤتمن من جهة الشرع
 (وكفى بالله حسيبا) أي شهيدا روى أن رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فخاضه إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم وقال ابن أخي يتيما في حجرى فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله فأنزله الله قوله تعالى وابتلوا
 اليتامى إلى هنا (الرجال نصيب) أي للولاد والأقرباء الذكور صغارا أو كبارا حظ (عما ترك
 الولدان والأقربون) المتوارثون منهم (وللنساء نصيب عما ترك الوالدان والأقربون) أي المتوفون
 (عما قل منه) أي عما تركوه (أو كثر) وأتى بهذه الجملة لتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل
 ما جل ودق ولدفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال (نصيبا
 مفروضا) أي أعني نصيبا مقدرا مقطوعا بتسليمه إليهم فالوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه
 بالأعراض وهذا إبطال لحكم الجاهلية فإنهم لا يورثون النساء والأطفال ويقولون اغتارث من طاعن
 بالرماح وإذا دع عن الحوزة وحاز الغنمية وذكر الله في هذه الآية أن الارث أمر مشترك فيه بين الرجال
 والنساء ثم ذكر التفصيل في قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم (وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة
 (أول القربى) أي قرابة الميت الذي ليس بوارث (واليتامى) أي يتامى المؤمنين (والمساكين) أي
 مساكين المؤمنين من الأجانب (فأرزقوهم منه) أي أعطوهم من المال المقسوم شيئا قبل القسمة
 (وقولوا لهم قولوا معروفا) وهذا الإعطاء مندوب إذا كانت الورثة كبارا أما إذا كانوا صغارا فليس
 على الولي إلا القول المعروف كأن يقول اني لا أملك هذا المال اغتاهول هؤلاء الضعفاء الذين لا يعقلون وإن
 يكبروا فسيعرفون حقكم أو يقول سأوصيهم ليعطوك شيئا (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
 ضعفا خافوا عليهم) أي وليخش الذين يحضرون المريض على أولاد المريض إن تركوا بعد موتهم أولادا
 صغارا خافوا عليهم الضياع وهذا خطاب مع الذين يجلسون عند المريض فيقولون ان ذريتنا لا يغنون
 عنك من الله شيئا فأوص بما لك لفلان وفلان ولا يرأون يأمرونه بالوصية إلى الأحانب إلى أن لا يبقى من ماله
 للورثة شيء أصلا وحاصل الكلام انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضى لأخيك المسلم عن أنس
 قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (فليتقوا الله) في أمر
 اليتامى (واليقولوا قولاً سديدا) أي عدلا إذا أرادوا بعث غيرهم على فعل بأن يقولوا اليتامى مثل
 ما يقولون لأولادهم بالشفقة والتأديب ويخاطبونهم بقولهم يا ولدي يا بني وبأن يقولوا للمريض إذا أردت
 الوصية فلا تسرف في وصيتك ولا تجعف بأولادك وذكروا التوبة وكلمة الشهادة وبأن يلفظ الورثة

القول للناظرين الذين لا يرثون حال قسمة الميراث (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أي على وجه الغصب (انما يأكلون في بطونهم نارا) أي حراماً يؤدي الى النار أو يقال يجعل الله في بطونهم نارا يوم القيامة بأن يخلق الله لهم نارا يأكلونها في بطونهم (وسيصلون سعيراً) أي سيدخلون نارا أو قوداً لا يعرف غاية شدتها الا الله تعالى قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وسيصلون بضم الياء والباءقون بالفتح وقرئ شاذة بضم الياء وتشديد اللام نزلت هذه الآية في شأن حنظلة بن شمر دل وقيل في شأن رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله (يوصيكم الله في أولادكم) أي يبين الله لكم في ميراث أولادكم بعدم موتكم * روى عطاء قال استشهد سعد بن الربيع وترك ابنتين وامرأة وأخاف أخذ الأخ المال كله فأتت المرأة وقالت يا رسول الله هاتان ابنتان سعدان سعدا قتل وأن عهما أخذما لهما فقال صلى الله عليه وسلم ارجعي فلعن الله سيقضي فيه ثم انهما عادت بعد مدة وبكت فنزلت هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهما وقال اعطى ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك فهذا أول ميراث قسم في الاسلام (للكرم مثل حظ الانثيين) أي فإذا خلف الميت ذكراً واحداً وأنثى واحدة فللكرم سهمان وللأنثى سهم واحد إذا كان الوارث جماعة من الذكور وجماعة من الإناث كان لكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم واحد إذا كان مع الأولاد أبوان وأحد الزوجين فالباقي بعد سهام الأبوين وأحد الزوجين بين الأولاد لذكراً مثل حظ الانثيين (فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) أي فإن كانت بنات الصلب نساءً خالصات بنات أو أكثر فلهن الثلث النساء ثلثا ما ترك المتوفى (وإن كانت) أي الوارثة بنتان (واحدة فلهما النصف) وقرأنا نافع واحدة بالرفع فكان تامة (ولأبويه) أي الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك) أي الميت (إن كان له ولد) ذكر أو أنثى أي فإن كان مع الأبوين ولد ذكر فأكثر أو بنتان فأكثر فلكل واحد من الأب والأم السدس وإن كان معها بنت فلهما النصف وللأم السدس وللأب السدس بحكم هذه الآية والسدس الباقي للأب أيضاً بحكم التعصيب (فإن لم يكن له) أي الميت (ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) وذلك فرض لها والباقي للأب فيأخذ السدس بالفريضة والنصف بالتعصيب وإذا انفرد أخذ كل المال كما هو شأن العصبية وإذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين فلام ثلث ما يبقى بعد فرضه والباقي للأب خلافاً لابن عباس فإن للام ثلث الكل عنده ووافقه ابن سيرين في الزوجة وخالفه في الزوج لأن الثلث فيه يفضى الى كون نصيب الأنثى مثل نصيب الذكرين (فإن كان له) أي الميت (أخوة) اثنتان فصاعداً من جهة الأبوين أو من جهة أحدهما ذكوراً وأنثى وارثون أو محبسون للأب (فلامه السدس) والباقي للأب ولا شيء للأخوة وأما السدس الذي يجبوهما عنه فهو للأب عند وجوده ولهم عند عدمه (من بعد وصية) أي هذه الأنصبة للورثة من بعد إخراج وصية (يوصي بها أو دين) وذلك لأن أول ما يخرج من التركة الدين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق فأما إذا لم يكن دين أو كان إلا أنه قضى وفضل بعده شيء فإن أوصى الميت بوصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثاً على فرائض الله تعالى قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم يوصي بفتح الصاد وقرأنا نافع وأبو عمرو وحزرة والكسائي بكسر الصاد (آباءكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نعماً) والمعنى أن قسمة الله لهذه الموارد أولى من القسمة التي تعيل اليها طباعكم (فريضة من الله) أي فرض ذلك فريضة وهذا إشارة الى وجوب الانقياد لهذه القسمة التي قدرها الشرع وقضى بها (إن الله كان عليماً) أي بالمصالح والرتب (حليماً) في كل ما قضى وقد قال ابن عباس إن الله ليس نعم

المؤمنين بعضهم في بعض فأتوا وعلم الله تعالى من الابناء والآباء أرفعكم درجة في الجنة وان كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله اليه ولده بمثلته ليقر بذلك عينه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه ولده ولذا قال تعالى لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا لان أحد المتوالدين لا يعرف أن انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذلك (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) من المال (ان لم يكن لهن ولد) ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم والباقي لورثتهن (فان كان لهن ولد) وارث واحد أو متعدد (فلكم الربع مما تركن) من المال والباقي لباقي الورثة (من بعد وصية) أي هذه الانصباة انما تدفع الى هؤلاء اذا فصل عن وصية (يوصين بها أودين) أي أو من بعد قضاء دين عليهن (ولهن الربع مما تركتم) من المال (ان لم يكن لكم ولد) ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن والباقي لبقية ورثتهن من أصحاب الفروض والعصبات أو ذوى الارحام أول بيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر أصلا (فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) من المال والباقي للباقيين (من بعد وصية توصون بها أودين) أي أو من بعد قضاء دين عليكم من المال (وان كان رجل) أي ميت (يورث كلاله) أي لا ولده ولا والد (أو امرأة) أي أو كانت امرأة تورث كلاله (وله) أي الميت (أخ أو أخت) من أمه فقط (فلكل واحد منهما) أي الاخ والأخت (السدس) من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة (فان كانوا) أي من يرث من الاخوة من الام (أكثر من ذلك) أي من الواحد (فهم) أي الزائد على الواحد كيفما كانوا (شركاء في الثلث) فالذكر والانثى فيه سواء والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات (من بعد وصية يوصي بها أودين غير مزار) للورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث أو يقرب كل ماله أو ببعضه لاجنبي أو يقر على نفسه بدين لا حقيقة له أو يقرب بأن الدين الذي له على الغير قد وصل اليه أو يبيع شيئا بثمن بخس أو يشتري شيئا بثمن غال أو يوصي بالثلث لغرض تنفيض حقوق الورثة (وصية من الله) أي فريضة من الله عليكم في قسمة الموارث وقيل المعنى وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة يتكفون وجوه الناس بسبب الاسراف في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مزار وصية بالاضاعة (والله عليم) بمن جارا وعدل في وصيته (حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة فلا يغتر بالامهال (تلك) أي شؤون الایتام وأحكام الانساحة وأحوال الموارث (حدود الله) أي أحكام الله (ومن يطع الله ورسوله) في جميع الاوامر والنواهي (يدخله جنات) نصب على الظرفية عند الجهور وعلى المفعولية عند الاخفش (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) حال من الهاء في يدخله وهي طائفة على من وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى فلهذا صرح الوجهان (وذلك) أي دخول الجنات على وجه الخلود (الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو في بعض الاوامر والنواهي (ويتعد حدوده) أي يتجاوز أحكامه بالجور وقال الكلبي أي ومن يكفر بقسمة الله الموارث ويتعد حدوده استحلالا وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله تعالى ويتعد ما قال الله تعالى (يدخله نارا) أي عزيمة هائلة (خالدا فيها وله عذاب مهين) أي وله مع عذاب الحريق الجسهاني عذاب شديد روحاني وقرأنا فاع و ابن عامر يدخله بنون العظمة في الموضعين والباقيون بالياء (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من أزواجكم المحصنات فاطلبوا أن يشهد عليهن بفعله أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم وقرئ بالفاحشة (فان شهدوا) عليهن بذلك كما ينبغي (فأمسكوهن في

البيوت) أي نخلدوهن محبوسات في بيوتكم (حتى يتوفاهن الموت) أي إلى أن يأخذهن الموت
 ويستوفي أرواحهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) أي أو إلى أن يشرع لهن حكما خاصا بهن ثم قال النبي
 صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الشيب ترجموا البكر تجلد وتنفي (واللذان
 يأتيانها منكم) أي البكران اللذان يأتيان الفاحشة من أحراركم (فأذوهما) بالتهديد والتعيير كان
 يقال بشئ ما فعلتما وقد تعرضت لعقاب الله ومخطئه وأخرجتما أنفسكما عن اسم العدالة ويخوف بالرفع إلى
 الإمام وبالحد وقرأ ابن كثير والذان بتشديد النون (فإن تابا) عما فعلتا من الفاحشة بعد زواجهما (وإذا
 تابا) أي كوا إذا تابا أي أتركا ما كانا عليه (فأعرضوا عنهما) أي أتركا ما كانا عليه (إن الله كان
 توابا) أي كثير القبول للتوبة عن تاب (رحيما) أي واسع الرحمة وقد نسخ الآية باللسان للفتاة
 بجلدها ثم قال أبو مسلم الأصمغاني والمراد بقوله تعالى واللاتي يأتيان الفاحشة السحاقيات وحدهن الجس
 إلى الموت أو إلى أن يسهل الله لها قضاء الشهوة بطريق النكاح والمراد بقوله تعالى والذان يأتيانها
 منكم أهل اللواط وحدهما الذي بالقول والفعل (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) أي
 انما التوبة التي يجب على الله قبولها وجوب الكرم والفضل لا وجوب الاستحقاق للذين يعملون المعصية
 مع عدم علمهم بانها معصية لكن يمكنه تصحيح العلم بانها معصية (ثم يتوبون من قريب) أي من زمان
 قريب وهو ما قبل معاناة سبب الموت وأهواله (فأولئك يتوب الله عليهم) أي يتجاوز الله عنهم (وكان
 الله عليما) بأنه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه (حكيم) بأن العبد لما كان
 من صفته ذلك ثم تاب قبل سوق الروح فانه يجب في الكرم والاحسان قبول توبته (وليست التوبة
 للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) أي وليست قبول التوبة للذين
 يعملون الذنوب إلى حضور موتهم أي علامات قربهم وقولهم حينئذ إني تبت الآن ولذلك لم ينفع إيمان
 فرعون حين أدركه الغرق روى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم
 يغرغرائه في الماء ثم ترد الروح في حلقه وقال عطاء ولو قبل موته بفراق الناقة وعن الحسن إن إبليس قال
 حين أهبط إلى الأرض وعز ذلك لأفارق ابن آدم ما دامت روحه في جسده فقال الله وعزتي لا أغلق عليه
 باب التوبة ما لم يغرغر (ولا الذين يموتون وهم كفار) أي وليس قبول التوبة للذين يموتون على الكفر إذا
 تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب (أولئك) أي الكفار (أعتدنا لهم عذابا أليما) بيان لكونهم
 مختصين بسبب كفرهم بزيادة العقوبة والاذلال نزلت هذه الآية في حق طعنة وأصحاب الذين ارتدوا قاله
 ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) أي عيّن النساء (كرها) أي لا يحل
 لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث وهن كارهات لذلك أو كرهات عليه نزلت هذه الآية في حق أهل
 المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وكانت له زوجة جاء ابنه من غيرها أو بعض
 أقاربه فأتى ثوبه على المرأة وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار أحق بها من سائر الناس ومن نفسها
 فان شاء تزوجها بغير صداق وإن شاء تزوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فأنزل
 الله تعالى هذه الآية قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وكذا في التوبة وفي الاحقاف وقرأ عاصم
 وابن ذكوان عن ابن عامر في الاحقاف بالضم والباقون بالفتح وقرأ نافع وابن كثير وأبو هريرة بالفتح في
 جميع ذلك قال القراء الكره بالفتح الإكراه وبالضم المشقة فأكراه عليه فهو كره بالفتح وما كان من قبل
 نفسه فهو كره بالضم (ولا تعضلوهن) أي وكذلك لا يحل لكم بعد التزوج من الحبس والتضييق (لتذهبوا

ببعض ما أتفقوهن) من المهر (الأن يأتين بفاحشة مبينة) وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بفتح
الياء والباقون بالكسر أي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايداء الزوج وأهله بالبذاء
والسلاطة ويدل عليه قراءة أبي بن كعب إلا أن يفحش عليكم والمعنى لا يحل لكم أن تضيقوا الأمر
عليهن لعله من العلل الالتيانهم بالنشوز فإن السبب حينئذ يكون من جهتهن فقد عذرت في طلب الخلع
(وعاشروهن بالمعروف) أي النصفة في المبيت والنفقة والأجمال في القول (فإن كرهتموهن فعسى
أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) أي فإن كرهتم محبتهم فأمسكوهن بالمعروف
ولا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس من غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك فقد قربت كراهتكم شيئا
أي محبة معهن مع كون الله جعل في محبتهم خيرا كثيرا كحصول ولد فتقلب الكراهة محبة وكاستحقاق
الثواب الجزيل في العقب والثناء الجليل في الدنيا لا نفاق عليهن والاحسان اليهن على خلاف الطبع
(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) أي وإن أردتم تزوج امرأة ترغبون فيها بدل امرأة تنفرون
عنها بأن أردتم أن تطلقوها (وآتيتم أحداهن قنطارا) أي وقد أعطيتن إحدى الزوجات التي تريدون
أن تطلقوها مالا كثيرا من الصداق (فلا تأخذوا منه) أي من ذلك القنطار (شيئا) أي يسيرا أي
أن كان سواه العشرة من قبل الزوج كره له أن يأخذ شيئا من مهرها ثم ان وقعت المحالعة ملك الزوج بذل
الخلع وإن كان من قبل المرأة فيحل أخذ بدل الخلع (أتأخذونه) أي المهر (بهتاناً) أي ظلماً (وإنما
مبيناً) أي حراماً بيناً أي أن أخذ المال طعن في ذاتها وأخذ المال فهو بهتان من وجه وظلم من وجه
آخر فكان ذلك معصية عظيمة من أمهات الكبائر روي أن الرجل إذا مال إلى التزوج بأمرأة أخرى
رمى زوجته نفسه بالفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج المرأة التي يريد
(وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض) أي ولأى وجه تأخذون المهر وقد أجمعتم في لحاف
واحد فأنها قد بذلت نفسها لك وجعلت ذاتها لذلك وتمتعك وحصلت اللفة التامة بينكما فكيف يليق
بالعقل أن يسترد منها شيئاً فهذا لا يليق بمن له طبع سليم وذوق مستقيم (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً)
قال ابن عباس ومجاهد وهو كلمة النكاح المعقودة على الصداق وتلك الكلمة كلمة تستحل بها فروج
النساء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة
الله وهذا الإسناد مجاز عقلي من الإسناد للسبب لأن الأخذ للعهد حقيقة هو الله لكن بولغ فيه حتى جعل
كانهن الأخذات له أي وقد أخذ الله عليكم العهد بسببهن (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا
ما قد سلف) أي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم من النساء فإنه موجب للعقاب إلا ما قدم في قبل تزول
آية التحريم فإنه معفو عنه ويقال ولا تنكحوا نكاح آباءكم فإن أنكحتهم كانت بغير ولي وشهود
وكانت موقته وعلى سبيل القهر وهذا الوجه منقول عن محمد بن جرير الطبري في تفسيره هذه الآية وقيل
المعنى لا تزوجوا امرأة وطئها آباؤكم بالزنا إلا ما قد سلف من الأب في الجاهلية من الزنا بأمرأة فإنه يجوز
للأبن تزوجها كما نقل هذا المعنى عن ابن زيد وكما قال أبو حنيفة يحرم على الرجل أن ينزج بمزنية أبيه لهذه
الآية وقال الشافعي لا يحرم (أنه) أي نكاح نساء الآباء (كان فاحشة) أي فيحصلان زوجة الأب
تشبه الأم فكانت مباشرتها من أحش الفواحش (ومقتا) أي عقوبات عند ذوى المروآت من الجاهلية
وغيرهم وكانت العرب تقول ولداً الرجل من امرأة أبيه مقتى (وساء سبيلاً) أي بدس مسلكاً لأن
هذه الآية في حق محسن بن قيس الانصاري وأعلم أن مراتب القبح ثلاثة القبح في القول وفي الشرائع

وفي العادات فقوله تعالى انه كان فاحشة اشارة الى القبح العقلي وقوله تعالى ومقتا اشارة الى القبح الشرعي وقوله وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية في القبح (حرمت عليكم امهاتكم) من النسب (وبناتكم) من النسب (وأخواتكم) من النسب من أى وجه يكن (وعماتكم) أى أخوات آبائكم (وخالاتكم) أى أخوات أمهاتكم (وبنات الأخ) من النسب من أى وجه يكن (وبنات الاخت) من النسب من أى وجه يكن (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) في الحولين خمس رضعات متفرقات عند الشافعي وابن حنبل وقال أبو حنيفة ومالك يحصل التحريم بمصصة واحدة وفاقا للذراعي ولسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك كقول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب (وأخواتكم من الرضاعة) وهي من أرضعتها أمك أو أرتضعت لبنك أو ولدتها من رضعتك أو ولدها الفحل (وأمهات نسائكم) من نسب أو رضاع سواء دخل بزوجه أم لا (وربائكم اللاتي في حجوركم) أى بنات نسائكم اللاتي ربيتم في بيوتكم (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) أى جامعتهن سواء كان ذلك بعقد صحيح أو فاسد (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) في نكاح الربائب بعد طلاق أمهات أو موتها (وحبائلكم أبنائكم الذين من أصلابكم) أى ونساء أبنائكم الذين من أولاد فراسكم دون نساء أولاد الادعياء قال الشافعي لا يجوز للاب أن يتزوج بجارية ابنة لانه لا تحل حليلته وقال أبو حنيفة يجوز واتفقوا على أن حرمة الزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد كما أن حرمة الزوج بحليلة الأب تحصل بذلك (وأن تجمعوا بين الأختين) بالنكاح وبالوطء في ملك اليمين لا في نفس ملك اليمين قال الشافعي نكاح الأخت في عدة الأخت البائن جائز لانه لم يوجد الجمع وقال أبو حنيفة لا يجوز (الاما قد سلف) أى قدم في الجاهلية فانه مغفور لكم (ان الله كان غفورا) فيما كان منكم في الجاهلية (رحيما) أى فيما يكون منكم في الاسلام اذا تبتم (والمحصنات من النساء الاما ملكت أيمانكم) أى وحرمت عليكم نكاح ذوات الأزواج كائنات من جميع النساء الاما ملكت أيمانكم من السبا يا فانهم حلال لكم بعد ما استبرأتم أرحامهم بحيضة وان كان أزواجهن في دار الحرب واختلف القراء في كلمة المحصنات سواء كانت معرفة بالأم نكرة فقرأ الجمهور بفتح الصاد والكسائي بكسرها في جميع القرآن الا التي في هذه الآية فانهم أجمعوا فيها على الفتح والمعنى أحصنهن الأزواج بالتزوج أى أعفوهن عن الوقوع في الحرام والاولياء أعفوهن عن افساد بالتزويج وهن يحصن أزواجهن عن الزنا ويحصن فروجهن عن غير أزواجهن بعفافهن (كتاب الله عليكم) أى كتب عليكم تحريم ما تقدم ذكره من المحرمات كتابا من الله أو المعنى الزموا كتاب الله (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وأحل لكم البناء للفعول عطفا على قوله حرمت عليكم والباقون وأحل بالبناء للفاعل عطفا على كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم هذه الاشياء وأحل لكم ما وراءها ومحل أن تبتغوا رفع على البدل من ما على القراءة الاولى ونصب على القراءة الثانية وقوله محصنين حال وقيل خبر كان الناقصة والمعنى وأحل لكم ما سوى المحرمات المعدودة أن تطلبوا النساء بصرف أموالكم في المهور أو الاثمان على طريق النكاح الى الأربع أو التسرى للاماء حال كونكم متعفين عن الزنا وغير زانين وهذا تكرير للتأكيد وقيل المعنى كونوا مع النساء متزوجين أو متسررين (فما استمتعتم بهن فآتوهن أجورهن) أى فإى فعل استمتعتم به من جهة المنكوحات من جماع أو عقد فاعطوهن مهورهن لا جملته بالتام ان استمتعتم بالدخول ولو مرة وبالنصف ان استمتعتم بعقد النكاح (فريضة) أى حال كون أجورهن مفروضة

من الله عليكم (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به) أي لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرها
أويهب الزوج للمرأة المطلقة قبل الدخول تمام المهر أو فيما ترضيه من نفقة ونحوها (من بعد الفريضة)
أي من بعد ذكر المقدار المعين (ان الله كان عليهما) بمصالح العباد (حليما) فلا يشرع الاحكام الا
على وفق الحكمة وذلك يوجب التسليم لأوامره والانقياد لأحكامه (ومن لم يستطع منكم) أيها الاحرار
(طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) أي الحرائر (فما ملكت أيمانكم من فتيةكم المؤمنات) أي من امائكم
المؤمنات فقوله تعالى أن ينكح امام مفعول لطولا وامام بدل منه وامام مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكده
لانه بعناه اذا استطاعه هي الطول أي الفضل والزيادة في المال أو غير أي ومن لم يستطع منكم زيادة
في المال يبلغ بها نكاح الحرائر فلينكح الاماء أو المعنى ومن لم يستطع منكم استطاعة نكاحهن أو المعنى
ومن لم يستطع منكم من جهة سعة المال لا من جهة الطبيعة نكاح الحررة فلينكح الامة لانها في العادة
تخفف مهرها ونفقتها لا اشتغالها بخدمة السيد بخلاف الحررة الفقيرة ويقال للمرأة الحديثة السن فتاة
والغلام فتى والامة تسمى فتاة سواء كانت عجوزا أم شابة لانها كالشابة في أنها لا توقر توقير الكبير وقال
بجاهد وسعيد والحسن ومالك والشافعي لا يجوز الزواج بالامة المكتوبة سواء كان الزوج حرا أو عبدا
وقال أبو حنيفة يجوز (والله أعلم بايمانكم) أي انه تعالى أعلم منكم بعبادتكم في الايمان فرب أمة
يفوق ايمانها ايمان الحرائر فاعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بنظواهر الامور والله يتولى
السرائر والحقائق (بعضكم من بعض) أي كلكم مشتركون في الايمان وهو أعظم الفضائل فاذا
حصل الاشتراك في ذلك كان التفاوت فيما وراءه غير معتبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الانساب والفخر بالاحساب والاستسقاء بالانواء (فانكحوهن
بأذن أهلهن) أي سيدهن (وآتوهن أجورهن بالمعروف) أي اعطوهن مهرهن على العادة الجميلة
عند المطالبة من غير مطل (محصنات) أي عفاف عن الزنا وهي حال من مفعول فانكحوهن (غير
مسالخت) أي غير مؤجرات أنفسهن مع أي رجل أرادها (ولا متخذات أخدان) أي غير متخذات
أخلاء معينين يرتنون بهن (فاذا أحصن) أي زوجن وقراء حرة والكسائي وأبو بكر البناء للفاعل
أي أسلمن كما قاله عمرو بن مسعود والشعبي والنخعي والسدي (فان آتين بفاحشة) أي فان فعلن زنا
(فعلين نصف ما على المحصنات) أي فثبت عليهن شرعا نصف ما على الحرائر الا بكار (من العذاب)
أي الحد فيجلدون خمسين ويغرين نصف سنة كما هو كذلك قبل الاحصان وهذه الآية بيان عدم تفاوت
حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فتخفيف الحد للرق (ذلك) أي نكاح الاماء حلال (لمن خشى
العنت منكم) أي الضرر الشديد في العزوبة بالشبق الشديد فانه قد يحمل على الزنا وقد يؤدي بالانسان
الى الامراض الشديدة (وأن تصبروا) عن نكاح الاماء (خير لكم) لما في نكاحهن من تعريض الولد
للرق (والله غفور رحيم) بأباحته لكم في نكاح الاماء وان كان يؤدي الى ارفاق الولد مع أن هذا
يقتضي المنع منه لاحتياجكم اليه فكان ذلك من باب المغفرة والرحمة (يريد الله ليبين لكم) ما هو خفي
عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أي يرشدكم طرائق الانبياء
والصالحين لتقتدوا بهم فكل ما بين الله تحريمه وتحليله لنا من النساء كان الحكم كذلك في جميع الشرائع
والمثل (ويتوب عليكم) اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير في مراعاة الشرائع (والله عليم)
بالحوالكم (حكيم) في كل ما يفعله بكم ويحكم عليكم (والله يريد أن يتوب عليكم) أي أن يتجاوز

عنكم حين حرم عليكم الزنا ونكاح الاخوات من الاب (ويريد الذين يتبعون الشهوات) في نكاح
 الاخوات من الاب وهم اليهود وفي الزنا وهم الفجرة (أن تعيلوا ميلا عظيما) بموافقتهم على استحلال
 المحرمات في قول اليهود ان نكاح الاخوات من الاب حلال في كتابنا وعلى اتباع الشهوات فان الزاني
 يحب ان يشركه في الزنا غيره ليتفرق اللوم عليه وعلى غيره (يريد الله أن يخفف عنكم) في جميع
 أحكام الشرع **ك**أباجة نكاح الأمة عند الضرورة (وخلق الانسان ضعيفا) أي عاجزا عن
 مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه حيث لا يصبر عن النساء وعن اتباع الشهوات ولا يستخدم
 قواه في مشاق الطاعات ولذلك خفف الله تكليفه وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل
 والضمير لله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي بما يخالف الشرع
 كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وشهادة الزور والحلف الكاذب ومحمد الحق (الا
 أن تكون تجارة عن تراض منكم) قرأ عاصم وحسرة والكسائي تجارة بالنصب أي لا يأكل كل بعضكم
 أموالا بغير طريق شرعي بل كلوا بان تكون الاموال تجارة صادرة عن تراض منكم والباقون بالرفع أي
 لكن بأن توجد تجارة عن طيب نفس (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من قتل
 المؤمن بغير حق والردة والزنا بعد الاحصان (ان الله كان بكم رحيمًا) حيث نهاكم عن كل ما تستوجبون
 به مشقة (ومن يفعل ذلك) أي ما نهى عنه من قتل النفس وغيره من المحرمات (عدوانا) أي افراطا
 في مجاوزة حد الحلال (وظلما) أي اتيانا بما لا يستحقه (فسوف نصليه) أي ندخله (نارا) هائلة
 شديدة العذاب (وكان ذلك) أي أصلاؤه النار (على الله يسيرا) أي هينا (ان تجتنبوا بكثرت
 ما تنهون عنه) في هذه السورة (نكفر عنكم سيئاتكم) أي صغائركم من جماعة الى جماعة ومن
 جمعة الى جمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان (وندخلكم) في الآخرة (مدخلا كريما)
 قرأ نافع يفتح الميم والباقون بالضم أي موضعا حسنا وهو الجنة (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم
 على بعض) قال ابن عباس لا يتخنى الرجل مال غيره ودابته وامراته ولا شيئا من الذي ثبت له كالجماء
 وغير ذلك مما يجري فيه التنافس وذلك هو الحسد المذموم لان ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى
 صادرة من حكمة وتدبير لا تقب بأحوال العباد متفرع على العلم بجلال شئونهم ودقائقها واسألوا الله من
 فضله وقولوا اللهم ارزقنا مثله أو خير منه مع التقويض ويقال نزلت هذه الآية في حق أم سلمة زوج النبي
 صلى الله عليه وسلم لقولها للنبي ليت الله كتب علينا ما كتب على الرجال لكي نؤجر كما يؤجر الرجال
 فنهى الله عن ذلك وقال ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على الرجال على بعض أي النساء من الجماعة
 والجمعة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بين الله تعالى ثواب الرجال والنساء باكتسابهم
 فقال (للرجال نصيب) أي ثواب (عما اكتسبوا) أي الخير كالجهاد والنفقة على النساء (وللنساء
 نصيب) أي ثواب (عما اكتسبن) من الخير في بيوتهن كحفظ فروجهن وطاعة الله وأزواجهن
 وقيامهن بمصالح البيت من الطبخ والخبز وحفظ الثياب ومصالح المعاش وكالطلاق والارضاع (واسألوا
 الله) قرأ ابن كثير والكسائي وسألوا الله بغير همز (من فضله) أي وأسألوا الله ما احتجتم اليه يعطكم
 من خزائنه التي لا تنفذ قال الفخر الرازي قوله تعالى وأسألوا الله من فضله تنبيه على ان الانسان لا يجوز له
 ان يعين شيئا في الطلب والدعاء ولكنه يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاحه في دينه ودنياه على
 سبيل الاطلاق اه وقد جاء في الحديث لا تمنين أحدكم مال أخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم

اعطاني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسئل وأفضل العبادات انتظار الفرج (إن الله كان بكل شيء عليما) ولذلك جعل الناس على طبقات فرفع بعضهم على بعض درجات أي فإنه تعالى هو العالم بما يكون صلاح السائلين فليقتصر السائل على أن يحمل ويحترق في دعائه عن التعيين فربما كان ذلك محض المفسدة والضرر (ولسكل جعلنا موالى عاترك الوالدان والأقربون) أي والسكل تركه جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها النصيب هم بحسب استحقاقهم وعاترك بيان لسكل (والذين عقدت أيمانكم) أي وعاترك الزوج والزوجة فالنسكاح يسمى عقدا وهذا قول أبي مسلم الأصفهانى ويعم أن تكون جملة جعلنا موالى صفة لسكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر والمعنى حينئذ لسكل قوم جعلناهم ورثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين عاترك المورثون (فأتوهم نصيبهم) من الميراث قيل إن هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصديق لأنه حلف أن لا ينفق على ابنه عبد الرحمن ولا يورثه شيئا من ماله فلما أسلم عبد الرحمن أمر الله أبا بكر أن يؤتیه نصيبه وقيل المراد من قوله تعالى والذين عقدت أيمانكم الخلفاء وبقوله فسأوهم نصيبهم النصيحة والمصافاة في العشرة وحينئذ فقوله والذين مبتدأ متضمن المعنى الشرط ولذلك صدر الخبر بالقاء أو منصوب بضمير يفسره قوله فسأوهم وعلى هذه الوجوه فهذه الآية غير منسوخة بخلاف ما لو حمل قوله الذين عقدت أيمانكم على الخلفاء في الجاهلية وقوله فسأوهم نصيبهم على الميراث وهو السدس فوهذه الآية حينئذ منسوخة بقوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وبقوله تعالى يوصيكم الله وكذا الوحمل قوله الذين عقدت أيمانكم على الأبناء الأديعاء أو على من وإخاء النبي صلى الله عليه وسلم لرجل آخر فإنه وإخاين كل رجلين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (إن الله كان على كل شيء) من أعمالكم (شهيدا) أي مطالعا (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) أي الرجال مسلطون على أدب النساء بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن بكمال العقل وحسن التدبير ورزاقته الرأى ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا وجوب الجهاد والجمعة وغر ذلك وبسبب انفاقهم من أموالهم للهر والنفقة (فالصالحات) أي المحسنات إلى أزواجهن (قانتات) أي مطيعات لأزواجهن (حافظات للغيب) أي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة أزواجهن من الفروج والأموال (بما حفظ الله) أي بالذي حفظه الله لهن أي فإن حفظ حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل عليهن وأمسأكن بالمعروف وأعطائهن أجورهن أو المعنى بحفظ الله إياهن بالامر بحفظ الغيب والتوفيق له وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف أي بسبب حفظون حدود الله وأوامره (واللاتى تخافون نشوزهن) أي والنساء اللاتى تظنون عصيانهن لكم (فعظوهن) أي فانهوهن بالترغيب والترهيب (واهجروهن في المضاجع) أي حولوا عنهن وجوهكم في المراقدة فلا تدخلوهن تحت اللحاف إن علمتم النشوز ولم ينفعهن النصيحة (واضربوهن) لم يجمع الهجران ضربا غير مبرح ولا شائنا ولا لى ترك الضرب فإن ضرب فالواجب أن يكون الضرب بحيث لا يكون مفضيا إلى الهلاك بأن يكون مفرقا على البدن بأن لا يكون في موضع واحد وإن لا يوالى به وإن يتقى الوجه وإن يكون عند ديل ملفوف (فإن أظعنكم) أي رجعن عن النشوز إلى الطاعة عنده هذا التأديب (فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي فلا تطلبوا عليهن

طريقا في الحب ولا في الاذية واستكفوا بظواهر حال المرأة ولا تفتشوا عما في قلبها من الحب والبغض
(ان الله كان عليا كبيرا) أي ان الله تعالى مع علوه وكبر يائه لا يكلفكم ما لا تطيقون فكذلك
لا تكلفوهن ما لا طاقة لهن من المحبة وأنه تعالى مع ذلك يتجاوز عن سيئاتكم فأنتم أحق بالعفو عن
أزواجكم عند اطاعتن لكم (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) أي وان
علمتم أيها المؤمنون مخالفة بين الرجل والمرأة ولم تدروا من أيهما فابعثوا الى الزوجين لاصلاح
الحال بينهما حكما أي رجلا وسطا صالحا للاصلاح من أهله أي الزوج وحكما آخر على
صفة الأول من أهلها لان أقاربهم ما عرف بحالهما من الجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا
أجنبيين جاز فيستكشف كل واحد منهما حقيقة حال الزوجين ثم يجتمع الحكماء فيفعلان ما هو الصواب
من جمعهما أو ايقاع طلاق أو خلع (ان يريد الاصلاحا يوفق الله بينهما) فالضمير الاول اما عائدة على
الحكماء أو الزوجين والضمير الثاني كذلك فالوجه أربعة والمعنى ان كانت نية الحكمين قطعا للخصومة
أوقع الله الموافقة بين الزوجين (ان الله كان عليما) بمواقفة الحكمين ومخالفتهما (خيرا) بفعل
المرأة والرجل قال ابن عباس نزلت الآية من قوله تعالى الرجال قوامون على النساء الى ههنا في شأن بنت
محمد بن سلمة بلطمة لطمه ازا زوجها سعد بن الربيع لعصيانها في المضاجع فطلبت من النبي صلى الله عليه
وسلم قصاصها من زوجها فنهاها الله عن ذلك (وأعبدوا الله) بقلوبكم وجوارحكم (ولا تشركوا به
شيئا) أي شركا جليا وخفيا وهذا أمر بالاخلاص في العبادة (وبالوالدين احسانا) أي أحسنوا
بهما احسانا بالقيام بخدمتهما وبالسعي في تحصيل مطالبهما والاتفاق عليهما وعدم رفع الصوت عليهما
وعدم تخشين الكلام معهما وعدم شهر السلاح عليهما وعدم قتلها ولو كان كافرين لانه صلى الله عليه
وسلم نهى عن قتله أبيه أي عامر الراهب وكان مشركا وعن أبي سعيد الخدري ان رجلا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن استأذنه في الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم هل لك أحد باليمن
فقال أبو اي فقال أوالك اذنالك فقال لا فقال فارجع فاستأذنهما فان اذنالك فجاهدوا لافيهما (وبذي
القربي) أي صلبوا بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك (واليتامى) أي أحسنوا اليهم
بالرفق بهم وبعصم رأسهم وبتربيتهم وحفظ أموالهم (والمساكين) أي أحسنوا اليهم بالصدقة أو بالرد
الجميل (والجار ذي القربى) أي الذي قرب جواره أو الذي له مع الجوار اتصال بالنسب وقرى بالنسب
على الاختصاص تعظيما لحقه لانه ثلاثة حقوق حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام كما قرئ
والصلاة الوسطى نصبا على الاختصاص (والجار الجنب) أي الذي بعد جواره أو الذي لا قرابة له فله
حقان حق الاسلام وحق الجوار (والصاحب بالجنب) وهو ما رفيق في سفر أو جار ملاصق أو شريك في
تعلم أو حرفة أو قاعد بجنبك في مسجد أو مجلس وقيل هي المرأة فانها تكون معك وتذهب الى جنبك (وابن
السييل) أي المسافر المنقطع عن بلده بالسفر أو الضيف أي أحسنوا له بالاكرام وله ثلاثة أيام حق وما
فوق ذلك صدقة (وما ملكت أيمانكم) أي أحسنوا الى الخدم من العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان
مختالا) أي متكبرا عن أقاربه الفقراء وجيرانه الضعفاء وأصحابه ولا يحسن عشرتهم (نخورا) على الناس
بما أعطاه الله تعالى من العلم وغيره (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله) من العلم بما في كتابهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم والاطهر أن الموصول منصوب على
الذم أو مرفوع على الذم أي هم الذين ويجوز أن يكون بدلا من قوله من كان مختالا وان يكون مبتدأ

خبره محذوف تقديره احقاه بكل ملامة أو كافر ونزلت هذه الآية في حق كدوم بن زيد وأسماء بن حبيب ونافع بن أبي نافع ومحمري بن عمر ووحى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التياوت حين أمر وارجالا من الانصار بترك النفقة على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً الفقر عليهم أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وأعتدنا للكافرين) أي لليهود (عذاباً مهيناً) أي من كان شأنه كذلك فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافراً بنعمته فله عذاب مهين كما أهان النعمة بالجل والاختفاء وفي الحديث الذي رواه أحمد انه صلى الله عليه وسلم قال إذا نعم الله على عبده نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والموصول امام معطوف على الموصول الاول واما معطوف على قوله تعالى للكافرين قال الواحدى نزلت هذه الآية في شأن المنافقين وقيل نزلت في مشركي مكة والمنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قريناً) أي ومن يكن الشيطان معيناً لا صاحب هذه الافعال في الدنيا (فساء قريناً) أي فبئس صاحب له في النار هو فان الله تعالى يقرن مع كل كافر شيطاناً في سلسلة في النار ثم بين الله تعالى سوء اختيارهم في ترك الايمان فقال (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أي وأي ضرر عليهم في الايمان والاتفاق ابتغاء لوجه الله (وكان الله بهم) وبأحوالهم المخفية (عليماً) فانه تعالى عالم ببواطن الامور فان العبد الى الرياء انما يكون باطناً غير ظاهر (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) أي ان الله لا يظلم أحداً وزن غلة حمراء صغيرة أي لا يظلم قليلاً ولا كثيراً (وان تلك حسنة يضاعفها) قرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع والمعنى وان حدثت حسنة والباقون بالنصب والمعنى وان تكن زنة الذرة حسنة وقرابن كثير وابن عامر يضعفها بالتشديد من غير ألف أي فيكون التضعيف للثواب الى مقدار لا يعلمه الا الله تعالى روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم ثم فيقول يا رب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله ملائكتي انظروا في أعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضلها ورحمته وقال أبو عثمان النهدي بلغني عن أبي هريرة انه قال ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقد رآه الله أن ذهب الى مكة حاجاً أو معتمراً فلقبته فقلت بلغني عنك انك تقول ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لم أقل ذلك ولكن قلت ان الحسنة تضاعف بألف ضعف وتلاقوه تعالى (ويؤتى) أي يعطى الله صاحب الحسنة (من لذه) أي من عنده تعالى (أجر عظيم) فلا يقدر أحد قدره * روى أن عمر كان جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جعل رسول صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأي أنت وأمي ما الذي أضعك قال رجلان من أمي جنباً بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يا رب خذني مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد على أخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى لا طالب كينف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة بالؤلؤلؤ لاى نبي هذا ولاى صديق ولاى شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن أخيك قال يا رب قد عفوت

عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات
 بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (فكيف) يصنع الكفار يوم القيامة (اذا جئنا من كل
 أمة) أي قوم (شهيد) أي بنبي يشهد على قبح أعمالهم (وجئنا بك) يا أشرف الخلق (على هؤلاء)
 الشهداء وهم الرسل (شهيدا) فتشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم ويقال وجئنا بك لامتلك من كان
 معدلا لان أمة صلى الله عليه وسلم يشهدون للأنبياء على قومهم اذا جحدوا بالبلاغ (يوم تذبذوب الذين
 كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض ولا يكتفون الله حديثا) أي يوم يحى ذلك يقضى الذين
 كفروا بالله وعصوا أمر الرسول ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموت ويقال يتمنون ان
 يصبروا ترايا مع البهائم لعظم هول ذلك اليوم ولا يقدر ان يكتفوا من الله حديثا بأن يقولوا والله ربنا
 ما كنا مشركين أي انهم يريدون الكتمان أولا لما علموا ان الله لم يغفر شر ~~كافيه~~ يقولون والله ربنا ما كنا
 مشركين رجاء غفران الله لهم لكنهم قد شهد عليهم الاعضاء والزمان والمكان فلم يستطيعوا الكتمان
 فهناك يودون انهم كانوا ترايا ولم يكتفوا الله حديثا (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى
 حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل) أي لا تقيموا الصلاة حال كونكم سكارى من الشراب
 الى ان تعلموا قبل الشروع فيها ما تقولونه ولا تقيموها حال كونكم جنبا الا حال كونكم مسافرين وقيل
 ان الاعمى غير وهو صفة للجنب والمعنى لا تقيموها حال كونكم جنبا غير مسافرين وسيأتي حكم المسافرين
 (حتى تغتسلوا) من الجنابة (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم
 النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) والمعنى وان كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء
 أو مسافرين طال السفر أو قصر أو أحدتم بخرج أو خارج من أحد السبلين أو تلاقى بشرتكم مع
 بشرة النساء فلم تجدوا ماء فتطهروا به للصلاة بعد الطلب فاقصدوا أرضا لاسجدة فيها (فامسحوا بوجوهكم
 وأيديكم) الى المرفقين بضربتين (ان الله كان عفوا غفورا) وهذا كناية عن الترخيص والتيسير
 لان من كان عاده انه يعفو عن المذنبين فبان يرخص للعاجزين كان أولى (ألم تر) أي تنظر (الى
 الذين أتوا نصيبا) أي حظا يسيرا (من الكتاب) أي من علم التوراة (يشترون الضلالة) أي
 يؤثرون تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ليأخذوا الرشاعلى ذلك ويحصل لهم الرياسة كما قاله الزجاج
 (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي ويتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يخرجوا عن
 الاسلام (والله أعلم بأعدائكم) أي هو سبحانه وتعالى أعلم بكنهه ما في قلوبهم من العداوة والبغضاء (وكفى
 بالله وليا) أي متصرفا في جميع أموركم (وكفى بالله نصيرا) في كل مواطن فتقوا به وقال ابن عباس
 نزلت هذه الآية في شأن اليسع ورافع بن حرملة حبرين من اليهود دعوا رئيس المنافقين عبد الله بن أبي
 وأصحابه الى دينهما ثم نزل في مالك بن النضير وأصحابه قوله تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
 مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) أي من اليهود
 قوم يغربون الكلم التي أنزل الله في التوراة عن مواضعه التي وضعها الله تعالى فيها كقصر يفهم في نعت
 النبي أمر ربعة فوضعوا مكانه آدم طوال وتحريفهم الرجم فوضعوا بدل الجلد ويقولون في الظاهر اذا
 أمرهم النبي عليه السلام بمعنا قولك وفي أنفسهم وعصينا أمرنا ويقولون في انشاء مخاطبة النبي عليه
 السلام كلاما ذا وجهين وهو محتمل للخير والشر ومظهرين المدح ويضرون الشتم وهو واعمع منا غير
 مسمع مكروها والمراد واعمع منا حال كونك غير مسمع كلاما أصلا لهم أو موت وهو دعاء منهم على

الرسول صلى الله عليه وسلم بذهاب السمع أو غير سمع جوابا يوافقك فكأنك ما سمعت شيئا يقولون للنبي
 اسمع ويقولون في أنفسهم لا سمعت فقوله غير سمع معناه غير سامع ويقولون في أثناء خطابهم له صلى الله
 عليه وسلم راعنا وهي كلمة ذات وجهين محتمل للخبر إذا حملت على معنى اصرف سمعك إلى كلامنا وانصت
 لحدثننا وتفهم وللشرا إذا حملت على السبب بالرعونة أو على أنهم يريدون أنك يا محمد كنت ترعى أغناما
 لنا فإنهم يغفلون الحق فيجعلونه باطلا لأن راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لأصحابهم
 اغما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فأطلع الله تعالى على خبيث ضمائرهم وعلى ما في قلوبهم من
 العداوة والبغضاء أي يقولون ذلك لصرف الكلام عن فهمه ولله درج في دين الإسلام بالاستهزاء
 والسخرية (ولو أنهم قالوا) باللسان أو بالحال عند سماع شيء من أوامر الله تعالى ونواهيه (معنا
 وأطعنا وأسمع وانظرنا) بدل ذلك (لكن) قولهم ذلك (خير لهم) عند الله (وأقوم) أي أصوب
 (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أي أبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم بذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك
 (الأقليا) أي الأيمان قليلا غير نافع وهو الأيمان بالله والتوراة وموسى وكفر وأبساثر الانبياء
 أو الأيمان قليلا وهو زمان الاحتضار فلا ينفعهم الأيمان وبعضهم جعل قليلا مستثنى من الهاء في
 لعنهم أي لا نفرأ قليلا فلا يلعنهم الله لأنهم لم يفعلوا ذلك بل كانوا مؤمنين كعبد الله بن سلام وأصحابه
 (يا أيها الذين آمنوا بما نزلنا) أي بالقرآن (مصدق لما معكم) أي موافقا للتوراة
 في القصاص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
 (من قبل أن نطمس وجوها) أي نمحو تخطيط صورها من عيون وحاجب وأنف وفم (فتردها على
 أدبارها) أي فنجعلها على هيئة أفتائها (أولعناهم كالعنا أصحاب السبت) فهم ملعونون بكل لسان
 وضمير الغائب راجع إلى الذين أتوا الكتاب على طريقة الالتفات فلما لعنهم الله ذكرهم بعبارة
 الغيبة (وكان أمر الله) بإيقاع شيء ما (مفعولا) أي نافذا وهذا أخبار عن جريان عادة الله في الانبياء
 المتفردين أنه تعالى مهمما أخبرهم بأنزال العذاب على الكفار ففعل ذلك لا محالة (إن الله لا يغفر أن
 يشرك) أي لا يغفر الكفر لمن اتصف (به) بالتوبة وإيمان (ويغفر ما دون ذلك) أي الشرك في
 القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة من غير توبة عنها (لمن يشاء) روى عن ابن عباس أنه قال لما
 قتل وحشي حمزة يوم أحد وكانوا قد وعدوه بالاعتاق إن هو فعل ذلك ثم أنهم ما وفوا له بذلك فعند ذلك ندبهم هو
 وأصحابه فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذنبهم وأنه لا يمنعهم عن الدخول إلى الإسلام إلا قوله تعالى
 والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في هذه الآية فنزل قوله تعالى الأمن تاب وآمن
 وعمل عملا صالحا فلو اهدأ شرط شديد يخاف أن لا تقوم به فنزل قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به
 ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقالوا يخاف أن لا نكون من أهل مشيئته تعالى فنزل قل يا عبادي الذين
 اصرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فدخلوا عند ذلك في الإسلام (ومن يشرك بالله فقد افترى إثما
 عظيما) أي فقد فعل ذنبا غير مغفور (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) أي يدحون بها قال قتادة
 والضحالك والسدى هم اليهود آخر جهابذة بن جرير وذلك لما هداه الله تعالى اليهود بقوله تعالى إن الله لا يغفر
 أن يشرك به فعند هذا قالوا السنن من المشركين بل نحن من خواص الله تعالى وهذا استفهام تعجب وهو
 أمر المخاطب على التعجب أي انظر إليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أذكاء عند الله تعالى مع ما هم عليه من
 الكفر والاثم العظيم وفي هذه الآية تحذير من إعجاب المرء بنفسه وعمله (بل الله يزكي من يشاء) عطف

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهذه الآية مشتملة على أصول الشريعة الأربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس فالكتاب يدل على أمر الله ثم نعلم منه أمر الرسول لا محالة والسنة تدل على أمر الرسول ثم نعلم منه أمر الله لا محالة فثبت أن قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على وجوب متابعة الكتاب والسنة والمراد بأولى الأمر جميع العلماء من أهل العقد والحل وأمراء الحق وولاية العدل وأما أمراء الجور فمزل من استحقاق وجوب الطاعة لهم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في حق عبد الله بن حذافة السهمي أذبعته النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على سرية وعن ابن عباس أنها نزلت في شأن خالد بن الوليد ببعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على سرية وفيها عمار بن ياسر بخري بينهما اختلاف في شيء فنزلت هذه الآية وأمر بطاعة أولى الأمر حينئذ فالمراد بهم أمراء السرايا قال بعضهم طاعة الله ورسوله واجبة قطعاً وطاعة أهل الاجماع واجبة قطعاً وأما طاعة الأمراء والسلاطين فالأكثر أنها تكون محرمة لأنهم لا يأمرُونَ إلا بالظلم وقد تكون واجبة بحسب الظن الضعيف حينئذ يحل أولوا الأمر على الاجماع وأيضاً أعمال الأمراء والسلاطين موقوفة على فتاوى العلماء والعلماء في الحقيقة أمراء الأمراء فهو أولوا الأمر (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) أي فإن اختلفتم أيها المجتهدون في شئ حكمه غير مذكور في الكتاب والسنة والاجماع فردوه إلى واقعة تشبه في الصورة والصفة وهذا المعنى يؤيد كذب الخبر والآثار ما الخبر فهو أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبلة الصائم فقال صلى الله عليه وسلم رأيت لو غفعت والمعنى أخبرني هل تبطل المضمضة الصوم أم لا أي فكأن أن المضمضة مقدمة للأكل فكذا القبلة مقدمة للجماع فإذا كانت المضمضة تفسد الصيام فكذلك القبلة ولم أسأله صلى الله عليه وسلم الخنعية عن الحج عن أبيها فقال صلى الله عليه وسلم رأيت لو كان على أبيك دين فقضيته هل يجزئ فقالت نعم قال صلى الله عليه وسلم فدين الله أحق بالقضاء وأما الآثار فاروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال أعرف الأشباه والنظائر وقس الأمر برأيك فدل مجموع ما ذكر على أن قوله تعالى فردوه أمر بررد الشئ إلى شبيهه وهذا هو الذي يسميه الشافعي رحمه الله تعالى قياس الأشباه ويسميه أكثر الفقهاء قياس الطرد (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وهذا محمول على التهديد فإن الأيمان بهما يوجب ذلك (ذلك) أي الذي أمرتكم به في هذه الآيات (خير) لكم (وأحسن تأويلاً) أي عاقبة لكم (ألم تر إلى الذين يزعمون) أي يدعون (أنهم آمنوا بما أنزل إليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) وهو التوراة (بريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) أي كثير الطغيان (وقد أمروا أن يكفروا به) أي والحال أنهم قد آمنوا بالقرآن أن يتبرؤا من الطاغوت (ويريد الشيطان) بالتحاكم إليه (أن يضلهم ضلالاً بعيداً) عن الحق والهدى قال كثير من المفسرين خاصم رجل من المنافقين يقال له بشر رجلاً من اليهود فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة واليهودي كان محقاً وإن كعباً شديد الرغبة في الرشوة والمنافق كان مبطلاً وأصر اليهودي على قوله بذلك فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال لا أرضى أنطلق بنا إلى أبي بكر فأتياه فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال بيني وبينك عمر فذهب إليه فأخبره اليهودي بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأباه كبر حكماً على المنافق فلم يرض بحكمهما فقال للمنافق أهكذا فقال نعم قال اصبر إن لي حاجة أدخل بيتي فأقضيهما وأخرج اليكاً فدخل وأخذ سيفه ثم خرج إليهما فضرب به عنق المنافق حتى برد أي

مات وقال هكذا أقضى لمن لم ير ضيق قضاء الله وقضاه رسوله وهرب اليهودي فجاءه أهل المنافق فشكوا
 عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأل صلى الله عليه وسلم عمر عن قصته فقال انه رد حكمك يا رسول الله فجاءه
 جبريل عليه السلام في الحال ونزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر هو الفاروق فرق بين الحق والباطل
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر أنت الفاروق وعلى هذا القول الطاغوت هو كعب بن الأشرف مسمى
 بذلك لشبهه بالشيطان في فرط طغيانه (واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله) أي أقبلوا إلى القرآن
 الذي فيه الحكم (والى الرسول) الذي تجب طاعته ليحكم بينكم (رأيت المنافقين يصدون عنك
 صدوداً) أي أبصرت المنافقين يعرضون عنك إلى غيرك اعراضاً بالكلية (فكيف إذا أصابتهم مصيبة)
 أي كيف يكون حالهم وقت أصابة المصيبة أي أنهم يقتل عمر صاحبهم بظهور نفاقهم (بما قدمت أيديهم)
 أي بسبب ما عملوا من النكاح إلى الطاغوت والاعراض عن حكمك (ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا إلا
 احساناً وتوفيقاً) أي ثم جاءك أهل المنافق مطالبين عمر بدمه وقد أهدره الله تعالى ويحلفون بالله كذباً
 للاعتذار فقالوا ما أراد صاحبنا المقتول بالنكاح إلى عمر إلا أن يصلح ويجعل الاتفاق بينه وبين خصمه ويأمر
 كل واحد من الخصمين بتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهم ما الموافقة وأنت يا رسول الله
 لا تحكم إلا بالحق المروى لا يقدر أحد على رفع الصوت عندك (أولئك) أي المنافقون (الذين يعلم الله ما في
 قلوبهم) من النفاق والغيب والعداوة (فأعرض عنهم) أي لا تقبل منهم ذلك العذر ولا تظهر لهم انك
 عالم بكنهه ما في بواطنهم فان من هتك ستر عدوه فربما يجبرته ذلك على أن لا يبالي باظهار العداوة فيزداد الشر
 وإذا تركه على حاله بقي في وجس فيقل الشر (وعظمهم) أي ازجرهم عن النفاق والكيد والحسد
 والكذب وخوفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم في أنفسهم) أي خالباهم ليس معهم غيرهم لان النصيحة
 على الملا تفرغ وفي السر محض المنفعة (قولا بليغاً) أي مؤثراً وهو التخويف بعقاب الدين بأن يقول لهم
 ان ما في قلوبكم من النفاق والكيد معلوم عند الله ولا فرق بينكم وبين سائر الكفار وانما رفع الله السيف
 عنكم لانكم أظهرتم الايمان فان واظبتم على هذه الافعال القبيحة ظهر لكل الناس بقاؤكم على الكفر
 وحينئذ يلزمكم السيف (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) أي وما أرسلنا من رسول الا ليؤمر
 الناس بطاعته بتوفيقنا وانما تنافطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله تعالى وهذه الآية دالة على انه
 لا رسول الاومعه شريعة له يكون مطاعاً في تلك الشرعية ومتبعوا فيها ودالة على ان الانبياء معصومون عن
 المعاصي والذنوب ودالة على انه لا يوجد شيء من الخير والشر والكفر والايمان والطاعة والعصيان
 الا بإرادة الله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بترك طاعتك (جارك) وبالفوا في التضرع اليك
 لينصوبك شفيعاً لهم (فاستغفروا الله) أي أظهر والندم على ما فعلوه وتابوا عنه (واستغفر لهم
 الرسول) بأن يسأل الله أن يغفر الذنوب لهم عند توبتهم (لوجدوا الله تواباً) أي يقبل توبتهم (رحيماً)
 أي رحم تضرعهم ولا يرد استغفارهم والفائدة في العدول في قوله تعالى واستغفر لهم الرسول عن لفظ
 الخطاب إلى لفظ المغايبة اجلال شأن رسول الله فان شأنه ان يستغفر ان عظم ذنبه وانهم اذا جاؤه فقد
 جاؤا من خصه الله تعالى برسالاته وأكرمهم بوحيه وجعله سفيراً بينه وبين خلقه وذلك مثل قول الأمير حكم
 الأمير بكذا بدل قوله حكمت بكذا (فلا وربك) لا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في التلايم
 لتأكيد وجوب العلم أو مفيدة لنفي أمر سبق والتقدير ليس الأمر كما يزعمون من انهم آمنوا وهم يخالفون
 حكمك فوربك (لا يؤمنون حتى يحكموك) أي حتى يجعلوك حاكماً (فيما شجر بينهم) أي فيما

يختلف بينهم من الامور فتقضي بينهم (ثم لا يجدوا في أنفسهم) أي صدورهم (حرجا) أي ضيقا
 (عما قضيت ويسلوا تسليما) أي وينقادوا لك انقادا تاما بطواهرهم قال عطاء ومجاهد والشعبي ان
 هذه الآية نازلة في قصة اليهود والمنافق فهذه الآية متصلة بما قبلها وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن
 المسيب قال نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء فقضى النبي صلى الله عليه وسلم
 للزبير (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) أي ولو
 أوجبنا عليهم قتل أنفسهم أو الخروج عن أوطانهم في توبتهم كتوبة بني اسرائيل ما فعلوا أحد الأمرين
 بطيبة النفس الا قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين والمعنى أنا لو شددنا التكليف على الناس لما فعلوه
 الا الاقلون وحيث يظهركفرهم وعنادهم بل اكتفينا منهم في توبتهم بالتسليم لحكمك فليقبلوه
 بالاخلاص حتى ينالوا خير الدارين روى ان ثابت بن قيس بن شماس الانصاري ناظر يهود يافعا قال
 اليهودي ان موسى أمرنا بقتل أنفسنا قبلنا ذلك وان محمدا يأمركم بالقتال فتكرهونه فقال يا أنت لو ان
 محمدا أمرني بقتل نفسي لفعلت ذلك وروى ان ابن مسعود وعمار بن ياسر قالا مثل ذلك فنزلت هذه الآية
 وعن عمر بن الخطاب انه قال والله لو أمرنا بقتل أنفسنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يأمرنا بذلك قال صلى
 الله عليه وسلم وأشار الى عبد الله بن رواحة لو أن الله كتب ذلك لكان هذا في أولئك القليل أخرج ابن أبي
 حاتم (ولو أنهم) أي المنافقين (فعلوا ما وعظون به) أي ما يكلفون به (الكان) أي فعلهم ذلك
 (خير لهم) أي لحصل لهم خير الدنيا والآخرة (وأشد تثبيتا) لهم على الايمان ومميت أو امر الله
 مواعظ لا قترانها بالوعد والترغيب (واذا) لوفعوا ما أمروا به (لا تيناهم من لدنا) أي لا عطيناهم
 من عندنا (أجر عظيم) أي ثوابا وافر في الجنة وكيف لا يكون عظيم ما وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها
 ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ولهديناهم صراطا مستقيما) أي طريقا من
 عرصة القيامة الى الجنة وحمل لفظ الصراط في هذا الموضع على هذا المعنى أولى لانه تعالى ذكره بعد ذكر
 الاجر والدين الحق مقدم على الاجر والطريق من عرصة القيامة الى الجنة انما يحتاج اليه بعد استحقاق
 الاجر (ومن يطع الله) بأن يعرف انه اله ويقرب بحلاله وعزته واستغنائاه عن سواه (والرسول) أي
 بان ينقاد له انقيادا تاما لجميع الاوامر والنواهي (فأولئك) أي المطيعون (مع الذين أنعم الله عليهم)
 أي فانهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد
 بعضهم بعضا واذا أرادوا الزيادة والتلاقي قد روعا على الوصول اليهم بسهولة (من النبيين) محمد صلى
 الله عليه وسلم وغيره (والصديقين) أي السابقين الى تصديق الرسل فصاروا في ذلك قدوة لساثر الناس
 وهم أفضل اصحاب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والشهداء) أي الذين يشهدون بجملة دين الله
 تعالى تارة بالجمعة والبيان وأخرى بالسيف والسنان فالشهداء هم القائمون بالقسط وأما كون الانسان
 مقتول الكافر فليس فيه زيادة شرف لان هذا القتل قد يحصل في الفساق ومن لا منزلة له عند الله
 والمؤمنون قد يقولون اللهم ارزقنا الشهادة فلو كانت الشهادة عبارة عن قتل الكافرين لكانوا قد طلبوا
 من الله ذلك القتل فانه غير جائز لان طلب عدو ذلك القتل من الكافر كفر فكيف يجوز ان يطلب من
 الله ما هو كفر (والصالحين) في الاعتقاد والعمل فان الجهل فساد في الاعتقاد والمعصية فساد في
 العمل وهم الصارفون أعمارهم في طاعة الله وأموالهم في مرضاته وكل من كان اعتقاده صوابا وعمله غير
 معصية فهو صالح ثم ان الصالح قد يكون بحيث يشهد لدين الله بأنه هو الحق وان ما سواه هو الباطل وهذه

الشهادة تارة تكون بالحجة والدليل وأخرى بالسيف وقديكون الصالح غير موصوف بكونه قائما بهذه
 الشهادة فثبت ان كل من كان شهيدا كان صالحا ولا عكس فالشهيد أشرف أنواع الصالح ثم الشهيد قد
 يكون صديقا وقد لا ومعنى الصديق هو الذي كان أسبق إيمانا من غيره وكان إيمانه قدوة لغيره فثبت ان
 كل من كان صديقا كان شهيدا ولا عكس فثبت ان أفضل الخلق الانبياء وبعدهم الصديقون وبعدهم
 من ليس له درجة الا محض درجة الشهادة وبعدهم من ليس له الا محض درجة الصلاح (وحسن أولئك
 رفيقا) أي ما أحسن أولئك المذكورين صاحبيا في الجنة وحسن لها حكم نعم والمخصوص بالمدح محذوف
 تقديره وحسن أولئك من جهة الرفيق الممدوحون (ذلك) أي مرافقة هؤلاء المنعم عليهم هو (الفضل
 من الله) وما سواه ليس بشئ (وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه وبعقادر الفضل واستحقاق أهله
 روى جمع من المفسرين أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله قليل
 الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جمعه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذالم أراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة
 حتى ألقاك فذكرت الاخرة فقلت ان لا أراك هناك لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات
 النبيين وأنا في درجات العبيد فلا أراك وان أنا لم أدخل الجنة فميتا فلا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقال
 الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما بك يا كميل يا فلان فقال
 يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت أحب الى من نفسي وأهلي ومالي وولدي ولاني لاذكرك وأنا في
 أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك وذكر موتى وانك ترفع مع النبيين واني ان أدخلت الجنة كنت
 في منزلة أدنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا خذوا
 حذرکم) أي خذوا سلاحكم واحترزوا من العدو ولا تملأكموه من أنفسكم (فانقروا ثبات) أي انهضوا
 الى قتال عدوكم واخلجوا للحرب جماعات متفرقة مريية بعدسرية (أو انقروا جميعا) أي مجتمعين
 كوكبة واحدة (وان منكم من ليبطئن) أي وان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يتثاقلن
 وليتخلفن عن القتال وهم ضعفة المؤمنين والمنافقون (فان أصابتكم) يا معشر المجاهدين (مصيبة)
 قتل وهزيمة وجهد من العيش (قال) أي من يبطلن فراحا شديدا يتخلفه وحامدا لرايه (قد أنعم
 الله على) بالعود (اذ لم أكن معهم شهيدا) أي حاضر في المعركة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم
 فضل) كفتح وغنية (من الله ليقولن) أي من يبطلن فدامة على قعوده (كان لم تكن بينكم وبينه
 مودة) وهذه الجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله والمراد التعجب كأنه تعالى يقول انظر والى ما يقول هذا
 المنافق كأنه ليس بينكم أيها المؤمنون وبين المنافق صلة في الدين ومعرفة في المحبة ولا محالطة أصلا
 (يا ليتني كنت) غاريا (معهم فأفوز فوزا عظيما) أي فاصيب غنائم كثيرة وآخذ حظا وافرا وقيل
 الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن أي ليقولن مشها بمن لا معرفة بينكم وبينه وقيل هي داخلية في
 المفعول أي ليقولن المثبط للمثبطين من المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم تكن بينكم وبين محمد معرفة في
 المحبة حيث لم يستمع محبةكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز محمد يا ليتني كنت معهم وغرض المثبط لقاء العداوة
 بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (فليقاتل في سبيل الله) أي لاعلاء دين الله (الذين يشرون
 الحياة الدنيا بالآخرة) وهم المنافقون الذين تخلفوا عن أحد فأمر بان يغربوا ما بهم من النفاق ويخلصوا
 الأعيان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله فلم تدخل الباء الاعلى المتروكة لان المنافقين أركان

للاخرة آخذون الدنيا أي فليقاتل الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة وعلى هذا فلا بد من حذف
 تقديره آمنوا ثم قاتلوا أو المراد بالذين يشرون هم المؤمنون الذين تخلفوا عن الجهاد وعلى هذا فيشرون
 بمعنى يبيعون أي فليقاتل في طاعة الله الذين يبيعون الدنيا بالآخرة أي يختارون الآخرة على الدنيا
 (ومن يقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله (فيقتل) أي يموت شهيدا (أو يغلب) أي يظفر على
 العدو (فسوف نؤتيه) أي نعطيه في كلا الوجهين (أجر عظيم) وهو المنفعة الخالصة الدائمة
 المقرونة بالتعظيم وإذا كان الأجر حاصل على كلا التقديرين لم يكن عمل أشرف من الجهاد (وما لكم
 لا تقاتلون) أي أي شيء لكم يا معشر المؤمنين غير مقاتلين مع أهل مكة أي لا عذر لكم في ترك المقاتلة
 (في سبيل الله) أي لأجل طاعة الله (والمستضعفين) أي ولأجل المستضعفين (من الرجال والنساء
 والولدان) أي الصبيان وقيل المراد بالولدان العبيد والأماء أي وهم قوم من المسلمين الذين بقوا بمكة وعجزوا
 عن الهجرة إلى المدينة وكانوا يلقون من كفار مكة أذى شديدا قال ابن عباس كنت أنا وأخي من المستضعفين
 من النساء والولدان (الذين يقولون) في مكة (ربنا أخرجننا من هذه القرية الظالم أهلها) وهي مكة وكون
 أهلها موصوفين بالظلم لأنهم كانوا مشركين وكانوا يؤذون المسلمين ويوصلون اليهم أنواع المكاره
 (واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) أي ول علينا واليا من المؤمنين يقوم بمصالحنا
 ويحفظ علينا ديننا وانصرنا على أعدائنا برجل ينعنا من الظالمين فأجاب الله دعاءهم واشتد غضبهم من
 أيدي الكفار لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جعل عتاب بن أسيد أميرا لهم وكان الولي هو
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والنصير عتاب بن أسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر
 المظلومين على الظالمين وينصف الضعيف من القوى والدليل من العزيز (الذين آمنوا يقاتلون
 في سبيل الله) أي لغرض نصر دين الله وأعلاء كلمته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي
 في سبيل غير رضا الله (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي جند الشيطان (إن كيد الشيطان) أي إن صنع
 الشيطان في فساد الحال على جهة الخيلة (كان ضعيفا) لأن الله ينصر أوليائه والشيطان ينصر
 أوليائه ولا شك أن نصره الشيطان لأوليائه أضعف من نصره الله لأوليائه ألا ترى أن أهل الخير والدين
 يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وإن كانوا حال حياتهم في غاية الفقر وأما الملوك والجبابة فإذا
 ماتوا انقرض أثرهم ولا يبقى في الدنيا رسمهم (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة
 وآتوا الزكاة) نزلت هذه الآية في جماعة من الصحابة عبد الرحمن بن عوف الزهري وسعد بن أبي
 وقاص الزهري وقدامة بن مظعون الجهمي ومقداد بن الأسود الكندي وطه بن عبد الله التيمي كانوا
 مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة ويلقون من المشركين أذى شديدا
 فبشكركم ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أئذن لنا في قتالهم ويقول لهم رسول الله كفوا
 أيديكم عن القتل والضرب فإني لم أؤمر بقتالهم واشتغلوا بأقامة دينكم من الصلاة والخمس وزكاة
 أموالكم فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمروا بقتالهم في وقعة بدر كرهه
 بعضهم لاشك في الدين بل نفورا عن الأخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك
 قوله تعالى (فلما كتب) أي فرض (عليهم القتال) أي الجهاد في سبيل الله (إذا فريق منهم)
 كطه بن عبد الله التيمي (يخشون الناس) أي أهل مكة (نخشية الله) أي تخوفهم من الله (أو أشد
 خشية) أي بل أكثر خوفا لما كان من طبع البشر من الجبن لالا اعتقاد ثم تابوا وأهل الأيمان يتفاضلون

فيه (وقالوا) خوف من الموت لا لكرهتهم أمر الله بالقتال وهذا عطف على جواب لما هو اذا قاما
لخاتمة مكانية (ربنا لما كتبت علينا القتال) في هذا الوقت (ولا أخرتنا الى أجل قريب) أى
هلا عافيتنا من بلاء القتال الى موتنا بأجلنا وهذا القول استزادة في مدة الكف ويجوز ان يكون هذا
عما نطق به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا (قل) جوابا لهذا السؤال عن حكمة فرض القتال
عليهم من غير توبيخ لانه لا للاعتراض لحكمه تعالى رزغيا فيما ينالونه بالقتال من النعم الباقى
(متاع الدنيا) أى منفعة الدنيا (قليل) لانه سريع التقضى وشيئ الانصرام وان أخرتم الى ذلك
الأجل (والآخرة) أى ثواب الآخرة لاسيما المنوط بالقتال (خير لمن اتقى) الكفر والفواحش
لان نعم الآخرة كثيرة ومؤبدة وصافية عن كدورات القلوب ويقينية بخلاف نعم الدنيا فانها مشكوكة
عاقبتها في اليوم الثانى ومشوبة بالمكارة (ولا تظلمون فتية) وقرأ ابن كثير وحمة والكسائي بالغيبة
والباقون بالخطاب أى لا تنقصون من أجور أعمالكم قدر خيط في شق النواة أو المعنى لا ينقصون من
ثواب حسناتهم أدنى شئ (أينما تكونوا) في الحضر والسفر في البر أو البحر (يدرككم الموت) الذى
تكرهون القتال لاجله زعمنا منكم انه من محاله (ولو كنتم فى بروج مشيدة) أى حصون مرتفعة قوية
بالجص (وان تصيبهم) أى اليهود والمنافقين (حسنة) أى خصب ورخص السعر وتتابع الأمطار
(يقولوا هذه من عند الله) فالمفسرون كانت المدينة علوة من النعم وقت مقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما ظهر عناد اليهود والمنافقين على دعائه أياهم الى الايمان أمسك الله عنهم بعض الامساك
كما جرت عادته تعالى فى جميع الامم فعند هذا قالوا امارأينا أعظم شؤما من هذا الرجل نقصت ثمارنا
ومزارعنا وغللت أسعارنا منذ قدم (وان تصيبهم سيئة) أى جدوبة وشدة وغلاء سعر (يقولوا هذه من
عندك) أى هذه من شؤم محمد وأصحابه أى وان تصيبهم نعمة نسبوها الى الله تعالى وان تصيبهم بليية
أضافوها اليك كما حكى الله عن قوم موسى بقوله تعالى وان تصيبهم سيئة يطير وابعوسى ومن معه وعن قوم
صالح بقوله تعالى قالوا اطيروا نابل وعن معك (قل) لهم رد الزعمهم الباطل وارشاد الهم الى الحق (كل
من عند الله) أى كل واحدة من النعمة والبليية من جهة الله تعالى خلقا وابدادا من غير ان يكون لى
مدخل فى وقوع شئ منهما بوجه من الوجوه كما ترغمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع
الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة (فإن هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) أى وحيث
كان الأمر كذلك فأى شئ حصل لهؤلاء المنافقين واليهود حال كونهم بعزل من ان يفقهوا حديثا
من الاحاديث أصلا فقالوا ما قالوا اذ لو فهموا شيئا من ذلك لفهموا ان الكل من عند الله تعالى فالنعمه منه
تعالى بطريق التفضل والبليية منه تعالى بطريق العقوبة على ذنوب العباد عدلا منه تعالى (ما أصابك
من حسنة فمن الله) أى ما أصابك أيها الانسان من نعمة من النعم فهى منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا
من غير استيجاب لها من قبلك (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى أى شئ أصابك من بليية من البلايا
فهى منها بسبب اقترافها المعاصى الموجبة لها وعن عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا
نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر (وأرسلناك
للناس رسولا) أى ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت (وكفى بالله شهيدا) على
جرك وعدم تقصيرك فى اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما حصول الهداية فليس اليك بل الى الله (من يطع
الرسول فقد أطاع الله) وهذه الآية تدل على انه لا طاعة الا لله البتة لان طاعة الرسول لا تكون الا طاعة

لله وقال الشافعي رضي الله عنه وهذه الآية تدل على ان كل تكليف كلف الله به عباده في باب الوضوء
 والصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الابواب في القرآن ولم يكن ذلك التكليف مبينا في القرآن حيث
 لا يسيل لنا الى القيام بتلك التكاليف الا ببيان الرسول واذا كان الامر كذلك لزم القول بأن طاعة
 الرسول عين طاعة الله فان مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من أحبني فقد أحب
 الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارب هذا الرجل الشرك وهو ينهى ان نعبد غير الله
 ويريد ان نتخذة ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الآية (ومن تولى فإنا أرسلناك عليهم
 حفيظا) وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له أي ومن أعرض بقلبه عن حكمك يا محمد فأعرض
 عنه أو المعنى ومن أعرض عن طاعة الله بظاهرهم فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك الاعراض وان تحزن فإنا
 أرسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي أو المعنى فإنا أرسلناك لتشتغل بزجرهم - م عن ذلك التولى ثم نسخ
 هذا الآية الجهاد فانه تعالى ذكر هذا الكلام تسليية له صلى الله عليه وسلم عن الحزن فانه صلى الله عليه
 وسلم كان يشتد حزنه بسبب كفرهم واعراضهم (ويقون طاعة) أي يقول المنافقون عبد الله بن أبي
 وأصحابه اذا أمرتهم بشئ شأنا طاعة أو منا طاعة أو أمرنا يا محمد طاعة مرعاشئت نفعله (فاذا برزوا
 من عندك) أي خرجوا من مجلسك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) أي تفكر ليلا فريق من المنافقين
 وهم رؤساؤهم - م غير الذي تأمر وتكلموا فيما بينهم بعصيانك وتوافقوا عليه (والله يكتب ما يبيتون)
 أي ينزل اليك ما يتدبرونه ليلا في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على أمرهم أو يثبت ذلك في صحائف
 أعمالهم ليحازوا به (فأعرض عنهم) أي لا تهتك سترهم ولا تفضحهم الى أن يستقيم أمر الاسلام
 (وتوكل على الله) في شأنهم فان الله يكفيك شرهم ويتقمم منهم (وكفى بالله وكيلا) أي مفوضا اليه
 لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) أي أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه
 من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الناطق بنفاقهم (ولو كان
 أي القرآن (من عند غير الله) كما يزعمون (لوجدوا فيه) أي القرآن (اختلافا كثيرا) بأن يكون
 بعض أخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلية لغيره تعالى وحيث
 كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به)
 أي واذا جاء المنافقين خبر بأمر من الامور سواء كان من باب الامن أو من باب الخوف أفشوه وكان
 ذلك سبب الضرر لان هذه الارجافات لا تنفل عن الكذب الكثيرة ولان العداوة الشديدة صارت
 قائمة بين المسلمين والكفار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر
 المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به
 قلوب المؤمنين فانزل الله هذه الآية (ولوردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذي يستنبطونه
 منهم) أي ولوردوا الخبر الذي تحدثوا به الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذي يستنبطونه
 الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي بان لم يحدثوا به حتى يكون هؤلاء هم الذين يظهرونه لعلم ذلك الخبر
 من يستخرجونه من جهة هؤلاء أي ولو ان هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الامن والخوف الى الرسول
 والى اولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلم هؤلاء المنافقين المذيعون من جانب الرسول
 ومن جانب اولى الامر (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن
 (لا تبعتم الشيطان) وكفرتم بالله (الا قليلا) منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد صلى الله

عليه وسلم وعدم انزال القرآن ما كان يتبع الشيطان وما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة
ابن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل واضرابهم (فقاتل في سبيل الله) أى فى طاعة الله قيل وهذا متصل
بقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله وقيل هذا معطوف على قوله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان
(لا تكلفوا أنفسكم) أى لا تفعلوا أنفسكم فلا يضركم مخالفتهم فتقدم أنت إلى الجهاد وإن لم يسألك
أحد فان الله ناصرك واعلم أن الجهاد فى حق غير الرسول من فروض الكفايات فإلما يغلب على الظن أنه
يقيد لم يجب بخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه على ثقة من النصر والنظر (وحرض المؤمنين) أى
على الخروج معك بذلا للنصيحة فإنهم آمنوا بالتخلف لأن القتال كان مفروضا عليهم اذ ذاك فان فرضه
فى السنة الثانية وهذه القضية فى الرابعة كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدأ بأسيافهم بعد
حرب أحد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة فلما بلغ الميعة دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت
هذه الآية (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أى ان يمنع صولة كفار مكة وعسى وعدم من الله
تعالى واجب الانجاز (والله أشد بأسا) أى قوة من قريش (وأشد تنكيلا) أى تعذيبا (من يشفع
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أى من ثوابها ويندرج فيها الدعاء للمسلم فإنه شفاعة إلى الله تعالى (ومن
يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أى نصيب من وزرها مساو لها فى المقدار والغرض من هذه الآية
بيان انه صلى الله عليه وسلم لما حرضهم على الجهاد فقد استحق بذلك التحريض أجرة عظيمة ما ولولم يقبلوا
أمره صلى الله عليه وسلم لم يرجع اليه من عصيانهم شئ من الوزر وذلك لانه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد
فى ترغيبهم فى الطاعة ولم يرغبهم فى المعصية البتة فحقا يرجع اليه من طاعتهم أجرة ولا يرجع اليه من
معصيتهم وزر (وكان الله على كل شئ مقبلا) أى قادر على إيصال الجزاء إلى الشافع مثل ما وصله إلى
المشفوع فيه وحافظا للأشياء شاهد عليها فهو عالم بأن الشافع يشفع فى حق أو فى باطل فيجازى كلا بما
علم منه (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أى اذا سلم عليكم فردوا على المسلم ردأ أحسن
من ابتدأه أو أجيبوا التحية بمثله أو منتهى الأمر فى السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
بدليل ان هذا القدر هو الوارد فى التشهد فالأحسن هو ان المسلم اذا قال السلام عليكم زيد فى جوابه الرحمة
وان ذكر السلام والرحمة فى الابتداء زيد فى جوابه البركة وان ذكر الثلاثة فى الابتداء أعيدت فى
الجواب ورد الجواب واجب على الفور وهو فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين
والأولى للكل ان يذكر الجواب اظهار الأكرام ومبالغة فيه وترك الجواب اهانة والاهانة ضرر
والضرر حرام واذا استقبلك واحد فقل سلام عليكم واقصد إلى جمل والملكين فانك اذا سلمت عليهما ردا
السلام عليك ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم
أهل الكتاب فقولوا وعليكم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لا تبدأ اليهود بالسلام واذا بدأك فقل
وعليك وعن أبى حنيفة انه قال لا يبدأ اليهود بالسلام فى كتاب ولا فى غيره وعن أبى يوسف قال لا تسلم
عليهم ولا تصالحهم واذا دخلت عليهم فقل السلام على من اتبع الهدى ورحم بعض العلماء فى ابتداء
السلام عليهم اذا دعت إلى ذلك حاجة وأما اذا سلموا علينا فقال أكثر العلماء ينبغى ان يقال وعليك ثم ههنا
تفريع وهو أنا اذا قلنا لهم وعليكم السلام فهل يجوز ذكر الرحمة فقال الحسن يجوز ان يقال للكافر وعليكم
السلام لكن لا يقال ورحمة الله لأنها استغفار وعن الشعبي انه قال لا صراني وعليكم السلام ورحمة الله
فقيل له فى ذلك فقال أليس فى رحمة الله يعيش وقيل التحية بالأحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند

كونه كافر أو المقصود من هذه الآية الوعيد فإن الواحد من جنس الكفار قد يسلم على الرجل المسلم ثم إن ذلك المسلم يتخصص عن حاله بل ربما قتله طمعا منه في سلبه فإلله تعالى ذكره عن ذلك فأياكم أن تتعرضوا له بالقتل (إن الله كان على كل شيء حسيبا) أي محاسبا على كل أعمالكم وكافيا في إيصال جزاء أعمالكم إليكم فكونوا على حذر من مخالفة هذا التكليف وهذا يدل على شدة الاعتناء بحفظ الدماء (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر قال بعضهم كأنه تعالى يقول من سلم عليكم فاقبلوا سلامه وأكرموا بنياءه على الظاهر فإن البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو انما يكشف بواطن الخلق في يوم القيامة (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) أي والله ليحشرنكم من قبوركم إلى حساب يوم القيامة (لا ريب فيه) أي في يوم القيامة (ومن أصدق من الله حديثا) وهذا استفهام على سبيل الانكار والمقصود منه بيان انه يجب كونه تعالى صادقا وإن الكذب والخلاف في قوله تعالى محال (فألكم في المنافقين فئتين) أي مالكم يامعشر المؤمنين صرتم في أمر المنافقين فرقتين وهو استفهام على سبيل الانكار أي لم تختلفون في كفرهم مع أن دلائل كفرهم ونفاقهم ظاهرة جليلة فليس لكم أن تختلفوا في كفرهم بل يجب أن تقطعوا به نزلت هذه الآية في عشرة نفر قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم مسلمين فأقاموا بالمدينة ماشاء الله ثم قالوا يا رسول الله نريد أن نخرج إلى الصحراء فأذن لنا فيه فأذن لهم فلم يخرجوا من جوارح الوارحون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم لو كانوا مسلمين مثلنا لبقوا معنا وصبروا كما صبرنا وقال قوم هم مساؤون وليس لنا أن ننسبهم إلى الكفر إلى أن يظهر أمرهم فبين الله تعالى نفاقهم في هذه الآية (والله أركسهم) أي ردهم إلى أحكام الكفار من الذل والسبي والقتل (بما كسبوا) من اظهار الكفر بعدما كانوا على النفاق وذلك أن المنافق مادام يكون متمسكا في الظاهر بالشهادتين لم يكن لنا سبيل إلى قتله فاذا أظهر الكفر حينئذ يجري الله تعالى عليه أحكام الكفار (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) عن الايمان (ومن يضل الله) عن دينه (فلن تجد له سبيلا) إلى ادخاله في الايمان (ودوا لوتكفرون كما كفروا) أي تمنوا كفركم بمحمد والقرآن كفر مثل كفرهم (فتكونون) أنتم وهم (سواء) في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) أي إذا كان عالمهم ودادة كفركم فلا تولوهم حتى ينتقلوا من أعمال الكفار إلى أعمال المسلمين لأجل أمر الله تعالى اعلم أن الهجرة تارة تحصل بالانتقال من دار الكفر إلى دار الايمان وأخرى تحصل بالانتقال عن أعمال الكفار إلى أعمال المسلمين قال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه وقال المحققون الهجرة في سبيل الله عبارة عن ترك منهيات الله وفعل ما أمر الله به وذلك يشمل مهاجرة دار الكفر ومهاجرة شعار الكفر وانما قيد الله تعالى الهجرة بكونها في سبيل الله لانخراج الهجرة من دار الكفر إلى دار الاسلام ومن شعار الكفر إلى شعار الاسلام لغرض من اغراض الدنيا فانما الاعتبار وقوع تلك الهجرة لأجل أمر الله تعالى (فان تولوا) أي أعرضوا عن الايمان والهجرة ولزموا مواضعهم خارجا عن المدينة (لتخذوهم) أي فأمرهم إذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أي في الحل والحرم فإن حكمهم حكم سائر المشركين أمر وقتلا (ولا تتخذوا منهم) في هذه الحالة (ولياء) يتولى شيئا من مهماتهم (ولا نصيرا) ينصركم على أعدائكم (الا الذين يصلون) أي ينتهون (إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي الأمن دخل في عهد من كان داخل في عهدكم فهم أيضا داخلون في عهدكم أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في حق هلال بن عويمر الأسلمي ومراقة بن مالك المدلجي وبنو خزاعة بن عامر بن عبد مناف وفي هذه الآية

بشارة عظيمة لاهل الايمان لانه تعالى لما رفع السيف عن التجأ الى من التجأ الى المسلمين فبان يرفع العذاب في الآخرة عن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان أولى (أو) الا الذين (جاؤكم حصرت) أى ضاقت (صدورهم) عن المقاتلة فلا يريدون (أن يقاتلواكم) لانكم مسلمون وللعهد (أو) لا يريدون أن (يقاتلوا قومهم) لانهم أقاربهم فهم لا عليكم ولا لكم أى لما أمر الله بأخذ الكفار وقتلهم استثنى من الأمور فريقين أحدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وإزالة الرعب عنها والمعنى أن ضيق صدورهم عن قتالكم اغما هو يقذف الله الرعب في قلوبهم ولو قوى قلوبهم على قتال المسلمين لتسلطوا عليهم والمقصود من هذا الكلام ان الله تعالى من على المسلمين بكف بأس المعاهدين (فلقاتلوكم) وهذا في الحقيقة جواب لو وما قبله توطئة له وأعيدت اللام توكيدا (فان اعتزلوكم) أى تركوكم (فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) أى الانقياد للصالح والامان (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أى طريقا بالامر أو بالقتل (ستجدون) عن قريب (آخرين) أى قوما من المنافقين غير من سبقوهم قوم من أسد وغطفان كانوا مقيمين حول المدينة فاذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا وقالوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اننا على دينكم ليأمنوا من قتال المسلمين واذا رجعوا الى قومهم كفروا واذكروا عهودهم ليأمنوا من قومهم حتى كان الرجل منهم يقول له قومه عبادا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء كما قال تعالى (يريدون أن يأمنواكم) أى يأمنوا من قتالكم باظهار الاسلام عندكم (ويأمنوا قومهم) أى من بأسهم باظهار الكفر اذا رجعوا اليهم (كلاردوا الى الفتنة) أى كلادعوا الى قتال المسلمين (أركسوا فيها) أى قلبوا في الفتنة أقبح قلب وكانوا فيها شر من كل عدو شرير أى كلادعاهم قومهم الى الكفر وقتال المسلمين رجعوا اليه وهذا استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقة في شئ منكوسا يتعذر خروجه منه (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتهموهم) أى فان لم يتركوا قتالكم ولم يطلبوا الصلح منكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم أى أسروهم واقتلوهم حيث ثقتهموهم أى وجدتموهم في الحل والحرم (وأولئك) أى أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أى جعلنا لكم على جواز قتل هؤلاء حجة واضحة وهي ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بأهل الاسلام أو جعلنا لكم عليهم تسلطا ظاهرا حيث أذنالككم في أخذهم وقتلهم (وما كان المؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ) أى ليس المؤمن أن يقتل مؤمنا البتة الا عند الخطأ وهو ما اذا رأى عليه شعار الكفار أو وجد في عسكرهم فظنهم مشركا فنهنا يجوز قتله ولا شك أن هذا خطأ فانه ظن أنه كافر مع أنه غير كافر روى أن عياش ابن أبي ربيعة أسلم في مكة وهاجر الى المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليها وتحصن في أطعم من أطامها خوفا من قومه فاقسمت أمه لانا كل ولا تشرب ولا تجلس تحت سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل بن هشام والحريث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه فقال أبو جهل أليس ان محمدا يأمر بك ببر الام فانصرف وأحسن الى أمك وأنت على دينك فرجع الى مكة فلم يادنو من مكة قيديا يديه ورجليه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فلما دخل على أمه حلفت لا يزل عنه القيد حتى يرجع الى دينه لاول فتركوه موثوقا مطروحا في الشمس ماشاء الله ففعل بلسابه فأتاه الحريث بن زيد فقال يا عياش ان كان دينك الاول هدى فقد تركته وان كان ضلالا فقد دخلت الآن فيه فغضب عياش

من مقاتله وقال والله لا أقاتل خاليا أبدا لا قتلتك ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرب بعد ذلك وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقبه عياش في ظهر قباه خاليا ولم يشعر بإسلامه فقتله فلما أخبره الناس بأنه كان مسلما دم على فعله وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت هذه الآية (ومن قتل مومنا خطأ) بأن يقصد رمي المشرک فأصاب مسلما أو يظن الشخص مشركا فقتله فبان مسلما أو يضرب المسلم بضربة لا تقتل غالباً فيموت منها فالأول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد والثالث خطأ في القتل وإن كان عمداً في الضرب ولذلك سمي شبه العمد (فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله) أي فعله اعتناق نسمة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة ودية مؤداة إلى ورثة المقتول يقتسمونها كسائر الموارث (الأن يصدقوا) أي إلا أن يعفو أهل المقتول عن الدية ويمتروها وهي العفو عنها صدقة حنا عليه وتنبيهها على فضله وفي الحديث كل معروف صدقة (فإن كان) أي المقتول خطأ (من قوم عدو لكم) أي من سكان دار الحرب (وهو مؤمن) ولم يعلم القاتل بكونه مؤمناً (فتحرير رقبة مؤمنة) أي فما أجب على القاتل بسبب قتله الواقع على سبيل الخطأ هو تحرير الرقبة وأما الدية فلا تجب إذا ورائة بين المقتول وبين أهله لأنهم محاربون كالحرب بن زيد فإنه من قوم محاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الكفارة فإنها حق الله تعالى ليقوم المعتوق به مقام المقتول في المواظبة على العبادات (وإن كان) أي المقتول خطأ (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد مؤقت أو مؤبد (فدية) أي فعل قاتله دية (مسلمة إلى أهله) أي المقتول وهي ثلث دية المؤمن إن كان نصرانياً أو يهودياً تحل منا كخته وثلثا عشرها إن كان مجوسياً أو كتابياً لا تحل منا كخته (وتحرير رقبة مؤمنة) على القاتل (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أي فمن كان فقيراً فعليه ذلك الصيام بدلاً عن الرقبة وقال مسروق بدلاً عن مجموع الكفارة والدية والتتابع واجب حتى لو أفطروا يوماً وجب الاستئناف إلا أن يكون الفطر بحيض أو نفاس (توبة من الله) أي شرع ذلك نجواً من الله على تقصيره في ترك الاحتياط لأنه لو بالغ في الاحتياط لم يصدر عنه ذلك الفعل (وكان الله عليماً) بأن القاتل لم يتعمد (حكيماً) في أنه تعالى ما يؤاخذ به ذلك الخطأ (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) روى أن مقيس بن ضبابة الكناني كان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد مقيس أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فأرسل رسول الله معزير بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر إلى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل إلى مقيس ليقتص منه أن علموه وبأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا معاً وطاعة فأتوه بمائة من الأبل فأنصرفوا راجعين إلى المدينة حتى إذا كانوا ببعض الطريق تغفل مقيس الكناني رسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيراً من الأبل واستاق بقيتها راجعاً إلى مكة كافرًا فنزلت هذه الآية وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح عن أمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (خالد أفيها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل جزاؤه أن يدخل جهنم خالد أفيها (وغضب الله عليه) أي انتقم منه عطف على مقدر كأنه قيل بطريق الاستثناء حكيم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه (ولعنه) أي أبعد عن الرحمة يجعل جزاءه ما ذكر (وأعدله) في جهنم (عذاباً عظيماً) لا يقاد قدره وقال ابن عباس ومن يقتل مؤمناً رسول سيدنا رسول الله متعمداً بقتله أي بأن يقصد قتله بالسبب الذي يعلم إفضاءه إلى الموت سواء كان ذلك جارحاً أو لم يكن جزاؤه جهنم بقتله عامداً لما يكونه مؤمناً خالد أفيها بشركه وارتداده وغضب الله عليه بأخذه الدية ولعنه بقتله غير قاتل أخيه وأعدله عذاباً

عظيما أى شديد اجراءه على الله (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) أى سافرتهم في الغزو
(فتبينوا) أى تحققوا حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر قرأ حمزة والكسائي هنا في الموضعين وفى
الطبرأت فتثبتوا أى اطلبوا التثبت والمراد فى الآية فتأنوا وتركوا العجلة واحتاطوا (ولا تقولوا لمن ألقى
اليكم السلام) أى لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الاسلام أولمن ألقى اليكم الانقياد بقول لا اله
الا الله محمد رسول الله (لست مؤمنا) فقتلوه (تبتغون عرض الحياة الدنيا) أى حال كونكم
طالبين لماله الذى هو سريع النفاذ (فعند الله مغائم كثيرة) أى ثواب كثير (كذلك كنتم من قبل)
أى مثل ذلك الذى ألقى اليكم السلام كنتم أنتم أيضا فى أول اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه
لكم من تحية الاسلام ونحوها (فمن الله عليكم) بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بهادماكم
وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم (فتبينوا) أى إذا كان الامر كذلك أى فقيسوا حاله بحالكم
وأفعالوا به ما فعل بكم فى أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطىء الظاهر والباطن
(ان الله كان بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والخفية (خبيرا) فيجازيكم بحسبها ان خير الخبير
وان شرافتها فلا تنهاونوا فى القتل واحتاطوا فيه نزلت هذه الآية فى شأن مرداس بن نهيكل رجل من
أهل فدك وكان قد أسلم هو ولم يسلم غيره من قومه فذهبت سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه
مع أميرهم غالب بن فضالة فهربوا وبقي مرداس لثقتهم باسلامه فلما رأى الخليل الجأ غنمه الى عاقول من
الجبل فلما تلاحقوا وكبروا وكبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن
زيد واستاق غنمه فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا شديدا وقال قتلتموه ارادة مامعه
فقال أسامة انه قال بلسانه دون قلبه فقال صلى الله عليه وسلم هلا شقت عن قلبه ثم قرأ هذه الآية على
أسامة فقال يا رسول الله استغفرلى فقال فكيف وقد تلا لا اله الا الله قال أسامة فأزال صلى الله عليه وسلم
يعيدها حتى وددت ان لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفرلى ثلاث مرات وقال أعتق رقبة (لا يستوى
القاعدون) الذين أذن لهم فى القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم الذين هم (من المؤمنين غير أولى
الضرر) من مرض أو عاهة من عى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفى معناه الهز عن الالهة قرأ ابن كثير
وأبو عمر روى حمزة وعاصم بالرفع بدل من القاعدون ونافع وابن عامر والكسائي والباقيون بالنصب على
الحال من القاعدون والاعمش بالجر على الصفة للمؤمنين (والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم)
قال ابن عباس أى لا يستوى القاعدون عن بدر والخارجون اليها (فضل الله المجاهدين بأموالهم
وأنفسهم على القاعدين) أولى الفرر (درجة) أى فضيلة فى الآخرة لان المجاهد يشارك الجهاد
بنفسه وماله مع النية واولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فترزوا عن المجاهدين درجة (وكلا)
من المجاهدين والقاعدين (وعدا الله الحسنى) أى الجنة بإيمانهم (وفضل الله المجاهدين) فى سبيل
الله (على القاعدين) الذين لا عذر لهم ولا ضرر (أجر أعظم ادرجات منه) أى من الله تعالى
(ومغفرة) للذنوب (ورحمة) من العذاب (وكان الله غفورا) لمن خرج الى الجهاد (رحيما) لمن
مات على التوبة وقيل هذا التفضيل بين المجاهدين والقاعدين غير أولى الضرر فقط وذلك اما التنزيل
الاختلاف بين التفضيلين منزلة الاختلاف الذاتى كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين
درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها واما الاختلاف بالذات بين التفضيلين على ان المراد بالتفضيل الاول
ما أعطاهم الله تعالى طاجر لافى الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة

واحدة وبالتفضيل الثاني ما أنعم به في الآخرة من الدرجات العالية كأنه قيل وفضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى أما أولو الضرر ففهم مساوون للمجاهدين ويدل على المساواة النقل والعقل أما النقل فقوله تعالى ثم ردناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون وذكر بعض المفسرين في تفسير ذلك أن من صار هرما كتب الله له أجر ما كان يعلمه قبل هرمه غير منقوص من ذلك شيئا وأما العقل فالمقصود من جميع الطاعات استنارة القلب بنور معرفة الله تعالى فإن حصل الاستواء فيه للمجاهد والقاعد فقد حصل الاستواء في الثواب وإن كان القاعد أكثر حظا من هذا الاستغراق كان هو أكثر ثوابا وقال بعضهم والمراد بقوله وفضل الله المجاهدين لدفع التكرار هو من كان مجاهدا في كل الأمور بالظاهر والقلب وهو أشرف أنواع المجاهدة وحاصل هذا الجهاد صرف القلب من الالتفات إلى غير الله إلى الاستغراق في طاعة الله وإيا كان هذا المقام أعلى جعل فضيلته درجات (أن الذين توفاهم الملائكة) أي ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يملون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يملون قبض أرواح الكفار (ظالمى أنفسهم) بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بأموال الدين فإن هذه الآية نزلت في ناس من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضته فقتلوا يوم بدر مع الكفار منهم علي بن أمية بن خلف والحارث بن زمعة وقيس بن الوليد ابن المغيرة وأبا العاص بن ممنة بن الحجاج وأبا قيس بن الفاكه (قالوا) أي الملائكة لهم حين القبض (قيم كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمر دينكم أي كنتم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أم كنتم مشركين أو قيم كنتم في حرب محمد أو في حرب أعدائه (قالوا) معذرين اعتذارا غير صحيح (كنا مستضعفين في الأرض) أي كنا مقهورين في أرض مكة في أيدي الكفار (قالوا) أي الملائكة لهم توبخنا مع ضرب وجوههم وأدبارهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أي انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم فبقيتم بين الكفار وقال ابن عباس أي ألم تكن المدينة آمنة فتهاجروا إليها (فأولئك مأواهم) في الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة فأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لا وأولئك وهذه الجملة خبران وقوله تعالى قالوا قيم كنتم حال من الملائكة أو هو الخبر والعائنه محذوف أي قالوا لهم (وساءت مصيرا) أي بش مصيرهم جهنم (الاستضعفين من الرجال والنساء والولدان) أي الصبيان أو المماليك (لا يستطيعون حيلة) أي لا يقدر على حيلة الخروج ولا نفقة أو كان بهم مرض أو كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم من تلك الهجرة (ولا يهتدون سبيلا) أي لا يعرفون طريقا ولا يجدون من يدهم على الطريق كعباش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام وسيدنا عبد الله بن عباس وأمه اسمها لبابة كما قال كنت أنا وأمي عن عفا الله عنه بهذه الآية (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) وذكر العفو بكلمة عسى لا بالكلمة الدالة على القطع لأن الإنسان لشدة نفرتة عن مفارقة الوطن رجائظ نفسه عاجزا عنهم أنه لا يكون كذلك في الحقيقة فكانت الحاجة إلى العفو شديدة في هذا المقام (وكان الله عفوا) لما كان منهم (غفورا) لمن تاب منهم (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة) في المعيشة أي ومن يهاجر في طاعة الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سببا لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه في بلدته الأصلية وذلك لأن من ذهب إلى بلدة أجنبية فإذا استقام أمره في تلك البلدة ووصل ذلك الخبر إلى أهل بلدته نجحوا من سوء معاملتهم معه ورغبت أنوفهم بسبب ذلك (ومن يخرج من

بيته مهاجرا الى الله ورسوله (أى الى موضع أمر الله ورسوله) (ثم يدركه الموت) قبل أن يصل الى
 المقصد وان كان خارج بابيه (فقد وقع أجره على الله) أى فقد وجب أجر هجرته عند الله بإيجابه على نفسه
 بحكم الوعد والتفضل والكرم لا بحكم الاستحقاق الذى لو لم يفعل لخرج عن الالهية (وكان الله غفورا)
 لما كان منه من القعود الى وقت الخروج (رحيم) باكمال أجر الهجرة فكذلك كل من قصد فعل
 طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه
 قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة الى آخر الآيات بعث بها الى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا فيها
 اذالب فسبحها رجل من بنى ليث شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال لبيته احملى فاني لست
 من المستضعفين وانى لا هتدى الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما
 بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على
 ما أبايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو وفى بالمدينة لكان أتم أجر وأفضل
 المشركون وقالوا ما أدرك ما طلب فأنزل الله تعالى قوله تعالى ومن يخرج من بيته الآية قالوا كل هجرة فى
 غرض دينى من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهى هجرة الى الله تعالى والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
 (واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أى اذا سافرتم أى مسافرة كانت
 فليس عليكم مأثم فى أن تردوا الصلاة من أربع ركعات الى ركعتين اذا كان السفر طويلا لغير معصية
 وهو عند الشافعى ومالك أربعة بردوهى مرحلتان وعند أبى حنيفة ثلاثة أيام بلياليهن وروى عن عمرانه
 قال يقصر فى يوم تام وبه قال الزهري والاوزاعى وقال أنس بن مالك المعتبر خمس فرائض (ان خفتم أن
 يفتنكم الذين كفروا) أى ان خفتم أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره وقال ابن عباس
 أى ان علمتم أن يقتلواكم فى الصلاة وهذا الشرط بيان للواقع اذ ذاك وهو ان غالب أسفار نبينا صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه لم تخل من خوف العدو وكثرة المشركين وأهل الحرب اذ ذاك حينئذ لا يشترط الخوف
 بل للمسافر القصر مع الأمن لما فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم سافر بين مكة والمدينة لا يخاف الله
 عز وجل فكان يصلى ركعتين قال يعلى بن أمية قلت لعمرانما قال الله تعالى ان خفتم وقد آمن الناس قال
 عمر قد عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
 صدقته رواه مسلم (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى ان العداوة الحاصلة بينكم وبين الكافرين
 قديمة والآن قد أظبرت خلافتهم فى الدين وازدادت عداوتهم وبسبب شدة العداوة قصدوا اتلافكم ان
 قدروا فان طالت صلاتكم فربما وجدوا الفرصة فى قتلكم فعلى هذا رخصت لكم فى قصر الصلاة (واذا
 كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) أى اذا كنت يا أثرى الخلق مع المؤمنين فى خوفهم
 فأردت أن تقيم بهم الصلاة فاجعلهم طائفتين فلتقم منهم طائفة معك فصل بهم ولتقف الطائفة الاخرى
 بازاء العدو ليحرسوكم منهم (وليأخذوا) أى الطائفة الذين يصلون معك (أسلحتهم) من التى لا تشغلهم
 عن الصلاة كالسيف والخنجر فان ذلك أقرب الى الاحتياط وأمنع للعدو من الاقدام عليهم (فاذا هجدوا)
 أى القائمون معك رأتموا صلاتهم بعدنية المفارقة (فليكونوا من وراءكم) أى فليمنصرفوا من وراءكم
 الى مصاف أصحابهم بازاء العدو للحراسة ثم يبقى الامام قائما فى الركعة الثانية (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا
 فليصلوا معك) فى الركعة الثانية ثم يجلس الامام فى التشهد الى أن يصلوا ركعة ثانية ثم يسلم الامام بهم
 وهذا قول سهل بن أبى حنيفة ومذهب الشافعى (وليأخذوا) أى هذه الطائفة (حذرهم) من العدو

(وَأَسْلَحْتُمْ) معهم وانما ذكر الحذر هنا لان العدو لم يتنبه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائلين لاجل المحاربة فاذا قاموا في الركعة الثانية ظهر للكفار كونهم في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم فخص الله تعالى هذا الوضع بزيادة الحذر من الكفار (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَتَوَلَّوْنَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ فَيُعِيلُونَ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَاحِدَةً) أي تمنوا نسيانكم عن الاسلحة وما تستمتع بها في الحرب اذا فتم الى الصلاة فينالوا منكم غرة وينتهزون فرصة فيشددوا عليكم شدة واحدة في الصلاة (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ) أي لا رزركم في وضع الاسلحة ان تعذر حملها اما لتقلها بسبب مطر أو مرض أو لايذاء من في الجنب (وَخُذُوا حِذْرَكُمْ) أي احذروا من العدو ما استطعتم لئلا يهجموا عليكم وهذه الآية تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا والله أعلم (إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) في الدنيا بأن يخذلهم وينصرهم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه تعالى بأيديكم بالقتل والامر والنهي (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ إِذَا أطمأنتم فاقموا الصلاة) أي فاذا فرغتم من صلاة الخوف فداوموا على ذكر الله في جميع الاحوال حتى في حال المسابقة والقتال فان ما أنتم عليه من الخوف والحذر مع العدو وجدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع اليه فاذا سكنت قلوبكم من الخوف فادروا الصلاة التي دخل وقتها حينئذ على الحالة التي كنتم تعرفونها ولا تغيروا شيئا من أحوالها وهياتها وقيل معنى الآية فاذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما حال اشتغالكم بالمسابقة والمقارعة وقعودا جالسين على الركب حال اشتغالكم بالمرامة وعلى جنوبكم حال ما تكثرا بجراحات فيكم فتسقطون على الارض فاذا زال الخوف عنكم بانهضاء الحرب فاهضوا ما صليتم في تلك الاحوال وهذا ظاهر على مذهب الشافعي من ايجاب الصلاة على المحارب في حال المسابقة اذا حضر وقتها واذا اطمأنوا فعليهم القضاء وقال بن عباس أي فاذا فرغتم من صلاة الخوف فصلوا الله قياما للهجه وقعودا للمريض وعلى الجنوب للجريح والمريض فاذا ذهب منكم الخوف ورجعتم الى منازلكم فأتوا الصلاة أربعا (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) أي فرصا موقتا (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ) أي لا تهجزوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال نزلت هذه الآية في شأن بدر الصغرى وذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه فشكوا الجراحات حين رجعوا من أحد (إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ) أي ان كنتم تتوجعون بالجراح فانهم يتوجعون بالجراح فحصل الالم قدر مشترك بينكم وبينهم فلم يصبر خوف الالم ما عا لهم عن قتالكم فكيف صار ما نعالكم عن قتالهم (وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) أي وأنتم ترجون من الله ثوابه وتخافون عذابه لانكم تعبدون الله تعالى والمشركون يعبدون الأصنام فلا يصح منهم أن يرجوا منها ثوابا أو يخافوا منها عذابا فيجب أن تكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها وقرأ الأخرج أن تكونوا بفتح الهمزة أي لان تكونوا (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) أي لا يكلفكم شيئا الا بما هو عالم بانه سبب لصلاحكم في دينكم ودنياكم (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ) أي بين طعمة وزيد بن سمين (بِمَا أَرَادَ اللَّهُ) أي بما علمك الله في القرآن وسمى العلم الذي بعني الاعتقاد بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن الريب يكون جارا يجرى الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك الانبياء والرأي من أراونا لا علمنا نزلت هذه الآية

في شأن رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان وهي في جراب دقيق فصار الدقيق يتناثر من خرق فيه فحباها عند زيد بن سمين اليهودي فالتصت الدرع عند طعمة فلم توجد فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو طعمة - را نطلقوا ابننا الى رسول الله نشهد أن اليهود هو السارق لئلا نقتضع بل عزموا على الحلف فذهبوا وشهدوا وزورا ولم يظهر له صلى الله عليه وسلم قاذح فيهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب اليهودي أو بقطع يده لثبوت المال عنده فأعلم الله الحال بالوحي فهم أن يقضي على طعمة فهرب الى مكة وارتدونقب حائط السارق متاع أهله فوقع عليه فقتله ومات مرتدا في مكة (ولا تكن) يا أشرف الخلق (للخائنين) أي لاجل المنافقين وللذنب عنهم - وهم طعمة وقومه بنو يرق بشر وبشير ومبشركم أخرجه الترمذي من حديث قتادة بن النعمان (خميما) أي مخاضها لمن كان بريئا عن الذنب وهو اليهودي (واستغفر الله) من هلك بضرب اليهودي زيد بن سمين تعويلا على شهادتهم لأنهم كانوا في الظاهر مسلمين فاستغفاره صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك الهم بالحكم الذي لو وقع لكان خطا في نفسه وإن كان معذورا عند الله فيه فأمر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهذا القدر فان حسنات الاراسيات المقربين (إن الله كان غفورا رحيما) أي مبالغافي المغفرة والرحمة لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) طعمة ومن عاونوه من قومه من علم كونه سارقا (إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما) فإن طعمة خان في الدرع وأثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع السرقة عنه ويلحقه باليهودي وهذا يبطل رسالة الرسول ومن حاول إبطاله ذلك وأظهر كذبه فهو كافر وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروى عن عمر انه أمر بقطع يد سارق لحايات أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال عمر كذبت ان الله لا يؤخذ عبده في أول الأمر (يستخفون من الناس) أي يستترون منهم حياء وخوفا من ضرر (ولا يستخفون من الله) أي ولا يستحيون منه تعالى ولا يخافون من عذابه تعالى (وهو معهم) بعلمه ورؤيته وقدرته (اذيبيتون) أي يقدرون في اذهانهم (ما لا يرضي) أي الله (من القول) وهو أن طعمة قال ارمي اليهودي بأنه هو الذي سرق الدرع وأحلف أني لم أرمقها فيقبل الرسول عيني لاني على دينه ولا يقبل عيني اليهودي (وكان الله بما يعملون محيطا) لا يعزب عنه تعالى شيء ولا يفوت (ها أنتم هؤلاء) أي أنتم يا قوم طعمة (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) أي هبوا انكم خاضعتم عن طعمة وأمثاله في الدنيا وقرأ عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب عنه بالافراد (فن يجادل الله عنهم يوم القيامة) عند تعذيبهم (أم من يكون عليهم وكيلا) أي أم من الذي يكون محافظا لهم من عذاب الله (ومن يعمل سوءا) أي فيمحا يحزن به غيره كما فعل طعمة من سرقة الدرع لقتادة ومن رمى اليهود بالسرقه (أو يظلم نفسه) كالخلف الكاذب (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) حيث قبل توبته (ومن يكسب اثما) أي ذنبا (فإنما يكسبه على نفسه) فلا يتعدى ضرره الى غيره فليتحرز عن اقبال نفسه للعقاب عاجلا وأجلا والاكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة ولذلك لم يجوز وصف الله تعالى بذلك (وكان الله عليما) بما في قلب عبده عند اقدمه على التوبة (حكيم) تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب وان لا يحمل نفسا وازرة وزر نفس أخرى (ومن يكسب خطيئة) أي صغيرة أو قاصرة على الفاعل أو ما لا ينبغي فعله بالعمد أو بالخطأ (أو اثما) أي كبيرة أو ما يتعدى الى الغير كالظلم والقتل أو ما يحصل

بالعمد (ثم يرم به) أي يقذف بذلك الذنب (بريثاق قد احتمل بهتانا واثامينا) أي فقد أوجب على نفسه عقوبة بهتان عظيم وعقوبة ذنب بين فالبهتان أن ترمي أخاك بأمر منكروه وهو بري منه فصاحب البهتان مذموم في الدنيا أشد الذم ومعاقب في الآخرة أشد العقاب فقوله تعالى بهتانا إشارة إلى الذم العظيم في الدنيا وقوله تعالى اثامينا إشارة إلى العقاب العظيم في الآخرة (ولو لا فضل الله عليك) بأعلامك ما هم عليه بالوحى (ورحمته) بتنبهك على الحق أو المعنى لولا أن الله خصك بالفضل وهو النبوة وبالرحمة وهى العصمة (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) أي لارادت طائفة من قوم طعمته أن يلقوك في الحكم الباطل وذلك لأن قوم طعمته قد عرفوا أنه سارق ثم سألو النبي أن يجادل عنه ويبرئه عن السرقة وينسب تلك السرقة إلى اليهود (وما يضلون إلا أنفسهم) بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان (وما يضرونك من شيء) أي أنهم وإن سعوا في العاذل في الباطل فأنت ما وقعت فيه لانه تعالى عاصمك ولا نك بنيت الأمر على ظاهر الحال وأنت ما أمرت إلا ببناء الأحكام على الظواهر (وأنزله عليك الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي علم الشرائع (وعلمك ما لم تكن تعلم) من أمور الدين وأسرار الكتاب والحكمة وأخبار الأولين وحييل المناقير (وكان فضل الله عليك عظيما) وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف المناقب والفضائل مع أن الله تعالى ما أعطى الخلق من العلم إلا القليل (لا خير في كثير من نجواهم إلا) في نجوى (من أمر بصدقة) واجبة أو مندوبة (أو معروف) وهو أصناف أعمال البر كالقرض وإغاثة الملهوف (أو إصلاح بين الناس) عند وقوع المعاداة بينهم من غير مجاوزة حدود الشرع في ذلك وذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا ما كان من أمر معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أي هذا المذكور من الصدقة وفنون الجميل والإصلاح أو ذلك الأمر بهذه الأقسام الثلاثة كأنه قيل ومن يأمر بذلك ويجوز أن يراد بالفعل الأمر فعبر عن الأمر بالفعل لأن الأمر فعل من الأفعال أي ومن يأمر بذلك (ابتغاء مرضاة الله) أي طلب رضوان الله (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أما إذا أتى بذلك للرياء والسمعة صار من أعظم المفاسد وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية وتصفية القلب عن داعية الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان الله وقرأ أبو عمرو وحزرة يؤتيه بالياء مناسبة للغيب في قوله ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والباقيون بنون العظمة مناسبة لقوله تعالى الآتي نوله ونصله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) روى أن طعمة بن أبيرق لما رأى أن الله تعالى هلك ستره وبرأ اليهودي عن تهمة السرقة ارتد وذهب إلى مكة ونقب جدار إنسان لأجل السرقة فهدم الجدار عليه ومات فنزلت هذه الآية ومعناها ومن يخالف الرسول في الحكم من بعد ما ظهر له بالدليل صحة دين الإسلام ويتبع دين غير دين الواحد بن تركه إلى ما اختار لنفسه ويتخلل إلى ما اعتمد عليه في الدنيا وندخله جهنم في الآخرة ويؤتى مصيره جهنم وذلك أن طعمة قد تبين له بما أوحى الله تعالى من أمره من أنه سارق ما دله ذلك على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعادى الرسول وأظهر الشقاق وترك دين الإسلام واتبع دين عبادة الأصنام (إن الله لا يغفر أن يشرك به) إذا مات على الشرك (ويغفر ما دون ذلك) أي الشرك (لمن يشاء) سواء حصلت التوبة أو لم تحصل روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن شيكها من العرب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنى شيع منكم في النوب إلا أنى لم أشرك

بالله شيئا من معرفته وآمن به ولم اتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت
 طرفة عين أني أعجز الله هربا واتي لنادم نائب مستغفر فأتري حالي عند الله تعالى فنزلت هذه الآية
 (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة أمام من لم يشرك بالله
 لم يكن ضلاله بعيدا فلا يصير محروما عن الرحمة ثم بين الله تعالى كون الشرك ضلالا بعيدا فقال (إن يدعو
 من دونه الا انانا) أي ما يعبد المشركون من أهل مكة الا أنانا يسمونها باسم الاناث كقولهم اللات والعزى
 ومناة واللات تأنيث الله والعزى تأنيث العزيز ومناة تأنيث المنان أولانهم كانوا يزبنونها على هيات
 النسوان وقرأت عائشة قرضى الله عنها الا أنانا وابن عباس الا اننا جمع وثن مثل أسد وأسود والهمزة بدل
 من الواو المضمومة (وإن يدعو الا شيطانا مريدا عنه الله) أي وما يعبدون الا شيطانا شديدا به يدعو
 الطاعة طرده الله من كل خير لان ابليس هو الذي أمرهم بعبادة الاوثان فكانت طاعته في ذلك عبادة له
 (وقال) أي الشيطان عند ذلك (لا اتخذ من عبادك نصيبا مفروضا) أي لا جعل لي من عبادك حظا مقدرا
 معيناً وهم الذين يتبعون خطوات ابليس ويقبلون وساوسه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 من كل ألف واحد لله وسائر للناس ولا بليس (ولا ضلتهم) عن الهدى (ولا منينهم) أي القين في
 قلوبهم الا ماني وهي تورث شيئين الحرص والامل وهما يستلزمان أكثر الاخلاق الذميمة ويلازمان
 للانسان قال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنان الحرص والامل اه فالحرص يستلزم
 ركوب الاهوال فاذا اشتد حرصه على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله الا بعصية الله واذا اطال
 أمسه نسي الآخرة وصار غريقا في الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة ولا يكاد يثور فيه الوعظ فيصير قلبه
 كالحجارة أو أشد قسوة (ولا أمرهم) بالتبجيل أي شق آذان الناقة (فليبتكن آذان الانعام) فإن
 العرب كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء المامس ذكر احره واعلى أنفسهم الاتضاع
 بها (ولا أمرهم) بالتغيير (فليغيرن خلق الله) صورة أو صفة كاختصاص العبيد وفق العيون
 وقطع الآذان والوشم والوشرو وصل الشعر فإن المرأة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا وكانت العرب اذا بلغت
 ابل أحداهم الفاعور وراعي فلها ويدخل في هذه الآية التخنث والسحاقان لان التخنث عبارة عن ذكر
 يشبه الانثى والسحق عبارة عن انثى تشبه الذكر ومحموم اللفظ يمنع الاختصاص مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في
 البهائم للحاجة فيجوز في الماء كحل الصغبر ويحرم في غيره (ومن اتخذ الشيطان وليا من دون الله) بأن
 فعل ما أمره الشيطان به وترك ما أمره الرحمن به (فقد خسر خسرانا مبينا) أي بتضييع أصل ماله
 وهو الدين الفطري كما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة أي دين الاسلام ولكن أبواه
 يهودانه وينصرانه ويمجسانه وذلك لا طاعة لله تفيد المنافع العظيمة الدائمة وطاعة الشيطان تفيد
 المنافع القليلة المنقطعة ويعقبها العذاب الاليم (يعدهم ويعينهم) بأن يلقي الشيطان في قلوبهم انه
 سيطر على أعمالهم وينالون من الدنيا ما لهم ومقاصدهم ويقع في قلوبهم ان الدنيا دوا فربما تسرت لهم كما
 تسرت لغيرهم وأيضا ان الشيطان يعدهم بأنه لا قيامة ولا جزاء فاجتهدوا في استيفاء اللذات الدنيوية
 (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهو ان يظن الانسان بالشيء انه نافع ولذا يتم تبين اشتماله على
 أعظم الآلام والمضار وجميع أحوال الدنيا كذلك (أولئك) أي أولياء الشيطان وهم الكفار
 (ماواهم جهنم ولا يجردون عنها) أي جهنم (محيضا) أي معدلا ومهربا (والذين آمنوا) أي أقروا
 بالايمان (وعملوا الصالحات) أي الطاعات تصديقاً لا قرارهم (ستدخلهم جنات تجري من تحتها

إلا نهار خالدين فيها) أى ما كثر في الجنة مكنا طويلا لا يخرجون منها (أبدا وعد الله حقا) أى
 وعدهم الله بذلك الإدخال وعد لا خلف فيه وحق ذلك حقا فالأول مؤكدا لنفسه والثاني مؤكدا لغيره
 (ومن أصدق من الله قيلا) أى لا أحد أصدق من الله وعدا وهذا توكيدي ثالث وفائدة هذه التوكيدات
 معارضة لمواعيد الشيطان الكاذبة وترغيب للعباد في تحصيل ما وعده الله (ليس بأمانيتكم ولا أمانى
 أهل الكتاب) أى ليس الثواب الذى تقدم الوعد به في قوله تعالى سنة دخلهم جنات بأمانيتكم بامعشر
 المؤمنين ان يغفر لكم وان ارتكبتم الكبائر أى فانه يكتم تخفيتم ان لا تؤاخذوا بسوء بعد الايمان ولا أمانى
 اليهود والنصارى فانهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباءه فلا
 يعذبنا وقالوا لن نغسل النار الا أيا ما معدودة وليس الامر كذلك فانه تعالى يخص بالعفو والرحمة من
 يشاء أى ليس يستحق ذلك الثواب بالأمانى وانما يستحق بالايمان والعمل الصالح (من يعمل سوءا
 يجزيه) فالؤمن يجزى عند عدم التوبة أمانى الدنيا بالمصيبة أو بعد الموت قبل دخول الجنة أو بانحباط
 ثواب طاعته بمقدار عقاب تلك المعصية والكافر يجزى في الدنيا بالجنم والبلاء وفي الآخرة دائما روى أنه
 لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله
 لك يا أبا بكر أليس يصيبك الأذى أى من البلاء والحزن قال بلى يا رسول الله قال فهو
 ما تجزون وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قرأ هذه الآية فقال أنجزى بكل ما عمل لقد هلكنا ببلغ
 كلامه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبته في جسده وما يؤذيه وعن أبي هريرة
 قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحرنا وقلنا يا رسول الله ما أبعث هذه الآية لنا شيئا فقال صلى الله عليه وسلم
 ابشروا فانه لا يصيب أحدكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التى تقع في قدمه
 (ولا يجده من دون الله) أى مجاوزا عن حفظ الله ونصرته (وليا) أى حافظا يحفظه (ولانصيرا)
 ينصره فشفاعة الانبياء والملائكة في حق العصاة انما تكون باذن الله تعالى واذا كان الامر كذلك
 فلاولى لاحد ولا نصير لاحد الا الله تعالى (ومن يعمل من الصالحات) أى من يعمل بعض الصالحات
 كائنا (من ذكر أو أنثى وهو مومن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أى ولا ينقصون قدر من حيث
 النواة من ثواب أعمالهم فاذا لم ينقص الله الثواب فخير أن لا يزيد في العقاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 وشعبة عن عاصم يدخلون الجنة بالبناء للمفعول وكذلك في سورة مريم وفي حم المومن قال مسروق لما نزل
 قوله تعالى من يعمل سوءا يجزيه قال أهل الكتاب ليس لمؤمن نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية (ومن
 أحسن ديننا من أسلم وجهه لله) أى لا أحد أحسن ديننا من عرفه بقلبه وأقر بربوبيته وبعبودية
 نفسه (وهو محسن) أى والحال أنه آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) حال
 للتبوع أو للتابع وانما عاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الى دين ابراهيم لانه اشتهر عند كل الخلق
 أن ابراهيم ما كان يدعو الا الى الله تعالى وشرعه مقبول عند الكل لان العرب لا يفتخرون بشيء
 كافتخارهم بالانتساب الى ابراهيم وأما اليهود والنصارى فلا شك في كونهم مفتخرين به (واتخذ الله
 ابراهيم خليلا) روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يسهى أبا الضيفان وكان منزله على ظهر
 الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس أزمة فاجتمعوا في بابه فحشروا الى بابه يطلبون الطعام
 وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانا بالابل الى الحليل الذى بمصر فقال خيليه لغلمانا
 لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكن يريد هالالا ضيفا وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة

فرجع غلمانهم فربوا به طيما أي بأرض ذات حمى فلو أنهم الغرائر حياء من الناس حيث كانت أبلهم فارغة وجاءوا بها إلى منزل إبراهيم وألقوها فيه وتفرقوا وأخبره أحدهم القصة فاغتم لذلك غمًا شديدًا فغلبه عيناه وهدمت سارة إلى الغرائر ففتحتها فإذا فيها أجود حواري بضم الحاء المهملة تشديد الواو وفتح الراء وهو الدقيق الذي نخل مرة بعد أخرى فأمرت الخبازين بخبز وافطعت الناس فاستيقظ إبراهيم فوجد راحة الخبز فقال من أين هذا لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماء الله تعالى خليلًا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخم فهي فقال إبراهيم عليه السلام أذكره مرة أخرى فقال لا أذكره بحال فقال لا أذكره الملك بصوت أشجى من الأول فقال أذكره مرة ثالثة ولك أولاد فقال الملك أشرفاني ملك لا أحتاج إلى مالك ولديك وإنما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والأولاد على ما دعا ذكر الله لحقا اتخذ الله خليلًا (ولله ما في السموات وما في الأرض) يختار منهما ما يشاء لمن يشاء (وكان الله بكل شيء) من أهل السموات والأرض (محيطًا) بالقدرة والعلم (ويستفتونك في النساء) أي يسألك يا أشرف الخلق جماعة من الصحابة عن أحوال كثيرة مما يتعلق بحق النساء فالذي بين الله حكمه فيما سبق في أول هذه السورة أحال بيان الحكم في ذلك والذي لم يبين حكمه بين هنا وذلك قوله تعالى (قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم) أي قل يا أشرف الخلق لهم الله تعالى قدين لكم أحوال النساء والمتلو (في الكتاب) في أول هذه السورة قدين لكم (في يتامى النساء) أي في شأنهن فامعطوف على المبتدأ وهذا متعلق ببيتلي وذلك المتلو في الكتاب هو قوله تعالى وإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) أي اللاتي لا تعطونهن ما وجب لهن من الميراث أو الصداق وذلك لأنهم يورثن الرجال دون النساء واليكاردون الصغار (وترغبون أن تنكوهن) وهذا يحتمل الرغبة والنفرة فإن حمل على الرغبة كان المعنى وترغبون في أن تنكوهن لما لهن وجمالهن باقل من صداقهن وإن حمل على النفرة كان المعنى وترغبون عن أن تنكوهن لدمامتهن وتمسكوهن رغبة في ما لهن وهذه الجملة معطوف على الصلة عطف المبتدأ على المنفية ويجوز أن تكون حالا من فاعل تؤتونهن والتأويل وأنتم ترغبون وهذا إذا أريد بقوله تعالى ما كتب لهن صداقهن روى مسلم عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها وما لها ويريد أن ينكحها وينقص صداقها عن عادة نساها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في الكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتي الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأنزل الله تعالى ويستفتونك في النساء إلى قوله تعالى وترغبون أن تنكوهن فبين الله لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بعبادتها في الكمال الصداق وإذا كانت مرغوبة بعنف في قلة المال والجمال تركوها والنسوا غيرها قال تعالى فكأيترونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يعطوها حقها الأول من الصداق ويقسطوا لها (والمستضعفين من الولدان) معطوف على يتامى النساء وقد كانوا في الجاهلية لا يورثن الأبطال ولا النساء الذي تلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم وروى أن عبيثة بن حصن الفزاري جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال أخبرنا بذلك تعطى الابنة النصف والأخت النصف وإنما كانوا يرثون من يشهد القتال ويجوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين وتقديره الآية وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيككم في يتامى النساء وفي المستضعفين في أن تقوموا لليتامى بالقسط والذي تلى في

حقهم قوله تعالى ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم (وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما) أي يجازيكم عليه ولا يضيع عند الله منه شيء (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا) أي أظهرت الخشونة في القول أو الفعل أو فيهما (أو أعراضا) أي سكتوا عن الخير والشر (فلا جناح عليهما) حيثنذ في (أن يصلحا بينهما مصلحا) بأن بذلت المرأة كل الصداق أو بعضه للزوج أو أسقطت عنه مؤنة النفقة أو القسم وكان غرضا من ذلك أن لا يطلقها زوجها وهذا من جملة ما أخبر الله تعالى أنه يقتضيه به في النساء مما لم يتقدم ذكره في هذه السورة روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن الآية نزلت في ابن أبي السائب كانت له زوجة وله منها أولاد وكانت شيخة فهم بطلاقها فقالت لا تطلقني ودعني اشتغل بصالح أولادي وأقسم في كل شهر ليالي قليلة فقال الزوج إن كان الأمر كذلك فهو أصليح لي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية قرأها صم وحزرة والكسائي يصلحها بضم الياء وسكون الصاد والباقون يصلحها بفتح الياء والصاد المشددة الممدودة قالوا معنا يتوافقا وهو أليق بهذا الموضع (والصلح خير) أي والصلح بين الزوجين خير من سوء العشرة أو من الفرقة أو من الخصومة أو هو خير من الخيور (وأحضرت الأنفس الشح) أي جعل الشح حاضرا للأنفس لا يغيب عنها ولا ينفل عنها أبدا فالمرأة تبخل ببذل حقها لزوجها وطمعها يجبرها إلى أن ترضى والرجل يبخل بأن يقضي عمره معهما مع دماثة وجهها وكبر سنهما وعدم حصول اللذة بعاشرتها (وان تحسنوا) بالاقامة على نساءكم وإن كرهتموهن بأن تسووا بين الشابة والعجوز في القسمة والنفقة (وتتقوا) ما يؤدي إلى الأذى والخصومة (فإن الله كان بما تعملون) من الإحسان والتقوى (خبيرا) وهو يشيكم عليه وروى أن هذه الآية نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وأثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت إليه ذلك (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أي لن تقدروا على التسوية بينهن في ميل الطباع وإذا لم تقدروا عليه لم تكونوا مكافين به (ولو حرصتم) أي جهدتم على إقامة العدل في الحب (فلا تعجلوا كل الميل) إلى التي تحبونها في القسم والنفقة أي أنكم لستم منييين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لأن ذلك خارج عن وسعكم ولكنكم منييون عن إظهار ذلك التفاوت في القول والفعل (فتذروها كما ملقة) أي فتبقي الأخرى لأيم ولا ذات بعل كما أن الشيء المعلق لا يكون على الأرض ولا على السماء وفي قراءة أبي فتذروها كما مله سجونة (وان تصلحوا) ماضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة (وتتقوا) في المستقبل عن مثل ما غفر الله لكم ذلك (فإن الله كان غفورا رحيما) فيغفر ما حصل في القلب من الميل إلى بعضهن دون البعض ويتفضل عليكم برحمته (وان يفرقا يغن الله كلا من سعته) أي وإن رغبنا في المفارقة بأن لم يتفقا بصلح أو غيره يغن الله كلا واحد منهما عن صاحبه بزواج خير من زواجه الأول يعيش أهنا من عيشه الأول من غناه تعالى وقدرته (وكان الله واسعا) أي في العلم والقدرة والرحمة والفضل والجود (حكيم) أي متقنا في أفعاله وأحكامه (ولله ما في السموات وما في الأرض) من الموجودات من الخلق والخرائن فيهما (والقدوسين الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله) أي ولقد أمرنا اليهود والنصارى ومن قبلهم من الأمم وأمرناكم يا أمة محمد في كتابكم بطاعة الله وهي وصية الله في الأولين والآخرين فهي شريعة عامة لجميع الأمم لم يلقها ناسخ (وان تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا غنيها) أي وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فاعلموا أن الله ما في سمواته وما في أرضه من أصناف المخلوقات

من يعبدوه وكان مع ذلك غنيا عن خلقهم وعن عبادتهم ومستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمد أحد
 منهم فهو تعالى في ذاته محمود سواء حمدوه أو لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم
 وتقواهم وأغناوصاهم بالتقوى لرحمته لا حاجته فهو منزّه عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين فلا
 يزاد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات (ولله ما في السموات وما في الأرض) من الخلاق
 قاطبة مفتقرون إليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن قبضه طرفة عين فحقه أن يطاع
 ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه (وكفى بالله وكيل) في تدبير أمور الكل وكل الأمور فلا بد من
 أن يتوكل عليه لا على أحد سواه (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) أي إن يشأ أفسأكم
 بالكلية وإيجاد قوم آخرين يشتغلون بعبوديته وتعظيمه يغفركم بالمرة ويوجد مكانكم قوما خيرا منكم
 وأطوع لله (وكان الله على ذلك) أي أهلاكمهم وتخليق غيركم (قديرا) أي إن أبقأكم على ما أنتم
 عليه من العصيان أغناهم لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق إرادته باستئصالكم لا ليجزه تعالى عن
 ذلك (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أي من كان يريد بعمله منفعة الدنيا
 فلا يتصر عليه وليطلب الثوابين فعند الله ثواب الدارين وقال الفخر الرازي تقرير الكلام فعند الله ثواب
 الدنيا والآخرة إن أراد الله تعالى وعلى هذا التقدير يتعلق الجزاء بالشرط وقال ابن عباس من كان
 يريد منفعة الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه فليعمل لله فإن ثواب الدنيا والآخرة بيد الله أي فإن العاقل
 يطلب ثواب الآخرة حتى يحصل له ذلك ويحصل له ثواب الدنيا على سبيل التبع (وكان الله سميعا بصيرا)
 أي عالما بجميع السموات والمبصرات (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) أي
 كونوا مبالغين في اختيار العدل وفي الاحتراز عن الجور تقيمون شهادتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها
 (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أي ولو كانت الشهادة وبالاعلى أنفُسكم أو آبائكم أو أقاربكم
 (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) أي إن يكن المشهود غنيا أو فقيرا فلا تسكتوا الشهادة أما
 لطلب رضا الغني أو لترحم على الفقير فالله أولى بأمرهما ومصلحهما ما وفي قراءة أبي فالف أولى بهم وهو
 أماراجع إلى قوله أو الوالدين والأقربين أو راجع إلى جنس الغني وجنس الفقير وقرأ عبد الله أن يكن
 غني أو فقير على كان التامة (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي لاجل أن تعدلوا والمعنى أتركوا متابعه
 الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل (وان تلووا) بواوين على قراءة الجمهور أي وان تحرفوا
 ألسنتكم عن شهادة الحق وقرأ ابن عامر وحزرة وان تلووا بضم اللام وحذف الواو الأولى أي ان تقرأوا
 الشهادة وتقبلوا عليها (أو تعرضوا) عن أداء الشهادة أصلا (فإن الله كان بما تعملون خبيرا)
 فيجازي المحسن المقبل والمسيء المعرض نزلت هذه الآية في مقيس بن حبابه كانت عنده شهادة على أبيه
 (يا أيها الذين آمنوا) في الماضي والحاضر (آمنوا) في المستقبل (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه
 وسلم (والكتاب الذي نزل على رسوله) وهو القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) أي قبل القرآن
 أو المعنى يا أيها الذين آمنوا على سبيل التقليد آمنوا على سبيل الاستدلال أو يا أيها الذين آمنوا بحسب
 الاستدلالات الجمالية آمنوا بحسب الدلائل التفصيلية وهذا خطاب لسكافة المسلمين وقيل هو خطاب
 لمؤمني أهل الكتاب لما إن عبد الله بن سلام وابن أخيه سلمة وأسدا وأسيدا ابني كعب
 وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله اننا نؤمن بك
 وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل

آمنوا بالله ورسوله محمد و بكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت هذه الآية فآمنوا
 كلهم (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر) أي ومن يكفر بواحد من ذلك
 المذكور (فقد ضل ضلالا بعيدا) بحيث يعسر العود من الضلال إلى سواء الطريق (إن الذين آمنوا
 ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) أي إن الذين يتكبر منهم الكفر بعد الإيمان مرات
 ثم ماتوا على الكفر أو المعنى إن الذين أظهروا الإسلام ثم كفروا بكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم آمنوا
 بالسنتهم فكلموا جمعاً من المسلمين قالوا أنا مؤمنون وانما أظهروا الإيمان لتجربى عليهم أحكام المؤمنين
 ثم كفروا فاذا دخلوا على شياطينهم قالوا أنا معكم انما نحن مستهزؤن ثم ازدادوا كفرا باجتهادهم في
 استخراج أنواع المكفر في حق المسلمين وجموتهم على الكفر (لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم سبيلا) فإن
 كل من كل كثير الانتقال من الإسلام إلى الكفر لم يكن للإسلام في قلبه عظم فلا يتوب عن الكفر حتى
 يموت عليه (بشر المنافقين) أي أنذرهم (بأن لهم عذابا أليما الذي يتخذون الكافرين أولياء من دون
 المؤمنين) أي فإن المنافقين يوالون اليهود ويقول بعض المنافقين لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا لليهود
 فيقولون إن العزة لهم (أيتبعون) أي أيتطلب المنافقون (عندهم العزة) أي عند اليهود والقوة
 (فإن العزة لله جميعا) أي أن القدرة الكاملة لله وكل من سواه فباقداره صار قادرا وباعـزازه صار عزيزا
 فالعزة الحاصلة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لم تحصل إلا من الله تعالى فكان الأمر عند التحقيق
 أن العزة جميعا لله (وقد نزل عليكم) يا معشر المنافقين (في الكتاب) أي القرآن في سورة الانعام
 قبل هذه آية (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها) أي أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها
 ومستهزئا بها (فلا تعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي الكفر والاستهزاء وذلك قوله تعالى
 وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا نزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون في
 القرآن ويستهزؤن به في مجالستهم ثم إن أخبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين
 والقاعدون معهم والواقفون لهم على ذلك الكلام المنافقون فقال تعالى مخاطبا للمنافقين قد نزل عليكم
 في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويسـتهزئ بها أي إذا سمعتم آيات الله حال ما يكفر بها
 ويستـهزئ بها (أنكم إذا مثلهم) أي أنكم أيها المنافقون مثل أولئك الأخبار في الكفر قال أهل
 العلم هذا يدل على أن من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر يراه وخالط أهله وإن لم يباشركان في
 الاثم بمنزلة المباشر أما إذا كان ساخطا لقولهم وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر ليس كذلك
 فالمنافقون الذين كانوا يجالسون اليهود وكانوا يطعنون في الرسول والقرآن هم كافرون مثل أولئك
 اليهود أما المسلمون الذين كانوا بمكة يجالسون الكفار الذين كانوا يطعنون في القرآن فانهم كانوا باقين على
 الإيمان فهم كانوا يجالسون الكفار عند الضرورة بخلاف المنافقين فانهم كانوا يجالسون اليهود مع الاختيار
 (إن الله جامع المنافقين) أي منافق أهل المدينة عبد الله بن أبي وأصحابه (والكافرين) أي كفار أهل مكة
 أبي جهل وأصحابه وكفار أهل المدينة كعب وأصحابه (في جهنم جميعا) أي كما أنهم اجتمعوا على الاستهزاء
 بآيات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيامة (الذين يتربصون بكم) أي إن المنافقين
 ينتظرون أمركم وما يحدث لكم من خير أو شر (فإن كان لكم قنع من الله) أي ظهور على اليهود (قالوا)
 أي المنافقون للمؤمنين (ألم نكن معكم) أي مظاهرين لكم فاعطونا قسما من الغنمة (وإن كان للكافرين)
 أي اليهود (نصيب) أي ظفر على المسلمين (قالوا) أي المنافقون لليهود (ألم نستخوذ عليكم) أي

ألم تغلبكم وتتمكن من قتلكم وأمركم ثم لم تفعل شيئا من ذلك (وغنعمكم من المؤمنين) بأن تبطنناهم عنكم
 والالكنتم نهيبة للنوايب فها توالنا نصيبا عما أصبتم وقيل ان أولئك الكفار كانوا قد هموا بالدخول في
 الاسلام والمناققون جذروهم عن ذلك واطمعوهم انه سيضعف أمر محمد وسيقوى أمرهم فاذا اتفقت
 لهم صولة على المسلمين قال المناققون للكفار السنّا غلبناكم على رأيكم في الدخول في الاسلام ومنعناكم
 منه وقلنا لكم سيضعف أمر محمد ويقوى أمركم فلما شاهدتم صدق قولنا فادفعوا اليها نصيبا مما وجدتم
 (فإن الله يحكم بينكم) أي بين المؤمنين والمنافقين (يوم القيامة) أي فان الله تعالى ما وضع السيف في
 الدنيا عن المنافقين بل أخر عقابهم إلى يوم القيامة وأجرى عليهم حكم الاسلام في الدنيا (ولن يجعل
 الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة إلى يوم القيامة ويتفرع
 على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها ان الكافر لا يرث من المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم
 وأحرزه في دار الحرب لم يعد له ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى
 بدلالة هذه الآية وقيل المعنى ليس لاحد من الكافرين ان يغلب المسلمين بالمجعة وان يهود دولة المؤمنين
 بالكلية وقال ابن عباس ولن يجعل الله لليهود على المؤمنين دولة دائما (ان المنافقين يخادعون الله وهو
 خادعهم) أي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطال الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه تعالى
 الدنيوية والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا وأعد لهم في الآخرة الدرك
 الاسفل من النار قال جرير زلت هذه الآية في حق عبد الله بن أبي وأبي عامر بن النعمان وقال الزجاج أي
 يخادعون رسول الله فيبطنون له الكفر ويظهرون له الايمان والله مجازيهم بالعقاب على خداعهم
 وقال ابن عباس انه تعالى خادعهم في الآخرة عند الصراط وذلك انه تعالى يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين
 فاذا وصلوا الى الصراط انطفأ نورهم وبقوا في الظلمة ويبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين انظرونا
 نقبس من نوركم ويقول المؤمنون ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ودليل ذلك قوله تعالى مثلهم كمثل الذي
 استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (واذا قاموا الى
 الصلاة) أي أتوا الى الصلاة مع المؤمنين (قاموا كسالى) أي متشاقلين متباطئين لانهم لا يرجون بها
 ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا (يراؤون الناس) ليحسبوهم مؤمنين فانهم لا يقومون اليها الا لاجل
 الرياء والسمعة لاجل الدين (ولا يذكرون الله الا قليلا) أي لا يصلون الا بجرأى من الناس واذا لم
 يكن معهم أحد لم يصلوا ولا يذكرون الله الا باللسان فقط (مفذين بين ذلك) أي متردد بين كفر
 السر وايمان العلانية (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) أي ليسوا مع المؤمنين في السر فيجب لهم ما يجب
 للمؤمنين وليسوا مع اليهود في العلانية فيجب عليهم ما يجب على اليهود (ومن يضلل الله فلن تجد
 سبيلا) موصلا الى الصواب (يا أيها الذين آمنوا) بالسر والعلانية (لا تتخذوا الكافرين) أي
 المجاهدين بالكفر (أولياء من دون المؤمنين) المخلصين (أتريدون) يا معشر المؤمنين المخلصين
 (أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا) أي أتريدون بذلك أن تجعلوا لاهل دين الله وهم الرسول وأمة حجة
 بينة على كونكم منافقين فان مواليتهم أوضح أدلة النفاق وقيل المعنى يا أيها الذين آمنوا بالعلانية عبد
 الله بن أبي وأصحابه لا تتخذوا اليهود أولياء في التعذر من دون المخلصين أتريدون يا معشر المنافقين أن
 تجعلوا الرسول الله عليكم عذرا بينا بالقتل أو المعنى أتريدون أن تجعلوا الله عليكم في عقابكم حجة بسبب
 مواليتكم لليهود (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وهو الطبقة التي في قعر جهنم لانهم

أخبت الكفر حيث ضمو إلى الكفر الاستهزاء بالاسلام وأهله وخذاعهم ولأنهم لما أظهر والاسلام
يكنهم الاطلاع على أمر الاسلام ثم يخبرون الكفار بذلك فكانت المحنة تتضاعف من هؤلاء المنافقين
لهذه الأسباب جعل الله عذابهم أزيد من عذاب الكفار الخالص (ولن تجد لهم) أي المنافقين
(نصرا) يخلصهم من عذاب الله ثم استثنى الله من الغدير المجرور أو من الضمير المستكن في خبران بقوله
(الذين تابوا) عن النفاق والقبیح (وأصلحو) أي أقدموا على الحسن (واعتصموا بالله) بأن
يكون غرضهم من التوبة وإصلاح الأعمال طلب مرضاة الله تعالى لا طلب مصلحة الوقت (وأخلصوا
دينهم لله) بأن يكون ذلك الغرض خالصا لا يترجى به غرض آخر (فاؤلفك) المتصفون بهذه الشروط
الأربعة من المنافقين (مع المؤمنين) أي المخلصين الذين لم يصدر عنهم نفاق أصلا منذ آمنوا أي معهم في
الدرجات العالية من الجنة (وسوف يؤت الله المؤمنين) أي يعطي الله الخالص (أجرا عظيما) أي
ثوابا وافر في الجنة (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) فما استفهامية مفيدة للنفي أي أيعذبكم
الله لأجل التشفي من الغيظ أم لطلب النفع أم لدفع الضرر كما هو شأن الملوكة وكل ذلك محال في حقه
تعالى وإنما التعذيب أمر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايان والشكر انتفى التعذيب وتقديم الشكر
على الايمان لان الانسان اذا نظرت في نفسه رأى النعمة العظيمة حاصلة في تخليقها وترتيبها فيشكر شاكرا
مجملا ثم اذا تم النظر في معرفة المنعم آمن به ثم شكر شاكرا مفصلا فكان ذلك الشكر الجميل مقبولا على
الايمان (وكان الله شاكرا) أي مثنيا على الشكر (علما) أي بجميع الجزئيات فلا يقع الغلط له
تعالى البتة فيوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من
ظلم) أي لا يحب الله تعالى ان يجهر أحدا بالسوء كائن من القول الا جهر من ظلم فهو غير مسخوط عنده
تعالى وذلك بأن يقول سرق فلان مالي أو غصني أو سبني أو قذفتني ويدعو عليه دعاء جائزا بأن يكون بقدر
ظلمه فلا يدعو عليه بخراب دياره لأجل أخذ ماله منه ولا يسب والده وان كان هو فعل كذلك ولا يدعو عليه
لأجل ذلك بالهلاك بل يقول اللهم خلص حقي منه أو اللهم جازه أو كافئه ولا يجوز ان يدعو عليه بسوء الخاتمة
أو الفتنة في الدين فالدعاء بغيره رما ظلم به حرام كاللعمري يستحيل عادة أو عقلا ومثل المظلوم ما اذا أريد
اجتماع على شخص فيجب على من علم عيوبه بذل النصيحة له وان لم يستشره لان الدين النصيحة فيذكره
ما ينفعه يدفع به فان زاد حرم الزائد فالله تعالى لا يحب اظهار القبائح الا في حق من عظم ضرره وكثر مكرهه فعند
ذلك يجوز اظهار فضائحه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاسد بما فيه كي تحذره الناس وقرأ
الضحاك وزيد بن أسلم وسعيد بن جبير الا من ظلم بالبناء للفاعل والمعنى لاكن من ظلم فآثر كونه وقال
الفراء والزجاج لاكن من ظلم نفسه فانه يجهر بالسوء من القول ويفعل ما لا يحب به الله تعالى هذا ان جعل
الاستثناء كلاما منقطعاً عما قبله أما ان جعل متصلاً فيكون التقدير الا من ظلم فانه يجوز الجهر بالسوء
من القول معه (وكان الله سميعا) لقول الظالم والمظلوم ولفعلهما (علما) لفعل الظالم والمظلوم
ولقوله ما فليتق الله ولا يقل الا الحق ولا يقذف بسوء مستور فانه يصير عاصيا لله بذلك وهو تعالى سميع
لما يقوله علم بما يضره (ان تبدوا خيرا أو تحفوه) في إيصال النفع إلى الخلق (أو تعفوا عن سوء) كان
تدفعوا الضرر عنهم (فان الله كان عفوا) عن المذنبين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تعتدوا بسنة الله
تعالى كما قاله الحسن (قديرا) أي فهو أقدر على عفوذ نوبك منك على عفوذ نوب من ظلمك كما قاله
السكبي وقيل المعنى ان الله كان عفوا لمن عفا وهو المظلوم قديرا على إيصال الثواب إليه وعقوبة الظالم

وقوله تعالى فان الله الاية تعليل لجواب الشرط المقدر والتقدير فذلك أولى لكم من تركه لان الله الخ أعلم
 أن مواضع الخيرات على كثرتها محصورة في أمرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق فالذى يتعلق بالخلق
 محصور في قسمين ايصال نفع اليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى ان تبدوا خيرا أو تحفوه ودفع ضرر عنهم وهو
 المشار اليه بقوله تعالى أو تعفوا عن سوء فدخل في هذين القسمين جميع أنواع الخير وأعمال البر (ان الذين
 يكفرون بالله ورسوله) كاليهود فانهم آمنوا بعيسى والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن
 وكان نصارى فانهم آمنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقرآن (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله)
 بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) أى نؤمن ببعض الانبياء
 ونكفر ببعض (ويريدون) بقولهم ذلك (أن يتخذوا بين ذلك) أى بين الايمان بالكل أو الكفر بالكل
 (سيلا) أى ديناً وسطاً وهو الايمان ببعض دون البعض (أولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم
 الكافرون حقاً) أى كفرا كاملاً ثابتاً يقيناً لانه تعالى قد أمرهم بالايمان بجميع الانبياء عليه الصلاة
 والسلام وما من نبي من الانبياء الا وقد أخبر قومه بحقيقة دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فن كفر بواحد
 منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى (وأعتدنا للكافرين) اليهود وغيرهم (عذاباً مهيناً) أى شديداً
 يهانون به (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم) فى الايمان به (أولئك سوف يؤتيهم
 أجورهم) وقرأ عاصم فى رواية حفص بالياء والضمير راجع الى اسم الله والباقيون بالنون (وكان الله
 غفوراً) لما فرط منهم (رحيماً) أى مبالغاً فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك) يا أشرف
 الخلق (أهل الكتاب) أى أخبار اليهود (أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) روى ان كعباً وأصحابه
 وقفوا قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من عند الله فأتنا بكتاب من السماء بحملة
 كل جاء موسى بالالواح أى فلاتبال يا أشرف الخلق بسؤالهم فانه هادتهم (فقد سألوا) أى اليهود (موسى
 أكبر من ذلك) أى أعظم مما سألوكم (فقالوا أرنا الله جهرة) أى أرنا نره معاينة (فأخذتهم
 الصاعقة) أى فأحرقتهم النار التى جاءت من السماء (بظلمهم) وهو سؤالهم لما يستحيل وقوعه فى ذلك
 الوقت (ثم اتخذوا العجل) أى عبدوه (من بعد ما جاءتهم البينات) أى الصاعقة وحياتهم بعد
 موتهم ومهجرات موسى التى أظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وخلق البحر وغيرها (فعموا عن
 ذلك) أى تركوا عبادة العجل ولم يستأصلهم (وآتيناهم موسى سلطاناً مبيناً) أى قهراً ظاهر عليهم فانه
 أمرهم بقتل أنفسهم توبة من عبادة العجل فبادروا الى الامتثال فقتل منهم سبعون ألفاً فى يوم واحد
 (ورفعنا فوقهم الطور مبثاقهم) أى بسبب مبثاقهم على ان لا يرجعوا عن الدين ليخالفوا فلا ينقضوه
 فانهم هموا بنقضه (وقلنا) على لسان موسى أو على لسان يوشع (لهم ادخلوا الباب) أى باب بيت
 المقدس أو أريحا (مجدداً) أى مطأطئين الرؤس (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تعدوا) أى
 لا تظلموا باضطهاد الحيثان (فى السبت وأخذنا منهم) على الامتثال بما كافوه (ميثاقاً غليظاً)
 أى مؤكداً وقال ابن عباس وهو ميثاق وليق فى محمد صلى الله عليه وسلم (فبما نقضهم) فقامت
 والباء للسببية متعلقة بمحذوف أى فلعلناهم بسبب نقضهم (ميثاقهم وكفرهم بآيات الله) أى بالمهجرات
 فن أنكره هجرة رسول واحد فقد أنكر جميع مهجرات الرسل (وقتلهم الانبياء بغير حق) أى بلا جرم
 فانهم معصومون من كل نقيصة لا يتوجه عليه حق (وقولهم قلوبنا غلف) أى أوعية للعلم فلا حاجة
 بنا الى علم سوى ما عندنا فكذبوا الانبياء بهذا القول أو المعنى قلوبنا فى أغطية جبلية فهى لا تنفع ما تقولون

(بل طبع الله عليها بكفرهم) أي بل أحدث الله عليها صورة مانعة عن وصول الحق إليها أو بل ختم الله على قلوبهم بكفرهم (فلا يؤمنون) أي اليهود (الأقليلا) أي الأفرق منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه أو فلا يؤمنون أي المطبوع على قلوبهم إلا إيماناً قليلاً وهو الإيمان بعيسى والتوراة بحسب زعمهم فإن من يكفر برسول واحد وبمعجزة واحدة لا يمكنه الإيمان بأحد من الرسل البتة (وبكفرهم) لأنكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من دون الأب (وقولهم على مريم بهتنا عظيمًا) أي نسبتهم مريم إلى الزنا بعد ما ظهر منها من الكرامات الدالة على براءتها من كل عيب فإنها ملزمة للعبادة بأنواع الطاعات وعيسى تكلم حال كونه طفلاً منفصلاً عن أمه (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وصلبناه) (رسول الله) أي في زعم عيسى نفسه فإن وصفه بكونه بوضف الرسالة استهزأ به أو أن الله وضع الذكر الحسن بقوله رسول الله مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم فإنهم قالوا هو ساحر ابن ساحرة أو أن الله وصف له من عند الله تعالى مدحاً له وتنزيهاً له عن مقالاتهم الذي لا يليق به قال الله تعالى ابطأوا لا فتخارهم بقتل النبي والاستهزأ به (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) قال كثير من المتكلمين أن اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله تعالى إلى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم لما اتهموا اجتماعاً على قتله لأن الله حيي من سبوه وسبوا أمه قرده وخنازير بدعائه عليهم فأخذوا أناساً يقال له طيطافوس اليهودي وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه المسيح والناس ما كانوا يعرفونه إلا بالاسم لأنه كان قليل الخالطة للناس ثم إن تواتر النصارى ينتهي إلى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب وقال الضحاك لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلاً فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر إبليس جميع اليهود فركب أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال رجل يقال له سرجس أنا يا بني الله فألقى إليه مدرعته من صوف وعمامة من صوف وناولها عكازاً وألقى الله عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه وأما المسيح فكساه الله تعالى الریش وألبسه النور وقطع عنه لذة الطعام والمشراب فصار مع الملائكة (وإن الذين اختلفوا فيه) أي في شأن عيسى (لفي شك منه) أي من قتله (ما لهم به) أي بقتله (من علم إلا اتباع الظن) أي لكنهم يتبعون الظن فإن فسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه الناس فلا استثناء متصل أي لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود أنه كان كاذباً قتلناه حقاً وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فليس هذا المقتول بعيسى وقال آخرون بل هو هو وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى (وما قتلوه يقيناً) أي قتلا يقيناً كما قالوا انا قتلنا المسيح (بل رفعه الله إليه) أي إلى موضع لا يجري فيه حكم غير الله تعالى ولا يصل إليه حكم آدمي وذلك الموضع هو السماء الثالثة (وكان الله عزيزاً) أي كامل القدرة (حكيماً) أي كامل العلم فرفع عيسى من الأرض إلى السماء لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته (وإن من أهل الكتاب إلا يؤمن به قبل موته) أي وما من اليهود والنصارى أحد إلا يؤمن بعيسى قبل أن ترهق روحه بأنه عبد الله ورسوله فلا ينبغي إيماناً لا تقطاع وقت التكليف كما نقل عن محمد بن علي بن أبي طالب من الخليفة أن اليهود إذا حضروا الموت ضربت الملائكة وجوههم وبرز وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبياً فكذبته فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله ويقال للنصارى أتاك عيسى نبياً فزعمت أنه هو الله وابن الله فيقول آمنت أنه عبد الله وابن الله فأهل الكتاب

يؤمنون به ولكن لا ينفعهم ذلك الايمان (ويوم القيامة يكون) أي عيسى عليه السلام (عليهم) أي أهل
 الكتاب (شهيدا) فيشهد على اليهود انهم كذبوه وطمعنوا فيه وعلى النصارى انهم أشركوا به وكل نبي
 شاهد على أمته (فبظلم من الذين هادوا) أي فبسبب ظلم عظيم من الذين تابوا من عبادة الجبل (حرمتنا
 عليهم طيبات أحلت لهم) فان اليهود كانوا كلما فعلوا معصية من المعاصي يحرم عليهم نوع من الطيبات
 التي كانت محللة لهم ولمن قبلهم عقوبة لهم (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) أي وبجدهم عن دين الله
 ناسا كثيرا (وأخذهم الزبا وقد نهوا عنه) فان الزبا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا (وأكلهم أموال
 الناس بالباطل) أي بطريق الرشوة (وأعتدنا للكافرين منهم) أي هيأنا للكافرين على الكفر من
 اليهود (عذابا أليما) سيدوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون في العلم
 منهم) أي لكن المتكثرون في علم التوراة من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون)
 منهم ومن المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر
 الانبياء من الكتب (والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) أي وأعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة
 فالمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وجاء في مصنف عبد الله بن مسعود والمقيمون الصلاة بالواو
 وهي قراءة مالك بن دينار والحمدري وعيسى الثقفي وابن جبير وعاصم عن الأعشى وعمر بن عبيد
 (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قال أبو السعود والمراد بالكل مؤمنوا أهل الكتاب (أولئك) أي
 المتصفون بتلك الصفات الجميلة من أهل الكتاب (سنؤتيهم أجرا عظيما) وجملة هذه خبر اسم الإشارة
 والجملة من المبتدأ والخبر خبر قوله تعالى والراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد (أنا وأوحينا
 اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) أي بعد نوح (و) كما (أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل
 وإسمحق) ابني إبراهيم (ويعقوب) ابن اسحق (والأسباط) أي أولاد يعقوب الاثني عشر منهم
 يوسف نبي رسول باتفاق وفي البقية خلاف (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أي
 وكما أعطينا آباء (داود وزبور) وكان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم
 ومواعظ وتسميح وتقديس وتحميد وتمجيد وثناء على الله تعالى وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية
 فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس
 والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقفن بين يديه وترفق الطيور على رؤس الناس
 وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها قلما قارف الخطيئة تزال عنه ذلك (و) كما أرسلنا (رسلا قد
 قصصناهم عليك) أي مجينا هم لك في القرآن وعرفناك أخبارهم وما حصل لهم من قومهم (من قبل) أي
 من قبل هذه السورة أو هذه الآية أو قبل هذا اليوم (ورسلناهم عليهم عليك) أي لم نهمم لك ولم نعرفك
 أخبارهم والمعنى أنا وأوحينا اليك إياهم مثل ما أوحينا إلى نوح ومثل ما أوحينا إلى إبراهيم ومن بعده
 وآتيناك الفرقان إيتاء مثل ما آتينا داود وزبور وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلنا آخرين
 لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الإيحاء وأصل الارسل الكفرة يسألونك شيئا لم
 يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام (وكلم الله موسى تكليما) أي كلم على التدرج شيئا فشيئا
 بحسب المصالح بغير واسطة ملاك أي أزال الله تعالى عنه الحجاب حتى سمع المعنى القائم بذاته تعالى لأنه تعالى
 أحدث ذلك لأنه تعالى يتكلم أبدا والمعنى أنه تعالى بعث هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام
 بالتكلم معه ولم يلزم من تخصيص موسى بهذا التشریف الطعن في نبوة سائر الانبياء عليهم السلام

فكذلك لم يلزم من تخصيص موسى بانزال التوراة عليه دفعة واحدة طعن فيمن أنزل الله عليه الكتاب متفرقا وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأعطائه مثل ما أعطى كل واحد منهم وقرأ إبراهيم ويحيى بن وثاب وكلم الله بالنصب (رسلا) منصوب على المدح أو باضمار أرسلنا أو على الحال الموطئة لها بعدها أو على البدلية من رسلا الأول (مبشرين) لاهل الطاعة بالجنة (ومنذرين) للعصاة بالنار (لئلا يكون للناس على الله حجة) أي معذرة يعتذرون بها (بعد الرسل) أي بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يمتنع الناس يوم القيامة على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا لم ترسل إلينا رسولا ولم تنزل علينا كتابا فان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل وان قبول المعذرة عنده تعالى يقتضي كرمه ورحمته لعباده وهي بمنزلة الحجة التي لا مرد لها وله تعالى أن يفعل ما يشاء كيف يشاء (وكان الله عزيزا) لا يغالب في أمر من أموره (حكيم) في أفعاله فاختلف الكتب في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والأحكام انما هو لتفاوت طبقات الأمم في الأحوال التي عليها يدور فلاك التكليف فكلفهم الله بما يليق بشأنهم (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) بتخفيف النون ورفع الجلالة وبالبناء للفاعل أي لكن الله يشهد لك بحقيقة ما أنزل اليك من القرآن الناطق بنبوتك روى انه لما أنزل قوله تعالى انا وأوحينا اليك قال اليهود نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد والمعنى أن اليهود وان شهدوا بأن القرآن لم ينزل عليك يا محمد من السماء لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه أنزل عليه صلى الله عليه وسلم هذا القرآن البالغ في الفصاحة في اللفظ والشرف في المعنى الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته فكان ذلك معجزا واطهارا المعجزة شهادة بكون المدعي بالرسالة صادقا ولما كانت شهادته تعالى عرفت بواسطة انزال القرآن فقال لكن الله يشهد بما أنزل اليك أي يشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي أنزله اليك (أنزله بعلمه) بأنه في غاية الحسن ونهاية السكال وهذا مثل ما يقال في الرجل المشهور بكل الفضل والعلم اذا صنف كتابا واستقصى في تحريره انه انما صنف هذا الكتاب بعلمه وفضله أي انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيف هذا الكتاب فيدل ذلك القول على وصف ذلك التصنيف بغاية الجودة ونهاية الحسن فكذا ههنا (والملائكة يشهدون) بصدقه وانما تعرف شهادة الملائكة له صلى الله عليه وسلم بذلك لان ظهور المعجز على يده صلى الله عليه وسلم يدل على انه تعالى شهد له بالنبوة واذا شهد الله له بذلك فقد شهدت الملائكة بذلك بلا شك لانه ثبت في القرآن انهم لا يسبقونه تعالى بالقول والمعنى يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله تعالى وهو اله العالمين يصدقك في ذلك وملائكة السموات السبع والعرش والكروبي يصدقونك في ذلك ومن صدقه الله والملائكة أجمعون لم يلتفت الى تكذيب أخس الناس (وكفى بالله شهيدا) على صحة نبوتك وان لم يشهد غيره (ان الذين كفروا) بما أنزل الله وشهد به (وصدوا عن سبيل الله) أي دين الاسلام من أراد سلوكه وهم اليهود حيث قالوا ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقالوا لو كان رسولا لاتي بكتاب دفعة واحدة من السماء وقالوا ان الله ذكر في التوراة أن شريعة موسى لا تنسخ الى يوم القيامة وقالوا ان الانبياء لا يكونون الا من ولد هرون وداود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق والصواب لان أشد الناس ضلالا من كان ضالا ويعتقد في نفسه انه محق ثم يتوسل بذلك الضلال الى اكتساب المال والجاه ثم يبذل غاية في طاقته في القاء غيره في مثل ذلك الضلال (ان الذين كفروا وظلموا) محمد ابكتهم ذكر بعثته وعوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم وما تواعى الشرك (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) الى الجنة يوم القيامة (الاطريق

جهنم خالدين فيها أيدوا كان ذلك) أي جعلهم خالدين في جهنم (على الله يسيرا) أي لا يمتد عليه شيء
 فكان اتصال الألام اليهم شيئا بعد شيء إلى غير النهاية يسيرا عليه وإن كان معتذرا على غيره (يا أيها
 الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أي يا أهل مكة قد جاءكم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن
 أو متكلم بالدعوة إلى عبادة الله والاعراض عن غيره من عند ربكم (فآمنوا خير لكم) أي فآمنوا
 بالرسول يكن ذلك الايمان خيرا لكم عما أنتم فيه أي يكن أحمد عاقبة من الكفر (وإن تكفروا فإن الله
 مافي السموات والارض) أي وإن تكفروا بالرسول فإن الله غني عن ايمانكم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع
 بايمانكم لأنه مالك السموات والارض وخالقهما ومن كان كذلك كان قادرا على ازال العذاب الشديد
 عليكم لو كفرتم أو فن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادوا لأمره وحكمه أو فن كان لم يكن محتاجا
 إلى شيء (وكان الله عليما) لا يخفى عليه من أعمال عباده المؤمنين والكافرين شيء (حكيم) لا يضيع
 عمل عامل منهم ولا يسوي بين المؤمن والكافر والمحسن والمسيئ (يا أهل الكتاب) أي الانجيل من
 النصاري (لا تغلوا في دينكم) أي لا تبس الغلوا في تعظيم عيسى فإنه ليس بحق كما أن اليهود بالغوا في
 طعنه حيث قالوا إنه ابن زانية وكلا طرفي قصدهم ذميم (ولا تقولوا على الله الا الحق) أي لا تصفوه بما
 يستحيل اتصافه تعالى به من الاتحاد والخلول في بدن الانسان أو روحه واتخاذ الزوجة والولد بل زهوه
 عن هذه الاحوال فإن نصارى أهل نجران أربعة أنواع ملكانية وهم الذين قالوا عيسى والرب شريك
 ومقر قوسية وهم الذين قالوا ثالث ثلاثة ومار يعقوبية وهم الذين قالوا عيسى هو الله ونسطورية وهم الذين
 قالوا عيسى بن الله فانزل الله فيهم هذه الآيات (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله) فالمسيح مبتدا
 وعيسى بدل منه أو عطف بيان له وابن مريم صفة له ورسول الله خبرا مبتدا (وكلمته) أي مكنون بأمره
 من غير واسطة أب ولا نطفة (ألقاها إلى مريم) أي أوصل الكلمة إليها بنفخ جبريل (وروح منه)
 أي وروح صادر من أمر الله فصار ولدا بلا أب وقد جرت عادة الناس أنهم اذا وصفوا شيئا بغاية الطهارة
 والنظافة قالوا أنه روح فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وانما تكون من نفخة جبريل وصف
 بأنه روح وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لروح أي كائنة من عند الله وجعلت منه تعالى وإن
 كانت بنفخ جبريل لكون النفخ بأمره تعالى ومن ابتدائية لا كما زعمت النصاري من أنها تبعية حكي
 أن طيبيا حاذق نصرانيا جاء للرشيد فناظر على بن الحسين المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابهم ما يدل
 على أن عيسى جزء من الله وتلاه هذه الآية فقرأ المروزي ومخرجاكم مافي السموات وما في الارض جميعا منه
 فقال اذا يلزم أن يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه تعالى فانه قطع النصراني فأسلم وفرح الرشيد فرحاشديدا
 وأعطى للمروزي عطاء عظيما (فآمنوا بالله) واعتقدوا الوهيته وحده (ورسله) أجمعين وصفوهم
 بالرسالة ولا تصفوا واحدا منهم بالالوهية (ولا تقولوا ثلاثة) أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ولا تقولوا
 ان الله واحد بالجوهر ثلاثة بالاقانيم (انتهوا خير لكم) أي انتهوا عن مقالاتكم بالتثليث يكن ذلك
 الانتهاء خيرا لكم (انما الله واحد) أي منفرد في الوهيته (سبحانه أن يكون له ولد) أي أسبحه
 تسبيحا من أن يكون له ولد أو سبحانه من ذلك وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع الفعل أي
 سبحانه ما يكون له ولد (له مافي السموات وما في الارض) فن كان مالكا لهما وما فيهما ما كان مالكا
 لعيسى ومريم واذا كانوا لو كين له فكيف يتوهم كونهم له ولدا وزوجة (وكفى بالله وكيلا) أي ربا
 الخلق فانه كاف في تدبير المخلوقات وفي حفظ المحدثات فلا حاجة معه إلى اثبات اله آثم (لن يستنكف

المسيح أن يكون عبدا لله) أي لن يرفع عن أن يكون عبدا لله تعالى أي مقرا بالعبودية لله مستقرا على
 عبادته وطاعته روى أن وفد فجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول أنه عبد الله فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف المسيح أن يكون
 عبدا لله وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبدا لله بصيغة التصغير (ولا الملائكة المقربون) أي
 ولا يستنكف الملائكة المقربون كحمله العرش أن يقروا بالعبودية لله أي لن يستنكف المسيح عن
 عبادة الله تعالى بسبب أنه قادر على الاتيان بخوارق العادات من الأحياء والأبرار وعالم بالمغيبات مخبر عنها
 وممتاز عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالرفع إلى السماء فإن الملائكة المقربين أعلى حالاً منه في
 العلم بالمغيبات لأنهم مطلعون على اللوح المحفوظ وأعلى حالاً منه في القدرة لأن أربعة منهم حملوا العرش
 على عظمتهم وأنهم مخلوقون من غير أب وأم ومقارهم السموات العلى ولا خلاف لاحد في علو درجته من
 هذه الحالات وإنما الخلاف في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات ثم إن الملائكة مع كمال حالهم في
 العلوم والقدرة لن يستنكفوا عن عبودية الله فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر
 القليل الذي كان معه من العلم والقدرة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً)
 أي ومن يترفع عن طاعته تعالى ويعد نفسه كبيراً أي يعتقد أنها كذلك فإن الله يجمع المترفعين والمعتقدين
 أنفسهم كبيرة ومقابلتهم وهم غيرهم إليه تعالى يوم القيامة حيث لا يعلو كون لأنفسهم شيئاً فيجازيهم
 (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى بهم أجورهم) من غير أن ينقص من أجرهم شيئاً أصلاً (ويرى يدهم
 من فضله) بتضعيفها ضعافاً كثيرة وبإعطاء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أي
 على وجه التفصيل وإنما يخطر نعيم الجنان على قلوبنا ونسمع من السنة على وجه الإجمال (وأما الذين
 استنكفوا) عن عبادته تعالى (واستكبروا) أي عدوا أنفسهم كبيرة (فيعذبهم عذاباً أليماً)
 بما وجدوا من لذة الترفع والتكبر (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً) يلي مصالحهم (ولا نصيراً)
 ينجيهم من عذاب الله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان) أي رسول (من ربكم) وهو محمد صلى الله
 عليه وسلم وإنما سماه برهاناً لأن حرقته إقامة البرهان على تحقيق الحق وإبطال الباطل (وأنا أنزلنا إليكم
 نوراً مبيناً) أي نيراً بنفسه من نور الغيرة وهو القرآن وذلك بواسطة أنزاله على الرسول وسماه نوراً لأنه
 سبب لوقوع نور الإيمان في القلب أي فمنهم من آمن ومنهم من كفر (فأما الذين آمنوا بالله) في ذاته
 وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه (واعتصموا به) أي بالله في أن يثبتهم على الإيمان ويصونهم عن
 نزغ الشيطان (فسيدخلهم في رحمة منه) وهي الجنة ومنفعتهم (وفضل) أي إحسان زائد كالنظر
 إلى وجهه الكريم والتعظيم وغير ذلك من مواهب الجنة (ويهديهم إلى صراط مستقيماً) وهو الإسلام
 والطاعة والسعادة الروحية والجار والمجور وفي محل نصب حال من صراطاً والغير المجور وعائد على الله
 بتقدير مضاف أي إلى ثوابه (يستفتونك) أي يسألونك يا محمد عن الكلالة روى الشيخان عن جابر بن
 عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فأخمني على فتوضأ
 النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
 كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث يستفتونك الآيات
 وروى الطبري عن قتادة أن الصحابة أتهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فأزل
 الله هذه الآيات (قل الله يفتيك في الكلالة) وهو اسم يقع على الوارث وعلى الموروث فإن وقع على

الوارث فهو من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو الذي مات ولا يرثه أحد من الوالدين ولا أحد من الاولاد (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) أي ان مات امرؤ غير ذي ولد والدوله أخت شقيقة أو من الأب فلاخت نصف ما ترك بالفرض والباقي للعصبة أولها بالردان لم يكن له عصبة (وهو) أي المرأة الكلائة (يرثها) أي يرث أخته جميع ما تركت ان فرض موتها مع بقائه (ان لم يكن لها ولد) ذكر أو أنثى فان كان لها أول ولد ذكر فلا شيء له أولها أو ولد أنثى فله أولها الباقي من نصيبها (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أي فان كان من يرث بالاخوة أختان شقيقتان أو من أب فصاعد فلهما ولا كثر الثلثان مما ترك الميت من المال (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) أي وان كان من يرث بطريقي الاخوة أخوة مختلطة رجالا ونساء أو من أب ونساء شقيقات أو لأب فللذكر منهم مثل نصيب الأنثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب (يبين الله لكم) قسمة الميراث (أن تضلوا) أي لكيلا تخطئوا في قسمة الميراث وقيل المعنى يبين الله ضلالكم لتعلموا أن غير هذا البيان ضلال فتجنبوه (والله بكل شيء عليم) أي مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم

﴿سورة المائدة مدنية مائة وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وهي جميع ما ألزمه الله تعالى عباده من التكليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ديناً (أحلت لكم بهيمة الأنعام) أي أحلت لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وقيل المعنى أحلت لكم ما يماثل الأنعام ويدانيتها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب وذلك كالظباء وبقر الوحش ونحوهما من صيد البرية كحمر الوحش فأضيفت البهيمة الى الأنعام لحصول المشابهة أي أحلت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام وقيل المعنى أحلت لكم أجنة الأنعام وهذا القولان مرويان عن ابن عباس وهذا الثالث مروى أيضاً عن ابن عمر وهذا الوجه يدل على صحة مذهب الشافعي في أن الجنسين مذكي بكافة الام (الاما يتلى عليكم) في هذه السورة (غير محلي الصيد وأنتم حرم) أي الا ان كانت الأنعام ميتة أو موقوفة أو متردية أو نطيحة أو اقترسها السبع أو ذبحت على غير اسم الله فهي محرمة والا أن تحلوا الصيد في حال احرامكم أو في حال كونكم في الحرم فانه لا يحل لكم ذلك (ان الله يحكم ما يريد) من التحليل وغيره لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه فوجب التكليف والحكم هو ارادته لامرعاة المصالح (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً) أي يا أيها الذين آمنوا أقرؤا بالآيمان لا تحلوا معالم دين الله أي لا تهاونوا شيئاً من فرائضه تعالى ولا تحلوا الشهر الحرام ذا القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بالقتال فيه والغارة قال أبو السعود والمراد بالشهر الحرام شهر الحج وقال عكرمة هو ذو القعدة واختار ابن جرير أنه رجب لانه أكمل الأشهر الأربعة ولا تحلوا الهدى بالنصب أو بالمنع عن بلوغ محله وهو ما أهدي الى بيت الله من ابل أو بقر أو شاة ولا تحلوا ذوات القلائد من الهدى وهو البدن ولا تحلوا قوماً قاصدين زيارة المسجد الحرام بصددهم عن ذلك بأي وجهه كان وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام بالاضافة حال كونهم مبتغين فضلاً من ربهم بالتجارة المباحة والمعنى

طالبين ثواباً من ربهم ورضواناً وقرأ حميد بن قيس الأعرج تبتغون بالنساء على خطاب المؤمنين فالجملة
حيثئذ حال من الضمير في لا تحلوا واضافة الر ب الى ضمير الامين للاشارة الى اقتصاص التشرىف عليهم
(واذا حلتهم فاصطادوا) والامر للاباحة أى واذا اخرجتم من الاحرام والحرم فلا جناح عليكم في
اصطياد حيوان البرية (ولا يجرم منكم شئ ان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعة دوا) أى
ولا يحملنكم بعضكم لقوم من أهل مكة بمنعهم اياكم عن المسجد الحرام أى عن العمرة عام الحديبية على
ظلمكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى من البغض وقرأ أبو هريرة وابن كثير ان صدوكم بكسر الهمزة على أنه
شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرم منكم والمعنى ان وقع صد مثل ذلك الصد الذى وقع عام الحديبية
وهى سنة ست على أن نزل هذه الآية عام الفتح وهو سنة ثمان غير مجمع عليه (وتعاونوا على البر
والتقوى) أى على متابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم) أى المعصية للتشفى
(والعدوان) أى التعدى في حدود الله للانتقام (واتقوا الله) في جميع الامور ولا تستحلوا شياً من
محارمه (ان الله شديد العقاب) لمن لا يتقيه فلا يطبق أحد عقابه (حرمت عليكم الميتة) أى حرم
عليكم كل ما فارقه الروح من غير ذبح شرعى وكان أهل الجاهلية يقولون انكم تأكلون ما قتلتم
ولأنكم تأكلون ما قتل الله واعلم أن تحريم الميتة موافق لما فى العقول لان الدم جوهر لطيف جدا فاذامات
الحيوان حتف أنفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضار عظيمة (والدم) أى
السائل منه فخرج الكبد والطحال وكان أهل الجاهلية يعلون الامعاء من الدم بصبه فيها ويشوونه
ويطعمونه الضيف (ولحم الخنزير) قال أهل العلم الغذاء يصير جزأ من جوهر المغتذى فلا بد ان
يحصل للمغتذى أخلاق وصفات من جنس ما كان ماصلاً فى الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم
ورغبة شديدة فى المشتريات فحرم أكله على الانسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية ولذلك أن الغرنج لما
واظبوا على أكل لحم الخنزير أو رثهم الحرس العظيم والرغبة الشديدة فى المشتريات وأورثهم عدم
الغيرة فان الخنزير يرى الذكور من الخنازير ينزوع على الانثى التى هى له ولا يتعرض له لعدم الغيرة
وأما الشاة فانها حيوان فى غاية السلامة فكانت اذات عارية عن جميع الاخلاق فلذلك لا يحصل للانسان
بسبب أكل لحمها كيفية أجنبية عن أحوال الانسان (وما أهل لغير الله به) أى وما رفع الصوت لغير الله
عند ذبحه وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى (والمخنقة) أى التى ماتت بانعصار الحلق
فالمخنقة على وجوه منها ان أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة فاذامات أكلوها ومنها ما يخنق بحبل
الصائد ومنها ما يدخل رأسها بين عودين فى شجرة فتختنق وتموت (والموقوذة) أى المضرأوبة الى أن
ماتت ويدخل فى الموقوذة مارى بالبندق فماتت وهى فى معنى الميتة وفى معنى المخنقة لانها ماتت ولم يسلم
دمها (والمتردية) أى الساقطة من علوى سفلى فماتت ويدخل فيها ما اذا أصابه سهم وهو فى الجبل
فسقط عن الارض فانه يحرم أكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم ولو رمى عسيدها فى الهواء بسهم
فأصابه فان سقط على الارض ومات حل لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على شجر
أو جبل ثم تردى منه فمات لم يحل لانه من المتردية الا أن يكون السهم ذبحه فى الهواء فيحل كيفما وقع لان
الذبح قد حصل قبل التردية (والنطيحة) أى التى ماتت بنطح شاة أخرى وانما دخلت الهاء فى النطيحة
لانها صفة لمؤنث غير مذكور وهو الشاة كما تقول رأيت قبيلة بنى فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء
لم يعرف المقتول أرجل هو أم امرأة بخلاف ما اذا ذكر الموصوف فانه تحذف الهاء حيثئذ كقولهم كف

خضيب ولحية دهن وعين كحيل وخصت الشاة لانها من أعم ما يأكله الناس والكلام عيشى على الاغلب
 ويكون المراد الكل (وما أكل السبع) منه فئات وهي فريسة السبع قال قتادة كان أهل الجاهلية
 اذا جرح السبع شيئا فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي لحرمه الله تعالى (الاما ذكيتكم) أى الاما
 أدركتم ذلك وقدمت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء الخمسة وذلك بحيث يتحرك بالاختيار والا
 فلا يحل بتذكية لان موته حينئذ يحال على السبب المتقدم على التذكية من الخلق وأكل السبع
 وغيرهما (وما ذبح على النصب) أى على اعتقاد تعظيم النصب وقال ابن جرير النصب ليس بأصنام فان
 الأصنام أبحار مصورة منقوشة وهذه النصب أحجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها
 للأصنام وكانوا يلطخونها بدماء الدماء ويضعون اللحوم عليها ويعدون ذلك الذبح قربة فقال المسلمون
 يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه وكان النبي صلى الله عليه
 وسلم لم يذكره فأنزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها (وأن تستقسموا بالازلام) أى وحرم عليكم
 طلب معرفة ما قسم لكم من الخير والشرب بواسطة ضرب القداح بذلك أنهم اذا قصدوا سفرا أو غزوا أو تجارة
 أو نسكا أو أمرا آخر من معازم الامور ضرر بواثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمر في ربي وعلى الثاني
 نهاني ربي والثالث خال عن الكتابة فان خرج الامر أقدم على الفعل وان خرج النهي أمسك وان خرج
 الغفل أعاد العمل مرة أخرى (ذلكم) أى الاستقسام بالازلام (فسق) أى خروج عن الطاعة
 لانه طلب لمعرفة الغيب وذلك حرام وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من
 تكهن أراستقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة وذلك
 ضلال باعتقاده طريق الى الدخول في علم الغيب واقتراء على الله تعالى ان كان مرادهم ربي هو الله تعالى
 وقال قوم آخرون أنهم كانوا يحملون تلك الازلام عند الأصنام ويعتقدون أن ما يخرج من الامر والنهي
 على تلك الازلام فبارشاد الأصنام واعانتهم فلهذا السبب كان ذلك فسقا أى شركا وجهالة وهذا القول
 أولى وأقرب كما قاله الفخر (اليوم يشس الذين كفروا من دينكم) أى هذا الزمان انقطع رجاء كفار
 مكة من ابطال أمر دينكم (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا المشركين في خلافكم اياهم في الشرائع
 والاديان فاني أنعمت عليكم بالدولة القاهرة والقوة العظيمة وصاروا مقهورين لكم ذليلا بين عندكم
 (وأخشون) أى ومحضوا الخشية الى وحدي في ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه (اليوم أكملت
 لكم دينكم) بالنصر والاطهار على الاديان كلها والحكم ببقائه الى يوم القيامة (وأتممت عليكم
 نعمتي) بفتح مكة ودحوها آمين وبانفراد المسلمين بالبلد الحرام واجلاء المشركين عنه حتى حج المسلمون
 لا يخالطهم المشركون (ورضيت لكم الاسلام ديننا) أى اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين
 المرضى عند الله تعالى لا غير (فمن اضطر) الى تناول شيء من هذه المحرمات (في محصة) أى جماعة
 يخاف معها الموت (غير متجانف لاثم) أى غير متعمد لاثم بان يأكلها فوق الشبع تلذذا كما قاله
 أهل العراق أو بان يكون عاصيا بسفره كما قاله أهل الحجاز (فان الله غفور) لمن أكل المحرم عندما اضطر
 الى أكله (رحيم) بعباده حيث أحل لهم ذلك المحرم عند حاجتهم اليه أكله (يسألونك ماذا أحل
 لهم) من الصيد والسادا ونحوه بن عدي وسعد بن خيثمة وعوي بن ساعدة كذا قاله عكرمة كما
 أخرجه ابن جرير وقال ابن عباس والسائل بذلك زيد بن مهلهل الطائي وعدي بن حاتم الطائي وكانا
 صيادين وكذا قال سعيد بن جبير أخرجه ابن أبي حاتم (قل أحل لكم الطيبات) وهو أى كل ما يشتهي

عند أهل المروءة والاخلاق الجميلة ما لم تستغيبه الطباع السليمة ولم تنفر عنه مما لم يرد نص بتحريمه من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) أي وأحل لكم صيدها علمتموه من الكوااسب من سباع البهائم والطيور كالكتاب والباز (مكبلين) أي معلمين الجوارح الصيد (تعلمونهن) حال ثانية من ضمير علمتم والمقصود من التكرار المبالغة في اشتراط التعليم وإن يكون من يعلم الجوارح نحريراني علمه موصوفاً بالتأديب (عما علمكم الله) من طرق التعليم ومن الخيل في الاصطيد (فكلوا مما أمكن عليكم) أي كلوا بعض ما أمسكنه لكم وهو الذي لم يأكل منه • روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك فاذا كرام الله فان أدركته ولم يقتل فاذهب واذا كرام الله عليه وإن أدركته وقد قتل ولم يؤكل فكل فقد أمسك عليك وإن رجده قدأكل فلا تطعم منه شيئاً فان أمسك على نفسه (واذا كرام الله عليه) أي وهو على ما علمتم من الجوارح عند إرساله على الصيد كما قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرك اسم الله فكل أو هو على ما أمسكن عند ذبحه وقيل المعنى هو على كل الصيد • روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن أبي سلمة مع الله وكل مما يليك (واتقوا الله) أي واحذروا مخالفة أمر الله في تحليل ما أحله وتحريم ما حرمه (إن الله مريع الحساب) فانه تعالى يؤخذكم مريعاً في كل ما جعل ودق (اليوم أحل لكم الطيبات) أي المستلذات المشتهيات لأهل المروءة والاخلاق الجميلة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فيحل لنا كل ذبائح من تمسكوا بالتوراة والانجيل إذا حلت المناكحة بيننا وبينهم فحل الذبيحة تابع لحل المناكحة ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله تعالى كالنصراني يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته بخلاف من تمسكوا بغير التوراة والانجيل كصحف إبراهيم فلا تحل ذبائحهم واتفق العلماء على أن المجوس قدس بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وروى عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم مريضاً فامر المجوسي أن يذكرك الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس (وطعامكم حل لكم) فيحل لكم أن تطعموههم من طعامكم وتبيعوه منهم (والمحصنات) أي الحررات العفائف (من المؤمنات) أي حل لكم وذكركن العمل على ما هو الأولى لا تنفي ما عداهن فإن نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف وأما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند أبي حنيفة خلافاً للشافعي (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي هن حل لكم أيضاً وإن كن حريات قال الكثير من الفقهاء انما يحل نكاح الكتابية التي دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن فن دان ذلك الكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم الكتاب وهذا مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وأما أهل المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل أطلقوا القول بحل أكل ذبائح أهل الكتاب وحل التزوج من نسائهم ولو دخلوا في دين أهل الكتاب بعد نسختهم (إذا آتيتهم من أجورهن) وتقييد التحليل بإعطاء المهور يدل على تأكيد وجوبها وعلى أن الاكل بيانها لا هو شرط لصحة العقد لا تتوقف على دفع المهر ولا على التزامه ومن تزوج امرأة وعزم على أن لا يعطيها صداقها كان في صورة الزاني وتسوية المهر بالاجر يدل على أن أقل الصداق لا يتقدر كما أن أقل الاجر لا يتقدر في الاجارات (محصنين) أي متزوجين (غير مسافحين) أي غير معلمين بالزنا (ولا متخذين أخدان) أي ولا مسيرين بالزنا بمن لها حليل (ومن يكفر بالابن فقد حبط عمله) أي ومن يكفر بشرائع الله وبتمكاليه فقد بطل ثواب عمله الصالح سواء عاد إلى الاسلام أولاً (وهو في

الآخرة من الخاسرين) اذالم يعد الى الايمان بما نزل في القرآن حتى يموت على الكفر اما اذا عاد الى
 الايمان بذلك قبل الموت فان عمله لا يبطل فلا يجب اعادة صلاة وجميع قداتها ما قبل الردة (يا أيها الذين
 آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أي اذا أردتم الاشتغال بالصلاة وأنتم على غير وضوء (فاغسلوا
 وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فان صب الماء على المرفق حتى سال الماء الى الكف فلا يجوز لانه
 تعالى جعل المرافق غاية الغسل فجعله مبدأ الغسل خلاف الآية كذا قال بعضهم وقال جمهور الفقهاء ان
 ذلك لا يخل بصحة الوضوء الا أنه يكون تركاً للسنة (وامسحوا برؤوسكم) قيل الباء فارقة بين محل المسح
 بالكل والبعض كما في قولك مسحت المنديل ومسحت يدي بالمنديل فقولك مسحت المنديل لا يصدق
 الا عند مسحه بالكلية وقولك مسحت بالمنديل يكفي في صدقه مسح اليدين بجزء من أجزاء ذلك المنديل
 وتحقيق هذه الباء انها تدل على تضمين الفعل معنى الالتصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك
 لا يقتضي الاستيعاب (وأرجلكم الى الكعبين) قرأ ابن كثير وحزرة وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي
 بكر عنه بالجرو قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب اما القراءة بالجرف فهي معطوفة على
 الرأس فكما يجب المسح في الرأس كذلك في الأرجل وانما عطف الأرجل على المسح للتنبيه على
 الاسراف في استعمال الماء فيها لانها موضع صب الماء كثير او المراد غسلها أو مجرورة بحرف جر محذوف
 متعلق بفعل محذوف تقديره راقعوا بأرجلكم غسلا وحذف حرف الجر وابقاء الجر جائز ولا يجوز هذا
 الكسر على الجواز على انه منصوب في المعنى عطف على المغسول لانه معدود في اللحن الذي قد يحمل
 لاجل الضرورة في الشعر ويجب تنزيه كلام الله عنه ولانه يرجع اليه عند حصول الامن من الالتباس
 كما في قول الشاعر * كبير اناس في بجاد منزل * وفي هذه الآية لا يحصل الامن من الالتباس ولانه
 انما يكون بدون حرف العطف واما القراءة بالنصب فهي امام معطوفة على الرأس لانه في محل النصب
 والعطف على الظاهر وعلى المحل جائز كما هو مذهب مشهور للنحاة واما معطوفة على وجوهكم فظهر انه
 يجوز أن يكون عامل النصب في قوله تعالى وأرجلكم هو قوله تعالى وامسحوا وقوله تعالى فاغسلوا فاذا
 اجتمع العام لان على معمول واحد كان الاولى اعمال الاقرب حتى ان بعضهم لا يجوز ان يكون العامل
 فاغسلوا لما يلزم عليه من الفصل بين المتعاطفين بجملة مبينة حكما جديد ليس فيها تأكيده للاول وليست
 هي اعتراضية فوجب أن يكون عامل النصب في قوله وأرجلكم هو قوله وامسحوا فتدل هذه الآية على
 وجوب مسح الأرجل لكن الاخبار الكثيرة زدت بإيجاب الغسل وهو مشتمل على المسح ولا ينعكس
 فكان الغسل أقرب الى الاحتياط فوجب الرجوع اليه ويجب القطع بان غسل الأرجل يقوم مقام
 مسحها وأيضا ان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لافي المسح وهذا جواب
 لقولهم ولا يجوز دفع وجوب مسح الرجلين بالاخبار لانها بامرهما من باب الأحاد ونسخ القرآن بخبر الواحد
 لا يجوز (وان كنتم جنبا فاطهروا) أي فاغتسلوا والحصول الجنابة سببان نزول المني والتقاء الختانين
 فختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة وشفر المرأة محيطان بثلاثة أشياء ثقبه في أسفل
 الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبه أخرى فوق هذه مثل أحليل الذكر وهي مخرج
 البول لا غير وموضع ختانها هو فوق ثقبه البول وهناك جلدة قائمة مثل عرف الديك وقطع هذه الجلدة
 هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانها ختانه (وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء كجراحة
 أو جلدري (أو على سفر) أي مستقرين عليه (أو جاء أحد منكم من الغائط) أي الموضع الذي

يقضى فيه حاجة الانسان التي لا بد منها (أولامستم النساء) بذكرا أو غيره (فلم تجدوا) يا معشر
المسافرين والمحدثين حدثا أصغرا أو أكبر (ماء) بعد طلبه (فتيموا صعيدا طيبا) أى فاقصدوا ترابا
نظيفا (فامسحوا بوجوهكم) بالضربة الاولى (وأيديكم) بالضربة الثانية (منه) أى التراب
(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى ضيق بما فرض عليكم من الطهارة للصلاة (ولكن يريد
ليظهركم) أى ليظهر قلوبكم عن صفة التردد عن طاعة الله تعالى لأن الكفر والمعاصي نجاسات للارواح
وذلك لأنه تعالى لما أمر العبد بإيصال الماء الى هذه الاعضاء المخصوصة وكانت طاهرة لم يعرف العبد في
هذا التكليف فائدة معقولة فلما انتقاد لهذا التكليف كان ذلك الانقياد لمحض اظهار العبودية فأزال هذا
الانقياد عن قلبه آثار التردد فكان ذلك طهارة (وليمت نعمته عليكم) ببيان كيفية الطهارة وهي نعمة الدين
بعد ذكر نعمة الدنيا وهي اباحة الطيبات من المطاعم والمناكح أو بالترخص في التيمم والتخفيف في حال
السفر والمرض فاستدلوا بذلك على انه تعالى يخفف عنكم يوم القيامة بأن يعفو عن ذنوبكم ويتجاوز عن
سيئاتكم (اعلمكم تشكرون) نعمته (واذكروا نعمة الله عليكم) أى تأملوا في جنس نعم الله عليكم وهو
اعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات والايصال الى جميع الخيرات في الدنيا
والآخرة فجنس نعمة الله جنس لا يقدر عليه غير الله فتي كانت النعمة على هذا الوجه كان وجوب الاشتغال
بشكرها أتم (وميثاقه الذي واثقكم به) بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قلتم سمعنا وأطعنا)
وهو الميثاق التي حرت بين رسول الله والمسلمين في أن يكونوا على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه
مثل مبايعته صلى الله عليه وسلم مع الانصار في أول الامر ليلة العقبة ومبايعته صلى الله عليه وسلم مع
عامة المؤمنين ببيعة الرضوان تحت الشجرة في الحديبية وغيرهما وقال السدي المراد بالميثاق الدلائل
العقلية والشرعية التي نصبها الله تعالى على التوحيد والشرائع وهو اختيار أكثر المتكلمين (واتقوا
الله) في نسيان نعمته ونقض ميثاقه (ان الله علم بذات الصدور) فلا تعزموا بقول بكم على نقض تلك
العهد فانه ان خطر ببالكم فانه يعلم ذلك وكفى بالله مجازيا (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله)
بأن تقوموا لله بالحق في كل ما يلزمكم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط)
فلا تشهدوا بأمر مخالف للواقع بل اشهدوا بما في نفس الامر والتكاليف محصورة في نوعين تعظيم أمر
الله والشفقة على خلق الله فقوله تعالى كونوا قوامين اشارة الى النوع الاول وهو حقوق الله وقوله تعالى
شهداء بالقسط اشارة الى الثاني وهو حقوق الخلق (ولا يجرم منكم شئ أن لا تعدلوا) أى
لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم بل اعدلوا فيهم وان أساءوا عليكم
والمعنى ان الله تعالى أمر جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحدا الا على سبيل الانصاف وترك الاعتساف
(اعدلوا) في عدوكم ووليكم (هو) أى العدل (أقرب للتقوى) أى الى الاتقاء من معاصي الله
تعالى أو الى الاتقاء من عذاب الله (واتقوا الله) فيما أمركم ونهاكم (ان الله خير بما تعملون) فلا
يخفى عليه شئ من أحوالكم فيجازيكم على ذلك (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بالعدل
والتقوى (لهم مغفرة) أى اسقاط السيئات (وأجر عظيم) وهو إيصال الثواب وجملة قوله لهم مغفرة
بيان للوعد لا محل لها فكأنه قيل وأى شئ وعده فقال المجيب لهم مغفرة وأجر عظيم (والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى ملازموها وهذه الجملة مستأنفة أتى بها جمع بين الترغيب
والترهيب أيقاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم

أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله) أي كونوا مواظبين على طاعة الله تعالى
 ولا تخافوا أحدا في إقامة طاعات الله تعالى (وعلى الله فليتكلم المؤمنون) وسبب نزول هذه الآية
 وجهان الأول أنها نزلت في واقعة عامة وذلك أن المشركين في أول الأمر وهو في ضعف المسلمين يريدون
 إيقاع البلاء والقتل والنهب بالمسلمين والله تعالى كان يمنعهم عن مطاوعهم إلى أن قوى الإسلام وعظمت
 شوكة المسلمين الثاني أنها نزلت في واقعة خاصة وفي هذا ثلاثة أوجه * الأول أنها نزلت في شأن يهود
 من بني قريظة أو بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى دخلوا
 عليهم وقد كانوا عاهدوا النبي على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديار فطلب منهم مالا قرضا لدية
 رجاءين مسلمين أو معاهدين قتلهم ما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين أو حريين فقالوا اجلس
 حتى نطعمك ونعطيك ما تريد ثم هموا بالقتل برسول الله وبأصحابه فجاء عمرو بن جحاش برحى عظيمة
 ليطرحها عليه صلى الله عليه وسلم بموافقتهم فأمسك الله تعالى يده فنزل جبريل عليه صلى الله عليه وسلم
 وأخبره بذلك فقام في الحال مع أصحابه وخرجوا إلى المدينة * والثاني عن قتادة أنها نزلت في قوم من
 العرب وهم بنو ثعلبة وبنو محارب أرادوا القتال به صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة فأرسلوا إليه أعرابيا
 ليقتله ببطن نخل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق أصحابه عنه يستظلون في شجرة
 العضاة وعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء أعرابي وسل سيف رسول الله ثم أقبل عليه
 وقال يا محمد من يمنعك مني قال صلى الله عليه وسلم الله قالها ثلاثا فأسقطه جبريل من يده فأخذه النبي صلى
 الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد ثم صاح رسول الله بأصحابه فأخبرهم ولم يعاقبه وفي رواية أن
 أعرابيا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وعلى هذين القولين فالمراد من قوله تعالى
 إذ كررنا نعمة الله عليكم تذكير نعمة الله عليهم بدفع الشر عن نبيهم - ثم فانه لو حصل ذلك لكان من أعظم
 المحن * والثالث أنها نزلت في شأن المشركين أنهم رأوا رسول الله وأصحابه بعسفان في غزوة ذي أذار
 وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه صلى الله عليه وسلم وذلك أن المسلمين قاموا إلى صلاة
 الظهر بالجماعة فلما صلوا ندم المشركون في عدم اكبابهم عليهم وقالوا ليتنا أوقعنا بهم - ثم في أثناء صلاة
 فقيل لهم أن المسلمين بعد هذه الصلاة صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وآبائهم فهموا بأن يوقعوا بهم إذا
 قاموا إلى صلاة العصر فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل جبريل بصلاة الخوف (ولقد أخذ الله ميثاق بني
 إسرائيل) أي أقرارهم أن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئا (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) وهو
 المسند إليه أمور القوم وتدبير مصالحهم * روى ابن أبي إسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم
 الله تعالى بالسير إلى أريحا أرض الشام وقدس كنه الجبارة الكنعانيون وقال لهم اني كتبته لكم دارا
 فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا فاختار الله تعالى من
 كل سبط رجلا ليكون نقيبا لهم وحاكما فيهم والنقباء الاثني عشر كما قال ابن إسحق هم شمعون وشوطة وكالب
 وبعورث ويوشع ويعلى وكراييل وكدي وعماييل وستور ويحيى وآل ثم ان هؤلاء
 النقباء بعثوا إلى مدينة الجبارين الذي أمر موسى عليه السلام بالقتال معهم ليقتلوا على أحوالهم
 ويرجعوا بذلك إلى نبيهم - ثم موسى عليه السلام فلما ذهبوا إليهم رأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوهم
 ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فذكروا الميثاق إلا كالب ويوشع وهما
 اللذان قال الله تعالى في حقهما قال رجلان من الذين يخافون الآية (وقال الله) هؤلاء النقباء (اني

معكم) بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم وأرى أفعالكم وأعلم ضمائركم وأقدر على إيصال الجزاء اليكم
 (لئن أقم الصلاة) أي التي فرضت عليكم (وآتيت الزكاة) أي زكاة أموالكم (وآمنت برسلي) أي
 بجميعهم (وعزرتهم) أي نصرتهم بالسيف على الأعداء (وأقرضتم الله قرضا حسنا) أي
 صادقاً من قلوبكم والمراد بهذا الاقتراض بالصدقات المنتدبة وخصها بالذكور تنبيهاً على شرفها وعلا
 مرتبتها (لا كفرن عنكم سيئاتكم) وهذا إشارة إلى إزالة العقاب (ولادخلنكم جنات تجري من
 تحتها الأنهار) وهذا إشارة إلى إيصال الثواب (فمن كفر بعد ذلك) أي بعد أخذ الميثاق (منكم
 فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ الطريق المستقيم الذي هو الدين الذي شرعه الله تعالى لهم (فبما
 نقضهم ميثاقهم لعناهم) أي بسبب نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتل الأنبياء وكتمان صفة محمد
 صلى الله عليه وسلم لعناهم أخرجناهم من رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي منصرفة عن الانقياد
 للدلائل وقرأ حمزة والكسائي قسمة بغير ألف بعد القاف وتشديد الياء أي رديئة يابسة بلا نور (يحرفون
 الكلام عن مواضعه) يغيرون نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الرجم بعد بيانه في التوراة (ونسوا
 خطاهم كروا به) أي تركوا بعضاً مما أمروا به في كتابهم وهو الأيمان بمحمد صلى الله عليه
 وسلم (ولا تزال) يا أشرف الخلق (تطلع على خائنة منهم) أي تظهر على خيانتهم صادرة من بني قريظة
 (الأقليات منهم) وهم الذين آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه وأولئك الذين بقوا على الكفر لكنهم بقوا
 على العهد ولم يخونوا فيه (فأعف عنهم) أي لا تعاقبهم (واصفح) أي أعرض عن صفائر زلاتهم
 ماداموا باقين على العهد (إن الله يحب المحسنين) إلى الناس قال ابن عباس إذا عفوت فأنت محسن
 وإذا كنت محسناً فقد أحبك الله (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) في الإنجيل باتباع محمد
 وبيان صفته وإن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً كما أخذنا الميثاق على بني إسرائيل اليهود (فنسوا
 خطاهم كروا به) أي تركوا نصيباً عظيماً مما أمروا به في الإنجيل من الأيمان ونقضوا الميثاق
 (فأغرى بنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) أي الصقنا بين نصارى أهل نجران العداوة بالقتل
 والبغضاء في القلب بعد أن جعلناهم فرقاً أربعة نسطورية والملكانية واليعقوبية والمرقسية فإن بعضهم
 يكفر بعضاً إلى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله) أي يخبرهم في الآخرة (بما كانوا يصنعون) من
 المخالفة والخيانة والسكران فيجازيهم عليه (يا أهل الكتاب) أي يأمعشرا اليهود والنصارى (قد
 جاءكم رسولنا) محمد أفضل الخلق (يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) أي تسكتون من
 التوراة والإنجيل كنعت محمد وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل (ويعفوا عن كثير)
 أي لا يظهر كثيراً من آثامكم التي تدع حاجتكم دينية إلى إظهاره (قد جاءكم من الله نور) أي رسول وهو
 محمد صلى الله عليه وسلم (وكتاب مبين) وهو القرآن لما فيه إبانة ما خفي على الناس من الحق (يهدي
 به) أي بذلك الكتاب (الله من اتبع رضوانه) وهو من كان مطلوبه من طلب الدين اتباع الدين الذي
 يرتضيه الله تعالى (سبل السلام) أي إلى طرق السلامة من العذاب وهو دين الإسلام وهذا منصوب
 بنزع الخافض لأن يهدي يتعدى إلى الثاني بالي أو باللام (ويخرجهم من الظلمات) أي ظلمات فنون
 الكفر (إلى النور) أي نور الأيمان (بإذنه) أي بتوقيفه والباء تتعلق بالتبعية ولا يجوز أن تتعلق
 يهدي ولا يخرج إذ لا معنى لها حينئذ فدللت الآية على أنه لا يتبع رضوان الله إلا من أراد الله منه ذلك
 (ويهديهم إلى صراط مستقيم) أي يشبههم على ذلك الدين بعد إجابة دعوة الرسول (لقد كفر الذين قالوا)

وهم نصارى نجران (ان الله هو المسيح ابن مريم) وهذه المقالة لليعقوبية فانهم قالوا ان الله قد يحل في بدن
 انسان معين أو في روحه وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكنه مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا اتصاف
 عيسى بصفاته الخاصة أي بأنه يخلق ويحيي ويميت ويدير أمر العالم (قل) لهم يا أكرم الخلق (فمن يملك
 من الله شيئاً) أي فمن الذي يقدر على دفع شيء من أفعال الله تعالى ومنع شيء من مراده (ان أرادهم لك المسيح
 ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) أي ان عيسى عاقل لمن في الأرض في الصورة والخلق والجسمية
 والتركيب وتغيير الصفات والاحوال فلما سلمتم كونه تعالى خالق الكل مدبر الكل وجب أن يكون أيضاً
 خالق العيسى (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ما يخلق ما يشاء) فتارة يخلق من غير أصل تخلق
 السموات والأرض وتارة أخرى يخلق من أصل تخلق ما بينهما ما فينشئ من أصل ليس من جنسه تخلق آدم
 وكثير من الحيوانات ومن أصل من جنسه اما من ذكر وحمده تخلق حواء أو من أنثى وحمدها تخلق عيسى
 عليه السلام أو منهما تخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات تخلق عامة المخلوقات وقد
 يخلق بتوسط مخلوق آخر تخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له وكاحياء الموتى وإبراهيم
 والأبرص على يده أيضاً فيجب أن ينسب كله اليه تعالى لا إلى من أجرى ذلك على يده (والله على كل شيء
 قدير) واطهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة (وقالت اليهود) أي يهود أهل المدينة
 (والنصارى) أي نصارى أهل نجران (نحن أبناء الله وأحباؤه) أي ان اليهود لما زعموا أن عزير ابن الله
 والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله ثم زعموا أن عزير او المسيح كانا منهم صار ذلك كأنهم قالوا نحن أبناء الله
 كما يقول أقارب الملوك عند المفارقة نحن الملوك فالمراد بأبناء الله خاصته وقال ابن عباس ان النبي صلى الله
 عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى قالوا كيف نخوفنا بعقاب
 الله ونحن أبناء الله وأحباؤه والذي قال تلك الكلمة من اليهود نجان ويحري وشاس (قل) لهم يا أكرم
 الخلق الزاموا بتبكيتهما (فلم يعذبكم بذنوبكم) أي ان صرح ما زعمتم فلا شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر
 والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أيام بعدد أيام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما
 زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع فأنتم كاذبون لان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب
 حبيبه (بل أنتم بشر من خلق) أي لستم كذلك بل أنتم بشر من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية
 لكم عليهم (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله وتابوا من
 اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله وماتوا على
 اليهودية والنصرانية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) فمن كان ملكه هكذا وقدرته هكذا
 فكيف يستحق البشر الضعيف عليه تعالى حقاً واجباً (واليه المصير) في الآخرة فيجزى المحسن بإحسانه
 والمسيء بإسائه (يا أهل الكتاب) أي يا أهل التوراة والانجيل (قد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله
 عليه وسلم (يبين لكم) أي مبيناً لكم الشرائع (على فترة من الرسل) أي على حين انقطاع من
 الانبياء فروى عن سلمان انه قال فترة ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة أخرجه البخاري وكان بينهما أربعة
 من الانبياء ثلاثة من بني امرائيل كما قال تعالى اذا أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعزنا بثالث واحد من
 العرب وهو غالب بن سنان وقال في حقه نبينا صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه (أن تقولوا ما جاءنا من بشير
 ولا نذير) أي انما بعثنا اليكم الرسول في وقت فترة من ارسال الرسل كراهة أن تقولوا اذا سئلتهم عن
 أعمالكم يوم القيامة ما جاءنا بشير بالجنة ولا نذير بالنار وقد انطمت آثار الشرائع السابقة وانقطعت

أخبارها فلا تعتذروا بذلك (فقد جاءكم بشير) كامل البشارة (ونذير) كامل النذارة (والله على كل شيء قدير) فكان قادرا على الأرسال ترى كما أرسل الرسل بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) لانه لم يبعث في أمة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء فمنهم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه فانطلقوا معه الى الجبل ومنهم أولاد يعقوب فانهم كانوا على قول الاكثرين أنبياء (وجعلكم ملوكا) فقد تكثر فيهم الملوك ثم ان أقارب الملوك يقولون عند المفارقة نحن الملوك قال السدي أي وجعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم وقيل كل من كان مستقلا بأمر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا في مصالحه الى أحد فهو ملوكا وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكانت لهم أموال كثيرة فمن كان كذلك كان ملكا وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان بنو اسرائيل اذا كان لا أحد منهم خادما وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال قتادة سموهم ملكا لانهم لم كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خديم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من كان له امرأة يأوى اليها ومسكن يسكنه فهو غني ثم ان كان له خادم بعد ذلك فهو من الملوك (وأتاكم ما لم يأت أحد من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وايرات أموالهم وانزال المن والسلوى واخراج المياه العذبة من الحجر وظليل الغمام فان ذلك لم يوجب جد في غير بني اسرائيل (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) أي المباركة (التي كتب الله لكم) أي وهبها الله لكم ميراثا من أبيكم ابراهيم عليه السلام روي أن سيدنا ابراهيم عليه السلام لما صعد جبل لبنان قال له الله تعالى انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك وكان بنو اسرائيل يسهون أرض الشام أرض الموعد قال ابن عباس والارض هي الطور وما حوله (ولا تزدوا على أدباركم) أي لا ترجعوا الى خلفكم أي الى مصر خوف العدو (فتنقلبوا خاسرين) في الدين والدنيا لانهم صاروا شاكين في صدق موسى عليه السلام فيصيروا كافرين بالالهية والنبوة فان موسى قد أخبر ان الله تعالى جعل تلك الارض لهم فكان ذلك وعدا بأن الله تعالى ينصرهم على العدو ولان الله تعالى منعهم عن المن والسلوى ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا ليتجسسوا لهم عن احوال تلك الاراضي فلما دخلوا تلك البلاد رأوا أجساما عظيمة هائلة ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام فاخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكتفوا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله الا رجلا من منهم وهما يوشع وكالب فانهما سهلا الامر وقالاهي بلاد طيبة كثيرة النعم وقلوب القوم الذين فيها ضعيفة وان كانت أجسامهم عظيمة وأما العشرة من النقباء فقد أوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى أظهر والامتناع من غزوهم ورفعوا أصواتهم بالبكاء (قالوا يا موسى ان فيها) أي في الطور وأريحا أودمشق وفلسطين كما روي كل واحد من هذه الثلاثة عن ابن عباس (قوما جبارين) أي طولا أعظما أقويا فلا تصل أيدي قوم موسى اليهم فسموهم جبارين لهذا المعنى (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع منا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها (فان يخرجوا منها) بسبب ليس منا (فانادخلون) قالوا هذا على سبيل الاستبعاد (قال رجلا من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى في مخالفة أمره ونهييه (أنعم الله عليهما) بالهداية والثقة بعون الله والاعتماد على نصرته الله وهما يوشع بن نون وهو الذي نبئ بعد موسى وهو ابن أخت موسى وكالب بن يوفناختن موسى وهو يفتح اللام وكسر هاء وقيل هما رجلا من الجبابرة أسما واجتماع موسى والموصول عبارة عن الجبابرة واليههم يعود العائد المحذوف والتقدير قال رجلا من

الجبارة الذين يخافهم بنو إسرائيل وهما رجلان منهم أنعم الله عليهما بالإيمان فآمنوا يشهد لهذا الوجه قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول (أدخلوا عليهم الباب) أي باب بلدهم أي باغتوهم وضاعتوهم في المضيق وامنعوهم من البر وزالى الصهراء لا يجذوا للحرب بحالا (فاذا دخلتموه) أي باب بلدهم (فأنكم غالبون) من غير حاجة الى القتال فأننا شاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت أجسامهم عظيمة وانما حزم هذان الرجلان بالغلبة لانهما كانا جازمين بنبوته موسى فلما أخبرهم موسى بأن الله تعالى أمرهم بالدخول في تلك الارض قطعاً بأن النصر لهم والغلبة حاصلة في جهتهم (وعلى الله فتوكلوا) في حصول هذا النصر لكم بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها غيرة مؤثرة (ان كنتم مؤمنين) بصحة نبوة موسى ومقرين بوجود الاله القادر مصدق لوعده (قالوا يا موسى انالنا ندخلها) أي أرض الجبارين (أبدا ماداموا فيها) أي أرضهم (فاذهب أنت وربك) انما قالوا هذه المقالة على وجه التمرد عن الطاعة أي على وجه مخالفة أمر الله فهم فسقة (فقاتلوا) هم انما هتافوا دون عن القتال (قال) عليه السلام لما رأى منهم عناداً على طريق الحزن والشكوى الى الله تعالى (رب انى لا أملك الانفسى وأنى) هرون أي لا أملك التصرف ولا ينفذ أمرى الا فى نفسى وأنى وانما قال ذلك تقيلاً لان يوافقوه ويجوز أن يكون المعنى الانفسى ومن يواخىنى فى الدين (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أي احكم لنا بما نستحقه واحكم على القوم الخارجين عن طاعتك بما يستحقونه وهو فى معنى الدعاء عليهم (قال) الله يا موسى (فانها) أي الارض المقدسة (محرمة عليهم) أي ممنوع عليهم من الدخول فيها (أربعين سنة يتيهون فى الارض) أي يتحسرون فى البرية وكان طول البرية تسعين فرسخاً وقد تاهوا فى تسعة فرائخ عرضاً فى ثلاثين فرسخاً طولاً وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام بى حلفت لا حرم عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولا يتيهون فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا سنة أى كانت مدة غيبة النقباء للتجسس أربعين يوماً ولا لقين جيفهم فى هذه القفار أى ومات أولئك العصاة فيها وأهلك النقباء العشرة فيها بعقوبات غليظة وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشرفيدخلون تلك الارض المقدسة اه قال ابن عباس وكلهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسرون كل يوم جادين فاذا أمسوا كانوا فى الموضع الذى ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلمهم من الشمس وكان عمود نور يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملون ولا تطول شعورهم وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق التأديب وروى ان موسى وهرون كانا معهم ولكن كان ذلك لهم اراحة وسلامة كالنار لابرهم وللملائكة العذاب عليهم السلام وزيادة فى درجاتهم وعقوبة لهم ومشاهدتهم لهم احوال العقوبة أبلغ (فلا تأس) أى لا تحزن (على القوم الفاسقين) قال مقاتل ان موسى لما دعا عليهم أخبره الله تعالى باحوال التيه ثم ان موسى عليه السلام أخبر قومه بذلك فقالوا له لم دعوت علينا وندم موسى على ما عمل فأوحى الله اليه لا تأس على القوم الفاسقين فانهم أحقاه بذلك لفسقهم (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) أى اذكريا كرم الخلق لقومك واخبرهم خبر ابني آدم قابيل وهابيل ملتبساً بالصديق ليغترروا به وهذه القصة دالة على ان كل ذى نعمة محسود فلما كانت نعم الله على سيدنا محمد أعظم النعم كان أهل الكتاب استخرجوا أنواع المكر فى حقته صلى الله عليه وسلم حسداً منهم فكان ذكر هذه القصة تسلية من الله تعالى لرسوله قال محمد بن اسحق ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقايله واخته فلم تجد عليهما وحماً ولا وصلاً ولا طلقاً ولم ترد

ما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها الحشرات بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحش والوصف والطلق والدم وقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل واقليم في بطن ثم هابيل ولبودا في بطن فان حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وبارية الاشيسا فانها وضعتهم مفردا عوضا عن هابيل وجملة أولاد آدم تسعة وثلثون في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ويتزوج كل من الذكور غير توأمته وأمر الله آدم ان يزوج قابيل لبودا اخت هابيل وينكح هابيل اقليما اخت قابيل وهي أحسن من لبودا فاذكر ذلك آدم فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال له آدم انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمر بك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو أحق باقليما وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع فخرج آدم ليقربا القربان وكان قابيل قرب بصيرة من قعر ردى وهو هابيل قرب كبشاً أحسن وقصد بذلك رضا الله تعالى فوضع اقربا بينهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل وقيل رفع الى الجنة فلم ير عى فيها الى ان فدى به اسماعيل عليه السلام (اذقربا) أى كل منهما (قربانا) وهو اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة أو صدقة (فتقبل من أحدهما) وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) وهو قابيل فأضمر لآخيه الحسد الى ان أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب فأتى قابيل لهابيل وهو في غفلة (قال) لهابيل (لا تقتلك) فقال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قرباني وتريد ان تشكع اختي الحسناء وأنكع أختك الذميمة فيمتحدث الناس بأنك خير مني ويفتخروا بك على ولدي (قال) هابيل وما ذنبي (انما يتقبل الله من المتقين) أى ان حصول التقوى شرط في قبول القربان (لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لا تقتلك) أى والله لئن باشرت قتلى حسب ما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات (انى أخاف الله رب العالمين) فى قتلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة ألق كملك على وجهك وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل (انى أريد أن تبوء باثمي وإثمك) أى ان تحمل اثم قتلى وإثمك الذى كان منك قبل قتلى كما قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة رضى الله عنهم (فتسكون من أصحاب النار) أى فتصير من أهل النار (وذلك جزاء الظالمين) روى ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضى خصمه أخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم (فطوعت له) أى سهلته (نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جرير لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدرك كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد أخذ طير افوض رأسه على حجر ثم رضعه بحجر آخر وقابيل ينظر اليه فعلم منه القتل فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر روى عن عمرو بن خير الشعماني قال كنت مع كعب الاحبار على جبل ديرة تران فأراني لعة حمراء سائلة في الجبل فقال ههنا قتل ابن آدم أخاه وهذا أثر دم جعله الله آية للعالمين (فأصبح) أى صار (من الحاسرين) بقتله ديناً ودنياً لانه أسخط والديه وبقي مذموماً الى يوم القيامة ولان له عقاباً عظيماً في الآخرة ولما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدبر ما يصنع به لانه أول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره في جراب أربعين يوماً وقيل سنة (فبعث الله غراباً يبحث في الارض) أى يحفر الحفرة بمنقاره ورجليه بعد قتل صاحبه ثم ألقاه فيها وأثار التراب عليه فتعلم قابيل ذلك من الغراب (ليريه كيف يواري

(سواء أخيه) واللام امام متعلقة ببعث حتما والضمير المستكن فائد الى الله تعالى أو متعلقة ببعث
 أو ببعث والضمير راجع للغراب وكيف حال من ضمير يوارى العائد الى قابيل كالضميرين البارزين
 وهو معمول ليوارى وجملة متعلقة بالرؤية البصرية أو العرفانية المتعدية لمفعول قبيل تعديتها بهمزة
 النقل وبعده لاثنين وحينئذ فكيف في محل المفعول الثاني سادة مسده والمراد بالسوءة الجسد لقبحه
 بعدموته (قال) أي قابيل (يا وليتا) أي ياه لآكي تعال وهي كلمة تستعمل عند وقوع الداهية
 العظيمة ولفظها لفظ النداء كأن الويل غير حاضره فناداه ليحضره أي أيها الويل احضر فهاذا أو ان
 حضورك (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سواءة أخي) أي فأعطى جسداً أخي بالتراب أي
 لما قتل قابيل أخاه تركه بالعراء استخفافاً به ولم يارأى الغراب يدفن غراباً ميتاً رقيق قلبه وقال ان هذا
 الغراب لما قتل ذلك الآخر أخفاه تحت الأرض أفأكون أقل شفقة من هذا الغراب (فأصبح من النادمين)
 على حمله لهاييل على ظهره سنة لانه لم يعلم الدفن الا من الغراب وعلى قتله لانه لم ينتفع بقتله ولانه لم يخط
 عليه بسببه أبواه وأخوته فكان ندمه لاجل هذه الاسباب لانه لم يخط عليه بسببه وأخوته فكان ندمه لاجل هذه الاسباب لانه لم يخط عليه بسببه
 قتله لتركه في العراء فلما رأى ان الغراب دفن غراباً ميتاً ندم على قساوة قلبه وقال هذا أخي لحمه مختلط
 بلحمي ودمه مختلط بدمي فاذا ظهرت الشفقة من الغراب على غراب ولم تظهر مني على أخي كنت دون
 الغراب في الرحمة والاخلاق الحميدة فكان ندمه لهذه الاسباب لاجل الخوف من الله تعالى فلا ينفعه
 ذلك الندم قيل لما قتل قابيل هاييل هرب الى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس وقال اغتأ كات النار
 قربان هاييل لانه كان يخدم النار ويعبدها فان عبدها أيضاً حصل مقصودك فبني بيت نار فعبدها وهو
 أول من عبد النار وروى انه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه
 وكذا قال بل قتلتها ولذلك اسود جسدي ومكث آدم بعده مائة سنة لم يضحك قط (من أجل ذلك) أي
 المذكور من أنواع المفساد الحاصلة بسبب القتل الحرام وهي حصول خسارة الدين والدنيا وحصول الندم
 والحسرة والحزن في القلب والجوارح والمجرور متعلق بكتبنا وهو ابتداء كلام فلا يوقف على اسم الإشارة
 فالوقف على قوله تعالى من النادمين تام هذا عند جمهور المفسرين وأصحاب المعاني ويرى عن نافع انه
 كان يقف على اسم الإشارة ويجعله من تمام الكلام الاول فينشئ الجار والمجرور متعلق بما قبله واسم
 الإشارة فائد على القتل أي من أجل ان قابيل قتل هاييل ولم يوارى بالتراب (كتبنا) أي أو جنبنا في
 التوراة (على بني اسرائيل أنه) أي الشأب (من قتل نفساً) واحدة من بني آدم (بغير نفس) أي بغير
 قتل نفس يوجب الاقتصاص (أو فساد في الأرض) أي أو بغير فساد يوجب اهدار الدم من كفر أو زنا
 أو قطع طريق وقرأ الحسن بنصب فساد باضمار فعل أي أرعيل فساداً (فكأنما قتل الناس جميعاً) في
 تعظيم أمر القتل العمد العدوان كما ان قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد فالمقصود مشاركة
 الامرين في الاستعظام وكيف لا يكون مستعظماً وقد قال تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً جزاؤه جهنم
 خالد فيها وغضب الله عليه وعذابه عذاباً عظيماً (ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس) أي ومن
 خلص نفساً واحدة من المهلكات كالحرق والغرق والجوع المفرط والبرد والحرق المفرط قال ابن عباس
 أي وجبت له الجنة بعفو نفس كما لو عفا الناس (جميعاً) لعدواً لهم (أي بني اسرائيل) (رسلاً
 بالبينات) أي المعجزات (ثم ان كثير منهم بعد ذلك في الأرض) أي بعد مجي الرسل وبعد ما كتبنا عليهم
 نحریم القتل (لمسرفون) في القتل لا يبالون بعظمته فانهم كانوا أشد الناس جراءة على القتل حتى كانوا

يقتلون الانبياء (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أى انما جزاء الذين يخالفون أحكام الله وأحكام رسوله أو انما مكافأة الذين يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون (ويسعون في الارض فسادا) أى يعملون في الارض مفسدين بالمعاصي وهو القتل وأخذ المال ظلما (أن يقتلوا) واحد بعد واحد ان قتلوا (أو يصلبوا) ثلاثة أيام بعد القتل والصلاة عليهم وقيل يصلبون احياء ثم يزرع بطنهم برمح حتى يموتوا ان جمعوا بين أخذ المال والقتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى تقطع مختلفة بأن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ان اقتصر وأعلى أخذ المال من مسلم أو ذمى وكان المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كل منهم نصاب السرقة (أو ينفوا من الارض) ان أخافوا السبل قال أبو حنيفة النفي من الارض هو الحبس وهو اختيار أكثر أهل اللغة قالوا والمحبوس قد يسمى منفيًا من الارض لانه لا ينتفع بشئ من طيبات الدنيا ولذا انها ولا يرى أحدا من أحبائه فصار منفيًا عن جميع اللذات والشهوات والطيبات فكان كالنفي في الحقيقة وقال الشافعي هذا النفي محمول على وجهين الاول ان هؤلاء المحاربين اذا قتلوا وأخذوا المال فالامام ان أخذهم أقام عليهم الحدود وان لم يأخذهم طلبهم أبدا فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني القوم الذين يحضرون الواقعة ويكثرون جمع هؤلاء المحاربين ويخيفون المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما أخذوا المال فان الامام يأخذهم ويعزرهم ويحبسهم فالمراد بنفيهم عن الارض هو هذا الحبس لا غير قال ابن عباس نزلت هذه الآية في قوم هلال بن عويم لانهم قتلوا قوما من بني كنانة أرادوا الهجرة الى رسول الله ليسلموا فقتلوهم وأخذوا ما كان معهم من السلب وقيل نزلت في قوم من عرينة وكانوا ثمانية نزلوا المدينة مظهرين للاسلام فرضت أبدانهم واصفرت ألوانهم فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من أبوالها وألبانها فيه محو اقل ما شربوا ومحووا قتلوا الراعي مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه يسار النوبي وساقوا الابل وكانت خمسة عشر فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عشرين فارسا أميرهم كرز بن جابر الفهري في طلبهم فحرقهم وأمرهم ففعلت أيديهم وأرجلهم وسهرت أعينهم بأن أحصى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب ضوءها وتركوها في الحرة حتى مانوا (ذلك) أى الحد (لهم خزي) أى هوان وفضيحة (في الدنيا) اذ لم تحصل التوبة أما عند حصول التوبة فان هذا الحد لا يكون على جهة الاستخفاف بل يكون على جهة الامتحان (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أى أشد عما يكون في الدنيا لمن لم يتب (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) أى ان ما يتعلق من تلك الاحكام بحقوق الله تعالى يسقط بعد هذه التوبة وما يتعلق منها بحقوق الآدميين لا يسقط فهو هؤلاء المحاربون ان قتلوا انسانا ثم تابوا قبل القدرة عليهم لم كان ولي الدم على حقه في القصاص والعفو الا انه يزول وجوب القصاص بسبب هذه التوبة لا جواز القصاص وان أخذوا مالا وجب عليهم رده ولم يكن عليهم قطع اليد والرجل وان جمعوا بين القتل وأخذ المال فيسقط وجوب القتل ويجوز استيفاؤه ويجب ضمان المال وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاءه تائباً بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة أما اذا تاب القاطع بعد القدرة فالتوبة لا تنفعه وتقام الحدود عليه وقال الشافعي رحمه الله ويحتمل ان يسقط كل حد لله بالتوبة لان ما عزم المارجم أظهر توبته فلما عزموا رجحه مذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هلا تر كتموه وذلك يدل على ان التوبة تسقط عن المكاف كل ما يتعلق بحق الله تعالى وهذا التفصيل انما يكون للمسلم أما ان كان القاطع كافرا سقطت عنه الحدود مطلقا لان توبته تدرأ عنه العقوبة

قبل القدرة وبعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك المنهيات (وابتغوا إليه الوسيلة) بفعل
 الأمور (وجاهدوا في سبيله) أي في سبيل عبوديته وطريق الخلاص في معرفته وخدمته
 (لعلكم تفطنون) بنيل مرضاته وبالفوز بكراماته اعلم ان مجامع التكليف محصورة في نوعين أحدهما
 ترك المنهيات وهو المشار إليه بقوله تعالى اتقوا الله وثانيها ما فعل الأمور وهو المشار إليه بقوله تعالى
 وابتغوا إليه الوسيلة والمراد بطلب الوسيلة إليه تعالى هو تحصيل مرضاته وذلك بالعبادات والطاعات
 ولما أمر الله تعالى بترك ما لا ينبغي وبفعل ما ينبغي وكان الانقياد لذلك من أسقى الاشياء على النفس
 وأشدّها ثقلًا على الطبع لان النفس لا تدعو الا الى المشتهات والذات المحسوسة أردف ذلك التكليف
 بقوله وجاهدوا في سبيله أي بمعارضة أعدائه البارزة والكامنة ثم ان من يعبد الله تعالى فريقان منهم
 من يعبد الله لا لغرض سوى الله وهو المشار إليه بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله ومنهم من يعبد الله للثواب
 مثلاً وهو المشار إليه بقوله لعلكم تفطنون أي تفوزون بالمحبوب وتخلصون عن المكروه (ان الذين كفروا
 لو أن لهم) أي لو ثبت ان لكل واحد منهم (ما في الارض جميعاً) أي من أصناف أموالها وسائر
 منافعها قاطبة (ومثله معه ليفتدوا به) أي ليجعلوا كلامهم فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة)
 أي من العذاب الواقع يومئذ (ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) تصرح بعدم قبول الفداء وتصوير للذوم
 العذاب فلا سبيل لهم الى الخلاص منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرايت
 لو كان لك ملء الارض ذهباً ~~كنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك فأبيت~~
 (يريدون أن يخرجوا من النار) بتحويل حال الى حال وقيل يتمنون الخروج اذا رفعهم لهب النار الى
 فوق ويقصدونه وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار ودفعها لهم وقيل يريدون الخروج بقلوبهم كما قرأ
 بعضهم ان يخرجوا بالبناء للفعول (وما هم بخارجين منها ولهم) أي الكافرين خاصة دون عصاة المؤمنين
 (عذاب مقم) أي دائم لا ينقطع تارة بالبرد وتارة بالحر وتارة بغيرهما (والسارق والسارقة فاقطعوا
 أيديهما) أي أيما منهما من الكو ع كما يدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات
 فاقطعوا أي أيما منهما لانه صلى الله عليه وسلم أتى بسارق وهو طعمة فأمر بقطع يمينه من الرسغ (جزاء
 كسبا) أي لجزاء فعلهما (نكالا) أي للالهانة والذم (من الله) لجزاء مفعول من أجله وعامله
 فاقطعوا ونكالا مفعول من أجله وعامله جزاء على طريقة الاحوال المتداخلة كما تقول ضربت ابني
 تأديباً له احساناً اليه فالتأديب علة للضرب والاحسان علة للتأديب (والله عزيز) في انتقامه (حكيم)
 في شرائعه وتكليفه (فن تاب) الى الله تعالى (من بعد ظلمه) أي سرقته (وأصلح) بأن يتوب
 بنية صالحة صادقة وعزيمة صحيحة خالية عن سائر الاغراض (فان الله يتوب عليه) أي يقبل توبته
 تفصلاً منه واحساناً لا وجوباً عليه (ان الله غفور رحيم) فلا يعذبه في الآخرة ولا يسقط عنه القطع
 بالتوبة بل يقطع على سبيل الامتحان عند الجمهور وقيل يسقط بها الحسد وقال الشافعي ان عفا المستحق
 عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) والمال له أن يتصرف
 في ملكه كيف شاء (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير) فيقدر على التصرف
 الكلي فيهما وفيما فيهما بحسب ما تقتضيه مشيئته تعالى ونحن نعتقد ان المغفرة تابعة للمشيئة في حق غير
 التائب (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن
 قلوبهم) أي لا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر وذلك بسبب احتيالهم في اسـتخراج وجوه المكفر في

حق المسلمين وفي مبالغتهم في موالاة المشركين فاني ناصر كعليهم وكافيك شرهم وقرأ نافع يحزنك بضم الياء
وكسر الزاي وقرئ يسرعون من أسرع والباء متعلقة بقالوا لا بأفواهم قال ابن عباس نزلت هذه
الآية في حق عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في عبد الله بن صوريا (ومن الذين هادوا سماعون
للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي ان هؤلاء القوم من اليهود لهم صفتان سماع الكذب في
دين الله وفي طعن محمد صلى الله عليه وسلم من أحبارهم ونقله الى عوامهم وسماع الحق منك ونقله
لأحبارهم ليحرفوه أي فيكونوا وسائط بينك وبين قوم آخرين والوسائط هم يهود بني قريظة كعب
وأصحابه والعموم الآخرون هم يهود خيبر فهم لا يقربون مجلسه صلى الله عليه وسلم لبغضهم إياه وتكبرهم
(يحرفون الكلام من بعده مواضعه) أي يضع هؤلاء الأحبار الجلد مكان الرجم والطعن في محمد مكان
المدح في التوراة (يقولون) أي المحرفون وهم القوم الآخرون للسماء عين لهم عند القائم اليهم
أقاريلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل (ان أوتيتهم) من جهة محمد (هذا) المحرف من جلد
المحصن (لخذه) أي فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) ولا تقبلوا منه قال المفسرون ان رجلا
وامرأة من أشرف أهل خيبر زيارهما محصنان وكان حد الزنا في التوراة الرجم فكرهت اليهود
رجمهما لما لشرفهما فأرسلوهما مع قوم منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عن
حكمه في الزانيين وقالوا ان أمركم بالجلد وتسويد الوجه فاقبلوا وان أمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا
فلما سألوا رسول الله عن ذلك نزل جبريل بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام
اجعل بينك وبينهم ابن صور يا فقال الرسول هل تعرفون شابا أمردا بيضا أعور يسكن فذلك يقال له
ابن صور يا قالوا نعم فقال هو أي رجل فيكم فقالوا هو أعلم يهودي على وجه الأرض بما في التوراة فقال
فأرسلوا اليه فأتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صور يا قال نعم قال وأنت أعلم اليهود
قال كذلك يزعمون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق
آل فرعون والذي نزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحسن قال ابن صوريا
نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبت أن ينزل علينا العذاب ثم سأله رسول الله عن أشياء كان
يعرفها من علاماته فأجابها فقال ابن صور يا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبي الامي العربي
الذي بشر به المرسلون ثم أمر رسول الله بالزانيين فربما عذبوا بدمهم (ومن يرد الله فتنته) أي
ضلالته وكفره (فلن نملك) أي نستطيع (له من الله شيئا) على دفعها (أولئك) أي اليهود
والمنافقون (الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) أي من رجس الكفر وخبت الضلالة لانهم ما حكمهم
فيهما (لهم في الدنيا خزي) أي ذل بالفضيحة للمنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين وخوفهم من قتل المسلمين
أيهم والجزية والافتضاح لليهود بظهور كذبهم في كتمان التوراة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو
الخلود في النار (سماعون للكذب) الذي كانوا ينسبونه الى التوراة (أكلون للسحت) أي الحرام
الذي يصل اليهم من الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسبب الفعل وكسب الحرام وثمان النحر
وثمان الميتة وحلوان الكاهن والاستئجار في المعصية روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس وأبي
هريرة ومجاهد (فان جاؤك) متحايكين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم) أو أعرض
عنهم) ومذهب الشافعي أوجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في أمضاء

حكم الاسلام عليهم ذلهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخير الذي في هذه الآية مخصوص بالمعاهدين ولو ترفع اليها ميان في شرب خمر لم نجد هذا وان رضى باحكامنا لانهم لا يعتقد ان تحريرها وتراجع اليها مسلم وذمى وجب الحكم بينهم اجماعا وكذا الذمى مع المعاهدين (وان تعرض عنهم فلن يضر ولا شيئا) أى فانهم كانوا لا يتحاشون اليه صلى الله عليه وسلم الا لطلب الاخف فاذا تعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم اعراضه عنهم وصاروا أعداء له فلا تضره عداوتهم له فان الله يعصمه من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل الذى أمرت به (ان الله يحب المقسطين) أى يشيب العادلين في الحكم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك) استفهام تعجيب من الله لنبينه من تحكيمهم اياه صلى الله عليه وسلم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذى يدعون الايمان به وتنبيهه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع راغبا لطلبوا به ما هو أهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم ثم يعرضون عن حكمه صلى الله عليه وسلم الموافق لكتابهم من بعد التحكيم والرضا بحكمه صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة وقوله تعالى ثم يتولو معطوف على يحكمونك (وما أولئك) أى البعداء من الله (بالؤمنين) بالتوراة وان كانوا يظهرون الايمان بها ولا يكتمون معتنقين في صحة حكمها وان طلبوا الحكم منك وذلك دليل على أنه لا ايمان لهم بشي وان مقصودهم تحصيل منافع الدنيا فقط (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) أى بيان الاحكام والشرائع والتكاليف (ونور) أى بيان للتوحيد والنمو والمعاد (يحكم بها) أى التوراة (النبليون الذين أسلموا) أى انقادوا للحكم التوراة فان من الانبياء من لم تكن شريعته شريعة التوراة والذين كانوا منقادين لحكم التوراة هم الذين كانوا من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليه السلام وبينهما ألف نبي وكلهم بعثوا باقامة التوراة حتى يحدوا حدودها ويقوموا بفرائضها ويحلوا حلالها ويحرموا حرامها وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدد يحتمل أن يكون المراد بالنبئين الذين أسلموا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه حكم على اليهوديين بالرجوع وكان هذا حكم التوراة وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيم ماله ولانه قد اجتمع فيه من خصال الخير ما كان حاصلا لا كثيرا لانبياء وقال ابن انبارى هذا رد على اليهود والنصارى لان بعضهم كانوا يقولون الانبياء كلهم يهودا ونصارى فرد الله عليهم بذلك أى فان الانبياء ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين أى منقادين لتكاليف الله تعالى وفي ذلك تنبيه على قبح طريقة هؤلاء اليهود المتأخرين فان غرضهم من ادعاء الحكم بالتوراة أخذ الرشوة واستتباع العوام وتعرض بهم بأنهم بعدد واعن الاسلام الذى هو دين الانبياء عليهم السلام (للذين هادوا) متعلق بهكم أى يحكمون بها فيما بين اليهود (والرانيون والاحبار) أى ويحكم بها العلماء المجتهدون لديننا عن الدنيا وسائر العلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين (بما است حفظوا) أى بسبب الذى است حفظوا من جهة النبيين (من كتاب الله) وهو التوراة فان الانبياء سألوا الرانيين والاحبار أن يحفظوا التوراة من التغيير والتبديل وذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشي منها (وكانوا عليه) أى ذلك الكتاب (شهداء) أى كان هؤلاء النبيون والرانيون والاحبار شهداء على أن كل ما في التوراة حق وصدق وأنه من عند الله فحقا كانوا يعضون

أحكام التوراة ويحفظونها عن التحريف والتغيير (فلا تخشوا الناس) أيها اليهود (واخشوني) أي
 أيكم وأن تحرفوا كتابي للخوف من الناس والمالوك والأشراف فتسقطوا عنهم الحدود لواجبة عليهم
 وتستخف جوارحهم في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم فلا تكونوا خائفين من الناس بل كونوا خائفين مني
 ومن عقابي في كتابي الأحكام ونعوت محمد صلى الله عليه وسلم (ولأنشتر وأبأ ياتي ثمناً قليلاً) أي
 ولا تستبدلوا بآياتي التي في التوراة عرضاً قليلاً من الدنيا أي كانهيتكم عن تغيير أحكامي لأجل الخوف
 فكذلك أنما لكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فإن كل متاع الدنيا
 قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس ومن لم يبين ما بين الله في
 التوراة من نعت محمد وآية الرجم فأولئك هم الكافرون بالله والرسول والكتاب وقال عكرمة أي ومن لم
 يحكم بما أنزل الله منكراله بقلبه وجاحداله بلسانه فقد كفر أمان عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه
 ذلك إلا أنه حكم بضده فهو ظالم فاسق لتركه حكم الله تعالى (وكتبنا عليهم فيها) أي فرضنا على بني
 إسرائيل في التوراة (أن النفس) مقتولة (بالنفس والعين) مفعولة (بالعين والانف) مجدوع
 (بالانف والاذن) مقطوعة (بالاذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) أي ذات
 قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة كالشفتين والذكور والأنثيين والقدمين واليدين فأما ما لا يمكن
 القصاص فيه من رض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منه التلف ففيه ارش وحكومة
 قرأ الكسافي العين والانف والاذن والسن والجروح كلها بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو
 بنصب غير الجروح فانه بالرفع وقرأ نافع وعاصم وحزمة بنصب الكل وخبر الجميع قصاص (فمن تصدق
 به) أي بالقصاص من المستحقين (فهو) أي التصديق (كفارة له) أي للتصدق بكفر الله تعالى بها
 نوبه أي إذا عفا الجروح أو ولي المقتول كان ذلك العفو كفارة للعافي كما قال صلى الله عليه وسلم أي يهز
 أحدكم أن يكون كافي ضمهم كان إذا خرج من بيته تصدق بعرضه على الناس وروى عبادة بن
 الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدره من
 ذنوبه وقيل إن المجنى عليه إذا عفا عن الجاني صار ذلك العفو كفارة للجاني وسقط عنه ما لزمه فلا يؤاخذ الله
 تعالى بعد ذلك العفو وأما المجنى عليه الذي عفا فاجره على الله تعالى ثم القاتل يتعلق به ثلاثة حقوق حق لله
 تعالى وحق للمقتول وحق للولي فإذا سلم القاتل نفسه طوعاً واختياراً إلى الولي فله ما على ما فعل خوفاً من الله
 تعالى وتوبة نصوحاً سقط حق الله تعالى بالتوبة وحق الأولياء بالاستيفاء أو الصلح أو العفو وبقي حق
 للمقتول يعرضه الله عنه يوم القيامة عن عبده التائب ويصلح بينه وبينه ولو سلم القاتل نفسه اختياراً من
 غير ندم وتوبة أو لم يكن من نفسه بل قتل كرها فيسقط حق الوارث فقط ويبقى حق الله تعالى لانه
 لا يسقطه إلا التوبة ويبقى حق المقتول أيضاً ويطالب به في الآخرة لأن القاتل لم يسلم نفسه تائباً ولم يصل
 منه للمقتول شيء (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالتعصير في حق النفس لابقاء
 النفس في العقاب الشديد والتدين بترك حكم الله نهاية الظلم وهو الكفر لأنكار نعمة الله تعالى وبجدها
 (وقفينا على آثارهم) أي أتبعنا على آثار النبيين الذين يحكمون بالتوراة (بعيسى بن مريم مصدقاً
 لما بين يديه) أي لما قبل عيسى مما أتى به موسى (من التوراة) ومعنى كون عيسى مصدقاً للتوراة
 أنه أقرب منه كتاب منزل من عند الله تعالى وأقرب منه كان حقاً واجب العمل به قبل ورود النسخ (وآتيناه
 الإنجيل فيه هدى) لاشتماله على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه وبراهين الله تعالى عن الزوجة

والولادوا لئلا والصدوعلى النبوةوعلى المعاد (ونور) لانه يسان للاحكام الشرعية ولتفاصيل
 بالتكاليف (ومصدقالمابين يديه) أى لماقبل الانجيل (من التوراة) وهذا المنسوب معطوف على محل
 فيه هدى وهوالنصب على الحال أى موافقالمافى التوراة من أصول الدين ومن بعض الشرائع ومن كون
 الانجيل مبشراجمعت محمد صلى الله عليه وسلم (وهدى) لاشتماله على البشارة بمجى محمد صلى الله عليه
 وسلم فهو سبب لا عتداء للناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذه المسئلة أشد المسائل احتياجا الى
 البيان فالانجيل يدل دلالة ظاهرة عليها لكثرة المنازعة بين المسلمين واليهود والنصارى فى ذلك
 (وموعظة للأتقين) لاشتماله على النصائح والزواجر وانما خص الموعظة بالمتقين لانهم الذين يتفعلون
 بها (واحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن
 الاحكام التى لم تنسخ بالقرآن فان الحكم بالاحكام المنسوخة ليس حكما بما أنزل الله فيه بل هو تعطيل له
 اذ هو شاهد بنسخها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وقرأ جزءا ليحكم بكسر
 اللام ونصب الفعل بأن مضمرة بعد لام كى وهو متعلق بمقدراى وآتيناه الانجيل ليحكموا به وقرأ الباقون
 ليحكم بسكون اللام وجزم الفعل بلام الامر (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أى
 الخارجون عن الايمان ان كان مستهينا به وعن طاعة الله ان كان لا تباع الشهوات (وأزلنا اليك
 الكتاب) أى القرآن (بالحق) أى ملتبسا بالصدق والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع حالا من
 الكتاب أو من فاعل أنزلنا ومن الكافى فى اليك (مصدقالمابين يديه) أى لما تقدمه (من الكتاب)
 أى من كل كتاب نزل من السماء سوى القرآن (ومهيمناعليه) أى شاهد اعلى الكتب كلها لان
 القرآن هو الذى لا ينسخ ولا يتطرق اليه التبديل والتحريف واذا كان كذلك كانت شهادة القرآن
 على سائر الكتب صدق باقية وقرأ ابن محيىصن ومجاهد مهيمنا بفتح الميم الثانية فان القرآن يسان عن
 التحريف والتبديل والحافظ هو الله تعالى (فاحكم بينهم) أى بين جميع أهل الكتاب اذا ترفعوا
 اليك (بما أنزل الله) فان ما أنزل الله اليك وهو القرآن مشتمل على جميع الاحكام الشرعية (ولا تتبع
 أهواءهم عما جاءك من الحق) وعن متعلقة ب لا تتبع على تضمن معنى تفرح ونحوه أى لا تحرف عما
 جاءك من الحق متبعاً أهواءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أى لكل واحد من الامم الثلاثة
 أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد جعلنا منكم أيها الامم شريعة وهى العبادات التى أمر الله بها عباده
 ومنهاجا أى طريقا واضحا يودى الى الشريعة فالتوراة شريعة للامة التى كانت من مبعث موسى الى
 مبعث عيسى والانجيل شريعة من مبعث عيسى الى مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن شريعة
 للوجودين من سائر المخلوقات فى زمنه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ليس الا والدين واحد وهو
 التوحيد (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أى جماعة متفقة على شريعة واحدة فى جميع الاعصار
 من غير اختلاف ولا نسخ ولا تحويل أو المعنى لجعلكم ذوى أمة واحدة أى دين واحد (ولكن ليباؤكم
 فيما آتاكم) أى ولاكن لم يشأ الله أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء أن يختبركم فيما أعطاكم من
 الشرائع المختلفة المناسبة للارزمنة والجماعة هل تعملون بها منقادين لله معتقدين أن اختلافها مبنى على
 الحكم اللطيفة والمصالح النافعة لكم أم تتبعون الهوى وتقصرون فى العمل (فاستبقوا الخيرات)
 أى اذا كان الامر كما ذكر فساارعوا يا أمة محمد الى ما هو خير لكم فى الدارين وابتدروا انتهازا للفرصة
 وحيارة لفضل السبق (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فى الديار امر

الدين أى فيخبركم بما لا تشكون فيه من الجزاء الفاصل بين الحق والمبطل والموفى والمقصر في العمل فإن
الامر سوف يرجع الى ما يحصل معه اليقين وذلك عند مجازاة المحسن باحسانه والمسيئ باسائه (وأن احكم
بينهم) أى بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليك (بما أنزل الله) وهذه الجملة معطوفة على الكتاب أى
أنزلنا اليك الكتاب والحكم بينهم وذكرا نزال الحكم لتأكيد وجوب امتثال الامر على قوله بالحق أى
أنزلنا اليك الكتاب بالحق وبالحكم وذكرا نزال الامر بالحكم بعد الامر الصريح به تأكيداً كيلا يلامر وتفرش
لما بعده ولأن الآيتين حكمان أمر الله بهما جميعاً لانهم احتكموا اليه صلى الله عليه وسلم في زنا المحصن ثم
احتكموا في قتل كان فيهم (ولا تتبع أهواءهم) في عدم قتل الشريف بالوضيع وعدم قتل الرجل
بالمرأة (واحذرهم أن يفتنوك) أى يميلوك (عن بعض ما أنزل الله اليك) ويردوك الى أهوائهم
وكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بنى النضير أدوا
اليهم الدية كاملة ويقتلون النفسين بالنفس ويقتلون العينيين بالعين وغير واحد من الله الذى أنزله في
التوراة فالحكم يخالفون قال ابن عباس ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم
لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه أى نصرقه عن دينه فأثوه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد
عرفت انا أحبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك
فاقض لنا عليهم ثم من بك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى
أن يفتنوك بدل اشتمال من المفعول أى واحذرهم فنتنهم أو مضاف اليه لمفعول من أجله أى احذرهم
مخافة أن يفتنوك أى يصرفوك عن الحق ويلقوك في الباطل (فان تولوا) أى أعرضوا عن الحكم بما
أنزل الله تعالى وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أى أن يتليهم بجزء بعض
ذنوبهم في الدنيا وهو أن يسلط عليهم ويعذبهم في الدنيا بالقتل والجلاء والسبي فالعوم جوزوا في الدنيا
ببعض ذنوبهم وذلك كاف في اهلاكهم (وان كثير من الناس) أهل الكتاب وغيرهم (لفاسقون)
أى خارجون عن دائرة الطاعات ومعادن السعادات (أفحكم الجاهلية يبغون) قرأ ابن عامر تبغون
بالتاء على الخطاب وقرأ السلمي برفع حكم على انه مبتدأ وقرأ قتادة أبحكم بالباء الجارة بدل الفاء قرئ
فحكم بفتح الفاء والكاف أى أفيطلبون حاكماً لحكم الجاهلية وهى اما الملة الجاهلية التى هى متابعة
الهوى الموجبة للدهانة في الاحكام واما أهل الجاهلية قال مقاتل كانت بين قريظة والنضير دماء قبل أن
يبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبعثوها جاز الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير
اخواننا أبونا واحد وديننا واحد وكتابتنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلاً اعطونا سبعين وسقاً من تمر
وان قتلنا منهم واحداً أخذوا منا مائة وأربعين وسقاً من تمر وأروش جراحاتنا على النصف من أروش
جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أحكم أن دم القرطى كدم النضيرى
ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك
عدولنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فانهم هم الذين يعرفون انه
لا أحد أعدل من الله حكماً ولا أحسن منه بياناً (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)
أى لا تعتمدوا على الاستنصار بهم ولا تعاشرهم ومعاشرة الاحباب روى ان عبادة بن الصامت جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلاً عنده من موالاة اليهود فقال عبد الله بن أبى ريثس المنافقين لىكنى
لا تبرأ منهم لاني أخاف الدوائر فنزلت هذه الآية وقال السدى لما كانت واقعة أحداثا اشتد الامر على طائفة

من الناس وتخوفوا ان تدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألقى بفلان اليهودي وأخذ منه أمانا
 اني أخاف أن تدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألقى بفلان النصراني من أهل الشام وأخذ منه أمانا
 فأنزل الله هذه الآية وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة
 حين حاصروهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل أصبعه في حلقه أي انه يقتلكم
 (بعضهم أولياء بعض) أي بعض كل فريق من ذينك الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق
 لا من الفريق الآخر (ومن يتولهم منكم) يامعشر المؤمنين (فانه منهم) أي فهو من أهل دينهم فانه
 لا يوالى أحدا أحد الا وهو عنه مراض فاذا رضى عنه رضى دينه فصار من أهله دينه وهذا على سبيل
 المبالغة في الزجر عن اظهار صور الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة أولان الموالين كانوا منافقين
 (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) بموالاة الكفار روى عن أبي موسى الأشعري انه قال قلت لأبي
 الخطاب ان لي كاتبان كان نصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت خنيفا ما سمعت قول الله تعالى يا أيها
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء قلت له دينه ولي كتابته فقال لا أكرههم اذا هانهم الله
 ولا أعزهم اذا دلهم الله ولا أدنيهم اذا بعدهم الله قلت لا يتم أمر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام
 والمعنى اجعله في ظنك انه قد مات فمات عمل بعد موته أي فاعمله الآن ميتا واستغن عنه بغيره (فترى الذين
 في قلوبهم مرض) بالنفاق ورخاوة العقل في الدين كعبد الله بن أبي رباح (يسارعون فيهم) أي
 في مودة يهود بني قيناع ونصارى نجران لانهم كانوا أهل ثروة يقرضونهم ويعينونهم على مهماتهم
 (يقولون) معذرين عنها إلى المؤمنين (نخشي) أي نخاف خوفا شديدا (أن تصيبنا دابة) من دوائر
 الدهر كالهزيمة والحوادث المخوفة وتكون الدولة للكفار وتقال الدائرة في المكاره كالجذب والقحط وتقال
 الدولة في المحبوب وقال الزجاج أي نخشى أن لا يتم الأمر لمحمد في دور الأمر كما كان قبل ذلك (فعسى الله
 أن يأتي بالفتح) رسول الله على أعدائه وللأسلمين على أعدائهم وبإظهار الدين (أو أمر من عنده) بقطع
 أصل اليهود أو بإخراجهم عن بلادهم وعسى بمنزلة الوعد وهو من الله تعالى واجب (فيصبحوا على
 ما أسروا في أنفسهم نادمين) أي فيصير هؤلاء المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم من ان الدولة
 أي الغلبة لا أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يشكون في أمر الرسول ويقولون لا نظن
 انه يتم له أمره (ويقول الذين آمنوا) قرأه عاصم وحزمة والكسائي بالرفع مع اثبات الواو كما في مصاحف
 أهل العراق على الاستئناف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالرفع مع حذف الواو كما في مصاحف
 أهل الحجاز والشام على أن الجملة مستأنفة استأنافا ياتي في جواب سؤال نشأ من قوله تعالى فعسى
 الله أن يأتي بالفتح كأن القائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا الخ وقرأ
 أبو عمرو بالنصب مع الواو عطف على يصبحوا الأعلى يأتي لان ذلك القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور
 ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى يقول المؤمنون مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين
 كانوا يولونهم ويرجون دولتهم عند مشاهدتهم لانعكاس رجائهم تعريضا بالمخاطبين (أهؤلاء الذين
 أقسموا بالله جهد أيمانهم) أي غاية أيمانهم (انهم لعنكم) بالمعونة فان المنافقين حلفوا لليهود
 بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله وان قوتلت لنصرنكم أو المعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض
 مشيرين للمنافقين متعجبين من حالهم متعجبين بيمان الله عليهم من اخلاص الايمان عند مشاهدتهم
 لاظهارهم الميل إلى موالاة اليهود والنصارى انهم كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم انهم معناني ديننا في

السر ومن أنصارنا فالآن كيف صاروا موالين لا عدائنا محبين للاختلاط بهم والاعتضاد بهم وهذا
 نسب لقراءة الرفع مع اثبات الواو على الاستثناف أما المعنى الأول فهو أنسب لقراءة النصب ولقراءة الرفع
 مع حذف الواو ولقراءة الرفع مع الواو يجعل عطف جملة على جملة والله أعلم (حبطت أعمالهم) أي
 بطل ما أظهره ومن الأيمان وبطل كل خير عملوه لاجل أنهم الآن أظهروا موالاة اليهود والنصارى
 (فأصبحوا خاسرين) في الدنيا والآخرة فاستحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا
 من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ ابن عامر وناقير تدبد بالين من غير ادغام
 وهذا من الكائنات التي أخذ برعها القرآن قبل وقوعها روى أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشر فرقة
 ثلاثة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى بنو مدج ورئيسهم ذوالخار ويلقب بالأسود وكان له حمار
 يقول له قف فيقف وسرفيسير وكانت نساء أصحابه يتعطرون بروت حمارة وكان كاهنا داعي النبوة
 فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن وأمرهم بالنهوض إلى حراب
 الأسود فقتله فير وزالديلى على فراشه والثانية بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلة الكذاب ادعى النبوة
 في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي بعث أبو بكر خالد بن الوليد في جيش كبير وقتل على يد
 وحشي الذي قتل حمزة رضي الله عنه والثالثة بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد ادعى النبوة فبعث
 أبو بكر خالد فهزمهم وأفلت طليحة فهرب نحو الشام ثم أسلم أيام عمر وحسن إسلامه وسبيع في عهد أبي
 بكر الأولى فزاره قوم عيينة بن حصن والثانية غطفان قوم قرينة سلمة القشيري والثالثة بنو سليم قوم
 الفجاءة بن عبد ياليل والرابعة بنو يربوع قوم مالك بن نويرة والخامسة بعض تميم قوم مجاع بن المنذر وهي
 ادعت النبوة وزوجت نفسها مسيلة الكذاب والسادسة كندة قوم الأشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن
 وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة في
 عهد عمر وهي غسان قوم جبلة بن الأيهم وذلك أن جبلة أسلم على يد عمر وكان يطوف فوطى رجل طرف
 ردائه فغضب فاطمه فاشتكى الرجل إلى عمر فضى له بالقصاص عليه إلا أن يعفو عنه فقال أنا أشتريها
 بألف فأبى الرجل فلم يزل يذ في الغداة إلى أن بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل إلا القصاص فاستنظر عمر
 فأنظره فهرب جبلة إلى الروم رارند والمراد بقوم يحبهم ويحبونه كما قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة
 والضحاك وابن جريج هم أبو بكر وأصحابه لأنهم الذين قاتلوا أهل الردة ومعنى يحبهم أي يلهمهم الطاعة
 ويشبههم عليها ومعنى يطيعون لا أمره تعالى ونواهيته (أذلة على المؤمنين) أي عاطفين
 عليهم (أعزة على الكافرين) أي شداد عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وكان
 أبو بكر في أول الأمر حين كان رسول الله في مكة يذب عنه ويلازمه ويخدمه ولا يبالي بأحد من جبابرة
 الكفار وشياطينهم وفي وقت خلافته كان يبعث العسكر إلى المرتدين وإلى مانعي الزكاة حتى انهزموا
 وجعل الله ذلك مبدأ لدولة الإسلام (يجاهدون في سبيل الله) أي لنصرة دين الله (ولا يخافون لومة
 لائم) فالواو للحال أي بخلاف المنافقين فانهم كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فن كـ قويا في
 الدين فلا يخاف في نصرة دين الله بيده ولسانه لومة لائم وهذا الجهاد مشترك فيه بين أبي بكر وعلى إلا أن
 حظ أبي بكر في الجهاد أتم لأن مجاهدة أبي بكر مع الكفار في أول البعث وفي ذلك الوقت كان الإسلام في
 غاية الضعف والكفر في غاية القوة وكان يجاهد الكفار ويذب عن رسول الله بغاية وسعه وأما على فإنه
 كان جهاده في بدر وأحد وفي ذلك الوقت كان الإسلام قويا وكانت العساكر مجتمعة فثبت أن جهاد أبي

ذكر كان أكل من جهاد على لوجهين لتقدمه على جهاد على في الزمان ولأنه كان وقت ضعف الاسلام
 (ذلك) أي وصف القوم بالمحبة والشفقة والقوة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة الواحدة (فضل الله
 يؤتيه من يشاء والله واسع) أي كامل القدرة فلا يعجز عن هذا الموعود (عليم) أي كامل العلم فيمتنع
 دخول الخلق في أخباره ومواعيده (انما وليكم الله) أي انما ناصركم ومؤنسكم الله (ورسوله
 والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أي منقادون لجميع أوامر الله
 ونواهيها قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أنابري إلى
 الله من حلف قريظة والنضير وأولى الله ورسوله والمؤمنين وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن
 سلام وذلك انه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا
 واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة ائمتنا بل بعد المنازل فنزلت هذه الآية فقرأها النبي عليه فقال
 رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين وأوليائه والمراد بالمؤمنين المذكورين عامة المؤمنين والمراد بذكر هذه
 الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين وقيل المراد أبو بكر وقيل علي لما روى ان عبد الله بن سلام قال لما
 نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أنار آيت عليا تصدق بخاتمته على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه (ومن
 يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) أي من يتخذهم أولياء في النصر فانهم جند
 الله وجند الله هم الغالبون على أعدائهم بالحجة فانهم مستمرون أبداً بالصولة والدولة فقد يغلبون (يا أيها
 الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً أي خيرية (ولعباً) أي ضحكة (من الذين أوتوا الكتاب
 من قبلكم) أي اليهود والنصارى (والكفار) أي المشركين كعبدة الاوثان (أوليائه) في العون
 والمعنى ان القوم لما اتخذوا دينكم هزواً وخيرية فلا تتخذوهم أجباباً وأنصاراً فان ذلك كلام خارج
 عن العقل والمروءة * روى ان رفاعه بن زيد وسويد بن الحرث أظهر الايمان ثم نافقا وكان رجال من
 المسلمين يوادونهم فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقرأ أبو عمرو والكسائي والكفار بالجر ويعضده
 قراءة أبي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أشركوا فهم من جملة المستهزئين أيضاً بخلاف قراءة
 الباقيين بالنصب فلا يفيد انهم منهم وانما يستفاد ذلك من آية أخرى (واتقوا الله) في موالاتهم (ان
 كنتم مؤمنين) أي حقاً فان قضية الايمان توجب الاتقاء بلا شك (و) أولئك الذين اتخذوا دين المسلمين
 هزواً ولعباً هم الذين (اذا ناديتهم الى الصلاة) بالاذان والاقامة (اتخذوها) أي الصلاة والمناداة
 (هزواً ولعباً) أي لما اعتدوا انه ليس فيها فائدة ومنفعة في الدين والدنيا قالوا انها لعب روى الطبراني
 ان نصرانياً بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهدان محمد رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل
 خادمه ذات ليلة بنار أهل نيسابم فتطير شرره في البيت فأحرقه وأهله وقيل كان المنافقون من اليهود
 يتضاكون عند القيام الى الصلاة تنفير الناس عنها وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان
 دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئاً لم يسمع بمثله فيمأضي فان كنت نبياً
 فقد خالفت الانبياء قبلك فن أن لا يصباح كصباح العير فما أقبح هذا الصوت وهذا الامر فأنزل الله ومن
 أحسن قولاً من دعا الى الله الآية وأنزل واذا ناديتهم الى الصلاة الآية وقد دلت هذه الآية على ثبوت الاذان
 بنص الكتاب العزيز لا بتمام الصحابة وحده وجملة واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها من الشرط والجواب
 صلة ثانية للوصول إلى الجور وعن البيهقي وفي الحقيقة ان قوله اتخذوها معطوف على أوتوا وان قوله اذا
 ناديتهم ظرف له كأنه قيل ومن الذين اتخذوها هزواً ولعباً وقت أذانكم والله أعلم (ذلك) أي الاستهزاء

المذكور (بأنهم قوم لا يعقلون) أي لو كان لهم عقل كامل لعلموا أن خدمة الخالق المنعم بغاية التعظيم لا تكون مهزوماً فانه أحسن أعمال العباد وأشرف أفعالهم ولذلك قال بعض الحكماء أشرف الحركات الصلاة وأنفع السككات الصيام (قل) يا أشرف الخلق لليهود (يا أهل الكتاب هل تنعمون منا إلا أن آمننا بالله) أي ما تكرهون من أحوالنا إلا الإيمان بالله (وما أنزل اليانا) أي بالقرآن (وما أنزل من قبل) أي بما أنزل من قبل أنزال القرآن من التوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلهية (وأن أكثركم فاسقون) وقرأ الجمهور أن بفتح الهمزة أي وما تكرهون من أوصافنا إلا الإيمان بما ذكرنا كروا اعتقادنا بأن أكثركم خارجون عن الإيمان بما ذكرنا كرفان الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدق به بلاشك وقرأ نعيم ابن مسيرة أن بالكسر على الاستثنا (قل هل أنبشكم بشر من ذلك) أي عما قلتم لمحمد وأصحابه روى أنه أتى نفر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن دينه فقال صلى الله عليه وسلم نؤمن بالله وما أنزل اليانا إلى قوله ونحن له مسلمون فمن معوا منه صلى الله عليه وسلم ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شراً من دينكم فنزلت هذه الآية أي هل أخبركم بما هو شر مما تعتقدونه شراً (مثوبة) أي عقوبة (عند الله) مثوبة تميز لشرب عني عقوبة لانتهاكم (من لعنه الله) فمن موصولة بدل من شراً أي من أبعد الله من رجليه (وغضب عليه) أي مخط عليهم بأنهم ما كرم بعد سنوح اليينات (وجعل منهم القردة) في زمن داود عليه السلام وهم أصحاب السبت (والخنازير) في زمن عيسى عليه السلام بعد أن كلهم من المائدة فكفروا وروى أيضاً أن المسخين كانوا في أصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أي من أطاع أحداً في معصية الله كالكهنة وهو معطوف على صلة من كقراءة أبي وعبد الطاغوت كما أفصح على ذلك قراءة ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وكقراءة الأعمش والنخعي وعبد مبنياً للمفعول وكذا على قراءة عبد بفتح العين وضم الباء على وزن كرم أي صار الطاغوت معبوداً من دون الله تعالى ورفع الطاغوت على هاتين القراءتين فالراجح إلى الموصول محذوف فيها أي عبد الطاغوت فيهم أو بينهم وقرأ حمزة ر عبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت وهو مفرد يراد به الكثرة أي بالغ الغاية في طاعة الشيطان وهو معطوف على القردة كقراءة عابد الطاغوت وعابدي وعبادة وعبيد وعبدين وعبدة بوزن كفرة وعبدة بفتحيتين جمع عابد تخدم جمع خادم وقرئ وعبد الطاغوت بجر عبد عطف على من بناء على أنه مجرور وعلى أنه بدل من شر والسبعة اثنتان أولاً عبد الطاغوت على أن عبد فعل ماض مبني للفاعل وفيه ضمير عائذ على من وهذه قراءة غير حمزة وثانيهما قراءته وغيرهما قراءات شاذة (أولئك) الملعونون المسوخون (شر مكاناً) من المؤمنين لأن مكانهم سقر ولا مكان أشد شراً منه أو المعنى أولئك الملعونون المغضوب عليهم المجمعول منهم القردة والخنازير العابدون الطاغوت شر مكاناً من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال الذميمة (وأضل عن سواء السبيل) أي أكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم قال المفسرون لما نزلت هذه الآية غير المسلمون أهل الكتاب وقالوا يا أخوان القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم وإذا جاؤكم قاروا آمناً وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به نزلت هذه الآية في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الإيمان نفاقاً فأخبره الله تعالى بشأنهم أنهم يخرجون من مجلسك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يتعلق بقلوبهم شيء مما معوا منكم من نصائحك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغرضهم من هذا النفاق المبالغة فيما في قلوبهم من الجد في المكر

بالمسلمين والعداوة لهم (وترى كثير منهم) أي اليهود (يسارعون في الاثم) أي الكذب وكلمة الشرك (والعدوان) أي الظلم على الناس (وأكلهم السمحت) أي الحرام كالرشا (لبئس ما كانوا يعملون) أي لبئس شيئا كانوا يعملونه عملهم هذا (لولا) أي هلا (ينهاهم الربانيون) أي العباد (والاحبار) أي العلماء (عن قولهم الاثم وأكلهم السمحت) مع علمهم بجهنم وما وشاهدتهم لمباشرتهم لهما (لبئس ما كانوا يصنعون) أي لبئس شيئا كانوا يصنعونه تركهم للنهي عن ذلك والصنع أقوى من العمل لأن العمل اغماي يسمى صناعة اذا صار اسخا لجعل جرم العاملين دنبا غير راسخ وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنبا راسخا ولذلك ذم بهذا خواصهم ولأن ترك الانكار على المعصية أقبح من موافقة المعصية لأن النفس تلتذ بها لأنها مرض الروح وهو صعب شديد لا يكاد يزول ولا كذلك ترك الانكار عليها فيدخل في هذا الذم كل من كان قادرا على النهي عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية أشد آية في القرآن وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها والله أعلم (وقالت اليهود) قال ابن عباس وعكرمة والضحاك إن الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما بعث الله محمدا وكذبوا به ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قال فهاص بن عازوراه وأخرج الطبراني عن ابن عباس أنه قال النبش بن قيس (يد الله مغولة) أي مقبوضة عن العطاء على وجه الصفة بالبخل (غلت أيديهم وله وأبما قالوا) وهذه الكلمات دعاء عليهم والمعنى أنه تعالى يعلمنا أن ندعو عليهم بهذا الدعاء كما علمنا الاستثناء في قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وكما علمنا الدعاء على المفاقيح في قوله تعالى فزادهم الله مرضا وعلى أبي لهب في قوله تعالى تبت يد أبي لهب فينبذ يكون المعنى دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله تعالى وبغل الأيدي حقيقة بأن يغلو في الدنيا أسارى وتشد أيديهم إلى أعناقهم في نار جهنم ويسحبوا إلى النار باغلا لها وقوله ولعنوا بما قالوا أي عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار بسبب قولهم ذلك (بل يدها مبسوطتان) عطف على مقدر أي ليس الأمر على ما وصفتهموه تعالى به من البخل بل هو تعالى جواد كريم على سبيل الكمال فإن من أعطى بيديه من الإنسان فقد أعطى على أكمل الوجوه فتشبهت اليد بمبالغة في الوصف بالجود وأيضا إن المراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة فالمعنى إن نعمة الله متتابعة ليست كما دعي من أنها مقبوضة مختصة وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على إعطائه كراما وعلى إعطائه استدراجا فقيل نعمته تعالى نعمة الدين ونعمة الدنيا ونعمة الباطن ونعمت الظاهر أو نعمة النفع ونعمة الدفع أو نعمة الشدة ونعمة الرخاء (ينفق كيف يشاء) أي يرزق خلقه كائنا على أي حال يشاء إن شاء قتر وإن شاء وسع (وليز يدن كثير منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) أي والله ليز يدن القرآن علماء اليهود غلوا في الانكار وشدة في الكفر إذ كلما نزلت آية كفروا بها كما أن الطعام الصالح للأصحاء يز يد المرضي مرضا (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) فكل فرقة من اليهود تخالف الأخرى فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم فإن اليهود فرق فإن بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة وكذا النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية (كلما أوقدوا نار الحرب أطفاها الله) أي كلما هموا بحاربة أحد رجعوا خائبين مقهورين وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله

عليهم المسلمين وكلما أرادوا محاربة النبي صلى الله عليه وسلم ورتبوا أسبابا وركبوا في ذلك متن كل صعب
 ردهم الله تعالى وقهرهم وذلك لعدم اثلا فهم (ويسعون في الأرض فسادا) أي ويجهتدون في الكيد
 للإسلام وأهله واثارة الفتنة بينهم وفي تعويق الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يحب
 المفسدين) أي والله يعاقب المفسدين في الأرض كاليهود وغيرهم (ولو أن أهل الكتاب) أي أن
 اليهود والنصارى (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) مخالفة كتابهم (لكفرنا عنهم
 سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم) فالكتاب لا يدخل الجنة ولا يرفع عنه العقاب ما لم يسلم والإسلام
 يجب ما قبله (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) أي أقاموا أحكامهما وحدودهما (وما أنزل إليهم
 من ربه) من الكتب ككتاب شعيا وكتاب حيقوق وكتاب دانيال وكتاب أرميا وزبور داود لأنهم
 مكافون بالإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وأيضا في هذه الكتب ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
 فيكون المراد بإقامة هذه الكتب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربه
 القرآن لأنهم مأمورون بالإيمان به فكأنه نزل إليهم من ربه (لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)
 وهذه مبالغة في السعة والخصب لأن هناك فوقا وتحتا والمعنى لا كلوا أكلام متصلا كثيرا وقيل من نزول
 القطر ومن حصول النبات وقيل من الأشجار المثمرة ومن الزروع المغلة وقيل المراد أن يرزقهم الله الجنان
 البائعة الثمار فيجتنون ما تهطل من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم
 هذا في القائلتين يد الله مغولة الذين ضيق عليهم عقوبة لهم (منهم) أي من أهل الكتاب (أمة مقتصة)
 أي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وبجير الراهب وأصحابه والنجاشي
 وأصحابه وسلمان الفارسي وأصحابه (وكثير منهم ساء ما يعملون) من العناد وتحريف الحق والافراط
 في العداوة وكتمان صفة محمد كعبد بن الأشرف وعبد بن أسد ومالك بن الصيف وسعيد بن عمرو وأبي
 ياسر وجرى بن أخطب (يا أيها الرسول) أي يا محمد (بلغ ما أنزل إليك من ربك) من غير مبالاة
 لليهود والنصارى. ومن غير خوف من أن ينالك مكروه أبدا (وان لم تفعل) ما أمرت به من تبليغ
 جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها (فاباغت رسالته) أي رسالة ربك وقرأ ابن عامر ونافع
 وشعبة رسالته بجمع تأنيث سالم وقرئ فاباغت رسالاتي وهذا تنبيه على غاية التهديد (والله يعصمك
 من الناس) أي الكفار أي يؤمنك من مكر اليهود والنصارى من قتلهم وعن أنس رضي الله عنه كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية فأخرج رأسه من قبة آدم وقال
 انصرفوا يا أيها الناس فقد دعاهني الله من الناس (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) أي أنه تعالى
 لا يمكنهم مما يريدون بل من القتل روى أنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة في بعض أسفاره وعلق
 سيفه عليها فأتاه أعرابي وهو نائم فأخذ سيفه وأخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد
 الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه (قل يا أهل الكتاب لستم على
 شيء من الدين ولا في أيديكم من الصواب) (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) أي تحافظوا على ما فيهما من
 دلائل رسالة الرسول وشواهد نبوته فإن أقامتهما انما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامهما المنسوخة
 فليست من أقامتهما في شيء (وما أنزل إليكم من ربكم) أي حتى تراعوا على ما في القرآن بالإيمان به فإن
 إقامة الجميع لا تحصل بغير ذلك (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك) وهو القرآن (طغيانا)
 أي تماديا في الجود (وكفرا) أي ثباتا على الكفر (فلاتأس على القوم الكافرين) أي لاتأسف

عليهم بسبب زيادة طغيانهم وكفرهم ولا بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم (ان الذين آمنوا) اي ايماناً
حقاً بموسى وبجمله الانبياء والكتب وما توا على ذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (والذين هادوا)
أى دخلوا فى اليهودية (والصابثون) هم قوم من النصارى وهم آلىن قولاً من النصارى (والنصارى من
آمن) من هؤلاء الثلاثة (بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) أى خالصاً فيما بينهم وبين ربهم وتاب اليهودى
من اليهودية والصابث من الصابثية والنصارى من النصرانية (فلا خوف عليهم) اذا ذبح الموت
(ولا هم يحزنون) اذا طبقت النار فقلوه والذين هادوا مبتدأ قالوا ولعطف الجمل أولاً استئناف وقوله
والصابثون عطف على هذا المبتدأ كقوله والنصارى وقوله فلا خوف عليهم الخ خبر عن هذه المبتدآت
الثلاثة وقوله من آمن يدل بعض من هذه الثلاثة فهو مخفص فلاخبار عن اليهود ومن بعدهم بما ذكر
بشرط الايمان بما ذكر وقوله ان الذين خبران محذوف دل عليه المذكور من خبر هذه الثلاثة وقرئ
والصابثين وقرئ يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابثون وهم من صبا الى اتباع الهوى والشهوات
فى دينهم (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) أى بالله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الاحكام
المكتوبة عليهم فى التوراة (وأرسلنا اليهم رسلاً) ذوى عدد كثير ليقرروهم على مراعاة حقوق
الميثاق (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) أى كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تحبه
أنفسهم المنهمكة فى الفنى من الشرائع وميثاق التكليف عصوه وعادوه (فريقاً كذبوا) أى فريقاً من
الرسل كذبوهم كعيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم (وفريقاً) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى
عليهما السلام وقصدوا أيضاً قتل عيسى وان كان الله منعهم عن مرادهم وهم يريدون انهم قتلوه فذكر
التكذيب بلفظ الماضى إشارة مع معاملتهم مع موسى عليه السلام فانهم كذبوه فى كل مقام وتعدوا على
أوامره لأنه قد انقضى من ذلك الزمان أذوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المضارع إشارة الى معاملتهم مع
زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ليكون ذلك الزمان قريباً فكان كالحاضر ومحافظة للفاصلة
(وحسبوا أن لا تكون فتنة) أى ظن بنوا اسرائيل أن لا توجد بلاه وعذاب يقتل الانبياء وتكذيبهم
لانهم كانوا يعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله لانهم
اعتقدوا أن النسخ ممتنع على شرع موسى وكانوا يعتقدون أن نبوة اسلافهم تدفع عنهم العقاب الذى
يستحقونه بسبب ذلك القتل والتكذيب (فعموا) عن الهدى (وهو) عن الحق فخالفوا أحكام التوراة
فقتلوا شعياً أو حبسوا أرمياء عليهم السلام فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهم راسب على بابل
فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفاً من يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى أرضه فبقوا هناك
دهراً طويلاً على أقصى الدل الى أن أوحى نوحاً نبوة صحيحة (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا فوجه الله
تعالى ملكاً عظيماً من ملوك فارس الى بيت المقدس ليغيره ونجى بقايا بنى اسرائيل من أسر بخت نصر
وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم فى الاكاف فعمره ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا
عليه وقيل لما ورث بهم من الملك من جده ألقى الله تعالى فى قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم
دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى
أحسن ما كانوا عليه من الحال (ثم عموا وصموا كثير منهم) فعادوا الى الفساد واجترأوا على قتل زكريا
ويحيى وقصدوا قتل عيسى فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه
خيدرود ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دماً يغلى فسألهم فقالوا دم

قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا
أنه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب
قومك من أجلك فاهداً بأذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحداً منهم فهذا (والله بصير بما يعملون) أى
وان دق فيجازيهم به وفق أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) قيل هم المملوكانية
والماريقونية منهم القائلون بالاتحاد وقيل هم اليعقوبية خاصة لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولعل
معنى هذا المذهب انهم يقولون ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى (وقال المسيح) أى
والحال قد قال المسيح مخاطباً لهم (يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) أى وحدوا الله في العبادة
خالقى وخالقكم (انه) أى الشأن (من يشرك بالله) شياً في عبادته أو فيما يختص به من صفات
الالهية (فقد حرم الله عليه الجنة) أى فقد منعه الله من دخولها (ومأواه النار) فانها هي المعدة
للمشركين (ومال الظالمين من أنصار) أى ومالهم من أحد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المبالغة
أو بطريق الشفاعة فقوله تعالى انه من يشرك الى الآية وارد من جهة تعالى لتأكيده مقالة عيسى عليه
السلام ولتقرير مضمونها (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهم النسطورية والمرقسية وفي
تفسير قولهم طريقان الاول قال بعض المفسرين انهم أرادوا بذلك ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة فعنى
ثالث ثلاثة أى أحد ثلاثة آلهة فكل واحد من هؤلاء انه لانهم يقولون ان الالهية مشتركة بين هؤلاء
الثلاثة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة اذ الم يرد به ثالث ثلاثة آلهة فانه ما من شيتين
الا والله ثالثهما بالعلم اه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بى بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والثاني
حكى المتكلمون عن النصارى انهم يقولون ان الاله جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم أب وابن وروح
قدس فهذه الثلاثة الاله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعذوا بالآب
الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى
اختلاط الماء باللبن واختلاط الماء بالخر وزعموا أن الآب والابن والروح الاله والكل الاله واحد
(وما من الاله الا الاله واحد) أى وما فى الوجود من هذه الحقيقة الا فرد واحد أو المعنى وما من الاله الا هل
السموات والارض الا الاله لا ولده ولا شريل له فهو الاله واحد بالذات منزعه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه
(وان لم ينتهوا عما يقولون) أى من هاتين المقالتين وما قرب منهما (ليمن الذين كفروا منهم) أى
لبصين الذين أقاموا على هذا الدين (عذاب أليم) أى شديد الألم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه)
أى ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله عن تلك المقالة والعقيدة
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول أو المعنى أيسعون هذه الشهادات المكررة
والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقب سماع تلك القوارع الهائلة (والله غفور) لمن تاب وآمن
(رحيم) لمن مات على التوبة (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى ما هو الا رسول
من جنس الرسل الذين مضوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بامثالها فليس باله كالرسل الخالية قبله
فانهم لم يكونوا آلهة فان كان الله أبره الا كره الارض وأحيا الموتى على يد عيسى عليه السلام فقد فلق
البحر وأحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب منه وان كان الله خلقه من غير
آب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب منه (وأمه صديقة) أى ومأمه الا صديقة أى تلازم
الصدق وتصدق الانبياء وتبالغ في بعدها عن المعاصي وفي إقامة مراسم العبودية كسائر النساء اللاتي

يلزم الاتصاف بذلك فارتبة عيسى الارتبة نبى ومارتبة أمه الارتبة صحابي فمن أين لكم أن تصفوهما
 بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواص الناس فإن أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكمل
 صفات أمه الصديقية وذلك لا يستلزم لهما الألوهية (كأناباً كلان الطعام) كسائر أفراد البشر
 (انظر) يا شرف الخلق (كيف نبين لهم الآيات) أى العلامات بأن عيسى ومريم لم يكونا بالهين
 وببطلان ما تقولوا عليهما (ثم انظر أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن استماع الآيات وعن التأمل
 فيها فإله بين لهم الآيات بيانا عجبا واعراضهم عنها أعجب منها (قل أتعبدون من دون الله) أى غيره
 (مالا يملك لكم ضررا ولا نفعا) وهو عيسى عليه السلام فإن مذهب النصارى أن اليهود صلبوه وضرقوا
 أضلاعه ولما عطش وطلب الماء منهم صبوا الخل في منخريه ومن كان في الضعف هكذا كيف يعقل أن
 يكون الهافلو كان كذلك لامتنه كونه مشغولا بعبادة الله تعالى ومن كان كذلك كان محتاجا اليه في
 تحصيل المنافع ودفع المضار ومن كان كذلك كيف يقدر على إيصال المنافع الى العباد ودفع المضار عنهم وإذا
 كان كذلك كان عبدا كسائر العبيد (والله هو السميع العليم) والمراد من هذه الجملة التهديد أى جميع
 بكفرهم ولما لقتهم في عيسى وأمه عليهم بضمائرهم وبعقوبتهم (قل يا أهل الكتاب) أى يامعشر اليهود
 والنصارى (لا تغلوا في دينكم غير الحق) أى لا تتجاوزوا الحد في دينكم تجاوزا باطلا فان الغلو في الدين
 نوعان غلو حق وهو ان يجتهد في تحصيل حجة وتقريرها كما يفعله المتكلمون وغلو باطل وهو ان يتكلف في
 تقرير الشبهة ويتجاوز الحق ويعرض عن الأدلة وذلك الغلو هو رفع النصارى لعيسى فقالوا انه اله وخفض
 اليهود له فقالوا انه ابن زنا وانه كذاب (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أى لا تتبعوا مذاهب قوم قد
 ضلوا من قبلكم عن التوراة والانجيل (وأضلوا كثيرا) من الناس بتناديهم في الباطل (وضلوا عن سواء
 السبيل) أى عن الدين الحق وعن القرآن بسبب اعتقادهم في ذلك الاضلال انه ارشاد الى الحق (لعن
 الذين كفروا من بنى اسرائيل) أى لعن الله تعالى اليهود في الزبور والنصارى في الانجيل (على لسان داود
 وعيسى بن مريم) فاليهود لعنوا على لسان داود والنصارى لعنوا على لسان عيسى والغريقان من بنى
 اسرائيل وهم أصحاب السبت وأصحاب المائة أما أصحاب السبت فهم قوم داود وذلك ان أهل ايلة لما
 اعتدوا في السبت بأخذ الخيتان دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فسخطهم
 الله فردة وأما أصحاب المائة فانهم لما أكلوا من المائة وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم
 عذب من كفر بعد ما أكل من المائة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت
 فسخطوا فردة وخنازير وكانوا خمسة آلاف ليس فيهم امرأة ولا صبي (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى
 ذلك اللعن الفظيع بسبب عصيانهم ومبالغةهم في العصيان (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أى
 كانوا لا يمتنعون عن معاودة منكر فعلوه ولا يتركونه ولا يصدر من بعضهم نهى لبعض عن منكر أرادوا
 فعله روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رضى عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو
 منهم (لبش ما كانوا يفعلون) أى أقسم لبش ما كانوا يفعلونه فعلهم هذا وهو ترك الاصرار على
 منكر فعلوه وترك النهى عنه (ترى كثيرا منهم) أى تبصر كثيرا من أهل الكتاب ككعب بن
 الأشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) أى يصادقون كفارا أهل مكة أباسفيان وأصحابه بغضا
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أى فان كعبا واضرا به خرجوا الى مشركى مكة ليتفقوا على
 محاربة النبي صلى الله عليه وسلم (لبش ما قدمت لهم أنفسهم أن يخط الله عليهم) أى لبش شيا

قدموا من مواليتهم لعبدة الاوثان - لئلا يعادهم موجب سخطه تعالى عليهم (وفي العذاب هم خالدون)
 أي وخالودهم أبا الأبد في عذاب جهنم وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها فهي من جملة المخصوص بالذم
 (ولو كانوا) أي أهل الكتاب الذين يوالون المشركين (يؤمنون بالله والنبي) أي نبيهم وهو موسى (وما
 أنزل اليه) من التوراة كما يدعون (ما اتخذوه) أي ما اتخذ اليهود المشركين (أولياء) لأن تحريم
 ذلك متأكد في التوراة في شرع موسى عليه السلام فلما فعلوا ذلك ظهر أنه ليس مرادهم تقرير دين
 موسى بل مرادهم الرياسة فيسعون في تحصيله بأي طريق قدروا عليه، فلهذا وصفهم الله تعالى بالفسق
 فقال (ولكن كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الدين والايان بالله ونبيهم وكتابهم أما البعض
 منهم فقد آمن وفي هذه الآية وجه آخر ذكره القفال وهو أن يكون المعنى ولو كان هؤلاء المتولون من
 المشركين يؤمنون بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذهم هؤلاء اليهود أولياء وهذا الوجه حسن ليس
 في الكلام ما يدفعه (لتجدن) يا أكرم الخلق (أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)
 من أهل مكة لشدة شليتهم وتضاعف كفرهم وانهم ما كهم في اتباع الهوى وقربهم إلى التقليد وبعدهم
 عن التحقيق وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما خلا يهود يان بمسلم الا هما يقتله وقد قال بعضهم
 مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر إلى من خالفهم في الدين بأي طريق كان فان قدروا على القتل
 فذاك والا فبغصب المال أو بالسرقة أو بنوع من الخيلة وأما النصارى فليس مذهبهم ذلك بل الايذاء
 حرام في دينهم فهذا وجه التفاوت وذكر الله تعالى ان النصارى ألين عريكة من اليهود وأقرب إلى المسلمين
 منهم (ولتجدن) يا أشرف الخلق (أقربهم) أي الناس (مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى)
 انما أسند تسميتهم نصارى اليهم دون تسمية اليهود للاشعار بقرب مودتهم حيث يدعون انهم أنصار الله
 وأوداه أهل الحق وان لم يظهر واعتقاد حقيقة الاسلام فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية
 اليهود يهودا فانها حقيقة سواء هو بذلك لكونهم أولاد يهود بن يعقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة الجبل
 أو لتحركهم في دراستهم (ذلك) أي لكونهم أقرب مودة للمؤمنين (بأن منهم) أي بسبب انهم
 (قسيسين) أي علماء (ورهبانا) أي عبادا أصحاب الصوامع (وأنهم لا يستكبرون) عن قبول
 الحق اذا فهموه كما استكبر اليهود والمشركون من أهل مكة (ر) انهم (اذا جمعوا) أي القسيسون
 والرهبان الذين آمنوا منهم (ما أنزل إلى الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (ترى أعينهم
 تفيض من الدمع) أي تمتلئ من الدمع حتى تفيض أي تسيل (فما عرفوا من الحق) أي من نعت محمد
 صلى الله عليه وسلم في كتابهم أو مما عرفوا بعض الحق الذي هو القرآن روى ان قريشا تشاورت ان يقتلوا
 المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من آمن منهم فأذوهم وعذبوهم ومنع الله تعالى رسوله محمد صلى
 الله عليه وسلم بعنه أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بأصحابه أمرهم بالخروج إلى
 أرض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فخرجوه اليه حتى يجعل الله للمسلمين
 فرجا فخرج اليها سرا أحد عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وزوجته ربيعة بنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة
 وأمهاتة سهلة ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وزوجته أم سلمة بنت أمية وعنه مان بن مظعون
 وحاتم بن دبيعة وأمهاتة ليسلى وحاتم بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة
 بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعدهم

جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر إلى أرض الحبشة اثنتين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش إن ناركم بأرض الحبشة فاهدوا إلى النجاشي واسمعه أصحابه وابعثوا إليه رجلين من ذوى رأيكم ليعطيه من عنده فتقتلونهم عن قتل منكم بيد ربعت كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة بهدايا إلى النجاشي وبطارقته ليردهم إليهم فدخلوا إليه فقال له أيها الملك انه قد خرج فينا رجلاً زعم انه نبي وهو قد بعث إليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا ان نخبرك خبرهم وان قومنا يسألونك ان تردهم إليهم فقال حتى نسألهم فأمر بهم فأحضروا فلما أتوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال ائذنوا لهم فراحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى انهم لم يحيلوك بتحييتك التي تحياهم ا فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحييتي قالوا انا حينئذ بك تحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى واسمه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذه العود فذكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئاً مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرأوا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأوا فتحدثت دموعهم وما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر الطيار من القراءة فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فانتم بأرضي آمنون فرجع عمرو ومن معه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار إلى ان علا أمر رسول الله وقهر أعداءه في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليرزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشي إليها جارية اسمها ابرهة فخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرنت أم حبيبة بذلك وأذنت لخالد بن سعيد ان يرزوها فانفذ النجاشي إليها أربع مائة دينار صداقها على يد ابرهة وقالت ابرهة قد صدقت بمحمد وآمنت به وحاجتي إليك أن تقرئني مني السلام قالت نعم وقالت نخرجنا إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وأقت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخلت عليه فقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد الرسول عليها السلام ووافى جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخير ومع جعفر سبعون رجلاً عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلاً من الحبشة وثمانية نفر من رهبان الشام بخير الراهب وأصحابه ابرهة وأشرف وادريس وجمهم وتمام ودريد وابن وكلهم من أصحاب النجاشي فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس إلى آخرها فبكوا وأمنوا وأسلموا وقال ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام (يقولون ربنا آمنا) بعامة عنما أنزل على رسولك وشهدنا انه حق (فاكتبنا مع الشاهدين) أي فاجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا فلما لامهم قومهم بالاسلام فقالوا بتحقيقا لايمانهم (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وجملة قوله تعالى لا تؤمن حال من الضمير في لنا وجملة لا نطمع حال ثانية منه بتقدير مبدء أي أي شيء حصل لنا غيره ومؤمنين بالله وبما جاءنا من القرآن والرسول ونحن نطمع في محبة الصالحين ويجوز ان يكون قوله ونطمع حالاً من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم أنكروا على أنفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في محبة المؤمنين) فأثابهم الله بما قالوا أي جعل الله ثوابهم على قولهم ربنا آمنا مع اخلاص النية ومعرفة الحق أو بسبب ما سألوا

بقولهم فاكتمنا مع الشاهدين كما رواه عطاء عن بن عباس وقرئ قاتاهم الله (جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك) أي الجنات (جزاء المحسنين) بالآيمان أو المعنى جزاء الذين اعتادوا
الاحسان في الأمور روى ان هذه الآيات الأربع نزلت في النجاشي وأصحابه (والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي ملازمون لها لا يتفكرون عنها دون غيرهم من عصاة المؤمنين وان
كثرت كثرتهم (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أي لا تعتقدوا وتحريم ما أحل
الله لكم ولا تظهروا باللسان تحريمه ولا تجتنبوا عند الطيبات اجتنابا يشبه الاجتناب من المحرمات ولا
تلتزموا وتحريم الطيبات بنذر أو عين (ولا تعتدوا) أي لا تسرفوا في تناول الطيبات ولا تتجاوزوا أمر الله
بقطع المذاكير (ان الله لا يحب المعتدين) من الحلال الى الحرام كالمثلة فمن اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد
كفرا ما ترك لذات الدنيا والتفرغ بعبادة الله تعالى من غير اضرار بالنفس ولا تقويت حق الغير فضيلة
مأمور بها نزلت هذه الآية في عشرة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم أبو بكر الصديق
وعمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون الجهمي ومقداد بن الاسود الكندي وسالم مولى أبي
حذيفة وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وذلك لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم القيامة لأصحابه يوم أقبل الكلام في الانذار فبكوا واجتمع هؤلاء العشرة في بيت عثمان بن مظعون
وتشاؤروا واتفقوا على عزه ان يرفضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة والمشارب الذينة
وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل وأن لا يناموا على الفرش ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح ويسبحوا
في الأرض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم أؤمر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان
لا أنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا وافاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم
وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني * وروى ان عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ائذن لي في الاختصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منام من خصي ولا من اختصني ان
خصاء أمتي الصيام فقال يا رسول الله ائذن لي بالسياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله قال
يا رسول الله ائذن لي في الترهيب قال ان ترهب أمتي الجلوس في المساجد لا تنتظر الصلاة (وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا) أي كلوا بعض رزقكم من الله الذي يكون حلالا مستلذا واصر فوا البقية الى
الصدقات والخيرات (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) في تحريم ما أحل الله لكم وفي المثلة (لا يؤاخذكم
الله بالغوي أيمانكم) قد تقدم ان قوما من أصحابه حرموا على أنفسهم المطاعم والملابس واختاروا
الرهانية وحلفوا على ذلك على ظن انه قرينة فلما نهاهم الله تعالى عنها قالوا يا رسول الله فكيف نصنع
بإيماننا فانزل الله تعالى هذه الآية (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) أي بتعقيدكم الأيمان
بالقصد اذا حنثتم قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم عقدتم بتشديد القاف وقرأ حمزة
والكسائي وأبو بكر عن عاصم عقدتم بتخفيف القاف وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر عاقدتم بالالف
والتخفيف (فكفارتها) أي فكفارة ذلك الأيمان التي ليست ببلغو (اطعام عشرة مساكين من أوسط
ما تطعمون أهليكم) في قدر الطعام وهو ثلثان لكل مسكين فان الانسان قد يكون قليل الأكل جدا
يكفيه الرغيف الواحد وقد يكون كثيرا لا يكفيه المنوان والمتوسط الغالب يكفيه من الخبز ما يقرب
من المنى ثلثا منى من الخنطة اذا جعل دقيقا أو خبزا فانه يصير قريبا من المنى وذلك كاف في قوت اليوم
الواحد (أو كسوتهم) بأقل ما يطلق عليه اسم الكسوة كالزار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة لكل

مسكين ثوب واحد (أو تحرير رقبة) وتقديم الطعام على العتق لأن المقصود تنبيهه على أن هذه الكفارة وجبت على التخيير بين هذه الثلاثة ولأن الطعام أسهل لكون الطعام أعم وجوداً ولأن الطعام أفضل لأن الحر الفقير قد لا يجد الطعام أما العبد فإنه يجب على مولاه إطعامه وكسوته (فمن لم يجد) واحداً من هذه الثلاثة (فصيام ثلاثة أيام) ولو متفرقة لما روى أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم على أيام من رمضان أفأقضيها متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم أرأيت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم فالدرهم أما كان يجزيك قال بلى قال فإله أحق أن يعفو ويصفح والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم إذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا أيمانكم) أي قللوا الأيمان وضنوا بها (كذلك) أي مثل ذلك التبيين لحكم الأيمان (بين الله لكم آياته) أي إعلام شريعته (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم (يا أيها الذين آمنوا اغموا الخمر) أي المسكر (والميسر) أي القمار (والانصاب) أي الأصنام التي نصبها المشركون ويعبدونها (والأزلام) سهام مكتوب عليها خير وشر (رجس) أي قدر تعاف عنه العقول (من عمل الشيطان) أي من الأمور التي يزينها للنفس (فاجتنبوه) أي الرجس (لعلكم تفلحون) أي لكي تنجوا من العذاب (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر) إذا صرتم نشاوى كما فعل الانصارى الذي شجع رأس سعد بن أبي وقاص بلهى الجمل (والميسر) إذا ذهب مالكم (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لأن شرب الخمر يورث اللذة الجسمانية والنفس إذا استغرقت فيها غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة ولأن الشخص إذا كان غالباً في القمار صار استغراقه في لذة الغلبة مانعاً من أن يخطر بباله شيء سواه (فهل أنتم منتهون) أي قد بينت لكم مفسد الخمر والميسر فهل تنتهون عنهم أم أنتم مقيمون عليهما كأنكم لم توعظوا بهذه المواعظ (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) في أمرهما بالاجتناب عن الخمر والميسر (واحذروا) عن مخالفتهم في التكليف (فإن قوليتم) أي أعرضتم عن طاعتهم ما وعن الاحتراز عن مخالفتهم (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أي فالحجة قامت عليكم والعلل انقطعت لأن الرسول قد خرج عن عهدة التبليغ كمال الخروج وما بقي بعد ذلك إلا العقاب وهذا تهديد شديد (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح) أي أنتم (فيما طعموا) من الخمر ومن مال اللعب بالملاهي (إذا ما اتقوا) أن يكون في ذلك شيء من المحرمات أي إذا عملوا الاتقاء (وآمنوا وعمالوا الصالحات) أي واستمروا على الأيمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بعد ذلك (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) أي استمروا على اتقاء المعاصي (وأحسنوا) أي اتجروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها (والله يحب المحسنين) روى أنه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت الصحابة إن اخواننا كانوا قد شربوا الخمر يوم أحد ثم قتلوا فكيف حالهم فنزلت هذه الآية وروى أبو بكر الأصم أنه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعّلوا القمار وكيف بالغائبين عنا في البلدان لا يشعرون أن الله حرم الخمر وهم يطعمونها فنزل الله هذه الآيات (يا أيها الذين آمنوا ليلنواكم الله) أي ليختبرن الله طاعتكم من معصيتكم (بشيء من الصيد) أي من صيد البر (تناله أيديكم ورماحكم) قال مقاتل بن حبان ابتلاه الله بصيد البر وهم محرمون عام الحديبية حتى كانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم فيقذرون على أخذ الطير بالأيدي والوحش بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عنها ابتلاءً (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أي ليعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم من يخافه حال كون الله تعالى غير مرئي له غائب عن رؤيته أو يخافه باخلاص

القلب فيترك الصيد (فمن اعتدى) بالتعرض للصيد (بعد ذلك) أي بعديان أن ما وقع من الصيد ابتلاء من عند الله تعالى لتمييز المطيع من العاصي (فله عذاب أليم) وهو العذاب في الآخرة والتعزير في الدنيا قال ابن عباس هذا العذاب هو أن يضرب بطنه ويظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه ولما قتل أبو اليسر ابن عمرو صيدا متعمدا بقتله ناسيا لأحرامه أنزل الله تعالى قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أي محرمون أو داخلون في الحرم (ومن قتله) أي الصيد (منكم متعمدا) أي بقتله مع نسيان الأحرام كما قاله مجاهد والحسن (لجزاء مثل ما قتل من النعم) أي شبهة في الخلقة والتقييد بالتعمد لأن الآية نزلت في المتعمد حيث قتل أبو اليسر حمار وحش وهو محرم عمدًا ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ ملحق بالعمد فيستوى في محظورات الأحرام العمد والخطأ في جزاء الاتلافات (يحكم به) أي بمثل ما قتل (ذو عدل منكم) أي رجلان صالحان من أهل دينكم فقيهان عدلان فينظران إلى أشبهه الأشياء بالمقتول من النعم فيمكن به قال ميمون بن مهران جاء أعرابي إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال اني أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر رضي الله عنه أي بن كعب فقال الأعرابي أتيتك أسألك وأنت تسأل غيري فقال أبو بكر رضي الله عنه وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقنا على شيء أمرناك به وعن قبيصة بن جابر أنه حين كان محرما ضرب ظبيًا فأتى فسأل عمر بن الخطاب وكان يجنبه عبد الرحمن بن عوف فقال عمر لعبد الرحمن ما ترى قال عليه شاة قال وأنا أرى ذلك فقال اذهب فاهد شاة قال قبيصة فخرجت إلى صاحبي وقلت له إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأله غيره قال ففاجأني هرو علاتي بالدرة وقال أتقتل في الحرم وتسفح الحكم قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم فأنام عمرو وهذا عبد الرحمن بن عوف وقد حكم ابن عباس وعمرو وغيرهما بشاة في الحمام وهو كل ما عب وهدر من الطير كالقمرى والدبسى (هديا بالغ الكعبة) فهديا منصوب على التمييز والمعنى يحكم بالمثل هديا يساق إلى الكعبة أي إلى أرض الحرم فينحر هناك (أو كفارة طعام مساكين) فقوله كفارة عطف على قوله لجزاء أي فعلية جزاء أو كفارة الخ أو عطف على محل قوله من النعم وقوله طعام مساكين عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة (أو عدل ذلك) أي أو مثل ذلك الطعام (صياما) فقوله أو عدل عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعددهم فحيث تكون المماثلة وصفها لا لزما للجزاء بقدر به الهدى والطعام والصيام أما الأولان قبل واسطة وأما الثالث فبواسطة الثالث فيختار الجاني كلام من هذه الثلاثة (ليذوق وبال أمره) أي جزاء ذنبه والوبال في اللغة الثقل وانغاص في الله ذلك وبال لأن أحدها الثلاثة ثقيل على الطبع لأن في الجزاء بالمثل والاطعام تنقيص المال وفي الصوم انهاء البدن والمعنى أنه تعالى أوجب على قاتل الصيد أحدها من الأشياء التي كل واحد منها ثقيل على الطبع حتى يحترز عن قتل الصيد في الحرم وفي حال الأحرام (عفا الله عما سلف) أي لم يؤاخذ الله بقتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم لأن قتله اذ ذاك مباح (ومن عاد) إلى قتل الصيد بعد النهي عنه (فيتنقم الله منه) أي فهو ينتقم الله منه في الآخرة مع لزوم الكفارة (والله عزيز) أي غالب لا يغالب (ذوانتقام) أي ذو عقوبة شديدة (أحل لكم صيد البحر وطعامه) أي أحل لكم أيها الناس صيد جميع المياه العذبة والمالحة بجمرا كان أو نهرا أو غديرا أي اصطيدا بصيد الماء والاتقاع به بأكله ولاجل عظامه واسنانه وأحل لكم طعام البحر أي أكله فالصيد كما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد

مما لفظه البحر وأنضب عنه الماء من غير معالجة في أخذه قال الشافعي رحمه الله السمكة الطافية في البحر
 محللة والسماك عنده ما لا يعيش الا في الماء ولو كان على صورة غير الماء كؤل من حيوا البر كالآدمي
 والكلب والخنزير فهذا كله حلالا عنده بخلاف ما يعيش في الماء والبر كالسرطان والضفدع والتمساح
 والسلحفاة وطير الماء وحجة الشافعي القرآن والخبر أما القرآن فهو قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه
 فما يمكن أكله يكون طعاما فيحل وأما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم في حق البحر هو الطهور وماؤه الحل
 ميتته نزلت هذه الآية في قوم من بني مدج كانوا أهل صيد البحر سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام
 البحر وعما حسر البحر عنه ومعنى قوله وطعامه أي ما حسر عنه البحر وألقاه (متاعا لكم وللسيارة) أي
 أحل لكم ذلك لأجل انتفاعكم وللسافرين منكم يتزودونه قديدا فالطري للقيم والمالح للمسافر (وحرم
 عليكم صيد البر ما دمتم حرما) أي محرمين أو في الحرم فذهب أبي حنيفة يحل للمحرم أكل ما صاده الحلال
 وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل إحرامه لأن الخطاب للمحرمين فكانه قيل
 وحرم عليكم ما صدمتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح ما صيده فان لحم
 الصيد عندهم مباح للمحرم بشرط أن لا يصطاده المحرم ولا يصطاده والحجة فيه ما روى أبو داود في سننه
 عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يه طاد لكم
 (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) لا إلى غيرهم حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إلى غيره
 فآخشوه تعالى في جميع المعاصي (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أي صير الله الكعبة
 سببا لحصول الخيرات في الدنيا والآخرة وخلق الدواهي في قلوب الناس لتعظيمها حتى صار أهل الدنيا
 يأنفون إليها من كل فج عميق لأجل التجارة فصار ذلك سببا لاسباب النعم على أهل مكة وكان العرب
 يتقاتلون ويغيرون الا في الحرم فكان أهل الحرم آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم وجعل الله في
 الكعبة الطاعات الشريفة والمناسك العظيمة وهي سبب لحط الخطيئات ورفع الدرجات وكنة
 الكرامات وصار أهل مكة بسبب الكعبة أهل الله وخاصته وسادة الخلق إلى يوم القيامة وكل أحد يعظمهم
 (والشهر الحرام) أي وجعل الله الشهر الحرام سببا لقوام معيشتهم فان العرب كان يقتل بعضهم بعضا
 في سائر الأشهر ويغير بعضهم على بعض فاذا دخل الشهر الحرام الذي هو ذو القعدة وذو الحجة والحرم
 ورجب زال الخوف وقدر وأعلى الاسفار والتجارات وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم (والهدى)
 أي وجعل الهدى سببا لقيام الناس وهو ما يهدي إلى البيت يذبح هناك ويفرق لحمه على الفقراء فيكون
 ذلك نسكا للهدى وقواما لمعيشة الفقراء (والقلائد) أي وجعل الله الأشخاص الذين يتقلدون بها
 شجر الحرم سببا لانهم من العدو فانهم كانوا إذا رأوا شخصا جعل في عنقه تلك القلادة عرفوا انه راجع من
 الحرم فلا يتعرضون له (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) أي ذلك التدبير اللطيف
 من الجعل المذكور لأجل أن تتفكروا فيه انه تدبير لطيف فتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في
 الارض فان جعل ذلك لأجل جلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل الوقوع دليل على علمه بما هو في
 الوجود وما هو كائن ثم اذا عرفتم ذلك عرفتم ان علمه تعالى صفة قديمة واجبة الوجود فوجب كونه متعلقا
 بجميع المعلومات فلذلك قال تعالى (وأن الله بكل شيء عليم) فلا يخرج شيء عن علمه المحيط (اعلموا أن
 الله شديد العقاب) لما ذكر الله تعالى أنواع الرحمة ذكر بعده شدة عذابه تعالى لان الايمان لا يتم
 الا بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتد لا ثم ذكر عقبه ما يدل

على الرحمة دلالة على انها أغلب فقال (وأن الله غفور رحيم) وهذا تنبيه على دققة وهي ان ابتداء الایجاد كان لاجل الرحمة والنظام ان الختم لا يكون الا على الرحمة (ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي ان الرسول كان مكلفا بالتبليغ فلما بلغ خرج عن عهدة التكليف وبقي الامر من جانبكم وقد قامت عليكم المحجة فلا عذر لكم من بعد في التفريط وأنا عالم بما تبدون وما تكتمون فان خالفتم فاعلموا ان الله شديد العقاب فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا وان أطعتم فاعلموا ان الله غفور رحيم (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) فان المحمود القليل من الاعمال والاموال خير من المذموم الكثير منهما والخطاب لكل معتبر قيسل نزلت هذه الآية في رجل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها ما لا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم ان أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب (فاتقوا الله) بأن تتحروا وترك الخبيث من الاعمال والاموال ظاهرا وباطنا ولا تحتالوا في تركه بالتأويل (يا أولى الابواب) أي أصحاب العقول السليمة (لعلكم تفطنون) أي لعلكم تصيرون فائزين بالمطالب الدنيوية والدينية العاجلة والآجلة (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسوكن) أي ان تظهر لكم تلك الاشياء تحزنكن والمعنى اتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن احوال مخفية ان تبدلكن تسوكن وما يبلغه الرسول اليكم فكونوا منقادين له وما لم يبلغه اليكم فلا تسألوا عنه فان خضتم فيما لا يكلف عليكم فربما جاءكم بسبب ذلك الخوض ما يشق عليكم روى أنس أنهم سألو النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر والمسألة فقام على المنبر فقال سألوني فوالله لا تسألوني عن شيء مادمت في مقامى هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من أبي فقال أبو لهب حذافة بن قيس وقام آخر فقال يا رسول الله أين أبي فقال في النار وقال سراق بن مالك أو عكاشة بن محصن يا رسول الله ألج علينا في كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مرتين أو ثلاثة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول ذم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فأغما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فأتوا منه ما استطعتم واما اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قام عمر وقال رضينا بالله ربنا وبالا سلام ديننا ومحمد نبينا نعوذ بالله من القن ان احديث عهد بجاهلية فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكنم) أي وان تسألوا عن أشياء مستحاجتكم الى التفسير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل جبريل بالقرآن ويظهرها حينئذ فالسؤال على قسمين سؤال عن شيء لم يجز ذكره في الكتاب والسنة بوجه من الوجوه فهذا السؤال منهي عنه بقوله تعالى لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكنم تسوكن وسؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فهنا السؤال واجب وهو المراد بقوله تعالى وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكنم فالتصريح فيها يرجع الى أشياء أخر كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالمراد بالانسان آدم عليه السلام والمراد بالضمير ابن آدم لان آدم لم يجعل نطفة في قرار مكين (عفا الله عنها) أي أمسك الله عن أشياء أي عن ذكرها ولم يكلف فيها شيء وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم عفت لكم عن صدقة الخيل والريق أي خفت عنكم باسقاطها أو المعنى عفا الله عما سلف من مسائلكم التي تغضب رسول

الله صلى الله عليه وسلم فلا تعود والمثلها (والله غفور) لمن تاب (حليم) عن جهلكم (قدسألها
 قوم من قبلكم ثم أصحوا بها كافرين) أي قدسأل أشياء قوم من قبلكم ثم صاروا كافرين بها فان
 قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وقوم مومي قالوا أرنا الله جهرة فصار ذلك وبالاعليهم وبني اسرائيل
 قالوا النبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ثم كفر واوقوم عيسى سألوا المائدة ثم كفر وابها والمعنى
 ان قوم محمد صلى الله عليه وسلم في السؤال عن أحوال الاشياء مشابهون لأولئك المتقدمين في سؤال
 ذوات تلك الاشياء في كون كل واحد من السؤاليين فضولا وخوضا فيما لا فائدة فيه فان المتقدمين انما
 سألوا من الله اخراج الناقة من الحضرة وأنزل المائدة من السماء فهم سألوا نفس الشيء وأما أصحاب محمد
 فهم سألوا عن صفات الاشياء فلما اختلف السؤالان في النوع اختلفت العبارة لكن يشتركان في وصف
 واحد وهو خوض في الفضول وشروع فيما لا حاجة اليه وفي ذلك خطر المفسدة (ما جعل الله من بحيرة
 ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أي ما أمر الله بذلك فالبحيرة هي الناقة التي تنتج خمسة أبطن في آخرها
 ذكر فتشق اذننها ولا تذبح ولا تتركب ولا تحلب ولا تطرد عن ماء ومرعى ولا يجز لها وبر ولا يحمل على
 ظهرها بل تسبب لأهنتهم والسائبة هي البعير المسيية وكان الرجل اذا شقى من مرض أو قدم من سفر او نذر
 نذرا أو شكر نعمة سبب بعيرا وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها والوصيلة فهي الشاة الموصلة وذلك
 أن الشاة اذا ولدت سبعة أبطن عمدا والى البطن السابع فاذا كان ذكر اذبحوه فأكله الرجال والنساء
 جميعا وان كان أنثى لم تنتفع النساء منها بشيء حتى تموت فاذا ماتت كان الرجال والنساء يأكلونها جميعا
 وان كان ذكرا أو أنثى قيل وصلت أحاها فيتركان مع اخوتها فلا يذبحان وكان للرجال دون النساء حتى
 يموتا فاذا ماتا اشترك في أكلهما الرجال والنساء والحام هو الفحل اذا ركب ولد وله قيل حتى ظهره فلا
 يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ومرعى الى أن يموت فحينئذ تأكله الرجال والنساء (ولكن الذين
 كفروا يفترون على الله الكذب) أي ان رؤسائهم عمرو بن لحي وأصحابه يفتلون على الله الكذب
 ويقولون أمرنا الله بهذا (وأكثرهم) أي الاتباع (لا يعقلون) ان ذلك افتراء باطل قال المفسرون
 ان عمرو بن لحي الخزاعي كان قد ملك مكة وكان أول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان
 وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال النبي صلى الله عليه وسلم فلقد رأيت في النار يؤذى أهل
 النار برمح قصبه أي معاه (واذا قيل لهم) أي للأكثريهم الاتباع (تعالوا الى ما أنزل الله) من
 الكتاب المبين لللال والحرام (والى الرسول) الذى أنزل الكتاب عليه لتمييز والحرام من الحلال (قالوا
 حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) من الدين (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) والواو والواو الحال
 دخلت عليها همزة الانكار والتقدير كافيهـم دين آباؤهم وقد كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين
 ولا يهتدون للصواب ولسنة النبي فكيف يقتدون بهم (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أي احفظوا
 أنفسكم من ملاسة المعاصي والأصرار على الذنوب (لا يضركم من ضل اذا هتديتم) أي لا يضركم ضلالة من
 ضل اذا هتديتم الى الايمان وبينتم ضلالتهم كما قاله ابن عباس وقال عبد الله بن المبارك والمعنى عليكم أهل
 دينكم ولا يضركم من ضل من الكفار وهذا كقوله تعالى فاقتلوا أنفسكم أي أهل دينكم فقوله تعالى
 عليكم أنفسكم أي اقبلوا على أهل دينكم وذلك بأن يعط بعضكم بعضا ويرغب بعضكم بعضا في الخيرات
 وينفروا عن القبائح والسيئات وهذه الآية أو كذا آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله
 لا يضركم اما مجزوم على أنه جواب للامر وهو عليكم أنفسكم أو مسمى مؤكدا له وانما ضمت الراء اتباعا للضممة

الضاد المقتضو اليها من الراء المدخمة فان الاصل لا يضر ركم ويؤيده قراءة يضر ركم بفتح الراء وهو مجزوم
وانما فكت الراء لاجل الخفة وقراءة من قرأ لا يضر ركم يسكون الراء مع كسر الضاد وضمها من ضا لا يضر
ويضور وامام فوع على أنه كلام مستأنف في موضع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضر ركم
بالرفع وبالياء بعد الضاد أي ليس يضر ركم ضلال من ضل اذا كنتم ثابتين في دينكم (الى الله مرجعكم
جميعا أي رجوعكم ورجوع من خالفكم يوم القيامة (فينبشكم بما كنتم تعملون) في الدنيا من الخير
والشر فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أي شهادة ما بينكم من التنازع (اذا
حضر أحدكم الموت) أي اذا ظهر لأحدكم أمارات وقوع الموت (حين الوصية) وهذا بدل من قوله
اذا حضر لان زمان حضور الموت هو زمان حضور الوصية فعرف ذلك الزمان بهذين الامرين الواقعين فيه
أي الشهادة المحتاج اليها عند مشاركة الموت (اثنان ذوا عدل منكم) أي من أهل دينكم بامعشر
المؤمنين (أو آخران من غيركم) أي غير عادلين من غير أهل دينكم (ان أنتم ضربتم) أي سافرت
(في الارض) فالعدلان المسلمان صالحان للشهادة في الحضر والسفر وشهادة غير المسلمين لا تجوز الا في
السفر (فأصابكم مصيبة الموت) أي لحضرت عندكم علامات نزول الموت وهذا بيان محل جواز
الاستشهاد بغير المسلمين (تحبسونهما من بعد الصلاة) أي تعفونهما للتحليف من بعد صلاة العصر
كما استحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها جميع أهل الاديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون
الله فيه ويحترزون عن الحلف بالكاذب (فيقسمان) أي يحلفان (بالله ان ارتبتم) أي ان شككنكم
في شأن آخرين بقولهما والله (لان شترى به) أي بالقسم بالله (ثمنا) أي عوضا يسيرا من الدنيا
أي لاناخذ بذل أنفسنا بدلا من القسم بالله عوضا من الدنيا (ولو كان ذا قربي) أي ولو كان ذلك العوض
اليسير حياة ذا قربي منا أي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال (ولانكنتم شهادة الله) أي لانكنتم
الشهادة التي أمرنا الله تعالى باقامتها وانظارها (انا اذ المن الآثمين) أي انا ان كنتمناها حيث نشدك من
العاصين (فان عثر على انهما استحقا ثما) أي فان حصل الاطلاع بعدم احلف الوصيان عن انهما
استحقا حنثا في اليمين بكذب في قول وخيانة في مال (فآخران يقومان مقامهما) أي مقام الشاهدين
الذين هما من غير ملتهم (من الذين استحق عليهم الاوليان) أي باليمين وبالمال أو الاقربان الى
الميت الوارثان له والاوليان اما بدل من آخران أو من الضمير الذي في يقومان أو صفة لآخران عند الاخفش
لان النسكرة اذا تقدم ذكرها ثم أعيد عليها الذ كر صارت معرفة أو خبر لمبتدأ محذوف وهذا على القراءة
المشهورة للجمهور وهو استحق بضم التاء وكسر الحاء بالبناء للجهول وانما وصف الورثة بكونهم استحق
عليهم لانه لما أخذ ما لهم فقد استحق عليهم ما لهم أول كونهم جنى عليهم أما على قراءة حفص وحده وهي
استحق بفتح التاء والحاء بالبناء للفاعل فقوله الاوليان فاعل له والمعنى ان الوصيين اللذين ظهرت
خياتهم ما هما أولى من غيرهما بسبب ان الميت عينهما للوصاية ولما خاناه في مال الورثة صح ان يقال ان الورثة
قد استحق عليهم الاوليان أي خان في ما لهم الاوليان بالوصية (فيقسمان) أي هذان الآخران (بالله)
بقولهما (لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي والله ليمين المسلمين أصدق وأحق بالقبول من عين النصرانيين
(وما اعتدينا) أي ما تجاوزنا الحق فيما ادعينا وفي طلب المال وفي نسبتهم الى الحياة (انا اذ المن الظالمين)
أي انا ان اعتدينا في ذلك كما من الظالمين أنفسهم باقبالها السخط الله تعالى وعذابه واتفق المفسرون
على ان يجب نزول هذه الآيات ان تميم ابن أوس الداري وعدي بن بدار وكانا نصرانيين ومعهما

بديل بن أبي مارية مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً مهاجراً خرجوا إلى الشام للتجارة فلما قدموا الشام
مرض بديل فكتب كتاباً فيه نسخة جميع ما معه وألقاه في ما بين الأقبشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم أوصى
اليهم وأمرهم ما أن يدفعوا متاعه إلى أهله ومات بديل فأخذوا من متاعه أناه من فضة فيه ثلثمائة منقال
منقوش بالذهب ولما رجعوا دفعوا باقي المتاع إلى أهله ففتشوا فوجدوا الصحيفة وفيها ذكر الأناه فقالوا التميم
وعدي أين الأناه فقال لا ندري والذي دفع إليه نادف عناء اليكم فرفعوا الواقعة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العصر ودعا تميماً وعدياً فاستخلفهم عند المنبر ولما خلفه أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ولما
طالت المدة أظهر الأناه فبلغ ذلك بني سهم فطالبوه ما فقالوا كنا قد اشتريناه منه فقالوا ألم نقل لكم
هل باع صاحبنا شيئاً فقلتم لا فقال لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم فكنتمنا لذلك فرفعوا القصة إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قوله فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب أبو ربيعة
السهميان فحلفا بالله بعد العصر فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم الأناه إليهما وإلى أولياء الميت وكان تميم
الداري يقول بعد أسلامه صدق الله ورسوله أنا أخذت الأناه فأقرب إلى الله تعالى (ذلك أدنى أن يأتوا
بالشهادة على وجهها) أي ذلك الطريق الذي بيناه أقرب إلى أن يؤدي الشهود الشهادة على طريقها
الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفاً من العذاب الآخري (أو يخافوا أن ترد أيمان
بعد أيمانهم) أي أو أقرب إلى أن يخافوا أن ترد أيمانهم بعد أيمان المدعين لا انقلاب الدعوى بأن صار
المدعى عليه مدعي الملك وصار المدعى مدعى عليه فلذا الزمته اليمين والمعنى أولم يخافوا عذاب الآخرة بسبب
اليمين السكاذبة بل يأتوا الشهادة على غير وجهها ولو كنهم يخافون الافتضاح على رؤس الأشهاد بإبطال
أيمانهم والعمل بإيمان الورثة فينزحوا عن الحيانة المؤدية إليه فأى الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو
الآتيان بالشهادة على وجهها (واتقوا الله) في أن تخونوا في الأمانات (واسمعوا) مواعظ الله أي اعملوا
بها وأطيعوا الله فيها (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي الخارجين عن الطاعة إلى ما ينفعهم في
الآخرة (يوم يجمع الله الرسل) وهو يوم القيامة فيوم يدل اشتغال من مفعول اتقوا أو ظرف ليهدي
والمعنى لا يهديهم إلى الجنة (فيقول) لهم مشير إلى خروجهم عن عهد الرسالة (ماذا أجبتكم) أي أي
اجابة أجابكم بها أمكم حين دعوتهم في دار الدنيا إلى توحيدى وطاعتى أهى اجابة قبول أو اجابة رد
(قالوا) تفويضاً للامر إلى العدل الحكيم العالم وعلماء منهم أن الأدب في السكوت والتفويض وإن قولهم
لا يفيد خيراً ولا يدفع شراً (لا علم لنا) أي لا نك تعلم ما أظهرنا وما أضمرنا ونحن لا نعلم إلا ما أظهرنا
فعلمك فيهم أنفهم علمنا ولا نالحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن وهو معتبر في الدنيا لأن الأحكام في
الدنيا مبنية على الظن وأما الأحكام في الآخرة فهي مبنية على حقائق الأشياء وبواطن الأمور ولا عبرة
بالظن في القيامة فلهذا السبب قالوا لا علم لنا (إنك أنت علام الغيوب) أي فأنك تعلم ما أجابوا وأظهرنا
لنا وما لم نعلمه مما أضمرناه في قلوبهم وقرئ شاذ أعلام الغيوب بالنصب أما على الاختصاص أو على
النداء أو على أنه بدل من اسم ان والكلام قد تم يقوله تعالى إنك أنت أي أنت متصف بصفاتك السنية (اذ
قال الله) بدل من يوم يجمع الله ويجوز أن يكون موضع اذ رفعاً بالابتداء على معنى ذلك اذ قال الله (يا عيسى
ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) أي اذ كررنا نعمى عليك اذ ظهرت أملك
واصطفيتها على نساء العالمين وقويتك بجبريل لتثبت الحجة (تسكلم الناس في المهد) أي طفلاً بقولك

انى عبد الله الآية (وكهلا) أى انا أنزله الله تعالى الى الارض أنزله وهو فى صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو
 السكهل فيقول لهم انى عبد الله كما قال فى المهد (واذ علمتكم الكتاب) أى الكتابة وهى الخط (والحكمة)
 أى العلوم النظرية والعلوم العملية (والتوراة والانجيل) وذكر الكتابين اشارة الى الاسرار التى
 لا يطلع عليها أحد الا أكابر الانبياء عليهم السلام فان الاطلاع على أسرار الكتب الالهية لا يحصل الا
 لمن صار ربانيا فى أصدنام العلوم الشرعية والعقلية الظاهرة التى يبحث عنها العلماء (واذ تخلق من)
 الطين كهية الطير) أى تصور منه هية عمالة لهية الطير (بأذن) أى بأمرى (فتنفخ فيها) أى
 فى الهية المصورة فالغدير راجع للكاف وهى دالة على الهية التى هى مثل هية الطير (فتكون
 طيرا بأذن) أى فتصير تلك المصورة خفاشات طير بين السماء والارض بأرادتى (وتبرى ألا كه) أى
 الأعمى المطموس البصر (والابصر بأذن) أى بأمرى وأرادتى وقدرتى (واذ تخرج الموتى) من
 قبورهم احياء (بأذن) أى بفعل ذلك عند عاتك وعند قولك لليت اخرج بأذن الله من قبرك (واذ
 كففت بنى اسرائيل عندك) أى منعت اليهود الذين أرادوا قتلك عن مطلوبهم بك (اذجتهم بالمينات)
 بما ذكر وما لم يذكر كالأخبار بما يأتى كون وما يدخرون فى بيوتهم ونحو ذلك قال للجنس (فقال الذين
 كفروا منهم ان هذا الاصحريين) قرأ حمزة والكسائي هنا وفى هود والصف ويونس ساحر بالالف
 أى ما هذا الرجل وهو عيسى الساحر ظاهر وقرأ ابن عامر وعاصم فى يونس فقط بالالف والباقون مخرج
 بكسر السين وسكون الحاء أى ما هذا الذى جاء به عيسى من الخوارق أو ما هذا أى عيسى الاصحريين وهذا
 على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف روى ان عيسى عليه السلام لما أظهر هذه المعجزات العجيبة
 قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالى منهم حيث رفعه الى السماء (واذ أوحيت الى الخواريين) أى
 الانصار أى ألهمت القصارين وهم اثنا عشر رجلا فى قلوبهم وأمرتهم فى الانجيل على لسانك (أن
 آمنوا بى وبرسولى) والمعنى أى آمنوا بوحدايتى فى الألوهية وبرسالة رسولى عيسى (قالوا آمنا)
 بوحدايته تعالى وبرسالة رسوله (واشهد) أنت يا عيسى (بأننا مسلمون) أى مخلصون فى ايماننا (اذ قال
 الخواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) قرأ الجمهور بالياء على الغيبة أى هل يفعل ربك
 والمقصود من هذا السؤال تقرير ان ذلك المطلوب فى غاية الظهور كن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر
 السلطان على اشباع هذا ويكون غرضه منه ان ذلك أمر جلى لا يجوز لعاقل ان يشك فيه فكذا ههنا وقرأ
 الكسائي تستطيع بناء الخطاب لعيسى ور بك بالنصب على التعظيم وبإدغام اللام فى التاء وهذه
 القراءة مروية عن على وابن عباس وعن عائشة أى هل تستطيع ان تسأل ربك (أن ينزل علينا مائدة
 من السماء قال) عيسى لشعوب قل لهم (اتقوا الله) فى اقتراح معجزة لم يسبق لها مثال بعد
 تقدم معجزات كثيرة (ان كنتم مؤمنين) بكونه تعالى قادرا على ازال المائدة فلعلمكم تترك كون شكرها
 فيعذبكم فقال لهم ذلك شعوب (قالوا نريد أن نأكل منها) أكل تبرك أو كل حاجة وتتمتع وتطمئن
 قلوبنا) بكمال قدرته تعالى لحصول علم المشاهدة مع علم الاستدلال (ونعلم أن قد صدقتنا) أى ونعلم علما
 يقينيا أنه قد صدقتنا فى دعوى النبوة وان الله يحيب دعوتنا وفى قولك انا اذا ههنا ثلاثين يوما لا نسأل الله
 تعالى الا أعطانا (ونكون عليها من الشاهدين) لله بكمال القدرة ولك بالنبوة وهذه معجزة سماوية
 وهى أعظم وأعجب فاذا شاهدناها كما عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها
 من بنى اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقيننا يؤمن بسببها كفارهم (قال عيسى

ابن مريم) أى لما رأى ان لهم غرضاً محيياً فى ذلك فقام واغتسل ولبس المسح وصلّى ركعتين فطأ طأ رأسه
 وغض بصره وقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) أى طعاماً (من السماء تكون لنا عيداً اولئنا
 وآخرنا) أى نتخذ اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيداً نعظمه نحن ومن يأتى بعدنا ونزلت يوم الأحد فاتخذ
 النصارى عيداً وانما أسند العيد الى المائدة لان شرف اليوم مسرة عار من شرفها والمعنى يكون يوم نزولها
 عيداً لاهل زماننا ومن بعدها لى نعبده فيها (وآية منك) أى دلالة على وحدانية لك وكمال قدرتك
 وحقبة نبوة رسولك (وارزقنا) أى اعطنا ما سألناك (وأنت خير الرازقين قال الله انى منزلها) أى
 المائدة (عليكم) وقرأ ابن ماسر وعاصم بنافع منزلها بالتشديد والباقون بالتخفيف (فمن يكفر بعد
 أى بعد نزولها) منكم فانى أعذبه عذاباً لا أعذبه) أى انى أعذب من يكفر تعذيباً لا أعذب مثله ذلك
 التعذيب (أحد من العالمين) روى ان عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفاً ثم قال اللهم انزل
 علينا الخ فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهـم ينظرون اليها حتى سقطت بين
 أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة
 وعقوبة وقال لهم ليقيم أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شععون رأس
 الحوارين أنت أولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
 فاذا همكة مشوية بلا شوك ولا فلول تسيل دسها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خيل وحولها من ألوان
 ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثمانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى
 الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شععون ياروح الله من طعام الدنيا هذا ثم من طعام الآخرة فقال
 ليس منهما ولا كنهى شئ اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم وأشكروا يعددكم الله ويردكم من فضله
 فقال الحواريون لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا مملكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها
 عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا وقالوا بعد النزول والاكل هذا محرّم بين
 فسخ الله منهم ثلاث مائة وثلاثين رجلاً باتوا ليلتهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات
 والكناسات ويأكلون العذرة فى الحشوش ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكّت وجعلت
 تطيف به وجعل يدعوهم باسمائهم واحد بعد واحد فبكيه كون ريشير ون برؤسهم ولا يقدر ون على
 الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (واذ قال الله) يوم القيامة (يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس)
 فى الدنيا (اتخذوني وامى الهن من دون الله) أى غيره أراد الله تعالى بهذا السؤال ان يقر عيسى على
 نفسه بالعبودية فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه انه أمرهم بذلك فذكر هذا السؤال مع علمه تعالى ان
 عيسى لم يقل ذلك اغالتو بيج قومه (قال) أى عيسى وهو يرعد (سبحانك) أى انزهت تنزيهاً لا تقابل
 من ان أقول ذلك (ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) أى ما كان ينبغى ان أقول ما ليس بجائز لى (ان
 كنت قلت) لهم (فقد علمته) وهذا مبالغة فى الادب وفى اظهار الذل فى حضرة ذى الجلال وتغويض
 الامور بالكلية الى الكبير المتعالى (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) أى تعلم ما عندى ومعلومى
 ولا أعلم ما عندك ومعلومك (انك أنت علام الغيوب) عن العباد (ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن
 اعبدوا الله ربى وربكم) وان مفسرة لها اراجع للقول المأمور به والمعنى ما قلت لهم فى الدنيا الا قولا
 أمرتنى به وذلك القول هو ان أقول لهم اعبدوا الله ربى وربكم (وكنتم عليهم شهداء) على ما يفعلون
 (مادمت فيهم) أى مدة دوامى فيما بينهم (فلما توفيتنى) أى رفعتنى من بينهم الى السماء (كنت

أنت الرقيب عليهم) أي الحافظ لا يحملهم المراقب لا حولهم (وأنت على كل شيء شهيد) وعالم بصير
 (أن تعذبهم - فأنهم عبادك) وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك (وان تغفر لهم - فأنك أنت العزيز)
 أي القادر على ما تريد (الحكيم) في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك فأن عذبت فعبدل وان
 غفرت ففضل وعدم غفران الشريك إنما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذا ته ومقصود عيسى عليه
 السلام من هذا الكلام تفويض الأمور كلها إلى الله وترك الاعتراض عليه بالكيفية لانه يجوز في مذهبنا
 من الله تعالى أن يدخل الكفار الجنة وان يدخل العباد النار لان الملك ملكه ولا اعتراض لأحد عليه
 (قال الله هذا) أي يوم القيامة (يوم ينفع الصادقين صدقهم) في الدنيا في أمور الدين قرأ الجمهور يوم
 بالرفع وقرأ نافع يوم بالنصب أي هذا القول واقع يوم الخ (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
 أبدا رضي الله عنهم) أي عن الصادقين بطاعتهم له (ورضوا عنه) بالثواب والكرامة (ذلك)
 الرضوان (الفوز العظيم) فالجنة بما فيها بالنسبة إلى رضوان الله كالعدم بالنسبة إلى الوجود وكيف
 لا والجنة مرغوب الشهوة والرضوان صفة الحق وأي مناسبة بينهما (لله ملك السموات والأرض وما
 فيهن وهو على كل شيء قدير) أي أن كل ما سوى الله تعالى من الكائنات والأجساد والأرواح ممكن
 لذاته وجودا بإيجاده وإذا كان الله موجودا كان مالكه وإذا كان مالكه كان له تعالى أن يتصرف
 في الكل بالامر والنهي والثواب والعقاب كيف أراد فصح التكليف على أي وجه أراد الله تعالى
 ولما كان الله مالك الملك فله بحكم المالكية أن ينسخ شرع موسى ويضع موضعه شرع محمد فبطل قول
 اليهود بعدم نسخ شرع موسى ثم إن عيسى ومريم داخلا في ما سوى الله فهو كائن بتكوين الله تعالى
 وثبت كونهما عبيد لله مخلوقين له فظهر بهذا التقرير أن هذه الآية برهان قاطع في صحة جميع العلوم
 التي اشتملت هذه السورة عليها

* (سورة الانعام مكية الاست آيات فانها مدينيات وهي قوله قل تعالى الى آخر الآيات الثلاث وهو
 لعلمكم تتقون وقوله تعالى وما قدرنا الله الى قوله تعالى وكنتم عن آياته تستكبرون
 وهي مائة وخمسة وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة
 وعدد حروفها اثنا عشر ألفا وأربعمائة واثنان وعشرون حرفا) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) * والمدح
 أعم من الجدلان المدح للعاقل ولغير العاقل فكما يدح العاقل على أنواع فضائله كذلك يدح الأولو الحسن
 شكله والياقوت على نهاية صفاته وصفاته والحمد لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الاحسان
 والحمد أعم من الشكر لان الحمد تعظيم الفاعل لاجل ما صدر عنه من الانعام واصلا اليك أو الى غيرك
 والشكر تعظيمه لاجل انعام وصل اليك وحصل عندك والمقصود من هذه الآية ذكر الدلالة على وجود
 الصانع والفرق بين الجعل والخلق ان كلامهما هو الانشاء والابداع الا ان الخلق مختص بالانشاء
 التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية والجعل عام كما في هذه الآية الكريمة وللتشريع أيضا كما في
 قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وجمع الظلمات دون النور لكثرة محالها اذ ما من جرم الا وله ظل
 والظل هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار وهذا اذا حمل على الكيفيتين المحسوستين
 بحس البصر وان حمل النور على نور الاسلام والايان واليقين والنبوة والظلمات على ظلمة الشرك

والكفر والنفاق فنقول لان الحق واحد والباطل كثير وتقديم الظلمات على النور لان الظلمة عدم النور عن الجسم الذي يقبله وعدم المحدثات متقدم على وجودها (ثم الذين كفروا برهم يعدلون) أى يشركون به غيره وهذه الجملة امام معطوفة على قوله الحمد لله والثناء متعلقة بكفروا فيه يكون يعدلون من العدول ولا مفعول له والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه لانه تعالى ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا برهم يعدلون عنه في كفرون بنعمته او متعلقة بيعدلون وهو من العدول ويوضع الرب موضع الضمير العائد اليه تعالى والمعنى انه مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار شؤنه العظيمة الخاصة به ثم هؤلاء الكفرة يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد وامام معطوف على قوله خلق السموات والبناء متعلقة بيعدلون وقدمت لاجل الفاصلة وهي اما بمعنى عن ويعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم الذين كفروا يعدلون عن ربهم الى غيره اولاً تعدية ويعدلون من العدول وهو التسوية والمعنى انه تعالى خلق هذه الاشياء العظيمة الذي لا يقدر عليها أحد سواه ثم انهم يعدلون به جماد الا يقدر على شيء أصلاً فيكون المفعول محذوفاً وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح آيات قدرته تعالى (هو الذي خلقكم من طين) أى ان الله خلق جميع الانسان من آدم وآدم كان مخلوقاً من طين فلهذا السبب قال هو الذي خلقكم من طين أى من جميع أنواعه فلذلك اختلفت ألوان بني آدم وعجنت طينتهم بالماء العذب والمخ والمرفل ذلك اختلفت اخلاقهم وأيضاً ان الانسان مخلوق من المني والمني انما يتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية فحال الحيوانية كالحال في كيفية تولد الانسان فبقي أن تكون الاغذية نباتية فثبت ان الانسان مخلوق من الاغذية النباتية ولا شك أنها متولدة من الطين فثبت ان كل انسان متولد من الطين وقال المهدوي ان الانسان مخلوق ابتداءً من طين لخبر ما من مولود يولد الا ويذرع على النطفة من تراب حفرة وأياما كان الانسان فقيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على احياء ما قارنهامدة أظهر قدرة (ثم قضى أجلاً) أى خصص الله موت كل واحد بوقت معين وذلك التخصيص يتعلق مشيئته تعالى بإيقاع ذلك الموت في ذلك الوقت (وأجل مسمى) أى حدد معين لبعثكم جميعاً من البرزخ (عنده) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلاً من مولده الى موته وأجلاً من موته الى مبعثه فان كان براتقياً وصلاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وان كان فاجراً قاطعاً للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وقال حكاء الاسلام ان لكل انسان أجلين أحدهما الآجال الطبيعية والثاني الآجال الاخترامية فالآجال الطبيعية هي التي لو بقي ذلك المزاج مصوناً من الاعراض الخارجية لانتهد مدة بقائه الى الوقت الفلاني والآجال الاخترامية هي التي تحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق ولدغ الحشرات وغيرها من الامور المعضلة (ثم أنتم تغترون) أى ثم بعد ظهور مثل هذه الحجة الباهرة أنتم أيها الكفار تنكرون صحة التوحيد للصانع أو ثم بعد ما شهدتمكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع الشك بالكلية أنتم أيها الكفار تستبعدون وقوع البعث ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث (وهو الله في السموات وفي الارض) أى وهو الذي اتصف بالخلق هو المعبود في السموات والارض والمتصرف فيهما (يعلم مكرم) في الغلوب من الدواعي والصوارف (وجهركم) في الجوارح من الاعمال (ويعلم ما تكسبون) أى مكتسبكم أى ما تستحقون على فعلكم من الثواب والعقاب (وما تأتيهم من آية من

آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) أي ما يظهر للكفار من آية من الآيات التكوينية التي يجب فيها النظر التي من حملها جلائل شؤنها الدالة على وحدانيته تعالى الا كانوا معرضين عن تأمل تلك الدلائل تاركين للنظر المؤدي الى الايمان بكونها وهذه الآية تدل على ان التقليد باطل والتأمل في الدلائل واجب ولولا ذلك لما ذم الله المعرضين عن التفكير في الدلائل أو المعنى ما ينزل الى أهل مكة آية من الآيات القرآنية الا كانوا مكذبين بتلك الآية ومن الاولى مزيدة لاستغراق الجنس الذي يقع في النفي والثانية للتبعض وهي مع مجرورها صفة لآية (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) أي فقد كذب أهل مكة بالمعجزات كأنشقاق القمر وككة وانفلاقه فلقين فذهبت فلقه وبقيت فلقه أو بالقرآن أو بمحمد صلى الله عليه وسلم (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزؤن) أي سوف يأتيهم أخبار كونهم مستهزئين بذلك الحق يوم يدر يوم أحد ويوم الأحزاب (الم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أي ألم يعرف أهل مكة بعائنة الآثاري أسفارهم للتجارة الى الشام في الصيف والى اليمن في الشتاء وبسهاع الاخبار كم أمة أهلكنا من قبل زمان أهل مكة كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وغيرهم (مكناهم في الارض ما لم تمكن لكم) أي أعطينا أولئك الجماعة من البسطة في الأجساد والامتداد في الأعمار والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا ما لم نعطيكم يا أهل مكة (وأرسلنا السماء) أي المطر (عليهم مدرارا) أي متتابعاً كلما اجتاجوا اليه (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) أي من تحت بساطتهم ووزوعهم وشجرهم (فأهلكناهم بفرغهم) بتكذيبهم الأنبياء وكونهم باعوا الدين بالدنيا (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) أي أحد ثمان بعد اهلاك كل قرن قرناً آخرين بدلا من الهالكين وهذا تنبيه على ان اهلاك الأمم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا ولا يتعاطم على الله هلاكهم وخلق بلادهم منهم فانه تعالى قادر على ان ينشئ مكانهم قوما آخرين يعمر بهم بلادهم (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصحار مبين) أي ولو نزل الكتاب من السماء دفعة واحدة عليك يا أشرف الخلق كما سألك عبد الله بن أبي أمية الخزومي وأصحابه في صحيفة واحدة فأروه عيانا ولمسوه لطمعوا فيه وحملوه على انه مخرفة وقالوا انه سحر وقال ابن اسحق والقائلون بالاقوال الآتية زمعة بن الأسود والنضربن الحرث بن كلدة وعبد بن عبد يعوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل كما أخرجه ابن أبي حاتم (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) أي هلا أنزل على محمد ملك يخبرنا بصدقه في دعوى النبوة ويشهده عما يقول والمعنى ان منكري النبوات يقولون لو بعث الله الى الخلق رسولا لوجب ان يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة لان علوهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيارهم عن الخلق أكمل ووقوع الشبهات في نبوتهم أقل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجهين الأول قوله تعالى (ولو أنزلنا مكالقضى الامر) أي لفرغ من هلاكهم أي لو أنزل الملك على هؤلاء الكفار فرعالم يؤمنوا وذا لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال فينثما أنزل الله تعالى الملك اليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب وأيضا انهم اذا شاهدوا الملك ذهقت روحهم من هول ما يشاهدون وذلك ان آدمي اذا رأى الملك فاما ان يراه على صورته الأصلية أو على صورة البشر فاندرك على صورته الأصلية لم يبق آدمي حيا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل على صورته الأصلية غشى عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كضيف إبراهيم وأضياف لوط وخم داود وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام أيضا اذا رأوه ول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم

وذلك محل صحة التكليف وان رآه على صورة البشر فلا يتفاوت الحال سواء كان هو في نفسه ملكا
 أو بشرا وأيضا انزال الملك يقوى الشبهات لان كل مجزئة ظهرت عليه مردوها وقالوا هذا فعلك فعلته
 باختيارك او قدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلته (ثم لا ينظرون) أي
 لا يجهلون بعد نزول الملك طرفه عين وكلمة ثم للتنبيه على ان عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة
 الشدة أشد من نفس الشدة وأشق والثاني قوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي ولو جعلناه
 الرسول ملكا لجعلناه الملك على صورة الرجل لان البشر لا يستطيعون ان ينظروا الى الملائكة في صورهم
 التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر من الآدمي لصعق عند رؤيته (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي
 ولو صورنا الملك رجلا لصار فعلنا نظير الفعلهم في التلبس وانما كان ذلك تلبسا لان الناس يظنون انه
 بشر مع انه ليس بشرا وانما كان فعلهم تلبسا لانهم يقولون لقومهم انه بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولا
 من عند الله تعالى واذا كان الامر كذلك فلم يقدم طلب نزول الملك لانه لو نزل لهم الملك لنزل على صورة
 رجل لعدم استطاعتهم لمعاينة هيكله ولان الجنس الى الجنس أميل فيقولوا له ما أنت الا بشر مثلنا ويقولوا
 اننا لا نرضى برسالة هذا الشخص فيعود سؤالهم ويستمررون يطلبون الملك فلا تنقطع شبهتهم فنزول الملك
 لا يفيدهم شيئا بل يزدادون في الحيرة والاشتباه وأيضا ان طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة
 البشر ويربوا لا يعذرونهم في الاقدام على المعاصي (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي وبالله لقد
 استهزئ برسل أولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك وهذه الآية تسلية لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم أي تخفيف لضيق قلب رسول الله عند سماعه من القوم الذين قالوا ان رسول الله
 يجب أن يكون ملكا من الملائكة ووعيد أيضا لاهل مكة (لحاق بالذين سخرنا منهم ما كانوا يستهزئون)
 أي فداروا حاط بالذين سخرنا من أولئك الرسل عليهم السلام العذاب الذي يستهزئون به وينكرونه فان
 الكفار كانوا يستهزئون بالعذاب الذي كان يخوفهم الرسول بنزوله أو المعنى فاحاط بمن استهزأ بالشرائع من
 الرسل عقوبة استهزأ بهم بالرسول المندرج في جملة الرسل (قل) يا أكرم الرسل لاهل مكة (سيرا في
 الارض) أي قل لهم لا تغتروا بما وجدتم من الدنيا وطيباتها ووصلتم اليه من لذاتها وشهواتها بل سيرا في
 الارض لتعرفوا صحة ما أخبركم الرسول عنه من نزول العذاب على الذين كذبوا الرسل في الازمنة السالفة (ثم
 انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي ثم تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال فانكم
 عند السير في الارض والسفر في البلاد لا بد وان تشاهدوا تلك الآثار فيكمل الاعتبار ويقوى الاستبصار
 (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (لمن ما في السموات والارض) أي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا
 وتصرفا فان أجابوك فذاك والا (قل لله) لانه لا جواب غيره (كتب على نفسه الرحمة) أي أوجب على
 نفسه ايجاب الفضل والكرم والرحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بتأخير العذاب وقبول التوبة (ليجمعنكم
 الى يوم القيامة) أي والله ليجمعنكم في القبور ومحشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر
 معاصيكم أو ليجمعنكم الى المحشر في يوم القيامة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان (لا ريب فيه) أي
 في الجمع (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) أي ان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهمالك
 في التقليد وترك النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان وان سبق قضاء الله
 بالخسران هو الذي حملهم على الامتناع من الايمان بحيث لا سبيل لهم اليه أصلا (وله ما سكن في الليل
 والنهار) أي له تعالى كل ما حصل في الزمان سواء كان متحركا أو ساكنا (وهو السميع العليم) فيسمع

نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين (قل أغير الله أتخذوليا) أي قل يا أشرف الخلق أغير الله أجمعه
 معبودا (فأطرا له سموات والأرض) وعن ابن عباس قال ما عرفت فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان
 يختصمان في بئر فقال أحدهما إن فطرتهما أي ابتدأتها وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله أو بدل منه
 بدل المطابق وبالرفع على أنه ما هو والنصب على المدح وقرأ الزهري فطر السموات (وهو يطعم ولا يطعم)
 أي وهو الرزاق لغيره ولا يرزقه أحد ويقال ولا يعان على الترياق (قل) يا أكرم الخلق لكفار مكة
 (إني أمرت) أي من حضرة الله تعالى (أن أكون أول من أسلم) فإنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته
 في الإسلام وقيل لي يا محمد (ولا تكون من المشركين) أي في أمر من أمور الدين (قل إني أخاف إن
 عصيت ربي) بمخالفة أمره ونهييه أي عصيان كان (عذاب يوم عظيم) أي عذابا عظيما في يوم عظيم
 وهو يوم القيامة (من يصرف عنه يومئذ فدمه) قرأ أبو بكر عن عاصم وحزرة والكسائي يصرف
 بفتح الياء وكسر الراء والمفعول محذوف والتقدير من يصرف ربي عنه يومئذ العذاب فقد أنعم عليه والباقون
 يصرف بالبناء للمفعول والمعنى أي شخص يصرف العذاب عنه ذلك اليوم العظيم فقد أدخله الله الجنة
 (وذلك الفوز المبين) أي وذلك الرحمة هو الفوز الظاهر وهو الظفر بالمطوب (وان يحسب الله بضر فلا
 كاشف له إلا هو) أي وان يصيبك الله ببليّة أي بالإنسان كمرض وفقر ونحو ذلك فلا رافع له إلا هو وحده
 (وان يحسب بخير) أي وان ينزل الله بك خيرا من محبة وغنى ونحو ذلك فلا راد له غيره (فهو على كل شيء
 قدير) روى عن ابن عباس أنه قال أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة أهداه له كسرى فركبها بمجبل
 من شعر ثم أوردني خلفه ثم سار بي ميلا ثم التفت إلي فقال يا غلام فقلت ليبيك يا رسول الله فقال احفظ الله
 يحفظك الله تحفظ الله ماله ماله تعرف إلى الله في الرخا يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا
 استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلاق أن يفعلوا ما لم يقضه الله لك لم يقدروا
 عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدر وأعلمه فان استطعت أن تفعل بالصبر مع اليقين
 فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأعلم أن النصر مع الصبر وان مع الكرب
 فرجا وان مع العسر يسرا (وهو الفاعل فوق عباده) بالقدرة والقوة وهذا إشارة إلى كمال القدرة (وهو
 الحكيم الخبير) فان أفعاله تعالى محكمة آمنة من وجوه الخلل والفساد وانه تعالى عالم بما يصح أن
 يخبر به وهذا إشارة إلى كمال العلم اه روى ابن عباس أن رؤساء أهل مكة قالوا يا محمد ما وجد الله غيرك
 رسولا وما نرى أحدا يصدقك وقد سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا انه لا ذكرك عندهم بالنبوة
 فأرنا من يشهدك بالنبوة فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل) يا أشرف الخلق لهم (أي شيء أكبر شهادة)
 من الله كي يقرروا بالنبوة وان أكبر الأشياء شهادة هو الله تعالى فان اعترفوا بذلك فذاك والا (قل الله
 شهيد بيني وبينكم) بأن رسوله وهذا القرآن كلامه وهو ممجز لانكم فهماء بلغاه وقد عجزتم عن
 معارضته فاذا كان مجزا كان اظهر الله اياه على وفق دعواي شهادة من الله على كوني صادق في دعواي
 (وأوحى إلى هذا القرآن لاندركم به ومن بلغ) أي أنزل الله إلى جبريل بهذا القرآن لا خوفكم يا أهل مكة
 بالقرآن ولا خوف به من بلغ اليه القرآن من الثقلين عن يأتي بعدى إلى يوم القيامة (أنتم) يا أهل
 مكة (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وهي الأصنام التي كنتم تعبدونها وتقولون انهم آيات الله
 فان شهدوا على ذلك (قل) لهم (لا أشهد) أي بما تذكرونه من آيات الشركاء (قل انما هو اله
 واحد) أي بل انما أشهد أن الله لا اله الا هو (وانني بري مما تشركون) أي من أشرككم بالله تعالى

في العبادة الاصنام قال العلماء المستحب لمن أسلم ابتداءً أن يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى
 دين الإسلام ونص الشافعي على استحباب ضم التبري إلى الشهادة لأن الله تعالى لما صرح بالتوحيد قال
 وإنني بريء مما تشركون (الذين آتيناهم الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى الذي كانوا في زمن
 النبي صلى الله عليه وسلم (يعرفونه) أي يعرفون محمدًا من جهة الحكاين بصفته المذكورة فيهما (كما
 يعرفون أبناءهم) بصفاتهم فانهم كذبوا في قولهم أنا لا نعرف محمدًا لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
 لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمران الله أنزل على نبيه بمكة هذه الآية فكيف هذه المعرفة
 قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفت حين رأيته كما أعرف ابني وأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني فقال عمر
 كيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حقًا ولا أدري ما تضع النساء (الذين خسروا أنفسهم فهم
 لا يؤمنون) ومعنى هذا الحسران كما قاله جمهور المفسرين أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلًا في الجنة
 ومنزلًا في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولاهل النار منازل أهل
 أهل الجنة في النار (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا) أي لا أحد أجرأ من اختلق على الله كذبًا
 كقول كفار مكة هذه الاصنام شركاء لله والله تعالى أمرنا بعبادتها وقولهم إن الملائكة بنات الله ثم قولهم
 أمرنا الله بتحريم البهائم والسواشب وكقول اليهود والنصارى حصل في التوراة والإنجيل إن هاتين
 الشريعتين لا يتطرق إليهما النسخ ولا ينجى بعدهما نبي (أو كذب بآياته) أي قدح في مجزات محمد
 صلى الله عليه وسلم وأنكر كون القرآن مجزأة قاهرة بينة (أنه لا يفلح الظالمون) أي لا يظفرون
 بباطلهم في الدنيا والآخرة بل يبقوا في الحرمان والحذلان (ويوم نحشرهم جميعًا) أي كافة الناس وهو
 يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) خاصة على رؤس الشهاد للتوبيخ (أين شركاؤكم) أي آلهتكم
 التي جعلتموها شركاء لله تعالى (الذين كنتم تزعمون) أي تزعمونها شركاء وانها شفعا لكم عند الله
 قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب (ثم لم تكن فتنتهم) أي افتتانهم بالآلوان (الأن قالوا
 والله ربنا ما كنا مشركين) أي لم تكن عاقبة افتتانهم بشركهم الأبرار ثم منهم خلفهم انهم ما كانوا
 مشركين ومثاله أن ترى إنسانا يحب عاريا مذموم الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه قرا ابن
 عامر وابن كثير وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالثناء الفوقية وفتنتهم بالرفع وقراء حمزة والكسائي لم يكن
 بالثناء التحتية وفتنتهم بالنصب وقراء حمزة والكسائي ربنا بنصبه على النداء أو المدح والباقون بالكسر
 (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا (وضل عنهم ما كانوا
 يفترون) أي وكيف زال عنهم افتراؤهم بعبادة الاصنام فلم تغن عنهم شيئا وذاك انهم كانوا
 يرجون شفاعتها ونصرتهم الههم (ومنهم من يستمع اليك) أي وبعض من أهل مكة من يستمع الى كلامك
 حين تتلو القرآن (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) أي وقد القينا على قلوبهم
 أغطية كثيرة كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن وفي آذانهم صمما وتقللا مانعًا من سماعه
 فمحل أن يفقهوه مفعول معه محذوف المضاف أو مفعول لفعل مقدر أي منعناهم أن يفقهوه بمجموع القدرة
 على الايمان مع الداعي اليه بوجوب الفعل فالكفر من الله تعالى وتكون تلك الداعية الجارية الى الكفر
 كئنا للقلب عن الايمان ووقرا للسمع عن استماع دلائل الايمان (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي
 وان يشاهدوا كل آية من الآيات القرآنية بسماعها كفرًا وبكل واحدة منها لاجل أن الله تعالى
 جعل على قلوبهم أكنة (حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) أي بلغوا بتكذيبهم الآيات

الى انهم اذا جاؤا اليك يجادلونك (ان هذا الاساطير الاولين) أى ما هذا الذى يقول محمد الاخرافات
الاولين وكذبهم أى ان هذا الكلام من جنس سائر الحكايات المكتوبة للاولين واذا كان هذا كذا
فلا يكون معجزا خارقا للعادة وجملة قوله تعالى يقول الذين كفروا تفسير لقوله يجادلونك أى يناكروئك
قال ابن عباس رضى الله عنهما حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن حرب والوليد بن
المغيرة والنضر بن الحر وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميرة رأبى ابنا خلف والحارث بن عامر وأبو جهل
واستمعوا الى القرآن فقالوا للنضر وكان كثير الاخبار للقرون الماضية يا أبا قتيس ما يقول محمد قال
ما أدري ما يقول لكننى أراه يحرك شفتيه ويتكلم بأساطير الاولين كالذى كنت أحدثكم به عن اخبار
القرون الاولى فقال أبو سفيان انى أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا أى لا تقر بشئ من هذا فأنزل
الله تعالى هذه الآية (وهم ينهون عنه) وأولئك الكفار ينهون الناس عن استماع القرآن لتسلايقفوا على
حقيقته فيؤمنوا به (وينأون عنه) أى ويتباعدون عنه بأنفسهم تأكيد النهيهم (وان يهلكون الا أنفسهم)
أى وما يهلكون بما فعلوا من النهى والنأى الا أنفسهم باقبالها لاشد العذاب (وما يشعرون) انهم
يهلكون أنفسهم ويذهبونها الى النار بما يفعلون من الكفر والمعصية (ولو ترى اذ وقفوا على النار) أى
ولو تبصر حالهم حين يوقفون على النار وهم يعاينونها لرأيت سوء حالهم أو المعنى ولو تبصرهم حين يحسبون
فوق النار على الصراط وهى تحتهم لرأيت سوء منقلبهم أو المعنى ولو صرفت فكرك الصحيح لان تتدبر حالهم
حين يدخلونها لاردت يقينا وقرى اذ وقفوا بالبناء للفاعل أى ولو تراهم حين يكونون في جوف النار
وتكون النار محيطه بهم ويكونون غائصين فيها لعرفوا مقدار عذابها وانما صرح على هذا التقدير ان يقال
وقفوا على النار لا نهادر كات وطبقات بعضها فوق بعض فيصح هناك معنى الاستعلاء (فقالوا يا ليتنا
نزد) الى الدنيا لنؤمن (ولا نكذب بآيات ربنا) أى بآياته الناطقة بأحوال النار وأحوالها الآمرة
باتقائها (ونسكون من المؤمنين) بها كى لا نرى هذا الموقف قرأ ابن عامر وأبو بكر برقع نكذب ونصب
نكون أى ولا يكون مناة كذيب مع كوننا من المؤمنين وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ننصبهما والتقدير
يا ليتنا لنارد وانتفاء تكذيب بآيات ربنا وكون من المؤمنين فهذه الاشياء الثلاثة متممة بقيد الاجتماع
وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير والكسائي برفعهما واتفقوا على الرفع في قوله نرد والمعنى انهم توالى
دار الدنيا وعدم تكذيبهم بآيات ربهم وكونهم من المؤمنين أو المعنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكاثنين من
المؤمنين فيكون معنى الرد مقيدا بهاتين الحالتين (بل بداهم ما كانوا يخفون من قبل) أى ليس التمنى
الواقع منهم بل لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لانه ظهر لهم فى موقفهم ما كانوا يخفونه فى الدنيا من
تكذيبهم بالنار فان التكذيب بالشئ اخفاه له بلا شك أى فلخوفهم منها ومن العقاب الذى عاينوه قالوا
ما قالوا (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه) أى ولوردهم الله تعالى من موقفهم ذلك الى الدنيا كما سألو
وغاب عنهم ما شاهدوه من الاحوال لم يحصل منهم فعل الايمان وترك التكذيب بل كانوا يستمرون على
الكفر والتكذيب (وانهم لكاذبون) فى تمنيتهم وعدهم بفعل الايمان وترك التكذيب فان دينهم
الكذب لانه قد جرى عليهم قضاء الله تعالى فى الازل بالشرك (وقالوا) أى كفار مكة (ان هى الا
حياتنا الدنيا) أى ما حياتنا الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها (وما نحن بمعوثين) بعد ان فارقتنا هذه
الحيات وليس لنا بعد هذه الحياة ثواب وعقاب (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) أى حبسوا عند ربهم
لاجل السؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدي سيده للعقاب لرأيت أمرا عظيما أو المعنى وقفوا على جزاء

ربهم أي على ما وعدهم ربهم من عذاب الكافرين وثواب المؤمنين وعلى ما أخبرهم به من أمر الآخرة (قال أليس هذا) أي البعث بعد الموت والثواب والعقاب (بالحق قالوا بلى وربنا) أنه لحق وذلك إقرار مؤكداً بآمين لا نجلاء الأمر غاية الانجلاء وهم يطمعون في نفع ذلك الإقرار وينكرون الإشراف فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم وبهدمكم في الدنيا بالبعث بعد الموت (قد خسروا الذين كذبوا بآلاء الله) أي أنكروا البعث والقيامة (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة) أي أنهم كذبوا ذلك إلى أن ظهرت القيامة بغتة فلا يعلم أحد متى يكون مجيئها في أي وقت يكون حصولها (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) أي بإدما متنا على تفريطنا في تحصيل الزاد للساعة في الدنيا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) أي والحال أنهم يحملون ثقل ذنوبهم عليهم أي أنهم يماسون عذاب ذنوبهم بمقاساة ثقل ذلك عليهم فلا يفارقهم ذنوبهم وقال قتادة والسدى أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله شيء هو أحسن الأشياء صورة وأطيبها ريحاً فيقول أنا عملك الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فأركبني فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً أي ركبنا وأوان الكافرا إذا خرج من قبره استقبله شيء هو أقبح الأشياء صورة وأخبثها ريحاً فيقول أنا عملك الفاسد طال ما ركبتني في الدنيا فأنار كبك اليوم فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (الأساء ما يزررون) أي بشئ شيئاً يحملونه آثامهم (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) أي وما اللذات والمستحسنات الحاصلة في هذه الدنيا إلا فرج يشغل النفس عما تنتفع به وباطل يصرف النفس عن الجسد في الأمور إلى الهزل (وللدار الآخرة) أي الجنة أو التمسك بعمل الآخرة أو نعيم الآخرة (خير للذين يتقون) من المعاصي والسيئات وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة بإضافة دار إلى الآخرة (أفلا تعقلون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب أي قل لهم ألا تتفكرون أيها المخاطبون فلا تعقلون أن الدنيا فانية والآخرة باقية وقرأ الباقر بإيلاء على الغيبة أي أيغفل الذين يتقون فلا يعقلون أن الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملون لما ينالون به الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم فلا يفكرون في طلب ما يوصل إلى ذلك (قد نعلم أنه ليحزنك الذين يقولون) أنهم لا يؤمنون بك ولا يقبلون دينك وشريعتك أو يقول أنك ساحر وشاعر وكاهن ومجنون قرأ نافع ليحزنك بصم الياء وكسر الزاي والباقر بفتح الياء وضم الزاي (فإنهم لا يكذبونك) قرأ نافع والكسائي بسكون الكاف والباقر بفتحها وتشديد الذال أي لا يجدونك كاذباً لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة ولا ينسبونك إلى الكذب بالاعتقاد واللسان (ولكن الظالمين بآيات الله يمجدون) أي ولكن يمجدون واحدة نبوتك ورسالتك والمعنى أنهم يقولون في كل معجزة أنها مكر و ينكرون دلالة المعجزة على الصدق على الإطلاق أو المعنى أن القوم ما كذبوك وإنما كذبوني لأنك رسول كقول السيد لعبده وقد أهانه بعض الناس أيها العبد أنه ما أهانك وإنما أهانتني والمقصود تعظيم الشأن لأنني الإهانة عن العبد ونظيره قوله تعالى أن الذين يباعدونك أنما يباعدون الله * روى أن الحرث بن عامر من من قریش قال يا محمد والله ما كذبتنا قط ولكنك أتبعناك نتخطف من أرضنا فمحن لا يؤمن بك لهذا السبب * وروى أن الأخنس بن شريق قال لابي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمد الصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنوقصي باللواء والسقاية والحجابه والنبوة فماذا السائر قریش فنزلت هذه الآية وعن علي بن أبي طالب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنا لا نكذبك فأنك عندنا لصادق ولكنك كذب ما جئتنا به فنزلت هذه

الآية (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) أي ولقد كذب
الرسل قومهم كما كذب قومك فصبروا على تكذيبهم وايدأثم لهم حتى أتاهم النصر بهلاك قومهم فاصبر
يا أشرف الخلق كما صبروا وتظفركم كظفروا بل أنت أولى بالتزام الصبر لأنك مبعوث إلى جميع العالمين (ولا
مبدل لكلمات الله) بالنصرة فإن وعد الله أياك بالنصر حق وصدق ولا يمكن تطرق الخلف والتبديل
إليه (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أي خبرهم في القرآن كيف كذبهم قومهم وكيف أنجيناهم
ودمرنا قومهم (وان كان كبير عليك اعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفعاً في الأرض أو سما في السماء
فتأتيهم بآية) أي وان كان شق عليك اعراضهم عن الإيمان بما جئت به من القرآن وأحببت أن
تجيبهم إلى ما سألوه فإن قدرت أن تتخذ من هذا تنفذ فيه إلى جوف الأرض أو مصعداً ترتقي فيه إلى السماء
فتأتيهم بآية مما اقترحوه عليك من تحت الأرض أو من فوق السماء فلتفعل وعن ابن عباس رضي الله
عنهما أن الحرف بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا
يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فإنا نصدق بك فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوه
فأعرضوا عنه صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لشدة حرصه على إيمان قومه فنزلت هذه الآية والمقصود
من هذا الكلام أن يقطع الرسول طمعه عن إيمانهم وان لا يتأذى بسبب اعراضهم عن الإيمان
واقبالهم على الكفر وهذا دليل على مبالغة حرصه صلى الله عليه وسلم على إسلام قومه إلى حيث
لو قدر على أن يأتي بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لفعل رجاء لإيمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى) أي ولو شاء الله تعالى جمعهم على الهدى لجمعهم عليه بأن يوفقهم للإيمان فيؤمنوا معكم ولو كان
لم يشأ عدم صرف اختيارهم إلى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه في مشاهدتهم إلايات الداعية إليه
(فلا تكونن من الجاهلين) أي فلا تكونن بالميل إلى إتيان اقتراحاتهم من الجاهلين بعدم تعلق مشيئته
تعالى بإيمانهم لعدم توجههم إليه لخروج الإيمان عن الحكمة المؤسسة على الاختيار أو المعنى ولا تجزع
على اعراضهم عنك ولا يشتد تحزنك على تكذيبهم بك فإن فعلت ذلك فتقارب حالاً من حال الجاهلين
الذين لا صبر لهم (انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يقبل دعوتك إلى الإيمان الذين يسمعون
ما يلقي إليهم من سمع تفهم وانما يطيعك من يعقلون الموعظة دون الموتى الذين هؤلاء منهم (والموتى يبعثهم
الله ثم إليه يرجعون) أي والموتى يبعثهم الله بعد الموت ثم يوقفون بين يديه للحساب والجزاء فالله تعالى هو
القادر على احياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الإيمان وأنت لا تقدر عليه (وقالوا) أي كفار مكة حرث بن
عامر وأصحابه وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأمية وأبي ابن خلف والنضر بن الحارث (لولا نزل
عليه آية من ربه) أي هلا أنزل على محمد من ربه معجزة دالة على نبوته مثل فلق البحر واطلال الجبل
واحياء الموتى وانزال الملائكة واسقاط السماء كسفنا (قل) لهم يا كرم الرسل (ان الله قادر على
أن ينزل آية) أي ان يوجد خوارق للعادة كما طلبوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي لا يدرون ان
في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار وان الله تعالى لو أعطاهم ما طلبوه من
المعجزات القاهرة فان لم يؤمنوا عند ظهورها لاستحقاق عذاب الاستئصال ولم يبق لهم عذر ولا علة كما هو
سنة الله فاقتضت رحمة الله صونهم عن هذا البلاء فما أعطاهم هذا المطلب برحمة منه تعالى عليهم وان
كانوا لا يعلمون كيفية هذه الرحمة (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمثالكم) (كم)
أي وما من دابة تمشي في الأرض أو تسبح في الماء ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو

الاطوائف أمثالكم في ابتغاء الرزق وتوقى المهالك وفي أنها تعرف ربها وتوحده وفي أنها يفهم بعضها عن
 بعض وفي أنها تبعث بعد الموت للحساب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قتل عصفورا
 عبثا جاء يوم القيامة بهج الى الله يقول يا رب ان هذا قتلتني عبثا لم ينتفع بي ولم يدعني آكل من خشاش
 الأرض وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقتص للعباد من القرناء والمقصود من هذه الآية
 الدلالة على كمال قدرته تعالى وشهول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على أن ينزل
 آية (ما فرطنا في الكتاب من شيء) أي ما تركنا في القرآن شيئا من الأشياء المهمة أي أن القرآن واف
 ببيان جميع الاحكام فليس لله على الخلق بعد ذلك تكليف آخر وان القرآن دل على أن الاجماع وخبر
 الواحد والقياس حجة في الشريعة فكل ما دل عليه أحد هذه الاصول الثلاثة كان ذلك في الحقيقة موجودا
 في القرآن روى أن ابن مسعود كان يقول مالي لا لعن من لعنه الله في كتابه فقرأت امرأة جميع القرآن
 فأتته فقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجده فيه لعن الواشمة والمستوشمة فقال لو تلوته
 لوجدته قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وان مما آتانا به رسول الله أنه قال لعن الله الواشمة
 والمستوشمة وذكرا أن الشافعي كان جالسا في المسجد الحرام فقال لا تسألوني عن شيء الا أجبتكم فيه
 من كتاب الله تعالى فقال رجل ما تقول في المحرم اذا قتل الزنبر فقال لا شيء عليه فقال أين هذا من كتاب
 الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بستي وسنة الخلفاء
 الراشدين من بعدى وقال عمر رضي الله عنه للمعمر قتل الزنبر وروى أن أبا العفيف قال للنبي صلى
 الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا قضين بيننا بكتاب الله
 ثم قضى بالجلد والتغريب على العفيف وبالرجم على المرأة وهذا يدل على أن كل ما حكم به النبي صلى الله
 عليه وسلم هو عين كتاب الله لانه ليس في نص الكتاب ذكر الجلد والتغريب (ثم الى ربهم يحشرون) فان
 الله تعالى يحشر الدواب والطيور يوم القيامة بمجرد الارادة ومقتضى الالهية وروى أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجاء من القرناء قال المفسرون
 انه تعالى بعد توفير العوض عليها يجعلها ترابا وعند هذا يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا (والذين كذبوا
 بآياتنا) التي هي من القرآن (صم) لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير الاولين
 (وبكم) لا يقدر على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوة الرسول بها (في الظلمات) أي
 في ضلالات الكفر والجهل والعناد فلا يهتدون سبيلا (من يشأ الله يضله) أي من يشأ الله اضلاله
 يخلق الله الضلال فيه ويمتعه على الكفر فيفضل يوم القيامة عن طريق الجنة وعن وجدان الثواب (ومن
 يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي ومن يشأ أن يجعله على طريق يرضاه وهو الاسلام يجعله عليه
 ويهدى اليه ويمتعه عليه فلا يضل من مشى اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه (قل أرايتكم ان آتاكم
 عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أي قل يا أكرم الرسل لكفار مكة
 يا أهل مكة اخبروني ان آتاكم عذاب الله في الدنيا كالغرق أو الخسف أو المسخ أو نحو ذلك أو آتاكم
 العذاب عند قيام الساعة أترجعون الى غير الله في دفع ذلك البلاء أو ترجعون فيه الى الله تعالى ان كنتم
 صادقين في ان أصنامكم آلهة فأجيبوا أسؤالي أو المعنى ان كنتم قوما صادقين فأخبروني ألهام غير الله
 تدعون الخ (بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) أي انكم لا ترجعون في طلب دفع البلية
 الا الى الله تعالى فيكشف الضر الذي من أجله دعوتكم بمحض مشيئته (وتنسئون ما تشركون) أي

وتتركون الاصنام ولا تدعونهم لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذواهم بالأساء والضراء) أي وبالله لقد أرسلنا إلى أمم كثيرة كاثنة من زمان قبل زمانك رسلاً فخالفوهم فعاقبناهم بشدة الفقر والخوف من بعضهم والأمراض والأوجاع (لعلهم يتضرعون) أي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم (قلولا) أي فهلا (اذجاءهم) بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعمسون من الكفر والمعاصي أي فلم يؤمنوا حين جاءهم عذابنا ولكن ظهروا منهم الكفر ووسوس لهم الشيطان أن حال الدنيا هكذا تكون شدة ثم نعمة فلم يخطر وأبى بهم أن ما أصابهم من الشدة إنما أصابهم إلا لأجل عملهم الفاسد (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) أي فلما انهم كفوا في المعاصي وتركوا ما وعظوا به من الشدة ففتحنا عليهم فنون النعماء على منهاج الاستدراج (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) أي حتى إذا أطمأنوا بما فتح لهم وبطروا بأن ظنوا أن الذي نزل بهم من الشدة ليس على سبيل الانتقام من الله وأن تلك الحيرات يستحقها قهراً نزل بهم عذابنا فجاءه ليكون عليهم أشد وقعا (فأذا هم مبلسون) أي محزونون غاية الحزن منقطع رجاؤهم من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي قطع غاية المشركين أي استوصلوا بالهلاك بسبب ظلمهم بمقاومة المعاصي مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على استئصالهم بالنكال فإن أهلك الكفار والعصاة من حيث أنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقابهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستحقة للحمد (قل أرايتم أن أخذ الله معكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من الله غير الله يأتكم به) أي قل يا أكرم الخلق لأهل مكة يا أهل مكة أخبروني أن أرايتم الله معكم وأبصاركم وعقولكم أي فرد من الآلهة الثابتة بزمعكم غير الله يأتكم بذلك الذي أزيل (انظر) يا أكرم الرسل (كيف نصرف الآيات) أي كيف نكرر هامة غير من نوع إلى نوع آخر فتارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين في كل واحد يقوى ما قبله في الإيصال إلى المطلوب (ثم هم يصدفون) أي يعرضون عن تلك الآيات وشم لا يستبعد اعراضهم عنها بعد ذكرها على الوجوه المختلفة (قل أرايتمكم) أي أخبروني يا أهل مكة (إن أتاكم عذاب الله) أي عذابه الخاص بكم (بغتة) أي فجأة بأن يجيئهم من غير سبق علامة تدلهم على مجيئ ذلك العذاب (أو جهرة) بأن يجيئهم مع سبق علامة تدل عليه فالعذاب وقع بهم وقد عرفوه حتى لو أنهم احتراز عنه لتحزروا منه (هل يهلك القوم الظالمون) أي هل يهلك بذلك العذاب غيركم عن الاستحقاق (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) بالشواب على الطاعات (ومنذرين) بالعقاب على المعاصي ولا قدرة لهم على اظهار المعجزات بل ذلك مفوض إلى مشيئة الله تعالى (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي فمن قبل قول المرسلين وأتى بعمل القلب الذي هو الإيمان وبعمل الجسد الذي هو الأصـلاح فلا خوف عليهم من العذاب الذي أنذر به دنيوياً كان أو آخروياً ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الشواب العاجل والآجل (والذين كذبوا بآياتنا) وهي ما ينطق به الرسل عند التبشير والانتذار ويبلغونه إلى الأمم (يعسهم العذاب) أي يصيبهم العذاب الذي أنذروه (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم وخروجهم عن الطاعة (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني ملائكة أن أتبع إلا ما يوحى إلي) واعلم أن الكفار طلبوا من رسول الله أن يوسع خيرات الدنيا وأن يخبر عما يقع في المستقبل من المصالح والمصاير وطعنوا فيه في كل

الطعام والمشى في السوق وفي تزوجه للنساء فأمر الله تعالى أن ينسئ عن نفسه أمورا ثلاثة تواضع الله تعالى واعترافه بالعبودية وان يقول لهم انما بعثت مبشرا ومنذرا ولا أدعي كوني موصوفا بالقدرة الثلاثة بالله تعالى وان خزائن الله مفوضة الى تصرفها كيف ما أشاء وأعطيكم منها ما تريدون ولا أدعي كوني موصوفا بعلم الله تعالى فاخبركم بما تريدون ولا أدعي اني ملاك حتى تكلفوني من الخوارق للعبادات ما لا يطيق به البشر وحتى تعدوا عدم اتصافي بصفات الملائكة قادح في أمري فتتكرون قولي وتبعدون أمري وما أخبركم من غيب الا بوحى من الله أنزله على (قل) لهم (هل يستوى الاعمي والبصير) أي هل يكونان سواء من غير مزية فان قالوا نعم كبروا الحس وان قالوا لا قيل فن تبس هذه الآيات الجليات فهو البصير ومن أعرض فهو الاعمي (أفلا تتذكرون) أي ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه نزلت هذه الآية من قوله قل لا أقول لكم في أبي جهل وأصحابه الحرث وعينة (وأندريه الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون) أي وأندريه يا أشرف الرسل بما أوحى اليك من يجوزون الحشرو ويرجي منهم التأثير بالتخويف غير منصورين بقريب ولا مشفوعا لهم من جهة أنصارهم على زعمهم من غير الله تعالى سواء كانوا جازمين بأصل الحشر كالمؤمنين العاصين وأهل الكتاب المتردين في شفاعه آبائهم الانبياء وبعض المشركين المعترفين بالبعث المتردين في شفاعه الاصنام أو متردين في أصل الحشر وفي شفاعه الآباء والاصنام معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقا فيهلكوا لكي ينتهوا عن الكفر والمعاصي واما المنكرون للحشر بالكلية والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الاصنام فهم خارجون عن أمر بانذارهم (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أي الذين يعبدون ربهم بالصلاة الخمس أو يذكرون ربهم طرفي النهار (يريدون وجهه) أي يريدون بذلك محبة الله تعالى ورضاه أي مخلصين في ذلك روى انه جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وهم من المولقة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب وبلال وخباب وابن مسعود وسلمان الفارسي ومهجع وعامر بن فهيرة قلمارا وهم حوله حقروهم وقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس وأبعدت عنك هؤلاء ورأيتهم جبا بهم لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي ما نابطارد المؤمنين قالوا فانحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيل فنتسحقى أن ترانا مع هؤلاء الا عبيد فاذا نحن جئناك فاقهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فكتب لنا عليك بذلك كتابا فأتى بالصحيفة ودعا عبد اليك كتب فترجل جبريل بهذه الآية فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد لبايعنا محمدا فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من الاشراف له صلى الله عليه وسلم اذا صلينا فأخرو هؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت هذه الآية (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) أي ما عليك من حساب رزق هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي شيء فقلهم وتبعدهم ولا من حساب رزقك عليهم شيء وانما الرزق لهم ولك هو الله تعالى فدعهم يكونوا عندك ولا تطردهم فتكون من الظالمين لنفسك بهذا الطرد ولهم لانهم استحقوا من يد التقريب وقيل ان الكفار طعنوا في ايمان أولئك الفقراء وقالوا يا محمدا انهم اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون بهذا السبب ما كولا وملبوسا عندك والافهم

فأرغون عن دينك فقال الله تعالى ان كان الامر كما يقولون فما يلزمك الاعتبار الظاهر وان كان لهم باطن غير مرضى عند الله لحسابهم عليه لازم لهم لا يتعدى اليك كما أن حسابك عليك لا يتعدى اليهم (وكذلك فتنابعضهم ببعض) أي ومثل ذلك الفتون المتقدم فتنابعض هذه الامة ببعض وكل أحد مبتلى بضده فأولئك الكفار رؤساء الاغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين في الاسلام مسارعين الى قبوله فقالوا لودخلنا في الاسلام لوجب علينا أن ننقاد لهؤلاء الفقراء المساكين وان نعترف لهم بالتبعية فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك واعترضوا على الله في جعل أولئك الفقراء رؤساء في الدين وأما فقراء الصحابة فكانوا يرون أولئك الكفار في الراحة والمسرات والطيبات والخصب والسعة فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الاحوال لهؤلاء الكفار وبالجملة فصفاة الكمال مختلفة متفاوتة محبوبة لذاتهم موزعة على الخلق فلا تجتمع في انسان واحد البتة فكل أحد يحسد صاحبه على ما أتاه الله من صفات الكمال (ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا) بالايان بالله ومتابعة الرسول وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا وهذه اللام كى والتقدير ومثل ذلك الفتون فتنا يقولوا هذه المقالة امتحاننا وقيل انها لام الصبر ورة والمعنى وكذلك فتنابعضهم ببعض ليصبروا أوليشكروا فكان عاقبة أمرهم ان قالوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا قال تعالى رد عليهم (أليس الله بأعلم بالشاكرين) لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفي هذا الاستفهام التقريرى اشارة الى أن الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن وفي التوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك وتعريض بان القائلين بتلك المقالة بعزل من ذلك كله (واداجاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قيل زلت هذه الآية في أهل الصفة الذين سأل المشركون رسول الله عليه السلام طردهم فآكرمهم الله تعالى بهذا الاكرام فان الله تعالى نهى رسوله أولا عن ايعادهم ثم أمره بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه في الدنيا والرحمة في الآخرة (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي أوجب على ذاته المقدسة الرحمة بطريق الفضل والكرم تبشيرا لهم بسعة رحمته تعالى وبنييل المطالب (أنه من عمل منكم سوءا) أي ذنبا (بجهالة) بتعمد بسبب الشهوة وكان جاهلا بمقدار ما يستحقه من العقاب وما يفوته من الثواب (ثم تاب من بعده) أي ندم من بعد عمل المعصية (وأصلح) عمله بالتوبة منه تداركا وعزما على أن لا يعود اليه أبدا (فأنه) أي الله (غفور) بسبب ازالة العقاب (رحيم) بسبب اصال الثواب الذي هو النهاية في الرحمة (وكذلك نفصل الآيات) أي كما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد والنبوة والقضاء والقدر فكذلك نفصل لك حججنا في تقرير كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأتنا فلتستبين بالتاء خطاب للنبي وسبيل بالنصب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المشركين فتعاملهم بما يليق بهم وقرأ جزء والكسائي وأبو بكر عن عاصم ليستبين بالياء وسبيل بالرفع والباقون بالتاء وسبيل بالرفع وقوله وليستبين عطف على المعنى كأنه قيل ليظهر الحق وليتضح سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل (قل) يا أشرف الخلق للمصيرين على الشرك (انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي انى نهيت في القرآن عن عبادة ما تعبدونه من دون الله وهو الاصنام (قل لا أتبع أهواءكم) في عبادة الاحجار وهى أخس مرتبة من الانسان بكثير فانهم كانوا ينحتون تلك الاصنام وانما يعبدونها بناء على محض الهواه لا على سبيل الحاجة فان اشتغال الاشرف بعبادة الاخس أمر يدفعه صريح العقل (قد ضللت اذا) أي ان اتبعت أهواءكم (وما أنا من المهتدين) أي ما أنا فى شئ من الهدى حين أكون فى عدادهم (قل انى على بينة) أي حجة

وافحة تفصل بين الحق والباطل وهي الوحي (من ربي) في انه لا معبود سواه (وكذبتم به) أي ربي
 حيث أشركتم به غيره (ما عندي ما تستعجلون به) أي من العذاب أي ليس أمره بمفوض الى فلان الأولى
 نافية وما الثانية موصولة وسبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب
 عليهم بسبب هذا الشرك وكان النضر بن الحرث وأصحابه يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعدان ~~كنتم~~
 صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام على زعمهم فقال تعالى قل يا أشرف الخلق ليس ما تستعجلونه
 من العذاب الموعود في القرآن وتجمعون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى أجي به
 وأظهر لكم صدقه (إن الحكم إلا لله) أي ما الحكم في نزول العذاب تعجيلا وتأخيرا إلا الله (يقض الحق)
 قرأ ابن كثير ونافع وعاصم بقص بالصاد المشددة وضم القاف أي ينبي الحق ويقول الحق لا كل ما أخبر
 الله به فهو حق وقرأ الباقر بقص بسكون القاف وكسر الصاد بغير ياء لستقوطها في اللفظ أي يقضي
 القضاء الحق أو يصنع الحق لأن كل شيء صنعه الله فهو حق (وهو خير الفاضلين) أي أفضل القاضين
 (قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بيني وبينكم) أي قل يا أكرم الرسل لو أن في قدرتي
 ما تطلبون به قبل وقته من العذاب الذي يريه الوعيد بأن يكون أمره مفوضا الى من الله تعالى لفصل
 ما بيني وبينكم بأن نزل عليكم ذلك عقب استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد واسترحت (والله أعلم
 بالظالمين) أي أعلم بحال المشركين وبأنهم مستحقون للإمهال بطريق الاستدراج فوقع بالنضر بن
 الحرث العذاب الذي سأل فقتل صبرا يوم بدر (وعنده مفاتيح الغيب) أي علم الغيب لأن المفاتيح هي التي
 يتوصل بها الى ما في الخزائن فمن علم كيف يفتحها ويتوصل بها الى ما فيها فهو عالم أو المعنى وعنده تعالى
 خاصة خزائن الغيب أي قدرة كاملة على كل المسكنات من المطر والنبات والثمار ونزول العذاب (لا يعلمها
 الا هو) أي لا يعلم مفاتيح الغيب بنزول العذاب الذي تستعجلون به الا هو فالعذاب ليس مقدورا الى حتى
 أعجله لكم ولا معلوما لى حتى أخبركم بوقت نزوله بل هو ما يختص به تعالى قدرة وعلم (ويعلم ما في البر
 والبحر) من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثر افرادها وانما قدم ذكر البر
 لأن الانسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال والحيوان
 والنبات والمعادن وأما البحر فأنما أحرز كرهه لأن احاطة العقل بأحواله أقل لكن الحس يدل على ان
 عجائب البحر أكثر وأجناس المخلوقات أعجب وان طول البحر وعرضه أعظم (وما تسقط من ورقة)
 من الشجر والنجم (لا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) أي وما
 حبة ملقاة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس من كل شيء الا في علم الله تعالى فاذا سمع الانسان ان الحبة
 الصغيرة الملقاة في مواضع متسعة يبقى أكبر الاجسام مخفيا فيها وان الماء والنابت والحى وخلافها لا تخرج
 عن علم الله تعالى صارت هذه الامثلة منبهة على معنى قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وقيل
 والمراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ انما كتب هذه الاحوال في اللوح المحفوظ لتقف الملائكة على
 نفاذ علم الله تعالى في المعلومات فيكون في ذلك عبرة تامة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون
 به ما يحدث في صحيفة هذا العالم فيجدونه موافقا له (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي ينيكم في الليل وانما
 ضح اطلاق لفظ الوفاة على النوم لأن ظاهر الجسد صار معطلا عن بعض الاعمال عند النوم كما ان جملة
 البدن صارت معطلة عن كل الاعمال عند الموت ففصل بين النوم والموت مشابهة من هذا الاعتبار (ويعلم
 ما جرحتم بالنهار) أي يعلم ما كسبتم من أعمال الجوارح في النهار (ثم يبعثكم فيه) أي يوقظكم في

النهار (ليقضى أجل مسمى) أى لى يتم أجل معين عند الله لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتجاوز أحد ما عين له طريقة عين (ثم اليه مرجعكم) أى رجوعكم بالموت (ثم ينشئكم بما كنتم تعملون) أى يخبركم بمجازاة أعمالكم التى كنتم تعملونها فى الليل والنهار من الخير والشر (وهو القاهر فوق عباده) أى وهو الغالب المتصرف فى أمور عباده يفعل بهم ما يشاء إيجاباً أو أعداماً أو أحياءاً وماتة وإثابة وتعذيباً إلى غير ذلك فإلم بكلمات كلها مقهورة تحت قهر الله تعالى مسخرة تحت تسخير الله تعالى (ويرسل عليكم حفظة) أى ملائكة يحفظون أعمالكم ويكتبونها فى صحائف تقرأ عليكم يوم القيامة على رؤس الأشهاد (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) أى حتى إذا انتهت مدة أحدكم وانتهى حفظ الحفظة وجاءه أسباب الموت قبضه ملك الموت وأعوانه (وهم) أى هؤلاء الرسل (لا يفرطون) أى لا يؤخرون الميت طريقة عين وقرى يسكون الفناء أى لا يجاوزون ما حدد لهم بزيادة أو نقصان (ثم ردوا إلى الله) أى ثم رد جميع البشر بعد البعث بالحشر إلى حكم الله وجزائه فى موقف الحساب وقيل المعنى ثم يرد أولئك الملائكة فانهم يعوون كما يعوت بنو آدم (مولاهم الحق) أى مالكمهم الذى لا يقضى إلا بالعدل (إلا له الحكم) يومئذ صورة ومعنى (وهو أمرع الحاسبين) يحاسب جميع الخلائق فى أقصر زمان لا يشغله كلام عن كلام ولا حساب عن حساب وفى الحديث أن الله تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة أى وذلك لأنه تعالى لا يحتاج إلى فكر وعقد (قل) يا كرم الخلق لكفار مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) أى من شدائد هما الهائلة التى تبطل الحواس وتدهش العقول (تدعوته) والضمير عائذ لمن وهذه الجملة فى محل نصب على الحال إما من مفعول ينجيكم أى من ينجيكم منها داعين إياه راما من فاعله أى من ينجيكم منها مدعو من جهةكم (تضرعوا وخفية) أى تدعونه دعاء إعلان وإخفاء أو تدعونه متضرعين ومخلصين بقلوبكم قائلين (لئن أنجيتنا من هذه) أى الأهوال والشدائد (لنسكون من الشاكرين) أى من المؤمنين المداومين على الشكر لاجل هذه النعمة وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر خفية بكسر الحاء والباقون بالضم وعلى هذا الاختلاف فى سورة الاعراف وقرأ الأعشى وخيفة بكسر الحاء فبعده الياء الساكنة من الخوف أى مستكينة أو دعاء خوف وآية تدل على أن الإنسان يأتى عند حصول الشدائد بأمور أحدها الدعاء وثانيه بالتضرع وثالثها الإخلاص بالقلب وهو المراد من قوله وخيفة ورابعها التزام الشدائد بالشكر وهو المراد من قوله لئن أنجيتنا من هذه لنسكون من الشاكرين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى لئن أنجانا على المغايبه وينجيكم بالتشديد فى الموضعين والباقون لئن أنجيتنا على الخطاب وينجيكم بالتشديد والتخفيف وحجة من قرأ على المغايبه أن ما قبل لفظ أنجانا هو تدعونه وما بعده وهو قل الله ينجيكم منها مذكور بلفظ المغايبه ولا يحتاج فى هذه القراءة على ضمائر نحو تقولون فإلزام خلاف الأصل وحجة من قرأ على مخاطبة قوله تعالى فى آية أخرى لئن أنجيتنا من هذه لنسكون من الشاكرين (قل الله ينجيكم منها) أى الله وحده ينجيكم من شدائد البر والبحر (ومن كل كرب) أى غم سوى ذلك (ثم أنتم) يا أهل مكة بعدما تشاهدون هذه النعم الجليلة (تشركون) بعبادته تعالى غيره الذى عرفتم أنه لا يضر ولا ينفع ولا تفنون بعهدكم (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) كالطرق كما فعل بقوم نوح والحجارة كما رمى بها أصحاب الفيل وقوم لوط والصيحة أى صرخة جبريل التى صرخها على قوم صالح والريح كما فى قوم هود (أو من تحت أرجلكم) كالرجفة وغرق فرعون وخسف قارون (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) أى يخلط أمركم خلط اضطراب

• يجعلكم فرقا مختلفين على أهواشتي كل فرق - فمتابعة لأمام فاذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضا
 (انظر كيف نصرف الآيات) أي نكرر رهامتغيرة من حال الى حال (لعلهم يفقهون) أي كي يفقهوا
 على جليلة الامر فيرجعوا عما هم عليه من العناد (وكذب به قومك وهو الحق) أي وكذبوا بالعذاب
 والحال انه الواقع لا بد وان ينزل بهم - أو المعنى وكذب قريش بالقرآن وهو الكتاب الصادق في كل ما نطق
 به وفي كونه منزلا من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أي قل يا أكرم الرسل لهؤلاء المكذبين لست
 عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما أنا منذر والله هو المجازي لكم
 بأعمالكم (لكل نبأ مستقر) أي لكل خبر يخبره الله تعالى وقتا يحصل فيه من غير تأخير والمعنى لكل قول
 من الله من الوعد والوعيد استقرار وحقيقة منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة (وسوف تعملون)
 أي ولا بد ان يعملوا ان الامر كما أخبر الله تعالى عنه عند ظهوره (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
 فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي واذا رأيت أيها السامع الذين يستهزؤن بآياتنا فارتك
 مجالسهم كي يشرعوا في حديثهم في غير آياتنا أي في غير الاستهزاء بالقرآن ونقل الواحدى ان المشركين
 كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فشتوا واشتهزوا فأمرهم الله
 بترك مجالسة المشركين (واما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) أي وان يشغلك
 الشيطان فتنسى النهى فتجالسهم فلا تقعد معهم بعد تذكر النهى (وما على الذين يتقون من حسابهم من
 شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون) قال ابن عباس قال المسلمون ان كننا كمالا استهزأ المشركون بالقرآن
 فناءهم لما قدرنا على ان نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت هذه الآية أي ما على الذين
 يتقون قبائح أعمال الخائضين عما يحاسبون عليه من آثامهم شيء ولكن تذكرة لهم عما هم عليه من
 القبائح بما أمكن من التذكير لعلهم يحجتنبون الخوض حيا أو فحوه وقوله تعالى ذكرى معطوف على محل
 شيء وهو رفع على انه مبتدأ مؤخر أو اسم ما ومن مريدة للاستغراق ومن حسابهم حال من شيء (وذرا الذين
 اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) أي أعرض عن الذين نصرروا الدين ليمتسكوا به الى أخذ
 المناصب والرئاسة وغلبة الخصم وجمع الاموال ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تقم لهم في نظرك وزنا
 وانما نصرروا الدين للدنيا لا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا أي اطمأنوا بها فلا جل استيلاء حب الدنيا على
 قلوبهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصر واعلى ترين الظواهر ليمتسكوا بها الى حطام الدنيا واذا تأملت
 في حال أكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وداخلين تحت هذه الحالة والله أعلم والمحقق في الدين
 هو الذي ينصر الدين لاجل انه قام الدليل على انه صواب (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت) أي
 ذكرهم بمقتضى الدين مخافة احتباسهم في نار جهنم بسبب جنائياتهم لعلهم يخافون (ليس لها من دون
 الله ولي ولا شفيع) أي ليس للنفس من غير الله ناصر ولا شفيع يمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل
 لا يؤخذ منها) أي وان تغد تلك النفس بكل فداء لا يقبل منها حتى لو جعلت الدنيا بأسرها فدية من عذاب
 الله لم تنفع (أولئك الذين أبلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) أي
 أولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا هم الذين حبسوا في جهنم بما كسبوا في الدنيا
 لهم شراب من ماء مغلى يتجر جرفي بطونهم وتقطع به امعاؤهم وعذاب أليم ينارتشعل بأبدانهم بسبب
 كفرهم المستمر في الدنيا (قل اندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا وزد على أعقابنا بعد اذ هذان الله)
 أي قل يا أكرم الرسل لهؤلاء المشركين الذين دعوا الى دين آباءهم كعينته وأصحابه أنعبدهم متجاوزين

عبادة الله الجامع لجميع صفات الألوهية بما يقدر على نفعا في الدنيا والآخرة أن عبدناه ولا على ضررنا
 فيهما إذا تركناه ونزلنا إلى الشرك بعد أهدانا الله إلى الإسلام وأنقذنا من الشرك وأنما يقال لكل من
 أعرض عن الحق إلى الباطل أنه رجع إلى خلف ورجع إلى عقبيه لأن الأصل في الإنسان هو الجهل ثم
 إذا تم كامل حصل له العلم لم فاذا رجع من العلم إلى الجهل مرة أخرى فكان رجع إلى أول مرة (كالذي
 استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثننا) أي فيكون مثلنا كالذي استنزله
 الشياطين من الموضع العالي إلى الوهدة السافلة لعجمة في قعر الأرض اثننا عن الجادة لا يدرى ما يصنع
 وللنازل إلى الوهدة المظلمة عينيه وأصحابه رقة وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعونه إلى الطريق
 المستقيم يقولون اثننا إلى الجادة والغيلان ينزلونه إلى السافلة المظلمة فبقى متحيرا أين يذهب وهذا المثل في
 غاية الحسن وذلك لأن الذي يهوى من المكان العالي إلى الوهدة العجمة يهوى إليها مع الاستدارة على نفسه
 كما أن الحجر حال نزوله من الأعلى إلى الأسفل ينزل على الاستدارة وذلك يدل على كمال التردد والتحير فعند
 نزوله لا يعرف أنه يسقط على موضع يكثربلاؤه بسبب سقوطه أو يقل فاذا اعتبرت مجموع هذه الأحوال
 علمت أنك لا تجد مثالا للمتحير المتردد الخائف أحسن ولا أكمل من هذا المثال (قل إن هدى الله) الذي
 هدانا إليه وهو الإسلام (هو الهدى) الكامل النافع الشريف وما عدا ضلال محض وغى بحت (وأمرنا
 لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوا) أي قل وأمرنا بأن نخلص العبادة لرب العالمين لأنه المستحق
 للعبادة وقل أقيموا الصلاة واتقوا الله تعالى في مخالفة أمره والمقصود من ذكر هذين النوعين من الخطاب
 تنبيه على الفرق بين حالتى الكفر والإيمان فإن الكافر بعيد فائب والمؤمن قريب حاضر فيخطب الكافر
 بخطاب الغائبين لأنه كالأجنبي الغائب فيقال له وأمرنا لنسلم لرب العالمين وإذا أسلم وآمن صار كالقريب
 الحاضر فيخطب بخطاب الحاضرين ويقال له وأقيموا الصلاة واتقوا (وهو الذى إليه تحشرون) أى
 تجمعون يوم القيامة فيجزىكم بأعمالكم (وهو الذى خلق السموات والأرض) وما فيهما (بالحق) أى
 قائما بالحق لا عابثا (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) أى وأمره المتعلق بكل شيء يريد خلقه حين
 تعلقه به هو المعروف بالحقيقة والمراد من هذا الأمر التنبيه على نفاذ قدرته ومشيئته في تكوين الكائنات
 وهذا بيان أن خلقه تعالى للسموات والأرض ليس عما يتوقف على مادة ولا مدة بل يتم بمحض الأمر
 التكويني من غير توقف على شيء آخر أصلا والمراد بالقول كلمة كن تمثيل لان سرعة قدرته تعالى أقل
 زمتنا من زمن النطق بكن (وله الملك يوم ينفخ في الصور) انما أخبر الله عن ملكه يومئذ لانه لا منازع
 له يومئذ فان الملوك اعترفوا بأن الملائكة الواحدة القهار والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل نفخة تنفخ الصعق
 أى الموت ونفخة البعث للحساب (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ما غاب عن العباد وما علمه العباد وقوله
 تعالى وله الملك يدل على كمال القدرة وقوله عالم الغيب والشهادة يدل على كمال العلم (وهو الحكيم الخبير)
 فالحكيم هو المصيب في أفعاله والخبير هو العالم بحقائق الأشياء من غير اشتباه (وأذ قال إبراهيم لأبيه آزر)
 وهو في التوراة تارح فلأبي إبراهيم اسمان آزر وتارح بن ناحور وأعلم أن جميع نسب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مطهر من عبادة الأصنام مادام النور المجدى في أصلابهم أما بعد انتقاله منهم فتجوز عليهم عبادة
 الأصنام وغيرهم سائر أنواع الكفر (اتخذ أصناما آلهة) أى أتجعل لنفسك أصناما آلهة فتعبد
 أصناما شتى صغيرا وكبيرا ذكرا وأنثى (أنى أراك وقومك في ضلال مبين) أى أنى أراك يا أبت وقومك
 في ضلال عن الحق بين في الاتفاق على عبادة الأصنام (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض

وليكون من الموقنين) أي كما أرينا إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف ما كان قومه عليه من عبادة الأصنام نزيه ملكوت السموات والأرض من وقت طفوليته ليراها في توسل بها إلى معرفة جلال الله تعالى وقدسه وعلوه وعظمته وليصير زمان بلوغه من البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى لأن مخلوقات الله وإن كانت متناهية في الذات والصفات فهي غير متناهية من جهات دلالتها على الذات والصفات كما نقل عن إمام الحرمين أنه يقول معلومات الله تعالى غير متناهية ومعلوماته في كل واحد من تلك المعلومات غير متناهية أيضا وذلك لأن الجوهر الفردي يمكن وقوعه في أحيان لانهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لانهاية لها على البدل وكل تلك الأحوال التقديرية دالة على حكمة الله وقدرته وإذا كان الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ كذلك فكيف القول في ملكوت الله تعالى فثبت أن دلالة ملك الله تعالى على سمات عظمته وعزته غير متناهية وحصول المعلومات التي لانهاية لها دفعة واحدة في عقول الخلق محال فحينئذ لا طريق إلى تحصيل تلك المعارف إلا بأن يحصل بعضها عقب بعض وهذا هو المراد من قول المحققين السفر إلى الله له نهاية وأما السفر في الله فإنه لانهاية له والله أعلم (فلما جن) أي أظلم (عليه الليل) في السرب (رأى كوكبا) وهي الزهرة وهي في السماء الثالثة (قال هذاربي) مجازاة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب (فلما أفل) أي غرب (قال لا أحب الآفلين) أي لا أحب الآرباب الممتثلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين بالاستار (فلما رأى القمر بازغا) أي مبتدئا في الطلوع أثر غروب الكوكب (قال هذاربي) هذا أكبر من الأول حكاية لقول الخصم الذين يعبدون الكواكب (فلما أفل قال لئن لم يهدني رب) إلى حضرت الحق (لا كوتن من القوم الضالين) فإن شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية (فلما رأى الشمس بازغة) أي مبتدئة في الطلوع (قال هذاربي هذا أكبر) من الأول والثاني (فلما أفلت) أي هي (قال) مخاطبا للكل صاعدا بالحق بينهم (يا قوم اني برى عما تشركون) بالله من الأجرام المحدثه المحتاجة إلى محدث أعلم أن أكثر المفسرين ذكروا أن ملك ذلك الزمان وهو غروذ بن كنعان رأى رؤيا كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق له ماضو وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام يمازعه في ملكه فأمر ذلك الملك بذيبح كل غلام يولد في هذه السنة فقبلت أم إبراهيم به وما أظهرت حبلها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت إلى كهف ووضعت إبراهيم فيه وسدت الباب بحجر فجاء جبريل عليه السلام ووضع أصبعه في فيه ففصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبريل عليه السلام فكانت الأم تأتيه أحيانا وترضعه وبقى على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف أنه ربا فسأل الأم فقال لها من ربي فقالت أنا فقال ومن ربك قالت أبوك فلما أتاه أبوه أزر فقال يا أبتا من ربي قال أمك قال فمن رب أمي قال أنا قال فمن ربك قال ملك البلد غروذ فعرف إبراهيم جهلهما برهما فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيئا يستدل به على وجود الرب تعالى فرأى النجم الذي هو أضوء النجوم في السماء فقال هذاربي إلى آخر القصة والتبرأ إبراهيم من المشركين توجه إلى منشي هذه المصنوعات فقال (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض) أي اني وجهت طاعتي وصرفت وجه قلبي للذي أخرج السموات والأرض إلى الوجود (حنيفا) أي ما ثلا عن كل معبود دون الله تعالى (وما أنا من المشركين) في شيء من الأفعال والأقوال (رحاجه قومه) أي خاصهوه في آلهتهم وخوفه بها روى أنه لما شب إبراهيم جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها فيذهب بها وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بآبائه عليه ذهب بها إلى نهر وضرب فيه رؤسها وقال

لها اشربي استهزأه بقومه حتى فشافهم استهزأوه فقالوا له احذرا الاصنام فانما نخاف أن تمسك بجنبيل أو جنون بعيبك اياها فذلك قوله تعالى وحاجه قومه (قال) أي ابراهيم لهم (أتحاجوني في الله) أي أتخاضعونني في وحدانية الله (وقدهدان) لدينه فكيف التفت الى حجتكم العلية وكلما تكلم الباطلة (ولا أخاف ما تشركون به) من الاصنام لان الخوف انما يحصل عن يقدر على النفع والضرر والاصنام جمادات لا قدرة لها على النفع والضرر فكيف يحصل الخوف منها (الا أن يشاء ربي شيئا) أي لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا أن يشاء ربي شيئا من المكر ويصيني من جهتها كأن يحبسها ويحكمها من ايصال المنفعة والمضرة الى أو من تزع المعرفة من قلبي فأخاف مما تخافون وسع ربي كل شيء علما) فانه هلام الغيوب فلا يفعل الا الصلاح والحكمة في تقدير أن يحدث من مكره الدنيا فذلك لانه تعالى عرف وجه الصلاح والخير فيه لا لاجل انه عقوبة على الطعن في الهية الاصنام (أفلا تتذكرون) ان نفي الشركاء عن الله تعالى لا يوجب زول العذاب واثبات التوحيد له تعالى لا يوجب استحقاق العقاب أو المعنى أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع فلا تتذكرون أنها غير قادرة ولا تتعظون فيما أقول لكم من النهي (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا) أي وكيف أخاف الاصنام التي لا قدرة لها على النفع والضرر وأنتم لا تخافون من الله أشركتم بالله ما يمنع حصول المحبة فيه أو ما لم يرد الأمر به أي وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلا وأنتم لا تخافون فأناله ما هو أعظم المخوفات وهو أشركتم بالله الذي لا يعاقل ذاته وصفاته شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته (فأي الفريقين أحق بالامن) أي مالكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف فأي الفريقين من الموحدين والمشركين أحق بالامن من معبود أحد الفريقين (ان كنتم تعلمون) من أحق بذلك فأخبروني فلم يجيبوا فأجاب الله ما سألت عنهم فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن) أي الفريق الذين آمنوا ولم يخلطوا ايمانهم بشرك بأن لم يثبتوا لله شريكا في العبودية أولئك لهم الامن من العذاب (وهم مهتدون) الى الصواب ومن عداهم في ضلال ظاهروا لله تعالى شرط في الايمان الموجب للامن عدم الظلم أي عدم النفاق بالايمان وأما الفاسق فهو مؤمن فوعيد الفاسق من أهل الصلاة يحتمل أن يعذبه الله وأن يعفو عنه فالامن زائل والخوف حاصل فلم يلزم من عدم الامن القطع بحصول العذاب والله أعلم (وتلك) أي ما احتج به ابراهيم على قومه (حجتنا آتيناها) أي ألهمنها (ابراهيم على قومه) متعلق بحجتنا (نرفع درجات من نشاء) قرأ عاصم وحمة والكسائي بغير اضافة أي نرفع من نشاء رفعه في رتب عظيمة عالية من العلم والحكمة والمنزلة وقرأ الباقون بالاضافة (ان ربك) يا أكرم الرسل (حكيم) في كل ما فعل من رفع وخفض (عليم) بحال من يرفعه أي ان الله يرفع درجات من يشاء بمقتضى حكمته وعلمه فان أفعاله تعالى منزهة عن العيب (ووهبنا له) أي لابراهيم لصلبه (امحق ويعقوب) من امحق (كلا هدينا) أي كل واحد من ابراهيم وامحق ويعقوب أرشدنا الى النبوة والرسالة (ونوحا هدينا من قبل) أي من قبل ابراهيم (ومن ذريته) أي وهدينا من ذريته نوح (داود وسليمان وأيوب) هو ابن أموص من أسباط عيص بن امحق (ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين) أي ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنات مثل ذلك الجزاء على احسانهم وهو الاتيان بالاعمال الحسنة على حسن الوصف في المقارن لحسنها الذاتي وقد فسر النبي صلى

الله عليه وسلم بقوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك (وزكريا) ابن أذن
(ويحيى) ابنه (وعيسى) بن مريم بنت عمران (والياس) بن ياسين بن فخصاص بن عيزار بن
هرون بن عمران (كل) أى كل واحد من أولئك المذكورين (من الصالحين) أى من السكاملين
في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي (واسماعيل) بن ابراهيم (واليسع) بن أخطوب
ابن العجوز قرأ حمزة والكسائي واليسع بتشديد اللام وسكون الياء والباقون واليسع بلام واحدة
ساكنة وبفتح الياء (ويونس) بن متى (ولوطا) بن هاران أخى ابراهيم (وكلان) من هؤلاء
الانبياء (فضلنا على العالمين) فهم يفضلون على الملائكة والاولياء واعلم أن الله تعالى
خص كل طائفة من الانبياء بنوع من الكرامة والفضل فمنهم أصول الانبياء واليههم يرجع
حسبهم جميعا وهم نوح و ابراهيم واسحق ويعقوب ثم المراتب المتعبرة عند جمهور الخلق بعد النبوة
الملك والسلطان والقدرة وقد أعطى الله داود وسليمان من هذا الباب نصيبا عظيما ثم المرتبة
الثالثة البلاء الشديد والمحنة العظيمة وقد خص الله أيوب بهذه الحاصية والمرتبة الرابعة من كان
مستجما لها نين الحالاتين وهو يوسف فإنه نال البلاء الكثير في أول الامر ثم أعطاه الله النبوة مع
ملك مصر والمرتبة الخامسة من فضائل الانبياء قوة المعجزات وكثرة البراهين والمهاجبة العظيمة والصولة
الشديدة وذلك في حق موسى وهرون والمرتبة السادسة الزهد الشديد والاعراض عن الدنيا وترك مخالطة
الخلق وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين ثم
ذكر الله بعد هؤلاء من لم يبق له فيما بين الخلق اتباع وهم اسماعيل واليسع ويونس ولوط والله أعلم
(ومن آباؤهم وذرياتهم واخوانهم) وهذا ما عطف على كلا العامل فيه فضلنا ومن تبعه فضية أو على نوحا
فالعامل فيه هدينا ومن ابتدائية والمفعول محذوف أى وهدينا بالنبوة والاسلام من آباؤهم جماعات
كثيرة آدم وشيث وادريس وهود وصالح ومن ذرياتهم جماعات كثيرة وأولاد يعقوب ومن اخوانهم
جماعات اخوة يوسف (واجتبناهم) أى اصطفيناهم بالنبوة والرسالة (وهديناهم الى صراط
مستقيم) أى الى معرفة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشرك (ذلك) أى معرفة الله بوحده انيته
(هدى الله) أى دين الله فان الايمان لا يحصل الا بخلق الله تعالى (يهدي به من يشاء من عباده) وهم
المستعدون للهداية في الارشاد (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) أى ولو أشرك هؤلاء الانبياء
لحبط عنهم مع فضلهم وعلو درجاتهم أعمالهم المرضية وعبادتهم الصالحة فكيف بمن عداهم والمقصود من
هذا الكلام تقرير التوحيد وابطال طريقة الشرك (أولئك) أى الانبياء الثمانية عشر (الذين
آتيناهم الكتاب) أى أعطيناهم فهم تاما لما في الكتاب وعلمنا محيطا بأسراره (والحكم) فان الله
تعالى جعلهم حكاما على الناس نافذى الحكم فيهم بحسب الظاهر (والنبوة) فيقدرون بها على
التصرف في ظواهر الخلق كالسلاطين وفي بواطنهم وأرواحهم كالعلماء (فان يكفروا) أى بهذه
الثلاثة (هؤلاء) أى كفار قريش (فقد وكنابها) أى وفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها (قوما
ليسوا بها بكافرين) أى يجاحدين في وقت من الاوقات وهم الانصار وأهل المدينة (أولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده) أى أولئك الذين قصصناهم من النبيين هداهم الله بالاخلاق الحسنى فباخلاقهم
الشريرة اقتده واستدل بهذه الآية بعض العلماء على أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع
الانبياء وذلك لان جميع الصفات الحميدة كانت متفرقة فيهم فأمر الله تعالى رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه

وسلم أن يقتدى بهم بأمرهم في جميع صفات الكمال التي كانت متفرقة فيهم فيلزم أنه صلى الله عليه وسلم حصلها ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال أنه صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بكلية ثم فكان نوح صاحب تحمل الأذى من قومه وكان إبراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله تعالى وكان اسحق ويعقوب صاحبي صبر على البلاء والمحن وكان داود وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة وكان أيوب صاحب صبر على البلاء وكان يوسف جامع بين الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (لأنهم أسألكم عليه) أي القرآن (أجرا) من جهنكم (إن هو إلا ذكرى للعالمين) أي ما القرآن إلا عظة للجن والإنس من جهته تعالى (وما قدرنا الله حق قدره) أي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم - ثم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك (إذا قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) روى أن مالك بن الصيف وهو من أئمة اليهود ورؤسائهم - جاء في مكة بخاتم النبي صلى الله عليه وسلم وكان رجلا مهيئا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين فقال نعم وكان يجب إخفاء ذلك لكن أقر لا قسم النبي عليه فقال له النبي أنت جبرئيل وقد هنت من الأشياء التي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب مالك بن الصيف ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه إلا ين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فلما سمع قومه تلك المقالة قالوا ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبني محمد فقلت له فقالوا وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فعزلوه من الحبرية وعن رياستهم لاجل هذا الكلام وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف (قل) لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) أي حال كون الكتاب ظاهرا جليا في نفسه وهاديا للناس من الضلالة (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) أي تضعون الكتاب في ورقات مفرقة فجعلوه أجزاء نحونيف وثمانين جزءا وفعلوا ذلك ليتمكنوا من إخفاء من أرادوا إخفاءه فيجعلون ما يريدون إخفاءه على حدة ليتمكنوا من إخفاءه قرأ ابن كثير وأبو عمرو وبياء الغيبة في الأفعال الثلاثة والباقيون بتساء الخطاب (وعلمتم) أيها اليهود من الأحكام وغيرها (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من قبل نزول التوراة وقيل المراد من قوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم أن التوراة كانت مشتملة على البشارة بمحمد واليهود قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم كانوا يقرؤون تلك الآيات وما كانوا يفهمون معانيها لم يبعث الله محمدا فظهر أن المراد من تلك الآيات هو مبعثه صلى الله عليه وسلم (قل الله) أي قل يا أكرم الرسل المنزل لهذا الكتاب هو الله تعالى (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) أي ثم أتركهم في باطلهم الذي يخوضون فيه يسخرون فأنك إذا أقت الحجة لم يبق عليك من أمرهم شيء البتة (وهذا كتاب أنزلناه) أي وهذا القرآن كتاب أنزلناه بالوحي على لسان جبريل (مبارك) أي كثير خيره دائم منفعة يبشر بالمغفرة ويرزق عن العصية (مصدق الذي بين يديه) أي موافق للكتب التي قبله في التوحيد وتنزيه الله والدلالة على البشارة والندارة (ولنتذرا أم القرى) قرأ شعبة لينذر على الغيبة أي لينذر الكتاب والباقيون ولنتذرا بالخطاب أي ولنتذرا يا أكرم الرسل أهل مكة مهيت أم القرى لأنها قبلة أهل الدنيا ولا نهام موضع الحج وهي من أصول عبادات أهل الدنيا فيجتمع الخلق إليها كما يجتمع الأولاد إلى الأم فلما اجتمع أهل الدنيا فيها بسبب الحج فيلزم أن يحصل فيها نواع التجارات

وهي من أصول المعيشة فلهذا السبب سميت مكة أم القرى (ومن حولها) أي من أهل جسيم بلاد العالم
(والذين يؤمنون بالآخرة) أي بالوعد والوعيد والثواب والعقاب (يؤمنون به) أي بالكتاب (وهم
على صلاتهم يحافظون) فإن الإيمان بالآخرة يحمل على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على
المحافظة على الصلاة وتخصيصها بالذكرك لأنها أشرف العبادات بعد الإيمان بالله فلم يقع اسم الإيمان على
شيء من العبادات الظاهرة إلا على الصلاة قال تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم ولم يقع
اسم الكفر على شيء من المعاصي إلا على ترك الصلاة قال صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد
كفر (ومن أظلم من افترى على الله كذبا) نزل هذا في مسيلة الكذاب صاحب اليمامة وفي الأسود
العنسي صاحب صنعاء فانهما كانا يدعيان النبوة والرسالة من عند الله تعالى على سبيل الكذب (أو قال
أوحى إلى ولم يوح إليه شيء) روى أن عبدا لله بن سعد بن أبي مروح كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم ينزل قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما بلغ قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر عجب عبدا لله من تفصيل خلق الإنسان فقال فتبارك الله أحسن
الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت الآية اكتمها كذلك فشكل عبدا لله وقال إن كان محمد
صادقا فقد أوحى إلى مثل ما أوحى إليه فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك إلى الإسلام
فأسلم قبل فتح مكة حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الظهران (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله)
كما ادعى النضر بن الحرث معارضة القرآن فانه قال في شأن القرآن انه من أساطير الأولين وكل أحد
يمكنه الاتيان بمثله وقال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى
على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم (ولو ترى اذ الظالمون في
غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون
على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) أي ولو ترى يا أشرف الخلق الظالمين وقت كونهم
في شدائد الموت في الدنيا والملائكة باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من
هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآلام هذا الوقت تجزون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد بسبب
الافتراء على الله والتكبر على آيات الله لرأيت أمرا عظيما أو المعنى ولو ترى الظالمين اذا صاروا إلى أنواع
الشدائد والتعذيبات في الآخرة فادخلوا جهنم والملائكة باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب بمكنتين لهم
قائلين أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد هذا الوقت تجزون العذاب المشتمل لأهانة بسبب
كونكم قائلين قولا غير الحق وكونكم مستكبرين عن الإيمان بآيات الله لرأيت أمرا عظيما (ولقد
جئتمونا) للحساب (فرادى) عن الأهل والمال والجاء (كما خلقناكم أو مرة) أي مشبهين
ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلابهم ما أي ليس معهم شيء (وتركتم) بغير اختياركم (ما حولناكم) أي
أعطيناكم من الأموال (وراء ظهوركم) في الدنيا ما اذا صرف الأموال إلى الجهات الموجبة لتعظيم
أمر الله وللشفقة على خلق الله فصار كهاوراء ظهره بل قدمها تلقاء وجهه (وما ترى معكم شفعاكم
الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي وما ترى معكم أصنامكم التي زعمتم أنها شركاء لله في استحقاق عبادتكم
(لقد تقطع بينكم) قرأنا فحرف عن عاصم والكسافي بالنصب أي لقد تقطع الشركة بينكم
والباقون بالرفع أي لقد تقطع وصلكم فالبين اسم يستعمل للوصل والفراق فهو مشترك بينهما كالجنون
للأسود والابيض (وضل) أي ضاع (عنكم ما كنتم تزعمون) ان الأصنام شفعاؤكم (ان الله

فألق الحب) أى شاق جميع المحبوب من الخنطة وغيرها (والنوى) وهى التى فى داخل الثمار أى
 فاذا وقعت الحببة أو النواة فى الأرض الرطبة ثم مر عليها مدة أظهر الله تعالى فى تلك الحببة أو النواة من
 أعلاها شاة أو من أسفلها شاة آخر فيخرج من الحببة ورق أخضر ومن النواة شجرة صاعدة فى الهواء
 ويخرج منها عروق هابطة فى الأرض (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى يخرج من
 النطفة بشر أحياء ومن البيضضة فرو وناحية ومن الحب اليابس نباتا غضا ومن الكافر مؤمنا ومن العاصى
 مطيعا وبالعكس (ذلكم الله فأنى تؤفكون) أى ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيى المميت
 فمن أين تكذبون فى إثبات القول بعبادة الأصنام وقيل المراد الانكار على تكذيبهم بالحشر والنشر
 فالمعنى انكم لما شاهدتم أنه تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ثم شاهدتم أنه تعالى
 أخرج البدن الحى من النطفة الميتة مرة واحدة فكيف تستبعدون أن يخرج البدن الحى من ميت
 التراب الرميم مرة أخرى (فألق الاصباح) أى فألق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وذلك لأن
 الافق من الجانب الغربى والشمالى والجنوبى علوه من الظلمة وانما ظهر النور فى الجانب الشرقى
 فكان الافق كأنه بحر أعلا من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بأن أجرى جردولا من
 النور فيه (وجعل الليل سكنا) أى يستريح فيه الخلق من التعب الحاصل فى النهار قرأ عاصم وحمة
 والكسائى على صيغة الماضى والباقون على صيغة اسم الفاعل (والشمس والقمر حسبانا) أى
 قدر الله تعالى حركة بقدر معين من السرعة والبطء بحيث تتم الدورة فى سنة وقدر حركة القمر بحيث يتم
 الدورة فى شهر وبهذه المقادير تنتظم مصالح العالم فى الفصول الأربعة وبسببها يحصل ما يحتاج اليه من
 نفع الثمار وحصول الفلوات (ذلك تقدير العزيز العليم) أى حصول هذه الأحوال لا يمكن الا بقدرته
 كاملة متعلقة بجميع الممكنات وبعلم نافذ فى جميع المعلومات من السكيات والجزئيات فليس حصول
 حركات اجرام الافلاك بصفات المخصوصة بالطبع وانما هو بتخصيص الفاعل المختار (وهو الذى جعل
 لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى وهو الذى خلق لكم النجوم لاعتدائكم بها فى
 مشتهات الطرق اذا سافرتم فى بر أو بحر ولا استدلالكم بها على معرفة القبلة وعلى معرفة أوقات الصلاة
 (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) أى قد بينا العلامات الدالة على قدرتنا وحدانيتنا لقوم يتأملون
 فيستدلون بالمحسوس على العقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب أى فان هذه النجوم كما يستدل بها على
 الطرقات فى ظلمات البر والبحر فكذلك يستدل بها على معرفة الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه (وهو
 الذى أنشأكم من نفس واحدة) أى الذى خلقكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام (فستقر
 ومستودع) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فستقر بكسر القاف والباقون يفتحها وأما مستودع فهو بفتح
 الدال لا غير فالمعنى على الأول فأنكم مستقروا ومنكم شئ مودع فى الصلب وهو النطفة وعلى الثانى
 فأنكم مكان استقرار وهو الرحم ومكان استيداع وهو نفس الاصلاب والفرق بين المستقر والمستودع
 ان المستقر ما لم يكن على قرب الزوال والمستودع ما كان على قرب الزوال فان النطفة تبقى فى صلب الاب
 زمانا قصيرا والجنين يبقى فى رحم الام زمانا طويلا ولما كان المكث فى بطن الام أكثر من المكث فى صلب
 الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وقيل ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم
 الام لان النطفة حصلت فى صلب الاب قبل حصولها فى رحم الام لحصول النطفة فى الرحم من فعل الرجل
 مشبه بالوديعة وحصولها فى الصلب لا من جهة الغير وقال أبو مسلم الاصبهانى أن تقدير الآية هو الذى

أنشأكم من نفس واحدة فمنكم ذكر ومنكم أنثى وانما عبر عن الذكر بالمستقر لان النطفة انما تنشأ في
صلبه وتستقر فيه وانما عبر عن الانثى بالمستودع لان رحمها شبيه بالمستودع لتلك النطفة (قد فصلنا
الآيات) أي قدينا العلامات الدالة على قدرتنا من تفاصيل خلق البشر (لقوم يفقهون) أي يدقون
النظر فان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف صنعة وان الاستدلال
بالانس أدق من الاستدلال بالنجوم في الآفاق لظهورها (وهو الذي أنزل من السماء ماء) أي وهو
الله الذي خلق هذه الاجسام في السماء ثم ينزلها الى السحاب ثم من السحاب الى الارض (فأخرجنا
به) أي بسبب الماء (نبات كل شيء) من الاشياء التي تنمو من أنواع النجم والشجر (فأخرجنا
منه) أي النباتات (خضرا) أي زرها والمراد من هذا الخضرا العود الاخضر الذي يخرج أولا في القمم
والشعر والاذرة والارز ويكون السنبل في أعلاه (فخرج منه) أي من ذلك الخضرا (حبام تراكبا)
بعضه على بعض في سنبلة واحدة (ومن النخل من طلعها) أي كبرانها قبل أن ينشق عن الاغريض
(قنوان) أي عراجين تملت من الطلع (دانية) أي قريبة من القاطف يناله القاثم والقاهد (وجنات
من أعناب) قرأها صم بالرفع وهي قراءة على أي ومن الكرم جنات من أعناب والباقون بالنصب والتقدير
وأخرجنا بالماء بساكنين من أعناب (والزيتون والرمان) أي شجرهما والاحسن أن ينتصباعلى
الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) أي ان هذه الفواكه قد تكون
متشابهة في اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة في الطعم والذوق وقد تكون مختلفة في اللون والشكل مع
أنها تكون متشابهة في الطعم والذوق وأيضا بعض حبات العنقود من العنب متشابهة وبعضها غير متشابه
فانك اذا أخذت العنقود ترى جميع حباته نضيجة حلوة طيبة الاحبات مخصوصة منها بقيت على أول
حالتها من الخضرة والحوضة والعفوسة (انظروا) أيها المخاطبون نظرا اعتبارا (الى ثمره) أي ثمر كل
واحد مما ذكر قرأ حمزة والكسائي بضم التاء والميم وقرأ أبو عمرو وبضم التاء وسكون الميم والباقون بفتح
التاء والميم (اذا أثمر) أي اذا خرج ثمره فتجدوه ضيلا لا يكاد ينتفع به (وينعه) أي وانظروا الى
حال نضجه وكما له فتجدوه قد صار قويا جامعا لنافع جمته (ان في ذلكم) أي في اختلاف الالوان وهو
ما أمر بالنظر اليه (آيات) أي عظيمة دالة على وجود القادر الحكيم ووجدته (لقوم يؤمنون) أي
لمن سبق في حقه قضاء الله بالايمان فأما من سبق له قضاء الله بالكفر لم ينتفع بهذه الدلالة البتة أصلا
(وجعلوا لله شركاء الجن) أي قال المجوس ان الله تعالى وابليس اخوان شريكان فانه تعالى خالق
الناس والدواب والانعام وابليس خالق السباع والحيات والعقارب وقالوا كل ما في هذا العالم من
الخيرات فهو من يرزقهم من الشرور فهو من أهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا (وخلقهم)
أي وقد علموا ان الله خلقهم فان أكثر المجوس معترفون بأن ابليس ليس بقديم بل هو حادث وانما كان
ابليس أصلا لجمع الشرور والآفات والمفاسد والقبائح وقد سلموا أن اله العالم هو الخالق لما هو أصل
الشرور والقبائح والمفاسد ثم ان في المجوس من يقول أنه تعالى تفكر في عمارة نفسه واستعظمها فعمل
نوع من العجب فنشأ الشيطان عن ذلك العجب ومنهم من يقول شك في قدرة نفسه فنشأ من شك الشيطان
فهو لا معترفون بأن أهرمن محدث وان محدثه هو الله تعالى فقوله تعالى وخلقهم اشارة الى هذا المعنى
والضمير عائد الى الجن (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قرأ نافع خرقوا بتشديد الراء والجمهور بتخفيفها
وقرأ ابن عباس بالحاء المهملة والفاء وتخفيف الراء وابن عمر كذلك الا أنه شدد الراء أي كذبوا في الله حيث

وصفوا له تعالى بثبوت البنين والبنات مصاحبين لجهل حقيقة ما وصفوه فالذين أثبتوا البنين النصارى وقوم من اليهود حيث قال النصارى المسيح ابن الله واليهود عزير بن الله والذين أثبتوا البنات العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله فلو عرفوا أن الإله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته لا تمتنعوا أن يشبثوا له تعالى البنين والبنات فإن الولد دال على كونه منفصلا من جزء من أجزاء الوالد وذلك انما يكون في مركب يمكن انفصال بعض أجزائه وذلك في حق الفرد الواجب لذاته محال فمن عرف حقيقة الإله استحال أن يقول له تعالى ولد (سبحانه) نزه الله ذاته بنفسه محالا يليق به (وتعالى) أى تقديس (عما يصفون) بأن له تعالى شريكا وولدا فالتمسيع يرجع إلى قول المسيح والتعالى يرجع إلى صفته الذاتية التي حصلت له تعالى سواء سمحه تعالى مسيح أم لا (بديع السموات والأرض) والمعنى أن الله تعالى أخرج عيسى إلى ان وجود من غير سبق الابد والنطفة كما أنه تعالى خلق السموات والأرض من غير سبق مادة ومدة فلو لم من مجرد كونه تعالى مبدعا لأحداث عيسى كونه تعالى والد له عليه السلام لزم من كونه تعالى مبدعا للسموات والأرض كونه تعالى والد الله - ما وذلك باطل بالاتفاق فثبت أن مجرد كونه تعالى مبدعا لعيسى لا يقتضى كونه والد له (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له تعالى ولد والحال ليس له زوجة أى لأن الولد لا يصح إلا بمن كانت له زوجة وشهوة وينفصل عنه جزء ويحتبس ذلك الجزء في باطن تلك الزوجة وهذه الأحوال انما تثبت في حق الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والشهوة واللذة وكل ذلك محال على خالق العالم (وخلق كل شيء) أى من أين يكون له ولد والحال أنه تعالى خلق جميع الاشياء فان تحصيل الولد بطريق الولادة انما يصح في حق من لا يقدر على التكوين دفعة واحدة فمن كان قادرا على تكوين كل المحدثات فاذا أراد أحداث شيء قال له كن فيكون ومن كان صفته هكذا امتنع منه أحداث شخص بطريق الولادة (وهو بكل شيء عليم) أى فان علم الله ان في تحصيل الولد نفع له تعالى وكما لا وجب حصول الولد قبل ذلك وهذا يوجب كون ذلك الولد أزليا وهو محال وان علم انه ليس له تعالى في تحصيل الولد ازدياد مرتبة في الالهية ولا كمال حال فيها رجب ان لا يجد نه البتة في وقت من الأوقات وأيضا الولد المعتاد انما يحدث بقضاء الشهوة وهو يوجب اللذة وهي مطلوبة لذاتها فوجب ان يعلم الله ان تحصيل تلك اللذة يدعو إلى تحصيلها قبل ذلك الوقت فوجب ان يحصل تلك اللذة في الازل فلم يزل كون الولد أزليا وذلك محال فثبت عدم صحة الولد عليه تعالى (ذالكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه) واسم الإشارة راجع إلى الإله الموصوف بما تقدم من الصفات واسم الجلالة خبر أول ربكم خبر ثان لا اله الا هو خبر ثالث خالق كل شيء خبر رابع والغناء في قوله فاعبدوه لمجرد السببية من غير عطف أى ثبت ان اله العالم فرد صمد منزوع عن الشريك والنظير والضد والاولاد وذلك الجامع لهذه الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة مالك أمركم لا شريك له في ذلك خالق ما كان وما يكون فاعبدوه ولا تعبدوا أحدا غيره وللعلماء في اثبات التوحيد طرق كثيرة ومن جملة هذه الطريقة وتقريرها من وجوه الاقول ان يقال البصانع الواحد كاف في كونه الها للعالم ومديره زما زاد على الواحد فالقول فيه متكافئ لانه لم يدل الدليل على ثبوته لانه يلزم اما اثبات آلهة لانهاية لها وهو محال أو اثبات عدم معين مع انه ليس ذلك العدد أولى من سائر الأعداد وهو محال أيضا وإذا كان القسمان باطلين لم يبق الا القول بالتوحيد والثاني ان يقال ان الإله القادر على كل الممكنات العالم بكل المعلومات كاف في تدبير العالم فلو قدرنا الها ثانيا فاما ان يكون فاعلا أو لا فان كان

فاعلا صار ما نعاللا^١ خرج عن تحصيل مقدوره وذلك يوجب كون كل واحد منهما سببا للآخر وهو محال
وان لم يكن فاعلا كان ناقصا معطلا وذلك لا يصلح للالهية والثالث ان يقال ان الاله الواحد لا بد وان
يكون كاملا في صفات الالهية فلو فرضنا الها ثانيا فاما ان يكون مشاركا للاول في جميع صفات الكمال
اولا فان كان مشاركا في ذلك فاما ان يكون متميزا عن الاول اولا فان لم يكن متميزا عنه بأمر من الامور لم
يحصل الاثنينية وان امتاز بصفات الكمال لم يكن جميع صفات مشتركا فيه بينهما وان امتاز بغير صفات
الكمال فذلك نقصان فثبت بهذه الوجوه الثلاثة ان الاله الواحد كاف في تدبير العالم وابعاده وان الزائد
بحب نفيه (وهو على كل شيء وكيل) أي حافظ فيجب ان يعلم كل مكلف انه لا حافظ الا الله ولا مصلح
للمهمات الا الله فحيثما ينقطع طمع عن كل ما سواه ولا يرجع في مهم من المهمات الا اليه ويقال أي
كفيل بأرزاق خلقه (لا تدركه الابصار) أي لانزاه الابصار في الدنيا هو تعالى يراه المؤمنون في الآخرة
لقوله صلى الله عليه وسلم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فالتشبيه واقع
في تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح لا في تشبيه المرتى بالمرتى واتفق الجمهور انه صلى الله عليه وسلم
قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هي الجنة والزيادة النظر الى وجه الله وروى
ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى الله تعالى ليلة المعراج أولا ولم يكفر بعضهم
بعضا بهذا السبب وما نسبته الى الضلالة وهذا يدل على انهم كانوا مجمعين على انه لا امتناع عقلا في رؤية الله
تعالى وقيل المعنى لا تحيط به تعالى الابصار في الدنيا ولا في الآخرة لعدم انحصاره (وهو يدرك الابصار)
أي والله تعالى مدرك للحقيقة الابصار (وهو اللطيف) فيلطف عن أن تدركه الابصار (الحبير) أي
العالم بكل لطيف فلا يلطف شيء عن ادراكه وقيل انه تعالى لطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة
ويأمرهم بالتوبة عند المعصية ولا يقطع عنهم كثرة رحمته سواء كانوا طبيعين أو عصاة وقيل انه تعالى
لطيف بهم حيث لا يأمرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم بما هو فوق استحقاقهم (قد جاءكم بصائر من ربكم)
أي جاءكم آيات القرآن كاثنتي من ربكم وسميت تلك الآيات بصائرا لانها أسباب لحصول الانوار للقلوب
قوله تعالى قد جاءكم الآية استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (فمن أبصر فلنفسه) أي
فمن اهتدى بآيات القرآن تأمن فنفع اهتدائه لنفسه (ومن عمى فعليها) أي ومن ضل عنها بأن كفر بها
فضره ضلالته وكفره على نفسه (وما أنا عليكم بحفيظ) أي لا أعمالكم وانما أنا منذر والله تعالى هو الذي
يحفظ أعمالكم ويمجازيكم عليها (وكذلك نصرف الآيات) أي مثل ذلك الاتيان البديع تأتي بالآيات
متواترة حالا بعد حال لتلزمهم الحجة (وليقولوا درست) قرأه ابن كثير وأبو عمر بالالف وفتح التاء أي ليقول
بعضهم أي ذا كرت يا محمد أهل الاخبار الماضية فيزداد كفرا على كفرو تثبتت البعضهم فيزداد ايمانا على
ايمان وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظهر آيات القرآن فجماجمما والكفار كانوا يقولون ان محمدا
يضم هذه الآيات بعضها الى بعض يتفكر فيها ويصلحها آية فآية ثم يظهرها ولو كان هذا بوحى نازل اليه من
السماء فلم يأت بهذا القرآن دفعة واحدة كما كان موسى عليه السلام أتى بالتوراة دفعة واحدة أي فان
تكرير هذه الآيات حالا بعد حال هي التي أوقعت الشك للقوم في ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما يأتي بهذا
القرآن على سبيل المدارسة مع التفكير والمذاكرة مع أقوام آخرين وقرأ ابن عامر درست بفتح السين
وسكون التاء أي هذه الاخبار التي تلوتها علينا قد انعمت وتكررت على الاسماع كقولهم أساطير
الاولين وقرأ الباقر درست بدون الالف وسكون السين وفتح التاء أي حفظت وأتقنت بالدرس أخبار

الاولين كقولهم أساطير الاولين اكتبها فهي على عليه بكرة وأصـيلا (ولئبينه) أي الآيات (لقوم يعلمون) وهم أولياء الله الذين هداهم الى سبيل الرشاد (اتبع ما أوحى اليك من ربك) أي ألزم العمل بما أنزل اليك من ربك ولا يصرف ذلك القول سبيلا فتورك في تبليغ الرسالة والدعوة (لا اله الا هو) يجب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه (وأعرض عن المشركين) أي اترك في الحال مقابلتهم فيما يأتونه من سفه واعدل الى الطريق الذي يكون أقرب الى القبول وأبعد عن التغليظ والتنفير (ولو شاء الله) عدم اشراكهم (ما أشركوا) أي لا تلتفت يا أشرف الخلق الى سفاهات هؤلاء الكفار الذين قالوا لك انما جمعت هذا القرآن من مذاكرة الناس ولا يثقلن عليك كفرهم فانالوا ردنا ازالة الكفر عنهم لقد رنا ولسكنا تركناهم مع كفرهم فلا ينبغي ان تشغل قلبك بكلماتهم (وما جعلناك عليهم حفيظا) أي رقيباً من جهنم تحفظ أعمالهم عليهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي وما أنت يا أكرم الرسل حافظ عليهم من جهنم فتدبر مصالحهم وتقوم بأمورهم وتكفل أرزاقهم (ولا تسبوا الذين يدهون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) أي ولا تسبوا أيها المؤمنون من يعبدون الاصنام من حيث عبادتهم لا لهم كأن تقولوا اتبنا لكم ولم تعبدون الاصنام مثلاً فيسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزا عن الحق الى الباطل بجهالة منهم بما يجب عليهم فان الهابة متى شتموهم كانوا يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله تعالى أجرى شتم الرسول مجرى شتم الله تعالى لان الكفار كانوا مقرين بالله تعالى وكانوا يقولون انما حسنت عبادة الاصنام لتصير شفعا لهم عند الله تعالى أو المعنى ولا تسبوا الاصنام الذين كان المشركون يعبدونهم فيسبوا الله للظلم بغير علم لانهم جهلة بالله تعالى لان بعضهم كان قائلين بالدهر ونفى الصانع قال قتادة كان المؤمنون يسبون أو ثمان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل اه وانما هو اعن سب الاصنام وان كان مباحا لما ينشأ عن ذلك من المفساد وهو سب الله وسب رسوله فظاهر الآية كان نهيا عن سب الاصنام وحقيقتها النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وفي ذلك دلالة على ان الطاعة اذا أدت الى معصية رابحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر (كذلك) أي مثل تزيين عبادة الاصنام للمشركين (زيينا لكل أمة) أي لاهل الكفرة (عملهم) أي شرهم وفسادهم باحداث ما يحملهم عليه فان المعاصي هم قاتلة تدبر زنت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات فانها مع كونها أحسن الاحسن قد ظهرت عندهم بصورة مكرهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمسكاره وحفت النار بالشهوات وفي هذه الآية دلالة على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله تعالى خلق الكفرة وتزيينه (ثم الى ربهم مرجعهم) بالبعث بعد الموت (فينبئهم بما كانوا يعملون) في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزيينة لهم فأعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزيينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورة رتتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان أعمالهم ما ذافعبر عن اظهارها بصورة الحقيقية بالاخبار بها اما ان كلامهم ما سبب للعلم بحقيقتها كما هي (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي أقسم كفار مكة بالله غاية ايمانهم (ان جاءتهم آية) أي مجهزة كما طلبوا (ليؤمنن بها) أي قالوا لسيدنا رسول الله ان هذا القرآن كيفما كان أمراً فليس من جنس المجهزات البتة ولوانك يا محمد جئتنا بمجزة قاهرة لا منابك وحلفوا على ذلك وقال محمد بن كعب القرظي قالت قریش يا محمد انك تخبرنا ان موسى ضرب الحجر بالعصا فانفجر الماء وان عيسى أحيى الميت وان صالحا أخرج الناقة من الجبل فأتنا بآية لنصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي تحبون

فقالوا ان تجعل لنا الصفا ذهابا وحلفوا ان فعل ليتبعونه أجمعون فقام صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه
جبريل فقال ان شئت كان ذلك واثن كان فلم يصدقواك ليعذبنيهم الله وان تركتهم تاب الله على بعضهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب على بعضهم فانزل الله تعالى هذه الآية (قل اغيا آيات عند الله)
أي انه تعالى هو المختص بالقدرة على أمثال هذه الآيات دون غيره (وما يشعركم) أي أي شيء يعلمكم
أيها المؤمنون بأيمانهم أي لا تعلمون ذلك (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو أنها بكسر
الهمزة على الاستثنا والباءقون بالفتح فهي بمعنى لعل ويقوى هذا الوجه قراءة أبي لعلها إذا جاءتهم
لا يؤمنون (ونقلب أقدتكم وأبصارهم) أي وما يشعركم أنا قلب أقدتكم عن ادراك الحق فلا
يفهمونه ونقلب أبصارهم عن اجتلاء الحق فلا يبصرونه (كالم يؤمنوا به) أي بما جاءه صلى الله عليه وسلم
من الآيات (أول مرة) أي فلا يؤمنون عند نزول مقترحهم لو نزل كالم يؤمنوا عند نزول الآيات
السابقة على اقتراحهم كأنشقاق القمر (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) أي نتركهم في ضلالهم متحيرين
لأنهم يسم هداية المؤمنين (ولو أنزلنا إليهم الملائكة) كما طلبوا فشهدوا على ما أنكروا (وكلمهم
الموت) من القبور كما طلبوا بأن محمد رسول الله والقرآن كلام الله (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا)
قرأ طاصم وحزمة والكسائي بضمه أي وجمعنا على المستهزئين زيادة على ما اقترحوه كل شيء من أصناف
المخلوقات كالسباع والطيور كفلا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى وحشرنا عليهم كل شيء نوعا
نوعا من سائر المخلوقات وقسرا نافع وابن عامر قبل بكسر القاف وفتح الباء أي حال كون الكفار معانين
للأصناف (ما كانوا يؤمنوا) بمحمد والقرآن (الا ان يشاء الله) إيمانهم أي ولو أظهر الله جميع
تلك الأشياء البهيمية الغريبة لهم إلا الكفار فأنهم لا يؤمنون في حال من الأحوال الداعية الى الايمان
الا في حال مشيئة تعالى لا إيمانهم (ولكن أكثرهم يجهلون) أي ان الكفار لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا ولكن
أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئة تعالى لا إيمانهم فيؤمنون
بجميعها طمعا فيما لا يكون قال ابن عباس المستهزئون بالقرآن كانوا خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي
والعاصي بن وائل السهمي والاسود بن عبد قيس الزهري والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة ثم انهم
أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم في رهط من أهل مكة وقاراه أرناء الملائكة يشهدوا بأول رسول الله
أو ابعد لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقوله أم باطل أو اثنتا بالله والملائكة قبلا أي كغيا على صحة
ما يدعيه فنزلت هذه الآية (وكذلك) أي كما جعلنا المستهزئين عدوا لك (جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن) أي جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا مردة من الانس والجن فشياطين الانس أشد عدوا من
شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح استعان على اغوائه بشيطان الانس
ليفتنه وازافة شياطين بمعنى من البيانية وهي بدل من عدوا وهو مفعول أول قدم على الثاني مسارعة الى
بيان العداوة (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) أي يلقي شياطين الجن الى شياطين الانس
تزوين القول بالباطل لكي يغروا به الانس (ولو شاء ربك) عدم تزوين القول لاجل الغرور (ما فعلوه)
أي تزوين القول المتعلق بأمرك خاصة (فذرهم وما يفترون) أي اترك الكفرة المستهزئين واقتراحهم
بأنواع المكاييد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة (ولتصفي اليه أقدمة الذين لا يؤمنون
بالآخرة) أي ولكي تميل الى هذا الزخرف قلوب الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (وليرضوه) أي هذا
الزخرف لانفسهم (وليقتروا ما هم مقترفون) أي وليكتسبوا بسبب ارتضاؤهم له ما هم مكتسبون من

الآثم فيعاقبوا عليها (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) أي قل لهم أأميل إلى
 زخارف الشياطين فأطلب حكما غير الله يحكم بيننا والحق أن الله تعالى هو الذي أنزل اليكم القرآن وأنتم أمة
 أمية لا تدرون ما تأتون وما تذررون مبينا فيه الحق والباطل فلم يبق في أمور الدين شيء من الإيهام فأى
 حاجة بعد ذلك إلى الحكم وهو الحاكم عند أهل اللغة واحد لكن بعض أهل التأويل قال الحكم أكل
 من الحاكم لأن الحكم لا يحكم إلا بالحق والحاكم قبيد يجور ولأن الحكم من تكرر منه الحكم والحاكم
 يصدق بمرّة (والذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والإنجيل والذبور (يعلمون أنه) أي القرآن
 (منزل من ربك) ملتبسا (بالحق) قرأ ابن عامر وحفص منزل بتشديد الزاي والباقون بسكون النون
 (فلا تكون من المتمرين) أي من الشاكين في أن علماء أهل الكتاب يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه
 منزل من عند الله (وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا) أي كفى القرآن من جهة صدقه في أخباره ومن جهة
 عدله في أحكامه وكفى في بيان ما يحتاج المكفون إليه إلى قيام القيامة علماء ومعلماء في كونهم مهيّزة دالة
 على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قرأ طاصم وحزمة والكسائي كلمة على التوحيد دون ألف والباقون بألف
 على الجمع وترسم بالتاء المجرورة على كل من قراءة الجمع وقراءة الأفراد وكذا كل موضع اختلف فيه
 القراء جمعوا وأفرادا (لا تبدل كلماته) أي لا أحد يبدل شأن القرآن بما هو أصدق وأعدل ولا بما
 هو مثله (وهو السميع العليم) بالمقال والأعمال (وان تطع أكثر من في الأرض) أي وإن تطع يا أشرف
 الخلق كفارا للناس فيما يعتقده من أحقاق الباطل وإبطال الحق (يضلوك عن سبيل الله) أي عن
 الطريق الموصل إلى الله (ان يتبعون إلا الظن) أي ما يتبعون في إثبات مذهبهم الأرجوههم إلى تقليد
 أسلافهم وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم مقتدون (وان هم إلا يخرسون) أي
 يكذبون فاررؤساء أهل مكة منهم أبو الاحوص مالك بن عوف الجشمي وبديل بن ورقاء الخزاعي وجليس
 ابن ورقاء الخزاعي قالوا للمؤمنين ان ما ذبح الله خير مما تدبحون أنتم بسكا كمينكم وروى أن المشركين
 قالوا للنبي أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أنت ترعهم أن ما قتلت أنت وأصحابك
 حلال وما قتلها السكب والصقر حلال وما قتله الله حرام (ان ذبل هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم
 بالمهتدين) أي فان هؤلاء الكفار كاذبون في ادعاء اليقين والله عالم بكونهم متحيرين في سبيل الضلال
 تأمّن في أودية الجهل أي فانك إذا عرفت ذلك ففوض أمرهم إلى خالقهم لأنه عالم بالمهتدي والضلال
 فيجازي كل واحد بما يليق بعمله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من كل ما طعمتم من قبله) أي وانتم يا أيها
 المتفرعون من النهي عن اتباع المضلين وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم ترعهم انكم تعبدون الله فما
 قتله الله أحق ان تأكلوه مما قتلهتموه أنتم فقال الله للمسلمين ان كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم
 الله عليه وهو المذكي ببسم الله خاصة لا عما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات حتف أنفه
 (ومالكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم) أي وأي سبب حاصل لكم في
 أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وان تأكلوا من غيره والحال انه قد بين لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل
 لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه فهذا وان كان متأخرا في التلاوة فلا يمنع ان يكون هو المراد
 لأن التأخر في هذا قليل وأيضا التأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول أو بقوله تعالى في أول
 سورة المائدة حرمت عليكم الميتة الآية لأن الله تعالى علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في
 الترتيب لا في النزول (الاما اضطررتم اليه) أي الاما دعتكم الضرورة إلى أكله بسبب شدة المجاعة

عاصم عليكم فهو حلال لكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ببناء فصل وحرم للفعول ونافع وحفص
عن عاصم بيناهما للفاعل وحزرة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ببناء الفعل الأول للفاعل وبناء الثاني
للفعل (وإن كثيرا) من الذين ينافرون ونسبوا في أحلال الميتة ويقولون لما حل ما تذبحونه أنتم فبأن
يحل ما يذبحه الله أولى وهم أبو الأحوص وأصحابه أو عن اتخاذ الجاهل والسواثب وهو عمرو بن لحي فبن دونه
من أضرابه فإنه أول من غير دين اسماعيل (ليضلون) قرأ عاصم وحزرة والكسائي بضم الياء والباقيون
بفتحها (بأهوائهم) أي بسبب اتباعهم شهواتهم (بغير علم) أي ملتبسين بغير علم مأخوذ من الشريعة
(إن ربه هو أعلم بالمعتدين) أي الذين تجاوزوا الحق إلى الباطل (وذروا ظاهر الاسم وباطنه) أي
أتركوا الإعلان بالزنا والاستمرار به وأهل الجاهلية يعتقدون حل السرمنه وقال ابن الأنباري أي
وذروا الاسم من جميع جهاته (إن الذين يكسبون الاسم) في الدنيا (سيجزون) في الآخرة (بما
كانوا يفترون) أي يكسبون إن لم يتوبوا وأراد الله عقابهم أما إذا تاب المذنب من الذنب توبة صحيحة لم
يعاقب وإذا لم يتب فهو في مشيئة الله أن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه بفضله (ولأن كل ما لم يذكر اسم الله
عليه) وهو الميتة وما ذبح على ذكر الأصنام (وإنه) أي الأكل عالم يذكر اسم الله بغير ضرورة أو أن
ما ذكر عليه اسم غير الله (لفسق) أي خروج عما يحل وأجمع العلماء على أن أكل ذبيحة المسلم التي
ترك التسمية عليها لا يفسق وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذكر الله مع المسلم سواء قال أولم
يقبل ويحمل هذا الذكر على ذكر القلب (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) أي إن إبليس
وجنوده وسوسوا إلى المشركين أو المعنى إن مرده المجوس من أهل فارس كتبوا إلى مشركي قريش وذلك
لما نزل تحريم الميتة معهم المجوس فكتبوا إلى قريش أن محمد وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم
يزعمون أن ما يذبحونه حلال وما يذبحه الله حرام فوقع في نفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله تعالى
هذه الآية (ليجادلوكم) في أكل الميتة (وإن أطعموهم) في استحلال الميتة (إنكم لمشركون) قال
الرباج وهذا دليل على أن كل من أحل شيئا حرم الله تعالى أو حرم شيئا أحل الله تعالى فهو مشرك
وإنما سمى مشركا لأنه أثبت ما كاسوى الله تعالى وهذا هو الشرك (أو من كان ميتا فأحييناه) أي أو
من كان كافرا فهديناه إلى الإيمان (وجعلنا له نورا) عظيما وهو نور الوحي الإلهي (يعشى به) أي
بسببه (في الناس) أي فيما بين الناس آمننا من جهتهم (كن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي
ظلمات الكفر والظلمة وهي البصيرة (ليس بخارج منها) أي من تلك الظلمات فإذا دام الكافر في
ظلمات الجهل والخلق الذميمة صارت تلك الظلمات كالصفة الذاتية يعسر أزالتها عنه وإنما جعل الكفر
موتاً لأنه جهل والجهل يوجب الخيرة فهو كالموت الذي يوجب السكون والكافر ميتاً لأنه لا يهتدى إلى شيء
كالجاهل (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي مثل تزيين المؤمنين بالإيمان والنور زين من
جهة الله بطريق الخلق ومن جهة الشياطين بطريق الخرقه للكافرين ما استمروا على عمله قال زيد بن
أسلم والضمك نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب وأبي جهل وقال عكرمة نزلت في عمار بن ياسر وأبي
جهل وقال ابن عباس إن أبا جهل رعى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فأخبر بذلك حمزة عند قدومه من صيد
والقوس بيده وهو لم يؤمن يومئذ فعمد إلى أبي جهل وجعل يضرب رأسه بالقوس فقال له أبو جهل وقد
تضرع إليه يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفيه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة أنتم أسفه الناس
تعبدون الخيرة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم حمزة

يومئذ فنزلت هذه الآية (وكذلك) أي وكما جعلنا في مكة صنادة هارث و ساء ليكر وافيها (جعلنا في كل قرية) من سائر القرى (أ كابر مجرميها) وأ كابر مفعول ثان ومجرميها مفعول أول والظرف لغو وهو متعلق بنفس الفعل قبله أي جعلنا في كل بلدة فساقتها عظما (ليكر وافيها) أي ليفعلوا المكروفيها وهذا دليل على أن الخير والشر بإرادة الله وانما جعل المجرمين أ كابر لانهم أقدر على الغدر والمكرو وترويج الباطل على الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لأجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقتهم أ كابرهم وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر يصرفون الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون لسكل من يقدم هو كذاب ساحوكاهن فكان هذا مكرهم (وما يكرون إلا بانفسهم) أي وما يجيئ شرمكهم إلا بهم (وما يشعرون) بذلك أصلا بل يزعمون أنهم يكرون بغيرهم (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) أي وإذا جاءت مشركي العرب الوليد بن المغيرة وعبد ياليل وأبامسعود الثقفي آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتخبرهم بضيعهم قالوا لن نصدقك حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل فيخبرنا أنك رسول الله وأنك صادق قال تعالى رداعليهم (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي الله أعلم من يليق بإرسال جبريل اليه لا من الأمور وهذا اعلام بأنهم لا يستحقون ذلك التشريف وهذا المعنى قول الحسن ومنقول عن ابن عباس وقيل معنى الآية وإذا جاءتهم آية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن برسالته أصلا حتى نؤتي نحن من الوحي والنبوة مثل آيات رسل الله قال تعالى انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها وأنتم لستم أهلا لها ولان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقرأ حفص وابن كثير رسالته على التوحيد والباقون على الجمع ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلايتين وهذا دعاء عظيم يدهي به بينهما وهو اللهم من الذي دعاك فلم تجبه ومن الذي استجارك فلم تجره ومن الذي سألك فلم تعطه ومن الذي استعان بك فلم تعنه ومن الذي توكل عليك فلم تكفه يا غوثنا يا غوثنا يا غوثنا بك أستغيث أغثنى يا غيث واهدني هداية من عندك واقض حوائجنا واشف مرضانا واقض ديوننا واغفر لنا ولا بائنا ولا ما تنابح القرآن العظيم والرسول الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين (سيصيب الذي أجرموا) أي أشركوا وليدأ وأصحابه بقولهم لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله (صغار) أي حقارة (عند الله) أي في الآخرة فلا حاكم فيها ينفذ حكمه سواء (وعذاب شديد بما كانوا يكرون) أي بسبب مكرهم بقولهم ذلك وحسدهم للنبي وتكذيبهم له (فمن يرد الله أن يهديه) أي يرشده لدينه (يشرح صدره) أي قلبه (للاسلام) أي لقبول الاسلام (ومن يرد أن يضله) أي يتركه كافرا (يجعل صدره) أي قلبه (ضيقا) كضيق الزج في الرمح قرأ ابن كثير ساكنة الياء والباقون مشددة الياء مكسورة (حرجا) قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الراء أي شديد الضيق والباقون يفتحونها أي مثل المواضع الكثيرة الاثني عشر المشبهة التي لا طريق فيها فلا يصل اليها راعية ولا وحشية (كأنها يصعد في السماء) أي كأنه يكاف الصعود الى السماء قرأ ابن كثير ساكنة الصاد وقرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الصاد وبالالف والباقون بتشديد الصاد والعين بغير ألف ومعنى الآية فمن يرد الله أن يهديه قويا في قلبه ما يدعو الى الايمان بأن اعتقد ان نفعه زائد وخيره راجع ووجه ظاهره فالطبعه اليه وقويت رغبته في حصوله وحصل في القلب استعداد شديد لتحصيله ومن يرد أن يضله ألقى في قلبه ما يصرفه عن الايمان ويدعوه الى الكفر بأن اعتقد ان شر

الايمان زائد وضرره راجع فعظمت النفر عنه فان الكافر اذا دعى الى الاسلام شق عليه جدا كأنه قد
 كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك أو المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء تكبرا عن قبول
 الاسلام (كذلك) أى مثل جعل الله صدرهم ضيقا (يجعل الله الرجس) أى يسلط الله الشيطان
 (على الذين لا يؤمنون) أى فى قلوبهم (وهذا) أى كون الفعل متوقفا على الداعى الحاصل من الله
 تعالى (صراط ربك) أى لان العلم بذلك يؤدى الى العلم بتوحيد الله (مستقيما) فكل فعل العباد
 بقضاء الله تعالى وقدره (قد فصلنا الآيات) أى قد ذكرنا فافصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها
 بالآخر (لقوم يذكرون) فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان أو شرا بقضاء الله تعالى
 لانه لا يترجح أحد طرفي الممكن على الآخر الا لمرجح وهو الله تعالى (لهم دار السلام) أى للتدكرين
 دار الله المنزهة عن النقائص وهى الجنة (عند ربهم) أى انهم معدة عنده تعالى موصوفة بالشرق أى
 حيث لا يعرف كنهها غيره تعالى (وهو وليهم) أى متكفل لهم بجميع مصالحهم فى الدين والدنيا
 (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم الصالحة (ويوم يحشرهم جميعا) قلنا (يامعشر الجن)
 وقرأ حفص بالياء أى يوم يحشر الله الخلق جميعا يقول يا جماعة الشياطين (قد استكثرتم من الانس)
 أى قد أكثرتم من اغواء الانس (وقال أولياؤهم من الانس) أى وقال الذين أطاعوا الشياطين الذين
 هم الانس (ربنا استمتع بعضنا ببعض) فاستمتع الانس بالشياطين هو أن الشياطين كانوا يدلون
 الانس على أنواع الشهوات واللذات والطيبات ويسهلون تلك الامور عليهم واستمتع الشياطين بالانس
 هو ان الانس كانوا يطيعون الشياطين فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم (وبلغنا أجلنا الذى أجلت
 لنا) أى أدركنا وقت موتنا الذى عينته لنا (قال) تعالى (النار مثواكم) أى منزلكم يا جماعة الجن
 والانس (خالدين فيها) أى فى النار منذ تبعثون (الامام شاء الله) من مدة دار حشرهم من قبورهم
 ومن مقدار محاسبتهم (ان ربك حكيم عليم) أى فيما يصفه من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة
 (وكذلك) أى مثل تمكين الشياطين من اضلال الانس (نولى بعض الظالمين) من الانس (بعضا)
 آخر منهم (بما كانوا يكسبون) أى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم قال على رضى الله عنه
 لا يصلح للناس الا أمر طاهر أو جائر فأنكروا قوله أو جائر فقال نعم يؤمن السبيل ويمكن من إقامة
 الصلوات وحج البيت وروى عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا ولى أمرهم خيارهم
 واذا أراد بقوم شرا ولى أمرهم شرارهم وروى أن أبانذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الامارة فقال له
 انك ضعيف وانها لامانة وهى فى القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحتتها وأدى الذى عليه فيها
 (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) والهمج ان الرسل انما كانت من الانس خاصة وقد قام
 الاجماع على ان النبي صلى الله عليه وسلم مرسل للانس والجن والمراد برسل الجن هم الذين سمعوا القرآن
 من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم منذرين فالمراد بالرسل ما يعمر رسل الرسل فالتعالى انما
 بكى الكفار بهذه الآية لانه تعالى أزال العذر وأزاح العنة بسبب انه تعالى أرسل الرسل الى الكل
 مبشرين ومنذرين فاذا وصلت البشارة والندارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل ما هو المقصود من
 ازالة العذر وازالة العلة (يقصون عليكم آياتي) أى يتلونها عليكم مع التوضيح (وينذرونكم لقاء
 يومكم هذا) أى ويخوفونكم لقاء عذابي فى يومكم هذا وهو يوم الحشر الذى عاينوا فيه ما أعد لهم من
 فاني العتوبات الهائلة (قالوا) عند ذلك التوبيخ الشديد (شهدنا على أنفسنا) ان الرسل أتونا قد

بلغوا الرسالة وأنذرونا عذاب يومنا هذا وانما وقعوا في ذلك الكفر بسبب انهم (غرتهم الحياة الدنيا)
 أي اغتروا من الدنيا بما في الزهرة والنعيم (وشهدوا) في الآخرة (على أنفسهم أنهم كانوا) في الدنيا
 (كافرين) فهم وان بالغوا في عداوة الانبياء والطعن في شرائعهم ومهجراتهم أقروا على أنفسهم
 بالكفر في عاقبة أمرهم (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها فافلون) أي شهداءهم على
 أنفسهم بالكفر ثابت لا تتغيا كون ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه قبل ان ينهوا على بطلانه
 برسول وكتاب أو المعنى ارسال الرسل ثابت لان الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى ملتبسين بظلم وهم
 غافلون عن تبليغ الرسل وعن أمرهم ونهيهم (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل عامل من الجن
 والانس مراتب من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة (ومار ربك بغافل عما يعملون) أي فلا تترك شيئا
 مما يستحق كل عامل من الفريقين من الجزاء فيجزى كل بما يليق به من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر
 وحده تعملون على الخطأ (وربك الغني ذو الرحمة) أي ان تخصيص الله المطيعين بالثواب والمذنبين
 بالعذاب ليس لاجل انه تعالى محتاج الى طاعة المطيعين أو ناقص بعصية المذنبين فانه تعالى غني لذاته عن
 جميع العالمين ومع كونه تعالى غنيا فان رحمته عامة كاملة ومن رحمته تعالى على الخلق ترتيب الثواب على
 الطاعة والعقاب على المعصية ومن رحمته تعالى ارسال الرسل وعدم استئصالهم بالهلاك بذنوبهم في وقت
 واحد (ان يشأ يذهبكم) أيها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي ويوجد من بعد اذهابكم
 خلقا آخر مخالفا للجن والانس فتخصيص الرحمة هؤلاء ليس لاجل انه لا يمكنه اظهار رحمته الا بخلق
 هؤلاء (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أي وينشئ الله انشاء كائنا كانتكم من نسل قوم
 آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم في العصيان أي فكما ان الله تعالى قادر على تصوير هذه الاجسام بهذه
 الصورة الخاصة كذلك قادر على تصويرهم بصورة مخالفة لها (انما وعدون) من محبي الساعة
 (لآت) أي واقع لا بد لانهم كانوا ينكرون القيامة وكل ما تعلق بالوعد من الثواب والعقاب فهو آت
 لا محالة (وما أنتم بمجهزين) أي لستم بخارجين عن قدرتنا وحكمتنا (قل) يا أشرف الخلق لكفار قريش
 (يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على أقصى إمكانكم واستطاعتكم واثبتوا على حالتكم من الكفر
 والعداوة (اني عامل) بما أمرت به من الثبات على حالتكم من الاسلام والمصابرة فسوف تعملون من تكون
 له عاقبة الدار) أي فسوف تعرفون أي أحد الفريقين له العاقبة المحمودة وهي الاس- تراحة واطمئنان
 الخاطر ونحن أم أنتم وذلك حاصلة الجنة وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء (انه) أي الشأن
 (لا يفلح الظالمون) أي لا يفوز الكافرون بطلهم البتة فلا ينجون من عذاب الله تعالى (وجعلوا الله
 معاندا من الحرت والانعام نصيبا فقالوا هذا الله بزمهم وهذا شركائنا لئلا نكفر بالله فلو كان
 ما كان الله فهو يصل الى شركائهم) أي عين كفار مكة الله مما خلقه من الحرت والانعام وكذا من الثمار
 وسائر أموالهم نصيبا يرفعونه الى الضيفان والمساكين ونصيبا من ذلك لألهتهم وينفقونه على سدنتها
 وينجحون ذبائح عندها فقالوا هذا الله بكذبهم في جهة انه تعالى يستحق ذلك من جهتهم لافي وجه التقرب به
 اليه وهذا لألهتنا ثم ان رأوا ما عينوه الله أزكى بدلوهم بما لألهتهم فاعطوا نصيب الله اسدنة الاصنام وان رأوا
 ما لألهتهم أزكى تركوه لها فلم يصرفوه للمساكين بل يصرفون للسدنة وكان اذا أصابهم قط استعانوا بما
 جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لألهتهم ولم يأكلوا منه فاذا هلك ما جعلوه لها أخذوا بدله مما جعلوه
 لله ولا يفعلون كذلك فيما جعلوه لها وان سقط مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني

عن هذا وان سقط مما جعلوا للاوثان في نصيب الله أخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير
 (سواء ما يحكون) أى بنس الذي يحكون حكمهم من انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله ومن انهم
 جعلوا شيئا غير الله تعالى مع ان الله تعالى الخالق للجميع ومن انهم أحدثوا الحكم من قبل أنفسهم ولم
 يشهد بصحته عقل ولا شرع (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة الاموال بين
 الله والآلهة (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بوأدانائهم ونحز كورهم (شركاؤهم) أى
 أولياؤهم من الشياطين ومن السدنة قرأ العامة زين مبنيا للفاعل وقتل نصبا على المفعولية وأولادهم
 خفضا بالاضافة وشركاؤهم رفعاعلى الفاعل أى وهكذا زينهم شياطينهم مثل أولادهم فأمروا بأن يادوا
 بناتهم خشية الفقر والسبي وبأن ينحروا ذكورهم لألهتهم فكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف
 بالله ان ولد له كذا من الذكور لينحرن أحدهم كحلف عبد المطلب لينحرن عبد الله وقرأ ابن عامر وحده
 زين مبنيا للمفعول وقتل رفعاعلى الفاعلية وأولادهم نصبا على المفعولية وشركائهم خفضا على اضافة المصدر
 الى فاعله أى زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم وهذه القراءة متواترة صحيحة فقد قرأ ابن عامر
 على ابي الدرداء واثلة ابن الاسقع وفضالة بن عبيد ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة المخزومي وقرأ أيضا على
 عثمان وولده وفي حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (يردوهم) أى يهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم
 دينهم) أى وليخلصوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام أى ليدخلوا عليهم الشرك في
 دينهم لانهم كانوا على دين اسمعيل فهذا الذى أتاهم بهذه الارضاع الفاسدة أراد أن يزيلهم عن ذلك الدين
 الحق واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة (ولو شاء الله ما فعلوه)
 أى ما فعل كثير من المشركين قتل الأولاد بدفن البنات في حياتهم وبنحرو الأولاد الذكور للاصنام (فذرهم
 وما يفترون) أى فاتركهم وكذبهم في قولهم ان الله يأمرهم بقتل أولادهم فان فيما شاء الله تعالى حكما
 بالغة وذلك دليل على أن كل ما فعله المشركون فهو عبثية الله تعالى (وقالوا) أى المشركون الذين
 قسموا نصيب آلهتهم أقساما ثلاثة (هذه) أى التى جعلناها لآلهة (أنعام وحرث) أى زروع
 (حجر) أى محرمات (لا يطعمها الا من نشاء) أى لا يأكل هذه الانعام والحرث الا خدمة الاوثان
 والرجال دون النساء (برعهم) أى قاؤا ما ذكر ملتبسين بكذبهم ومن غير حجة (و) هذه (أنعام
 حرمت ظهورها) وهى الجائر والسواثب والحوامى والوصائل (و) هذه (أنعام لا يذكر اسم الله
 عليها) اذ اركبت واذا حملت واذا ذبحت ونسبوا ذلك التقسيم الى الله تعالى (افتراء عليه) وهذا ما
 مفعول له وعامله قالوا أحوال من ضميره أو مصدر مؤكده لا قولهم ذلك هو الافتراء (سيجزىهم بما
 كانوا يفترون) أى ان الله سيكافئهم بسبب تقواهم عليه (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة
 لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) أى ما ولد من الجائر والسواثب حيا حلال
 للذكور خاصة ومحرم على جنس أزواجنا وهى الاناث وما ولد منها ميتا كله الرجال والنساء جميعا
 (سيجزىهم وصفهم) أى سيوصل الله لهم جزاء ذنبهم وهو وصفهم بالتكليل والتحريم فالواصف بذلك عمرو
 ابن لحي وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم في جهنم يجرق صبه من دبره وكان يعلمهم تحريم الانعام (انه
 حكيم) فى التكليل والتحريم (عليم) فى وصفهم بذلك (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) بالوأد للبنات
 وبالنحر للذكور (سفيها بغير علم) وهم ربيعة ومضر وأمثالهم من العرب وبنو كنانة لا يفعلون ذلك
 وسبب هذا الخسران لان الولد نعمة عظيمة من الله على العبد فاذا سعى في ابطاله استحق اللام العظيم فى

الدنيا لان الناس يقولون قتل ولده خوفا من أن يأكل طعامه والعقاب العظيم في الآخرة وسببه خفة العقل لان قتل الولد اغما يكون للخوف من الفقر والقتل أعظم ضررا منه والقتل ناجز والفقر موهوم وهذه السفاهة اغما نشأت من الجهل الذي هو أعظم المنكرات وقرأ أبو عمرو وابن عامر بتشديد التاء (وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قدضلوا وما كانوا مهتدين) فان تجريم الحلال من أعظم أنواع الجحاقة لانه يمنع نفسه تلك المنافع ويستحق بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العقاب أو ان الجحاقة على الله أعظم الذنوب وهم قدضلوا عن الرشد في مصالح الدين ومنافع الدنيا ولم يحصوا لهم الاهتداء قط (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) أي وهو الذي خلق بساتين مرفوعات على ما يحملها من العروش والساق وملقيات على وجه الارض ويقال معروشات أي وهو ما غرسه الناس في البساتين وغير معروشات وهو ما أنبتته الله في الجبال والبراري (و) أنشأ (النخل والزرع) أي جميع الحبوب التي يقتات بها (مختلفا أكله) أي مختلفا لما ياكل من كل منه - ما في الهيئة والطعم (والزيتون والمان) أي أنشأ شجرهما (متشابهها وغير متشابه) في اللون أو الطعم (كأوا من ثمره) أي ثمر كل واحد من ذلك (إذا أثمر) ولو قبل النضج وقرأ حمزة والكسائي برفع التاء والميم من ثمره (وآتوا حقه يوم حصاده) وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم بفتح الحاء أي أعزموه على إيتاء الزكاة لكل من الزرع والثمار يوم الحصاد ولا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء واغما يجب اخراج الزكاة بعد التصفية والجفاف والامر بإيتائها يوم الحصاد لئلا يؤخر عن وقت امكان الاداء وليعلم أن وجوبها بالادراك ولو في البعض لا بالتصفية والمعنى وآتوا حق كل وجب يوم الحصاد بعد التصفية وفائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب بنفس الزرع وادراكه واغما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وهذا يقتضي وجوب الزكاة في الشمار كما قاله أبو حنيفة وتقتضي ثبوت حق في القليل والكثير فالعشر واجب في القليل والكثير كما قاله أبو حنيفة (ولا تسرفوا) أي لا تتجاوزوا الحد في الاعطاء والبخل حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وتعطوا كله وروى أن ثابت بن قيس بن شماس عمدا لي خمسمائة نخلة فخذها ثم قسمها في يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيئا فأنزل الله هذه الآية ولا تسرفوا وقد جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بعن تعول (انه لا يجب المسرفين) فكل مكلف لا يحبه الله تعالى فهو من أهل النار (و) أنشأ (من الانعام حمولة) أي ما يحمل الاثقال (وفرشا) أي ما يفرش للذبح أو ما ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش (كلوا مما رزقكم الله) أي كلوا بعض ما رزقكم الله وهو ما أحل الله لكم من الحرث والانعام (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي ولا تسلكوا الطريق الذي يسوقه لكم الشيطان بتحريم الحرث والانعام (انه) أي الشيطان (لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة فقد أخرج آدم من الجنة وقال لا تحتك كن ذريته الا قليلا (ثمانية أزواج) أي أصناف أربعة ذكور من كل من الابل والبقر والغنم وأربعة أناث كذلك وهذا يدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثنين) بدلا من ثمانية أزواج أي أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة (ومن المعز اثنين) أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز (قل) لهم اظهروا الانقطاع عنهم عن الجواب (الذكرين) من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس (حرم) أي الله تعالى كما قرعون أنه هو المحرم (أم الانثيين) وهما النعجة والعنز (أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) أي أم ما حملت عليه أناث النوعين حرم الله تعالى ذكرها كان أو أنثى (نبئوني بعلم) أي اخبروني بعلم ناشئ عن طريق الاخبار من الله بأنه حرم ما ذكر (ان كنتم

صادقين) في دعواكم ان الله حرم بحيرة أو سائبة أو وصيلة أو حاماً (ومن الابل اثنين) أى وانشأ من الابل
 اثنين الجمل والناقة (ومن البقر اثنين) ذكر أو أنثى (قل أذكركم حرم أم الاثنين أم ما اشتملت عليه
 أرحام الاثنين) من ذينك النوعين (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) أى بل كنتم حاضرين
 حين أمركم الله بهذا التحريم والمراد هل شاهدتم الله حرم هذا ان كنتم لا تؤمنون برسول فانكم لا تقرون
 بنبوته أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله تعالى (فن أظلم عن افترى على
 الله كذباً) أى لا أحد أظلم عن تعمد على الله كذباً بنسبة التحريم اليه قال المحققون اذا ثبت ان من افترى
 على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد فن افترى على الله الكذب في مسائل
 التوحيد ومعرفة الذات والصفات والنبوات والملائكة ومباحث المعاد كان وعيده أشد واشق (ليضل
 الناس) عن دين الله (بغير علم) حال من فاعل يضل أى ملتبساً بغير علم بما يؤدي بهم اليه أو حال من
 فاعل افترى أى افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور التحريم عنه تعالى أى فن افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور
 التحريم عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه كان أظلم ظالمات ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه
 لم يصدر عنه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يهدي أولئك المشركين أى لا ينقلهم من ظلمات
 الكفر الى نور الايمان (قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه) أى قل يا أشرف الخلق لهؤلاء
 الجاهلة الذين يحكمون بالحلال والحرام من عند أنفسهم لا أجد في القرآن طعاماً محرماً من المطاعم التي
 حرموها على آكل يأكله من ذكراً أو أنثى (الا ان يكون ميتة) قرأ ابن كثير وحمة تكون بالتأنيث ميتة
 بالنصب على تقدير الا ان تكون المحرم ميتة وقرأ ابن عامر تكون بالتأنيث ميتة بالرفع على معنى الا ان
 توجد ميتة أو الا ان تكون هناك ميتة وقرأ الباقيون يكون بالتذكير ميتة بالنصب أى الا ان يكون ذلك
 المحرم ميتة وعلى قراءة ابن عامر يكون ما بعده ما معطوفاً على أن يكون الواقعة مستثناة أى الاحداث ميتة
 (أو دما مسفوها) أى جارياً كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد (أو لحم خنزير فانه) أى الخنزير
 (رجس) أى نجس فكل نجس يحرم أكله (أو فسقا) أى ذبيحة خارجة عن الحلال (أهل لغير الله به) أى
 ذبح على اسم الاصلنام (فن اضطر) أى فن أصابه الضرورة الداعية الى أكل الميتة (غير باع) في ذلك
 على مضطر مثله (ولا عاد) أى متجاوز قدر الضرورة وهو الذي يسد الرق (فان ربك غفور رحيم) أى
 فلا يؤاخذ به بل بالاكل من ذلك لانه مبالغ في المغفرة والرحمة (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) أى
 وحرمنا على اليهود كل ذي مخالب وبرثن (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) وهو شحم الكرش
 والكلبي (الا ما حملت ظهورهما) أى الا الشحم الذي حملته ظهورهما (أو الحوايا) أى أو الا الشحم الذي
 حملته المباخر (أو ما اختلط بعظم) أى أو الا شحماً مختلطاً بعظم مثل شحم الالية فانه متصل بالعصص
 فتلخص أن الذي حرم عليهم من الشحوم هو شحم الكرش والكلبي وان ما عدا ذلك حلال لهم (ذلك
 جزيناهم ببغيهم) أى ذلك التحريم عاقبتناهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء وأخذهم الربا وكلهم
 أموال الناس بالباطل (وانا الصادقون) في الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم بسبب بغيهم وهم
 كاذبون في قولهم حرم ذلك اسرائيل على نفسه بلا ذنب منافحن مقتدون به (فان كذبوك) أى فان
 كذبك اليهود في الحكم المذكور أو كذبك المشركون في ادعاء النبوة والرسالة وفي تبليغ هذه الاحكام
 (فقل لهم) ربكم ذو رحمة واسعة (فلذلك لا يجعل عليكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه
 امهال لا اهمال (ولا يرد بأسه) أى عقابه اذا جاء وقته (عن القوم المجرمين) الذين كذبوك فيما

تقول وقيل المعنى ذور حمة واسعة للطبعين وذو باس شديد للمجرمين (سيقول الذين أشركوا) عنادا
لا اعتذارا عن ارتكاب هذه القبائح (لو شاء الله) عدم اشراكنا وعدم تحريمنا (ما أشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمنا من شيء) ففعلنا حق مرضى عند الله تعالى ولولا انه قد رضى ما نحن فيه لحال بيننا وبينه
(كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ما كذب هؤلاء فى أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب
كفار الامم الماضية أنبياءهم فكل من كذب نبيا قال الكل بمشيئة الله تعالى فهذا الذى أنافيه من الكفر
انما حصل بمشيئة الله تعالى فلم يعنى منه وفى قراءة بتخفيف كذب أى مثل كذبهم فى قولهم ان ما فعلوه
حق مرضى عند الله تعالى كذب من قبلهم فى ذلك (حتى ذاقوا بأسنا) أى عذابنا الذى أنزلنا عليهم
بتكذيبهم الرسل ويكذبهم فى قولهم ان الله أمرنا بالشرك (قل) هؤلاء المشركين (هل عندكم من علم)
أى بيان على ما تقولون من تحريم ما حرمت ومن ان الله راض بشرككم (فتخرجوه) أى فتظهروه
(لنا) كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم (ان تتبعون الا الظن) أى ما تتبعون فيما أنتم عليه الا الظن
الباطل الذى لا يغنى من الحق شيئا (وان أنتم الا تخرجون) أى وما أنتم فى ذلك الا تكذبون على الله تعالى
(قل لله الحجة البالغة) أى قل لهم ان لم تكن لكم حجة لله الحجة الواضحة التى تقطع عذرا لمجوح وترزى
الشك عن من نظرفيها وهى ازال الكتب وارسال الرسل (فلو شاء) هدايتكم جميعا الى الحجة البالغة
(لهذاكم أجمعين) ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض (قل) يا أكرم الرسل لهم (هلم شهداءكم
الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى احضر واقدوتكم الذين ينصرون قولكم ان الله حرم الذى حرموه
(فان شهدوا) بعد حضورهم بأن الله حرم ذلك (فلا تشهد معهم) أى فلا تصدقهم فيما يقولون بل بين
لهم فسادهم لان السكوت قد يشعر بالرضا (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا باآتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة
وهم يريدون يعدلون) أى ان وقع منهم شهادة فانما هى باتباع الهوى فلا تتبع أنت أهواءهم فهم كذبوا
القرآن ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ويجعلون لله تعالى عديلا (قل) يا أكرم الرسل لمن سألك أى
شيء حرم الله وهم مالك بن عوف وأصحابه (تعالوا أتلى ما حرم ربكم عليكم) فى الكتاب الذى أنزل على
(أن) مفسرة لفعل التسلاوة (لا تشركوا به) أى بربكم (شيئا) من الاشراك (وبالوالدين) أى
واحسنوا بهما (احسانا) ولم يقل لله ولا نسيثوا الوالدين لان مجرد تلك الاساءة اليهما غير كاف فى
قضاء حقوقهما (ولا تقتلوا أولادكم من اطلاق) أى من خوف الله قروا كانوا يدفنون البنات احياء
فبعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الفقر وهذا هو السبب الغالب فبين تعالى فساد هذه العلة بقوله (نحن
نرزقكم وإياهم) أى أولادكم (ولا تقربوا الفواحش) أى الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى ما يفعل
منها علانية فى الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخندان كما هو عادة اشرافهم
وجمع الفواحش للنهي عن أنواعها ولذلك ذكر ما أبدل عنها بدل اشتمال وتوسيط النهى عن الزنا بين
لنهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا لانه فى حكم قتل الاولاد فان أولاد الزنا فى حكم الاموات
او قد قال صلى الله عليه وسلم فى حق العزل ذاك وأدخنى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بكونها
معصومة بالاسلام أو بالعهد (الا بالحق) أى الا قتلا ملتبسا بالحق وهو ان يكون القتل قصاص أو
للردة أو للزنا بشرطه (ذلكم) أى التكاليف الخمسة (وصاكم به) أى أمركم به بربكم أمرا مؤكدا
(لعلكم تعقلون) أى لئكى تعقلوا فوائدها هذه التكاليف فى الدين والدنيا (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
أحسن) أى الا بالحصلة التى هى أحسن لليتم كحفظه وتحصيل الربح به (حتى يبلغ أشده) أى قوته

مع الرشد ومبدؤه من البلوغ وانتهاءه الى الثلاثة والثلاثين (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) أى أتموا الكيل بالكيل والوزن بالميزان بالعدل من غير نقصان من المعطى ومن غير طلب الزيادة من صاحب الحق (لا تكلف نفسا) عند الكيل والوزن (الاوسعها) أى الاطاعتها فى الايفاء والعدل فإن الواجب فى ايفاء الكيل والوزن هو القدر الممكن فى ايفائهما أما التحقيق فغير واجب (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) أى ولو كان القول على ذى قرابة منكم فاذا دعاه شخص الى الدين وأقام الدليل عليه ذكر الدليل لمفصاع الزيادة بالفاظ معتادة واذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فلا ينقص عن القدر الواجب ولا يزيد فى الايداء ولا يحاش واذا حكى الحكايات فلا يزيد فيها ولا ينقص عنها واذا بلغ الرسالات عن الناس فيجب ان يؤدبها من غير زيادة ولا نقصان واذا حكمكم فيجب أن يحكم بالعدل وان يسوى فى القول بين القريب والبعيد وذلك لطلب رضا الله تعالى (وبعهد الله أوفوا) أى أتموا ما عهدتم الله عليه من الايمان والتذور وغيرهما (ذلكم) أى التكاليف الاربعة (وصاكم به) أى أمركم به أمرا مؤكدا (لعلكم تذكرون) ولما كانت التكاليف الخمسة فى الآية الاولى أموراً ظاهرة مما يجب تفهمها ختمت بقوله تعالى لعلكم تذكرون ولما كانت هذه التكاليف الاربعة غامضة لا بد فيها من الاجتهاد فى الفكر حتى يقف على موضع الاعتدال ختمت بقوله تعالى لعلكم تذكرون وحاصل ما ذكر فى هاتين الآيتين من المحرمات تسعة أشياء خمسة بصيغ النهى وأربعة بصيغ الامر وتوول الامر بالنهى لاجل التناسب وهذه الاحكام لا تختلف باختلاف الأمم والاعمار (وأن هذا) أى الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام (صراطى) أى دينى (مستقيما) أى لا اعوجاج فيه قرأ ابن عامر وأن هذا بفتح الهمزة وسكون النون فأصلها وانه هذا فالفاء ضمير الشأن والحديث وهو اسم ان والجملة التى بعده خبره وقرأ حمزة والكسافى وان بكسر الهمزة وتشديد النون فالتقدير اتل ما حرم واتل ان هذا بمعنى أقل وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون والتقدير واتل عليكم ان هذا صراطى مستقيما (فاتبعوه) أى هذا الصراط (ولا تتبعوا السبل) المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن سبيله) أى فتميل بكم هذه السبل عن سبيل الله الذى لا عوج فيه وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها (ذلكم) أى اتباع دين الله (وصاكم به) فى الكتاب (لعلكم تتقون) اتباع سبل الكفر والضلال (ثم آتينا موسى الكتاب) أى ثم بعد تعدد المحرمات وغيرها من الاحكام انى أخبركم انا أعطينا موسى التوراة (تماما) أى لاجل تمام نعمتنا (على الذى أحسن) أى على من أحسن العمل بأحكامه كما يدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا وقرأ يحيى بن يعمر بالرفع بحذف المبتداء أى على الذى هو أحسن ديننا كقراءة من قرأ مثلاً ما بعوضة بالرفع (وتفصيلا لكل شئ) أى وليبيان كل ما يحتاج اليه فى الدين فيدخل فى ذلك بيان نبوة سيدنا محمد وآله (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لعلهم يلقا ربهم يوم يؤمنون) أى لئلى يؤمن بنوا اسرائيل بملقاهم ما وعدهم الله به من ثواب وعقاب (وهذا) أى الذى تلوت عليكم (كتاب) أى قرآن (أنزلناه) اليكم بلسانكم (مبارك) أى كثير المنافع ديننا وديننا لا يتطرق اليه الشئ (فاتبعوه) أى فاتبعوا يا أهل مكة ما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام (واتقوا لعلكم ترحمون) أى اتقوا مخالفتي على رجاء الرحمة (أن تقولوا) أى أنزلناه كراهة أن تقولوا يوم القيامة (انما أنزل الكتاب)

وهو التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) وهم اليهود والنصارى (وإن كانوا عن دراستهم لغافلين) أي وإنه كنا عن قراءتهم لجاهلين فلا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن بلغتنا والمراد بهذه الآيات اثبات الحجّة على أهل مكة بأنزال القرآن على سيدنا محمد كي لا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والانجيل أنزل على اليهود والنصارى ولا نعلم ما فيهما فقطع الله عذرهم بأنزال القرآن عليهم بلغتهم (أو تقولوا) أي لا عذر لكم في القيامة بقولكم (لو أنّا أنزل علينا الكتاب) كما أنزل على اليهود والنصارى (لكنّا أهدي منهم) أي أصوب ديناً منهم وأسرع اجابة للرسول منهم (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدي ورحمة) أي لم تعتذروا بذلك فقد جاءكم قرآن من ربكم فانه بيان فيما يعلم بمعناه وعقلا وهو نعمة في الدين (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي لا أحد أحرأ على الله عن كذب بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ومال عن ذلك (ستجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) أي شدته (بما كانوا يصدفون) أي بسبب اعراضهم (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) أي ما ينتظر أهل مكة إلا أحد هذه الأمور الثلاثة أي فلا يؤمنون بك إلا إذا جاءهم أحد هذه الأمور وقرأ أحزّة والكسائي على التذكير (أو يأتي ربك) أي بحسب ما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وهم كانوا كفارا واعتقاد الكافر ليس بحجة وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت أقبص أرواحهم وبآيات الله تعالى آيات المعنى أي آيات القيامة كلها وقيل المعنى أو يأتي ربك يوم القيامة بلا كيف (أو يأتي بعض آيات ربك) أي بعض علامات ربك الدالة على قرب الساعة وهي عشرة وهي العلامات الكبرى وهي الدجال والدابة وخسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها وأجوج وازفجر وعيسى ونار تخرج من عدن تسوق الناس إلى المحشر (يوم يأتي بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها (لا ينفع نفسا) كافرة (إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أي قبل آيات بعض الآيات (أو) نفسا مؤمنة عاصية توبتها لم تكن (كسبت في إيمانها خيرا) لكم الإيمان والعمل الصالح حين طلوع الشمس من المغرب حكم من آمن أو عمل عند الغرّة وذلك لا يفيد شيئا أما من كان يومئذ مؤمنا مذنباً فتب أو صغيراً أو مولوداً بعد ذلك فانه ينفع توبتهم وإيمانهم وعملهم كما قاله ابن عباس وروى عن ابن عباس أنه قال لا تزال الشمس تجري من مطلعها إلى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن لها ما يحبس أن مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما الا قليل من الناس وهم أهل الأوراد وحمل القرآن فينادي بعضهم بعضاً يجتمعون في مساجدهم بالتفريع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فيبينما الناس كذلك أذنادى مناد إلا أن باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادهما وتضع كل ذات حمل حملها وأما الصالحون والابرار فانهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ يكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ يكتب عليهم حسرة قال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وما باب التوبة يا رسول الله فقال يا عمر خلق الله باباً للتوبة جهة المغرب فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكلان بالدر والجواهر ما بين المصراع إلى المصراع مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله تعالى إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك

الباب قال أبي بن كعب يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدينا فقال يا أبي
 إن الشمس والقمر يكسبان بعد ذلك ضوء النار ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس
 بعد ذلك فيطهون على الدنيا ويعمر ونهار يجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار وينون فيها
 البنيان ثم تمكث الدنيا بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة السنة منها بقدر شهر والشهر
 بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئاً إلا
 أعطوه حتى تتم أربعون سنة بعد الدابة ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون
 في الطرق كالهائم حتى ينسكع الرجل المرأة في وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من
 يقول لو تخيتم عن الطريق لكان أحسن وروى عن أنس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنزير وتطوى الدواوين وتجف الأقلام
 لا يراد في حسنة ولا ينقص من حسنة ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً
 (قل انتظروا) ما تنتظرونه من آيات أحد الأمور الثلاثة (أنا منتظرون) لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء
 العاقبة والمراد بهذا أن المشركين اغمايهاون قد رمدت الدنيا فاذما قوا وظهرت الآيات لم ينفعهم الإيمان
 وحلت بهم العقوبة اللازمة أبداً (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) أي أحزاباً في الضلالة (لست منهم في
 شيء) أي لست من البحث في تفريقهم فأنتم منهم بريء وهم منك برآء ولست من قتالهم في هذا الوقت في شيء
 (اغمايهم إلى الله) أي يدبره كيف يشاء يؤخذهم في الدنيا متى شاء ويأمرهم بقتالهم إذا أراد (ثم ينبئهم
 بما كانوا يفعلون) أي ثم يظهر الله لهم يوم القيامة على رؤس الأشهاد ويعلمهم أي شيء شنيع كانوا
 يفعلونه في الدنيا ويرتب عليه ما يليق به الجزاء والمراد بهؤلاء المفرقين الخوارج كما أخرج ابن أبي حاتم
 من حديث أبي امامة وهم أصحاب البدع والأهواء كما أخرج الطبراني من حديث عائشة وقال قتادة هم
 اليهود والنصارى كما أخرج عبد الرزاق وكما أخرج ابن أبي حاتم عن السدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الواحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين
 فرقة كلهم في الهاوية الواحدة واستثناء الواحد من فرق أهل الكتابين اغمايها هو باعتبار ما قبل النسخ
 وأما بعده فالكل في الهاوية وإن اختلفت أسباب دخولهم وسبب تفرق أمتي على ثلاث وسبعين
 فرقة كلهم في الهاوية الواحدة رواء أبو داود والترمذي والحاكم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بالالف
 أي بابتوابان تركوا بعض دين آبائهم والباقيون فرقوا بالتشديد أي اختلفوا في دينهم كما اختلف
 المشركون بعضهم يعبدون الملائكة ويرحمون أنهم ينسبوا لله وبعضهم يعبدون الأصنام ويقولون
 هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم يعبدون الكواكب (من جاء بالحسنة) أي من جاء يوم القيامة
 بالأعمال الحسنة من المؤمنين (فله عشر أمثالها) أي فله جزاء عشر أمثالها وهذا أقل ما وعد من
 الأضعاف فالمراد بالعشرة الأضعاف مطلقاً لا التحديد وقد جاء نوعاً بسبعين وبسبع مائة وبغير حساب
 ولذلك قيل المراد بكثرة العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص (ومن جاء بالسيئة) أي بالأعمال
 السيئة (فلا يجزي الأمثلها) أي الأجزاء السيئة الواحدة أن جوزي (وهم لا يظلمون) أي
 لا ينقصون من ثواب طاعتهم ولا يرادون في عقاب سيئاتهم (قل) يا أشرف الخلق للمشركين الذين يدعون
 أنهم على ملة إبراهيم من أهل مكة واليهود والنصارى (إني هادي ربي إلى صراط مستقيم) أي أرشدني
 ربي بالوحى وبما نصب من الآيات التكوينية في النفس وفي السموات والأرض إلى طريق حق (دينا

قوماً) أي لا عوج فيه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح القاف وكسر اليااء مشددة والباقون بكسر
 القاف وفتح اليااء مخففة وهو مصدر كالصغر والكبر والحول والشبع أي ديناً ذا قيم أي صدق (ملة إبراهيم
 حنيفاً) أي ما نال عن الضلالة إلى الاستقامة (وما كان من المشركين) وقوله تعالى ديناً بدل من محل
 صراط لأن محله النصب على أنه مفعول ثان أو مفعول لفعل مقدر والتقدير الرماد ديناً وقوله تعالى ملة
 إبراهيم عطف بيان لدينا وحنيفاً حال من إبراهيم وكذا وما كان فهو عطف حال على أخرى (قل إن
 صلاتي) أي الصلوات الخمس (ونسكى) أي ذبيحتي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله تعالى فصل
 لربك وانحر والمعنى وكل ما تقربت به إلى الله تعالى فإن معنى الناسك من صفاته من دنس الآثام
 (ومحياي وعماتي) أي وما أنا عليه في حياتي وما أكون عليه عند موتي من الإيمان والطاعة (لله رب
 العالمين) أي إن صلاتي وسائر عباداتي وحياتي وعماتي كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه
 وحكمه (لا شريك له) في الخلق والتقدير (وبذلك) أي وبهذا التوحيد (أمرت وأنا أول المسلمين)
 أي المستسلمين لقضاء الله وقدره فإنه صلى الله عليه وسلم أول من أجاب ببلي يوم العهد لسؤال الله تعالى
 ألست بربكم والمعنى وأنا أول المنقادين لله من أهل ملتي وهذا بيان لمسار عتقه صلى الله عليه وسلم إلى
 الامتثال بأمر الله (قل) يا أشرف الرسل للكفار الذين قالوا لك أرجع إلى ديننا (أغير الله أبغى رباً) أي
 أعبد رباً غير الله (رهوب كل شيء) أي والحال إن الله رب كل شيء مع أن الذين اتخذوا رباً غير الله أقروا
 بأن الله خالق الأشياء كما قال تعالى قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وأصناف المشركين أربعة
 عبدة الأصنام فهم معترفون بأن الله هو الخالق للسموات والأرض وللأصنام بأسرها وعبدة الكواكب
 فهم معترفون بأن الله خالقها والقائلون بيزدان وأهراً من فهم معترفون بأن الشيطان محدث وإن محدثه هو
 الله والقائلون بأن المسيح ابن الله والملائكة بناته فهم معترفون بأن الله خالق الكل وإذا ثبت هذا فنقول
 العقل الخالص يشهد بأنه لا يجوز جعل المربوب شريكاً للرب وجعل المخلوق شريكاً للخالق (ولا تكسب كل
 نفس) ذنباً (الاعلمها) أي الحالة كونه مستعلياً عليها بالمضرة أو حالة كونه مكتوباً عليها لا على غيرها
 (ولا ترزوا رزراً أخرى) أي ولا تحمل نفس آثمة ولا غير آثمة ثم نفس أخرى فلا تحمل نفس طائفة
 أو طائفة ذنب غيرها وانما قيد في الآيات بالوزارة موافقة لسبب النزول وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول
 للمؤمنين اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم (ثم إلى ربكم) أي إلى مالك أموركم (مرجعكم) أي
 رجوعكم يوم القيامة (فينبشكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون) من الأديان في الدنيا (وهو الذي
 جعلكم خلائف في الأرض) أي جعلكم يخلف بعضكم بعضاً في الأرض (ورفع بعضكم) في الشرف
 والرزق (فوق بعض درجات) كثيرة متفاوتة فجعل الله منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف
 والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وأظهر هذا التفاوت ليس لأجل العجز والجهل والخل
 فإنه تعالى منزّه عن ذلك وانما عولاً لجل الامتحان وهو المراد من قوله (ليبلوكم فيما آتاكم) أي
 ليعاملكم معاملة المختبر فيما أعطاكم من الجاه والمال والفقراء بكم يشكروا بكم يصبروه وأعلم بأحوال
 عبادهم منهم والمراد من الابتلاء هو التكليف ثم إن المكاف إما أن يكون مقصراً فيما كلف به أو موفراً فيه
 فإن كان مقصراً كان نصيبه من التخويف قوله تعالى (اندربك سريع العقاب) لمن كفر به ولا يشكره
 ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب وإن كان المكاف موفراً في الطاعات كان نصيبه من
 الترغيب قوله تعالى (وانه لغفور رحيم) لمن راعى حقوق ما أعطاه الله تعالى كما ينبغي عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال أنزلت على سورة الانعام جملة واحدة يتبعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فنقرأ الانعام صلى عليه واستغفره أولئك السبعون ألف ملك بمدد كل آية من سورة الانعام يوماً وليلة

﴿سورة الاعراف مكية وآياتها مائتان وست آيات وكلما تها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة وحروفها أربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وعشرة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم المص) قيل هي حروف مقطعة اسمها الله بعلمها وهي سره تعالى في كتابه العزيز (كتاب) أي هذا قرآن (أنزل إليك) أي إن الملائكة انتقل به من العلو إلى أسفل (فلا يكن في صدرك حرج منه) أي فلا يكن فيك شك من هذا الكتاب في كونه كتاباً نزل إليك من عنده تعالى أو المعنى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغ هذا الكتاب مخافة أن تقصر في القيام بحقه أو مخافة أن يكذبوك (لتنذره) أي بهذا الكتاب الكافرين (وذكرى للمؤمنين) فإن النفوس البشرية على قسمين نفوس جاهلة غريقة في طلب اللذات والشهوات ونفوس شريفة مشرقة بالأنوار الإلهية فبعثه الرسل في حق القسم الأول تخويف وفي حق القسم الثاني تنبيه (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) أي من كتابه وسنة رسوله (ولا تتبعوا من دونه) أي من غير ربكم (أولياء) من الشياطين والكهان فيحملوكم على البدع والاهواء وقيل الضمير للوصول مع حذف المضاف في أولياء أي ولا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل أولياء وقرأ مالك بن دينار ولا تتبعوا (قليلاً ما تذكرون) أي تذكروا قليلاً أو زماناً قليلاً لا تذكرون وما تريدون للتوكيد قرأ ابن عامر يذكرون بالياء والتاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء وتخفيف الذال والباقون بالتاء وتشديد الذال (وكم من قرية أهلكناها) أي كثير من أهل قرية أردنا هلاكها (لجأها) أي لجأ أهلها (بأسنا) أي عذابنا (بياتاً) أي نائمين في الليل كما في قوم لوط (أو هم قائلون) أي نائمون في نصف النهار أو مستريحون فيه من غير نوم كما في قوم شعيب والمعنى جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم إماراة تدلهم على نزول ذلك العذاب فكأنه قيل الكفار لا تغتروا بأسباب الأمن والراحة والفراغ فإن عذاب الله إذا وقع وقع دفعة من غير سبق إماراة فلا تغتروا بأحوالكم (فما كان دعواهم) أي استغاثتهم بربهم واعترافهم بالجناية (اذ جاءهم بأسنا) أي عذابنا في الدنيا (الأن قالوا انا كنا ظالمين) فأقروا على أنفسهم بالشرك والاساءة حيث لم يتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم وذلك حين لم ينفعهم الاعتراف والندامة والمختار عند النحويين أن يكون محال أن قالوا رفعنا بكان ودعواهم نصيباً بدليل تذكير كان كقوله تعالى فما كان جواب قومه إلا أن قالوا وقوله تعالى فكان عاقبتهم ما أنهما في النار وقوله تعالى وما كان يحتمم إلا أن قالوا (فلنسألن الذين أرسل إليهم) أي فلنسألن في موقف الحساب الأهم قاطبة قائلين ماذا أجبت المرسلين (ولنسألن المرسلين) قائلين ماذا أجبت وذلك للرد على الكفار إذا أنكروا التبليغ بقولهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فإذا أثبت الرسل أنهم لم يصدر منهم تقصير البتة فيتضاعف إكرام الله تعالى في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف أسباب الجزى والاهانة في حق الكفار لما ثبت أن جميع التقصير كان منهم (فلنقصن عليهم) أي المرسلين والأهم لما سكتوا عن الجواب (بعلم) أي فلنخبرهم بما فعلوا أخباراً أنا نشأ عن علم منا (وما كنا غائبين) عنهم في حال من الأحوال فيخفى علينا شيء من أحوالهم (والوزن) أي وزن

الاعمال (يومئذ) أي كل يوم اذ يسأل الله الامم والرسول (الحق) أي العدل أو المعنى والوزن يوم
اذ يكون السؤال والقص هو الحق فالحق اما صفة للوزن أو خبر له ويومئذ اما ظرف له أو خبر له (فمن ثقلت
موازينه) بسبب ثقل الحسنات في الميزان (فأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بالنجاة والثواب (ومن
خفت موازينه) بسبب خفة الحسنات في الميزان أو بسبب الاعمال التي لا اعتداد بها في الوزن (فأولئك
الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) أي فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا
أنفسهم بسبب تكذيبهم بآياتنا والقائمة في وضع ذلك الميزان ان يظهر ذلك الرجحان لاهل القيامة فان
كان ظهور الرجحان في طرف الحسنات ازداد سروره بسبب ظهور فضله وكمال درجته لاهل القيامة وان
كان بالضد فزيد اذ حزنه وخوفه في موقف القيامة ثم اختلفوا في كيفية ذلك الرجحان فبعضهم قال يظهر
هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وآخرون قالوا بل يظهر رجحان في الكفة قال
العلماء الناس في الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبار لهم وكفار ومخلطون وهم الذين يأنون بالكبار فأما
المتقون فان حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغارهم لا يجعل الله لها وزنا بل تكفر صغارهم باجتنابهم
الكبار وتثقل الكفة النيرة ويؤمرهم الى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وأما الكافر فانه
يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الاخرى فتبقى فارغة فيأمر الله تعالى بهم
الى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وأما الذين خلطوا الحسناتهم وضع في الكفة النيرة وسيئاتهم
في الكفة المظلمة فيكون لكبارهم ثقل فان كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل الجنة وان كانت
السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار الا ان يعفو الله وان تساوى كان من أصحاب الاعراف هذا ان
كانت الكبار في ما بينه وبين الله واما ان كان عليه تبعات وكان له حسنات كثيرة جدا فانه يؤخذ من
حسناته فيرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم من أوزار من
ظلمه ثم يعذب على الجميع (ولقد مكناكم في الارض) أي جعلنا لكم يا بني آدم فيها مكانا وأقدرناكم على
التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) أي وجوه المنافع وهي على قسمين ما يحصل بخلق الله تعالى
ابتداء مثل خلق الثمار وغيرها وما يحصل بالاكتساب وكلاهما بفضل الله وتمكينه فيكون السهل انعاما
من الله تعالى وكثرة الانعام توجب الطاعة (قليل ما تشكرون) تلك النعمة ونعم الله على الانسان كثيرة
فلا انسان الا ويشكر الله تعالى في بعض الاوقات على نعمه وانما التفاوت في ان بعضهم يكون كثير
الشكر وبعضهم يكون قليل الشكر (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أي خلقناكم ثم صورناكم ثم صورناكم
مصور ثم صورناه أحسن تصوير وتحسن هذه السكينة لان آدم أصل البشر (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)
موجود تعظيم (فسجدوا) أي الملائكة بعد الامر (الا ابليس) فانه أبو الجن كان مفردا مستورا
بأوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في قوله تعالى للملائكة الخ (لم يكن من الساجدين)
لآدم (قال) تعالى لا بليس (ما منعك أن تسجد) أي ما صرفك الى أن لا تسجد كما قال القاضي
ذكر الله الملع وأراد الداعي فكأنه تعالى قال ما دعاك الى أن لا تسجد لآدم لان مخالفة أمر الله تعالى حالة
عظيمة يتعجب منها ويسأل عن الدعي اليها (اذ أمرتك) والمشهور أن كلمة لا لتأكيد معنى النفي في
منعك والا يستفهم للتوبيخ ولاظهار كفر ابليس واذ منصوب بتعجبه أي ما منعك من السجود
في وقت أمرى اياه (قال) ابليس (أنا خير منه) أي انما لم اسجد لآدم لاني خير منه (خلقتني
من نار) فهي أغلب اجزائي (وخلقت من طين) أي وهو أغلب اجزائه فالنار أفضل من الطين لان

النار مشرقة علوية لطيفة يابسة مجاورة لجواهر السموات والطين منظم سفل كثيف بعيد عن مجاورة السموات والمخلوق من الافضل لافضل وقد اخطأ ابليس طريق الصواب لان النار فيها الخفة والارتفاع والاضطراب وأما الطين ففسأه الرزانة والحلم والتثبت وأيضا فالطين سبب للحياة من انبات النبات والنار سبب لهلاك الاشياء والطين سبب جمع الاشياء والنار سبب تفريقها (قال) تعالى (فاهبط منها) أي من الجنة وكانوا في جنة عدن فيها خلق آدم وأخرج من زمرة الملائكة المعززين (فما يكون لك) أي فما ينبت في لك (أن تتكبر فيها) أي في الجنة أو في زمرة الملائكة (فأخرجناك من الصاغرين) أي من الأذلاء (قال أنظرني) أي لانتعني (اليوم يبعثون) أي آدم وذريته وهو وقت النفخة الثانية وأراد ابليس ان يأخذ ثاره منهم باغوائهم وان ينجمون الموت لاستحالة بعثه بعد البعث ولانه قدم عند النفخة الأولى (قال) تعالى (انك من المنظرين) أي من المؤجلين الى النفخة الأولى فيموت كغيره (قال) ابليس (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أي فبسبب اغوائك اياي لأجلهم أقسم بعزتك لأقعدن لآدم وذريته دينك الموصل الى الجنة وهودين الاسلام (ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) أي فأشككهم في صحة البعث والقيامة والحساب وألقى اليهم ان الدنيا قديمة لا تنفنى (وعن أيمانهم وعن شهادتهم) أي افترهم عن الحسنات وأقوى دواعيهم في السيئات ونقل عن شقيق انه قال ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الأربع فيقول من قد احمى لا تحف فان الله غفور رحيم فأقرأوا في لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفي من وقوع أولادي في الفقر فأقرأوا ما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويأتيني بالثناء من قبل عيني فأقرأوا العاقبة للمتقين ويأتيني بالترغيب في الشهوات من قبل شمالي فأقرأوا حيل بينهم وبين ما يشتهون والحاصل ان الشيطان لا يترك جهة من جهات الوسوسة الا ويلقيها في القلب ويروي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع كونه مستوليا عليه من هذه الجهات الأربع فأوحى الله تعالى اليهم انه بقي للانسان جهتان الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق في الدعاء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الارض على سبيل الخضوع غفرت له ذنوب سبعين سنة (ولا تجدا أكثرهم شاكرين) أي مطيعين وانما قال هذا لانه رأى منهم ان مبدء الشر متعدد ومبدء الخير واحد وذلك انه حصل للنفس قوة واحدة تدعو النفس الى عبادة الله تعالى وطلب السعادات الروحانية وهي العقل وتسع عشرة قوة تدعوها الى اللذات الجسمية والطبيبات الشهوانية الخمسة منها هي الحواس الظاهرة وخمسة أخرى هي الحواس الباطنة واثنتان الشهوة والغضب وسبعة هي القوى الكامنة وهي الجاذبة والماسكة والمهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكمل من استيلاء القوة الواحدة فيلزم القطع بأن أكثر الخلق يكون طالعين لهذه اللذات البدنية معرضين عن معرفة الحق ومحبة (قال اخرج منها) أي من الجنة ومن صورة الملائكة (مذموما) أي محقورا (مدحورا) أي مبعدا من كل خير (من تبعك منهم) أي ولد آدم (لأن جهنم منكم) أي منكم ومنهم (أجمعين) ففي اللام ومن في قوله تعالى لمن تبعك وجهان فالأظهر ان اللام لام التوطئة لقسم محذوف ومن شرطية في محل رفع مبتدأ ولا ملائح جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده والوجه الثاني ان اللام لام الابتداء ومن موصولة وتبعك صلتها وهي في محل رفع مبتدأ ولا ملائح جواب قسم محذوف ذلك القسم وجوابه في محل رفع خبرا لمبتدأ

والتقدير الذي تبعك منهم والله لا ملأ أن جهنم منكم والعائد من الجملة القسمية الواقعة خبراً عن المبتدأ متضمن في قوله منكم لأنه لما اجتمع ضمير غيبة وخطاب غلب الخطاب وروى عنه عن قاصم بن تبعك بكسر اللام على أنه خبر لا ملأ والمعنى أن تبعك هذا الوعيد وهذه الآية تدل على أن جميع أصحاب البدع والضلالات يدخلون جهنم لأن كلهم متابعون لابليس والله أعلم (ويا آدم اسكن) هذه القصة معطوفة على قوله تعالى لللائكة اسجدوا أي وقلنا لآدم يا آدم اسكن أو معطوفة على أخرج أي وقال يا آدم اسكن بعد أن أهبط ابليس وأخرجه من الجنة (أنت وزوجك الجنة) قال ابن اسحق خلقت حواء قبل دخول آدم الجنة والمعنى أي أدخل فيها قال ابن عباس وغيره خلقت في الجنة بعد دخول آدم فيها لأنه لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشاً فلما نام خلقت من ضلعه الفصري من شقه الأيسر ليأنس بها والمعنى أنزل في الجنة (فكلام من حيث شئتما) أي فكلام من ثمار الجنة في أي مكان شئتما الاكل فيه وفي أي وقت شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) أي فتصير من الضارين لأنفسكما (فوسوس لهما الشيطان) أي ففعل ابليس الوسوسة لاجلهم (ليبيد لهما ما ووري عنهما من سواهما) أي ليظهر لهما ما ستر عنهما بلباس النور أو يبيد الجنة من عورتهم ما فاللام اما للعاقبة لأن ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهم ما وإنما كان قصده أن يحملهما على المعصية فقط أولاً لعله فظهور العورة كناية عن زوال الجاه فان غرضه من العاء تلك الوسوسة إلى آدم ذهاب منصبه وروى أن ابليس بعدما صار ملعوناً مطروداً من الجنة رأى آدم وحواء في طيب عيش ونعمة ورأى نفسه في مذلة ونقمة فحسدهما فهو أول حاسد ثم أراد أن يدخل الجنة ليوَسوس لهما فغلبته الحزنه فجلس على باب الجنة ثلاثاً سنة من سنى الدنيا وهي بقدر ثلاث ساعات من ساعات الآخرة فلقى آدم مراراً كثيرة ورغبه في أكل الشجرة بطرق كثيرة فلاجل المداومة على هذا التويه أثر كلامه في آدم عليه السلام (وقال) أي ابليس لآدم وحواء (ما نهاكم عن هذه الشجرة) أي عن الأكل منهما (الا أن تكونا ملكين) أي الا كراهة أن تكونا كملكين في عدم الشهوة وفي القدرة على الطيران والتشكيل وفي قراءة شاذة ملكين بكسر اللام (أو تكونا من الخالدين) أي الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلاً (وقامهما) أي حلف لهما (اني لأكلمن الناصحين) في حلق لكما (فدلاهما بغرور) أي فخدعهما بزخرف من القول الباطل حتى أكل قليلاً قصدوا إلى معرفة طعم ذلك الثمر فغلبته الشهوة لآكونهما صدق قول ابليس (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما) أي فلما تناولا من ثمر تلك الشجرة يسيرا المعرفة طعمه ظهر لكل منهما قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره وزال غنمهما ثوبهما وزال النور عنهما (وظفقا يخضغان عليهما من ورق الجنة) أي وجعل يلقان على عورتهم ما من ورق التين للاستحياء (وناداهما ربهما) يا آدم ويا حواء (ألم أنهيكما عن تلكما الشجرة) أي عن الأكل من ثمر هذه الشجرة (و) ألم (أقل لكما أن الشيطان لكاذب ومبين) أي ظاهر العداوة حيث أبي السجود كما حكى الله تعالى هذا القول في سورة طه بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجه الآيتة روى أنه تعالى قال لآدم ألم يكن فيما تكلم من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش الا كذا أهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرق والحرق وسقى حصود ودرس وذرى وعجن وخبز (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أي ضررناها بمخالفة أمرنا وطاعة عدونا (فكلوا من كل الثمرة التي نهيتمنا عن الاكل منها واثمنا) فآدم يكره ظالماته ترك الأولى فان

هذا الذنب صدر عنه قبل النبوة بطريق النسيان ولأن القصد بذلك القول هضم النفس ونهج الطاعة على الوجه الأكل (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) أي من المغبونين بالعقوبة (قال) تعالى (اهبطوا) يا آدم وحواء وابليس إلى الأرض فهبط آدم بسريذيب جبل في الجنة وحواء بمجدة وابليس بالابلية بضم الهمزة والموحدة وبتشديد اللام جبل بقرب البصرة (بعضكم لبعض عدو) فالعداوة ثابتة بين آدم وابليس وذرية كل منهما (ولكم في الأرض مستقر) أي مكان عيش وقبر (ومتاع) أي انتفاع (إلى حين) أي إلى انقضاء آجالكم (قال) تعالى (فيها) أي الأرض (تحيون) أي تعيشون مدة حياتكم (وفيها تموتون) وتدفنون (ومنها تخرجون) إلى البعث للجزاء قرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء وكذلك في الروم والزخرف والجنائنة وقرأ ابن عامر هنا وفي الزخرف كذلك وفي الروم والجنائنة بضم التاء وفتح الراء والباقون بضم التاء في الجميع (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا) أي قد خلقنا لكم بأسباب نازلة من السماء لباسين من قطن وغيره لباسا يعطي عوراتكم من العري ولباسا ينسكم فان الزينة غرض صحيح وروى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال في النهار والنساء في الليل ويقولون لا تطوف بنباب عصين الله تعالى فنزلت هذه الآية تذكيرا ببعض النعم لاجل امتثال أمر الله تعالى بالحذر من قبول وسوسة الشيطان في قوله تعالى لا يفتننكم الشيطان والمقصود من ذكر قصص الأنبياء حصول العبرة لمن يسمعها (ولباس التقوى ذلك خير) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب لباس عطفًا على لباسا أي وأنزلنا عليكم لباس التقوى وهو الإيمان كما قاله قتادة والسدي وابن جريج أو العمل الصالح كما قاله ابن عباس أو السمعة الحسنة كما قاله عثمان بن عفان أو خشية الله كما قاله ابن الزبير أو الحياة كما قاله معبد والحسن ذلك أي اللباس الثالث خير لصاحبه من اللباسين الأولين لأنه يستتر من فضائح الآخرة وقرأ الباقر ولباس التقوى بالرفع على الابتداء وخبره ذلك خير والمعنى واللباس الناشئ عن التقوى وهو اللباس الأول أو هو الملبوسات المعدة لاجل إقامة نحو الصلاة ذلك خير لأنه لبس المتواضع (ذلك) أي أنزال اللباس (من آيات الله) الدالة على قدرته وعظم فضله وعميم رحمته على عباده (اعلمهم يذكرون) أي فيعرفون عظم النعمة في ذلك اللباس (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة) أي لا يخرجكم الشيطان عن طاعتي بفتنته فتتبعوا من دخول الجنة أخرجكم مثل أخرجكم من الجنة بفتنته بأمره لهما مخالفة أمرى فيمنع من سكنى الجنة (ينزع عنهما لباسهما) بغروره وكان اللباس من ثياب الجنة أو من نور (ليريهما سوآتهما) أي ليرى آدم سوأة حواء وترى هي سوأة آدم (أنه) أي الشيطان (يراكم هو وقييله) أي أصحابه أو من كان من نسله (من حيث لا ترونهم) إذا كانوا على صورهم الأصلية لكن قد يكونون مرثيين في بعض الأحيان لبعض الناس دون بعض وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا أربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيطاناً قتي (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أي اناصبرنا الشياطين قرناء للذين لا يؤمنون محمد والفرآن مسليطين عليهم (واذا فعلوا) أي العرب (فاحشة) كعبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف (قالوا) جواباً لناهي عنهما معالين بفعل الفاحشة بأمرين (وجدنا عليها) أي على هذه الأشياء (آباءنا) فاعتقدنا أنها طاعات واقتدينا بهم فيها (والله أمرنا بها) فان أجسادنا انما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى بها (قل) لهم يا أكرم الرسل (ان الله لا يأمر بالفحشاء) فان عادته تعالى جارية على الأمر بحسن الأعمال

والحث على نفائس الحصال (أتقولون على الله مالا تعلمون) أي أنكم ما سمعتم كلام الله مشافهة ولا أخذتموه عن الأنبياء لأنكم تنكرون نبوة الأنبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون (قل أمر ربي بالقسط) أي بالتوحيد بلا اله الا الله (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) أي واستقبلوا بوجوهكم القبلة عند كل صلاة (وادعوه) أي اعبدوا الله بآتيان أعمال الصلاة مخلصين له الدين أي الطاعة (كما بدأكم تعودون) أي كما أوجدكم الله بعد العدم يعيدكم بعده أحياء يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) أي ثبت الضلالة عليهم في الازل والجملة من الفعلين في محمل نصب على الحال من فاعل بدأكم وفريقا الثاني منصوب بفعل مقدر موافق في المعنى مذكور المفسر أي بدأكم حال كونه تعالى هاديا فريقا للإيمان ومضلا فريقا ويحوزان تكون الجملة من الفعلين في محمل نصب على النعت لفريقا وفريقا هذان على الحال من فاعل تعودون والعايد على المنعوت محذوف أي فريقا هداهم الله وفريقا حق عليهم الضلالة ويؤيد هذا الأعراب قراءة أبي بن كعب تعودون فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة (أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) فقبلوا مادعوهم إليه ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل (ويحسبون) أي يظن أهل الضلالة (أنهم مهتدون) بدين الله ودلت هذه الآية على أن كل من شرع في باطل فهو مستحق للذم سواء حسب كونه هدى أو لم يحسب ذلك (يا بني آدم خذوا زينتكم) أي البسوا ثيابكم التي تستر عوراتكم (عند كل مسجد) أي عند كل وقت طواف وصلاة (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا) من اللبن (ولا تسرفوا) بالتعدى إلى الحرام أو بتحريم الحلال أو بالأفراط في الطعام (أنه لا يحب المسرفين) أي أنه تعالى لا يرتضى فعلهم قال ابن عباس إن أهل الجاهلية من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانوا إذا وصلوا إلى مسجد منى طرحوا ثيابهم وأتوا المسجد عراة وقالوا لا نطوف في ثياب أصنافها الذنوب ومنهم من يقول نفعل ذلك تفاؤلا حتى نتعري عن الذنوب كما تعري نساء عن الثياب وكانت المرأة منهم تتخذ سترًا تعلقه على حقونها تستتر به عن قرين فأنهم كانوا لا يفعلون ذلك وكانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام الا قوتا ولا يأكلون لحما ولا دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق أن نفعل ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدسم (من حرم زينة الله) من الثياب (التي أخرج) الزينة (لعباده) من النبات كالقطن والسكان ومن الحيوان كالخرب والصوف من المعادن كالدرع (و) من حرم (الطيبات من الرزق) أي المستلذات من الماء كل والمشرب (قل هي) أي الزينة والطيبات ثابتة (للذين آمنوا) بطريق الاصلة (في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) أي لا يشاركهم فيها غيرهم قرأتنا فخالصة بالرفع على انه خبر بعد خبر آخر الخبر المبتدأ ومحذوف أي وهي خالصة والباقيون بالنصب حال من الضمير المستكن في الخبر (كذلك تفصل الآيات) أي مثل هذا التبيين نبين سائر الأحكام لقوم يعلمون ان الله واحد لا شريك له فأحلوا حلاله وحرموا حرامه (قل) للمشركين الذين يتجددون من ثيابهم في الطواف والذين يحرمون أكل الطيبات (انما حرم ربي الفواحش) أي الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أي جهرها وسرها (والأثم) أي شرب الخمر (والبغي) أي الظلم على الناس (بغير الحق) فالقتل والقهر بالحق فليس بغيرا (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أي وإن تسووا بالله في العبادة معبودا ليس على نبوته

حجة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالاحاد في صفاته والاقتراء عليه من التحريم والتحليل فالجنايات
 محصورة في خمسة أنواع أحدها الجنايات على الانساب وهي المردة بالغواش وثانيها الجنايات على
 العقول وهي المشار إليها بالانتم وثالثها الجنايات على النفوس والاموال والاعراض واليهما الإشارة
 بالبغي ورابعها الجنايات على الاديان وهي من وجهين اما الطعن في توحيد الله تعالى واليه الإشارة بقوله
 تعالى وان تشركوا بالله واما القول في دين الله من غير معرفة واليه الإشارة بقوله تعالى وان تقولوا على الله
 ما لا تعلمون وهذه الاشياء الخمسة أصول الجنايات واما غيرها فهي كالغروع (ولكل أمة) كذبت
 رسولها (أجل) أي وقت معين لهلاكها (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أي
 فاذا جاء وقت هلاكهم لا يتركون بعد الاجل طرفة عين ولا يهلكون قبل الاجل طرفة عين فالجزاء
 مجموع الامرين لا كل واحد على حدته والمعنى ان الوقت المحدود لا يتغير (يا بني آدم اياي أتيناكم رسل
 منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليه هم ولا هم يحزنون) أي يا بني آدم ان يأتكم
 رسول من جنسكم بني آدم يبين لكم أحكامي وشرائعي فمن اتقى كل منهي واتقى تكذيبه وأصلح عمله
 بأن يأتي كل أمره فلا يخاف في الآخرة من العذاب ولا يحزن على ما فات في الدنيا ما حزنه على عقاب
 الآخرة فيرتفع عما حصل له من زوال الخوف (والذين كذبوا بآياتنا) التي يجي بها رسولنا
 (واستكبروا عنها) أي امتنعوا من قبولها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يعوتون ولا
 يخرجون اما الفاسق من أهل الصلاة فلا يبقى مخلدا في النار لانه ليس موصوفا بذلك التكذيب والاستكبار
 (فمن أظلم) أي أعظم ظلما (من افترى على الله كذبا) أي كاثبات الشريك والولد اليه تعالى واطافة
 الاحكام الباطلة اليه تعالى (أو كذب بآياته) كانكار كون القرآن كتابا نازلا من عند الله تعالى
 وانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك ينالهم) في الدنيا (نصيبهم من الكتاب) أي عما كتب
 لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) أي ملك الموت وأعوانه (يتوفونهم) أي حال
 كونهم قابضين ارواحهم (قالوا) لهم (ايها كنتم تدعون من دون الله) أي أين الآلهة التي كنتم
 تعبدها في الدنيا ادعوها لتدفع عنكم ما نزل بكم (قالوا ضلوا) أي غابوا (عنا) أي لا ندري
 مكانهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أي وأقر واعند الموت بأنهم كانوا في الدنيا عابدين لما
 لا يستحق العبادة أصلا ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين لانه من طوائف
 مختلفة أوفى أوقات مختلفة (قال) تعالى يوم القيامة (ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم من الجن
 والانس في النار) أي ادخلوا في النار فيمابين الامم الكافرين الذين تقدم زمانهم زمانكم من هذين
 النوعين (كلما دخلت أمة) أي أكل دين في النار (لعنت أختها) في الدين وهي التي تلبست بذلك
 الدين قبلها فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين
 والمجوس المجوس (حتى اذا داركوا) أي اجتمعوا (فيها) أي النار (جميعا) وادرك بعضهم
 بعضا واستقر معه (قالت أئراهم لأولاهم) أي قال آخر كل أمة لأولها (ربنا هؤلاء) أي الاولون
 (أضلونا) عن دينك باخفاء الدلائل الباطلة (فأتهم عذابا ضعفا من النار) أي عذبهم مثل عذابنا
 مرتين (قال) تعالى لهم (لكل) منهم ومنكم (ضعف) فكل ألم يحصل له يعقبه ألم آخر الى غير
 نهاية فالآلام متزايدة من غير نهاية اما القادة فلكفرهم واضلالهم واما الاتباع فلكفرهم وتقليد هم
 (ولكن لا تعلمون) قرأه أبو بكر عن حاصم بالغيبة أي ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب للفريق الآخر

والباقون بالتأه على الخطاب ولكن لا تعلمون أيها السائلون ما السكل فريق منكم من العذاب أو المعنى
ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك (وقالت أولاهم لا خراهم) مخاطبة لها حين سمعوا جواب
الله تعالى لهم (فما كان لكم علينا من فضل) في الدنيا أي أنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق
العذاب لأنكم كفرتم اختياراً لا أنا حملناكم على الكفر أجباراً فلا يكون عذابنا ضعفاً (فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون) أي تقولون وتعملون في الدنيا وهذا يحتمل أن يكون من كلام القادة للاتباع وأن
يكون من قول الله تعالى للجميع (إن الذين كذبوا بآياتنا) أي بالدلائل الدالة على أصول الدين
(واستكبروا عنها) أي ترفعوا عن الإيمان بها (لا تفتح لهم أبواب السماء) أي لا تفتح لأعمالهم ولا
لديعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله ولا رواحهم (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) أي
كما يستحيل دخول الذئب من الأبل في خرق الأبرة يستحيل دخول الكفار الجنة ويقال حتى يدخل القلس
الغليظ وهو الجمل الذي تشد به السفينة في خرق الأبرة وكل ثقب ضيق فهو سم (وكذلك نجزي المجرمين)
أي ونجزي المشركين جزاء مثل جزاء المكذبين المستكبرين من عدم فتح أبواب السماء وعدم دخولهم
الجنة وانما يدخلون النار بهذه الصفات (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) أي الذين كذبوا
واستكبروا ومن جهنم فراش من تحتهم ومن فوقهم أغطية وهذه الآية أخبار عن احاطة النار بهم من كل
جانب فلم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف (تنبيه) تنوين غواش عوض من الياء المحذوفة على
الفتح فان الأعرال بال حذف مقدم على منع الصرف فأصله غواش بتنوين الصرف فاستثقلت الضمة على
الياء فحذفت فاجتمع ساكن الياء والتنوين فحذفت الياء ثم لوحظ كونه على صيغة مفاعل في الأصل
فحذف تنوين الصرف خفيف من رجوع الياء فيحصل الثقل فأتى بالتنوين عوضاً عنها فغواش المتنون
ممنوع من الصرف لأن تنوينه تنوين عوض كما علمت وتنوين الصرف قد حذف وانما كان الراجح تقديم
الأعرال لأن سببه ظاهر وهو الثقل وسبب منع الصرف خفي وهو شبهة الفعل (وكذلك نجزي الظالمين)
أي كالجزاء المذكور للمكذبين المستكبرين نجزي الكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات
"نكف نفوساً لا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أي والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا
بما جاءهم به من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا تكلف نفوساً
الأميسهل محلها من الأعمال وما يدخل في قدرتها ولا ضيق فيه عليها وقوله تعالى لا تكلف نفوساً لا وسعها
اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لأنه من جنس ما قبله فانه بيان أن ذلك العمل
غير خارج عن قدرتهم وتقييمه على أن الجنة مع عظم قدرها يتوصل إليها بالعمل السهل من غير تحمل
الصعب (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي صفيناً طباعهم من الأحقاد التي كانت لبعضهم على
بعض في دار الدنيا ودرجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقصان فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم
حتى أن صاحب الدرجة النازلة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة (تجزي من تحتهم الأنهار) أي تجزي
في الآخرة من تحت سرورهم أنهار الخمر والماء والعسل واللبن زيادة في لذتهم وسرورهم (وقالوا) إذا
بلغوا إلى منازلهم أو إلى عين الحيوان (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي للعمل الذي نوابه هذا المنزل
وهذه العين التي تجزي من تحتنا (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) أي لولا هداية الله لنا وجوده
ما هتدينا إلى الإيمان والعمل الصالح قرأ ابن عامر ما كنا بغيره واو كافي مصاحف أهل الشام وذلك لأنه

جار مجرى التفسير لقوله هذان هذا فلما كان أحدهما عين الآخر وجب حذف الحرف العاطف (لقد
 جاءت رسل ربنا بالحق) هذا أقسام من أهل الجنة قالوا ذلك حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا تبجيها
 بما نالوه أى والله لقد جاءت رسل ربنا فى الدنيا بالحق أى ما أخبرونا به فى الدنيا من الثواب صدق فقد حصل
 لنا عيانا (ونودوا) أى نادتهم الملائكة عند رؤيتهم الجنة من مكان بعيد (أن تلسم الجنة) أى تلك
 الجنة التى وعدتكم الرسل بها فى الدنيا فان مفسرة لما فى النداء وكذا فى سائر المواضع الخمسة (أورثتموها
 بما كنتم تعملون) أى أعطيتكموها بسبب أعمالكم الصالحة فى الدنيا فالجنة ومنازلها لا تنال الا برحمة
 الله تعالى فاذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته إذا عملهم رحمة منه لهم وتفضل منه
 عليهم (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تبجيها بحالهم وتنديها لأصحاب النار وذلك بعد استقرارهم
 فى محالهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) على السنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وعلى
 طاعته (حقا فهل وجدتم) يا أهل النار (ما وعد ربكم) من العذاب على الكفر (حقا قالوا) أى
 أهل النار مجيبين لأهل الجنة (نعم) قرأ الكسافى نعم بكسر العين فى كل القرآن (فأذن مؤذن)
 قيل هو اسرافيل وقيل جبريل (بينهم) أى نادى مناد أسمع الغريفيين (أن لعنة الله على الظالمين
 الذين يصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس من قبول الدين الحق تارة بالزجر والقهر وأخرى بسائر
 الخيل قرأ نافع وأبو عمرو وطاسم أن لعنة بتخفيف الـ ورفع لعنة والباقون بالتشديد وبال نصب
 (ويبلغونها عوجا) أى يطلبون السبيل معوجة بالقاء الشكوك فى دلائل الدين الحق (وهم بالآخرة)
 أى بالبعث بعد الموت (كافرون) أى جاحدون (وبينهما) أى بين الجنة والنار أو بين أهلها
 (حجاب) أى سور (وعلى الاعراف) أى أعالي ذلك السور المضروب بين الجنة والنار (رجال) قيل
 هم قوم أستوت حسناهم وسيئاتهم وقيل هم قوم قتلوا فى سبيل الله وهم عصاة لا بائسهم وقيل هم قوم كان
 فيهم عجب وقيل هم قوم كان عليهم دين فهذه الاقوال تدل على أن أصحاب الاعراف أقوام يكونون فى الدرجة
 النازلة من أهل الثواب وقيل انهم الاشراف من أهل الثواب قيل انهم الانبياء وانما أجلسهم الله على
 ذلك المكان العالى تميزا لهم على سائر أهل القيامة وقيل انهم الشهداء وهم شهداء الله على أهل الايمان
 والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية فهم يعرفون أن أهل الثواب وصلوا الى الدرجات وأهل العقاب وصلوا
 الى الدرجات كما قال تعالى (يعرفون كلا) من أهل الجنة وأهل النار زيادة على معرفتهم بكونهم فى
 الجنة وكونهم فى النار (بسيماهم) أى بعلامتهم التى أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده وقيل
 ان أصحاب الاعراف كانوا يعرفون المؤمنين فى الدنيا بظهور علامات الايمان والطاعات عليهم ويعرفون
 الكافرين فى الدنيا أيضا بظهور علامات الكفر والفسق عليهم فاذا شاهدوا أولئك الاقوام فى محفل
 القيامة ميزوا البعض عن البعض بتلك العلامات التى شاهدوها عليهم فى الدنيا (ونادوا) أى رجال
 الاعراف (أصحاب الجنة) أى حين رأوهم (أن سلام عليكم) يا أهل الجنة وهذا بطريق التحية
 والدعاء أو بطريق الاخبار بنجاتهم من المكارة (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا (وهم يطمعون)
 حال من فاعل يدخلوها أى لم يدخل رجال الاعراف الجنة وهم فى وقت عدم الدخول طامعون وقيل قونه لم
 يدخلوها مستأنف لانه جواب سؤال سائل عن رجال الاعراف فقال ما صنع بهم فقيل لم يدخلوها ولكنهم
 يطمعون فى دخولها وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون
 لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم والمراد من هذا الطمع طمع يقين أى

وهم يعلمون انهم سيدخلو الجنة (واذا صرفت ابصارهم) أى رجال الاعراف بغير قصد (تلقا أصحاب النار) أى الى جهنم (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أى كلما وقعت ابصار أصحاب الاعراف على أهل النار تضرعوا الى الله تعالى فى أن لا يجعلهم من زمرةهم والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف عن التقليد الردى (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) كانوا عظماء فى الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم قالوا) أى أصحاب الاعراف لهم وهم فى النار يا وليد بن المغيرة ويا أباجهل بن هشام ويا أمية بن خلف ويا ابن خناب الجمعى ويا أسود بن عبد المطلب وياساثر الرزساء (ما أغنى عنكم جمعكم) أى أى شئ دفع عنكم جمعكم فى الدنيا من المال والخدم والاتباع (وما كنتم تستكبرون) عن قبول الحق وعلى الناس المحققين وقرئ تستكثرون أى من الاموال والجنود ثم زادوا على هذا التبكيب بقولهم (أهولاء) الضعفاء الذين عذبتموهم فى الدنيا كصهيب وبلال وسلمان وخباب وعمار وأشباهم (الذين أقسمتم) أى حلفتم فى الدنيا يا معشر الكفار (لا ينالهم الله برحمة) أى لا يدخلهم الله الجنة وقد دخلوا الجنة على رغم أنوفكم وقد قيل للذين أقسمتم على عدم دخولهم الجنة (ادخلوا الجنة) بفضل الله فهذا من بقية كلام أصحاب الاعراف فهو خبر ثان عن اسم الإشارة أى أهولاء قد قيل لهم ادخلوا الجنة فظهر كذبكم فى أقسامكم ويدل على ذلك قراءة ثان شاذتان ادخلوا بالبناء للفعل ودخلوا وعلى هاتين القراءةين تقع هذه الجملة خبرا والتقدير دخلوا الجنة مقولا فى حقهم (لا خوف عليكم) من العذاب (ولا أنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف لما قالوا لاهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار ان دخل هؤلاء فأنتم لم تدخلوا الجنة فلما عيروهم بذلك قيل لاهل الاعراف ادخلوا الجنة وقيل يقال لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة الخ بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وقالوا لهم ما قالوا وعلى هذا فالمراد بأصحاب الاعراف المقصرون فى العمل (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا) أى ألقوا (علينا من الماء أو عارزكم الله) من ثمار الجنة وهذا الكلام يدل على حصول العطش الشديد والجوع الشديد لهم وعن أبى الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد عذابهم فيستغيثون فيغيثون بضريح لا يسمعون ولا يغنى عن جوع ثم يستغيثون فيغيثون بطعام ذى غصة ثم يذكرون الشراب ويستغيثون فيدفع اليهم الحميم والصد يدق قطع ما فى بطونهم ويستغيثون الى أهل الجنة كما فى هذه الآية ويقولون لملك ليقتض علينا ربك فيجيئهم بعد ألف عام ويقولون ربنا أخرجنا منها فيجيئهم بقوله تعالى اخسوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يبأسون من كل خير ويأخذون فى الزفير والشهيق (قالوا) أى أهل الجنة (ان الله حرمهما على الكافرين) أى منعهم من طعام الجنة وشرابها قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار بالفرج بعد اليأس فقالوا يا رب ان لنا قرايات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراياتهم فى الجنة وما هم فيه من النعم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة الى قراياتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فتنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادى الرجل أياه وأخاه فيقول يا أبى ويا أخى قد احترقت بشدة حرجهم أفض على من الماء فيقال لهم أجيئوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين (الذين اتخذوا دينهم هوا) أى باطلا (ولعبا) أى فرحا فاللهو صرف لهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا) أى شغلهم بالطمع فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه ونيل الشهوات (فاليوم) أى

يوم القيامة (ننساهم كمنسوا لقاء يومهم هذا) أى نتركهم فى عذابهم تركا مثل تركهم العمل للقاء يومهم هذا أو المعنى نعاملهم معاملة من نسي فنتركهم فى النار لانهم أعرضوا بآياتنا والمراد من هذا النسيان انه تعالى لا يجب دعاءهم ولا يرحمهم (وما كانوا بآياتنا يجحدون) أى ولو كانوا من منكرين بآياتنا انهم من عندنا وذلك يدل على ان حب الدنيا مبدأ كل آفة وقد يؤدى الى الضلال والكفر (ولقد جئناهم) أى هؤلاء الكفار (بكتاب) أى بقرآن أنزلناه عليك يا أكرم الرسل (فصلناه على علم) أى ميزناه مشتملا على علم كثير وفصل كثير مختلف وقد نظم بعضهم الانواع التسعة فى قوله حلال حرام محكم متشابه * بشير نذير قصة عظيمة مثل

وقرأ الجحدري وابن محيص بالضاد المجهمة أى فصلناه على غيره من الكتب السماوية عالين بفضلهم (هدى ورحمة) أى هاديا من الضلالة الى الرشاد ودار رحمة (لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون الا تأويله) أى ما ينتظر أهل مكة اذ لا يؤمنون الا عاقبة ما وعدوا به فى القرآن من حلول العذاب بهم يوم القيامة (يوم يأتى تأويله) أى يوم يأتى عاقبة ما وعدهم فى القرآن وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه) أى أعرضوا عنه (من قبل) أى من قبل اتيان ما يؤول اليه أمره وهو صدقه بما أخبر به والمعنى ان هؤلاء الذين تركوا الايمان بالقرآن فى الدنيا يقولون يوم القيامة (قد جاءت رسل ربنا بالحق) وكذبناهم أى انهم أقروا يوم القيامة بان ما جاءت به الرسل من ثبوت البعث والنشور والحشر والقيامة والثواب والعقاب كل ذلك كان حقا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) من العذاب اليوم (أونزد) الى الدنيا (فنعمل غير الذى كنا نعمل) أى لما رأوا أنفسهم فى العذاب قالوا لا طريق لنا الى الخلاص عما نحن فيه من العذاب الشديد الا أحد هذين الأمرين وهو أن يشفع لنا شفيع فلا تجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب أو ان يردنا الله تعالى الى الدنيا حتى نوحده الله تعالى بدلا عن الكفر ونطيعه بدلا عن المعصية وقرئ شاذا بنصب نردا ما عطفنا على يشفعوا والمسؤول أن يكون لهم شفعاء لاحدين الأمرين اما الدفع العذاب أو الرد الى الدنيا واما بناء على ان أو بمعنى الى أى فالمطلوب أن يكون لهم شفعاء للرد الى الدنيا فقط وقرئ شاذة برفع فنعمل أى فنحن نعمل فى الدنيا غير ما كنا نعمل فيها (قد خسروا أنفسهم) بذهاب الجنة ولزوم النار (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى وذهب عنهم دعوى نفع الشريك فانهم كانوا يدعون ان الاصنام التى كانوا يعبدونها شركاء الله تعالى وشفعاؤهم عنده يوم القيامة (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) والمقصود من هذا الكلام انه تعالى وان كان قادرا على ايجاد جميع الاشياء دفعة واحدة لكنه جعل لكل شئ حدا محددا ووقتا مقدرافلا يدخله فى الوجود الا على ذلك الوجه فهو تعالى وان كان قادرا على ايصال الثواب الى المطيعين فى الحال وعلى ايصال العقاب الى المذنبين فى الحال الا انه يؤخرهما الى أجل معلوم مقدر فهذا التأخير ليس لاجل انه تعالى أهمل العباد بل لانه تعالى خص كل شئ بوقت معين لسابق مشيئته وهذا معنى قول المفسرين من انه تعالى انما خلق العالم فى ستة أيام ليعلم عباده الرفق فى الامور والصبر فيها ولا لاجل ان لا يحمل المكلف تأخر الثواب والعقاب على ترك العمل (ثم استوى على العرش) أى حصل له تعالى تدبير المخلوقات على ما أراد أى بعد ان خلق السموات والارض استوى على عرش الملك والجلال وصح ان يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض بمعنى انه انما ظهر تصرفه فى هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلق السموات والارض وذلك لان العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك

يقال ثل عرش السلطان أى انتقض ملكه وفسدواذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه هذا ما قاله القفال ونظيره هذا قولهم للرجل الطويل فلان طویل الجباد وللرجل الذى يكثر الضيافة فلان كثير الرماد وللرجل الشيخ فلان اشتعل رأسه شيئا وليس المراد فى شئ من هذه الالفاظ احوالها على ظواهرها وانما المراد منها تعريفا المقصود على سبيل السكينة فكذلك هنا فالمراد بكرا الاستمرار على العرش هو نفاذ القدرة وجرى ان المشيئة والواجب علينا ان نقطع بكونه تعالى منزها عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل هذه الآية على التفصيل بل نقوض علمها الى الله تعالى (يغشى الليل النهار) أى يأتى بالليل على النهار فيغطيه واللفظ يحتمل العكس أيضا وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وطاسم فى رواية حفص يغشى بتخفيف الشين وهكذا فى الرعد وقرأ حمزة والكسائي وطاسم برواية أبى بكر بالتشديد وكذا فى الرعد وقرأ حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح ياء يغشى ونصب الليل ورفع النهار أى يدرك النهار الليل (يطلبه حثيثا) أى يطلب كل من الليل والنهار الآخر طلبا سريعا فأخبر الله تعالى بما فى تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمة والفوائد الجليلة فان بتعاقبهما يتم أمر الحياة وتكمل المنفعة والمصلحة (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أى مذللات لطلوع وغروب ومسيرة رجوع بأذنه وقرأ ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء والخبر والباقيون بنصب الثلاثة عطفًا على السموات ونصب مسخرات على الحال من هذه الثلاثة (ألا اله الخلق) أى المخلوقات (والأمر) أى التصرف فى الكائنات وفى هذه الآية رد على من يقول من أهل الضلال ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرات فى هذا العالم (تبارك الله رب العالمين) أى كثر خير الله مالا العالمين وتعالى بالوحدانية فى الألوهية (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أى متذللين ومسررين والتضرع اظهار ذل النفس قال الشيخ محمد بن عيسى الحكيم الترمذى ان كان خائفا على نفسه من الرب يافى فالأولى اخفاء العمل صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ فى الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار آمنا عن شائبة الرياء كان الأولى فى حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به (انه لا يحب المعتدين) أى المجاوزين بترك هذين الأمرين التضرع والاختفاء أى انه تعالى لا يشبه البتة ولا يحسن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا فى الارض) أى كفساد النفوس بالقتل وقطع الاعضاء وافساد الاموال بنحو الغصب وافساد الأديان بالكفر والبدعة وافساد الانساب بسبب الاقدام على نحو الزنا وبسبب القذف وافساد العقول بنحو تناول المسكرات (بعد اصلاحها) بسبب ارسال الانبياء وازال الكتب وقيل بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر والخصب فان الله تعالى يسل المطر ويهلك الحرث بعاصيكم (وادعوه خوفا وطمعا) أى ذوى خوف نظر الى قصور أعمالكم وعدم استحقاقكم مطلوبكم وذوى طمع نظر الى سعة رحمته وفور فضله واحسانه وهذه الآية بيان فائدة الدعاء ومنفعته ففائدة الدعاء أحد هذين الأمرين أما الآية الأولى فهى بيان شرط صحة الدعاء وهى لا بد أن يكون الدعاء مقرونا بالتضرع وبالاخفاء والداعى لا يكون داعيا الا اذا كان خائفا من وقوع التقصير فى بعض الشرائط المعسرة فى قبول ذلك الدعاء موطا معافى حصول تلك الشرائط بأسرها ومعنى قوله تعالى خوفا وطمعا أى حال كونكم جامعين فى نفوسكم بين الخوف والرجاء فى كل أعمالكم فلا تقطعوا انكم أدبتم حق ربكم وان اجتهدتم (ان رحمة الله قريب من المحسنين) بالقول والفعل ومن

الاحسان ان يكون الدعاء مقرونا بالخوف والطمع وكل من حصل له الاقرار والمعرفة كان من المحسنين
 كالصبي اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر وكصاحب
 الكبيرة من أهل الصلاة (وهو الذي يرسل الرياح بشرابين يدي رحمة) أي قدام المطر قرأ ابن كثير
 وحزرة والكسائي الريح على لفظ الواحد والباقون الرياح على الجمع قرأ عاصم بشرابضم الباء الموحدة
 وسكون الشين جمع بشر أي مبشرات وقرئ بفتح الباء بمعنى باشرات وقرأ حمزة والكسائي نشر بالنون
 المفتوحة وبسكون الشين بمعنى ناشرة للسحاب أو بمعنى منشورة فكان الرياح كانت مطوية فأرسلها الله
 منشورة بعد انطوائها وهي كناية عن اتساعها وقرأ ابن طامر بضم النون واسكان الشين وقرأ الباقر بضم
 النون والشين جمع نشور مثل رسل ورسول أي مفرقة من كل جانب أو طيبة ليننة تنشر السحاب والريح
 هواء متحرك ينة ويسرقوه أي أربعة الصبا وهي الشرقية فتحرك السحاب والدبور وهي الغربية تفرقه
 والشمال التي تهب من تحت القطب الشمالي تجمعها والجنوب وهي التي تكثر ارسال المطر وعن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلك عادي بالدبور والجنوب من ريح الجنة (حتى اذا أقلت
 سحابا ثقالا) أي حتى اذا رفعت هذه الرياح سحابا ثقيلا بالماء (سقناه) أي السحاب (البلد ميت)
 أي الى مكان لا نبات فيه لعدم الماء (فأنزلناه) أي في ذلك البلد (الماء فأخرجناه) أي بذلك الماء
 أو في ذلك البلد (من كل الثمرات) فأنزل الله تعالى انما يخلق الثمرات بواسطة الماء وقال أكثر المتكلمين
 ان الثمار غير متولدة من الماء بل الله تعالى اخرج عادته بخلق النبات ابتداء عقب اختلاط الماء بالتراب
 (كذلك يخرج الموتى) أي كما يخلق الله النبات بواسطة الامطار فكذلك يحيي الله الموتى بواسطة مطر ينزله
 على تلك الاجسام الرمية وروى انه تعالى يعطر على اجساد الموتى فيما بين النفختين مطرا كالمني أربعين
 يوما وانهم يصرون عند ذلك أحياء وقيل المعنى انه تعالى كما أحيى هذا البلد بعد خرابه فأثبت فيه الشجر
 وجعل فيه الثمر فكذلك يحيي الموتى ويخرجهم من الاجساد بعد ان كانوا أمواتا والمقصود من هذا
 الكلام اقامة الدلالة على ان البعث والقيامة حق (لعلكم تذكرون) أي لكي تعتبروا أيها المنكرون
 للبعث وتذكروا ان القادر على احياء هذه الارض بالاشجار المزينة بالازهار والثمار بعد موتها قادر
 على ان يحيي الاجساد بعد موتها (والبلد الطيب) أي المكان الذي ليس بسجنة (يخرج نباته باذن
 ربه) أي بإرادة ربه وتيسيره كذلك المؤمن يؤدي ما أمر الله طوعا بطيبة النفس (والذي خبت) أي
 المكان السجنة (لا يخرج) أي نباته (الانكدار) أي يتعب وكذلك المنافق لا يؤدي ما أمر الله
 الا كرها بغير طيبة النفس وقيل المراد ان الارض السجنة يقل نفعها ومع ذلك ان صاحبها لا يتركها بل
 يتعب نفسه في اصلاحها طمعاً منه في تحصيل ما يليق به من المنفعة فالطلب للنفع العظيم في الدار الآخرة
 بالمشقة في أداء الطاعات أولى من طلب هذا النفع اليسير بالمشقة العظيمة (كذلك) أي مثل ذلك
 التصريف (نصرف الآيات) أي نكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله تعالى في تفكرون فيها (لقد
 ارسلنا نوحا الى قومه) واسم نوح عبد الغفار وهو ابن لمكان متوشلخ بن أخنوخ وسمى نوحا مالدعوت
 على قومه بالهلاك أو لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان أولاده من بكتب مجذوم فقال له اخساي قبيح فأوحى
 الله اليه اعبتني أم عبت الكلب فكثر نوح على نفسه لذلك (فقال يا قوم اعبدوا الله) أي اعبدوه وحده
 (ما لكم من الله) أي من مستحق للعبادة (غيره) قرأ الكسائي بالجر على انه نعت لاله باعتبار لفظه
 والباقون بالرفع صفة له باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية وقرئ بالنصب على الاستثناء

يعني مالكم من اله الا اياه (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أي اني أعلم ان العذاب ينزل بكم اما في الدنيا أو في الآخرة ان لم يقبلوا ذلك الدين (قال الملا من قومه) أي قال الكبراء الذين جعلوا أنفسهم أعداء الانبياء (انا نراك) يانوح (في ضلال مبين) في المسائل الاربع وهي التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد (قال يا قوم ليس بي ضلالة) أي ليس بي نوع من أنواع الضلالة البتة (ولكني رسول اليكم) (من رب العالمين) أبلغكم رسالاتي (قرأ أبو عمرو وبسكون الباء) (وأصح لکم) فتبليغ الرسالة هو ان يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه والنصيحة هي ان يرغبهم في الطاعات ويحذرهم عن المعاصي بأبلغ الوجوه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي انكم ان عصيتم أمره عاقبكم في الدنيا بالطوفان وفي الآخرة بعقاب شديد خارج عما تتصوره عقولهم (أو عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم) أي أأستبعدتم وعجبتم من ان جاءكم وحى من مالك أموركم على لسان رجل من جنسكم أي فانهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لينذركم) أي لاجل ان يخوفكم عاقبة الكفر والمعاصي (ولتتقوا) عبادة غير الله (ولعلكم ترحمون) أي ولكي ترحموا فلا تعذبوا وهذا الترتيب في غاية الحسن فان المقصود من البعثة الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود من التقوى الفوز بالرحمة في دار الآخرة (فكذبوه) أي نوحاني ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف من الله وأصروا على ذلك التكذيب تلك المدة المتطاولة (فانجيناها والذين معه في الفلك) من الغرق والعذاب وكان من محبوبه في الفلك أربعين رجلا وأربعين امرأة ترى ان نوحا عليه السلام صنع السفينة بنفسه في عامين وكان طولها ثلاث مائة ذراع وعرضها خمسين وسماكتها ثلاثين وجعل لها ثلاث بطون تحمل في أسفلها الدواب والوحوش وفي وسطها الانس وفي أعلاها الطيور وركبها في عاشر رجب ونزل منها في عاشر المحرم (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي برسولنا نوح بالطوفان (انهم كانوا قواهم) عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد (والى عاد أخاهم) أي وأرسلنا الى عاد الاولى واحدا منهم في النسب لافي الدين (هودا) أما عاد الثانية وهم ثمود فقوم صالح وبينهم مائة سنة (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره أفلا تتقون) أي أتغفلون فلا تتقون عذاب الله تعالى فانكم تعرفون ان قوم نوح لما لم يتقوا الله ولم يطيعوه نزل بهم ذلك العذاب الذي اشتهر خبره في الدنيا (قال الملا) أي الرؤساء (الذين كفروا من قومه) وانما قال هنا الذين كفروا من قومه لان الملا من قوم هود كان فيهم من آمن ومن كفر فمن آمن منهم مرثدين أسعد أسلم وكان يكتم ايمانه بخلاف الملا من قوم نوح فكلمهم أجمعوا على ذلك الجواب فلم يكن أحدا منهم مؤمنا في أول دعائهم الى الايمان (انا نراك في سفاهة) أي انا نتيقنك يا هود متمكنا في خفة عقل حيث فارقت دين آبائك فان هود انما هم عن عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل (وانا لنظنك من الكاذبين) في ادعاء الرسالة (قال يا قوم ليس بي سفاهة) أي ليس بي شيء مما تنسبون لي اليه (ولكني رسول من رب العالمين) أي فانه في غاية من الرشد والصدق (أبلغكم رسالاتي) بالامر والنهي (وأنا لكم ناصح) أي أحذركم من عذاب الله وادعوكم الى الايمان والتوبة (أمين) أي موثوق على رسالة ربي وهذا رد لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين فكان هودا قال لهم كذبت قبل هذه الدعوى أمينا فيكم ما وجدتمني غسدا ولا مكرارا ولا كذبا واعترفتم لي بكوني أمينا فكيف تستبقوني الآن الى الكذب (أو عجبتم ان جاءكم ذكر) أي أكذبتم وعجبتم من ان جاءكم نبوة (من ربكم على رجل منكم) أي

على لسان آدمي مثلكم (لينذركم) أي ليحذركم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي (واذكروا
 اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) بأن أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وما يتصل بها من المنافع
 والمصالح أو جعلكم ملوكا في الأرض فان شدا بن عاد عن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى شجر
 عمان (وزادكم في الخلق) أي في الناس (بسطة) وهي مقدار ما تبلغه يد الإنسان ففضلوا على أهل
 زمانهم بهذا القدر أو المراد أنهم متشاركون في القوة والشدة ولأن بعضهم يكون ناصر للبعض الآخر وزال
 العداوة والخصومة من بينهم فلما خصهم الله تعالى بهذه الأنواع فصيح ان يقال انهم زادوا في الخلق بسطة
 قرأ نافع والبرزى وشعبة والكسائي بالصاد وأبو عمرو وهشام وقتيل وحفص وخلف بالسین وابن ذكوان
 وخلاجهما (فأذكروا آلاء الله) أي نعماء الله عليكم واعملوا عملا يليق بتلك الانعامات (لعلكم
 تفلحون) أي لكي تنجحوا من الكروب وتغوزوا بالمطلوب (قالوا) مجيبين عن تلك النصائح العظيمة
 (أجئتنا) يهود (لنعبد الله وحده) أي لنخصه بالعبادة (ونذر) أي نترك (ما كان يعبد آباؤنا)
 من الاصنام (فأتنا بآياتنا) أي بما تهددنا من العذاب بقولك أفلاتتقون (ان كنت من الصادقين)
 في أخبارك بنزول العذاب وغرضهم بذلك القول اذ الم يأتهم هو بذلك العذاب ظهر للقوم كونه كاذبا
 (قال) أي هو (قد وقع عليكم من ربكم رجس) أي رين على قلوبكم عقوبة منه لكم بالخذلان لآل فكم
 الكفر (وغضب) أي عذاب (أتجادلونني في أسماء) عارية عن المسمى (سهيتموها) أي سميت بها
 (أنتم وآباؤكم) أصناما فانهم سمو الاصنام بالالهة مع ان معنى الالهية فيها معدوم (ما نزل الله بها)
 أي بعبادتها (من سلطان) أي برهان لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد لكل وان الاصنام
 لو استحققت العبادة كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية أو نصب دليل وقوله تعالى ما نزل الله بها
 من سلطان عبارة عن خلوص ما ذهبهم عن المحجة والبينة (فانتظروا) ما يحصل لكم من عبادة هذه الاصنام
 وهو ما تطلبونه بقولكم فأتنا بآياتنا (اني معكم من المنتظرين) لما يحصل بكم (فأتجيبناهم) أي هوذا
 (والذين معه) في الدين (برحمة) عظيمة (منا) أي من جهةتنا (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا)
 أي استأصلنا الذين كذبوا برسولنا هود (وما كانوا مؤمنين) أي ما أبقينا أحدا من الذين لا يؤمنون
 فلو علم الله انهم سيؤمنون لابقاهم وقصتهم ان عاد اقوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد
 ما بين عمان إلى حضرموت وكانت لهم أصنام ثلاثة يعبدونها سموا أحدها صهودا والآخر صداء والآخر هباء
 فبعث الله تعالى اليهم هودا وكان من أفضلهم حسبا فكذبوه فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى
 جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلا طلبوا من الله الفرج عند البيت الحرام وأهل مكة اذ ذاك العماليق
 أولاد عمليق بن لاوذين سام بن نوح عليه السلام وسيدهم معار ية بن بكر فلما توجهوا إلى البيت الحرام
 وهم سبعون رجلا من أمثالهم منهم قيل بن عتزو مرثدين سعد نزلوا على معار ية بن بكر وهو بظاهرة مكة
 خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
 قيتنا معار ية اسم احدهما ورده والاخرى جرادة فلما رأى معار ية ذهولهم باللهو عما قدموا له أحرزه ذلك وقال
 قد هلك أخوالي وأصهارى واستحي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك لاقينتين
 فقالتا قل شعرا تغنيهم به لا يدرون من قاله وهو قول هؤلاء الثلاثة

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسفيننا نحماما
 فيسقى أرض عادان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس ترجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
ومعنى فهينم أى أخف الدعاء والغمام هنا المطر فلما غنتابه زعجهم ذلك وقالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء
الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم من ثدين سعدوا لله لا تسقون
بدعائكم ولكم ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقاكم وأظهروا سلامه فقالوا المعارفة احبس عنا
مرثدا لا يقدم من معناه كنه فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا
ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى محاببات ثلاث بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قبيلا
اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عادم من واد لهم يسهي وادى
المغيث فاستبشر وابها وقالوا هذا عارض عطرنا لجاهتهم منهار يجمع عقيم وهي باردة ذات صوت شديد لا مطر
فيها وكانت ابتداء محبتها في صبيحة الاربعاء في الحادى والعشرين من شوال في آخر الشتاء وخرجت عليهم
سبع ليال وثمانية أيام فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا وروى
عن على رضى الله عنه ان قبر هود بحضر موت في كتيب أحمر (والى ثمود أخاهم) أى وأرسلنا الى ثمود
أخاهم فى النسب لافى الدين (صالحا) وثمرود قبيلة أخرى من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن
غابر بن ارم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الجربين الحجاز والشام الى واد القرى (قال يا قوم اعبدوا
الله) وحده (مالككم من اله غيره قد جاءكم بينة) أى شهادة بنبوتى وهى الناقة (من ربكم) خلقها
بلا واسطة (هذه ناقة الله لكم آية) أى علامة على رسالة الله وإضافة الناقة الى الله لتعظيمها وتخصيصها
كما يقال بيت الله أولانها لا مالك لها غير الله أولانها حجة الله على القوم ووجه كونها آية لحر وجها من
الجبل لا من ذكر وأنثى ولكمال خلقها من غير تدريج وناقة الله عطف بيان لهذه أو مبتدأ ثان ولكم
خبر عامل فى آية فى نصبها على الحال ويجوز أن يكون عامل الحال معنى التنبيه أو معنى الإشارة وجملة
قوله هذه ناقة الله لكم آية فى محل رفع بدل من قوله بينة لانها مفسرة وجازا بدل جملة من مفرد لانها فى
معناه (فذروها) أى فازكوها (تأكل فى أرض الله) فى الحجاز أى الناقة ناقة الله والأرض أرض
الله فآثر كوها تأكل فى أرض ربها مائتا كل فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها فليست الأرض لكم ولا ما
فيها من النبات من أنباتكم (ولا تمسوها بسوء) أى ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوا منها شيئا من
أنواع الأذى كراما لآية الله تعالى (فياخذكم عذاب أليم) أى بسبب أذاها (واذكروا جعلكم
خلفاء من بعد عاد) أى فلما أهلك الله عاد أمر ثمود ببلادها وخلقوهم فى الأرض وكثروا وعمروا اعمارا
طوالا (وبوأكم فى الأرض) أى أنزلكم فى أرض الجربين الحجاز والشام (تخذون من سهولها
قصورا) أى تبنيون من سهولة الأرض قصورا بماتع ملون منها من الرص واللبن والآجر للصيف
وسميت القصور بذلك لقصور الفقراء عن تحصيلها وجسمهم عن نبيلها (وتختون الجبال بيوتا) أى
وتنقبون فى الجبال بيوتا للشتاء وذلك لطول أعمارهم فان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء
أعمارهم فكان عمر واحد منهم ثلاث مائة سنة الى ألف سنة كقوم هود (فأذكروا آلاء الله) أى
نعمة الله عليكم بعقولكم فانكم متنعمون مترفون (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) أى ولا تعملوا فى
الأرض شيئا من أنواع الفساد (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم) أى
قال الجماعة الذين تكبروا عن الايمان بصالح الساكين الذين آمنوا به فقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من
الموصول باعادة العامل بدل الكل وضمير منهم راجع لقومه أى قالوا للمؤمنين الذين استرذلوهم بطريق

الاستهزاء بهم (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) اليكم (قالوا) انما أرسل به مؤمنون) أي
 نحن مصدقون بما جاء به صالح (قال الذين استكبروا) عن امتثال أمر ربههم وهو الذي أوصله الله
 اليهم على لسان صالح بقوله فذروها تأكل في أرض الله (انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة) أي
 قتلها قد ار بن سالف بأمرهم في يوم الاربعاء فقال لهم صالح ان آية العذاب ان تصبحوا غدا حمرا صفرا
 ثم ان تصبحوا في يوم الجمعة حمرا ثم ان تصبحوا يوم السبت سودا ثم يصبحكم العذاب يوم الاحد (وعتوا عن
 أمر ربههم) أي ارتفعوا فابوا عن قبول أمر ربههم الذي أمرهم صالح (وقالوا) استهزاء (يا صالح اننا نبعث
 تعدنا) أي من العذاب (ان كنت من المرسلين) فانهم كذبوا صالحا في قوله ولا تمسوها بسوء فإخذكم
 عذاب اليم (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء (فأصبحوا في
 دارهم جاثمين) أي فصاروا في بلدهم خامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول
 العذاب من غير اضطراب ولا حركة روى أنه تعالى لما أهلك عادا أقام عهود مقامهم وطال عمرهم وكثر
 تنعمهم ثم عصوا الله وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا وكان منهم فطال به وبالمهجرة فقال ماتريدون
 فقالوا اتخرج معنا في عيدنا ونخرج أصناما فتنسأل الهك ونسأل أصنامنا فاذا ظهر أثر دعائك اتبعناك وان
 ظهر أثر دعائنا اتبعتنا فخرج معهم ودعوا أو ثأنهم فلم تجبهم ثم قال سيديهم جندع بن عمرو ولصالح عليه
 السلام وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لتلك الصخرة كاتبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة
 كبيرة جوفاء وبراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليهم المواثيق أنه ان فعل ذلك آمنوا فقبلاوا
 فصلى ركعتين ودعا الله تعالى فتمحضت تلك الصخرة كما تمحض الحامل ثم انفرجت عن ناقة عشر
 جوفاء وبراء وكانت في غاية الكبر ثم نجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه وأراد
 أشراف عموه أن يؤمنوا به فنهاهم ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أو ثأنهم ورباب بن صمعر كاهنهم فكثرت
 الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترده غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما
 ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تفرج بين رجليها فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أو أنيهم فيشربون ويدخرون
 وكانت اذا وقع الحرتصيفت بظهر الوادي فيهرب منها أنعامهم واذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب
 مواشيهم فشق ذلك عليهم ثم وزيت عقرها لهم امرأتان عنيزة وصدقة لما أضرت به من مواشيهم
 فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فرقى ولدها جبلا مسمى بقارة فرغا ثلثا وقال صالح عليه السلام
 لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفتحت الصخرة بعد رغائه فدخلها
 فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم حمرة واليوم الثالث وجوهكم
 مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فانجاء الله تعالى إلى أرض فلسطين
 ولما كان اليوم الرابع واشتد الضحى تحنطوا بالصبر وتكفوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء
 ورجفة من الأرض فتقطعت قلوبهم وهلكوا (فتولى عنهم) أي خرج صالح من بينهم قبل موتهم
 (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونهت لكم) أي بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن
 لم تقبلوا مني ذلك كما قال (ولكن لا تحبون الناصحين) أي لم تطيعوا الناصحين بل تمروا على عداوتهم
 وروى أن صالحا خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم
 قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار (ولو طأ) أي وأرسلنا الوطأ ابن هارن إلى قومه أي فأرسله الله تعالى
 إلى أهل سدوم وهي بلد حمص (اذ قال لقومه) أي وقت قوله لهم فأرسله اليهم لم يكن في أول وصوله

اليهم) أتأتون الفاحشة) أي أتفعلون اللواط (ما سبقكم بها) أي بهذه الفاحشة (من أحد من
العالمين) قال محمد بن اسحق كانت لهم غمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فأتوهم
فعرض لهم ابليس في صورة شيخ أن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتهم منهم فأبوا فألح عليهم فقصدهم فاصابوا
غلمانا حسنا فاستحكم فيهم ذلك (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أي انكم لتأتون أديبار
الرجال لمجرد الشهوة لا لولد ولا للافعة متجاوزين فروج النساء اللاتي هن محال الاشتباه وقرأنا فاع
وحفص عن عاصم انكم بمزة واحدة مكسورة على الخبر المستأنف وهو بيان لتلك الفاحشة وقرأ ابن
كثير بمزتين بدون ألف بينهما وبتسهيل الثانية وأبو عمر وكذلك لكنه أدخل ألف بينهما وهشام
بتحقيق الهمزتين بينهما مد والباقيون بتحقيق قهما من غير مد بينهما على الأصل وهذا الاستفهام معناه
الانكار (بل أنتم قوم مسرفون) أي مجاوزون الحلال إلى الحرام وأنتم قوم عادتكم الزيادة في كل
عمل (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا) أي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الأشياء في المرة الأخيرة
من مرات المحاورة بينهم وبينهم الا قولهم لبعضهم الآخريين المباشرين لتلك الامور معرضين عن مخاطبة
لوط عليه السلام (أخرجوهم) أي لوطا وابنتيه زعورا وريثا (من قريبتكم) سذوم (انهم أناس
يتطهرون) أي يتزهدون عن أديبار الرجال قالوا ذلك على سبيل السخرية بلوط وأهله وعلى سبيل
الافتخار بما هم فيه (فأنجيناه) أي لوطا (وأهله) وهم بنتاه (الامراته) الكافرة وامنهن واهله
(كانت من الغابرين) أي الباقيين في ديارهم فهلكت في العذاب مع الهالكين فيها لانها تسرا الكفر
مالية لاهل سذوم وأمالوط فخرج مع بنتيه من أرضهم وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجى ووصل إلى
إبراهيم وهو في فلسطين (وأمرنا عليهم مطرا) أي وأرسلنا عليهم امطارا لئلا يفسدوا ما هم عليه
بالكبريت والنار قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها
ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالجحارة وقيل المعنى وأترنا على الحار جين من
المدائن الخمسة حجارة من السماء معللة عليها اسم من يرمى بها وروى أن تاجر منهم كان في الحرم فوقف
الحجر له أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فانظر كيف عاقبة المجرمين) أي
فانظر يا من يتأتى منه النظر كيف أمطر الله حجارة من طين مطبوخ بالنار متتابع في النزول على من
يعمل ذلك العمل المخصوص وكيف أسقط مدائنهم مقلوبة إلى الأرض (والى مدائن أخاهم) أي وأرسلنا
إلى أولاد مدائن ابن إبراهيم عليه السلام أخاهم في النسب لافي الدين (شعيبا) ابن ميكيل وقيل شعيب
ابن ثوب بن مدين بن إبراهيم (قال) لقومه وهم أهل كفر وبخس للكيل والميزان (يا قوم اعبدوا الله)
وحده (مالكم من اله غير قد جاءكم بينة) أي مهيضة (من ربكم) دالة على رسالة الله وعلى صدق
ما جئت به ومن معجزات شعيب أنه دفع عصاه إلى موسى وتلك العصا حاربت التنين وأنه قال لموسى ان
هذه الأغنام تلد ولادافيهاسواد في أوائلها وبياض في أواخرها وقد وهبتهام لك فساكن الامر كما أخبر
عنه وأنه وقع على يد عصا آدم عليه السلام فان جميع ذلك كان قبل استنباء موسى عليه السلام وقيل
ان المراد بالبينه نفس شعيب عليه السلام (فأوفوا الكيل والميزان) أي أتموا كيل المكيل ووزن
الميزان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي ولا تنقصوا حقوق الناس بجميع الوجوه كالغصب والسرقة
وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الاموال بطريق الخيل وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا
الا مكسوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تفسدوا في الأرض) بالعاصي (بعدا صلاحها) بعدا أصلها

الله بتكثير النعم فيها قال ابن عباس كانت الارض قبل أن يبعث الله شعيبا رسولا تعمل فيها المعاصي
 وتستحل فيها المحارم وتسفل فيها الدماء فذلك فسادها فلما بعث الله شعيبا ودعاهم الى الله صلحت الارض
 وكل نبي يبعث الى قومه فهو صلاحهم وحاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى اصلين أحدهما التعظيم
 لامر الله ويدخل فيه الاقرار بالتوحيد والنبوة وثانيهما الشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك الخس
 وترك الفساد (ذلكم) أي هذه الامور الخمسة (خير لكم) مما أنتم فيه في طلب المال لان الناس
 اذا علموا منكم الوفاء والصدق والامانة رغبوا في المعاملات معكم فكثرت أموالكم (ان كنتم مؤمنين)
 أي مصدقين لي في قولي هذا (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أي ولا تجلسوا على كل طريق فيه
 عمر الناس تهددون من مربكم من الغرباء فكانوا قاطع طريق وكانوا مكاسين (وتصدون عن سبيل الله
 من آمن به) أي وتصرفون عن دين الله من آمن بالله (وتبغونها عوجا) أي وتطلبون سبيل الله
 معوجة بالقاء الشكوك والشبهات فكانوا يجلسون على الطرق ويقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
 ارجع لا يقتلك عن دينك فان آمنت به قتلناك وجملة الافعال الثلاثة التي هي توعدون وتصدون
 وتبغونها أحوال أي لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين (واذكروا) نعمة الله عليكم (اذ كنتم قليلا)
 بالعدد (فكثركم) بالعدد قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرجى الله تعالى في نسلهما
 بالبركة فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أي كيف صار آخر امر المشركين قبلكم
 بالهلاك بتكذيبهم رسلهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به) من الشرائع والاحكام
 (وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) أي فانظروا أيها المؤمنون والكافرون (حتى يحكم الله بيننا) جميعا
 من مؤمن وكافر باعلام درجات المؤمنين وبإظهار هوان الكافرين (وهو خير الحاكمين) أي انه تعالى
 حاكم عادل منزّه عن الجور (قال الملا الذين استكبروا من قومه) أي قال الجماعة الذين أنفوا من
 قبول قوله وبالغوا في العتو (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) والظرف متعلق
 بالانخراج لا بالايان أي والله لنخرجنك واتباعك من مدين (أولتعودن في ملتنا) أي أولتصيرن
 الى ملتنا (قال أولو كنا كارهين) أي قال شعيب أتصيروننا في ملتكم وان كنا كارهين للدخول فيها
 (قد افترينا على الله كذبا) عظيم ما حيث نزعنا ان الله تعالى ندا (ان عدنا) أي ان دخلنا (في ملتكم
 بعد اذ نجانا الله منها) أي من ملتكم (وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) أي وما يجوز
 لنا أن ندخل في ملتكم الا أن يأمر الله بالدخول فيها وهيئات ذلك (وسع ربنا كل شيء علما) أي ربنا
 كان في علمه تعالى حصول بقائنا في هذه القرية من غير أن نعود الى ملتكم بل الله يجعلكم مقهورين تحت
 أمرنا دليلين خاضعين تحت حكمنا (على الله توكلنا) أي في أن يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان
 (ربنا افق بيننا وبين قومنا بالحق) أي ياربنا احكم بيننا بالعدل (وأنت خير الفاتحين) أي الحاكمين
 أو المعنى اظهر أمرنا حتى ينفع ما بيننا وبينهم بأن تنزل عليهم عذابا يميز به الحق من المبطل (وقال
 الملا الذين كفروا من قومه) أي وقال الرؤساء من قوم شعيب للسفلة (لئن اتبعتم شعيبا) في دينه
 (انكم اذ الخاسرون) في الدين وفي الدنيا لانه ينعكم من أخذ الزيادة من أموال الناس وعند هذا المقال
 كل حالهم في الضلال والاضلال فاستحقوا الاهلاك (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة المهلكة
 (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي فصاروا في مساكنهم خامدين ساكنين بلا حياة (الذين كذبوا شعيبا
 كأن لم يغفوا فيها) أي الذين كذبوا شعيبا استوصلوا بالمرّة وصاروا كأنهم لم يقيموا في قريتهم أصلا أي

عوقبوا بقولهم لنخرجنك يا شعيب و الذين آمنوا معك من قريتنا وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا
لادخول بعدهم أبدا (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينار ودينارون الذين اتبعوه فانهم
الرايحين في الدارين (قتولهم عنهم) أي خرج شعيب من بينهم قبل الهلاك وقال الكلبي ولم يعذب
قوم نبي حتى أخرج من بينهم (وقال ياقوم لقد بلغتم رسالاتي) بالامر والنهي (ونصحت لكم)
أي حذرتكم من عذاب الله ودعوتكم الى الايمان والتوبة وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين
وكان يتوقع منهم الاستجابة للايمان فلما انزل بهم ذلك الهلاك العظيم بوجود علاماته كعبس الريح
عنهم سبعة أيام حصل في قلبه الحزن من جهة القرابة والمجاورة وطوا، الألفة ثم عزى نفسه وقال (فكيف
أمرى) أي أحزن حزنا شديدا (على قوم كافرين) لانهم هم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب اصرارهم
على الكفر وقيل قال شعيب ذلك اعتذارا من عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد أعذرت اليكم في البلاغ
والنصيحة مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم والمراد انهم ليسوا مستحقين
بأن يأمرى الانسان عليهم وقرأ يحيى بن وثاب فكيف آسى بامالتين (وما أرسلنا في قرية من نبي)
فكذبها أهلها (الاخذنا أهلها) أي عاقبناها (بالأساء) أي الشدة في أحوالهم كالخوف وضيق
العيش (والضراء) أي الامراض والافواج (لعلهم يضرعون) أي كي يتذللوا وينقادوا لله تعالى
(ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي ثم أعطيناهم السعة والرحمة بدل ما كانوا فيه من البلاء والمرض
لان ورود النعمة في المال والبدن يدعو الى الاشتغال بالشكر (حتى عفوا) أي كثروا في أنفسهم
وأما والهم (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما أصابنا وهذه عادة الزمان في أهله فرة يحصل فيهم
الشدة والنكد ومرة يحصل لهم الرخاء والراحة فصبروا على دينهم فحن مثلهم فقتلهم بغير حق وليست عقوبة
من الله بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل فلما لم ينقادوا بالشدة وبالرخاء ولم ينتفعوا بذلك الامهال
أخذهم الله بغتة أينما كانوا كما قال تعالى (فأخذناهم) بعد ذلك (بغتة) أي فجأة بالعذاب (وهم
لا يشعرون) أي وقت نزول العذاب ولا يخطر ببالهم شي من المكارة (ولوان أهل القرى) الذين
أهلكناهم (آمنوا) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (واقفوا) ما نهى الله عنه (لفتحنا
عليهم بركات من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والثمار والمواشي وحصول الامن والسلامة
وقرأ ابن عامر لفتحنا بتشديد التاء لكثير (ولكن كذبوا) ذلك ولم يتقوا ما حرمه الله (فأخذناهم)
بالجدوبة والعذاب (عما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي (أفأمن أهل القرى) أي أبعد ذلك
أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا (بياتا) أي ليلا (وهم نائمون) أي غافلون عن
ذلك (أو أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا نضحي) أي نهارا (وهم يلعبون) أي يشغلون عما ينفعهم
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر يسكون الواو (أفأمنوا مكر الله) أي عذاب الله (فلا يأمرون مكر الله الا
القوم الخاسرون) وهم الذين لا يعرفون دينهم لغفلتهم فلا يخافونه وسمى العذاب مكر النزول بهم من
حيث لا يشعرون (أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) قرأ
الجمهور يهد بالياء من تحت أي أولم يبين للذين يرثون أرض مكة من المتقدمين ويسكنونها من بعد هلاك
أهلها تعذيبنا يا هم بسبب ذنوبهم لو شئنا ذلك كما عذبنا من قبلهم وفاعل يهد مصدره مؤول من ان وما في
خيرها ان تزل يهد منزلة اللازم والا ففعوله محذوف والتقدير أولم يوضح للوارثين أرض مكة من بعد هلاك
أهلها عاقبة أمرهم ان الشأن لو نشاء الاصابة أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين

كما أهلكنا المورثين (ونطبع على قلوبهم) أي إن لم نهلكهم بالعقاب نطبع على قلوبهم (فهم لا يسمعون) أي لا يقبلون موعظة من أخبار الأمم المهلكة والمراد بالاهلاك واما الطبع على القلب لان الاهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب فاذا أهلك شخص يستحيل ان يطبع على قلبه وانما يحصل الطبع حال استمراره على الكفر فهو يكفر أولاً ثم يصير مطبوعاً عليه في الكفر ولم يكن هذا التقرير مناقياً لهذه عطف قوله ونطبع على أصبناهم (تلك القرى) وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك) يا أكرم الرسل (من أنبأها) كيف أهلكنا وأما شخص الله أنبأ هذه القرى لأنهم أغتروا بطول الأمهال مع كثرة النعم فتوهّموا أنهم على الحق فذكروا الله تعالى تنبيههم القوم محمد صلى الله عليه وسلم ليحترزوا عن مثل تلك الأعمال (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) أي وباللغة لقد جاء كل أمة من تلك الأمم المهلكة أنبياءهم الذين أرسلوا اليهم بالمعجزات الواضحة الدالة على صحة رسالتهم الموجهة للإيمان (فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا من قبل) أي فبعد رؤية المعجزات ما كان أولئك الكفار ليؤمنوا بالشرائع التي كذبوها قبل رؤية تلك المعجزات والمعنى كانت كل أمة من أولئك الأمم في زمن الجاهلية يتسامعون بكلمة التوحيد من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجي نبيهم الذي أرسل اليهم كما أنهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) أي مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية يطبع على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم ان لا يؤمنوا أبداً (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) أي وما وجدنا أكثر الناس على إيمان كما قاله ابن مسعود أو على عهد أول وهو الذي ما هداهم الله وهم في صلب آدم حيث قال ألسنت بر بكم قالوا بلى فلما أقروا بربوبية الله تعالى في علم الذر ثم خالفوا ذلك في هذا العالم صار كأنه ما كان لهم عهد (وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي وان الشأن والحديث وجدنا أكثر الأمم في عالم الشهادة خارجين عن الطاعة صارفين عن الدين (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد انقضاء الرسل المذكورين أو من بعد هلاك الأمم المحكية (موسى بآياتنا) التسع الدالة على صدقه (إلى فرعون) واسمه قابوس وقيل اسمه الوليد بن مصعب بن ريان وكان ملكه أربع مائة سنة وهاش ستمائة وعشرين سنة ولم ير في تلك المدة مكر وهاقط من وجع أو حى أو جوع ولو حصل له ذلك لما ادعى الربوبية (وملئه) أي عظماء قومه (فظلموا بها) أي بتلك الآيات أي وضعوا الانكار في موضع الاقرار ووضعوا الكفر في موضع الايمان وذلك ظلم منهم على تلك الآيات الظاهرة (فانظر) أيها المخاطب بعين عقلك (كيف كان عاقبة المفسدين) وكيف فعلنا بهم (وقال موسى يا فرعون اني رسول اليك والى قومك) (من رب العالمين) حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق (وقرأنا نافع على بتشديد الياء تحقيق مبتدأ وخبره ما دخلت عليه ان أي واجب على ترك القول على الله الا بالحق والباقيون بعد اللام والمعنى أنا ثابت بان أقول على الله الا الصدق وقرأ أبي بان لا أقول بالباء وقرأ عبد الله والاهمشر ان لا أقول بدون حرف جر (قد جئتكم ببينة) أي مجهزة شاهدة على رسالتى (من ربكم) فأرسل معي بنى اسرائيل) أي نخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم مع أموالهم فكان فرعون عاملهم معاملة العبيد في الاستخدام (قال) أي فرعون (ان كنت جئت بالآية فأت بها) أي ان كنت جئت بآية من عند من أرسلك فاحضرها عندي ليثبت صدقك (ان كنت من الصادقين) في دعوائك انك رسول (فأتني) موسى (عصاه فاذا هي ثعبان) أي حية ضخمة صفراء ذكر (مبين) أي ظاهر لا يشك في كونه ثعباناً روى أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر فاغرافاه بين لحبيه ثم انون ذراعاً وضع لحبيه الاسفل على

الأرض والأهلي على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليبتلعه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث
 وانهزم الناس من دحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا فصاح فرعون ياموسى أنشدك بالذى أرسلت خذ
 وأنا أو من بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذه فعاد عصى (ونزع يده) أى أخرجهما من طوق قيصره (فاذا
 هى بيضاء) بياض نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس (للتناظرين قال الملامن قوم فرعون) أى الرؤساء
 منهم وهم أصحاب مشورته (أن هذا) أى موسى (لساحر عليم) أى حاذق بالسحر فأنهم قالوا ذلك مع فرعون
 على سبيل التشاور (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى من أرض مصر (فاذا تأمرون) قالوا الفرعون
 خذهم ولا كبر فإن الاتباع يفوضون الأمر والنهى إلى المخدوم والمتبوع أو لا تميز كرون ما حضر في
 خواطرهم من المصلحة بقولهم أرجه وأخاه قال تعالى (قالوا أرجه) فيه ست قرات ثلاثة باثبات الهمزة التى
 بعد الجيم وهى كسر الهاء من غير اشباع لابن ذكوان عن ابن عامر وضمها كذلك لابن عمرو وياشباع
 حتى يتولد من الفحة واو على الأصل لابن كثير وهشام عن ابن عامر وثلاثة بحذف الهمزة وهى سكون الهاء
 وصلوا ووقفوا لعاصم وحزرة وكسر الهاء من غير اشباع لقانون وبه حتى يتولد منها ياء نافع والكسائي
 ورر ش أى آخر أم موسى ولا تهمل فى أمره بحكم والمراد أنهم حاولوا معارضة معجزته بسحرهم ليكون ذلك
 أقوى فى إبطال قول موسى (وأخاه) هرون (وأرسل فى المدائن حاشرين) أى وأرسل فى مدائن صعيد مصر
 شرطيا يحشرون اليك ما فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة ومهرتهم فى أقصى مدائن الصعيد أقوك
 (بكل ساحر عليم) أى ما هرب السحرة وقرأ حمزة والكسائي محاركا اتفقوا عليه فى سورة الشعراء (وجاء
 السحرة فرعون) بعدما أرسل الشرط فى طلبهم (قالوا ان لنا لأجرا) على الغلبة قرأ نافع وابن كثير
 وحفص عن عاصم ان بهمزة واحدة والباقيون بهمزتين وأدخل أبو عمر الألف بينهما ان كانوا الغالبين
 لموسى (قال نعم) وقرأ الكسائي بكسر العين (وانكم لمن المقربين) أى نعم لكم الاجر ولكم المنزلة
 الرفيعة عندى زيادة على الاجر أى فاني لا أقصر بكم على الثواب بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة انى
 أجعلكم من المقربين الى الله منزلة (قالوا يا موسى اما ان تلقى عصاك أولا) (واما أن نكون نحن
 الملقين) ما معننا من الجبال والعصى أولا فلما راعوا حسن الادب حيث قدموا ذكروا موسى عليه السلام
 رزقهم الايمان ببركة رعاية هذا الادب (قال) موسى مریدا ابطل ما أتوا به من السحر وازراء شأنهم
 (ألقوا) ماتلقون (فلما ألقوا) عصيا وجبالا (سحروا أعين الناس) أى صرفوها عن ادراك
 حقيقة ما تخيلوا أحوالا عجيبة مع ان الأمر فى الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوه قيل انهم أتوا بالجبال
 والعصى ولطخوا تلك الجبال بالزئبق وجعلوا الزئبق فى دواخل تلك العصى فلما أثر تسخير الشمس
 فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا فالناس تخيلوا انها تتحرك وتلتوى باختيارها
 وقدرتها (واستربوهم) أى بالغوا فى تخويف عظيم للعوام من حركات تلك الجبال والعصى وخاف
 موسى ان يتفرقا قبل ظهور معجزته فكان خوفه لأجل فزع الناس واضطرابهم عما رأوه من أمر تلك
 الحيات وليس خوفه لأجل سحرهم لانه كان على ثقة من الله تعالى انهم لم يغلبوه وهو قال لهم (وجاؤا
 بسحر عظيم) فى باب السحر وعند السحرة وان كان حقيرا فى نفسه قيل كانت الجبال والعصى حمل
 ثلاثمائة بعير وذلك اهم ألقوا جبالا غلاظوا خشبا بطويلا فاذا هى حيات كأمنال الجبال قدملات
 الوادى يركب بعضها بعضا وكانت سعة الأرض ميلا فى ميل فصارت كلها حيات (وأوحينا الى موسى
 أن ألق عصاك) ولما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الأفق ثم فتحت فكها فكان

ما بين فكيفها ثمانين ذراعا وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم فلما أخذها موسى صارت عصا كما كانت
من غير تفاوت في أطعم أصلا كما قال تعالى (فأذا هي تلقف) أي تلقم (ما يافسكون) أي الذي
يقلبونه عن الحق إلى الباطل (فوقع الحق) أي فظهر الحق مع موسى (وبطل ما كانوا يعملون) أي
واضع ما عملوه من السحر وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحر البقيت
حبالنا وعصينا فلما فقدت ثبت أن ذلك حصل بخلق الله تعالى لاجل السحر (فغلبوا) أي فرعون
وقومه (هنالك) أي في المكان الذي وقع فيه سحرهم (وانقلبوا صاغرين) أي صاروا ذليلين
مبهوتين (وألقى السحرة ساجدين) أي خروا وسجدوا لله تعالى أي من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا قال ابن
زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وبلغ ذنب الحية وراء البحر ثم فحمت فاهها ثمانين ذراعا فكانت تبتلع
حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففرعوا ووقع
الزحام فأت منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت في يده عصي كما كانت فلما رأى السحرة ذلك
عرفوا أنه ليس بسحر فغضبوا ذلك خروا ساجدين (قالوا آمنا برب العالمين) قال فرعون أياي تعنون
قالوا لا بل (رب موسى وهارون) ولما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله تعالى في الحال وجعلوا ذلك السجود
شكرا لله تعالى على الفوز بالإيمان والمعرفة وعلامة على انقلابهم من الكفر إلى الإيمان واطهارا للخصوع
والتذلل لله تعالى فكانهم جعلوا ذلك السجود الواحد علامة على هذه الأمور الثلاثة على سبيل الجمع
وأولئك القوم كانوا عاقلين بحقيقة السحر فلما وجدوا مهزلة موسى خارجة عن حد السحر علموا أنها أمر الهي
فاستدلوا بها على أن موسى نبي صادق من عند الله تعالى فلاجل كمالهم في علم السحر انتقلوا من الكفر إلى
الإيمان فإذا كان حال علم السحر كذلك فما ظنك بكمال حال الإنسان في علم التوحيد (قال فرعون آمنتم به)
أي برب موسى وهرون واختلف القراء في هذا الحرف هنا في طه وفي الشعراء فإن القراء في ذلك على
أربع مراتب الأولى قراءة الاخوين وأبي بكر عن عاصم وهي تحقيق الهمزة في السور الثلاث من
غير ادخال ألف بينهما وهو استفهام انكار وأما الالف الثالثة فالكل يقرؤها كذلك وهي فاء الكلمة يجب
قلبها ألفا لكونها بعد همزة مفتوحة وأما الأولى فمحمدة ليس الا والثانية قراءة حفص وهي آمنتم بهمزة
واحدة بعدها ألف والثالثة قراءة ناظم وأبي عمرو وابن عامر والبرقي عن ابن كثير وهي تحقيق الأولى
وتسهيل الثانية بين بين والرابعة قراءة قبل عن ابن كثير فقرأ في هذه السورة حال الابداء آمنتم بهمزتين
أولاهما محقة والثانية مسهلة بين بين وألف بعدها قراءة البرقي وحاصل الوصل يقرأ قال فرعون وآمنتم
بإبدال الأولى واو وتسهيل الثانية بين بين وألف بعدها قراءة البرقي وحاصل الوصل يقرأ قال فرعون وآمنتم
الشعراء قراءة البرقي (قبل أن آذن لكم) أي بغير أن آذن لكم (إن هذا لكم كرم كرموه في المدينة
لتخرجوا منها أهلها) أي إن إيمان هؤلاء حيلة احتلتوها مع موافاة موسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى
الميعاد وإن غرضهم بذلك إخراج القوم من مصر وإبطال ملكهم وهاتان شبهتان ألقاهما فرعون إلى اصحاب
عوام القبط ليجنحهم بهما عن الإيمان بنبوة موسى عليه السلام (فسوف تعلمون) ما أفعل بكم (لاقطعن
أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي من كل شق طرفا (ثم لا صلبنكم) أي ألقاكم بمدودة أيديكم لتصير
على هيئة الصليب أو حتى يتقاطر صلبكم وهو الدهن الذي فيكم (الجميعين قالوا) أي السحرة (إنا إلى ربنا
منقلبون) أي راجعون بالموت بلا شك سواء كان بقتلك أو لا فيحكم بيننا وبينك وإنا إلى ربنا راجعون
(وما ننقم منها إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) أي ما تعيب علينا إلا إيماننا بآيات ربنا أو ما لنا عندك

ذنب تعد بنا عليه الا لايانا يا^٢ يا ربنا حين جاءتنا (ربنا افرغ علينا صبرا) أي صب علينا صبرا
 كاملا تاما عند القطع والصلب لكي لا ترجع كفارا (وتوفنا مسلمين) أي مخلصين على دين موسى
 قيل فعل فرعون ما توعدهم به وقيل لم يقع من فرعون ذلك بل استجاب الله تعالى لهم الداء في قولهم وتوفنا
 مسلمين لانهم سألوه تعالى أن يكون توفيتهم من جهته تعالى لا يقتل فرعون (وقال الملا من قوم فرعون) له
 لما خلى سبيل موسى (أأند موسى وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا في الارض) أي ليفسدوا
 على الناس في أرض مصر بتغيير دينهم واعلم أن فرعون بعد وقوع هذه الواقعة كان كلما رأى موسى
 خافه أشد الخوف فلهذا السبب لم يتعرض له الا أن قومه لم يعرفوا ذلك فملوه على أخذه وجبسه (ويذكر
 وآ لهتك) أي مجبوداتك بكسر اللام جمع اله وقرأ ابن هر وابن مسعود وابن عباس وأنس وعلي بن
 أبي طالب والاهتك بفتح اللام ومده أي وعبادتك وقرأ العامة بنصب يذك عطف على يفسدوا وأجواب
 الاستفهام بالوار وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة بالرفع عطف على أنتذرا واستثنافا أو حالا وقرئ بالسكون
 (قال) فرعون لما يقدر على موسى أن يفعل معه مكروها والخوف منه (سنقتل أبناءهم) أي أبناء بني
 اسرائيل ومن آمن بموسى صغارا كما قتلناهم أول مرة وقرأ نافع وابن كثير سنقتل بفتح النون وسكون
 القاف والباقون بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء (ونستحي نساءهم) أي ونتركهن أحياء للخدمة
 (وانافوقهم قاهرون) كما كنا وهم مقهورون تحت أيدينا وانما نترك موسى وقومه من غير حبس لعدم
 التفاتنا اليهم لانهز ولا خوف واختلاف المفسرون فهم من قال كان فرعون يفعل ذلك ومنهم من قال
 لا يفعل ذلك لعدم قدرته لقوله تعالى ألقا ومن اتبعك الغالبون (قال موسى لقومه) بني اسرائيل حين
 تفجروا من قول فرعون على سبيل التسلية لهم (استعينوا بالله) على فرعون وقومه (واصبروا) على
 ما هممت من أقاريله الباطلة (ان الارض) أي أرض مصر (لله يورثها من يشاء من عباده) وقرأ
 الحسن يورثها بفتح الواو وتشديد الراء المكسورة للتكثير وقرئ يورثها بفتح الراء مبنيًا للمفعول (والعاقبة)
 أي الجنة أو فتح البلاد والنصر على الاعداء (للتقين) أي الذين أنتم منهم فمن اتقى الله تعالى فآله يعينه
 في الدنيا والآخرة وقرأ ابن مسعود بنصب العاقبة عطف على الارض فالاسم معطوف على الاسم والخبر على
 الخبر فهو من عطف المفردات (قالوا) أي بنو اسرائيل لموسى لما سمعوا تهديد فرعون بالقتل للأبناء
 مرة ثانية (أو ذينا) من جهة فرعون (من قبل أن تأتينا) بالرسالة (ومن بعدما جئتنا) رسولا
 قالوا ذلك استكشافا لكيفية وعد موسى اياهم بزوال تلك المضار هل هو في الحال أولا لا كراهة لمجي
 موسى بالرسالة (قال) أي موسى مسلما لهم حين رأى شدة جزعهم عما شاهدوه من فعل فرعون (عسى
 ربكم أن يهلك عدوكم) الذي توعدكم باعادة فعله (ويستخلفكم في الارض) أي يجعلكم خلفاء في
 أرض مصر بعد هلاك أهلها (فينظر كيف تعملون) أي فيرى سبحانه وتعالى كيف تعملون في طاعته
 وهذا حث لهم على التمسك بطاعة الله تعالى فالله تعالى يرى وقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازي
 عباده على ما يهمله منهم في الازل وانما يجازيهم على ما يقع منهم (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أي
 باحتباس المطر والجوع (ونقص من الثمرات) أي ذهاب الثمرات باصابة العاهات (لعلهم يذكرون)
 أي كي يقفوا على أن ذلك لاجل معاصيهم وينزجر واعمالهم عليه من العتو والعناد (فاذا جاءتهم الحسنة)
 أي الحصب والسعة في الرزق والسلامة (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون من كثرة نعمنا على العادت
 التي جرت (وان تصيبهم سيئة) أي جدوبة وشدة وبلاء (يطيروا) أي يتشاموا (بموسى ومن

معه من المؤمنين أي يقولوا غما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه (أذا غما طأثرهم) أي حظههم
 (عند الله) أي كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره وقيل المعنى غما جاءهم الشر
 بقضاء الله تعالى وحكمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتناهل ولا يتطير وأصل الغال الكلمة الحسنة
 كانت العرب مذهبها في الغال والطيرة واحد فأنبت النبي صلى الله عليه وسلم الغال وأبطل الطيرة (ولكن
 أكثرهم لا يعلمون) أن ما يصيبهم من الله تعالى (وقالوا) أي آل فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام
 (مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فأنهنا لنكفرن بك يا موسى) أي أي شيء تظهره لا ينالنا من علامة من عند ربك
 لتصرفنا عما نحن عليه من الدين بذلك الشيء فأنهنا لنكفرن بك يا موسى (وكان موسى رجلا حديدا فعند
 ذلك دعا عليهم فاستجاب الله له فقال تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) أي الماء من السماء فدخل
 بيوت القبط وقاموا في الماء إلى تراقيهم ودام ذلك عليهم سبعة أيام من سبت إلى سبت ولم يدخل ذلك الماء
 بيوت بني إسرائيل مع أنها كانت في خلال بيوت القبط فاستغاثوا بفرعون فأرسل إلى موسى فقال اكشف
 عنا العذاب فقد صارت مصر ميجرا واحدا فإن كشفت هذا العذاب آمنا بك فأزال الله عنهم المطر وأرسل
 الريح فجفت الأرض وخرج من النبات ما لم ير وأمشله قط فقالوا هذا الذي جزعنا منه خير لنا لكالم نشعر
 فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل فنسكنوا العهد (و) أقاموا شهرا في عافية فأرسل الله
 تعالى عليهم (الجراد) فأكل زرعهم وأشجارهم وأبوا بهم وسقوفهم وثيابهم ففرغوا إلى موسى فدعا
 موسى عليه السلام فأرسل الله تعالى ريحا فالتفته في البحر بعدما أقام عليهم سبعة أيام من سبت إلى سبت
 فنظر أهل مصر إلى ما بقي من زرعهم فقالوا هذا الذي بقي يكفيننا ولا نؤمن بك (و) أقاموا شهرا في عافية
 فأرسل الله عليهم (القمل) أي الجراد الصغير بلا أجنحة من سبت إلى سبت فلم يبق في أرضهم عود أخضر
 إلا أكله فصاحوا ودعا موسى فأرسل الله عليه ريحا حارة فأحرقته وألقت في البحر وقرأ الحسن والقمل
 بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف وعن سعيد بن جبير كان إلى جنبهم كتيب أعفر فضر به موسى بعصاه
 فصارت قلا فأخذت في إنباشهم وأشجارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم فصرخوا وفرغوا إلى موسى فدعا فرفع
 الله عنهم القمل وقالوا قد تيقنا اليوم أنك ساحر حيث جعلت الرمل دواب وعزة فرعون لا نؤمن بك أبدا
 (و) أقاموا شهرا في عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) فخرج من البحر مثل الليل الدامس ووقع في
 الثياب والأطعمة فكان الرجل منهم يسقط وعلى رأسه ذراع من الضفادع فصرخوا إلى موسى وحلفوا
 لئن رفعت عنا هذا العذاب لنؤمن بك فدعا الله تعالى فأما الضفادع وأرسل عليها المطر فاحتلمها إلى البحر
 بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من سبت إلى سبت ثم أظهر والكفر (و) أقاموا شهرا في عافية فأرسل
 الله عليهم (الدم) فصارت مياه قليبهم وأنهارهم دما فلم يقدروا على الماء العذب حتى بلغ منهم الجهد وبنو
 إسرائيل يجدون الماء العذب الطيب وكان فرعون وأشراف قومه يركبون إلى أنهار بني إسرائيل فجعل
 يدخل الرجل منهم النهر فإذا اغترف الماء صار في يده دما ومكثوا سبعة أيام في ذلك لا يشربون إلا الدم فقال
 فرعون لموسى عليه السلام لئن رفعت عنا العذاب لنصدقن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل مع أموالهم
 (آيات مفصلات) أي مبینات لا يخفى على كل عاقل أن هذه الخمسة من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره
 ومفرقات بعضها من بعض بزمان لا متجان أحوالهم أيقبلون الحجة أو يستمرون على التقليد وكان كل عذاب
 يبقى عليهم أسبوعا من سبت إلى سبت وبين كل عذابين شهر (فاستكبروا) عن الإيمان بها وعن
 عبادة الله (وكانوا قوما مجرمين) أي مصرين على الذنب (ولما وقع عليهم الرجز) أي كلما نزل عليهم

العذاب من الافواع الخمسة (قالوا) في كل مرة (ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أعلمك به وهو كشف العذاب عنا ان آمننا أو المعنى أقسمنا به عند الله عندك وهو النبوة (ان كنشفت عنا الرجز) أى لنرفعنا عن العذاب الذى نزل علينا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) أى مع أموالهم (فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل) أى خدمعين (هم بالغوه) لا بدوه ووقت اهلا كههم بالفرق في اليم (اذا هم ينكتون) أى فلما رزقنا عنهم العذاب فاجثوا نكت العهد من غير تأمل وتوقف ثم عند حلول ذلك اجل لا تزال عنهم العذاب بل نهلكهم به (فانتقمنا منهم) أى فلما بلغوا الاجل الموقت أهلكناهم (فاغرقتناهم في اليم) أى البهر الملح والغاة تفسيرية (بأنهم كذبوا بآياتنا) التسع الدالة على صدق رسولنا (وكانوا عنها) أى تلك الآيات (غافلين) أى معرضين غير ملتفتين اليها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بقتل آبائهم وأخذ الجزية منهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة وهم بنو اسرائيل (مشارك الارض) أى ارض الشام ومصر (ومغار بها) (التي باركنافها) بالخصب وسعة الارزاق والنيل (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل) أى ومضى وعده تعالى عليهم (بما صبروا) أى بسبب صبرهم على الشدائد فن قابل البلاء بالصبر وانتظار النصر فمن الله له الفرج ومن قابله بالجزع وكله الله اليه (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) فرعون سم كان ويصنع خيراً كان مقدم أى وخر بنا الذين كان فرعون يصنعهم من المدائن والقصور (وما كانوا يعرشون) أى يرفعون من الشجر والكروم أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء والباقون بكسرهما (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) مع السلامة بأن فلق الله البحر عند ضرب موسى البحر بالعصا روى ان موسى عبر بهم يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وصاحبه شكر الله تعالى (فأتوا) أى فرروا (على قوم يعكفون على أصنام لهم) أى يواظبون على عبادة أصنام لهم وكانت تماثيل على صور البقر وهم من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرأ حمزة والكسافي بكسر الكاف والباقون بالضم (قالوا) عندما شاهدوا أحوالهم (ياموسى اجعل لنا الها) أى عين لنا تماثيل نتقرب بعبادتها الى الله تعالى (كألهم آلهة) يعبدونها (قال) موسى (انكم قوم تجهلون) فلا جهل أعظم مما ظهر منهم فانهم قالوا ذلك بعدما شاهدوا المهزة العظمى (ان هؤلاء) أى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبرهاهم فيه) أى مهلك ما هم فيه من الدين أى ان الله يهدم دينهم عن قريب ويحطم أصنامهم (وباطل ما كانوا يعبدون) من عبادتها أى فلا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا دفع ضرر (قال) موسى (أغري الله أبغىكم الها وهو فضلكم على العالمين) أى أطلب اليكم غير الله معبودا والحال انه تعالى وحده فضلكم على عالى زمانكم بالاسلام أو فضلكم على العالمين بتخصيصكم بغيركم كالتخصيص بتلك الآيات القاهرة فان لم يحصل مثلها لاحد من العالمين وان كان غيرهم فضلوهم بسائر الخصال مثاله رجل تعلم علما واحدا وآخر تعلم علوما كثيرة سوى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد فضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك الواحد وفى الحقيقة ان صاحب العلوم الكثيرة مفضل على صاحب العلم الواحد والمعنى أأمركم ان تعبدوا رباً يتخذو يطلب بل الاله هو الذى يكون قادرا على الايجاد واعطاء الحياة وجميع النعم (واذ أنجبناكم من آل فرعون) أى واذا كروا وقت انجائنا ياكم من فرعون وقومه بأهلا كههم بالكلية وقرأ ابن عامر أنجاءكم بحذف الياء والنون (يسومونكم سوء العذاب) أى يعطونكم أشد العذاب

يقتلون أبناءكم) صفارا (ويستحيون نساءكم) أي يستخدمون نساءكم كإبارا (وفي ذلكم) أي
الإنجاء (بإلامن ربكم عظيم) أي نعمة عظيمة من ربكم ويقال وفي ذلكم العذاب بلياسة عظيمة من
ربكم (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) روى أن موسى وهو عصر
وعدي بنى إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون
وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعده بنى إسرائيل
فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها وهي شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فسه فتسوك بعود
خروب فقالت الملائكة كنانشم من فيك رائحة المسك فافسدت به بالسؤال فأمره الله أن يصوم عشر
ذو الحجة وقال له أما علمت أن خلوف ذم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكانت فتنة بنى إسرائيل في
تلك العشر التي زادها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام (وقال موسى لأخيه هرون) عند ذهابه إلى
الجبل للناداة (اخلفني) أي كن خليفتي (في قومي) وراقبهم فيما يأتون وما يذرون (وأصلح)
أمر بني إسرائيل وأمرهم بعبادة الله تعالى وهي صلاحهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) أي ومن
دعاك منهم إلى طريق المفسدين بالمعاصي فلا توافقه (ولما جاء موسى لميقاتنا) أي لميعادنا في مدين في
يوم الخميس يوم عرفة فكلّمه الله تعالى فيه من غير واسطة أعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر
(وكلّمه ربه) أي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعه من كل جهة (قال رب أرني أنظر إليك)
أي أرني ذاك بأن تمكّني من رؤيتك فأراك (قال) تعالى له (لن تراني) أي لن تقدر أن تراني في
في الدنيا يا موسى (ولكن انظر إلى الجبل) في مدين (فإن استقر مكانه فسوف تراني) أي فإن استقر
الجبل مكانه لرؤيتي فلعلك تراني والرؤية متأخرة عن النظر لأنه تقلب الحدقة السليمة جهة المرقى التماسا
لرؤيته والرؤية الإدراك بالباصرة بعد النظر (فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا) أي فلما أظهرت عظمته تعالى
لجبل زبير جعله مكسورا قيل إن جبل زبير أعظم جبل في مدين فإنه صار ستة أجيال فوق ثلاثة منها
بالمدينة وهي أحدو ورقان ورضوى ووقع ثلاثة بكة وهي ثور ونبير وحراء أي أرا الله تعالى ملائكة
السماء السابعة يحمل عرشه فلما أبدأ العرش انصدع الجبل من عظمتهم الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي
دكا بالمد أي مستويا بالارض وقرأ ابن وثاب دكا بضم الدال وبالقصر جمع دكا أي قطعاً (وخر موسى
صعقا) أي مغشيا عليه من هول ما رآه من النور (فلما أفاق) من غشيته (قال سبحانك) أي
تقزها لك عن أن ترى في الدنيا (تبت إليك) من الجراءة على السؤال بغير إذن منك (وأنا أول المؤمنين)
أي المقرين بأنك لا ترى في الدنيا السكّل إلا نبيا وقد ثبتت الرؤية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء
على الصحيح أو يقال وأنا أول المؤمنين بأنه لا يجوز السؤال منك إلا بأذنك (قال) تعالى له (يا موسى
إني أصطفيتك) أي فضلتك (على الناس) أي بني إسرائيل (برسالاتي) أي بكتب التوراة
وقرأ نافع وابن كثير برسالاتي بالافراد أي تبليغ رسالتي (وبكلامي) أي بمتكلمي معك بغير
واسطة (نخذا ما آتيتك) أي فاعمل ما أعطيتك من الرسالة أي الوحي (وكن من الشاكرين) أي
واشتغل بشكر الفوز بهذه النعمة وهو القيام بلوازمها علما وعملا ولا يضيق قلبك بسبب منعك الرؤية
(وكتبنا له في الألواح) أي وكتبنا لموسى في ألواح التوراة (من كل شيء) يحتاج إليه موسى وقومه في
دينهم من الحلال والحرام والحاسن والقبايح (موعظة وتفصيلا لكل شيء) بدل من قوله تعالى من كل
شيء باعتبار محله وهو النصب أي كتبنا له كل شيء من المواعظ التي توجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن

المعصية ومن شرح أقسام الاحكام (لخذها) أى فقلنا عمل هذه الاشياء (بقوة) أى بجديونية صادقة (وأمر قومك ياخذوا بأحسنها) أى التوراة أى يعملوا بحكمها ويؤمنوا بمتشابهها وقال بعضهم الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وأحسن هذه الثلاثة الواجبات والمندوبات (سأريكم دار الفاسقين) أى سأدخلنكم الشام بطريق الايرات وأريكم منازل الكافرين الذين كانوا متواطئين فيها من الجبارة والعمالقة لتعتبروا بها فلا تنفسقوا مثل فسقهم وقرئ سأورثكم بالشاة المثلثة (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) أى سأزيل الذين يتكبرون في الارض بالدين الباطل عن ابطال آياتي باهلاكمهم على يد موسى وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فلا يقدر على منع موسى من تبليغها ولا على منع المؤمنين من الايمان بها أى وانما يرى بنو اسرائيل دار الفاسقين بعدها لهم (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى وان يشاهدوا كل مهجة كفر وابل واحدة منها (وان يروا سبيل الرشدة) أى الدين الحق والخير (لا يتخذوه سبيلا) أى لا يسلكوا سبيله وقرأ حمزة والكسائي الرشدة بفتح الراء والشين والباءقون بضم الراء وسكون الشين وروى عن ابن عامر بضمين وقال أبو عمرو بن العلاء الرشدة بضم وسكون الصلاح في النظر وبفتحتين الاستقامة في الدين (وان يروا سبيل النقي) أى الضلال (يتخذوه سبيلا) أى يختارونه مسلكا لانفسهم (ذلك) أى تكبرهم وعدم ايمانهم بشئ من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشدة واقبالهم التام الى سبيل النقي (بانهم كذبوا بآياتنا) أى حاصل بسبب انهم كذبوا بكتابنا الدال على بطلان اتصافهم بالقبايح (وكانوا عنافا فلين) أى وكانوا جاحدين بها (والذين كذبوا بآياتنا) أى بكتابنا (واقامه الآخرة) أى ربلقاتهم الآخرة التي هي موعد الجزاء (حبطت أعمالهم) أى حسناتهم التي لا تتوقف على نية كصلة الارحام وفاقاة الملهوفين وان نفعهم في تخفيف العذاب لكن التخفيف لا يقال له ثواب (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى ما يجزون في الآخرة الاعلى ما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجيلا) أى صاغ موسى السامري المتناق وهو من بني اسرائيل من بعد ان طلاق سيدنا موسى عليه السلام الى الجبل عجيلا من ذهب (جسدا) آتى بهذا البدل لدفع توهم انه صورة عجل منقوشة على حائط مثلا (له خوار) أى صوت وقرأ على رضى الله عنه جوار بالميم والهمزة أى صياح قيل ان بني اسرائيل كان لهم عبيد يتزينون فيه ويستعبرون من القبط الحلي فلما أغرق الله القبط بقيت تلك الحلي في أيدي بني اسرائيل وصارت ملكا لهم فجمع السامري تلك الحلي وكان رجلا مطافيا فيهم صائغا فصاغ السامري عجلا وأخذ كفاه من تراب طافر فرس جبريل عليه السلام فالقاء في جوف ذلك العجل فانقلب الحمار وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الحكم والله موسى (ألم يروا) أى ألم يعلم قوم موسى (أنه) أى العجل (لا يكلمهم) بشئ (ولا يهديهم سبيلا) بوجه من الوجوه (اتخذوه) أى عبدوه (وكانوا ظالمين) لانفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى واشتغلوا بعبادة العجل (ولما سقط في أيديهم) أى لما اشتد ندمهم على عبادة العجل وسقط مبنى للمجهول وأصل الكلام سقطت أفواههم على أيديهم ففي معنى على وذلك من شدة الندم فان العادة ان الانسان اذا ندم بقلبه على شئ عض بضمه على أصابعه فسقوط افواه على الأيدي لازم للندم فاطلق اسم اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكتابة (ورأوا أنهم قد ضلوا) أى تبينوا ضلالهم تبيننا كأنهم أبصروه بعيونهم بحيث تيقنوا ضلالهم بعبادة العجل (قالوا) أى قال بعضهم لبعض

(لئن لم ير حنار بنا ويغفر لنا) فيعذبنا (لنكونن من الخاسرين) بالعقوبة وقرأ حمزة والكسائي بناء الخطاب في الفعلين حكاية لدهاشنهم وينصب ربنا على النداء (ولما رجع موسى الى قومه) من مناجاته (غضبان) على قومه لاجل عبادتهم الجبل (أسفا) أي حزينا لان الله تعالى فتهم (قال) بشما خلفتوني من بعدى) أي بشما قمتم مقامى وكنتم خلفاى من بعد انطلاقى الى الجبل وهذا الخطاب اما العبداء الجبل من السامري من أشياعه أي بشما خلفتوني حيث عبدتم الجبل مكان عبادة الله تعالى واما الهرون والمؤمنين معه أي بشما خلفتوني حيث لم تمنعواهم من عبادة غير الله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بشما خلافة خلفتموניהما من بعدى خلافتكم هذه (أعجلتم أمر ربكم) أي أعجلتم وعد ربكم من الأربعين فلم تصبروا له وذلك أنهم قدروا ان موسى لما يأت على رأس الثلاثين ليلة فقدمت فانهم عدوا عشرين يوما بلبيا اليها أربعين (وألقي الألواح) أي وضع ألواح التوراة في موضع ليتفرغ لما قصده مكاة قومه فلما فرغ عاد اليها فأخذها بعينها (وأخذ برأس أخيه) أي بشعر رأس هرون (يجره اليه) أي الى نفسه لا على سبيل الإهانة بل ليستكشف منه كيفيته تلك الواقعة (قال) هرون (ابن أم) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن قاصم بكسر الميم هنا وفي طه والباقون بفتحها في السورتين (ان القوم استضعفوني) أي وجدوني ضعيفا (وكادوا يقتلونى) لاني نهيتهم عن عبادة الجبل (فلا تشمت بي الاعداء) أي فلا يسر الاعداء أصحاب الجبل بما فعل بي من المكروه (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أي ولا تظن أنى واحد من الذين عبدوا الجبل مع براى مني منهم وانما قال هرون تلك المقالة لانه يخاف أن يتوهم جهال بنى اسرائيل أن موسى عليه السلام غضبان عليه كما انه غضبان على عبدة الجبل (قال) موسى (رب اغفرلى) فيما أقدمت على أخى هرون من هذا الغضب (ولأخى) في تركه التشديد على عبدة الجبل (وأدخلنا فى رحمتك) أي جنتك بزيادة الانعام بعد غفران ما سلف منا (وأنت أرحم الراحمين) فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا (ان الذين اتخذوا الجبل) أي عبدوه واستمروا على عبادته كالسامري وأشياعه (سينالهم غضب) عظيم كأن (من ربهم) فى الآخرة (وذلة فى الحياة الدنيا) وهى الاغتراب والسكنة المنتظمة لهم ولأولادهم جميعا والذلة التى اختص بها السامري هو الانفراد عن الناس والابتلاء بلامساس ويرى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس أحدهم أحد اغبرهم سما جميعا فى الوقت (وكذلك نجزي المفترين) أي الكاذبين على الله والمعنى أن كل مفتر فى دين الله لجزاؤه غضب الله والذلة فى الدنيا قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا ويجد فوق رأسه ذلة لار المبتدع مفتر فى دين الله (والذين عملوا السيئات) أي التى من جملتها عبادة الجبل (ثم تابوا) عن تلك السيئات (من بعدها) أي من بعد عملها (وآمنوا) ايمانا صحيحا بالله تعالى بأن صدقوا بأنه تعالى لا اله غيره ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى (ان ربك) أي يا أفضل الخلق (من بعدها) أي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايان (لغفور) للذنوب وان عظمت وكثرت (رحيم) أي مبالغ فى افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخرية أي من أتى بجميع السيئات ثم تاب فان الله يغفره له وهذا من أعظم ما يغفده البشارة للذين (ولما سكت) أي زال (عن موسى الغضب) باعتذار أخيه وتوبة القوم وقرئ سكن بالنون وأسكت بالتاء مع الهـ حمزة على أن الفاعل هو الله تعالى أو أخوه (أخذ الألواح وفى نسختها) أي وفى المكتوب فيها من الألواح المحفوظ (هدى) أي بيان للحق (ورحمة) للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح (للذين هم لهم رهبون) اللام الاولى متعلق بمحذوف هو صفة رحمة والثانية لتقوية

عمل الفعل المؤخر (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) روى أن موسى اختار من اثني عشر سبطا ستة فصاروا اثنين سبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لن قعد منكم مثل آخر من خرج ففقد كالب ويوشع وذهب مع الباقيين وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويظهروا ثيابهم يخرج بهم إلى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيهم غمام فدخل موسى الغمام وخر وامجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى بأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إلى موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة أي لن نصدقك في أن الأمر بما سمعنا من الأصربة لي أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه فأخذتهم رجفة الجبل فاقوا يوم اوليلة ^ب تنبيه ^ب اختار يتعدى إلى اثنين ثانيهم ما مجرور بمن ثم يحذف حرف الجر ويوصل الفعل إلى المجرور وسبعين مفعول أول (فلما أخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أي من قبل خروجهم إلى الميقات (واي) معهم قاله تسليما لقضاء الله تعالى أي انا كنا مستحقين للإهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك اياه (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أي ظن موسى انما أهلكتهم الله بعبادة قومهم الجهل وقال هذا على طريق السؤال وقال المبرد هو استفهام استعطاف أي لاتهلكنا بسبب فعل عباد الجهل (ان هي الا فتنتك) أي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء الاحتمالك بأن أوجدت في الجهل خوارا فزاغوا به وأسمعهم كلاما فافتتنوا بذلك حتى طمعوا فيما فوق ذلك (تضل بها) أي بتلك الفتنة (من تشاء) اضلاله فلا يهتدي إلى التثبيت (وتهدي من تشاء) هدايته إلى الحق فلا يترزل في أمثاله فيقوى بها إيمانه (أنت ولينا) أي أنت القائم بأمرنا الدنيوية والاخرية (فاغفر لنا) ما قارفناه من المعاصي (وارحمنا) بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخرية علينا (وأنت خير الغافرين) لانك تغفر ذنوب عبادك لا لغرض بل لمحض الفضل والكرم أما غيرك فأنما يتجاوز عن الذنب اما طلب الثواب الجزيل أو للثناء الجليل أو دفعا للربة الحسنة من القلب (واكتب لنا) أي اثبت لنا (في هذه الدنيا حسنة) أي نعمة وطاعة (وفي الآخرة) أي واكتب لنا في الآخرة حسنة وهي الجنة (انا هدنا إليك) أي رجعنا عما صنعنا من المعصية التي جئناك للاعتذار عنها (قال) تعالى (عذابي أصيب به من أشاء) وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي وقرأ الحسن من أساء فعل ماض من الاساءة واختار الشافعي هذه القراءة (ورحمي وسعت كل شيء) أي ان رحمته في الدنيا عمت الكل وأما في الآخرة فرحمته مختصة بالمومنين كما أشار تعالى إليه بقوله تعالى (فسأكتبها) أي فسأثبتها في الآخرة (للذين يتقون) أي الكفر والمعاصي (ويؤتون الزكاة) أي يعطون زكاة أموالهم (والذين هم بآياتنا) أي دلائل وحدانيتنا وقدرتنا (يؤمنون) الذين يتبعون الرسول النبي الامي) أي الذي لم يمارس القراءة والكتابة ومع ذلك قد جمع علوم الاولين والآخرين (الذي يجدونه) أي يلقون الله ونعته (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) الذين تعبد بهم ابنا واسرائيل (يأمرهم بالمعروف) أي بالتوحيد وبمكارم الاخلاق وبر الوالدين وصلة الارحام (وينهاهم عن المنكر) أي عبادة الاوثان والقول في صفات الله بغير علم والكفر بما أنزل الله على النبيين وقطع الرحم وعموق الوالدين (ويحل لهم الطيبات) أي الاشياء المستطابة بحسب الطبع فكل ما تستطيه النفس ويستلذه الطبع فهو حلال الدليل منفصل (ويحرم عليهم الخبائث) أي كل ما يستخبئه الطبع وتستقذره النفس فكل ما يستخبئه الطبع حرام الدليل منفصل وعلى هذا فرع الشافعي تحريم بيع الكلب لانه روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكلب خبيث

وخبيث ثمنه واذا ثبت أن ثمنه خبيث ثبت أن يكون حراما وانحر محرمة لانهم ارجس والرجس خبيث باطباق
 أهل اللغة عليه والخبيث حرام (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) أي يخفف عنهم
 ثقلهم والشدائد التي كانت في عباداتهم كقطع أثر البول من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السب
 وقتل النفس في التوبة وتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وعن عطاء كانت
 بنو اسرائيل اذا قاموا الى الصلاة لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم تواضعا لله تعالى فعلى هذا
 القول الاغلال غير مستعارة أي وكانت هذه الاغلال في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلى الله
 عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وقرأ ابن عامر
 وعده آصارهم على الجمع (فالذين آمنوا به) أي بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود كعبد الله بن
 سلام وأصحابه (وعزروه) أي أطافوه بمنع أعدائه منه (ونصروه) على أعدائه في الدين بالسيف
 (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي واتبعوا القرآن الذي أنزل مع نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان نبوته
 ظهرت مع ظهور القرآن وعبر عنه بالنور الدال على كونه مظهر للحقائق (أولئك هم المفلحون) أي
 الفائزون بالمطلوب في الدنيا والآخرة الناجون من السخط والعذاب لا غيرهم من الأمم (قل يا أيها
 الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض) الذي (لا اله الا هو يحيي ويميت) واعلم
 أن هذه الدعوى وهي دعوى رسول الله لا تظهر فائدتها الا بتفريز أصول ثلاثة أولها اثبات أن للعالم لها
 حيا عالما قادرا والذي يدل عليه ما في قوله تعالى الذي له ملك السموات والارض لانه بتقدير عدم حصول
 مؤثر للعالم في وجوده أو بتقدير كون المؤثر موجبا بالذات لا قاعلا بالاختيار لم يصح القول ببعثة الانبياء
 عليهم السلام وثانيها اثبات أن اله العالم واحد منزوع عن الشريل والصد والند واليه الاشارة بقوله تعالى
 لا اله الا هو لانه اذا لم يثبت كون اله تعالى واحدا لم يكن ارسال الرسل وانزال الكتب جائزا لانه بتقدير
 كون الالهين للعالم يجوز أن يكون الانسان الذي يدعو رسول أحدهما مخلوقا لله الثاني فإيجاب الطاعة
 على اله الذي لم يخلقه ظلم وباطل وثالثها اثبات انه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والقيامة واليه
 الاشارة بقوله تعالى يحيي ويميت لانه تعالى لما أحيى أولاد نوح كونه تعالى قادرا على الاحياء ثانيا ويكون
 قادرا على ايصال الجزاء لانه بتقدير عدم ثبوت الاعادة كان الاشتغال بالطاعة والاحترار عن المعصية
 عبثا وانغوا ولما ثبت القول بصحة هذه الاصول الثلاثة ثبت أنه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة
 الخلق بالتكاليف لان الخلق كلهم عبيده تعالى ولذلك قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي
 الذي يؤمن بالله وكلماته) واعلم أن هذا اشارة الى المميزات الدالة على كون محمد نبيا حقا ومميزات
 رسول الله كانت على نوعين الاول المميزات التي ظهرت في ذاته المباركة وأجلها أنه صلى الله عليه وسلم كان
 رجلا أميا لم يتعلم من أستاذ ولم يطالع كتابا ولم يتفق له مجالسة أحد من العلماء ومع ذلك فتح الله عليه باب
 العلم وأظهر عليه القرآن المشتمل على علوم الاولين والآخرين فظهر هذه العلوم العظيمة على من كان
 صفته أميا من أعظم المميزات والثاني المميزات التي ظهرت من مخرج ذاته مثل انشقاق القمر ونسج
 الماء من بين أصابعه وهي تسمى بكلمات الله تعالى لانها لما كانت أمورا غريبة خارقة للعادة تسمى بكلمات
 الله كما أن عيسى عليه السلام لما كان حدوثه أمرا غريبا مخالفا للعتاد سماه الله تعالى كلمة وقال ابن عباس
 ومعنى كلماته بالجمع كتابه وهو القرآن وان قرئ وكلمته بالافراد كان معناه عيسى وهذا تنبيه على ان من
 لم يؤمن به لم يعتد بإعلانه وتعرض باليهود ولما ثبت بالدلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر الله الطريق

الذي يمكن معرفة شرعه بالتفصيل وهو الرجوع الى أقواله وأفعاله فقال (واتبعوه) أي في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين (لعلكم تهتدون) أي وجاء لاهتدائكم الى المطلوب (ومن قوم موسى أمة) أي جماعة (يهدون بالحق) أي يدعون الناس الى الهداية بالحق (وبه) أي بالحق (يعبدون) في الأحكام الجارية فيما بينهم فقبل هم اليهود الذين كانوا في زمان الرسول وأسلموا مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وقيل أنهم قوم مشوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف في زمن تغرق بني اسرائيل واحدا منهم البدع وقال السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما كفروا وقتلوا الانبياء بقي سبط من جملة الاثني عشر فاصنعوا وسألوا الله تعالى أن ينقذهم منهم ففزع الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين عند مطلع الشمس على نهر رملي يسمى أردن وهم اليوم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا عما) أي فرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة لانهم كانوا من اثني عشر رجلا من أولاد يعقوب وميزنا بعضهم من بعض أسباطا قائم مقام قبيلة وهو تمييز أو بدل من اثنتي عشرة وأما بدل من أسباطا أي وصيرناهم أعمالا ن كل سبط كان أمة عظيمة (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) حين استولى عليه العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم باستسقاء موسى لهم (أن اضرب بعصاك الحجر) الذي معك (فانبعث) أي فضرب فانفجرت (منه اثنتا عشرة عينا) بعدد الاسباط (قد علم كل أناس) أي كل سبط (مشربهم) أي عينهم الخاصة بهم (وظللنا عليهم الغمام) في التيه من حر الشمس تسير الغمام بسيرهم وتسكن باقامتهم وتضي لهم في الليل مثل السراج (وأزلنا عليهم المن) وهو شئ حلوا كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر الى طلوع الشمس ويأخذ كل انسان صاعا (والسلوى) أي الطير السمان يتخفيف الميم وبالقصر وتسوقه الريح الجنوب عليهم فيذبح كل واحد منهم ما يكفيه وهو يوت اذا جمع صوت الرعد فيلهم الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء أوانهم ما فيخرج من الجزائر وينتشر في الارض وخاصيته ان اكل لحمه يلين القلوب القاسية (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي وقلنا لهم كلوا من مستلذاته من المن والسلوى والمعنى قصر انفسهم على ذلك المطعوم وعلى ترك غيره فامتنعوا من ذلك وشتموا وسألوا غير ذلك (وما ظلمونا) بمقابلة تلك الذم بالكفران (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بمخالفتهم ما أمرنا به (واذ قيل لهم) أي اذ كريا أكرم الرسل لبني اسرائيل وقت قوله تعالى لا سلافهم (اسكنوا هذه القرية) أي قرية الجبارين قوم من بقية هادريسهم عوج بن عنق أي قال الله تعالى على لسان موسى لهم اذا خرجتم من التيه اسكنوا بيت المقدس أو قال لهم على لسان يوشع بعد خروجهم من التيه اسكنوا أريحا (وكلوا منها) أي القرية (حيث شئتم) ومتى شئتم (وقولوا حطة) أي أمرك حطة لتوبنا (وادخلوا الباب) أي باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها (مسجدا) شكرا على اخراجهم من التيه (ففرلكنكم خطيئاتكم) وقرأ نافع وابن عامر تغفر بالتاء المضمومة وقرأ نافع خطيئاتكم بجميع السلامة وابن عامر خطيئتهكم على التوحيد والباقون تغفرونون مفتوحة وأبو عمرو خطاياكم بجميع التكسير والباقون خطيئاتكم بجميع السلامة وفي قراءة يغفر بالياء فعلى هذا لا يقرأ خطايا بالافراد وعلى التاء لا يقرأ خطايا (سنزيد المحسنين) بالطاعة في احسانهم (فبدل الذين ظلموا منهم) وهم أصحاب الخطيئة (قولا غير الذي قيل لهم) أي غير الذي أمرهم بالذي أمروا من التوبة وقالوا مكان حطة حنطة وروى انهم دخلوا زاحفين على ادبارهم استخفافا بأمر الله

تعالى واستهزأهم (فأرسلنا عليهم) عقب ما فعلوا من غير تأخير (رجزاً من السماء) أي عذاباً
كاثراً منها وهو الطاعون (بما كانوا يظلمون) أنفسهم لأنهم خرجوا عن طاعة الله تعالى روى أنه مات
منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) أي واسأل
يا أشرف الخلق اليهود المعاصرين لك سؤال تقرير عن خبر أهل المدينة التي كانت قريبة من بحر القلزم
وهي إيلة قرية بين مدين والطور وقيل هي قرية يقال لها مقنايين مدين وعينونا وسبب نزول هذه الآية أن
اليهود قالوا لم يصدر من بني إسرائيل كفر ولا مخالفة للرب فأمر الله تعالى أن يسألهم عن حال أهل هذه
القرية في زمن داود عليه السلام تقرير عما فهم يعتقدون أنه لا يعلمه أحد غيرهم فذكر الله لهم قصة أهل تلك
المدينة فبهتوا وظهر كذبهم (أذيعدون في السبت) أي يجاوزون حد الله تعالى بأخذ الحيتان يوم السبت
وقد نهوا عنه (أذاتيتهم حيث أنهم يوم سبتهم) أي يوم تعظيمهم لأمرا السبت بالتجرد للعبادة (شرعاً)
أي ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل (ويوم لا يسبتون) وقرئ شاذة بضم الباء وقرأ على رضى
الله عنه بضم الياء من الر باعى وعن الحسن البناء للأفعول أي لا يدخلون في السبت (لا تأتيتهم) قال ابن
عباس ومجاهد أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاههم
الله به وحرم عليهم الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في
البحر فإذا انقضى السبت ذهبوا وما تعودوا في السبت المقبل (كذلك) أي مثل ذلك البلاء (نبأهم)
أي تعاملهم معاملة من يختبرهم (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم (واذ قالت أمة منهم)
أي جماعة من أهل القرية من صلاتهم الذين ركبوا الصعب في موعظة أولئك الصيادين حتى أيسوا
من قبولهم لأقوام آخرين لا يقلعون عن وعظهم رجاءاً للنعيم وطمعاً في فائدة الانتظار (لم تعظون قوماً الله
مهلكهم) أي مخزيهم في الدنيا (أو معذبهم عذاباً شديداً) في الآخرة لعدم إقلاعهم عما كانوا عليه من
الفسق (قالوا) أي الواعظون (معذرة) قرأه حفص عن عاصم بالنصب أي وعظناهم لأجل
المعذرة والباقون بالرفع أي موعظتنا معذرة (إلى ربكم) لئلا ننسب إلى نوع تغريط في النهي عن
المنكر (ولعلمهم يتقون) أي ورجاءاً لأن يتقوا بعض التقاة (فلما نسوا ما ذكروا به) أي فلما تركوا
ما وعظوا به بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلاً (أفنجينا الذين ينهون عن سوء) أي عن
أخذ الحيتان يوم السبت وهم الفريقان المذكوران (وأخذنا الذين ظلموا) بأخذ الحيتان ذلك اليوم
(بعذاب بشيس) أي شديد وقرأ أبو بكر بيش على وزن ضيغ وابن عامر بشس بوزن حذر (بما كانوا يفسقون)
أي أخذناهم بالعذاب بسبب الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم فالباء أن متعلقان بأخذنا
(فلما عتوا عما نهوا عنه) أي فلما أبوا عن ترك ما نهوا عنه (فلما هم كونا قردة خاسئين) أذلاً بعداً عن
الناس (واذ تاذن ربك لبيعن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم) أي يذيقهم (سوء العذاب) أي
واذكر يا أكرم الرسل إذا علم الله أسلاف اليهود على السنة أنبياءهم أن لم يؤمنوا بأنبيائهم أن يسلط
عليهم من يعاقلهم إلى أن يسلموا أو يعطوا الجزية وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته (اندربك لسريع
العقاب) إذا جاء وقته لمن عصاه فيعاقبهم في الدنيا أما قبل مجيئ وقت العذاب فهو شديد الحلم (وانه لغفور
رحيم) لمن تاب من الكفر واليهودية ودخل في دين الإسلام (وقطعناهم في الأرض أعما) أي فرقنا
اليهود الذين كانوا قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الأرض فرقا كثيرة حتى لا تكون لهم شوكة فلا
يوجد بلد إلا وفيه طائفة منهم (منهم الصالحون) وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم أو الذين وراء

نهر الرمل (ومنهم دون ذلك) أي ومنهم من ثبت على اليهودية وخرج من الصلاح (وبلونا هم بالحسنات) أي بالنعم والخصب والعافية (والسيئات) أي بالجدوبة والشدايد (لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا عن معصيتهم إلى طاعة ربهم فإن كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة بالترغيب والترهيب (يخلف من بعدهم خلف) أي جاء من بعدهم هؤلاء الذين وصفناهم بـ (ورثوا الكتاب) أي أخذوا التوراة من أسلافهم (ياخذون عرض هذا الأدنى) أي متاع الدنيا على تحريف الكلام في صفة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الأحكام وهم يستحقرون ذلك الذنب (ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) أي ويقولون لا يؤاخذنا الله تعالى وإن يأتهم متاع مثل ما أتاهم أمس يأخذوه لحرصهم على الدنيا ولا يستمتعون منه أو المعنى أنهم يتقنون المغفرة من الله تعالى والحال أنهم مصررون على الذنب غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق) أي ألم يؤخذ عليهم ميثاق كائن في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الصدق وقد منعوا فيها عن تحريف الكتاب وتغيير الشرائع لأجل أخذ الرشوة وللمنى ففیه افترأ على الله تعالى ففيها من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة وإن لا يقولوا عطف بيان للميثاق (ودرسوا ما فيه) أي ذكروا ما في الكتاب لأنهم قرؤوه أو ذكروا ما أخذ عليهم لذلك وهذا عطف على ورثوا أو على ألم يؤخذ فإن المقصود من الاستفهام التقرير إثبات ما بعد النفي والمعنى قد أخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في ذلك الميثاق (والدار الآخرة) أي الجنة (خير للذين يمتقنون) عقاب الله من تلك الرشوة الخبيثة (أفلا تعقلون) إن الدنيا فانية والآخرة باقية وقرأنا نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب التفاتاً لهم ويكون المراد إعلاماً بما تنهاه القضب وتشديد التوبيخ أو يكون خطاً بهذه الامة أي أفلا تعقلون حالهم والباقون بالياء على الغيبة مراعاة لها في الضمائر السابقة (والذين يحسبون) قرأ أبو بكر عن طاسم بسكون الميم والباقون بفتحها وتشديد الميم (بالكتاب) أي والذين يعملون بما في الكتاب (وأقاموا الصلاة) وأما أقربت بالذکر لأنها أعظم العبادات بعد الإيمان (إننا لانضیع أجزا المصلين) وهذا الجملة خبر للوصول والربط حاصل بلفظ المصلين لأن مقام الضمير لا سيما فيه الألف واللام فانها تكفي في الربط عند الكوفيين وقيل الخبر محذوف والتقدير منا بون يقوله تعالى إننا لانضیع اعتراض وهذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه (وإذا تتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) أي وإذا ذكر يا أقرب الخلق إذ قلنا الجبل الذي سمع موهى عليه كلام ربه وأعطى الأوامر وجعلناه فوق رؤسهم كأنه سقيفة (وظنوا أنه واقع بهم) أن لم يقبلوا أحكام التوراة: (خذوا ما آتيناكم بقوة) أي وقلنا لهم اعملوا بما أعطيناكم بجد على إحكامكم كاليفعة (وإذا ذكروا ما فيه) من الثواب والعقاب ويقال لحفظوا ما فيه من الأمر والنهي ويقال اعملوا بما فيه من الخلال والحرام (لعلكم تتقون) أي راجعين أن تنتظموا في سلك المتقين (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وقرأنا نافع وأبو عمرو وابن طاهر على الجمع والباقون على التوحيد أي وإذا ذكر يا أقرب الخلق لليهود حين أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم (وأشهدهم على أنفسهم) قال (ألم نتوبكم قالوا بلى شهدنا) وذكر هذه الآية يجري مجرى تقرير المحبة على جميع المكلفين والمقصود من ذكرها هنا الاحتجاج على اليهود بتشديد الميثاق العام المنتظم للناس كافة ومنعهم عن التقليد وحثهم على الاستدلال وفي تفسير هذه الآية طريقان طريق السلف وطريق الخلف وطريق السلف إن الله تعالى لما خلق آدم أخرج أولاداً من ذرية آدم كلهم من ظهره أي من مسام شعر ظهره إذ تحت كل شعرة

تقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط في النفوذ فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصبيان من
العرق السائل ثم أخرج من هذا الذر الذي أخرج من آدم ذريته ذرا ثم أخرج من الذر الآخر ذريته ذرا
ثم أخرج من الذر الآخر ذريته ذرا وهكذا إلى آخر النوع الانساني والمحصرا لجميع قدام آدم ونظر لهم بعينه
وخلق الله تعالى فيهم العقل والفهم والنطق وجعل الذر المسالم أبيض والكافر أسود وخاطب الجميع
بقوله تعالى ألسنت بركم فقال الجميع بلى أي أنت ربنا ثم أعاد الجميع إلى ظهر آدم ويجب اعتقاد اخراج
الذرية من ظهر آدم كما شاء الله ومعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم الخ أي استنطقهم
بربوبيته تعالى فأقروا بذلك وقال الحكيم الترمذي إن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة منه
تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم وتحلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم إيمانهم وطريق
الحلف إن الله تعالى أخرج الذرية وهم الاولاد من أصلاب آبائهم وذلك لأخراجهم كانوا نطفة
فأخرجها الله تعالى في أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشراسويا وخلقها كاملا ثم
أشهدهم على أنفسهم بركب فيهم من دلائل واحدانيته وعجائب خلقه وغرائب صنعه فبالاشهاد
صاروا كأنهم قالوا بلى وإن لم يكن هناك قول باللسان فمحصل هذه الطريقة انه لاخراج ولا قول ولا
شهادة بالفعل وانما هذا كله على سبيل المجاز التمثيلي فشبه حال النوع الانساني بعد وجوده بالفعل
بصفات التكليف من حيث نصب الادلة الدالة على ربوبيته الله المقتضية لان ينطق ويقر بعقضاءها
بأخذ الميثاق عليه بالفعل بالاقرار بما ذكر وحينئذ فعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بركم
أي ونصب الله لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل
لهم ألسنت بركم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكينهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة
التمثيل والله أعلم بحقيقة الحال (أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أرتقوا انما أشرك آباؤنا
من قبل) وقرأ أبو عمرو وبالياء على الغيبة والياقون بالتاء وفي قوله تعالى شهدنا قولان فقيل انه من كلام
الملائكة وذلك لانهم لما قالوا بلى قال الله تعالى للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا عليهم لثلاثا يقولوا اما أقررنا
أو لثلاثا تقولوا أيها الكفرة أو شهدنا عليهم كراهة ان يقولوا وقيل انه من بقية كلام الذرية أي وأشهدهم
على أنفسهم بكذا وكذا لثلاثا يقولوا يوم القيامة عند ظهور الامر انا كنا عن واحدانية الربوبية لا نعرفه أو
كراهية ان يقولوا ذلك وعلى هذا التقدير فلا يجوز الوقف عند قوله شهدنا ولا يحسن على بلى وقوله أو
تقولوا معطوف على ان يقولوا والاعنى ان المقصود من هذا الاشهاد لثلاثا يقول الكفار انما أشركنا لان
آباؤنا أشركوا من قبل زماننا فقلدناهم في ذلك الشرك وقال الحلف معنى هذه الآية انا نصبنا هذه الدلائل
وأظهرناها للعقول كراهية ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فإني بنينا عليه منبه أو كراهية ان
يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد لا بسبب الاقنالان نصب الادلة على التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في
الانحراف عنه والاقبال على الاقتداء بالآباء كما قالوا (وكتاذريتهم بعدهم) لا تقدر على الاستدلال
بالدليل (أفتلكننا جاعل المبطون) من آياتنا المضلين فالمراد اخذناهم على علمهم والمعنى لا يمكنهم الاحتجاج
بذلك لانه قامت الحجة عليهم يوم القيامة لا بخبر الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فن أنكره كان معاندا
ناقضا لله يهدول متهم المحجة ولا تسقط الحجة بنسبائهم بعد اخبار الرسل (وكذلك تفصل الآيات واعلمهم
يرجعون) أي مثل ما بينا خبر الميثاق في هذه الآية نبين سائر الآيات ليتدبروها فيرجعوا الى الحق
ويعرضوا عن الباطل (واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من

الغاوين) أي واتل يا أكرم الخلق على اليهود خبر الذي آتينا علوم الكتب القديمة والتصرف بالاسم
 الاعظم وهو أحد علماء بني إسرائيل فكان يدعو به حيث شاء فيجيب به من ما طالب في الحال وكان بحيث
 إذا نظر رأى العرش وكان في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة لأتباعه الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان
 أول من صنف كتابا أن ليس للعالم صانع وهذا معنى فأنسخ منها أي أنسخ من تلك الآيات أنسخ الحية
 من جلدها بأن كفر بها فأدركه الشيطان فصار من زمرة الضالين قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد
 رحمهم الله تعالى نزلت هذه الآية في بلتم بن باعورا وذلك لأن موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه
 وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه أن يدعو على موسى عليه السلام وقومه وكان يحجب الدعوة وعنده
 اسم الله الأعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل
 في التيه بدعائه فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعائه بلم فقال كما سمعت دعاءه على
 قاسم دعائي عليه ثم دعا موسى عليه أن ينزع منه اسم الله الأعظم والايان فسلخه الله عما كان عليه ونزع
 منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء (ولو شئت لرفعناه بها) أي ولو شئت لرفعناه لعمل بتلك
 الآيات فكان يرفع منزلته بواسطة تلك الأعمال الصالحة (ولكنه أخلد إلى الأرض) أي مال إلى الدنيا فأثر
 الدنيا الدنية على المنازل السنية (واتبع هواه) في إيثارة الدنيا معرضا عن تلك الآيات الجليلة (فقله كمثل الكلب
 أن يحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أي صفة بلم كصفة الكلب في حالتي التعب والراحة فهذا الكلب أن
 شدة عليه لهث وأن تركه أيضا لهث لاجل أن ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له فكذلك هذا الحريص الضال
 أن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال لاجل أن ذلك الضلال طبيعة ذاتية له واللهث ادلاع اللسان
 بالتنفس الشديد أي فالكلب دائم اللهث سواء أزعجته بالطرد العنيف أو تركته على حاله بخلاف سائر
 الحيوانات فإما لا تحتاج إلى التنفس الشديد إلا عند التعب (ذلك) أي المثل السيئ (مثل القوم الذين
 كذبوا بآياتنا) وهم اليهود حيث أوتوا في التوراة ما أوتوا من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وبشروا
 الناس باقتراب مبعثه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وأنسخوا من حكم التوراة (فأقصص القصص) أي
 فأقصص يا أكرم الرسل على قومك قصص الذين كذبوا أنبياءهم (لعلهم يتفكرون) أي يتعظون
 (سواء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي سواء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجّة عليها
 وعلمهم بها (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا داخل معه فحكم الصلة أي الذين جمعوا بين
 التكذيب في آيات الله وظلم أنفسهم خاصة وقرأ الجحدرى سواء مثل القوم (من يهدي الله فهو المهتدي)
 أي من يخلق الله فيه الاهتداء فهو المهتدي لدينه بآيات الياه وصلوا وقفا عند جميع القراء لثبوتها في
 الرسم بخلاف ما في الكهف والأسراء (ومن يضل) أي بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة
 لصرف اختياره جهتها (فأولئك) الموصوفون بالضلالة (هم الخاسرون) أي السكاملون في الخسران
 في الدنيا والآخرة فالهداية والضلالة من جهة الله تعالى وإنما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية
 في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعي إلى صرف العبد اختياره جهة تحصيله
 كسائر أفعال العباد (ولقد ذرأنا) أي خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها)
 بسبب امتناعهم عن صرفها إلى تحصيل الفهم فلهم وصف أحوال من كثير أوقلوب فاعل به (ولهم أعين
 لا يبصرون بها) شيئا من المبصرات ابصارا اعتبارا (ولهم آذان لا يسمعون بها) أي شيئا من المسموعات
 معاع تأمل فلا يفهمون بقلوبهم ولا يبصرون بأعينهم ولا يسمعون بأذانهم ما يرجع إلى مصالح الدين

(أولئك) أي الموصوفون بالأوصاف المذكورة (كالانعام) في انتفاء الشعور (بل هم أضل) من الانعام لأنها تعرف صاحبها وتطيعه وهو لا الكفار لا يعرفون ربهم ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء أطوع لله من ابن آدم (أولئك هم الغافلون) عما أعد الله لأوليائه من الثواب ولا أعدائه من العقاب (ولله الأسماء الحسنى) أي الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لئلا تتها على أحسن المعاني وأشرفها (فادعوه بها) أي فسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يلحدون في أسمائهم) أي واجتنبوا الذين يعملون في شأن أسماء الله تعالى عن الحق إلى الباطل أما بأن يسموه تعالى بما لا اذن فيه من كتاب وسنة أو بما يوههم معنى فاسد فلا يجوز أن يقال لله تعالى يا محي ولا يا عاقل ولا يا طيب ولا يا فقيه ولا يجوز أن يقال لله تعالى يا نجى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه لأن أسماء الله تعالى توقيفية أي تعليمية من الشرع لا اصطلاحية وقوله تعالى والله الأسماء الحسنى فادعوه بها يدل على أن الإنسان لا يدعوه إلا بتلك الأسماء الحسنى وهذه الدعوة لا تتأتى إلا إذا عرف معاني تلك الأسماء وعرف بالدليل أن له الها وربا خالقاً موصوفاً بتلك الصفات الشريفة فإذا عرف بالدليل ذلك لم يزد يحسن أن يدعوه بتلك الأسماء والصفات ثم إن لتلك الدعوة شرائط كثيرة منها أن يستحضر الأمرين عزرة الربوبية وذلة العبودية فهناك يحسن ذلك الدعا ويعظم موقع ذلك الذي ~~مكرر~~ وقرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والخاء وواقعه عاصم والكسائي في النحل (سيجزون) في الآخرة (ما كانوا يعملون) وهذا تهديد لمن ألحد في أسماء الله تعالى (ومن خلقنا أمة) أي طائفة كثيرة (يهدون بالحق) أي يهدون الناس ملتبسين بالحق ويدلونهم على الاستقامة (وبه يعدلون) أي وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق وهو القرآت سنقر بهم إلى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك لأنهم كلما أوتوا بجرم قطع الله عليهم باباً من أبواب النجاة والخير في الدنيا فزادون بطرا وانهم ما كافي الفساد ويتدرجون في المعاصي بسبب ترادف تلك النعم ثم يأخذهم الله تعالى دفعة واحدة على غرتهم أغفل ما يكون (وأمل لهم) أي أمهلهم وأطيل مدة أعمارهم (إن كيدى متين) أي إن استدراجي قوى لا يدافع بقوة ولا بحيلة وسمى العذاب كيداً لأن ظاهره إحسان ولطف وباطنه خذلان وقهر (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) أي أ كذبوا بآياتنا ولم يتفكروا ليس بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم حالة قليلة من الجنون والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للإعلام بأن طول مصابتهم له صلى الله عليه وسلم مما يطلمعهم على نزاهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة جنون فإني سمها جنة وخبرها بصاحبهم والجملة في محل نصب معمولة ليتفكروا (إن هو إلا تذكريمين) أي ما هو إلا رسول مخوف مظهر لهم في التخويف بلغة يعلمونها (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) أي أ كذبوا بها ولم ينظروا فطرنا مل فيه ما يدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة وفي ما خلق الله فيهما من جليل ودقيق ليدلهم ذلك على العلم بواحداً من أسماء الله تعالى وبسائر شؤنه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها فإن كل فرد من أفراد الأكوان دليل لا تخفى على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى التوحيد (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أي وفي أن الشأن عسى أن يكون أجلهم قد اقترب أي لعلمهم عوتون عن قريب فإلههم لا يسارعون إلى التدبر في الآيات الكونية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية فهل كوا على الكفر ويصبروا إلى النار (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي فبأي كتاب بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به أي لأنهم إذا لم

يؤمنوا بهذا القرآن مع ما فيه من هذه التنبيهات الظاهرة فكيف يرضى منهم الايمان بغيره (من يضل
الله فلا هادي له) فان اعراضهم عن الايمان لا ضلال الله اياهم (ويذرهم في طغيانهم) أي ضلالهم
(يعمّهون) أي يتكبرون وقرآن نافع وابن كثير وابن عامر ونذرهم بالنون والرفع على طريقة الالتفات
وأبو عمرو والياء والرفع وحزق والكسائي بالياء والجزم وقدرى الجزم بالنون عن نافع وأبي عمرو في الشواذ
(يسألونك) يا أشرف الخلق سؤال استهزاء (عن الساعة) أي عن وقت القيامة منهم عمل بن أبي قشير
وشمويل بن زيد والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة على حين
غفلة من الخلق أولان حساب الخلق يقضى فيها في ساعة واحدة أولانها مع طولها في نفسها ساعة واحدة
عند الخلق (أيان مرساها) أي متى حصولها (قل انما علمها عند ربّي) أي انه تعالى قد انفرده بحيث لم يخبر
به أحد من ملك مقرب أو نبي مرسل (لا يجليها لوقتها) أي لا يظهر أمرها الذي تسألونني عنه في
وقتها المعين (الاهو) أي لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاعلام الاهو (ثقلت في السموات والارض)
أي ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين على أهل السموات والارض فلم يعلم أحد من الملائكة المقربين والانبياء
المرسلين متى وقوعها (لا تأتاكم الا بغتة) أي فجأة على غفلة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تغيب
الناس فالرجل يصلح ووضعه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه (يسألونك كأنك حفي عنها) أي يسألونك عن كنه ثقل الساعة مشيها حالك عندهم بحال
من هو بالغ في العلم بها وحقيقة العلم كأم كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم
بها (قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي لا يعلمون السبب الذي لاجله أخفيت
معرفة وقتها المعين عن الخلق (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) أي أنا لا أدعي علم
الغيب ان أنا لا نذير وبشير ونظيره قوله تعالى في سورة يونس ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل وقيل ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا أخبرك
ربك بالرخص والغلاء حتى نشترى فنجو بالارض التي تجذب لثرتي الى الارض الحصبة فانزل الله
تعالى هذه الآية وقيل لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق جاءت ريح في الطريق
ففرقت الدواب منها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بموت رفاعه بالمدينة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال
صلى الله عليه وسلم انظر واين ناقتي فقال عبد الله بن أبي مع قومه ألا تهجبون من هذا الرجل يخبر عن
موت الرجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقتة فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت
وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعاق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فانزل الله تعالى قل لا أملك
لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله أي ان يفعل بي من النفع والضرر (ولو كنت أعلم الغيب) أي جلب منافع
الدنيا ودفع مضراتها (لا استكثر من الخير) أي لحصلت كثيرا من الخير بترتيب الاسباب (وما
مسنى السوء) لا احترازي عنه باجتنب الاسباب (ان أنا لا نذير) من النار (وبشير) بالجنة (لقوم
يؤمنون) بالجنة والنار (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (وجعل منها
زوجها) حواء خلقها الله من ضلع آدم من غير أذى (ليسكن اليها) أي ليستأنس بها (فلما تغشاها)
أي جامعها (حملت حملا خفيفا) في مبادئ الامر (فرت به) أي فاستمرت بالحمل على سبيل الخفة
وكنتم تقوم وتقع وتمشي من غير ثقل (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها (دعوا
الله ربهما) أي آدم وحواء (لئن آتيتنا صالحا) أي ولدا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين)

لنعمائكم (فلما آتاهما صالحا) أى ولدا آدميا مستويا لأعضائه خاليا عن العوج والعرج (جعلنا له) تعالى (شركاء فيما آتاهما) أى في تسمية ما آتاهما من الولد قيل لما آتاهما ذلك الولد السوى الصالح عزما على أن يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته وعبوديته على الإطلاق ثم بدلهم في ذلك فتارة كانوا ينتفعون به في مصالح الدنيا ومنافعها وتارة كانوا يأمرونه بخدمة الله وطاعته وهذا العمل وإن كان مناقرية وطاعة إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقيل لما ثقل الولد في بطنها آتاهما إبليس في صورة رجل وقال ما هذا يا حواء انى أخاف أن يكون كلبا أو بهيمة وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو ينشق بطنك تخافت حواء وذ كرت ذلك لآدم عليه السلام فلم ير الا في هم من ذلك ثم آتاهما وقال ان سألت الله أن يجعله صالحا حسو يا مثلك ويسهل خروجه من بطنك تسميه عبدا للحرث وكان اسم إبليس في الملائكة الحرث فآدم وحواء سميا ذلك الولد بعبدا للحرث تنبيها على أنه إنما سلم من الآفات ببركة دعاء هذا الشخص المسمى بالحرف فلما حصل الاشتراك في لفظ العبد لاجرم صار آدم عليه السلام معاتبافى هذا العمل بسبب الاشتراك الحاصل في مجرد لفظ العبد وهذا لا يقدر في كون الولد عبد الله من جهة كونه مخلوقه الا ان قد ذكرنا ان حسنات الأبرار سيئات المقربين (فتعالى الله عما يشركون) قيل ان المشركين كانوا يقولون ان آدم عليه السلام كان يعبد الأصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها فذكر تعالى قصة آدم وحواء وذكر انه تعالى لو آتاهما ولدا سويا صالحا لاستقلوا بشكر تلك النعمة ثم قال تعالى فلما آتاهما صالحا جعل لهما شركاء فقوله تعالى جعل لهما شركاء ورد بمعنى الاستفهام على سبيل الإنكار والتوبيخ والتقدير فلما آتاهما صالحا جعل لهما شركاء فيما آتاهما ثم قال تعالى فتعالى الله عما يشركون أى تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبونه الى آدم (أيشركون) بالله تعالى في العبادة (ملا يخلق شيئا) ومن حق المعبود أن يكون خالق العابد والعبد غير خالق لأفعاله لأن من كان خالقا كان الها فلو كان العبد خالقا لأفعال نفسه كان الها ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد غير خالق لأفعال نفسه (وهم) أى الأصنام (يخلقون) فهي منحوتة أو المعنى والكافرون مخلوقون فلو تفكروا في ذلك لم ينوا ولا يشركون بالخالق شيئا (ولا يستطيعون) أى الأصنام (لهم) أى لعبدتهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) أى ان الأصنام لا تنصر من أطاعها ولا تدفع عن أنفسها مكر وهما فان من أراد كسرهما لم تقدر على دفعه عنها والمعبود يجب أن يكون قادرا على إيصال النفع ودفع الضرر وهذه الأصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل عبادتها (وان تدعوهن الى الهدى لا يتبعوكم) أى وان تدعوا يامعشر الكفار الأصنام الى أن يهدوكم الى الحق لا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أَدْعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) أى مستمعون عليكم في عدم الافادة دعاءكم لهم وسكوتكم فلا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) أى ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام وتسمونهم آلهة مماثلة لكم من حيث انهم عملوا لله تعالى مسخرة لأمراء عاجزة عن النفع والضرر (فادعوهن) في جلب نفع أو كشف ضرر (فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) في ادعائهم آلهة ومستحقة للعبادة (ألهم أرجل يشون بها أم لهم أيدي يطشون بها) أى بل ألهم أيدي يأخذون بها ما يرون أخذه (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم على أعمال ان النافية عمل ما الحجازية أى ما الذى تدعون من دونه تعالى عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم أرجل الخ تقرير

لتفي المماثلة باثبات النقصان (قل ادعوا شركاءكم) قال الحسن ان مشركي أهل مكة كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتكم فقال الله تعالى له قل يا أكرم الرسل لهم ادعوا آل هتكم واستعينوا بهم في عدواني (ثم كيدوني) أي اعجلوا أنتم وألهتكم في هلاكى وبالغوا في تهينة ما تقدر ون عليه من مكر (فلا تنظرون) أي اعجلوا أنتم وألهتكم في كيدى ولا تؤجلون فاني لا أبالي بكم وبألهتكم لا اعتمادى على حفظ الله تعالى (ان ولي الله الذي نزل الكتاب) أي ان ناصرى هو الله الذي أنزل الكتاب المشتمل على هذه العلوم العظيمة النافعة (وهو يتولى الصالحين) أي ينصرهم فلا تضرهم عداوة من عاداهم وروى ان عمر بن عبد العزيز ما كان يدخر لولده شيئاً فقل له في ذلك فقال ولدى اما ان يكون من الصالحين أو من المجرمين فان كان من الصالحين فوليه الله ومن كان الله له ولياً فلا حاجة له الى مالى وان كان من المجرمين فقد قال تعالى فلن أكون ظهير للعجبرين ومن رده الله لم اشتغل باصلاح مهماته (والذين تدعون من دونه) أي والذين تعبدونهم من دون الله تعالى من الاصنام (لا يستطيعون نصركم) في أمر من الامور (ولا أنفسهم ينصرون) أي يمنعون عما يراد بهم فكيف أبالي بهم (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعون) أي وان تدعوا أيها المشركون تلك الاوثان الى أن يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم لا يجيبوا دعاءكم فضلاً عن المساعدة لانهم أموات غير احياء (وتراهم ينظرون اليك) أي وترى يا أشرف الخلق الاصنام يشبهون الناظرين اليك لانهم مصقرون بالعين والانف والاذن (وهم لا يبصرون) أي والحال انهم غير قادرين على الابصار لانهم أموات غير احياء (خذ العفو) أي اقبل الميسور من أخلاق الناس من غير تجسس لئلا تتولد العداوة أو المعنى خذ ما تيسر من المال فما أتوك به فخذ ولا تسأل عما وراء ذلك (وأمر بالعرف) أي باظهار الدين الحق (وأعرض عن الجاهلين) من غير عاراة ولا مكافأة قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال يا محمد ان ربك يقول هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عنه واذا أتيت من حرمك فقد أتيت بالمعروف واذا عفوت عن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين (واما ينزعنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) أي ان يصيبنك وسوسة من الشيطان فالتجئ اليه تعالى في دفعه عنك (انه مسمع عليم) أي انه تعالى مسمع باستعاذتك بلسانك (عليم) بما في ضميرك من استحضار معاني الاستعاذة بالقول اللساني بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والاثر وروى أنه لما نزلت تلك الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب متحقق فنزل قوله تعالى واما ينزعنك من الشيطان نزغ (ان الذين اتقوا) أي اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها (اذا ماسهم طائف من الشيطان) أي اذا أصابهم وسوسة من الشيطان وغضب (تذكروا) ما أمرهم الله به من ترك امضاء الغضب ومن أن الانسان اذا مضى الغضب كان شريكاً للسباع المؤذية والحيات القاتلة وان تركه واختار العفو كان شريكاً لكبر الانبياء والاولياء ومن أنه ربحاً انقلب ذلك الضعيف قوياً قادراً على الغضب فينتدبته منة على اسوأ الوجوه أما اذا عفا كان ذلك احساناً منه الى ذلك الضعيف (فاذا هم مبصرون) أي اذا حضرت هذه التذكريات في عقولهم ففي الحال يحصل الخلاص من وسوسة الشيطان ويحصل الانكشاف فينتهون عن المعصية (واخوانهم دونهم في النفي) أي واخوان الشياطين من الكفار يقوون الشياطين في الضلال وذلك لان شياطين الانس اخوان لشياطين الجن فشياطين الانس يضلون الناس فيكون ذلك تقوية منهم لشياطين الجن على الاضلال (ثم لا يقصرون) أي لا ينكف

الغاوون عن الضلال والمغوون عن الاضلال (واذا لم تأتهم) أى أهل مكة (بآية) كما طلبوا
(قالوا لولا اجتبيتها) أى هلا جمعتهما من تلقاء نفسك تقولانهم برعمون ان سائر الآيات كذلك أو هلا
اقترحتهما على الملئ ان كنت صادقاً في ان الله يقبل دعاءك و يجيب التماسك وعنده هذا أمر الله رسوله
أن يذ كر الجواب الشافي بقوله تعالى (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي) أى ليس لى أن اقترح على
ربي فى أمر من الامور وانما انتظر الوحي فكل شئ أككرمنى به قلته والا فالواجب السكوت وترك
الاقتراح فعدم الاتيان بالمجرات التى اقترحوها لا يقدح فى الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه
صلى الله عليه وسلم معجزة باهرة فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية فى تصحيح النبوة فكان طلب
الزيادة من باب التعتن فذكر الله تعالى فى وصف القرآن ثلاثة بقوله تعالى (هذا) أى القرآن
(بصائر من ربكم) أى بمنزلة البصائر للقلوب فيه تبصر الحق وتترك الصواب (وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون) بالقرآن فالقرآن فى حق أصحاب العلم اليقين وهم من بلغوا الغاية فى معارف التوحيد بصائر
وفى حق أصحاب علم اليقين وهم الذين وصلوا الى درجات المستدلين هدى وفى حق عامة المؤمنين رحمة (واذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وهذا خطاب مع الكفار عند قراءة الرسول عليهم السلام القرآن فى
مسلك الاحتجاج بكونه معجزاً على صدق نبوته فانهم قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
فأمروا بالاستماع حتى يمكنهم الوقوف على ما فى القرآن ولذا قال تعالى (لعلكم ترحمون) أى لعلكم
تطلعون على ما فى القرآن من دلائل العجز فتؤمنوا بالرسول فتصير وامر حومين (واذ كر ربك فى
نفسك) أى اذ كر ربك عارفاً بما فى الاذكار التى تقولها بلسانك مستحضراً الصفات السكال والعز والعلو
والجلال والعظمة وذلك لان الذكر باللسان اذا كان عارياً عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة (تضرعاً
وخيفة) أى متضرعاً وخائفاً ما فى تقصير الأعمال أو فى الحاجة أو فى أنه كيف يقابل نعمة الله التى
لا حصر لها بالطاعة الناقصة والاذا كان القاصرة (ودون الجهر من القول) أى متوسطين الجهر
والمخافة بأن يذ كر الشخص ربه على وجه يسمع نفسه (بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) والمعنى
أن قوله تعالى بالغدو والآصال دل على أنه يجب أن يكون الذى ذكر خاصاً فى كل الاوقات وقوله تعالى
ولا تكن من الغافلين يدل على أن الذى ذكر القلي يجب أن يكون دائماً وأن لا يغفل الانسان لحظة واحدة
عن استحضار جلال الله بقدر الطاقة البشرية وتحقيق القول أن بين الروح والبدن علاقة عجيبة لان كل
أثر حصل فى جوهر الروح نزل منه الى البدن وكل حالة حصلت فى البدن صعدت منه تتأثير الى الروح
الأتري ان الانسان اذا تخيل الشئ الحامض ضرر سسنه واذا تخيل حالة مكر وهمة وغضب مخن بدنه
فهذه آثار تنزل من الروح الى البدن واعلم أن قوله تعالى واذا كر ربك فى نفسك وان كان ظاهراً خطاباً مع
النبي صلى الله عليه وسلم الا أنه عام فى حق كل المكلفين ولكل أحد درجة مخصوصة بحسب استعداد
جوهر نفسه الناطقة (ان الذين عند ربك) أى ان الملائكة مع غاية طهارتهم وبراهتهم عن بواعث
الشهوة والغضب وحوادث الحقد والحسد (لا يستكبرون عن عبادته) بل يؤدون لها حسب ما أمروا به
(ويسبحونه) أى ينزهونه تعالى عن كل سوء (وله يسجدون) أى لا يسجدون لغير الله تعالى
فالتسبيح يرجع الى المعارف والعلوم والسجود يرجع الى أعمال الجوارح وهذا الترتيب يدل على أن
الاصل فى العبودية أعمال القلوب ويتفرع عليها أعمال الجوارح والله أعلم

﴿سورة الانفال مدنية غير قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾

فانهارت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وآياتها ست وسبعون وكلما ألف
ومائة وثلاثون وحر وفها خمسة آلاف ومائتان وأربع وتسعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال) أى يسألك يا أشرف الخلق أصحابك منهم سبعين أبى
وقاص أو قرابتك عن الغنائم يوم بدر وسميت الغنائم أنفالا لأن المسلمين فضلوها على سائر الأمم الذين لم
يحصل لهم الغنائم ولأنها عطية من الله تعالى زائدة على الثواب الأخرى للجهاد (قل الانفال لله والرسول)
أى قل يا أشرف الخلق حكم الانفال يوم بدر مختص به تعالى يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كيف
أمر به من غير أن يدخل فيه رأى أحد (فاتقوا الله) فى أخذ الغنائم واتركوا المنازعة فيها (واصلحوا
ذات بينكم) أى اصلحوا الحال فيما بينكم بترك النزاع وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا
الله ورسوله) فى أمر الصلح وارضوا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان كنتم مؤمنين)
فالايمان لا يتم حصوله الا بالتزام هذه الطاعة فاحذروا للخروج عنها (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم) أى انما الكاملون فى الايمان فزعت قلوبهم لمجرد ذكر الله من غير أن يذكر هناك
ما يوجب الفرع من صفاته وأفعاله استعظامه تعالى وقال أصحاب الحقائق الخوف على قسمين خوف
العقاب وخوف العظمة والجلال أما خوف العقاب فهو للعصاة وأما خوف الجلال والعظمة فهو لاي زول
عن قلب أحد من المحققين سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلًا وكل من كان أعرف بجلال الله كان هذا
الخوف فى قلبه أكمل (واذا نلت عليهم آياته) أى الله التى هو القرآن (زادتهم ايمانا) أى يقينا بقول
الله (وعلى ربهم يتوكلون) أى ويعتمدون بالسكينة على فضل الله وينقطعون بالكلية عما سوى الله
(الذين يقيمون الصلاة) أى يتمون الصلاة الخمس بحقوقها (وعما رزقناهم ينفقون) أى ويؤدون
زكاة أموالهم (أولئك) أى الموصوفون بالصفات الخمس (هم المؤمنون حقا) أى ايمانا حقا لانهم
حققوا ايمانهم بضم الأعمال القلبية والقلبية اليه (لهم درجات عند ربهم) فتراتب السعادات
الحاصلة فى الجنة كثيرة ومختلفة (ومغفرة) بأن يتجاوز الله عن سيئاتهم وقال العارفون هى ازالة
الظلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله (ورزق كريم) قال هشام ابن عروة هو ما أعد الله لهم فى
الجنة من لذيذ الماء كل والمشارب وهناء العيش (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من
المؤمنين لسكارهون) أى انهم رضوا بهذا الحكم فى الانفال وان كانوا كارهين له كما أخرجك ربك من
المدينة بسبب حق يظهر وهو علو كلمة الاسلام والنصر على أعداء الله والحال أن فريقا من المؤمنين
لسكارهون الخروج للقتال لقلة العدد أو المعنى الانفال نابتة لله ثبوتها بالحق كما أخرجك من بيتك بالمدينة
بالحق أى بالوحى وذلك ان عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم
أبوسفیان وعمر بن العاص وعمر بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين
فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خر جواو بلغوا وادى دقران وهو قريب من الصفراء
نزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا
فاستشار النبي أصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خر جوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب
اليكم أم النغير وهو اسم عسكر مجتمع فقالوا بل العير أحب الينامن لقاء العدو وفتغير وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد دمست على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل أى
بجميع أهل مكة ومضى الى بدر فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقام عند ذلك أبو بكر وعمر فاحسنا في القول ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله
 لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو يا رسول الله امض كما أمرك الله
 فانما معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون
 ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فامض ما دامت عين منات طرف فتبسم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس فقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق
 لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وانا
 لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد
 وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم (يجادلونك في الحق) تلقى النغير
 (بعد ما تبين) أي بعد ما علم أنهم ينصرون أي نعمات وجهوا وجد الله هم هو قولهم ما كان خروجننا إلا
 لغير وهلاذ كرت لنا القتال لنتأهب له وكان ذلك لكراهم القتال (كأنما يساقون إلى الموت وهم
 ينظرون) أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف إلى القتل والحال أنهم ينظرون إلى أسباب الموت (واذ
 يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) أي واذا كروا وقت أن يعدكم الله بأن إحدى الطائفتين الغير
 أو العسكر مختصة بكم تسلطون عليها تسلط الملاك وتصرفون فيهم كيف شئتم (وتودون) أي وتحبون
 (أن غير ذات الشوكة) أي القوة (تكون لكم) وهو العير اذ لم يكن فيها إلا ربعو فارسا ورئيسهم أبو
 سفيان وذات الشوكة وهي العسكر وهم ألف مقاتل ورئيسهم أبو جهل (ويريد الله أن يحق الحق) أي
 يثبت النصر على الأعداء (بكلماته) أي بأسباب النصر من أوامره تعالى للملائكة بالامداد (ويقطع
 دابر الكافرين) والمعنى أنتم تريدون سفساف الأمور وهو العير للفوز بالمال والله تعالى يريد معاليها
 بأن تتوجهوا إلى النغير لما فيه من أعلاء الدين الحق واستئصال الكافرين (ليحق الحق) أي ليظهر
 الشريعة ويقوى الدين (ويبطل الباطل) أي وليظهر بطلان الباطل بتقوية رؤساء الحق وقهر
 رؤساء الباطل (ولو كره المجرمون) أي المشركون ذلك الاظهار (اذ تستغيثون ربكم) أي تطلبون
 منه الغوث كان يقولوا ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا أي فرج عنا قال ابن عباس
 حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف
 وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف استقبل القبلة ومد يده وهو يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك
 هذه العصابة لا تعبد في الأرض ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه أبو بكر ثم التزمه ثم قال كفاك يا نبي
 الله مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فنزلت هذه الآية واذا تستغيثون بدل من اذ يعدكم معكم
 لعمركم ويجوز أن يكون العامل في اذ هو قوله تعالى ويبطل الباطل (فاستجاب لكم أني ممدكم) أي
 معينكم (بألف من الملائكة مردفين) وقرأ عيسى بن عمر وروى أيضا عن أبي عمرو واني بكسر الهمزة
 على اضمار القول أو على اجراء استجاب مجرى قال والعامية على فتح الهمزة بتقدير حرف الجر وقرأ نافع
 وأبو بكر عن عاصم وروى عن قنبل أيضا مردفين بفتح الدال أي ان الله أردف المسلمين بهم وأيدهم
 بهم بمعنى ان الملائكة كانوا مقدمة الجيش أو ساقاتهم والباقون بكسرهما أي متتابعين يأتي بعضهم اثر
 بعض وروى أنه نزل جبريل بخمسمائة مقاتل بهم في عين العسكر وفيه أبو بكر ونزل ميكائيل بخمسمائة
 قاتل بها في يسار الجيش وفيه على (وما جعله الله الا بشري) أي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة

عيانا للبشرى لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن به) أى بالامداد (قلوبكم) كما كانت السكينة
 لبني اسرائيل كذلك (وما النصر الا من عند الله) لا من عند غيره أى ان الله ينصركم أيها المؤمنون
 فتقوا بنصره ولا تتكلموا على قوتكم (ان الله عزيز) أى قاهر لا يقهر (حكيم) فيما ينزل من
 النصره فيضعها في موضعها (اذ يغشاكم النعاس أمنة منه) أى يجعل الله النعاس مغطيا لكم أمانا من
 خوف العدو من الله تعالى واذ بدل ثان من اذ يعدكم قال الزجاج محلها نصب على الطرفية والمعنى وما
 جعله الله الا بشرى في ذلك الوقت قرأ العامة يغشاكم بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين وقرأ نافع بضم
 الياء وسكون الغين والفاعل في الوجهين هو الله تعالى وقرأ أبو عمرو وابن كثير يغشاكم بفتح الياء والشين
 وسكون الغين والنعاس فاعل أى اذ يلقى عليكم النوم الخفيف أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم
 وحصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على زوال الخوف (وينزل عليكم من السماء ماء) قرأ
 ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (ليظهركم به) من الاحداث وفي الخبر ان المشركين سبقوا الى موضع
 الماء وطمعوا لهذا السبب أن تكون لهم الغلبة وعطش المؤمنون وخافوا من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة
 وأكثرهم احتملوا وموضعهم كان رملا تغوص فيه الارجل ويرتفع منه الغبار الكثير وكان الخوف
 في قلوبهم شديدا بسبب كثرة العدو وكثرة الهتهم فلما أنزل الله ذلك المطر صار ذلك دليلا على حصول
 النصره وعظمت النعمة به (ويذهب عنكم رجس الشيطان) أى وسوسته روى أنهم لما ناموا واحتلم
 أكثرهم عثل لهم ابليس وقال أنتم ترغمون انكم على الحق وأنتم تصلون على الجنابة وقد عطشتم ولو
 كنتم على الحق لما غلبوكم على الماء فأنزل الله تعالى المطر حتى جرى الوادى واتخذ المسلمون حيضانا
 واغتسلوا وتلبسوا بالزمل حتى ثبتت عليه الاقدام (وليربط على قلوبكم) أى ليحفظ قلوبكم بالصبر
 (ويثبت به) أى الماء (الاقدام) على الزمل فقدروا على المشي عليه كيف أرادوا (اذ يوحى ربك
 الى الملائكة أنى معكم) فانه تعالى أوحى الى الملائكة انى مع المؤمنين (فتبتوا الذين آمنوا) أى
 فانه روهم وبشروهم بالنصرة وقدر وى أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذى يعرفونه بوجهه فيأتى ويقول
 انى سمعت المشركين يقولون والله لئن حملاوا عليه نالننكسفن وعيشى بين الصفيين فيقول ابشروا فان الله
 تعالى ناصركم (سألنى في قلوب الذين كفروا العرب) أى المخافة من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 (فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أى فاضربوا رؤوسهم واضربوا أطراف الاصابع
 أى اضربوهم في جميع الاعضاء من أعاليها الى أسافلها كيف شئتم لان الله تعالى ذكر الاشرف
 والاخص فهو اشارة الى كل الاعضاء (ذلك) أى لقاؤهم الحزى من الوجوه الكثيرة (بأنهم شاقوا الله
 ورسوله) أى خالفوهما فى الاوامر والنواهي (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) أى
 ومن يخالفهما فان الله يعاقبه فى القيامة وهو شديد العقاب فالذى نزل بهم فى ذلك اليوم قليل بالنسبة لما
 أعده الله لهم من العقاب فى القيامة (ذلكم) أى الامر ذلكم فالخطاب للكفرة (فذوقوه) فى الدنيا (وأن
 للكافرين عذاب النار) والمعنى حكم الله ذلكم من أن ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار
 لكم آجلا (يا أيها الذين آمنوا اذ القيمت الذين كفروا زحفا) أى مثل الزاحفين على أذبارهم فى بطن السير
 لاجتماعهم (فلا تولوهم الادبار) أى لا تجعلوا ظهوركم على أيديهم بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم (ومن
 يولهم يومئذ) أى يوم اللقاء (دبره الا متحرفا للقتال) بأن يخيل عدوه أنه منهزم ثم ينعطف عليه (أو متحيزا
 الى فئة) أى متحيزا الى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو (فقدباء) أى رجع

(بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير) والفرار من الزحف من أكبر الكبائر إذا لم يزد العدد على الضعف (فلم تقتلوهم) أنتم بقوةكم (ولكن الله قتلهم) لتسلطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم أي فلم تؤثر قوتكم في قتلهم ولكن التأثير لله (ومارميت) يا أكرم الرسل (اذرميت) أي ومارميت في الحقيقة وقت رميت التراب إلى وجوه المشركين (ولكن الله رمى) أي أوصل رميك إليهم روى أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائهم ونفسهم باكبذون رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فنزل إليه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمع ان قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه اعطني قبضة من التراب من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شأهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بكسر النون مخففة ورفع اسم الحلالة (وليملي المؤمنين منه بلاء حسنا) أي ولينعم الله عليهم من رمى التراب نعمة عظيمة بالنصر والغنية والثواب وهذا معطوف على قوله تعالى ولكن الله رمى (ان الله سميع) لاستغاثتهم (عليم) بأحوال قلوبهم الداعية إلى الاجابة (ذلكم) أي الامر ذلكم أي البلاء الحسن (وأن الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم وقرأ حفص عن عاصم موهن كيد بالاضافة وسكون الواو وقرأ ابن عامر والكوفيون بعدم الاضافة ونافع وابن كثير وأبو عمر وكذلك كن مع فتح الواو وتشديد الهاء أي والامر ان الله مضعف ضيع الكافرين (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت) قال الحسن ومجاهد والسدي وهذا خطاب للكفار على سبيل التهكم بهم وقال السدي ان المشركين لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا أستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلی الجندين واهدي الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين والمعنى ان تستنصروا أيها الكفار لا على الجندين فقد جاءكم النصر لا على كلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهمكم في الجحى أو فقد جاءكم الهزيمة فالتهمكم في نفس الفتح وان تنتهوا عن قتال الرسول وعداوته وتكذيبه فهو خير لكم في الدين بالخلاص من العقاب والغزو والثواب وفي الدنيا بالخلاص من القتل والاسر والنهب وان تعودوا إلى القتال نعد إلى تسلط المسلمين على قتلكم ولن تدفع عنكم جماعتكم شيأ من الضر ولو كثرت وقيل هذا خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا أيها المؤمنون فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن المنازعة في أمر الانفال وعن طلب الغداء على الامر فهو خير لكم وان تعودوا إلى تلك المنازعة نعد إلى ترك نصرتكم ثم لا تنفعكم كثرتكم (وأن الله مع المؤمنين) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأن بفتح الهمزة وهو خبر مبتدأ محذوف أي والامر ان الله مع الكاملين في الايمان (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا رسوله) في الاجابة إلى الجهاد وإلى ترك المال اذا أمر به بتركه (ولا تولوا عنه) أي ولا تعرضوا عن الرسول أي عن قبول قوله وعن معونته في الجهاد (وأنتم تسعون) دهاء إلى الجهاد (ولا تكونوا كالذين قالوا) بالسنتهم (سماؤهم لا يسمعون) أي انا قبلنا تكاليف الله تعالى والحال انهم يقولونهم لا يقبلونها (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أي ان شر كل حيوان في حكم الله تعالى من لا يسمع الحق ولا ينطق به ولا يفقد أمر الله تعالى قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم بدر وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لامنعهم) أي لو حصل

في بن عبد الدار خير لا سمعهم الله الحجة والمواظبة سمعهم (ولو أسمعهم) بعد أن علم أنه لا خير فيهم
 (لتولوا) عنها ولم ينتفعوا بها (وهم معرضون) أي والحال أنهم مكذبون بها قيل إن الكفار سألو
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبروهم بمحنة نبوته صلى
 الله عليه وسلم فبين الله تعالى أنه لو علم فيهم خير أو هو انتفاعهم بقوله هؤلاء الأموات لا حياهم الله تعالى
 حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم أنهم لا يقولون أحى لنا قصيافانه كان شيخا مباركا حتى يشهد
 لك بالنبوة فتؤمن بذلك الأعلى سبيل العناد والتعنت وأنه لو أسمعهم الله كلام قصي وغيره لتولوا عن قبول
 الحق على أديارهم ولا عرضوا عما سمعوه بقلوبهم (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم
 لما يحْيِيكم) أي اجيبوا الله والرسول بحسن الطاعة إذا دعاكم الرسول إلى ما فيه سبب حياتكم الأبدية
 من الإيمان أو القرآن أو الجهاد وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي
 ابن كعب وهو في الصلاة فدعا فجهل في علاته ثم جاء فقال صلى الله عليه وسلم له ما منعك عن اجابتي قال
 كنت في الصلاة قال ألم تخبر فيها أوحى إلى استجبوا لله وللرسول فقال لا جرم لا تدعوني إلا أجيبتك
 (واعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي يحول بين المرء وبين ما يريد بقلبه فإن
 الأجل يحول دون الأمل فكأنه تعالى قال بادروا إلى الأعمال الصالحة ولا تعتمدوا على ما يقع في قلوبكم
 من توقع طول البقاء فإن ذلك غير موثوق به وقال مجاهد المراد من القلب هنا العقل أي فإن الله يحول بين
 المرء وعقله والمعنى فبادروا إلى الأعمال وأنتم تعتقون فإنكم لا تأمنون زوال العقل والله يحول بين المرء
 الكافر وطاعته ويحول بين المرء المطيع ومعصيته والقلب بيد الله يقبلها كيف يشاء وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ولا يستطيع المرء أن يؤمن ولا أن
 يكفر إلا بإذنه تعالى (وأنه) أي واعلموا أن الشأن (إليه) أي الله تعالى (تخشرون) في الآخرة
 فيجزىكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا إلى طاعة الله ورسوله (واتقوا فتنة لا تصيب من الذين ظلموا
 منكم خاصة) أي واحذروا فتنة أن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى إليكم جميعا وتصل إلى
 الصالح والطالح وحذر تلك الفتنة بالنهي عن المنكر فالواجب على كل من رآه يزيله إذا كان قادرا على
 ذلك فإذا سكت عليه فكلمهم عصاة هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله تعالى الرضا بمنزلة العامل
 فانتظم في العقوبة وعلامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الحلال الذي يقع في الدين بفعل المعاصي فلا يتحقق
 كون الإنسان كارهاله إلا إذا تألم لفقد ماله أو ولده فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالمنكر فتنعه عنه
 العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار (واعلموا أن الله شديد العقاب) ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر
 سببه والمعنى الزموا الاستقامة خوفا من عذاب الله تعالى (واذكروا) يا معشر المهاجرين (إذا أنتم
 قليل) في العدد في أول الأسلام (مستضعفون في الأرض) أي مقهورون في أرض مكة (تخافون
 أن يخطفكم الناس) تخافون إذا خرجتم من البلدان تأخذكم مشركوا العرب بسرعة لشدة عداوتهم
 لكم ولقرىبهم منكم (فآوكم) أي نقلكم إلى المدينة فصرت آمنين من كفار مكة (وأيدكم بنصره)
 أي قواكم بنصرته يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) أي من الغنائم وهي كانت محرمة على من كان
 قبل هذه الأمة (لعلكم تشكرون) هذه النعم العظيمة (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول)
 في الدين وفي الإشارة إلى بني قريظة أن لا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ (وتخونوا أماناتكم) فيما
 بينكم (وأنتم تعلمون) أن ما وقع منكم خيانة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حاصر يهود

بنى قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار فسالوه صلى الله عليه وسلم الصلح كما صلح بنى
 النضير على ان يسيروا الى اخوانهم في أذرعات واريحان الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل اليينا بالبالة وهو رفاعه بن عبد المنذر
 نستشيره في أمرنا وكان مناهما لهم لان ماله وعياله عندهم فأرسله اليهم فقالوا يا أبا البالة ما ترى لنا ان ننزل
 على حكم سعد بن معاذ فيينا فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه أى حكم سعد هو القتل فلا تفعلوا فكان ذلك منه
 خيانة لله ورسوله (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى محنة من الله تعالى ليلبواكم فيهم فلا
 يحملنكم حبههم على الخيانة كآبى لبابة لانه يشغل القلب بالديناو يصيره حجاباً عن خدمة المولى (وأن الله
 عنده أجزع عظيم) فان سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لانها أعظم في الشرف وفي المدة لانها تبقى
 (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) أى نجاة مما تخافون في الدارين (ويكفر عنكم
 سيئاتكم) أى يسترها في الدنيا (ويغفر لكم) أى يرزقها في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) على
 عباده بالمغفرة والجنة (واذ يكره الذين كفروا) أى واذا كرهوا أشرف الخلق وقت احتياهم بك في
 ايصال الضرر والهلاك (ليثبتوك) أى ليسجنوك أو ليثبتوك بالوثاق كما قرى ليقيدوك (أو يقتلوك)
 بسيوفهم (أو يخرجوك) من مكة (ويكفرون) أى يريدون هلاكك يا أكرم الرسل (ويكفر الله)
 أى يرد مكرهم عليهم وذلك بأن أخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا ما لقوا
 (والله خير الماكرين) أى أقواهم فكل مكر يبطل في مقابلة فعل الله تعالى قال المفسرون ان مشركي
 قريش عرفوا لما أسلمت الانصار أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في
 دار الندوة أى في الدار التي يقع فيها الاجتماع للحدث ورؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبوسفيان
 وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وأبو الجحترى بن هشام وزمعة بن
 الاسود وحكيم بن حزام وأبو جهل وأممية بن خلف ونبيهة ومنه بن ابنا الحجاج ودخل عليهم ابليس في صورة
 شيخ وقال أنا من أهل نجد وتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو بن هشام قيده
 وسدوا باب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فقال ابليس
 لا مصلحة فيه لانه يغضب له قومه فتسفل فيه الدماء فقال أبو الجحترى بن هشام أخرجوه عنكم تستريحوا
 من أذاه لكم فقال ابليس لا مصلحة فيه لانه يجمع طائفة على نفسه ويقاتلكم بهم وقال أبو جهل الراى ان
 نجتمع من كل قبيلة رجل فيضربوه بأسسيفهم ضربة واحدة فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل فلا يقوى
 بنوه اشم على محاربة قريش كلها فيرضون بأخذ الدية فقال ابليس هذا هو الراى الصواب فأوحى الله تعالى
 الى نبيه بذلك وأمره ان لا يبيت في مضجعه وأذن له في الهجرة الى المدينة وأمر علياً ان يبيت في مضجعه
 وقال له تسج ببردتى فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وهم المشركون بالولوج عليه صلى الله عليه وسلم
 فصاحت امرأتهم من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها السبة في العرب ان يتحدثوا عنا نأتسوزنا الحيطان
 على بنات العم وهتكنا سر حرمتنا وابتوا مترصدين على الباب ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 الباب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه فأخذ قبضة من تراب ونثره على رؤسهم كلهم ومضى هو وأبو بكر الى
 الغار فلما أصبحوا سارا الى مضجعه صلى الله عليه وسلم فأبصروا علياً فقالوا له وأين صاحبك فقال
 لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الغار رأوا على بابهم نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم تنسج العنكبوت
 على بابك فكث فيه ثلاثاً من الليالي ثم قدم المدينة (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن (قالوا قد سمعنا)

ما قال محمد صلى الله عليه وسلم (لئن شاء قلنا مثل هذا ان هذا الأساطير الاولين) أى ما هذا القرآن
الاما كتب الاولون من القصص روى أن النضر بن الحرث خرج الى الحيرة بلدة بقرب الكوفة تاجرا
واشترى أحاديث كيلة ودمنة وكان يقعد مع المستهزئين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الاولين كالفرس
والروم وكان يزعم انهم مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين واسناد القول الى الكل مع أن القائل هو
النضر لما انه كان رئيسهم وقاضيه وهو الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه (واذ قالوا اللهم ان كان
هذا) أى الذى يقوله محمد صلى الله عليه وسلم (هو الحق) بالنصب خبر كان ودخلت هو للفصل (من
عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) عقوبة على انكارنا (أو اتينا بعذاب أليم) غير الحجارة قاله
النضر استهزاء وقد أمره المقداد يوم بدر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم أو قاله أبو جهل وقد ذبحه ابن مسعود
يوم بدر (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) أى لا يفعل الله بهم هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال مادام
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حاضر معهم تعظيما له وأيضا ان عادة الله مع جميع الانبياء المتقدمين لم
يعذب أهل قرية الا بعد أن يخرج رسولهم منها كما كان في حق هود وصالح ولوط (وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون) أى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون لانه صلى الله عليه
وسلم لما خرج من مكة بقى فيها لم يستطع الهجرة من مكة من المسلمين (وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم
يصدون عن المسجد الحرام) أى ولا مانع من اهلاك الله لهم بعد ما خرجت من بينهم وحالهم يمنعونك
والمسلمين عن الطواف ببیت الله يوم الحديبية (وما كانوا أولياءه) أى والحال انهم كانوا أولياء
المسجد وهذا رد لقولهم نحن ولاية البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان أولياءه الا المتقون)
أى ما أولياء المسجد الا الذين يتحرزون عن المنكرات كما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاتبة والتصدية
ومن كانت هذه حاله لم يكن وليا للمسجد الحرام بل هم أهل لان يقتلوا بالسيف ويحاربوا (ولكن أكثرهم
لا يعلمون) انه لا ولاية لهم عليه (وما كان صلاتهم) أى عبادتهم (عند البيت الأمكان) أى صغيرا
(وتصدية) أى تصفيقا أى ما كان شئ عما يعدونه عبادة الا هذين الفعاين قال ابن عباس كانت قریش
يطوفون بالبيت عراة مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون بأحدى اليدين بالآخرى (فذوقوا
العذاب) أى عذاب السيف يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ان
الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى عن دينه قال مقاتل والسكبي نزلت هذه الآية
في المطعنين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من كبار قریش أبي جهل وأصحابه يطعم كل واحد منهم كل يوم
يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبیر ومجاهد نزلت في أبي سفيان وكان استأجر ليوم أحد ألفين من الاحابيش
سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا وأخرج ابن اسحق
عن مشايخه انها نزلت في أبي سفيان ومن كان له في العير من قریش تجارة (فسينفقونها) أى أموالهم
(ثم تكون) أى الاموال (عليهم حسرة) أى ندامة لغواتها وفوات قصدهم من نصرتهم على محمد (ثم
يغلبون) آخر الامر (والذين كفروا) أى أصروا على الكفر أبو جهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون)
أى يساقون يوم القيامة (ليميز الله الخبيث من الطيب) أى ليميز الله الفريق الخبيث من الكفار من
الفريق الطيب من المؤمنين واللام متعلقة بحشرون أو يغلبون أو المعنى ليميز الله نفقة الكافر على عداوة
محمد من نفقة المؤمن في جهاد الكفار كانفاق أبي بكر وعثمان في نصرته الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة
والكسائي ليميز بضم الياء الاولى وفتح الميم وتشديد الياء المكسورة (ويجعل الخبيث بعضه على بعض)

أى ويجعل الفريق الحبيث بعضه على بعض (فيركه) أى فيجمعه (جميعا) لغرط ازدحامهم (فيجعله)
 أى يطرحه (في جهنم) وقيل المعنى يضم الله تعالى تلك الأموال الحبيثة بعضها إلى بعض فيلقمها في جهنم
 ويعذبهم بها (أولئك) أى الذين كفروا (هم الخاسرون) أى السكاملون في الغبن (قل للذين
 كفروا) أبى سفيان وأصحابه أى قل يا أشرف الخلق لأجلهم (أن ينتهوا) عن الكفر وعداوة الرسول
 صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ما قد سلف) من الذنوب قال صلى الله عليه وسلم الأسلام يجب ما قبله
 (وأن يعودوا) إلى الكفر ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم أى وأن يرتدوا عن الأسلام بعد دخولهم فيه
 ويرجعوا إلى الكفر وقتال النبي ينتقم منه بالعذاب (فقد مضت سنة الأولين) أى لأنه قد سبقت سيرة
 الأولين الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتدمير كما جرى على أهل بدر (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
 الدين كله لله) أى قاتلوا كفار أهل مكة لئلا توجد فتنة حتى يخرج المسلمون إلى الحبشة وتوامرت قريش
 أن يفتنوا المؤمنين بمكة عن دينهم حين بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وليكون
 الدين كله لله في أرض مكة وما حولها لا يعبد غيره (فانتهوا) عن الكفر وسائر المعاصي بالتوبة
 والإيمان (فان الله بما يعملون بصير) أى عالم لا يخفى عليه شيء يوصل إليهم ثوابهم (وأن تولوا) عن
 التوبة والإيمان (فاعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله مولاكم) أى حافظكم ورافع البلاء عنكم
 (نعم المولى) أى الولي بالحفظ (ونعم النصير) لا يغلب من نصره وكل من كان في حماية الله تعالى كان
 آمنا من الآفات مصونا عن المخوفات والمعنى وأن تولوا عن الإيمان فلا تخشوا بأسهم لأن الله مولاكم
 (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة) أى واعلموا يا معشر المؤمنين أن الذي أصبتموه كأثما من شيء
 قليلا كان أو كثيرا فواجب أن لله خمسة بمعنى أنه تعالى أمر يقسمه على هؤلاء الخمسة فذكر الله للتعظيم
 وقوله أن لله خمسة خبر مبتدأ محذوف أى فكون خمسة لله واجب وهذه الجملة خبر لان (وللرسول) أما
 بعد وفاته فيصرف سهمه إلى مصالح المسلمين عند الشافعي وقال أبو حنيفة سهمه ساقط بسبب موته وقال
 مالك هو مفقوض إلى رأى الامام (ولذي القربى) أى ولقرباة النبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم
 وبنى المطلب دون من عداهم من أغنيائهم وفقرائهم يقسم الخمس بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
 (واليتامى) أى الذين مات آباؤهم وهم فقراء غير يتامى بنى عبد المطلب (والمساكين) أى ذوى
 الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) أى المحتاج في سفره ولا معصية بسفره (ان كنتم آمنتم بالله وما
 أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والفتح (يوم الفرقان) أى يوم بدر معى
 به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بأنزلنا أو بآمنتم (يوم التقى الجمعان) أى الفريقان من المسلمين
 والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان أو منصوب بالفرقان والمعنى ان كنتم آمنتم بالله وبالنزل على محمد يوم
 بدر فاعلموا أن خمس الغنمة مصروفة إلى هذه الوجوه الخمسة فاقطعوا أطماعكم عنه واقنعوا بالاحساس
 الأربعة (والله على كل شيء قدير) يقدر على نصر القليل على الكثير (إذا أنتم بالعدوة الدنيا) وهو بدل
 ثان من يوم الفرقان أى إذا أنتم كائنون في شط الوادى القربى من المدينة (وهم بالعدوة القصوى)
 أى المشركون في شفير الوادى البعدي منها (والركب أسفل منكم) أى العير التي خرجوا
 لها التي يقودها أبوسفيان وأصحابه كائنون بمكان أسفل منكم على ساحل البحر على ثلاثة أميال من
 بدر (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة على القتال (لاختلفتم في الميعاد) أى لخالف بعضكم بعضا في
 الميعاد هيبة منهم لكثرتهم وقتلتكم (ولكن) جمع الله بينكم على هذه الحال بغير ميعاد (ليقض الله

أمر (كان مفعولا) أي ليقضى أمرا كان مفعولا في علمه وهو النصر والغنيمة للنبي وأصحابه والهزيمة والقتل لآبي جهل وأصحابه ويكون استيلاء المؤمنين على المشركين معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وهو بدل من ليقضى أي ليموت من مات عن بينة ما ينهوا يعيش من يعيش عن بينة شاهدها لثلاث يكون له حجة ومعذرة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة (وان الله لسميع) لدلائلكم (عليم) بحاجتكم وضعفكم فاصلح مهمكم (اذيرير يركهم الله في منامك) قبل يوم بدر (قليل) مع كثرتهم فأخبر بذلك أصحابه فقالوا رثا يا النبي حق فصار ذلك تشجيعا للمؤمنين (ولو أراكم كثير الفشلتم) أي ولو أراكم الله المشركين كثيرا لذكرته للقوم ولو سمعوا ذلك لجبنوا (ولتنازعتم في الأمر) أي لختلفتم في أمر القتال ولتفرقت آراؤكم في الفرار والثبات (ولكن الله سميع) أي سميعكم من المخالفة فيما بينكم (انه عليم بدات الصدور) أي بالخطرات التي تقع في القلوب من الصبر والجزع والجراءة واللين ولذلك دبر ما دبر (واذيرير يركهم وهم اذا التقيتم في أعينكم قليلا) أي واذا يبصركم أيها المؤمنون أيهاهم قليلا حتى قال ابن مسعود لما في جنبه أترأهم سبعين فقال أراهم مائة وهم في نفس الأمر ألف تصديقاً لرواية الرسول صلى الله عليه وسلم ولتزداد جراءة المؤمنين عليهم (ويغلبكم في أعينهم) حتى قال أبو جهل انما أصحاب محمد أكلة جزور أي قليل يشبعهم جزور واحد فلا تقتلوههم واربطوهم بالحبال وقل الله عدد المؤمنين في أعين المشركين قبل التحام الحرب لثلاث يبالغ الكفار في تحصيل الاستعداد والحذر فيصير ذلك سبباً لانكسارهم فلما التحم القتال أرى الكفار المسلمين مثلي الكفار وكانوا ألقافاً والمسلمين قدراً ألفين أيهاوا وتضعف قلوبهم (ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) أي ليصير ذلك سبباً لاستيلاء المؤمنين عليهم (والى الله ترجع الأمور) بالبناء للفعول أي ترد للفاعل أي تصير ويصرف الله الأمور كلها كيفما يريد ولا تجري على ما يظنه العبيد (يا أيها الذين آمنوا اذا القيمت فئة فاثبتوا) أي اذا حاربتم جماعة من الكفرة فجدوا في المحاربة ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) بالقلب واللسان في أثناء القتال ومن الذكر ما يقع حال القتال من التكبير (لعلكم تفطنون) أي تفوزون بمرامكم من النصر والثوبة (وأطيعوا الله ورسوله) في أمر القتال غيره (ولا تنازعوا) أي لا تختلفوا في أمر الحرب (فتفشلوا) أي فتجبنوا (وتذهب ربحكم) أي شدتكم (واصبروا) على شدة الحرب (ان الله مع الصابرين) بالنصرة والكلام (ولا تكونوا) في الاستسكار والفخر (كالذين خرجوا من ديارهم) مكة لحماية العير (بطرا) أي شديد المرح (ورثاء الناس) أي ولثناء الناس عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك ان قريشا خرجوا من مكة لحفظ العير فلما بلغوا حجة أتاهم رسول أبي سفيان وقال ارجعوا الى مكة فقد سلمت عيركم فأبوا الا اظهار آثار الخلافة وأيضا لما وردوا بالحجة بعث الحفاف السكاني الى أبي جهل وهو صديق له بهذا يأمع ابن له فلما أتاه قال ان أبي يقول لك ان شئت ان أمدك بالرجال أمدتلك وان شئت ان أرحف اليك بمن معي من قرابتي فعلت فقال أبو جهل قل لا ييك جزاك الله خيرا ان كنا نقاتل الله كما يزعم محمد فوالله ما لنا بالله من طاقة وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بنا على الناس لقوة والله ما ترجع عن قتال محمد حتى ترد بدرا فنشرب فيها الخمر وتعزق علينا القيان وننحر الجزور في بدر فيثني الناس علينا بالشجاعة والسماحة وقد بدلهم الله شرب الخمر وشرب كأس الموت وبدل ضرب الجوارى على نحو الدفوف بنوح الناضحات وبدل نحر الجزور بقرابهم حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون واعلم ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على

العبد فان صرفها الى مرضاته تعالى وعرف انها من الله تعالى فذلك هو الشكر وامان توصل بها الى
المفخرة على الاقران والمغالبة بالكثرة على اهل الزمان فذلك هو البطر (ويصدون عن سبيل الله) أى
ويمنعون الناس من الدخول في دين الله وهذا معطوف على بطر او اغاذا كالبطر والرياء بصيغة الاسم
والصد بصيغة الفعل لان أبا جهل ورهطه كانوا يجبولين على المفخرة والرياء واما صدهم عن سبيل الله فافغا
حصل في الزمان الذى ادعى سيدنا محمد النبوة (والله بما يعملون محيط) أى والله عالم بما في دواخل
القلوب وهذا كالتهديد عن التصنع فان الاشارة بما أظهر من نفسه ان الحامل له الى ذلك الفعل طلب
مرضاة الله تعالى مع انه لا يكون الامر في الحقيقة كذلك (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) أى واذا ذكر
وقت تزوين الشيطان أعمالهم في معاداة المؤمنين وخر وجههم من مكة فان المشركين حين أرادوا المسير
الى بدر خافوا من بنى بكر بن كنانة لانهم كانوا يقتلوا منهم واحدا فلم يأمنوا ان يأتوهم من وراءهم فتصور لهم
ابليس بسـ ورة سراقبة بن مالك بن جعشم وهو من بنى بكر بن كنانة وكان من أشرفهم في جند من
الشياطين ومعه راية (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) أى لا غالب عليكم اليوم من بنى
كنانة ومن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وانى جار لكم) أى حافظكم من مضرتهم (فلما تراءت
الفتتان) أى التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع الكافرين بحيث رأت كل واحدة الآخرة ورأى
ابليس تزول الملائكة من السماء (نكص على عقبيه) أى رجع الى خلفه هاربا (وقال انى برى
منكم) فكان ابليس في صف المشركين وهو آخذ بيد الحرث بن هشام فقال له الحرث الى أين أت ترك
نصرتنا في هذه الحالة قال ابليس (انى أرى ما لاترون) وأرى جبريل بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ولم تروه ودفع ابليس في صدر الحرث و (انى أخاف الله) ان يهلكنى
بتسليط الملائكة على وقيل لما رأى ابليس الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون الوقت الذى أنظر
اليه قد حضر فقال ما قال اشفاقا على نفسه (والله شديد العقاب) قاله الشيطان بسطا لعذره وحينئذ
فهو تعليل أو هو مستأنف من محض كلامه تعالى تهديدا لابليس (اذ يقول المنافقون) وهم قوم من الاوس
والخزرج (والذين في قلوبهم مرض) أى شاك وهم قوم من قريش أسلموا ولم يقوا سلامهم في قلوبهم ولم
يهاجروا منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوليد وأبو قيس بن الفاكه والحرث بن زمة وعدى بن أمية والعاص
ابن منبه والعامل في اذنين أو اذ كرمقدرا (غرهؤلاء) أى محمد وأصحابه (دينهم) فانهم خرجوا وهم ثلاث
مائة وثلاثة عشر يقاتلون ألف رجل وماذا الا انهم اعتمدوا على دينهم وقال هؤلاء لما خرج قريش
لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مع قومنا فان كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة أقنا
في قومنا فلم يخرجوا مع قريش ورأوا قلة المسلمين وكثرة الكفار رجعوا الى الكفر وقالوا ذلك القول وقتلوا
جميعا مع المشركين يوم بدر ولم يحضره منافق في بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم الا واحد هو عبد الله بن أبي
(ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) أى ومن يعول على احسان الله ويشق بفضله ويسلم أمره الى الله
فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شئ حكيم يوصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه (ولو ترى
اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) أى ولو رأيت يا أشرف الخلق الكفرة حين يتوفاهم الملائكة في بدر
(يضربون وجوههم وأدبارهم) يقولون لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى النار لانه كان مع
الملائكة مقامع وكلما ضربوا بها التهب النار منها في الاجزاء وجواب لو محذوف أى رأيت أمر فظيما
لا يكاد يوصف (ذلك) العذاب (بما قدمت أيديكم) أى بسبب ما عملت أيديكم من الكفر والمعاصي

(وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي والأمر أنه تعالى ليس بعذب لعبيده بغير ذنب من جهتهم (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) أي عادة كفار قريش فيما فعلوا من الكفر وما فعل بهم من العذاب كعادة آل فرعون وقوم نوح وعاد واهلهم من الكفر والعناد في ذلك (كفروا بآيات الله) أي أنكروا الدلائل الإلهية وهذه الجملة تفسر لدأب كفار قريش (فأخذهم الله بذنوبهم) أي بسبب ذنوبهم (إن الله قوي) بالأخذ (شديد العقاب) أي إذا عاقب (ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمته أنعمها على قوم حتى يغير وأما بأنفسهم) أي تعذيب الكفرة بما قدمت أيديهم بسبب أن الله لم يكن مغيراً نعمته أنعم بها عليهم كالتعقل وإزالة الموانع حتى يغيروا أحوالهم فإذا صرفوا تلك النعمة إلى الفسق والكفر فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم فاستحقوا تبديل النعم بالنقم والمنع باليمن (وأن الله سميع عليم) أي وبسبب أنه تعالى يسمع ويعلم جميع ما يتنون وما يذرون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) أي حتى يغيروا وأما بأنفسهم تغيروا كأننا كتنغير الأمم الماضية (كذبوا بآيات ربهم) أي كذب آل فرعون ومن قبلهم بأنه تعالى ربهم وأنعم عليهم فأنكروا دلائل التريية والاحسان مع كثرتها وتواليها عليهم كما كذب أهل مكة ذلك (فأهلكناهم بذنوبهم) أي أهلكنا بعضهم بالرجعة وبعضهم بالحسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) أي وكل من الفرق المكذبة كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعصية ولا نبيا ثمم بالكذب ولساثر الناس بالإيذاء والايحاش فأنه تعالى اغتأ أهلكهم بسبب ظلمهم اللهم أهلك الظالمين وطهر وجهه الأرض منهم فلا يقدر أحد على دفعهم إلا أنت فادفع يا قهار يا جبار يا منتقم (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي أن شر الخلق في حكم الله وعلمه الذين أضروا على الكفر فهم لا يرجي منهم إيمان (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) أي من مرات المعاهدة قال ابن عباس هم قريظة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهديهم يهود بني قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح في يوم بدر ثم قالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدوهم مرة ثانية فنقضوا العهد أيضاً وساعدوا معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يتقون) عن نقض العهد (فأما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) أي أن تظفرن هؤلاء الكفار الذين ينقضون العهد في أثناء الحرب فافعل بهم فعلا من القتل والتعذيب يفرق بسببهم من خلفهم من أهل مكة واليمن أي إذا فعلت بقريظة العقوبة فرقت شمل قريش إذ يخافون منك أن تفعل بهم مثل ما فعلت بخلفائهم وهم قريظة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرقهم في ذلك الوقت تغريقا عنيفاً موجبا للاضطراب (وأما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء) أي وإن تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد بآمارات ظاهرة فاطرح إليهم عهدهم على طريق ظاهر مستو بأن تعلمهم قبل حربك إياهم أنك قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء ولا تبادرهم بالحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (إن الله لا يحب الخائنين) في العهود والحاصل أن ظهرت الخيانة بآمارات ظاهرة من غير أمر مستفيض وجب على الإمام أن ينبذ إليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك كما في قريظة فأنهم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأسفیان ومن معه من المشركين إلى مظاهرهم عليه صلى الله عليه وسلم وأما إذا ظهر نقض العهد ظهوراً مقطوعاً به

فلا حاجة للإمام إلى نبذ العهد وعلامهم بالحرب بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة فانهم لما نقضوا العهد بقتل خزاعتهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم وصل إليهم جيش النبي صلى الله عليه وسلم عبر الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة (ولا يحسن الذين كفروا سبوا) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بالياء التحتية أي ولا يحسن الذين كفروا من قريش أنفسهم فاتوا من عذابنا بهربهم يوم بدر وقرأ الباقر بالتاء الفوقانية على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم أي ولا تحسن يا أشرف الخلق الذين كفروا الذين خلصوا منك في بدر فأتين من عذابنا (انهم لا يعجزون) أي انهم بهذا الفرار لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما بالقتل في الدنيا واما بعذاب النار في الآخرة وقرأ ابن عامر أنهم يفتح الهمزة على التعليل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) قيل انه لما اتفق لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصة بدر انهم قصدوا الكفار بلا آلة أمرهم الله تعالى ان لا يعودوا إليه فقال وأعدوا الخ أي هيئوا الحراب الكفار ما استطعتم من كل ما يتقوى به في الحرب من كل ما هو آلة للجهاد ومن الخيل المربوط سواء كان من الفحول أو من الاناث وروى انه كانت الصحابة يستحبون ذكر كور الخيل عند الصفوف وأنات الخيل عند البيات والغارات (ترهبون به) أي بذلك الأعداء وقرئ تجزون (عدوا لله وعدوكم) وهم كفار مكة (وآخرين من دونهم) أي من غير كفار مكة من الكفرة (لا تعلمونهم) على ما هم عليه من العداوة أي فان تكثير آلات الجهاد كما يرهب الأعداء الذين نعلم كونهم أعداء كذلك يرهب الأعداء الذي لا نعلم انهم أعداء سواء كانوا مسلمين أو كفارا (الله يعلمهم) لا غيره (وماتنققوا من شيء) قل أو جل (في سبيل الله) أي في طاعة الله في الجهاد وفي سائر وجوه الخيرات (يوف اليكم) أي لا يضيع الله في الآخرة أجره ويجهل عوضه في الدنيا (وأنتم لا تظلمون) أي لا تنقصون من الأجر (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) أي وان مال الكفار للصالح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد فاقبله وقرأ أبو بكر عن عاصم للسلم بكسر السين وقرئ فأجبح بضم النون (وتوكل على الله) أي فوض الأمر فيما عقدته معهم إلى الله ليكون عوناً لك على السلامة ولكي ينصرك عليهم اذا نقضوا العهد (انه) تعالى (هو السميع) لما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع (العليم) بنياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحورهم (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله) أي وان يريدوا الكفار باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم فاعلم ان الله كافيك من شرورهم وناصرك عليهم (هو الذي أيدك بنصره) أي قواك بنصره في سائر أيامك (وبالْمُؤْمِنِينَ) من المهاجرين والانصار (وألف بين قلوبهم) لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم أي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى قوم تكبرهم شديد حتى لو لطم رجل من قبيلة لطمه قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثأره ثم انهم انقلبوا عن تلك الحالة حتى قاتل الرجل أخاه وأباه وابنه واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصاراً أيضاً كانت الحصومة بين الأوس والخزرج شديدة والمحاربة دائمة ثم زالت الضغائن وحصلت الألفة فزاله تلك العداوة الشديدة وتبدلها بالمحبة القوية عما لا يقدر عليها إلا الله تعالى وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (انه) تعالى (عزيز) أي قاهر يقلب القلوب من العداوة إلى الصداقة (حكيم) أي يفعل ما يفعله مطابقاً للصحة (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي كفالك الله وكفى اتباعك أنصاراً أو المعنى كفالك الله والمؤمنون وهذه الآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال فالمراد بالمؤمنين هنا أهل غزوة بدر وهم المهاجرون

والانصار وقيل نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي بالغ في حثهم عليه (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) أي ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين (وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) وانما وجب هذا الحكم عند حصول الشروط منها ان يكون المؤمن شديدا لعضائه قويا جلداء ومنها ان يكون قوي القلب شديدا للبأس شجاعا غير جبان ومنها ان يكون غير متحرف الا للقتال أو متحيزا لفئة فعند حصول هذه الشروط وجب على الواحد ان يشبث للعشرة (بأنهم قوم لا يفقهون) متملقين يغلبوا في الموضعين أي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون امتثالا بأمر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضائه وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واثارة العدوان وهم يعتمدون على قوتهم والمسلمون يستعينون بربهم بالتضرع ومن كان كذلك كان النصر اليقيني به (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) في البدن أو في معرفة القتال لا في الدين (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) أي بارادته وهذه الآية دلت على ان ذلك الشرط مفقود في حق هذه الجماعة فلم يشبث ذلك الحكم وعلى هذا التقدير لم يحصل النسخ البتة فقد أنكر أبو مسلم الاصفهاني النسخ (والله مع الصابرين) أي ان العشرين ان قدروا على مصابرة المائتين بقي ذلك الحكم وان لم يقدرُوا على مصابرتهم فالحكم المذكور هناك زاهل وهذا يدل على صحة مذهب أبي مسلم (ما كان لنبي أن يكون له أمرى حتى يثخن في الأرض) أي ما ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من الكفار حتى يقوى ويغلب بل اللاتق قتلهم (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) أي متاع الدنيا الذي هو الفداء (والله يريد الآخرة) أي انما رضي الله ما يفيض الى السعادات الآخروية المصونة عن الزوال (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال كما أمر بالاثخان ونهي عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخبرين أخذ الفداء وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) أي لولا انه تعالى حكم في الازل بالعفو عن هذه الواقعة لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء عذاب شديد (فكلوا مما غنم حلالا طيبا) أي قد أبحث لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حال كونه حلالا مستلذا روى انهم أمسكوا عن الغنائم في بدر ولم يعدوا أيديهم اليها فنزلت هذه الآية (واتقوا الله) في مخالفة أمره ونهيه في المستقبل (ان الله غفور رحيم) في الحالة الماضية من استباحة الفداء قبل ورود الاذن من الله تعالى فيه (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) قرأ أبو عمر ومن الأسارى بضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف وبالألف أي من الذين أسرتموهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) أي ايماناً وعزيمة على طاعة الله ورسوله في جميع التكالييف وتوبة عن الكفر وجميع المعاصي (يؤتاكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء (ويغفر لكم) ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) بأهل طاعته روى أن العباس كان أسير يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجه اليهم الناس نسكا أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لمن خرجوا من مكة الى بدر فلم تبلغه النبوة حتى أسروا وأخذ ذلك العشرون منه فقال العباس كنت مسلما الا أنهم أكرهوني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما ذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا قال العباس

فكلمت رسول الله أن يرذل ذلك الذهب على فقال صلى الله عليه وسلم أما شئ خرجت به تستعين به عليه نأفلا
قال العباس وكلفني الرسول فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال
العباس يا محمد تتركني أتكفف قريشاً ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الذهب الذي
دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لهما ما أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي
حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقتم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال صلى الله
عليه وسلم أخبرني به ربي قال العباس أنا أشهد أنك صادق أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما إذا أخبرني بذلك
فلأريب وأمر ابني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحرث فأسلما قال العباس فأبدلني الله خيراً مما أخذ مني ولي
الآن عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألفاً وأعطاني زمزم وما أحب
أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنظر المغفرة من ربي وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مال البحر بن ثمانون ألفاً فتوضأ الصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه
ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأنا أرجو المغفرة (وان يردوا) أي الأمرى (خيانتك)
أي بنقض العهد فاعلم أنه سيمكنك منهم فإنه صلى الله عليه وسلم كلما أطلقهم من الأسر عهد معهم أن
لا يعودوا إلى محاربتهم صلى الله عليه وسلم وإلى معاهدة المشركين بالعون عليه صلى الله عليه وسلم (فقد
خانوا الله من قبل) أي من قبل هذا بما أقدموا عليه من محاربة الرسول يوم بدر (فأمكن منهم) أي
أقدر المؤمنين عليهم قتلاً وأسراً في بدر (والله عليم) أي ببواطنهم (حكيم) يفعل كل ما يفعله
حسب ما تقتضيه حكمته البالغة (الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وهاجروا) من مكة إلى المدينة
حيال الله تعالى ورسوله (وجاهدوا بأموالهم) بأن صرفوها إلى السـلاح وأنفقوها على المحارـبة
(وأنفُسهم) بمباشرة القتال وبالحوض في المهالك (في سبيل الله) أي في طاعة الله (والذين آووا)
أي أنزلوا المهاجرين منازلهم (ونصروا) لهم على أعدائهم يوم بدر (أولئك) أي الموصوفون بما ذكر
(بعضهم أولياء بعض) أي يكونون يداً واحدة على الأعداء ويكون حب كل واحد لا يخرج جريحه
لنفسه (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (ولم يهاجروا) من مكة إلى المدينة (مالكم من ولايتهم)
أي من تعظيمهم (من شئ حتى يهاجروا) فلو هاجروا لحصل الأكرام والجلال وقرأ حمزة من ولايتهم
بكسر الواو والباقون بالفتح (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)
أي ان قطع التعظيم بين تلك الطائفة ليس كما في حق الكفار بل هؤلاء لو استعانوكم في الدين على
المشركين فواجب عليكم أن تعاونوهم عليهم إلا على قوم منهم بينكم معاهدة فإنه لا يجوز لكم نقض
عهدهم بنصرهم عليهم إذا الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) فلا تخالفوا أمره كي لا يحل
بكم عقابه (والذين كفروا وبعضهم أولياء بعض) أي في النصرة فإن كفار قريش كانوا في غاية العداوة
للإهود فلما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم تعاروا على أيدائه ومحاربتهم والمشركون واليهود
والنصارى لما اشتهر كوا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة سبباً لانضمام بعضهم إلى
بعض وقرب بعضهم من بعض وتلك العداوة لمحض الحسد لا لأجل الدين لأن كل واحد منهم كان في نهاية
الانكار للدين صاحبه (الاتفلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) أي ان لم تفعلوا ما أمرتكم به من
التواصل بين المسلمين ومن قطع المحبة بينهم وبين الكفار تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة فإن

المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضاعف المسلمين وقلة عددهم وزمان قوة الكفار وكثرة عددهم فربما
صارت تلك المخالطة سبباً لالتحاق المسلم بالكفار وان المسلمين لو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم
فيصير ذلك سبباً لجراءة الكفار عليهم (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آمنوا وناصروا
أولئك هم المؤمنون حقا) فالله تعالى ذكرهم أولاً للتيين حكمهم وهو أكرام بعضهم بعضاً ثم ذكرهم
ههنا للبيان تعظيم شأنهم وعلو درجتهم وأثنى عليهم من ثلاثة أو جهوه وهي وصفهم بكونهم محققين محققين في
طريق الدين لأن من لم يكن محققاً في دينه لم يفارق الأهل والوطن ولم يبذل النفس والمال ولم يكن في هذه
الأحوال من المتسارعين (لهم مغفرة) تامة عن جميع الذنوب والتبغات (ورزق كريم) ثواب حسن
في الجنة (والذين آمنوا من بعد) أي بعد الهجرة الأولى وهؤلاء هم التابعون بأحسان (وهاجروا)
من مكة إلى المدينة بعد المهاجرين الأولين (وجاهدوا معكم) في بعض مغازيكم (فأولئك منكم) أي
من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار في السر والعلانية (وأولوا الأرحام) أي ذوالقربات (بعضهم
أولى ببعض) آخر منهم في التوارث من الجانب (في كتاب الله) أي في حكم الله الذي بينه
في كتابه بالسهم المذكورة في سورة النساء (إن الله بكل شيء عليم) فالعالم بجميع المعلومات لا يحكم
إلا بالصواب

﴿سورة التوبة مدنية وقد قيل إلا الآيتين آخرها فانها مكيستان وآياتها مائة وثلاثون
وعدد كلماتها ألفان وأربع مائة وسبع وتسعون وحروفها عشرة آلاف ومائتان
وسبعة ومائتان والصحيح أن التسمية لم تكتب لأن جبريل عليه السلام
مازل بها في هذه السورة قاله القشيري﴾

(براهمة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) أي هذه براءة من جهة الله تعالى ورسوله واصله
إلى الذين عاهدتم من المشركين فالله قد أذن في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعاهدوهم ثم إن المشركين نقضوا العهد فأوجب الله النبذ إليهم فخطب المسلمون بما يحذروهم من
ذلك وقيل اعلموا أن الله ورسوله قد برئاً عما عاهدتم من المشركين (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) أي
سيروا أيها المشركون كيف شئتم آمنين من القتل والقتال في هذه المدة من يوم النحر روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم أراد أن يخرج سنة تسع فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال
لا أحب أن أخرج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه
أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العصابة ليقرأ على الناس
صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل
شرك ولا يطوف بالبيت عريان فسار أبو بكر أميراً على الحاج وعلي ابن أبي طالب يؤذن براءة فلما كان
قبل يوم التروية يوم قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس
الحج والعرب في تلك السنة على معاهدتهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان
يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة
وقال على بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى
مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون

بعد عامهم هذا في الحج فقال المشركون لعل عند ذلك أبلغ بن عملنا نقد نبذنا العهد وراة ظهورنا وانه ليس
 بيننا وبينه عهد الاطعن بالرمح وضرب بالسيوف ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة
 الوداع (واعلموا انكم غير معجزى الله) أى واعلموا يا معشر الكفار ان هذا الامهال ليس لعجز بل للطف
 ليتوب من تاب أى اعلموا انى أمهلتكم وأطلقت لكم فافعلوا كل ما أمكنكم فعلمه من اعداد الآلات
 وتحصيل الأسباب فانكم لا تعجزون الله بل الله يعجزكم (وأن الله محزى الكافرين) أى مذلهم في الدنيا
 بالقتل والاسر وبالأخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الى الناس) أى وهذا اعلام صادر من الله
 ورسوله واصل الى الناس (يوم الحج الاكبر) وهو يوم العيد لان فيه تمام معظم أفعال الحج ولان الاعلام
 كان فيه (أن الله يرى من المشركين) الناقضين للعهد (ورسوله) بالرفع باتفاق السبعة فهو معطوف
 على الضمير المستتر في يرى (فان تبتم) من الشرك (فهو خير لكم) أى فالتوب خير لكم في الدارين
 لا شر (وأن قوليتم) أى أعرضتم عن المتساب من الشرك (فاعلموا) يا معشر المشركين (أنكم غير
 معجزى الله) أى غير فائتين من عذاب الله فان الله قادر على انزال أشد العذاب بهم (وبشر الذين كفروا
 بعذاب أليم) أى أخبرهم بالقتل بعد أربعة أشهر فالبشارة على سبيل الاستهزاء كما يقال اكرامهم الشتم
 وتحيتهم الضرب (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط الميثاق ولم يضرركم
 قط وقرى بالضاد المجمة أى لم ينقصوا عهدكم شيئا من النقص (ولم يظاهروا) أى لم يعاونوا (عليكم
 أحدا) من أعدائكم (فأتعوا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى وقت أجلهم تسعة أشهر والمعنى لا تمهلوا
 الناكثين للعهد فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين
 في المسارعة الى قتالهم بل أتموا اليهم عهدهم ولا تجعلوا الوافين كالغادرين وهم بنو خزيمة حتى من كناية
 أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر فانهم ما غدروا
 من هذين الوجهين (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد فان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى
 وان التسوية بين الوافى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) أى
 فاذا خرج الاشهر التي حرم الله القتل والقتال فيها وهى من يوم النحر الى العاشر من ربيع الآخر (فاقتلوا
 المشركين) الناكثين خاصة (حيث وجدتموهم) أى فى حل أو حرم أو فى شهر حرام أو غيره (وخذوهم)
 أى اوسروهم (واحصروهم) أى امنعوهم من اتيان المسجد الحرام ومن التعلب في البلاد (واقعدوا
 لهم) أى لاجلهم خاصة (كل مرصد) أى فى كل ممر يسلكونه لئلا ينبسطوا فى البلاد (فان تابوا)
 من الشرك وآمنوا بالله (وأقاموا الصلاة) أى أقرؤا بالصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) أى أقرؤا
 بأداء الزكاة (فلو أسيلهم) أى فاتركوهم ولا تعرضوا لهم بشئ من ما ذكر (ان الله غفور رحيم)
 لمن تاب من الكفر والغدر (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) أى وان سألك
 أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم ان تأمنه بعد انقضاء مدة السياحة فأمنه حتى يسمع قراءتك لكلام
 الله ويطلع على حقيقة ما تدعوا اليه ونقل عن ابن عباس انه قال ان رجلا من المشركين قال لعل بن أبى
 طالب ان أردنا أن نأتى الرسول بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله أو الحاجة أخرى فهل نقتل فقال
 على لا فان الله تعالى قال وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله (ثم أبلغه مأمنه)
 أى ثم أوصله الى ديار قومه التي يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم ثم بعد ذلك يجوز قتالهم وقتلهم (فلك)
 أى اعطاء الامان (بأنهم قوم لا يعلمون) أى بسبب انهم قوم لا يفقهون ما لا يعلن وما حقيقة ما تدعوههم

اليه فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى معهم معذرة أصلا (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أى لا ينبغي أن يبقى للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم ينقضون العهد (الا الذين طاهدتم عند المسجد الحرام) أى لكن الذين طاهدتم من المشركين عند قرب أرض الحرم يوم الحديبية وهم المستثنون من قبل هذا الاستثناء فقد استثنوا في قوله تعالى سابقا الا الذين طاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا الخ وهم بنو كنانة وبنو خزاعة فتر بصوا أمرهم ولا تقتلوههم (فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم) أى فأي زمان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله أو المعنى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم - لم لكم (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوه بأعانتهم بنى بكرهم كنانة حلفاؤهم على خراعة حلفائه صلى الله عليه وسلم روى انه عدت بنى بكر على بنى خزاعة في حال غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاونتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشده

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أينما وأبيلك ألا تلدا

ان قريشا خلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا

هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا رءكعا وسجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم أنصركم (كيف وان يظهر واعليكم) أى وحالهم انهم ان يقدروا عليكم (لا يرقبوا فيكم) أى لا يحفظوا فيكم (الا) أى قرابة (ولا ذمة) أى عهدا والمعنى كيف لا تقتلوههم وهم ان يغلبوكم لا يحفظوا في شأنكم قرابة ولا ضمما بابل يؤذوكم بالاستطاعوا (يرضونكم بأفواههم وتآبى قلوبهم) أى تنكروا قلوبهم ما يفيد كلامهم أى فانهم يقولون بالسنتهم كلاما حلوا طيبا والذي في قلوبهم بخلاف ذلك فانهم لا يظهرون الا الشر والايذاء ان قدر واعليه (وأكثروهم فاسقون) أى ناقضون للعهد مذمومون عند جميع الناس وفي جميع الاديان (اشترى بآيات الله ثمنا قليلا) أى تركوا آيات الله الآمرة بالاستقامة في كل أمر وأخذوا بدلها شيئا يسيرا من الدنيا لاجل تحصيل الشهوات وذلك ان أباسفيان بن حرب أطمع حلفاءه وترك حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وحملتهم تلك الاكلة على نقض العهد فنقضوا العهد الذي كان بينهم بسبب تلك الاكلة (فصدوا عن سبيله) أى عن دينه أو عن سبيل البيت الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى ساء ما هم الذي كانوا يعملونه ماضى من صدهم عن سبيل الله ومأمعه (لا يرقبون) أى لا يحفظون (فى مؤمن الا) أى قرابة (ولا ذمة) كمر ذلك مع ابدال الضمير بمؤمن لان الاول وقع جوابا بالقوة تعالى وان يظهر واو الثاني وقع خبرا عن تقبيح حالهم أو هذا خاص بالذين اشترى والذي بهم أبوسفيان وأطعمهم وأشبهاهم من اليهود وغيرهم (وأولئك هم المعتدون) أى المجاوزون في الظلم والشرارة (فان تابوا) من مساوى أعمالهم (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقرروا بحكمهم وعزموا على اقامتهم (فاخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين) أى لهم مالكم وعليهم ما عليكم فعام لوهم معاملة الاخوان (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) أى نبين الآيات لقوم يعلمون ما فيها من الاحكام (وان نكثوا أيمانهم) أى عهدهم التى بينكم وبينهم (من بعد عهدهم) أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا فى دينكم) أى عابوا دينكم بالكذب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا أئمة الكفر) أى قاتلوا الكفار بأسرهم فانهم صاروا بذلك ذوى تقدم فى الكفر احقا بالقتل والقتال (انهم لا أيمان لهم) أى

انهم لا عهد لهم على الحقيقة لانهم لا يعدون نقصها محذورا وهم لما يفوا بها صارت ايمانهم كأنها ليست
 بايمان وان أجروها على ألسنتهم وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة أى لا تعطوهم أمانا بعد ذلك أبدا
 فيكون الايمان مصدرا بمعنى اعطاء الامان فهو ضد الاخافة (لعلهم يبتنون) أى ليكن غرضكم فى
 مقاتلتهم سببا فى انتهاهم عما هم عليه من الكفر والطعن فى دينكم والمعاونة عليكم (ألا) أى هـ لا
 (تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) بعد عهد الحديبية باعانة بنى بكر على خراعة (وهو ما باخراجه الرسول)
 أى باخراجه من مكة لكن لم يخرجوه بل خرج باختياره باذن الله فى الهجرة أو من المدينة لقصد قتله
 (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدًا ومن معه أو
 بدؤا بقتال خراعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بنى بكر عليهم بالسلاح قتال معهم فالاعانة على
 القتال تسمى قتالا (أتخشونهم) أى أتخافون أيها المؤمنون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم (فإن الله
 أحق أن تخشوه) فى ترك أمره (ان كنتم مؤمنين) ودلت هذه الآية على ان المؤمن ينبغي ان يخشى ربه
 وأن لا يخشى أحدا سواه (فاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) بالقتل تارة والاسر أخرى واغتنام الاموال ثالثا
 (ويخزهم) حيث شاهدوا أنفسهم مهورين فى أيدي المؤمنين ذليلين (وينصركم عليهم) أى
 يجعلكم جميعا غالبين عليهم أجمعين فانكم تنتفعون بهذا النصر (ويشف صدور قوم مؤمنين) عن لم
 يشهد القتال وهم خراعة بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا فبعثوا الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب وكان شفاء صدورهم من زحمة
 الانتظار فانه الموت الاحمر (ويذهب غيظ قلوبهم) من بنى بكر فان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنته
 الله منه على أحسن الوجوه كان سروره أعظم (ويتوب الله على من يشاء) من بعض أهل مكة كابى
 سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وفهم أسلموا يوم فتح مكة وحسن اسلامهم (والله
 عليم) بكل ما يفعل فى ملكه (حكيم) أى مصيب فى أفعاله وأحكامه (أم حسبتم أن تتركوا وما يعلم
 الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أى بل أحسبتم ان
 يترككم الله بدون تكليفكم بالقتال الذى سئتموه والحال انه لم يصدر الجهاد عنكم خاليا عن النفاق
 والرياء والتودد الى الكفار وابطال ما يخالف طريقة الدين والمقصود من هذه الآية بيان ان المكلف فى
 هذه الواقعة لا يتخلص عن العتاب الا عند حصول أمرين الاول ان يصدر الجهاد عنهم والثانى ان يأتى
 بالجهاد مع الاخلاص فان المجاهد قد يجاهدو باطنه وخلاف ظاهره وهو الذى يتخذ الوليعة من دون الله
 ورسوله والمؤمنين المخلصين أى وهو الذى يطلع الكافر على الاسرار الخفية والمقصود بيان انه ليس
 الفرض من ايجاب القتال نفس القتال فقط بل الفرض ان يؤتى به لانقياد أمر الله تعالى وحكمه ليظهر
 به بذل النفس والمال فى طلب رضوان تعالى حينئذ يحصل به الانتفاع (والله خبير بما تعملون) من
 موالاته المشركين وغيرها فيجازيكم عليه فيجب على الانسان ان يبالغ فى أمر النية ورعاية القلب (ما كان
 للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى ما صح للمشركين ان يعمرُوا المسجد
 الحرام بدخوله والقعود فيه وخدمته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ومسجد الله على الواحد والباقيون مساجد
 على الجمع وانما جمع المسجد الحرام لانه قبلة المساجد كلها وامامها ثم شهادتهم على أنفسهم بالكفر انهم
 أقرؤا بعبادة الاوثان وتكذيب القرآن وانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان أبو ان يقولوا نحن كفار
 (أولئك) الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وما يضاهاها من أعمال البر مع ما بهم من الكفر (حبطت

أعمالهم) التي يقتغرون بها بما قارنهما من الكفر فصارت هباء منثورا (وفي النار هم خالدون) لكفرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فغيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ على عليه القول فقال العباس تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسنا فقال له على ألكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم أنالنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة أي نخدمها ونسقي الحجيج وننقل العاني أي الأسير فنزلت هذه الآية (انما يعمر مساجد الله) أي انما يصح ان يعمر المساجد عمارة يعتد بها (من آمن بالله) لان المساجد موضع يعبدون الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله لا يبنى موضعا يعبد الله فيه (واليوم الآخر) لان الاشتغال بعبادة الله لا تفيد الا في القيامة فمن أنكر القيامة لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يبن بناء لعبادة الله تعالى (وأقام الصلاة) فان المقصود الاغظم من بناء المساجد اقامة الصلوات (وآتى الزكاة) وانما اعتبر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المسجد لان الانسان اذا كان مقيما للصلاة فانه يحضر في المسجد فتهصل عمارة المسجد بذلك المسجد واذا كان مؤتيا للزكاة فانه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة فتحصل عمارة المسجد بذلك الحضور (ولم يخش الا الله) في باب الدين بأن لا يختار على رضا الله تعالى رضا غيره (فعسى أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أن يكونوا من المهتدين) الى مطالبهم من الجنة وما فيها وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ألف المسجد ألفه الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى رجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) أي في طاعة الله يوم بدر أي أ جعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام في الفضيلة وعلو الدرجة كن آمن بالله الخ ويقوى هذا التأويل قراءة عبد الله بن الزبير سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام قال ابن عباس ان عليا لما أغلظ الكلام على العباس قال العباس ان كنتم سبقتهمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فنزلت هذه الآية (لا يستوون) أي الفريقان (عند الله) في الفضل (والله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم فانهم خلقوا للايمان وهم رضوا بالكفر (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله) أي الذين جمعوا بين هذه الصفات الثلاثة أعلى رتبة وأكثر كرامة عند الله من لم يجمع بينها (وأولئك) المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة (هم الفائزون) بسعادة الدنيا والآخرة (يشرهم) أي هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين (ربهم برحمة منه ورضوان) أي بمنفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم من قبل الله تعالى وذلك هو حد الثواب (وجنات لهم فيها نعيم) أي منافع خالصة عن المكدرات (مقيم) أي دائمة غير منقطعة (خالدين فيها) أي الجنات (أبدا) أي لا يخرجون منها (ان الله عنده أجر عظيم) لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات الايمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث وبدأ بالرحمة التي هي النجاة من النيران في مقابلة الايمان وثني بالرضوان الذي هو نهاية الاحسان في مقابلة ترك الاوطان ثم ثلث بالجنات التي هي المنافع العظيمة في مقابلة الجهاد الذي فيه بذل النفس والاموال وانما خصوا بالاجر العظيم لان ايمانهم أعظم الايمان (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وخوانكم أولياء) أي بطانة تفشون اليهم أسراركم (ان استحبوا الكفر) أي اختاروه (على الايمان ومن يتولهم منكم) في الدين (فأولئك) المتولون (هم الظالمون) أي فهو مشرك مثلهم لانه رضى بشر كهم والرضا بالكفر كفر كما ان الرضا بالفسق فسق قيل

ان الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقربى عن الممركين قالوا كيف نمسك المقاطعة التامة بين الرجل وابنه
 وأمه وأخيه فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والاولاد والاخوان واجب بسبب الكفر (قل ان كان
 آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أى أهلكم الادنون الذين تعاشر ونهـم وقرا أبو
 بكر عن عاصم وعشيرة اتكم بالجمع (وأموال اقترفتموها) أى اكتسبتموها (وتجارة) أى أمتعة
 اشتريتموها للتجارة والربح (تخشون كسادها) أى عدم رواجها (ومساكن ترضونها) أى منازل
 تهجكم الإقامة فيها (أحب اليكم من الله ورسوله) بالحب الاختيارى (وجهاد فى سبيله) أى
 طاعته (فتربصوا) نزلت هذه الآية لما قال جماعة من المؤمنين يا رسول الله كيف يمكن البراءة منهم
 بالكلية وان هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا واخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا وهلاك أموالنا
 وخراب ديارنا فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليما وذكرا انه ان
 كانت رغبة هذه المصالح الدنيوية أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله فتربصوا عما
 تحبون (حتى يأتى الله بأمره) وهى عقوبة عاجلة أو آجلة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى
 الخارجين عن طاعته الى معصيته (لقد نصركم الله فى موطن كثيرة) وهى مشاهد الحروب كوقعات
 بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) أى اذ كروا يوم قتالكم هوازن فى
 حنين فهوازن قبيلة حليمة السعدية وحنين واديينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا وذلك لما فتح رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام من شهر رمضان خرج فى شوال فى تلك السنة وهوسنة ثمان
 متوجهها الى حنين لقتال هوازن وثقيف (اذا عجبتمكم كثرتكم) وهم اثنا عشر ألفا عشرة من المهاجرين
 والانصار الذين فتحوا مكة والغان من الطلقاء وهم الامراء الذين أخذوا يوم فتح مكة وأطلقوا وهم أسلموا
 بعد فتحها فى هذه المدة الدسيرة وبين هوازن وثقيف أربعة آلاف ومعهم أمداد سائر العرب فلما التقوا قال
 رجل من المسلمين اسمهم سلمة بن سلامة الانصارى لن تغلب اليوم من قلة أى من أجلها افتخاروا بكثرتهم أى
 نحن كثيرون فلانغلب فأحرزت هذه الكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلم تغن عنكم شيئا) أى فلم
 تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الدفع أى فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين
 (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) أى انكم لشدة الخوف ضاقت عليكم الارض فلم تجدوا فيها موقعا
 يصلح لفراركم عن عدوكم (ثم وليتم مدبرين) أى منهزمين من الله وقال البراء بن عازب كانت هوازن
 رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وأكبينا على الغنائم فأسست قبلونا بالسهام وانكشف المسلمون عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا عمه العباس وهو أخذ بلجام بغلته وابن عمه أبو
 سفيان بن الحرث وهو أخذ بركابه وهو صلى الله عليه وسلم يركض بغلته الشهباء نحو الكفار لا يبالي وهو
 يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا
 صيتا فجعل ينادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقا
 واحدا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفاه من الحمى فرماهم بها وقال شأهت الوجوه فزال
 أمرهم مدبر واحد هم كليل حتى هزمهم الله تعالى ولم يبق منهم يومئذ أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك
 التراب فذلك قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته) أى رحمته التى يحصل بها سكون وثبات وأمن (على
 رسوله وعلى المؤمنين) واعلم انه لما شق الاعراض عن مخالطة الآباء والابناء والاخوان والازواج وعن
 الاموال والمساكن على القلوب مشقة عظيمة ذكر الله تعالى ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين فانه

يوصله الى مطلوبه من الدنيا أيضا وضرب الله تعالى لهذا مثلاً وذلك ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما أعجبوا بكثرةهم صاروا منهزمين ثم في حال الانهزام لما تضرعوا الى الله قواهم به حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين والدنيا ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا أتاه الدين والدنيا على أحسن الوجوه فكان ذكر هذا تسلية لأولئك الذين أمرهم الله بمقاطعة الآباء والأبناء والأموال والمساكن لاجل مصلحة الدين ووعدا لهم على سبيل الرمز بأنهم ان فعلوا ذلك فأنه تعالى يوصلهم الى أقاربهم وأموالهم على أحسن الوجوه (وأنزل) من السماء (جنود الم تروها) أي بأبصاركم وهم الملائكة عليهم السلام البيضاء على خيول بلق لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة في قلوبهم والقاء الرعب في قلوب المشركين (وعذب الذين كفروا) بالقتل والامرؤهم قوم مالك بن عوف الدهماني وقوم كنانة بن عبد ياليل الثقفي (وذلك) التعذيب (جزاء الكافرين) في الدنيا لكفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أي ما جرى عليهم من الخذلان (على من يشاء) ان يتوب عليه منهم أي يوافقهم للاسلام (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن آمن وعمل صالحا روى ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وابر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا فقال صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون ان خير القول أصدق اختاروا اما ذراريكم ونسأؤكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا وهي مفاتيح آباءهم من الذراري والنساء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فن كان بيده أسير وطابت نفسه ان يرد فشاؤه أي فيلزم شأنه ومن لا فليعطينا وليكن فرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم انا لا تدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فلم يرفعوا ذلك اليها فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا ولم تقع غنيمة أعظم من غنيمةهم فقد كان فيها من الأبل اثنا عشر ألفا ومن الغنم مالا يحصى عددا ومن الأسرى ستة آلاف من نسائهم وصبيانهم وكان فيها غير ذلك (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أي ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) أي جميع الحرم (بعد طمئنه هذا) وهي السنة التي حصل فيها الهداء بالبراءة من المشركين وهي السنة التاسعة من الهجرة ولما امتنع المشركون من دخول الحرم وكانوا يتجهرون ويأتون مكة بالطعام وكانت معاش أهل مكة من التجارات تخافوا الفقر وضييق العيش وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى قوله (وان خفتهم عيلة) أي فقر بسبب منع الكفار (فسوف يغنيكم الله من فضله) أي عطائه من وجه آخر (ان شاء) فأرسل الله تعالى السهام عليهم مدرارا أغرز بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل جدة وحنين وصنعاء وتبالة وجرش فحملوا الطعام الى مكة وكفاهم الله الحاجة مما كانوا يخافون الى مبايعة الكفار فأغناهم بالفيء والجزية (ان الله عليم) بأحوالكم وبمصالحكم (حكيم) فلا يعطى ولا يمنع الا عن حكمة وصواب لا فرغ من الكلام على مشركي العرب بقوله تعالى براءة من الله الى هنا أخذ يتكلم على أهل الكتابين فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) فاليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول وهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينسكون وهم يكذبون أكثر الانبياء (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) أي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها وأتوا بأحكام كثيرة

من قبل أنفسهم (ولا يدينون دين الحق) أى لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذى هو الدين الحق (من الذين أوتوا الكتاب) التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزاه بعد نزولها غزوة تبوك (حتى يعطوا الجزية) أى حتى يقبلوا أن يعطوا ما يعطى المعاهد على عهد (عن يد) أى عن غنى فلا تجب الجزية على الفقير العاجز أو عن انعام عليهم لأن ترك أرواحهم عليهم بقبول الجزية منهم نعمة عظيمة (وهم صاغرون) أى أذلاء منقادون لحكم الاسلام (وقالت اليهود) سلام بن مشكم وفعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف أوقف خاص بن عازوراء (عزير بن الله) وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت الذى فيه التوراة وأنساهم التوراة ومحاها من قلوبهم فتضرع عزير إلى الله تعالى ودعا أن يرد إليه التوراة فبينما هو يصلى مبتلأ إلى الله تعالى أذرى نور من السماء فدخل جوفه فعادت التوراة إليه فأعلم قومه وقال يا قوم قد أتاني الله التوراة ووردها على فتعلموا منه عن ظهر لسانه ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما فى التابوت فوجدوا مثله فقالوا ما جمع الله التوراة فى صدر عزير وهو غلام إلا لأنه ابنه (وقالت النصارى المسيح ابن الله) روى أن أتباع عيسى كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وعثمانين سنة يصلون إلى القبلية ويصومون رمضان حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرناو النار مصيرنا فكن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة فأنى سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم أتى إلى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء أنه ليست لك توبة حتى تتنصر وقد ثبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة فى بيت فيها ولم يخرج منه حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت إن الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنهم فيه ثم أنه عهد إلى أربعة رجال اسم واحد نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان والآخر من أهل الروم فعلم نسطور أن عيسى ومريم والله ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان وأنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يرزل ولا يزال عيسى وعلم رجلا آخر من الروم وعلم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى إنسانا ولا جسما ولكنه الله ثم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خليفة فى فادع الناس لما علمت وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ولقد رأيت عيسى فى المنام ورضى عني وأنى غدا أذبح نفسى لرضا عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فتفرقوا ودعوا الناس إلى مذاهبهم واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله (ذلك) أى ما صدر عنهم (قولهم بأفواههم) أى مجردا عن برهان وهو فارغ من معنى معتبر (يضاهئون) أى يشبهون فى الشناعة (قول الذين كفروا من قبل) أى من قبلهم أى يشابه قول اليهود والنصارى قول المشركين الملائكة بنات الله وقول أهل مكة اللات والعزى ومنات بنات الله كما قالت اليهود عزير بن الله وكذلك قال بعض النصارى المسيح ابن الله وقال بعضهم شريكه وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالهلاك أو تعجب من شناعة قولهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله ولدا وهذا التعجب راجع إلى الخلق لأن الله تعالى لا يتعجب من شيء (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) أى اتخذ اليهود

علماءهم من ولد هارون واتخذ النصارى علماءهم من أصحاب الصوامع أرباباً من دون الله بأن أطاعوهم في
 تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرّمه أو بالسجود لهم (والمسيح ابن مريم) أي اتخذ هذه النصارى ربا
 معبوداً بعدما قالوا إنه ابن الله (وما أمروا) أي والحال أن هؤلاء الكفار ما أمروا في التوراة والإنجيل
 (ألا يعبدوا الها واحداً) عظيم الشأن هو الله تعالى (لا اله الا هو) صفة ثانية لالهها (سبحانه عما
 يشركون) أي تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك في التكليف وفي كونه معبوداً وسجوداً وفي
 وجوب نهاية التعظيم والاحلال (يريدون) أي رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفئوا نور الله) أي
 دلائل الله المنيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد أي يريدون أن يردوا القرآن فيما
 نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد ومن الشرائع من أمر الحل والحرم (بأفواههم) أي
 بأقوالهم الباطلة (ويأبى الله) أي لا يريد (الأن يتم نوره) بأعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام
 (ولو كره الكافرون) وجواب لو محذوف أي ولو كره الكافرون تمام نوره لأنهم لم يبال بكراهتهم (هو
 الذي أرسل رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (بالحدى) أي ملتبساً بالقرآن (ودين الحق) أي
 دين الاسلام (ليظهره على الدين كله) أي ليعلى الله دين الاسلام على الاديان كلها وهو أن لا يعبد الله
 الا به فان المسلمين قد قهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها
 الى ناحية الروم والغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام على كثير من بلادهم مما يلي
 الترك والهند فثبت ان الذي أخبر الله عنه في هذه الآية قد حصل وكان ذلك اخباراً عن الغيب فكان معجزاً
 وروى عن أبي هريرة أنه قال هذا وعدم من الله بأنه تعالى يجعل الاسلام فالبا على جميع الاديان وتعام
 هذا انما يحصل عند خروج عيسى فلا يبقى أهل دين الا دخلوا في الاسلام (ولو كره المشركون) ذلك
 الاظهار والوصف بالشرك بعد الوصف بالكفر للدلالة على انهم ضلوا الكفر بالرسول الى الكفر بالله
 (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار) أي علماء اليهود (والرهبان) أي علماء النصارى
 (ليأكلون أموال الناس بالباطل) أي لياخذون الاموال من سفلتهم بطريق الرشوة في تخفيف الاحكام
 والمساخطة في الشرائع (ويصدون عن سبيل الله) أي لانهم يمنعون عن متابعة الاخيار من الخلق
 والعلماء في ذلك الزمان في المسلك المقرر في التوراة والإنجيل وفي زمان محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
 يبالغون في المنع عن متابعة صلى الله عليه وسلم في منهجه الصحيح بجميع وجوه المكر والخداع والذين
 يكتزون الذهب والفضة) أي يجمعونهما (ولا ينفقونها في سبيل الله) أي ولا يخرجون من جملة كل
 واحد منهم ما سواه كانت آنية أو دنائير ودراهم ما وجب اخراجه عن تلك الجملة من الزكاة والكفارات
 ونفقة الحج والجمعة وما يجب اخراجه في الدين والحقوق ونفقة الاهل والعيال وضمنان المتلفات وأروش
 الجنائيات (فبشرهم بعذاب أليم) أي فأخبرهم بأشرف الخلق بعذاب أليم هو مذكور في قوله تعالى
 (يوم يحمى عليها في نار جهنم) أي يوم توقد على تلك الاموال التي هي الذهب والفضة نار ذات حر شديد في
 نار جهنم (فتكوى بها) أي فتحرق بتلك الاموال (جباهاهم) أي جهة امامهم كلها (وجنوبهم)
 من اليمين واليسار (وظهورهم) يقال لهم (هذا) أي الكفى (ما كنزتم) أي جزاء ما جمعتهم من
 الاموال (لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكثرون) أي فذوقوا جزاء ما كنتم تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم
 (ان عدة الشهور) القمرية التي تؤدي فيها الزكاة وعليها يدور فلك الاحكام الشرعية (عند الله)
 أي في حكمه (اثنا عشر شهرا) وأيام هذه الشهور ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوماً والسنة الشمسية ثلاثمائة

وخمسة وستون يوما وربيع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام وربيع يوم فسبب
 هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل آخر فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة
 في الصيف (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض) وهذه الظروف
 الثلاثة أبدا البعض من البعض والتقدير اربعة الشهور اثنا عشر شهرا عند الله في كتاب الله يوم خلق
 السموات أي منذ خلق الله الاجرام والازمنة أي ان ذلك العدد ثابت في علم الله وفي كتاب الله من أول ما خلق
 الله تعالى العالم (منها) أي من تلك الشهور الاثني عشر (أربعة حرم) هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
 ورجب (ذلك) أي عدة الشهور (الدين القيم) أي الحساب الصحيح (فلا تظلموا فيهن) أي
 في الاربعة الحرم (أنفسكم) باتيان المعاصي فإنه أعظم وزرا كاتيانها في الحرم وقال ابن عباس فلا
 تظلموا في الشهور الاثني عشر أنفسكم وذلك منع الانسان عن اتيان الفساد في جميع العمر (وقاتلوا
 المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أي قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم في جميع الاشهر
 كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة وكونوا عباد الله متوقفين في مقاتلة الاعداء (واهلوا أن الله مع
 المتقين) أي مع أوليائه الذين يخشونه في أداء الطاعات واجتناب المحرمات (انما النسيء) أي انما
 تأخير حرمة شهر الى شهر آخر (زيادة في الكفر) لان ضم هذا العمل الى الانواع المتقدمة من الكفر
 زيادة في الكفر (يضل به الذين كفروا) قرأ حفص وحزمة والكسائي يضل بالبناء للفعل والباقون
 بفتح الياء على البناء للفاعل وقرأ أبو عمر وفي رواية من طريق ابن مقسم ويعقوب من العشرة بضم الياء
 وكسر الصاد والمعنى حيث يضل بهذا التأخير الذين كفروا تابيعهم والآخرين بأقوالهم (يحلونه عاما)
 أي يحلون التأخير عاما وهو العام الذي يريدون أن يقاتلوا في الحرم (ويحرمونه عاما) أي ويحرمون
 التأخير عاما آخر وهو العام الذي يتركون الحرم على تحريمه وسبب هذا التأخير ان العرب كانت تعظم
 الاشهر الاربعة وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكانت عامة معاشهم
 من الصيد والفارة والحروب فشق عليهم ان يكثروا ثلاثة أشهر متواليه وقالوا ان توالى ثلاثة أشهر حرم
 لانصيب فيها شيئا لهلكا كانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون الحرم (ليواطوا)
 أي ليوافقوا (عدة ما حرم الله) من الاشهر الاربعة (فيحلوا ما حرم الله) بخصوصه قال ابن عباس
 رضي الله عنهما انهم ما أحلوا ما حرم الله من الحرام الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال
 الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى قال
 الكلبي أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم ويخطب في الموسم ويقول ان
 صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا
 الازجة وأغاروا وقيل هو جنادة بن عوف السكاني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقول على جبل في الموسم
 بأعلى صوته ان ألهتكم قد أحلت لكم الحرم فأحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان ألهتكم قد حرمت
 عليكم الحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلس قال قائلهم ومن انما سمى الشهر قلمس وعن ابن
 عباس رضي الله عنهما أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف (زين لهم سوء أعمالهم) قال
 ابن عباس أي زين الشيطان لهم هذا العمل حتى حسبوا هذا القبيح حسنا (والله لا يهدي القوم
 الكافرين) أي لا يرشدهم الى دينه لما سبق لهم في الازل انهم من أهل النار (يا أيها الذين آمنوا
 مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انما قلتم الى الارض) أي أي شيء ثبت لكم من الاعداء حال

كونكم متشاقلين ومشتبهين الإقامة في أرضكم في وقت قول الرسول لكم أخرجوا إلى الغزو في طاعة الله
 روى أن هذه الآية نزلت في غزوة تبوك مكان على طرف الشام بين المدينة أربع عشرة مرحلة ويقال
 لها غزوة العسرة وغزوة الفافضة وكانت في رجب في السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه
 وسلم من الطائف إلى المدينة وسببها ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن هرقل جمع أهل الروم
 وأهل الشام وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجهاد وبعث إلى مكة
 وقبائل العرب وحض أهل الغنى على النفقة والجل في سبيل الله وهي آخر غزواته فجهز عثمان عشرة
 آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل والخيول وهي تسعمائة بعير ومائة فرس وغير الزاد وما
 يتعلق بذلك وأول من جاء بالنفقة أبو بكر فجمع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء
 ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة ولا غنياء وبعث النساء بكل ما يقدرن
 عليه من حليهن فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفاً وكانت الخيل عشرة
 آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري وتخلف عبد الله بن أبي ومن كان معه من المنافقين
 بعد أن خرجوا إلى ثنية الوداع وكان من تخلف عشر قبائل وانما تباطأ الناس في خروجهم للقتال لشدة
 الزمان في حط وضيق عيش ولبعد المسافة والحاجة إلى الاستعداد الزائد على ما جرت به العادة في سائر
 الغزوات ولشدة الحر في ذلك الوقت ولها بة عسكر الروم ولا دراك الثمار في المدينة في ذلك الوقت فاقضى
 اجتماع هذه الأسباب تشاقل الناس عن ذلك الغزو (أرضيتهم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة)
 أي بدل نعم الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) أي فما التمتع بلذا الدنيا في مقابلة
 نعم الآخرة الا قليل لان سعادة الدنيا بالنسبة إلى سعادة الآخرة كالقطرة في البحر وترك الخير الكثير
 لأجل السرور القليل سفه (الاتنفروا يعذبكم) الله (عذاباً أليماً) أي إن لم تخرجوا إلى ما طلب الخروج
 منكم إليه يهلككم الله بسبب فظيع هائل كقحط وفحوه (ويستبدل قوم غيركم) أي يأتي بعد
 أهلاككم بدلكم يقوم مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا كأهل اليمن وأبناء فارس (ولا تضروه
 شيئاً) أي لا يضر الله جلوسكم شيئاً لانه غنى عن العالمين أو لا يضر الرسول تشاقلكم في نصرة دينه أصلاً
 لان الله عصمه من الناس (والله على كل شيء قدير) فيقدر على نصرتيه ودينه ولو من غير واسطة (الا
 تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الذي كفر واثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله
 معنا) أي إن لم تنصروا محمداً نصره الله الذي قد نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد اذ جعله كفار مكة
 مثل المضطر إلى الخروج حيث أذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج حين هو باقتله حال كونه أحد
 اثنين والآخر أبو بكر الصديق اذ هما في الغار جبل ثور اذ يقول محمد صلى الله عليه وسلم لا بي بكر الصديق
 لا تحزن ان الله معيننا وكان الصديق قد حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على نفسه فقال له
 يا رسول الله اذامت أنا فانارجل واحد واذامت أنت هلكت الامة والدين روى أن قريشا ومن عكة من
 المشركين تعاهدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره الله تعالى أن يخرج أول الليل إلى الغار
 وخرج هو وأبو بكر أول الليل إلى الغار وأمر صلى الله عليه وسلم علياً أن يضطجع على فراشه لينع السواد
 من طلبه حتى يبلغ إلى ما أمر الله به فلما وصل إلى الغار دخل أبو بكر فيه أولاً يلتمس ما فيه فقال له النبي
 صلى الله عليه وسلم مالك فقال يا بني أنت وأمي الغار ماوى السباع والحوام فان كان فيه شيء كان بي لا بك

وكان في الغار بحرف فوضع عقبه عليه ثلاثين رج ما يؤذي الرسول فلما طلب المشركون الاثر وقرى ابكى ابو
 بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزان الله معنا بنصره فجعل يمسح
 الدموع عن خده وروى لما دخل الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت نسجت
 عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون أحدا (فأنزل الله
 سكينة) أي أمنت التي تسكن عندها القلوب (عليه) أي على صاحبه صلى الله عليه وسلم أبي بكر
 الصديق (وأيد) أي أعانه صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) وهم الملائكة النازلون يوم بدر
 والاحزاب وحنين وهذه الجملة معطوفة على جملة نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) أي
 جعل الله يوم بدر كلمة الشرك سافلة حقيرة (وكلمة الله) أي قوله لا اله الا الله (هي العليا) أي الغالبة
 الظاهرة (والله عزيز) أي قاهر غالب (حكيم) أي لا يفعل الا الصواب (انفروا خفا واثقالا)
 أي اخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك خفافا في الخرج لنشاطكم له وثقالا عنه لشدته عليكم
 (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) أي جاهدوا في طاعة الله بما أمكن لكم اما بكمالهما
 أو بأحدهما (ذلكم) أي الجهاد (خير لكم) أي خير عظيم في أنفسكم (ان كنتم تعلمون)
 أن الجهاد خير فبادروا اليه (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك) أي لو كان مادعوا اليه متاعا
 قريب المنال سهل المأخذ وسفرا متوسطا بين القريب والبعيد لاتبعوك في الخروج الى تبوك طمعا في
 تلك المنافع (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة التي تقطع بمشقة فتخلفوا عن الجهاد بسبب انهم
 كانوا يستعظمون غزوا الروم فكانوا كالأيسين من الفوز بالغنية (وسيجلفون) أي المتخلفون عن
 الغزو عند رجوعك من تبوك وهم عبد الله بن أبي وجحد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم قائلين
 (بالله لو استطعنا) بالزاد والراحلة (لخرجنا معكم) الى غزوة تبوك (يهلكون أنفسهم) بسبب
 الحلف الكاذب فإن الايمان الكاذبة توجب الهلاك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اليمن الغموس تنع
 الديار بلاقع (والله يعلم انهم لكاذبون) في ايمانهم لانهم كانوا مستطيعين الخروج (عفا الله عنك)
 يا أشرف الخلق ما وقع منك من ترك الاولى والاكمل (لم أذن لهم) أي لا سبب أذنت لهم في التخلف
 (حتى يتبين لك الذين صدقوا) في اعتذارهم بعدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن (وتعلم
 الكاذبين) في ذلك قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف المنافقين يومئذ حتى
 نزلت سورة براءة (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي
 ليس من عادة المؤمنين الخلف أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف عنه
 وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فان ربنا ندبنا
 اليه مرة بعد أخرى فأى فائدة في الاستئذان وانجأهم معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا يجيبون لو أمرهم الرسول
 بالعود لشق عليهم ذلك (والله عليم بالمتقين) الذين يسارعون الى طاعته (انما يستأذنك الذين
 لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي انما يستأذنك يا أشرف الخلق في التخلف عن الجهاد من غير عذر
 المنافقون فانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا (وارتاب قلوبهم) أي شككت قلوبهم في الدين (فهم
 في ريهم يترددون) أي فهم حال كونهم في شكهم المستقر في قلوبهم يتحIRON لامع الكفار ولا مع
 المؤمنين (ولو أرادوا الخروج) الى الغزو معك (لأعدوا له) أي للخروج (عدة) أي أهبة من
 الزاد والراحلة والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) أي ولكن لم يرض الله نهوضهم للخروج معك

(فنبطهم) أى حبسهم بالكسل (وقيل أقعدوا مع القاعدين) أى تخلفوا مع المتخلفين والقائل
الشیطان بوسوسته أو بعضهم لبعض أو هو أمر النبي بذلك أمر توبيخ أو إلقاء الله تعالى كراهة الخروج
في قلوبهم فلا قول بالفعل لا من الله ولا من النبي (لو خرجوا فيكم) أى معكم (ما زادوكم الا خبالا) أى
فسادا (ولا وضعوا خلاصكم) أى ولساروا على الابل وسطكم ولا امرعوا بينكم بالماثم (يبغونكم
الفتنة) أى يطلبون لكم ما تفتنون به بإلقاء الرعب في قلوبكم وبافساد دنيائكم (وفيكم سمعون لهم)
أى فيكم قوم ضعفاء يسمعون للمنافقين (والله عليم بالظالمين) لا تفهم بسبب نفاقهم ولغيرهم بسبب
أنهم سمعوا في القامع غيرهم في وجوه الآفات (لقد ابغوا الفتنة من قبل) أى من قبل واقعة تبوك كما فعل
عبد الله بن أبي يوم أحد حيث انصرف مع أصحابه عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقلبوا لك الامور) أى
اجتهدوا في الحيلة عليك وفي ابطال أمرك (حتى جاء الحق) أى استمر هؤلاء المنافقون على آثاره
الفتنة وتغير الناس عن قبول الدين حتى جاء النصر الهلالي وكثر المؤمنون (وظهر أمر الله) أى غلب
دينه بظهوره لأسباب التي تقوى شرع محمد صلى الله عليه وسلم (وهم كارهون) أى والحال انهم
كارهون لمجيء هذا الحق وظهور أمر الله (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) أى ومن المنافقين وهو
الجد بن قيس من يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود في المدينة ولا توقعني في الاثم بأن لا تأذن
لي فانك ان منعتني من القعود وقعت بغير اذنك وقعت في الاثم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما
تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الاصفه رأى في جهاد ملوك الروم فقال
الجد يا رسول الله قد علمت الانصار اني مغرم بالنساء فلا تفتني بينات الاصفه واني أخشى ان رأيتهن لا أصبر
عنهن ولكني أعينك بما لا تتركني (ألا) أى تنهوا (في الفتنة سقطوا) أى انهم في عين الفتنة
وقعوا فان أعظم أنواع الفتنة الكفر بالله ورسوله والتمرد عن قبول التكليف وهم خائفون من نزول
آيات في بيان نفاقهم (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وقيل ان
أسباب تلك الاحاطة حاصلة في الحال فكأنهم في وسطها لانهم كانوا محرومين عن كل السعادات وانهم
اشتهروا بين الناس بالنفاق والطعن في الدين وقصد الرسول بكل سوء وكانوا يشاهدون ان دولة الاسلام
أبدى في الترقى وكانوا في أشد الخوف على أنفسهم وأولادهم وأموالهم (ان تصيبك حسنة تسوهم) أى
ان تصيبك في بعض الغزوات حسنة من ظفر أو غنيمة أو انقياد بعض ملوك الأطراف يحزنهم ذلك (وان
تصيبك في بعض الغزوات مصيبة) أى شدة وان صغرت (يقولوا) متجمعين برأيهم (قد أخذنا
أمرنا) أى حذرنا بالاعتزال عن المسلمين والتخلف عنهم والمداراة مع الكفرة (من قبل) أى من قبل
هذه المصيبة (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) بما أصابك من المصيبة
وبسلامتهم منها (قل) يا أشرف الخلق للمنافقين بيانا بطلان اعتقادهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا) أى لن يصيبنا خير ولا شر ولا رخاء ولا شدة ولا خوف ولا أمن الا وهو مقدر علينا مكتوب عند الله
فاذا صرنا مغلوبين صرنا مستحقين للاجر العظيم وان صرنا ظالمين صرنا مستحقين للثواب في الآخرة وفزنا
بالمال الكثير والثناء الجميل في الدنيا (هو) أى الله (مولانا) يحسن منه التصرف في العالم كيف
شاء فان أوصل الى بعض عباده أنواعا من المصائب فانه يجب الرضا بها (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)
أى فالواجب على المؤمن ان يفوض أمره الى الله وأن يرضى بفعله تعالى وأن يطمع من فضله تعالى ورحمته
(قل) يا أشرف الخلق للمنافقين (هل تربصون بنا الا احدى الحسينين) أى ما تنتظرون بنا الا احدى

الحالتين الشريفتين النصر والشهادة وذلك لان المسلم اذا ذهب الى الغزو فان صار مغلوبا مقتولا فاز
بالاسم الحسن في الدنيا وهي الرجولية والشوكة وبالثواب العظيم الذي أعد الله للشهداء في الآخرة وان
صار قابلا فاز في الدنيا بالمال الحلال والاسم الجميل وفي الآخرة بالثواب العظيم (ونحن نترصد بكم)
احدى الحالتين الحسيتين اما (ان يصيبكم الله بعباب من عنده) كان ينزل عليكم صاعقة من السماء
كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعباب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر أى ان المنافق اذا قعد في
بيته كان مذموما منسوب الى الجبن وضعف القلب والرضا بأمر يشاركه فيه النساء والصبيان والعاجزون
ثم يكون أبدا خائفا على نفسه وولده وماله وان أذن الله في قتله وقع في القتل والاسر والنهب مع الذل وان
مات انتقل الى العذاب الدائم في الآخرة (فترصدوا) بنا احدى الحالتين الشريفتين (انامعكم مترصدون)
وقوعكم في احدى الحالتين الحسيتين (قل) يا أشرف الخلق لهذا المنافق وأمثاله وهذه الآية نزلت
في الجدين قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وهذا ما الى أعينك به (أنفقوا)
أموالكم (طوعا) أى من غير الزام من الله ورسوله (أو كرها) أى الزام منهم ما وصى الزام اكراها
لان الزام المنافقين بالانفاق كان شاقا عليهم كالاكراه وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي النساء والاحقاف
كراه بضم الكاف وقرأ عاصم وابن عامر في الاحقاف بالضم من المشقة وفي النساء والتوبة بالفتح من
الاكراه والباقون بفتح الكاف في جميع ذلك (ان يتقبل منكم) والامر هنا بمعنى الخبر أى نفقتكم
غير مقبولة سواء كانت طوعا أو كرها (انكم كنتم قوما فاسقين) أى منافقين فانهم كفرون في الباطن
(وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوات الا وهم كسالى) أى
لا يأتونها في حال من الاحوال الاحال كونهم متثاقلين فان هذا المنافق ان كان في جماعة صلى وان كان
وحده لم يصل لانه لا يصلى طاعة لأمير الله وانما يصلى الى خوفا من مذمة الناس (ولا ينفقون الا وهم
كارهون) أى لا رغبة لهم فانهم لا ينفقون لغرض الطاعة بل رعاية للمصلحة الظاهرة حتى انهم كانوا يعدون
الانفاق مغرايبينهم (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) والمراد بهذا الخطاب جميع المؤمنين والمعنى ولا
تعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم (انما يريد الله ليعبذ بهم بها) أى بالاموال والاولاد (في الحياة
الدنيا) وسبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا
حصل ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما وازداد الغم والخوف بسبب المصائب الواقعة فيهما وهم
اعتقدوا أنه لا سعادة الا في هذه الخيرات العاجلة فالمال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن
لانه علم أنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا (وترهق أنفسهم وهم كفرون) أى يريد الله أن يخرج
أرواحهم والحال أنهم كفرون فيكون عذابهم في الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أى
يحلف المنافقون للمؤمنين اذا جالسوهم أنهم على دينكم (وما هم منكم) أى ليسوا على دينكم
(ولكنهم قوم يفرقون) أى يخافون القتل فأظهروا الايمان وأسرؤا النفاق (لويجدون مجأ) أى
حرزا يلجئون اليه تحصنا منكم من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أى كهوف في الجبل
يخفون فيها أنفسهم (أو مدخلا) أى مرائب تحت الارض كالأباريندسون فيه (لولا) أى لصرفوا
وجوههم (اليه) أى الى أحد هذه الوجوه الثلاثة التي هي شر الامكنة (وهم يجمعون) أى يسرعون
اسراعا لا يرد وجوههم شيئا لشدة تأذيتهم من الرسول ومن المسلمين (ومنهم) أى المنافقين أبي الاحوص
وأصحابه (من يلزك) أى من يعيبك مرا (في الصدقات) قالوا لم يقسم بيننا بالسوية والله ما يعطيها

محمد الامن أحب ولا يؤثرها الا هو. فنزلت هذه الآية (فان أعطوا منها) أى الصدقات قدر ما يريدون
 في الكثرة (رضوا) بالقسمة (وان لم يعطوا منها) قدر ما يريدون (اذا هم يسخطون) أى يفاجئون
 السخط فان رضاهم وسخطهم لطلب النصيب لا لاجل الدين (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله)
 من الصدقات وطابت نفوسهم وان قل (وقالوا احسبنا الله) أى كفانا ذلك (سيؤتينا الله من فضله
 ورسوله) أى سيغنيننا الله من فضله برزقه فيعطينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما أعطانا اليوم
 (انا الى الله) أى الى طاعته واحسانه (راغبون) لكان ذلك أعود عليهم ونقل أن عيسى عليه
 السلام مر يقوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم
 ثم مر على قوم آخرين يذكرون الله تعالى فقال ما الذى يحملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال
 أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكر الخوف من العقاب ولا الرغبة في الثواب
 بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بعرفته وتشريف اللسان بالفاظ الدالة على
 صفات قدسه وعزته فقال أنتم المحبون المحققون (اغنا الصدقات للفقراء والمساكين) أى اغنا الزكوات
 مصروفة للفقراء وهم المحتاجون الذين لا يجدون شيئا ولا يسألون الناس وهم أهل صفة مسجد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وكانوا نحو أربعين رجلا لا منزل لهم والمساكين هم الطوافون الذين يسألون الناس كما
 قاله ابن عباس ومن سأل وجدف كان المسكين أقل حاجة (والعاملين عليها) وهم السعاة لجباية الصدقة
 وهؤلاء يعطون من الصدقات بقدر أجور أعمالهم وهو قول الشافعي وعبد الله بن عمر وابن زيد وقال مجاهد
 والضمحالك يعطون الثمن من الصدقات (والمؤلفة قلوبهم) وهم أصناف صنف دخلوا في الاسلام
 ونيتهم ضعيفة فيثبتون ليمتثلوا وأخرون لهم شرف في قومهم يطلب بتألفهم اسلام نظرائهم وأثبت الشافعي
 والأصحاب سهم هذين الصنفين وصنف يراد بتألفهم ان يجاهدوا من يليهم من الكفار أو من مانعي الزكاة
 ويقبضوا زكاتهم وهذان في معنى الغزاة والعاملين وعلى هذا فيسقط سهم المؤلفة بالكلية لكن يجوز
 صرفه اليهما كما أفتى به الماوردي (وفي الرقاب) أى وفي فلك الرقاب فسهمهم موضوع في المكاتبين
 ليعتقوا به كما هو مذهب الشافعي والليث بن سعد أو موضوع لعتق الرقاب يشتري به عبيد فيعتقون كما هو
 مذهب مالك وأحمد وإسحق وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين من المسلمين ونصف
 يشتري به رقاب عن صلوا وصا وقدام اسلامهم فيعتقون من الزكاة (والغارمين) أى المديونين في
 طاعة الله (وفي سبيل الله) ويجوز الغازی ان يأخذ من مال الزكاة وان كان غنيا كما هو مذهب
 الشافعي ومالك وإسحق وأبي عبيد وقال أبو حنيفة وصاحبا لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا ونقل
 القفال عن بعض الفقهاء انهم أجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموقى وبناء
 الحصون وعمارة المساجد لان قوله تعالى في سبيل الله عام في الكل (وابن السبيل) وهو الذى يريد
 السفر في غير معصية فيعجز عن بلوغ سفره الا بعونه ويصرف مال الزكاة الى الاصناف الاربعة
 الاول حتى يتصرفوا فيه كما شاؤوا وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات
 الحاجات المعتبرة في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكاة ومذهب أبي حنيفة انه يجوز صرف
 الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف فقط كما هو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وقال
 الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية كما هو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز
 (فريضة من الله) أى فرض الله الصدقات هؤلاء فريضة والمقصود من هذا التأكيد تحريم اخراج

الزكاة عن هذه الاصناف (والله عليم) فيعلم بمقادير المصالح (حكيم) لا يشرع الا ما هو الا صواب
 الاصالح (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) روى ان جماعة من المنافقين حذام بن خالد
 وياس بن قيس وسهالك بن يزيد وهبيد بن مالك والجلال بن سويد وديعة بن ثابت ذكر والنبي صلى
 الله عليه وسلم بما لا ينبغي من القول ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الخير وكان عندهم
 غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا
 ان عامراً كذاب وحلف عامرانهم كذبة فصددتهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول
 اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه صلى الله
 عليه وسلم ليس له ذكاه بل هو سليمان القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء
 المنافقين (اذن خير لكم) قرأوا هم في رواية الامش وعبد الرحمن عن أبي بكر عنه اذن خير من فوعين اي
 ان كان صلى الله عليه وسلم كما تقولون انه اذن فاذن يقبل منكم خير لكم من ان يكذبكم والباقيون بالاضافة
 أي هو اذن خير لا اذن شر أي يصدقكم بالخير لا بالكذب ثم بين الله كونه صلى الله عليه وسلم اذن خير بقوله
 (يؤمن بالله) لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) أي ويرضى لهم ويصدقهم لما علم فيهم من الخلوص
 (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي وهو رفق بالذين أظهروا الايمان منكم حيث لا يكشف أسرارهم وقرأ
 حمزة ورحمة بالجر عطفاً على خير وقرأ ابن عامر ورحمة بالنصب علة لمحذوف أي ويأذن لكم رحمة (والذين
 يؤذون رسول الله) بقولهم هو اذن ونحوه (لهم عذاب أليم) في الدنيا والآخرة (يحلفون بالله لكم ليرضوكم)
 أي انهم حلفوا على انهم ما قالوا ما حكي عنهم ليرضوا المؤمنين بيمينهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه)
 أي والحال انه تعالى ورسوله أحق بالارضاء منكم وكان من الواجب أن يرضوهما بالاخلاص والتوبة
 والمتابعة وايقاه حقوقه صلى الله عليه وسلم في باب الاجلال مشهداً ومغيباً لا باتيانهم بالايمان الفاجرة
 (ان كانوا مؤمنين) فليرضوا الله ورسوله بالطاعة فانهما أحق بالارضاء (ألم يعلموا) أي أولئك
 المنافقون جلاس وأصحابه (أنه) أي الشأن (من يجاد الله) أي من يخالف الله (ورسوله) فان
 له نار جهنم أي لحق أن له نار جهنم أي فكون نار جهنم له أمر ثابت (خالداً فيها ذلك) أي العذاب
 الخالد (الحزى العظيم) أي الندم الشديد وهي ثمرات نفاقهم (يحذرون أن تنزل عليهم)
 سورة تنبئهم بما في قلوبهم أي يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تذيع ما كانوا يخفونه من
 أسرارهم اذاعة ظاهرة فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال فكان السورة تخبرهم بها
 وهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه
 ويستهزؤن به (قل استهزؤا) أي افعلوا الاستهزاء بمحمد والقرآن (ان الله مخرج ما تحذرون)
 أي فان الله مظهر ما تحذرونه من ازال السورة (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) قال
 الحسن وقتادة لما سار الرسول الى تبوك قال المنافقون بينهم أترأى يظهر على الشام وبأخذ حصونها
 وقصورها هيهات هيهات فعند رجوعه صلى الله عليه وسلم دعاهم وقال أنتم القائلون بكذا وكذا فقالوا
 ما كنا ذلك بالجدي في قلوبنا وانما كنا نتحدث ونضحك فيما بيننا (قل أبا الله) أي بتكليف الله
 (وآياته) أي وبالقرآن وبسائر ما يدل على الدين (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (كنتم نستهزون
 لا تعتذروا) أي لا تذكروا هذا العذر في دفع هذا الجرم (قد كفرتم بعد ايمانكم) أي قد ظهر كفركم
 للمؤمنين بالظعن في الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان كنتم عندهم مسلمين (ان نغف عن طائفة منكم نغذب

طائفة) قرأ عاصم نعت ونعذب بالنون مبنيا للفاعل وطائفة بالنصب والباقيون يعف بالياء وتعذب
 بالتاء بالبناء للمفعول وطائفة بالرفع روى أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة وهو جهر بن حمير
 والاثنان طائفة وهما وديع بن جذام وجذب بن قيس فالذي عفى عنه جهر بن حمير لانه كان فحشا معهم ولم
 يستهزئ معهم فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقشعر منها الجلود وتحقق
 منها القلوب اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم القيامة
 فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (بأنهم كانوا مجرمين) أي مستقرين على النفاق والاستهزاء فأوجب
 التعذيب (المنافقون) وكانوا ثلاثمائة (والمنافقات) وكن مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أي
 متشابهون في صفة النفاق والأفعال الخبيثة (يأمرون) أي يأمر بعضهم بعضا (بالنكر) أي بالكفر
 والمعاصي (وينهون عن المعروف) أي عن الإيمان والطاعة (ويقبضون أيديهم) عن كل خير
 من زكاة وصدقة وانفاق في سبيل الله (نسوا الله) أي تركوا أمر الله (فنسيهم) أي فجازاهم بتركهم
 من رحمته (ان المنافقين هم الفاسقون) أي الكاملون في الفسق الذي هو الانسلاخ من كل خير (وعد
 الله المنافقين والمنافقات والكفار) أي المجاهرين بالكفر (نار جهنم خالدين فيها) فالنار المخلدة من
 أعظم العقوبات (هي حسبهم) أي تلك العقوبة كافية لهم ولا شيء أبلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها
 (ولعنهم الله) أي أهانهم الله بالذم لمحقاب تلك العقوبة (ولهم عذاب مقيم) غير النار كالزهرير وكعقاسة
 تعب النفاق في الدنيا اذ هم دائمون في حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم (كالذين من قبلكم) أي
 فعلكم أي المنافقون كفعل الكفار الذين كانوا قبلكم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض
 الأيدي عن الخيرات (كانوا أشد منكم قوة) في الأبدان (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم)
 أي فتمتعوا بمدة بنصيبهم من لذات الدنيا (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) أي
 فأنتم أي المنافقون استمتعتم بنصيبكم استمتاعا كاستمتاع الكفار الذين من قبلكم بحظوظهم
 الحسية من الشهوات الفانية (وخضتم كالذي خاضوا) أي وتلبستم بتكذيب الأنبياء في السر
 وبالمكر والغدر بهم كالتلبس الذي تلبسوا به من تكذيب أنبياء الله والغدر بهم (وأولئك)
 بالافعال الذميمة (حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أي بطلت حسناتهم بسبب الفقر والانتقال من
 العزالي الذل ومن القوة إلى الضعف وبسبب الموت وفي الآخرة بسبب أنهم يعاقبون أشد العقاب (وأولئك
 هم الخاسرون) حيث أتعبوا أنفسهم في الرد على الأنبياء فما وجدوا منه الاقوات الخيرات في الدنيا
 والآخرة والاحصول العقاب في الدنيا والآخرة (ألم يأتهم) أي المنافقين (نبا الذين من قبلهم قوم
 نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات) أي المتقلبات التي جعل الله على القرى ساقطها
 (أتهم رسلهم بالبينات) أي المعجزات فكذبوهم فجعل الله هلاكهم والله أهلك قوم نوح بالغرق وعادا
 قوم هود بارسال الريح العقيم وثمود قوم صالح بارسال الصيحة والصاعقة وقوم إبراهيم بالهدم وسلب النعمة
 عنهم وبتسليط البعوضة على دماغ غرود قوم شعيب بالظلة أو بالرجفة وقوم لوط بالحسف وجعل على
 أرضهم ساقطها وبأطار المحارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لان آثارهم باقية وبلادهم
 قريبة من بلاد العرب وهي الشام والعراق واليمن فكانوا يعرفون أخبار أهلها (فما كان
 الله ليظلمهم) بإيصال العذاب اليهم لانهم استحقوه بسبب أفعالهم القبيحة (واسكن كانوا أنفسهم
 يظلمون) بالكفر وتكذيب الأنبياء (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) بسبب المشاركة

في الاستدلال والتوفيق والهداية (يأمرهم بالمعروف) أي بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمر
 (وينهون عن المنكر) أي الشرك والمعاصي (ويقيمون الصلاة) أي المفروضة باتمام الأركان
 والشروط (ويؤتون الزكاة) الواجبة عليهم (ويطيعون الله ورسوله) في كل أمر ونهي في السر
 والعلانية (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات (سيرهم الله) أي يفيض عليهم آثار رحمته واليسر
 للتوكيد والمبالغة (إن الله عزيز) أي لا ينع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة (حكيم) أي مدبر
 أمر عباده على ما يقتضيه العدل والصواب (وعده الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار)
 أي تجري من تحت شجرها ومساكنها أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها ومساكن طيبة) وهي
 قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر (في جنات عدن) وهي أبي أي أما كن الجنات وأسناها
 وقال عبد الله بن عمران في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل
 باب خمسة آلاف حوراء لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد (ورضوان من الله أكبر) مما هم فيه إذ عليه
 يدور فوز كل خير وسعادة وروى أنه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
 أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال
 أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا وقرأ شعبة ورضوان بضم الراء والياقوت بالكسر (ذلك) أي
 المذكور من الأمور الثلاثة (هو الفوز العظيم) لا ما يطلبه المنافقون والكفار من التمتع بطيبات الدنيا
 (يا أيها النبي جاهد الكفار) أي المجاهدين بالسيف (والمنافقين) أي الساترين كفرهم بظهور الإسلام
 بآظهار الحجية لا بالسيف لنطقهم بكلمتي الشهادة (واغلظ عليهم) أي أشد على كلا الفريقين بالفعل
 والقول (وما أوهام جهنم وبئس المصير) هي وهذه الجملة مستأنفة لبيان عاقبة أمرهم (يخلفون بالله
 ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) بتوافقهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم وطعنهم على نبوته (وكفروا
 بعد إسلامهم) أي أظهروا الكفر وجاهروا بالحرب بعد أن أظهروا الإسلام (وهو أجمع ما ينالوا) روى
 أن المنافقين هموا بقتله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من تبوك وهم خمسة عشر رجلا قد اتفقوا على أن
 يدفعوه صلى الله عليه وسلم عن راحلته ليقع في الوادي فيموت فأخبره الله بعبادته فلبوا ووصلوا إلى العقبة
 التي بين تبوك والمدينة نادى مناديه بأمره أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره
 واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادي وسلك النبي
 العقبة وكان ذلك في ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلقوا واسلكوا العقبة وكان النبي قد أمر عمار بن ياسر
 أن يأخذ بزمام ناقته ويقودها وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها فبينما النبي يسير في العقبة ازدحمه
 المنافقون فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فولوا مدبرين وعلموا أنه أطلع على مكبرهم فأنشطوا
 من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس فصار حذيفة يضرب الناقة فقال له النبي هل عرفت
 أحدا منهم قال لا فانهم كانوا متلثمين والليل مظلمة قال هل علمت مرادهم قال لا قال النبي انهم مكروا
 وأرادوا أن يسروا معي في العقبة فزحمتني عنها وإن الله أخبرني بهم وبمكرهم فلما أصبح جمعهم وأخبرهم
 بما مكروا به فحلفوا بالله ما قالوا بتركذيبي النبي ونسبه إلى التصنع في ادعاء الرسالة ولا أرادوا فتكهم فأنزل
 الله تعالى هذه الآية (ومائة مائة) أي أغناهم الله ورسوله من فضله) أي وما أنكروا على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم شيئا من الأشياء إلا أغناهم الله تعالى إياهم من فضله فان هؤلاء المنافقين كانوا قبل قدوم
 النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضللك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحرزون الغنيمة وبعد قدومه

أخذوا الغنائم وفازوا بالأموال ووجدوا الدولة وقتل الجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا استغنى وذلك يوجب عليهم أن يكون محبين له صلى الله عليه وسلم مجتهدين في بذل النفس والمال لأجله فعملوا بصدا الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم أن كرهوه وعابوه (فان يتوبوا) من النفاق كما وقع للجلاس بن سويد فانه تاب وحسنت توبته (يك) أي التوب (خيرا لهم) في الدارين (وان يتولوا) أي يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بقتلهم وسبي أولادهم وأزواجهم واغتنام أموالهم لانه لما ظهر كفرهم بين الناس صاروا مثل أهل الحرب فيحمل قتالهم (والآخرة) بالنار وغيرهما من أفانين العقاب (ومالهم في الأرض) مع سعتها (من ولي) أي حافظ (ولانصير) ينقذهم من العذاب (ومنهم) أي المنافقين (من عاهد الله لئن آتاه من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوها وتولوا) بأجرهم على العهد (وهم معرضون) بقلوبهم عن أوامر الله تعالى (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) أي فأورثهم البخل نفاقا متمسكين في قلوبهم أي فارتدوا عن الاسلام وصاروا منافقين (الي يوم يلقونه) أي الي يوم موتهم الذي يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة (عما خلفوا الله ما وعدوه) أي بسبب اخلافهم الله الوعد من التصديق والصلاح (وعما كانوا يكذبون) أي وبسبب كونهم مستترين على الكذب في وعدهم روى أن ثعلبة بن حاطب كان صحابيا في الاسلام في ابتداء أمره وصار منافقا في آخر أمره وكان ملازما لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقب بحمامة المسجد ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم يسرع الخروج من المسجد عقب الصلاة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تفعل فعل المنافقين فقال اني افتقرت ولي ولا امرأتى ثوب أجى به للصلاة ثم اذهب فارتزعه لتلبسه وتصلني به فجاء ثعلبة الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنما فامتت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديان من أوديتها فجعل يصلي الظهر والعصر مع رسول الله ويصلي في غنمه باقي الصلوات ثم غت وكثرت فتباعه من المدينة حتى ترك الصلوات الا الجمعة ثم غت وكثرت حتى تباعد وترك الجمعة فاذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار ثم سأل رسول الله عنه فأخبر بخبره فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا نزل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة فتبع صلى الله عليه وسلم اليه رجلين من بني سليم ومن بني جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وقال لهما سرا على ثعلبة بن حاطب خذ اصدقائه فأتياه وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما ما هذه الا الجزية أو أخت الجزية فلم يدفع الصدقة فأنزل الله تعالى هذه الآية فقبل له قد أنزل فيك كذا وكذا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله منعني من قبول ذلك فجعل يحشو التراب على راسه فقال صلى الله عليه وسلم قد قلت لك خذ اطمعني فرجع الي منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى أبا بكر بصدقته فلم يقبلها اقتداء برسول صلى الله عليه وسلم ثم جاء بها الي عمر أيام خلافة فلم يقبلها فلما ولي عثمان أتاه بها فلم يقبلها وهلك ثعلبة في خلافة عثمان وانما امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ تلك الصدقة لان المقصود من الاخذ غير حاصل في ثعلبة مع نفاقه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها (ألم يعلموا)

أى المنافقون (أن الله يعلم سرهم) وهو ما ينطوى عليه صدورهم (ونجواهم) وهو ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم (وأن الله علام الغيوب) أى ما قاب عن الخلق (الذين يلزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم) أى ويضعون على الذين لا يجدون إلا طاقتهم (فيستخرون منهم) أى ويهزؤون بالفريق الأخير بقلة الصدقة (من خرا الله منهم) وهذه الجملة خبر للموصول وقال الأصم أى قبل الله من هؤلاء المنافقين ما أظهره من أعمال البر مع أنه لا يثيبهم عليها فكان ذلك كالسخرية وقال ابن عباس فتح الله لهم فى الآخرة بابا إلى الجنة (ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحث على أن يجمعوا الصدقات فجاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وجاء عمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم وجاء عاصم بن عدى الأنصاري بسبعين وسقما من تمر وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجاء أبو عقيل عبد الرحمن بن تيمان بصاع من تمر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى الصدقات فقال المنافقون على وجه الطعن ما جاء بصدقاتهم إلا رياء وسمعة وأما أبو عقيل فإنه جاء بصاع ليذكرهم مع سائر الأكراب والله غنى عن صاعه فأزل الله تعالى هذه الآية (استغفر لهم أولا تستغفر لهم) روى أنه لما نزلت آيات المتقدمة فى المنافقين وظهر نفاقهم للمؤمنين جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون وقالوا يا رسول الله استغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأستغفر لكم واشتغل بالاستغفار لهم فنزلت هذه الآية فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار وهذا الأمر تخيره صلى الله عليه وسلم فى الاستغفار وتركه ومعناه إخبار باستواء الأمرين أى أن شئت فاستغفروهم وإن شئت فلا تستغفر لهم فاستغفرك لهم وعدمه سواء (ألا تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم) وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة فى التكثير الاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنها العدد بأسره فإن عدة مراتبه سبعة أحاد عشرات مئين أحاد ألوف عشرات ألوف مئين ألوف أحاد ألوف الألوف والسبعون عند العرب غاية مستقصاة لانه عبارة عن جمع السبعة عشر مرات والسبعة عدد شريف لأن عدد السموات والأرض والبحار والأقاليم والنجوم والأيام والأعضاء هو هذا العدد (ذلك) أى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة فى الاستغفار (بأنهم كفروا بالله ورسوله) أى بسبب كفرهم بالعدم الاعتداد بالاستغفار (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى فإن تجاوزهم عن الحدود مانع من الهداية (فرح المخلفون) أى الذين تركهم النبي الله صلى الله عليه وسلم (بعدهم) أى فى المدينة (خلاف رسول الله) أى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار إلى تبوك للجهاد وأقاموا فى المدينة (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فإن فى المجاهدة اتلاف النفس والمال (وقالوا) لاخوانهم أو للمؤمنين تشييطا لهم عن الجهاد ونهيهم عن المعروف (لا تنفروا فى الحرب) أى لا تخرجوا إلى الجهاد فى الحر الشديد (قل) تجهيلا لهم (نار جهنم) التى ستدخلونها بما فعلتم (أشد حرا) مما تحذرون من الحر المعتاد وتحذرون الناس منه (لو كانوا يفتقهنون) أن بعد هذه الدار أخرى وإن بعد هذه الحياة الدنيا حياة أخرى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وهذا إخبار بأنه ستحصل لهم هذه الحالة ورد بصيغة الأمر أى أنهم وإن فرحوا وضحكوا وطول أعمارهم فى الدنيا فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم وحزنهم فى الآخرة لأن الدنيا بأسرها قليلة وعقابهم فى الآخرة دائم لا ينقطع (جزاء بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من النفاق (فإن رجعت الله) من غزوة تبوك (إلى طائفة منهم) أى المنافقين فى المدينة (فاستأذنوك للفروج) معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك

(فقل) لهم يا أشرف الخلق (لن تخرجوا معي أبدا) في سفر من الأسفار (ولن تقاتلوا معي عدوا) من
الاعداء (أنكم رضيتم بالعودة) عن الغزو (أول مرة) وهي غزوة تبوك (فاعدوا) عن الجهاد
(مع الخالفين) أي النساء والصبيان والرجال العاجزين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على
قبره) أي لا تقف عليه للدفن أو للدعاء فإنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دفن الميت وقف على قبره ودعاه
(أنهم كفروا بالله ورسوله) أي لأنهم استمروا على الكفر بالله ورسوله في السرمدة حياتهم (وماتوا
وهم فاسقون) أي مقردون في الكفر بالكذب والخداع والمكر عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه لما اشتكى عبد الله بن أبي بن سلول عاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلي عليه إذا
مات ويقوم على قبره ثم أنه أرسل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه قميصه ليكفن فيه فأرسل إليه
القميص الفوقاني فردّه وطلب منه الذي يلي جلدّه ليكفن فيه فأرسله إليه فقال عمر رضي الله عنه لم تعطى
قيصك للرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم ان قميصي لا يغني عنه من الله شيئا فلعل الله ان يدخل به
الغافي الاسلام وكان المنافقون لا يفارقون عبد الله فإنه رأسهم فلما رأوه يطلب هذا القميص ويرجوا أن
ينفعه أسلم منهم يومئذ ألف فلما مات عبد الله جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه معه عبد الله فإنه كان
من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرا يعرفه صلى الله عليه وسلم فقال
لعبد الله صل عليه وادفنه فقال يا رسول الله ان لم تصل عليه لم يصل عليه مسلم فقام صلى الله عليه وسلم ليصلي
عليه فقام عمر لخال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت هذه الآية فامتنع صلى الله عليه وسلم
من الصلاة عليه وانما دفع القميص اليه تطييبا للقلب ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وأكرامه لانه كان
من الصالحين ولان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا بيد لم يجدوا له قيصا وكان
رجلا طويلا فكساء عبد الله بن أبي قيصه بأمره صلى الله عليه وسلم (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما
يريد الله) بتمتعهم بالاموال والاولاد (أن يعذبهم بها في الدنيا) بكمابتهم الشدايد في شأنها (وترحق
انفسهم وهم كفرون) أي فيموتوا كفراين باشتغالهم بالتمتع بها (واذا أنزلت سورة) من القرآن
مشتملة على الامر (أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك) في التخلف عن الغزو (أولوا الطول
منهم) أي ذوو السعة في المال والقدرة على الجهاد بالبدن من رؤساء المنافقين عبد الله بن أبي وجندب
قيس ومعتب بن قيس (وقالوا ذرنا) يا محمد (نكن مع القاعد) أي من الضعفاء من الناس
والساكنين في البلد بغير عذر (رضوا بأن يكون من الخوالف) أي مع النساء اللاتي يلزم من البيوت
(وطبع على قلوبهم) أي منعت من حصول الايمان (فهم) بسبب ذلك (لا يفقهون) أي لا يفهمون
أسرار حكمة الله في الامر بالجهاد (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي ان
تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد توجه اليه من هو خير منهم وأخلص نية واعتقادا (وأولئك لهم
الحسرات) أي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة (وأولئك هم
المفلحون) أي المتخلصون من السخط والعذاب (أعد الله لهم) أي هيأ لهم في الآخرة (جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها) أي مقيمين في الجنة (ذلك) أي نيل الكرامة العظمى (الفوز العظيم)
الذي لا فوز وراءه (وجاء) اليك يا أشرف الخلق (المعذرون) أي الذين أتوا بأعذار كاذبة وتكلفوا
عذرا باطل (من الاعراب) أي من بني غفار (ليؤذن لهم) بالتخلف عن غزوة تبوك فلم يعذرهم
الله (وقعد) عن الجهاد بغير اذن (الذين كذبوا الله ورسوله) في ادعائهم الايمان وهم منافقوا

الاعراب الذين لم يجيئوا الى الرسول ولم يعتذروا (سيصيب الذين كفروا منهم) أى المعذرين لا من أسلم
 منهم (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (ليس الضعفاء) كالشيوخ (ولا على
 المرضى) من الشباب (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) فى الجهاد من الزاد والراحلة لفقرهم
 كزينة وجهينة وبنى عذرة (خرج) أى اثم فى التخلف عن الجهاد (اذانهم والله ورسوله) أى
 آمنوا بهما وأطاعواهما فى السر والعلن (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم طريق الى ذمهم
 (والله غفور رحيم) ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من
 الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون) أى وليس على من أتوك يسألونك ان تحملهم الى غزوة تبوك ثم
 خرجوا من عندك يكون لعدم وجدان ما ينفقون فى الجهاد سبيل فى لو مهم ولذلك هموا البكاكين وهم
 سبعة من الانصار معقل بن يسار ومخير بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن صير وثعلبة بن عفة
 وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن زيد فانهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد رانا الخروج فاحملنا
 على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة فنغزمك فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه
 فتولوا وهم سيكون حمل العباس منهم اثنين وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذى جهزه وهو ألف
 وحمل يامين بن عمر والنضري اثنين (انما السبيل) بالمعاصرة (على الذين يستأذنونك) فى التخلف
 (وهم أغنياء) أى قادرون على أهبة الخروج معك (رضوا بأن يكونوا مع الخولاف) أى رضوا بالدناءة
 والانتظام فى جملة النساء (وطبع الله على قلوبهم فهم) لاجل ذلك الطبع (لا يعلمون) ما فى الجهاد
 من منافع الدين والدنيا (يعتذرون) أى هؤلاء المنافقون وهم بضع وعشرون رجلاً (اليكم) فى
 التخلف (اذا رجعتهم) من غزوة تبوك (اليهم) بالاعذار الباطلة (قل) يا أشرف الخلق لهم
 (لا تعتذروا) بما عندكم من المعاذير (لن نؤمن لكم) أى لن نصدقكم فيما تقولون من العلل أبداً
 (قد نبأنا الله من أخباركم) أى قد أعلمنا الله بعض أحوالكم بما فى ضمائركم من الخبث والنفاق
 والمكر (وسيرى الله عملكم ورسوله) أى وسيقع عليكم معلوماً لله ورسوله هل تبقون على نفاقكم
 أم تتوبون منه (ثم تردون) يوم القيامة (الى عالم الغيب والشهادة) للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال
 (فنبشكم) عندوقوفكم بين يديه (بما كنتم تعملون) فى الدنيا أى فيجازيكم عليه (سحلفون بالله
 لكم اذا انقلبتم اليهم) أى اذا رجعت اليهم من تبوك انهم معذرون فى التخلف (لتعرضوا
 عنهم) أى لتعرضوا عن ذمهم اعراض الصفع (فأعرضوا عنهم) اعراض المقت وترك الكلام
 قال مقاتل قال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم (انهم رجس)
 أى ان خبث باطنهم رجس روحاني فكلما يجب على الانسان الاحتراز عن الارجاس الجسمانية يجب
 الاحتراز عن الارجاس الروحانية حذراً من ان يميل طبع الانسان الى الاعمال القبيحة (وماؤا هم
 جهنم) أى وكفتهم النار توبيخاً فلا تسكفوا انتم فى ذلك (جزاء بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من فنون
 السيئات (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بالخلاف وتستدعوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان رضوا عنهم
 فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضيت أيها المؤمنون عنهم بما حلفوا لكم فلا ينفعهم
 رضاكم لأن الله ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم لكون ارادتكم مخالفة لارادة الله تعالى وذلك لا يجوز
 (الاعراب) أى جنس أهل البدو (أشد كفراً ونفاقاً) من أهل الحضرة وحقهم وليستيلاء الهواه
 الحار اليابس عليهم وبعدهم عن أهل العلم (وأجد ان لا يعلموا حدوما أنزل الله على رسوله) أى

أحق بأن لا يعلموا مقادير التكليف والاحكام (والله عليم) بما في قلوب خلقه (حكيم) فيما فرض من فرائضه (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفعه مفرما) أي من الأعراب أسد وغطفان من يعتقدان الذي ينفعه في سبيل الله خسران لأنه لا ينفع إلا رياء وخوف من المسلمين لا لوجه الله (ويتربص بكم الدوائر) أي ينتظر أن تقلب الأمور عليكم بعون الرسول وإن يعاينوا عليكم المشركون فيتخلص عما ابتلى به من الانفاق (عليهم دائرة السوء) أي عليهم يدور البلاء والحزن فلا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم دينه إلا ما يحزنهم (والله سميع) أقولهم عند الانفاق من كلام لا خير فيه (عليم) بنياتهم الفاسدة (ومن الأعراب) مزينة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) في السر والعلانية (ويتخذ ما ينفع قربات عند الله وصلوات الرسول) أي ويؤخذ لنفسه ما ينفعه في سبيل الله سبيبا لحصول القربات إلى الله في الدرجات وسبيبا لحصول دعوات الرسول فإنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو المتصدقين بالخير والبركة ويستغفرهم (ألا) أي تنبهوا (انها) أي أن نفقتهم (قربة لهم) إلى الله في الدرجات (سيد خلهم الله في رحمته) أي جنته وهذا تفسير للقربة ووعدهم بأحاطة رحمته الواسعة كما أن قوله تعالى والله سميع عليم تهديد للذين عقب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق الوقوع (إن الله غفور) لسيئاتهم (رحيم) بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسلم وغفار وشي من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من عيم وأسدين خزعة وهو أزن وغطفان (والسابقون الأولون) أي في الهجرة والنصرة (من المهاجرين) هم الذين صلوا إلى القبلة وشهدوا بدار كما قاله ابن عباس (والانصار) وهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر والعقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا والعقبة الثالثة وكانوا سبعة من رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمر (والذين اتبعوهم) أي الفريقين (بأحسان) وهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم ويذكرون محاسنهم (رضى الله عنهم) لأعمالهم وكثرة طاعاتهم (ورضوا عنه) لما أفاض عليهم من نعمه الجليلة في الدنيا والآخرة والسابقون مبتدأ وخبر جملة رضى الله عنهم (وأعد لهم) في الآخرة (جنات تجري تحتها الأنهار) وقرأ ابن كثير من تحتها بكلمة من كما في سائر المواضع وعلى هذا الزم صلة الميم في المواضع الثلاثة والباقيون بغير كلمة من وفتح التاء (خالدين فيها أبدا) أي من غير انتهاء (ذلك) أي الرضوان والجنات (الفوز العظيم) أي النجاة الوافرة (وعن حولكم) أي حول بلدتكم (من الأعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا نازلين حول المدينة (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) أي من أهل المدينة كعبد الله بن أبي وأصحابه من ثبتوا على النفاق ولم يتوبوا عنه (لا تعلمهم) أي لا تعلم نفاقهم مع قوة خاطرهم وصفاء نفسهم لشدة إبطان الكفر وأظهار الإخلاص (فمن نعلمهم) أي فمن نعلم سر أئمرهم التي في ضمائرهم (سندبهم مرتين) بعذاب الدنيا بجميع أقسامه وعذاب القبر (ثم يردون) في الآخرة (إلى عذاب عظيم) هو النار المؤبدة (وآخرون) أي ومن أهل المدينة قوم آخرون أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة ابن حزام (اعترفوا بذنوبهم) أي أقروا بذنوبهم وأظهروا الندامة على التخلف (خلطوا أعمالا حسنة) وهو خروجهم مع الرسول إلى سائر الغزوات (وآخريسيما) وهو تخلفهم عن غزوة تبوك أي خلطوا كل واحد من العمل الصالح العمل السيئ بالآخر (عسى الله أن يتوب عليهم) أي ثبت أن يقبل الله توبتهم (إن الله غفور رحيم) يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه (خذه من أموالهم صدقة) أي لما أظهروا

التوبة عن تخلفهم - عن غزوة تبوك وهم أقروا بان السبب المؤدى لذلك التخلف حبهم للأموال أمر الله
رسوله ان يأخذ منهم الزكوات الواجبة عليهم - فكانه قيل لهم انما يظهر رحمة قولكم في اداء هذه التوبة
لو أخرجتم الزكاة الواجبة بانشرح قلب لان الدعوى انما يشهد عليها الامتحان فعند الامتحان يكرم
الرجل أو يهان فان أدوا تلك الزكوات عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين في تلك التوبة والا فهم
كاذبون (تطهرهم) أى تطهرهم أنت أيها الآخذ بأخذها منهم عن نجاسة الذنوب (وتركيهم بها)
أى ترفعهم بتلك الصدقة حسنة تاتى الى مراتب المخلصين وتثنى عليهم عند اخراجها الى الفقراء وتجعل
النقصان الحاصل بسبب اخراج قدر الزكاة سببا لزيادة البركة (وصل عليهم) أى ادع لهم قال الشافعي
رضي الله عنه والسنة للإمام اذا أخذ الصدقة ان يدعو للتصدق ويقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك
لك فيما أبقيت وجعله لك طهورا (ان صلاتك سكن لهم) أى ان دعائك يوجب طمأنينة قلوبهم
(والله مهيىء) لقولهم (عليهم) بنياتهم قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم صلاتك على التوحيد والباقون
صلواتك على الجمع (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) أى ألم يعلموا أن
التائبون قبل توبتهم وصدقتهم ان الله يقبل التوبة عن عباده المخلصين ويقبل الصدقات
الصادرة عن خلوص النية (وأن الله هو التواب الرحيم) أى وألم يعلموا انه تعالى المنفرد بملوغ الغاية
القصوى من قبول التوبة وايصال الرحمة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى
وقل يا أشرف الخلق اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فسيرى الله عملكم خيرا كان أو شرا ويراها رسوله
باطلاع الله اياه على أعمالكم ويراها المؤمنون بقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض
المفسدين فان عملكم في الدنيا حكما وفي الآخرة حكما أما حكمه في الدنيا فانه يراه الله والرسول والمسلمون فان
كان طاعة حصل منه الثناء العظيم في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وان كان معصية حصل منه الازم
العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة وهذا ترغيب عظيم للطيعين وترهيب عظيم للذنبين وفي
الحبر لو أن رجلا عمل في محبرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان (وستردون) بعد
الموت (الى عالم الغيب والشهادة) والمراد من الرد تعريف عقاب الخزي والفضيحة (فينبئكم بما
كنتم تعملون) في الدنيا أى فيعرفكم أحوال أعمالكم من خير وشر فيجازيكم عليها لان المجازاة من
الله تعالى في الآخرة لا تحصل الا بعد التعريف ليعرف كل أحد ان الذى وصل اليه عدل لا ظلم (وآخرون
مرجون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم مرجئون بهمزة مضمومة بعدها
واو ساكنة والباقون مرجون بدون تلك الهمزة أى ومن أهل المدينة قوم من المتخلفين غير المعترفين
مؤخرون عن قبول التوبة (لامر الله) أى لحكمه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار فنزل قوله تعالى
وآخرون مرجون لامر الله فوق الرسول أمرهم بعد نزول هذه الآية خمسين ليلة بقدر مدة التخلف اذ
كانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسين ليلة ونهى الناس عن مجالستهم وأمرهم باعتزال
نساءهم وأرسالهن الى أهاليهن لانه لما تمتعوا بالراحة في المدينة مع تعب غيرهم في السفر عوقبوا بما جبرهم
تلك المدة فلما مضى خمسون يوما نزلت توبتهم بقوله تعالى لقد تاب الله على النبي وبقوله تعالى وعلى
الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) وهذه الجملة في
محل نصب على الحال أى ومنهم هؤلاء اما معذبين واما متوب باعليهم هؤلاء القوم كانوا ناديين على تأخيرهم

عن الغزو ولم يحكم الله بكونهم ثابتي بل قال اما يعذبهم واما يتوب عليهم فاعلمهم خافوا من امر الرسول
 يا ايذانهم أو خافوا من الحيلة والفضيحة وعلى هذا التقدير فتوبتهم غير صحيحة فاستمر عدم قبول التوبة الى
 أن سهل أحوال الخلق في قدحهم ومدحهم عندهم فعند ذلك قدموا على المعصية لنفس كونها
 معصية وعند ذلك صحت توبتهم وكلمة اما لئلا بالنسبة لاعتقاد العباد والمراد منه ليكن أمرهم على الخوف
 والرجاء فجعل أناس يقوارن هلكوا اذ لم ينزل الله لهم عذرا واناس يقولون عسى الله أن يغفر لهم فالتناس
 مختلفون في شأنهم فصاروا عندهم مرجئين لامر الله تعالى (والله اعلم) بما في قلوب هؤلاء المؤمنين
 (حكيم) فيما يحكم فيهم وفيما يفعل بهم (والذين اتخذوا مسجدا ضارا) أي ومنهم الذين بنوا مسجدا
 وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين لاضرار أهل مسجد قبا (وكفرا) أي ولتقوية الكفر بالطعن على
 النبي صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام (وتفريقا بين المؤمنين) الذين كانوا يصلون في مسجد قبا أي
 لكي يصل طائفة من المؤمنين في ذلك المسجد فيؤدي ذلك الى اختلاف الكلمة (وارصادا لمن حارب الله
 ورسوله) أي انتظار الابي طار الراهب الفاسق (من قبل) متعلق باتخذوا أي اتخذوا ذلك المسجد
 من قبل أن ينافق بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك وكان أبو طامر قد تنصر في الجاهلية وترهب
 أي لبس المسوح وطلب العلم فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة عاد ادلانه زالت رياسته وقال للنبي صلى
 الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قائلتك معهم ولم يرل يقاتله صلى الله عليه وسلم الى يوم
 حنين فلما انهزم هوازن خرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة
 وسلاح وابنوا الى مسجد قبا فاني ذاهب الى قيصروا أت من عنده بجند فأخرج محمد وأصحابه من المدينة
 فبنوا هذا المسجد الى جنب مسجد قبا وانتظروا محيى أبي عامر يصلي بهم في ذلك المسجد (وليفلن
 ان أردنا الا الحسن) أي قالوا الرسول صلى الله عليه وسلم ما أردنا بيننا هـذا المسجد الا الاحسان الى
 المؤمنين وهو الرفق بهم في التوسعة على أهل الضعف والعدة والهجز عن الذهاب الى مسجد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم (والله يشهد انهم اسكاذبون) في خلافهم (لاتقم فيه أبدا) أي لاتصل في ذلك المسجد
 أبدا روى لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك نزل بذي أوان وهو موضع قريب من
 المدينة فأما المنافقون وسألوا اتيان مسجدهم فترلت عليه صلى الله عليه وسلم هذه الآية فدعا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا
 المسجد الظالم أهله فادموه واحرقوه ففعلوا ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل ذلك الموضع
 مكان كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر الفاسق بالشام بقنسرين غريبا وحيدا (لمسجد
 أسس على التقوى) أي بني أصله على طاعة الله تعالى وذكره (من أول يوم) من أيام تأسيسه فقد أسس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قبا وصلى فيه أيام مقام بقبا وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء
 والخميس وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة (أحق أن تقوم فيه) أي أن تصل في ذلك المسجد (فيه)
 أي في هذا المسجد (رجال يحبون أن يتظاهروا) من الاحداث والجنابات والنجاسات وسائر النجاسات
 وهم بنو عامر بن عوف الذين بنوه (والله يحب المطهرين) أي يرضى عنهم روى ابن خزيمة عن هويعر
 ابن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قبا فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في
 الطهور في قصة مسجدكم فها هذا الطهور الذي تطهرون به أي الذي تحصلون الطهارة بسببه قالوا والله
 يا رسول الله ما نعلم شيئا الا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أديارهم من الغائط فغسلنا كما

غسلوا وفي حديث ر واه البزار فقالوا في جواب سؤاله لهم تتبع الحجارة بالآاء فقال هو ذاك فعليك موه
 (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) أى أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه على قاعدة
 قوية هي الخوف من عقاب الله والرغبة في ثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفاعر ف هار) أى أم من
 أسس بنيان دينه على طرف مسيل متصدع وهو كفر بالله واضرار بعباد الله (فأنهار به في نار جهنم) أى
 فسقط المسيل مصاحبه أى للمؤسس في قعر نار جهنم أى مثل الضلال مثل شفاعر ف هار من أودية
 جهنم فكان قريب السقوط ولكونه على طرف جهنم كان إذا أنهار فأنهار في قعر جهنم وقرأنا نافع
 وابن عامر أسس مبنيًا للمفعول وبنيانه بالرفع نائب الفاعل (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يغفر
 للمنافقين ولا ينجيهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) أى لا يزال مسجدهم سبب شك في
 الدين لأن المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرر فلما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل
 ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتياحهم في نبوته وعظم خوفهم منه في جميع الاوقات وصاروا
 مرتابين في أن رسول الله هل يخلى سبيلهم أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم (الأن تقطع قلوبهم) وقرأ
 ابن عامر وحفص عن عاصم وحزمة بفتح التاء والطاء المشددة والباقون بضم التاء مبنى للمجهول وعن
 ابن كثير بفتح الطاء وسكون القاف على الخطاب وقلوبهم بالنصب أى إلا أن تجعل قلوبهم قطعاً
 بالسيف وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب إلى أن تقطع وأبو حيوة كذلك إلا أنه قرأ بضم التاء وفتح
 القاف وكسر الطاء مشددة على الخطاب للرسول وقلوبهم بالنصب وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم
 بالبناء للمجهول وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على الخطاب والمعنى أن هذه الريبة باقية في قلوبهم أبداً
 ويموتون على هذا النفاق والابعنى إلى بدليل القراءة الشاذة (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) في
 الأحكام التي يحكم بها عليهم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
 يقاتلون في سبيل الله) وهذا استئناف لبيان البيع الذي يستلزمه الشراء كأنه قيل كيف يبيعون
 أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله أى يمدلون أنفسهم وأموالهم في طاعة الله والمؤمن
 متى قاتل في سبيل الله حتى يقتله كافر وأنفق ماله في سبيل الله فله يأخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء لما
 فعل وهو تسليم المبيع من النفس والأموال (فيقتلون ويقاتلون) قرأ حمزة والكسائي بتقديم المبنى
 للمفعول على المبنى للفاعل والباقون بعكسه فعنى تقديم الفاعل على المفعول أنهم يقتلون الكفار ولا
 يرجعون عنهم إلى أن يصيروا مقتولين وأما تقديم المفعول على الفاعل فالمعنى أن طائفة كبيرة من المسلمين
 وانصاروا مقتولين لم يصبر ذلك رادعاً للباقيين عن المقاتلة بل يبقون بعد ذلك مقاتلين مع الأعداء قاتلين لهم
 بقدر الامكان (وعدا عليه حقاً) أى وعدهم الله وعداً ثابتاً على الله (في التوراة والانجيل والقرآن
 ومن أوفى بعهد من الله) أى لا أحد أوفى بعهد من الله تعالى (فاستبشروا) أى فافرحوا غاية الفرح
 (ببيعكم الذي بايعتم به) أى بجهادكم الذي فزتم به بالجنة (وذلك) أى الجنة التي هي ثمن بذل النفس
 والأموال (هو الفوز العظيم) أى فلا فوز أعظم منه (التائبون) وهو رفع على المدح أى هم
 التائبون من كل معصية كما يدل عليه قراءة عبد الله بن معبود وأبي والاعمش التائبين بالياء إلى قوله تعالى
 والحافظين أماناً نصباً على المدح أو جراً صفة للمؤمنين ويجوز أن يكون التائبون رفعا على الب ل من الواو في
 يقاتلون واعلم أن التوبة المقبولة اغما تحصل باجتماع أربعة أمور أولها احتراق القلب عند صدور
 المعصية ثانياً الندم على ما مضى ثالثاً العزم على الترت في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على

هذه الامور الثلاثة طلب رضا الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه منها دفع مذمة الناس وتحصيل مدحهم أو لغرض آخر من الاغراض الدنيوية فليس بتائب ولا بد من رد المظالم الى أهلها ان كانت (العابدون) قال ابن عباس رضي الله عنهما الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم (الحامدون) أي الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً وديار يجعلون اظهار ذلك عادة لهم (السائحون) أي الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة أمتي الصيام وقال عكرمة أي طلاب العلم فانهم ينتقلون من بلد الى بلد (الراكون الساجدون) أي المصلون الصلوات الخمس (الأمرون بالمعروف) أي بالايان والطاعة (والناهون عن المنكر) أي عن الشرك والمعاصي (والحافظون لحدود الله) أي لتكاليف الله المتعلقة بالعبادات وبالمعاملات (وبشرا المؤمنين) الموصوفين بهذه الصفات بالجنة (ما كان للنبي) أي ماجاز لمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) أي ذري قرابات لهم (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي أهل النار بأن ماتوا على الكفر وسبب نزول هذه الآية استغفار ناس لا باثمهم الذين ماتوا على الكفر روى عن علي رضي الله عنه أنه قال سمعت رجلاً يستغفر لابو به وهما مشركان فقلت أتستغفر لابو يلى وهما مشركان قال أليس قد استغفر ابراهيم لآبيه فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فترسل ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال كان المسلمون يستغفرون لا باثمهم المشركين حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لا مواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا ولا حياء حتى يموتوا ثم أنزل الله (وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها ياء) أي الا لاجل موعدة وعدها ابراهيم آياه بقوله لا استغفرن لك أي لا طلب من مغفرة لك بالتوفيق للايمان فانه يحرم ما قبله (فلما تبين له أنه عدو لله) أي انه مستمر على الكفر ومات عليه (تبرأ منه) أي ترك الاستغفار له أي ان ابراهيم استغفر لآبيه ما كان حياً فلما مات أمسك عن الاستغفار له وروى ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال لما عرض أبو طالب آياه النبي صلى الله عليه وسلم فقال المسلمون هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم لآبيه فاستغفروا لقربا باثمهم من المشركين فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا الآية ثم أنزل وما كان استغفار ابراهيم الآية وروى ابن جرير عن عمرو بن دينار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استغفر ابراهيم لآبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لآبي طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال أصحابه لنستغفرن لا باثماً كما استغفر النبي لعمه فأنزل الله ما كان للنبي الآية الى قوله تعالى تبرأ منه فظهر بهذه الاخبار ان الآية نزلت في استغفار المسلمين لا قاربهم المشركين لا في حق أبي طالب لان هذه السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها وبين موت أبي طالب نحو اثني عشر سنة وأيضاً ان عم ابراهيم آزر كان يتخذ أصناماً آلهة ولم ينقل عن أبي طالب انه اتخذ أصناماً آلهة أو عبد سجراً أو نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عبادة ربه وانما هو ترك النطق بالشهادتين لخوف مسببة للعناد للاسلام أو ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا ناج في الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولا بحماس الشريعة الغراء ولا بقواعد الاثمة من أهل الكلام أن يكون هو آزر عم ابراهيم في مرتبة واحدة فان أباطالب ربه صلى الله عليه وسلم صغيراً أو آواه كبيراً ونصره وعززه ووقره وذب عنه ومدحه ووصى باتباعه وأما ما روى ان علياً ضحك على المنسبر ثم قال ذكرت قول أبي طالب ظهر علينا وأنا أصلي ببطن نخلة فقال ماذا تصنعان فدعا النبي الى الاسلام فقال ما بالذي تقول من بأس ولا كبر والله لا يعملوني استي أبداً

فهذا في أول الاسلام قبل ان تفرض الصلاة وقد أقر بأنه لا بأس بالتوحيد وابطؤه عن صلاة النفل لا يدل على
 ابائهم عن التوحيد وليس في حديث عمرو بن دينار السابق دلالة قطعية على شركه وأما قوله صلى الله عليه
 وسلم استغفر ابراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبي طالب فهذا يمكن ان يكون معناه أن ابراهيم
 استغفر لأبيه مع شركه فكيف لا أستغفر أنا لأبي طالب مع خطيئته دون الشرك فلا أزال أستغفر له حتى
 ينهاني عنه ربي ولم ينه صلى الله عليه وسلم بل نهى عن الاستغفار للمشركين لا لخصوص صمه كما صرح به هذا ما
 روى عن قتادة ان رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الاستغفار لأبائهم فقال والله
 اني لا استغفرن لأبي أي لعبي كما استغفر ابراهيم لأبيه فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم أمرت أن لا أستغفر لمن كان كافرا فقلوه صلى الله عليه وسلم اني لا استغفرن لأبي ولم يقل
 أمرت أن لا أستغفر له بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال أصحابه مع إشارة خفية الى ان عمه لم يكن مشركا
 والله أعلم (ان ابراهيم لاواه) أي كثير الدماء والتضرع (حليم) أي صبور على المحنة (وما كان الله ليضل قوما
 بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أي ما يجب ان يحترزوا عنه أي لما نزل المنع من الاستغفار للمشركين
 خاف المؤمنون من المؤاخذة بما صدر عنهم منه قبل المنع وقدمات قوم منهم قبل النهي من الاستغفار فوقع
 الخوف في قلوب المسلمين على من مات منهم انه كيف يكون حالهم فأزال الله تعالى ذلك الخوف عنهم بهذه الآية
 وبين انه تعالى لا يؤاخذهم بعمل الابدان يبين لهم انه يجب عليهم ان يحترزوا عنه أي وما كان الله ليقتضي
 عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لو تارككم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به وبرسوله
 حتى يبين لكم بالوحي ما يجب الاحتراز عنه من محظورات الدين فلا تنزجروا عما نهىم عنه (ان الله بكل
 شيء عليم) فيعلم حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فبين لهم ذلك (ان الله له ملك السموات
 والارض) من غير شريك له فيه (يحیی ویمیت وما لکم من دون الله من ولی) أي متولى الامور
 (ولانصير) أي لما أمر الله بالبراءة من الكفار بين ان له ملك السموات والارض فاذا كان هو ناصرا
 لکم فهم لا يقدر ان على اضراركم أي انکم ان صرتم محرومين عن معاونتهم فالاله الذي هو المالك
 للسموات والارض والمحيي والمميت ناصرکم فلا يضرکم ان ينقطعوا عنکم والواجب عليكم ان تنقادوا
 لحکم الله وتكليفه لیسكونه الهکم ولکونکم عبيد له (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
 الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أي في الزمان الذي صعب الامر عليهم جدا في السفر الى تبوك وكانت لهم
 عسرة من الزاد وعسرة من الظهر وعسرة من الحر وعسرة من الماء فر بما مص الثمرة الواحدة جماعة
 يتناولونها حتى لا يبقى من الثمرة الا النواة وكان معهم شيء من شعير مسوس فكان أحدهم اذا وضع اللقمة
 في فيه أخذ أنفه من ثمن اللقمة وكان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم وكانوا قد خرجوا
 في قيظ شديد وأصابهم فيه عطش شديد حتى ان الرجل لينخر بعيره فيعصر فرثه ويشربه أي لقد عفى الله
 عن النبي في اذنه للمنافقين في التخلف عنه في غزوة تبوك وهو شيء صدر عنه من باب ترك الافضل لانه
 ذنب يوجب عقابا وعفى الله على المهاجرين والانصار من الوسوس التي كانت تقع في قلوبهم في ساعة
 العسرة كما قال تعالى (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) أي من بعد ما قرب ان ماتميسل قلوب
 بعضهم الى أن يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الغزو لخرشده ولم ترد الميل عن الدين ورجعوا وقع في
 قلوب بعضهم ان لا تقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منها (ثم تاب عليهم) أي عفى الله عنهم
 ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوسوس النفسانية لما صبروا واندماوا على ذلك الهام (انه بهم رؤوف

(رحيم) فلا يجعلهم مالا يطيقون من العبادة ويوصل اليهم المنافع (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أي
وتاب الله على الثلاثة الذين آخروا في قبول التوبة عن الطائفة الاولى ابن لبابة وأصحابه وهؤلاء الثلاثة
كعب بن مالك الشاعر وهلال بن أمية الذي نزلت فيه آية اللعان ومرارة بن الربيع (حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت) أي آخر أمرهم إلى ان ضاقت الارض عليهم مع سعتها بسبب مجازبة
الاحباب ونظر الناس لهم بعين الالهانة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معرضا عنهم ومنع المؤمنين من
مكالمتهم وأمرهم باعتزال أزواجهم وبقوا على هذه الحالة خمسين يوما (وضاقت عليهم أنفسهم) أي
ضاقت قلوبهم اذ ارجعوا إلى أنفسهم لا يطمنون بشئ بسبب تأخير أمرهم من قبول التوبة (وظنوا
أن لا ملجأ من الله الا اليه) أي علموا انه لا ملجأ الا حده من مخطئه تعالى الا اليه بالتضرع (ثم تاب عليهم)
أي ثم وفقهم للتوبة الصحيحة المقبولة (ليتوبوا) أي ليحصدوا التوبة (ان الله هو التواب الرحيم)
ولما نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هجرته وهو غداً أم سلمة فقال الله أكبر قد أنزل
الله عذراً لأصحابنا فلما صلى الفجر ذكركم ذلك لأصحابه وبشرهم بأن الله تاب عليهم فانطلقوا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا عليهم ما نزل فيهم فقال كعب توبتي إلى الله تعالى ان أخرج مالي صدقة فقال لا قلت
فنصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في مخالفة أمر الرسول (وكونوا مع
الصادقين) أي مع الرسول وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا جالسين مع المنافقين في البيوت وقرئ
شاذة من الصادقين فعلى هذا فمعنى من أي كونوا ملازمين الصدق روى ان واحدا جاء إلى النبي صلى
الله عليه وسلم وقال اني رجل أريد ان أومن بك اني أحب الخمر والزنا والسرقة والكذب والناس
يقولون انك تحرم هذه الاشياء ولا طقة لي على تركها بأمرها فان قنعت مني بترك واحد منها آمنت بك
فقال صلى الله عليه وسلم أترك الكذب فقبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا
عليه الخمر فقال ان شربت وسألتني الرسول عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت أقام الحد على
فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاءه ذلك الحاطر فتركه وكذا في السرقة فتأب عن الكل فعاد إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعني عن الكذب انسدت أبواب المعاصي على (ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب) أي ما جاز لاهل دار الهجرة ومن حولهم من سكان البوادي
(أن يتخلفوا عن رسول الله) اذ ادعاهم وأمرهم لانه تتعين الاجابة والطاعة لرسول الله وكذلك
غيره من الولاة والائمة ذاندبوا وعينوا (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي ليس لهم ان يكرهوا
لانفسهم ما يرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانفسه (ذلك) أي وجوب المشايعة لرسول الله
(بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أي شدة عطش (ولا نصب) أي تعب (ولا محصاة) أي مجاعة شديدة
يظهرونها ضمور البطن (في سبيل الله) أي في طريق دينه (ولا يبطون) أي لا يدوسون
بأرجلهم وخوافر خيولهم واخفاف بعيرهم (موطئا) أي دوسا (يغيظ الكفار) أي يغضبهم بذلك
(ولا ينالون من عدوئنا) أي شيئا من الأسرا أو قتلا أو هزيمة (الا كتب لهم به) أي بكل واحد من
الامور الخمسة (هل صالح) مستوجب للثواب ومن قصد طاعة الله كان جميع حركاته وسكناته
حسانا مكتوبة عند الله (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي لا يترك ثوابهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة)
ولو تمر أو علاقة سوط (ولا كبيرة) كما أنفق عثمان في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أي ولا
يجاوزون مسلكتهم في سيرهم (الا كتب لهم) أي الا كتب الله لهم ذلك الاتفاق والسير في الذهاب

والرجوع (ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي ليجزئهم الله على أحسن أعمالهم وهو الواجب
والمندوب دون المباح أو ليجزئهم الله جزاءه وأحسن من أعمالهم وهو الثواب فالأحسن صفة عملهم على
المعنى الأول وصفة الجزاء على الثاني (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أي ما استقام لهم أن ينفروا
جميعاً نحو غزو وطلب علم فإنه يخل بأمر المعاش هذه الآية أما كلام لا تعلق له بالجهاد وأما من بقية أحكام
الجهاد (قلوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون
فعلى الأول يقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب
وغير جائز وليس حال النفقة كحال الجهاد معه صلى الله عليه وسلم الذي يجب أن يخرج فيه كل من لا عذر له
فهو لا نفر من كل فرقة من فرق الساكنين في البلاد طائفة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين ويعودوا إلى
أوطانهم فينذروا قومهم لكي يحذرون عقاب الله تعالى بامتنال أمره واجتناب نهيه وعلى هذا التقدير
فكون المراد وجوب الخروج إلى حضرة الرسول للتعلم لأنه يحدث كل وقت تكليف جديداً في زماننا
فقد صارت الشريعة مستقرة فإذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجباً وعلى الاحتمال الثاني
يقال إن النبي لما بالغ في الكشف عن عيون المنافقين في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المسلمون والله
لا نتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية بعثها فلما قدم الرسول المدينة من تبوك وأرسل
السرايا إلى الكفار نفر المسلمون جميعاً إلى العز ورتبهم والنبي وحده في المدينة فنزلت هذه الآية فالمعنى
لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا جميعاً ويتركوا النبي بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة تنفر إلى الجهاد وقهر
الكفار وطائفة تكون مع رسول الله ليعلم العلم والفقه في الدين لأن أحكام الشريعة كانت تتجدد شيئاً بعد
شيء والمساكنون يحفظون ما تجدد فاذا قدم الغزاة علموا ما تجدد في غيبتهم وبهذا الطريق يتم أمر الدين
والمعنى فهلا نفر من كل فرقة من المقيمين مع رسوله الله طائفة إلى جهاد العدو ليتفقه المقيمون في الدين
بسبب ملازمتهم خدمة الرسول وليخبروا قومهم الخارجين إلى الجهاد إذا رجع الخارجون من جهادهم
إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم لكي يحذرون معاصي الله تعالى عند ذلك التعلم (يا أيها الذين
آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) أي لما أمرهم الله بقتال المشركين كافة أرشدتهم إلى الطريق
الأصوب الأصح وهو أن يبدؤا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وبهذا الطريق
يحصل الغرض من قتال المشركين كافة فإن أمر الدعوة وقع على هذا الترتيب فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاتل أولاً قومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير
وخيبر وفدك ثم انتقل إلى غزوات الروم والشام فكان فتحه في زمن الصحابة ثم انهم انقلبوا إلى العراق
(وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة عظيمة وشجاعة (واعلموا أن الله مع المتقين) أي معينهم بالنصرة على
أعدائهم والمراد أن يكون الأقدام على الجهاد بسبب تقوى الله لا بسبب طلب المال والجاه (وإذا ما أنزلت
سورة) من سور القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين مجلس نزولها وليس في السورة فضيحة
لهم (فإنهم من يقول) أي فن المنافقين فريق يقول لا صحابه استهزاء بالقرآن والمؤمنين (أيكم زادت
هذه) السورة (إيماناً) قال تعالى تعيننا لحالهم (فأما الذين آمنوا) بالله تعالى وبما جاء من عنده (فزادتهم)
أي هذه السورة (إيماناً) بانضمام إيمانهم بما فيها بإيمانهم السابق لأنهم يقرءوا عند نزولها بانها حق
من عند الله (وهم يستبشرون) بنزولها لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية (وأما الذين في قلوبهم
مرض) أي نفاق وسوء عقيدة (فزادتهم) أي هذه السورة (رجسا إلى رجسهم) عقيدة باطلة

مفهومة الى عقيدتهم الباطلة فانهم كانوا مكذبين بالسورة النازلة قبل ذلك والآن صاروا مكذبين بهذه
السورة الجديدة فقد انضم كفرة الى كفروا بهم كانوا في العداوة والاستنباط وجوه المكر والآن ازدادت
تلك الاخلاق الذميمة بسبب نزول هذه السورة الجديدة (وماتوا وهم كافرون) وهذه الحالة اقبح من الحالة
الاولى فان الاولى ازدياد الرجاسة وهذه مداومة الكفر وموتهم عليه (اولا يرون) أي المنافقون
فلا استفهام للتوبيخ وقرأ حمزة بالتاء على الخطاب للمؤمنين فلا استفهام للتوبيخ أي ألا ينظرون ولا يرون
(أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) أي أنهم يبتلون بأفانين البليات مرارا كثيرة من المرض
والجوع ومن انظار الفتن اوجبة للتوبة وقوله تعالى ثم لا يتوبون وما بعده عطف على لا يرون داخل تحت
الانكار والتوبيخ على قراءة الجمهور وعطف على يفتنون على قراءة حمزة (واذا ما أنزلت سورة) فيها بيان
حالهم وكانوا حاضرين مجلس نزولها (نظر بعضهم الى بعض) أي تغامروا بالعيون يدبرون الهرب
ليخلصوا عن تأذي سماعها يقولون بطريق الإشارة (هل يراكم من أحد) من المسلمين ان قتم من
المجلس (ثم انصرفوا) جميعا عن مجلس نزول الوحي خوفا من الافتضاح أو غير ذلك (صرف الله قلوبهم)
عن الايمان وعن استماع لقرآن (بانهم قوم لا يفقهون) لسوء الفهم وعدم التدبر (لقد جاءكم)
أيها العرب (رسول) عظيم الشأن (من أنفسكم) أي من جنسكم بشر عربي قرشي مثلكم وقرشي
بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم قيل هذه قراءة فاطمة وعائشة رضي الله عنهما (عزيز عليه ما عنتم)
أي شاق شديد على هذا الرسول ما أنتمم فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) في
ايمانكم وصلاح حالكم فهو شديد الرغبة على ايصال الخيرات اليكم في الدنيا والآخرة (بالمؤمنين) أي
بجميعهم (رؤوف رحيم) فهو تعالى شديد الرحمة بالطائعين منهم يريد الانعام على المذنبين (فإن تولوا)
أي فإن أعرض هؤلاء المنافقون والكفار عن الايمان والتوبة وناصروا للحرب (فقل حسبي الله)
أي يكفيني الله فهو ثقتي (لا اله الا هو) أي لا حافظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) أي وثقت
(وهو رب العرش) أي السرير (العظيم) فان جعل صفة للرب فعني العظمة هي وجوب الوجود
والتقدس عن الحمية والاجزاء وكمال العلم والقدرة والتمتع عن ان يتحمل في الاوهام وتصل اليه الافهام وان
جعل صفة للعرش فعني العظمة كبر الجرم واتساع الجوانب ووجود العرش أمر مشهور والكفار معوه
من اسلافهم أو من اليهود والنصارى

﴿سورة يونس مكية الاقوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم
بالمفسدين فانها مدنية لانها نزلت في اليهود مائة وتسع آيات وكلماتها ألف وثمانمائة
واثنتان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الى تلك آيات الكتاب الحكيم) أي تلك الآيات الحاصلة في سورة الر هي آيات
ذلك الكتاب المحكم الذي لا يمحوه الماء ولا يغيره كرو والدهر (أكان للناس) أي لاهل مكة (عجبا
أن أرحمنا) أي ارحمنا (الى رجل منهم) أي من اهل مكة (أن أنذر الناس) أي انه أي الشأن
قولنا أنذر الناس أي خوف جميع الناس كافة بالقرآن فان اهل مكة كانوا يقولون ان الله تعالى ما وجد
رسولا الى خلقه الا يتيه أبي طالب (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) أي بان لهم منزلة

رقيقة عند ربهم (قال الكافرون) أي المتجهبون (أن هذا الساحر مبين) قرابن كثير وطامع
 وحزة والكسافي بصيغة اسم الفاعل أي أن الكافرين لما جاءهم رسول منهم فأنذروهم وبشروهم قالوا
 متجهبين أن هذا الذي يدعي أنه رسول وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ساحر ظاهر والباقون لسحر
 بكسر السين ومكون الحاء أي أن هذا القرآن لكذب ظاهر ووصف الكفار القرآن بكونه سحرا يدل على
 عظم القرآن عندهم من حيث تعذر عليهم فيه المعارضة فأرادوا به ذا الكلام أن القرآن كلام من خرف
 حسن الظاهر ولكنه باطل في الحقيقة وهذا ذم له أو أرادوا به أنه لكلام فصاحتهم وتعذر مثله جار مجرى
 السحر وهذا مدح له وانما لم يؤمنوا به عنادا (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام)
 أي مقدار ستة أيام معلومة (ثم استوى على العرش) وهو الجسم المحيط بسائر الأجسام والمعنى
 ثم تصرف الله في ملكه وليس معناه أنه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والأرض لأن تكوين
 العرش سابق على تخليق السموات والأرضين بدليل قوله تعالى وكان عرشه على الماء بل المراد أنه تعالى
 لما خلق السموات والأرض واستدارت الأفلاك والكواكب وجعل بسبب دورانها الفصول الأربعة
 في هذا الوقت قد حصل وجود هذه المخلوقات وهذا ملك الله تعالى وهذا حصل بعد تخليق السموات
 والأرض فصح ادخال حرف يفيد التراخي على الاستواء على العرش والله أعلم بمراده (يدبر الأمر) أي
 يقدر على الوجه الأكمل أمر ملكوت السموات والأرض (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) أي أن الله
 تعالى ينفرد في التدبير فإن تدبيره تعالى للأشياء لا يكون بشفاعته شفيع ولا يستجري أحد أن يشفع إليه
 في شيء إلا بعد إذنه تعالى ولا يدخل أحد في الوجود إلا بعد أن قال تعالى له كن حتى كان (ذلكم الله
 ربكم فاعبدوه) فإن العبادة لا تصلح إلا له وهو المستحق لجميع العبادات لأجل أنه هو المنعم بجميع النعم
 (أفلاتنكرون) فالتفكير في مخلوقات الله تعالى واجب والاستدلال بها على عزته تعالى وعظمته وجلالاته
 أعلى المراتب (إليه) تعالى (مرجعكم جميعا) بالبعث فلا حكم إلا حكمه ولا نافذ إلا أمره (وعدا الله حقا)
 أي وعدكم الله بالرجوع إليه وعدا وحق ذلك الوعد حقا (أنه يبدأ الخلق) ليأمرهم بالعبادة ثم
 يعيدهم (ثم يعيدهم) من العدم بالبعث (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بعد لهم والمراد
 به هنا الأيمان وهذا تنبيه على أن المقصود بالذات من الأبدان والاعادة هو الأمانة وإيصال الرحمة وأما
 عقاب الكفرة فكأنه دأب ساقه إليهم سوء اعتقادهم وسوء أفعالهم (والذين كفروا لهم شراب من حميم)
 أي ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم) أي بالغ في الأيلام (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم
 (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) أي الذي خلق الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور فبالذات
 ضوء وما بالعرض نور فنور القمر مستفاد من الشمس (وقدره منازل) أي جعل للقمر وهياله منازل
 وهي ثمانية وعشرون منزلا وأسماءها الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع
 والنثرة والطرف والجبهة والذبرة والصرفة والعواء والسهلك والغفر والزباني والأكليل والقلب والشولة
 والنعام والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السود وسعد الأخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر
 وبطن الحوت فينزل القمر كل ليلة في واحد منها على تقدير مستو من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين
 فإذا كان في آخر منازل له دق واستقوس ثم لا يرى ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في
 كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما (لتعلموا) باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل (هدد السنين والحساب)
 أي حساب الأوقات فيمكنكم ترتيب مهمات المعاش من الزراعة والحراثة ومهمات الشتاء والصيف

(ما خلق الله ذلك) أى المذكور من الشمس والقمر على تلك الأحوال (الابالحق) أى الأعلى وفق الحكمة ومطابقة المصلحة في أمور المعاملات والعبادات (يفصل الآيات) أى يذكر هذه الدلائل الباهرة واحدا عقب آخر مع البيان (لقوم يعلمون) الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شئون مبدعها من الوحدةانية وكمال القدرة والعلم وفي قوله تعالى يفصل قراءتان قراءة ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم بالياء والباقون بالنون (ان في اختلاف الليل والنهار) أى في تعاقبهما وفى تفاوتهما بازدياد وانتقاص أوفى تفاوتهما بحسب الامكنة في الطول والقصر (وما خلق الله في السموات والارض) من أنواع الموجودات (لآيات) دالة على وجود الصانع ووحدة وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) وخص الله تعالى العلامات بالمتقين لان الداعي الى التدبير والنظر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العقوبة (ان الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يطمعون في ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر (ورضوا بالحياة الدنيا) أى استغرقوا في طلب الذات الجسمانية (واطمأننوا بها) أى سكنوا في الاشتغال بطلب لذات الدنيا (والذين هم عن آياتنا) أى دلائل وحدانيتنا الظاهرة في الالكوان (خافلون) أى لا يتفكرون فيها أصلا (أولئك) أى الموصوفون بتلك الصفات (ماواهم النار بما كانوا يكسبون) أى من الاهمال القلبية ومن أنواع المعاصي والسيئات (ان الذين آمنوا) أى شغلوا قلوبهم وأرواحهم بتحصيل المعرفة (وعملوا الصالحات) أى شغلوا جوارحهم بالخدمة فعينهم مشغولة بالاعتبار وأذنههم مشغولة بسمع كلام الله تعالى ولسانهم مشغول بذكر الله وجوارحهم مشغولة بنور طاعة الله (يهدىهم ربهم بالإيمان) أى يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على إيمانهم وأعمالهم الصالحة (تجربى من تحتهم الانهار في جنات النعيم) أى انهم يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين والانهار تجري من بين أيديهم (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أى اشتغال أهل الجنة بتقديس الله تعالى وتعجيد الشناء عليه لاجل ان سعادتهم في هذا الذكر (وتحيتهم فيها سلام) أى تحية بعضهم لبعض تكون بالسلام وتحية الملائكة لهم بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) أى ان أهل الجنة لما عاينوا ما هم فيه من السلامة عن الآفات والخافات علموا أن كل هذه الأحوال السنية انما كانت باحسان الله تعالى عليهم فاشتغلوا بالشناء على الله فقالوا الحمد لله رب العالمين وانما وقع الختم على الحمد لان الاشتغال بشكر النعمة متأخر عن رؤية تلك النعمة والمعنى أنهم اذا دخلوا الجنة وما ينو اعظمه الله ووجده وافيه النعم العظيمة وعرفوا أنه تعالى كان صادقاً في وعده اياهم بتلك النعم مجدوه تعالى ونعتوه بنعوت الجلال فقالوا سبحانك اللهم أى نسجلك عن الخلق في الوعد والكذب في القول وعمالا يليق بحضرتك العلية ولما حياهم الله والملائكة بالسلامة عن الآفات وبالفوز بأنواع الكرامات أثنوا عليه تعالى بصنات الأكرام (ولو يجعل الله للناس الشراستجاء لهم بالخير لقضى اليهم أجلهم) أى ولو يجعل الله لهم العذاب عند استجاءهم به تعجلا مثل تعجيله لهم كشف الشدائد عند استجاءهم به لا ميتوا وأهلكوا بالمرّة وما أمهلوا طرفة عين وقرأ ابن عامر لقضى بفتح القاف والضاد وأجلهم بالنصب وقرأ عبد الله لقضينا اليهم أجلهم (فتذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) أى فمترك الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء مع تمردهم في ضلالهم يخبرون في شأنهم (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره) وهذه الآية بيان ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند وجدان النعماء فاذا مسه الضر أقبل على التضرع والدعاء مضطجعا أو قاعدا أو قائما مجتهدا

في ذلك الدعاء طالباً من الله تعالى إزالة تلك المحنة وتبديلها بالمنحة فإذا كشف الله تعالى عنه بالعافية
أعرض عن الشكر ولم يتذكر ذلك الضرر ولم يعرف قدر الانعام وصار بمنزلة من لم يدع الله تعالى للكشف
ضرره فالواجب على العاقل أن يكون صابراً عند نزول البلاء شاكراً عند الفوز بالنعمة وأن يكون كثير
الدعاء والتضرع في أوقات الراحة والرفاهية حتى يكون مجاب الدعوة في وقت المحنة وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدة فليكثر الدعاء عند الرخاء (كذلك
زين للسرفين ما كانوا يعملون) أي هكذا زين لمن بذل العقل والفهم والحواس لأجل لذات الدنيا وهي
خسيسة جد في مقابلة سعادات الدار الآخرة ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك
في الشهوات والكاف مقحمة للدلالة على زيادة نخامة المشار إليه (ولقد أهلكوا القرون) أي الأمم (من
قبلكم) أي من قبل زمانكم يا أهل مكة مثل قوم نوح وهاد وأشباههم (لما ظلموا) أي حين فعلوا
الظلم بالكذب (وجاءتهم رسالتهم بالبينات) أي بالمعجزات الدالة على صدقهم (وما كانوا يؤمنوا)
أي وقد علم الله منهم أنهم يصرون على الكفر (كذلك) أي مثل ذلك الإهلاك الشديد الذي هو
الاستئصال بالمرّة (نجزي القوم المجرمين) أي نجزي كل طائفة مجرمين لا شراكمهم لا ولئلك المهلكين في
الجرائم التي هي تكذيب الرسول (ثم جعلناكم) يا أهل مكة (خلائف في الأرض من بعدهم) أي
من بعدهم إهلاك أولئك القرون (لننظر كيف تعملون) أي لنعاملكم معاملة من يطلب العلم بما
يكون منكم من خير أو شر فنجازيكم على حسب عملكم (واذا تتلى عليهم) أي أهل مكة الواسع بن
الخزومي والعاص بن وائل السهمي والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث والحارث بن الحنظلة
(آياتنا) الدالة على بطلان الشرك (بينات) أي ظاهرة في دلالتها على وحدانيته نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يرجون في لقاءنا خيراً على طاعة لانهم لا يؤمنون
بالبعث بعد الموت (أنت بقرآن غير هذا) أي بكتاب آخر على غير ترتيب هذا الكتاب (أو بدله) بأن
تجعل مكان آية العذاب آية رحمة ومكان الحرام حلالاً ومكان الذم مدحاً وانما قالوا ذلك على سبيل السخرية
كقولهم لو جئتنا بقرآن آخر أو بدلت هذا القرآن لآمنابك أو على سبيل التجربة حتى أنه صلى الله عليه
وسلم لو فعل ذلك علموا أنه كذاب في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله (قل) لهم (ما يكون لي
أن أبدله من تلقاء نفسي) أي ما يستقيم لي أن أغیره من قبل نفسي (ان أتبع الامايوحى الى) أي
ما أتبع في شيء مما أفعل وأترك الامايوحى الى في القرآن من غير تغييره في شيء أصلاً (انني أخاف ان
عصيت ربي) بالاعراض عن اتباع الوحي (عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة (قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا أدراكم به) أي قل يا أشرف الخلق للذين طلبوا منك تغيير القرآن لو شاء الله عدم تلاوتي
للقرآن عليكم بأن لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته ما تلوته عليكم وما أعلمكم به بواسطة وقرأ الحسن ولا
أدرؤكم به أي ولا أجعلكم بتلاوته عليكم خصماً تدرونني بالجدال وتكذبونني وقرأ ابن عباس ولا
أنتزكم به وعن ابن كثير ولا أدراككم بلام التأكيدي التي تقع في جواب لو أي ولا أعلمكم به على لسان
غيري فإنه حق لا محيص عنه ولو لم يرسلني الله به لارسل غيري به (فقد لبثت فيكم عمراً) أي فقد مكثت
فيما بينكم مقدار أربعين سنة تحفظون أحوالي طراً (من قبله) أي قبل أن يوحى الى هذا القرآن لم
أتكم بشيء (أفلا تعقلون) أي ألا تدبرون فلا تعقلون ان القرآن ليس من تلقاء نفسي ووجه هذا
الاحتجاج ان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره الى ذلك الوقت

وعلوا أحواله وانه كان أميا لم يطالع كتابا ولم يتلمذ لاستاذ ثم بعد أربعين سنة جاءهم بهذا الكتاب
 المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب والفصاحة ما عجز العلماء
 والفصحاء عن معارضته وكل من له عقل سليم يعلم ان هذا القرآن لا يحصل إلا بالوحى من الله تعالى (فن
 أظلم عن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) أى انى لم افتر على الله كذبا ولم أكذب عليه فى قولى ان
 هذا القرآن من عند الله ولولم يكن من عند الله بحيث افتريته على الله لما كان فى الدنيا أحد أظلم على نفسه
 منى فاذا أنكرتم ذلك فقد كذبتم بآيات الله فثبت كونكم أظلم الناس على أنفسكم (انه لا يفلح المجرمون)
 أى لا ينجون من عذاب الله المشركون (ويعبدون) أى هؤلاء المشركون (من دون الله مالا يضرهم)
 فى الدنيا والآخرة (ولا ينفعهم) فيهما وهو الاصلنام كان هـل الطائفة يعبدون اللات وأهل مكة
 يعبدون عزي ومناة وهبل وأسافا وثالثة (ويقولون هؤلاء) الاولثان (شفعاؤنا عند الله) أى فانهم
 يزعمون أنهم شافع لهم فى الدنيا فى اصلاح معاشهم لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت أو تشفع لهم فى
 الآخرة أن يبعثوا لانهم كانوا شاكين فى البعث (قل) تبكيتم ألهم (أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات
 ولا فى الارض) أى أتخبرون الله بالذى لم يعلمه الله وهو شفاعة الاصنام واذ لم يعلم الله شيئا استحال وجود
 ذلك الشئ لانه تعالى لا يعزب عن علمه شئ (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى عن شركائهم الذين
 يعتقدونهم شفعاؤهم عند الله وقرأ حمزة والكسائي تشركون بالتاء على الخطاب (وما كان الناس الا
 أمة واحدة) أى كانوا على دين الاسلام من لدن آدم الى أن قتل قابيل هابيل (فاختلفوا) بأن كفر
 بعضهم وثبت آخرون على دين الاسلام (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى لولا انه تعالى أخبر بأنه يبق
 التكليف على عباده وان كانوا كافرين (لقضى بينهم) بتجهيل الحساب والعقاب لكفرهم لما كان ذلك
 سببا لزال التكليف وكان ابقاؤه أصلح أخرا لله العقاب الى الآخرة (فيما فيه يختلفون) أى فى الدين الذى
 اختلفوا بسببه (ويقولون) أى كفار مكة (لولا أنزل عليه) أى هلا أنزل على محمد عليه السلام (آية) أخرى
 سوى القرآن (من ربه) دالة على صدق ما يقول كما كان لصالح من الناقة ولموسى من العصا (فقل) لهم
 فى الجواب (اغما الغيب لله) أى ان ما اقترحتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتكم ايمانكم بنزوله هو من
 الغيوب المختصة بالله تعالى لا علم لى عليه (فانتظروا) نزوله (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم
 لا جرائكم على جهود آيات القرآنية واقترح غيرها (واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم
 اذالهم مكر فى آياتنا) أى ان مشركى أهل مكة عادتهم اللجاج والعناد لانه تعالى سلط عليهم القحط سبع
 سنين حتى كادوا يهلكوا فأنزل الله الامطار النافعة على أراضيهم حتى أخصبت البسلا ودعاس الناس
 بعد ذلك ثم انهم أضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانواء والكواكب أو الاصنام واذ كان كذلك فتقدير ان
 يعطوا ما سألوا من انزال ما اقترحوه فانهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم (قل الله أسرع مكررا) أى
 أن هؤلاء الكفار لما قابلوا نعمة الله بالمكر فأنه تعالى قابل مكرهم بمكر أشد من ذلك وهو اهلا كههم يوم
 بدر وحصول الفضيحة والحزى فى الدنيا وعذاب شديد يوم القيامة ومعنى الوصف بالاسرع عية أنه تعالى
 قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكايدهم والمكر من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر أى اخفاء
 الكيد (ان رسلنا) الذين يحفظون أعمالكم (يكتبون ما تكرون) أى مكركم ويعرض عليكم ما فى
 بواطنكم الخبيث يوم القيامة (هو الذى يسيركم فى البر) مشاة وركبانا (والبحر) وقرأ ابن عامر
 ينشركم بنون ساكنة فشين معجمة مضمومة أى يبسطكم (حتى اذ كنتم فى الفلك) أى السفن

(وجرين) أى السفن (بهم) أى بالذين فيها (بريح طيبة) موافقة للقصد (وفرحوابها) أى
بتلك الريح فرحاتها (جاءتها) أى تلت تلك الريح الطيبة (ريح عاصف) أى شديد أزججت
سفينتهم (وجاءهم الموج) العظيم الذى أرجف قلوبهم (من كل مكان) أى ناحية (وظنوا أنهم
أحيط بهم) أى ظنوا القرب من الهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) أى من غير أن يشركوا معه
تعالى شيئا من آلهتهم أى وهم مقرون بواحدية الله وربو بيته لاجل علمهم بأنه لا ينجيهم من ذلك إلا الله
تعالى فيكون إيمانهم جاريا مجرى الإيمان الاضطرابى قائلين والله (لئن أنجيتنا من هذه) الشدائد
(لنكونن من الشاكرين) لنعمك (فلما أنجاهم) من هذه اليلية العظيمة (إذا هم يبعثون فى
الارض بغير الحق) أى يترقون فى الفساد والجراة على الله تعالى بالكفر والمعاصي (يا أيها الناس
اغنا بغيركم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) قرأ الا كثرون متاع بالرفع فبغيركم مبتدأ ومتاع خبره وأعلى
أنفسكم خبره ومتاع خبر مبتدأ محذوف أى ان ظلم بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا وهى مدة
حياتكم لا بقاء لها وأن الظلم لبعضكم كائن عليكم فى الحقيقة لا على الذين تظلمون عليهم وهو منفعة
سريعة الزوال وقرأ حفص عن عاصم بنصب متاع على أنه مصدره وكذا فعل مقدر أى تتمتعون متاع
أو مصدر وقع موقع الحال أى متمتعين بالحياة الدنيا (ثم الينامرجعكم) بعد الموت (فنبشكم بما كنتم
تعملون) فى الدنيا من البغى أى قصد الاستعلاء بالظلم فنجازيكم على أعمالكم (اغنا مثل الحياة الدنيا
كما أنزلنا من السماء فاختلط به نبات الارض) أى لانه اذا نزل المطر ينبت بسببه أنواع كثيرة من
النبات وتكون تلك الأنواع مختلطة (مما يأكل الناس والانعام) من البقول والزرع والحشيش
(حتى اذا أخذت الارض زخرفها) أى حتى اذا جعلت الارض آخذة لباسها من كل نبات (وازينت)
بجميع الألوان الممكنة فى الزينة من حمرة وخضرة وصفرة وذهبية وبياض (وظن أهلها) أى أهل
النبات الموجود فى الارض (أنهم قادرون عليها) أى على تحصيل ثماره وعلى حصاده (أتاها) أى
نبات الارض (أمرنا) بهلاكها بنارا وبردا وريح (ليلا ونهارا فجعلناها) أى نبات الارض
(حصيدا) أى شبيها بالقلوع فلاشئ على الارض (كان لم تغن بالأمس) أى كان تلك النباتات
لم تكن قائمة على ظهر الارض فى الزمن الماضى والمعنى ان هذه الحياة الدنيا التى ينتفع بها المرء مثل
النبات الذى لما عظم الرجاء فى الانتفاع به وقع اليأس منه بالهلاك والتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيتها أتاه
الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعم الدنيا ولذتها (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل (نفصل الآيات)
أى نبين آيات القرآنية فى فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) ويقفون على معانيها (والله يدعو الى دار
السلام) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مثلى ومثلكم شبه سيد بنى دارا ووضع مائدة وأرسل
داعيا فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ورضى عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل
ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دين الاسلام والمائدة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم وعن
النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنيها ملكان يناديان بحيث يسمع
كل الخلائق الا الثقلين أيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام (ويهدى من يشاء الى
صراط مستقيم) أى الى اجابة تلك الدعوة (للذين أحسنوا) أى أتوا بالمأمور به واجتنبوا المنهيات
(الحسنى وزيادة) أى نضرة الوجوه ورؤية الله تعالى وعن ابن عباس أن الحسنى هى الحسننة
والزيادة عشر أمثالها وعن على الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة (ولا يرهق) أى لا يعلو (وجوههم)

(قتر) أى سواد (ولاذلة) أى أثرهوان (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أى دائمون بلا
 انتقال (والذين كسبوا السيئات) أى الكفر والمعاصي (جزاء سيئة بعثلها) من غير زيادة بعدل
 الله تعالى (وترهقهم ذلة) أى ويعلو أنفسهم ذلة عظيمة (ما لهم من الله من عاصم) أى ما لهم عاصم
 من عذاب الله. (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا) أى كأن الوجوه ألبست سوادا من
 الليل لغرط سوادها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ويوم نحشروهم جميعا) أى نحشر السكل حال
 اجتماعهم لا يتخلف منهم أحد وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) أى ثم نقول للمشركين من
 بينهم (مكانكم أنتم وشركاؤكم) أى الزموا أنتم ومن عبدتموه من دون الله مكانكم حتى تسئلوا وتنظروا
 ما يفعل بكم (فزيلنا بينهم) أى فباعدنا بين المشركين ومعبوداتهم بعد الجمع في الموقف وتبر شركاؤهم
 منهم ومن عبادتهم (وقال شركاؤهم) هؤلاء المشركين (ما كنتم إيانا تعبدون) بأمرنا وأرادتسا اغما
 كنتم تعبدون أهواءكم وشياطينكم الذين أغووكم فانها الآمرة لكم بالإشراك (فكفى بالله شهيدا
 بيننا وبينكم أن كنا عن عبادتكم لغافلين) أى أنا كنا عن عبادتكم لجاهلين لا نعلمها ولا ترضى بها
 (هنالك) أى في ذلك المقام أو في ذلك الوقت (تبلو كل نفس ما أسلفت) بالتاء فالباء على القراءة
 المشهورة أى تذوق كل نفس سعيه أو شقية ما قدمت من عمل فتعلم نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي
 تتلو بتائين أى تقرأ كل نفس في صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شرأ وتتبع ما أسلفت لأن عملها هو
 الذى يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار وقرأ عاصم نبلو كل نفس بالنون والباء ونصب كل أى
 تختبر كل نفس بسبب اختبار ما أسلفت من العمل أى تفعل بها فعل المختبر أو المعنى نصيب بالبلاء الذى هو
 العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر (وردوا الله مولاهم الحق) أى أعرض الذين
 أشركوا عن المولى الباطل ورجعوا إلى المولى الحق وأقروا بالوحيته بعد أن كانوا في الدنيا يعبدون غيره
 وردوا إلى حكمه (وضل عنهم) أى ضاع عنهم في الموقف (ما كانوا يعترفون) أى يدعون أن معبوداتهم
 آلهة وانها تشفع لهم (قل) أولئك المشركين (من يرزقكم من السماء والارض) أى رزقا مبتدأ
 منهما (أمن يملك السمع والأبصار) أى بل من يستطيع خلق السماع والأبصار ومن يحفظهما من
 الآفات وعن على رضى الله تعالى عنه كان يقول سبحان من يصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم (ومن
 يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أى ومن يقدر أن يخرج الإنسان من النطفة والطارئ
 من البيضة وان يخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الطائر (ومن يدبر الأمر) أى من يدبر أحوال
 العالم جميعا (فسيقولون الله) أى ان الرسول اذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال كانوا يعرفون الله وهم
 الذين قالوا في عبادتهم الاصنام أنها تقر بنا إلى الله وأنها تشفع عند الله وكانوا يعلمون أنها لا تنفع ولا تضر
 فعند ذلك قال الله تعالى لرسوله (قل) عند ذلك تبكيتم الله (أفلا تتقون) أى أتعلمون ذلك فلا تتقون ان
 تجعلوا هذه الاوثان شركاء لله في العبودية مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة انما تحصل من
 رحمة الله وبأن هذه الاوثان لا تنفع ولا تضر البتة (فذلكم الله) أى فن هذه قدرته ورحمته هو الله (ربكم
 الحق) أى الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه (فماذا بعد الحق الا الضلال) أى ايس غير الحق الا الضلال
 أى فاذا ثبت ان عبادة الله حق ثبت ان عبادة غيره من الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما (فأنى
 تصرفون) أى فكيف تعملون من التوحيد إلى الإشراك وعبادة الاصنام (كذلك) أى مثل صرفهم عن
 الحق بعد الاقرار به (حقك كلمة ربك) أى حكمه (على الذين فسقوا) أى خرجوا عن حد الصلاح (أنهم

لا يؤمنون) بدل من كلمة بدل كل من كل (قل هل من شركائكم) أى هل من الأصنام التي أثبتتم
شركتها لله في استحقاق العبادة (من يبدؤ الخلق) أى ينشئ المخلوقات من العدم (ثم يعيده) في القيامة
للجزاء ولما لم يقدر واعلى الجواب أمر الله رسوله أن ينوب عنهم في الجواب فقال (قل الله يبدؤ الخلق ثم
يعيده فأنى توقفون) أى فكيف تقلبون من الحق إلى الباطل (قل هل من شركائكم من يهدي إلى
الحق) أى إلى ما فيه صلاح أمركم فإن أدنى مراتب العبودية هداية المعبود لعباده إلى ذلك (قل الله
يهدي للحق) دون غيره وذلك بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب والتوفيق للنظر (أفمن
يهدي إلى الحق) وهو الله تعالى (أحق أن يتبع) أى حقيق أن يطاع ويعبد (أمن لا يهدي إلا أن يهدي)
أى أم من لا ينتقل إلى مكان إلا أن ينتقل إليه لأن الأصنام خالية عن الحياة والقسرة أو المعنى أمن لا
يهتدي في حال من الأحوال إلا في حال هدايته تعالى له وهذا حال أشرف شركائهم من الملائكة والمسيح
وعزير عليهم السلام وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع أم من لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد
الدال وقرأ عاصم وحمزة وكسر الهمزة وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى بن آدم عن أبي بكر عن
عاصم بكسر الياء والهاء وقرأ حمزة والكسائي يهدي ساكنة الهمزة (فألكم) أى أى شئ ثبت لكم في
اتخاذكم هؤلاء شركاء لله تعالى فإنهم عاجزون عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم (كيف
تحكمون) أى كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله شركاء (وما يتبع أكثرهم الا ظناً) أى ما يتبع
أكثرهم في معتقداتهم الا ظناً واهياً أما بعضهم فقد يتبعون العلم فيقفون على بطلان الشرك لكن
لا يقبلون العلم عناداً وفي ذلك دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير
جائز (إن الظن لا يغني من الحق) أى عن العلم (شياً) من الأغناء في العقائد (إن الله عليم بما يفعلون)
من الاتباع للظنون الفاسدة والأعراض عن البراهين القاطعة (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون
الله) أى وما صح أن يكون هذا القرآن المشحون بغفون الحجج الناطقة ببطلان الشرك وحقية التوحيد
مفترى من الخلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) أى ولكن كان القرآن تصديق الذي قبله من
الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء قبله (وتفصيل الكتاب) أى وتفصيل جميع العلوم العقلية والنقلية
الذي يمتنع حصوله في سائر الكتب (لأريب فيه) أى منتفياً عنه الريب (من رب العالمين) أى كأننا
من رب العالمين (أم يقولون افتراء) أى أيقرون بالقرآن بل يقول كفار مكة اختلق محمد صلى الله عليه
وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم اظهروا البطلان مقالتهم الفاسدة (فأتوا بسورة مثله) أى إن
كان الأمر كما تقولون فأتوا بسورة مثل القرآن في الفصاحة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء
فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد غرماً مني في النظم والعبارة (وادعوا) للعاونة (من استطعتم)
دعاه (من دون الله) أى من سائر خلق الله (إن كنتم صادقين) في أنى افتريته (بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) أى بل كذبوا بما لم يدرك علمهم به مسرعين في ذلك من غير أن يتدبروا فيه
ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبثة عن علو شأنه (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب من غير تدبر
(كذب الذين من قبلهم) ما كذبوا من المجهزات التي ظهرت على أيدي أنبيائهم (فانظر) يا أشرف
الخلق (كيف كان عاقبة الظالمين) فإنهم طلبوا الدنيا وتركوا الآخرة فلما ماتوا فاتهمم الدنيا والآخرة
فبقوا في الخسار العظيم (ومنهم) أى ومن هؤلاء المكذبين (من يؤمن به) أى القرآن عند الاحاطة
بعلمه أى أما يعتقد بحقيقة القرآن فقط بأن يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند وأما سعيه مؤمن به

ويتوب عن الكفر (ومنهم من لا يؤمن به) أي بأن لا يصدق به في نفسه لفرط غباوته أو لسخافة عقله
وعجزه عن تخليص علوم عن مخالطة الظنون أو بان يموت على كفره وهم المستمرون على اتباع الظن من
غير اتقيا للحق (وربك أعلم بالفسدين) أي بالمصرين على الكفر من المعاندين والشاكين (وان
كذبوك) أي أصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة بالتحدي (فقل) لهم (لي عمل) من الايمان
وجزاء ثوابه (ولكم عملكم) من الشرك وجزاء عقابه (أنتم ريثون عما عمل وأنابرتي عما تعملون) أي
لا تؤاخذون بعلمي ولا تؤاخذون بعملكم (ومنهم) أي من هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) عند
قراءة القرآن وتعليم الشرائع (أفأنت تسمع الصم) أي أنت تقدر على اسماع الصم (ولو كانوا
لا يعقلون) أي ولو انضم إلى صممهم عدم عقلهم (ومنهم من ينظر اليك) أي من يعاين دلائل صدقك
(أفأنت تهدي العمى) أي أعقب ذلك أنت تهديهم (ولو كانوا لا يبصرون) أي لا يستبصرون
بقلوبهم ولا يعتبرون (ان الله لا يظلم الناس شيئا) أي بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس
أنفسهم يظلمون) بافساد الحواس والعقول وتفويت منافعها عليهم فان الفعل مثنوب اليهم بسبب
الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم وتقدير الشقاوة عليهم لا يكون ظاماً منه تعالى لانه يتصرف
في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالماً (ويوم يحشرهم
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) أي وأنذر المشركين المنكرين للبعث يوم يحشرهم في الموقف مشبهين
من لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعمها الا مقدار ساعة من النهار فان عاقبة الكافر خالصة دائماً مقرونة
بالاهانة ولذات الدنيا مع خساستها لم تكن خالصة بل كانت مخلوطة بالهمومات الكثيرة وكانت تلك اللذات
مغلوبة بالمؤامرات والآفات وكانت لم تحصل الا في بعض الاوقات أما الآلام الآخرة فهي سرمدية لا تنقطع
البتة ونسبة عمر جميع الدنيا الى الآخرة الابدية أقل من الجزء الذي لا يتجزأ بالنسبة الى ألف ألف عالم مثل
العالم الموجود في قوبلت الخيرات الحاصلة بسبب الحياة العاجلة بالآفات الحاصلة للكافر وجدت أقل
من اللذة بالنسبة الى جميع العالم (يتعارفون بينهم) أي يوبخ بعضهم بعضاً فيقول كل فريق للآخر
أنت أضللتني يوم كذا وزينت لي الفعل الفلاني من القبائح (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا
مهيئين) أي قد هلكوا بتكذيبهم بالبعث بعد الموت وضلوا وما كانوا عارفين لطريق النجاة وهذه شهادة
من الله تعالى على خمرانهم (واما ترينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم) أي وان
أريناك بعض العذاب الذي نعدهم به بان نجعله لهم في حياتك في الدنيا فتراهم وان توفيناك قبل نزول
العذاب بهم فإنيك سترأه في الآخرة لان العذاب لا يفوتهم بل ننزله بهم في الآخرة (ثم الله شهيد على
ما يفعلون) أي ثم الله معاقب على ما تفعلون وقرىئة أي هناك (ولكل أمة) من الامم الماضية
(رسول) يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لحوالهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسوهم) قبلهم
ما أرسل اليهم فكذبهم وصدقه بعضهم (قضى بينهم بالقسط) أي بالعدل أي فصل بينهم وحكم
بهلاك المكذبين ونبجاة الرسول ومن صدقه (وهم لا يظلمون) في ذلك القضاء بتعذيبهم لانه مجرمهم
(ويقولون) أي قال كل أهل دين لرسولهم على وجه التكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم
من نزول العذاب للاعداء (متى هذا الوعد) الذي تعدنا بنزول العذاب (ان كنتم صادقين) في انه
يأتينا (قل) يا أشرف الخلق لقومك الذين استهملوا نزول العذاب على طريقة الاستهزاء والانكار
(لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً) أي لا أقدر على دفع ضر ولا جلب نفع لنفسي (الا ما شاء الله) أي

ولكن ما شاء الله من ذلك كائن (لكل أمة أجل) أى وقت معين خاص بهم (إذا جاء أجلهم) أى وقت هلاكهم (فلا يستأخرون) عن ذلك الأجل (ساعة) أى شيئاً قليلاً من الزمان (ولا يستقدمون) عليه (قل أرأيتم أن أتاكم عذابه بيناً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون) أى قل للذين يستعجلون العذاب أخبروني عن عذاب الله أن أتاكم وقت اشتغالكم بالنوم أو عند اشتغالكم بمشاغلكم أى شيئاً تستعجلون من عذاب الله وليس شيئاً من العذاب يستعجله عاقل إذا العذاب كله من المذاق موجب لنفار الطبع منه (أثم إذا ما وقع آمنتم به) أى أبعد ما وقع العذاب بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان (الآن) تومنون بالعذاب (وقد كنتم به) أى بالعذاب (تستعجلون) أى تكذبون فإن استعجلهم كان على جهة التكذيب والانكار (ثم قيل) يوم القيامة على لسان ملائكة العذاب (للذين ظلموا) أى وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق (ذوقوا عذاب الخلد) أى عذاب المؤلم على الدوام (هل تجزون) فى الآخرة (الابما كنتم تكسبون) فى الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي وهذا استثناء مفرغ والجار والمجرور مفعول ثان لتجزون والاول قائم مقام الفاعل (تنبيه) أين ما ذكر الله تعالى العذاب ذكر هذه العلة كأن ساقلاً يقول يا رب العزة أنت الغنى عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا التشديد فهو تعالى يقول ما أنا ما عاملته بهذه المعاملة ابتداء بل هذا وصل اليه جزاء على عمله الباطل (ويستنبئونك) أى يستخبرونك يا أشرف الخلق والقاتل حى بن أخطب لما قدم مكة بطريق الاستهزاء والانكار (أحق هو) أى ما تعدنا من نزول العذاب علينا فى الدنيا وما تعدنا من البعث والقيامة (قل) لهم فى الجواب هذه الامور الثلاثة غير ملتفت الى استهزائهم (اى وربى) فإى من حروف الجواب بمعنى نعم فى القسم خاصة كما ان هل يعنى قد فى الاستفهام خاصة (انه) أى العذاب الموعود (لحق) أى لثابت (وما أنتم بمجزيين) لمن وعدكم بالعذاب ان ينزله عليكم (ولو أن لكل نفس ظلمت) وهو لاحق بكم بالشرك أو غيره من أنواع الظلم ولو مرة (ما فى الارض) أى ما فى الدنيا من الاموال (لافتدت به) أى لغادت بما فى الدنيا نفسها من عذاب الله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أى أخفوا الندامة على ترك الايمان حين عابنوا العذاب فلم بقدروا على ان ينطقوا بشئ لشدة الاهوال وفضاعة الحال (وقضى بينهم) أى بين الظالمين بالشرك وغيره (بالقسط) أى بالعدل (وهم) أى الظالمون (يظلمون) فيما فعل بهم من العذاب (ألا ان الله ما فى السموات والارض) أى ما وجد فيهما (ألا ان وعد الله حق) أى ان جميع ما وعد الله به ثابت لا بد أن يقع ووعدته تعالى مطابق للواقع (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى غافلون عن هذه الدلائل (هو يحيى ويميت) فى الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للؤمنين) أى قد جاءكم كتاب فيه بيان ما ينفع المكلف وما يضره ودواء للقلوب وهدى الى الحق ورحمة للؤمنين بانجائهم من الضلال الى نور الايمان وتخلصهم من دركات النيران الى درجات الجنان والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير الظاهر عما لا ينبغى وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الباطن عن العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور نور الحق فى قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة الى بلوغ الكمال (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) أى فليفرحوا بتلك النعم لا من حيث هى هى بل من حيث انها بفضل الله وبرحمته الله قال الصديقون من فرح بنعمة الله من حيث انها تلك النعمة فهو مشركاً ما من فرح بنعمة الله من حيث انها من الله كان فرحه بالله وذلك غاية الكمال ونهاية السعادة

وقال أبو سعيد الخدري فضيل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من أهله (هو) أي المذكور من فضل الله ورحمته (خير مما يجمعون) من الدنيا لان الآخرة أبقى وقرأ ابن طاهر بالتاء على الخطاب واما فليفرحوا فبالياء التحتية عند السبعة ولا يقرؤه بالتاء الفوقية الا يعقوب من العشرة كما هو مروى عن زيد بن ثابت والمعنى فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار (قل رأيتم) أي أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) أي الذي خلقه الله لكم من حرث وانعام (لمعلمتم منه حراما وحلالا) أي لحكمتم بأن بعض الرزق حرام وبعضه حلال مع كون كلهم حلالا (قل الله أذن لكم) فقل تأ كيد الامر بالاستخبار أي أخبروني الله أمركم بذلك الحكم فأنتم ممتثلون بأمره تعالى (أم على الله تفترون) أي أم لم يأنزل لكم في ذلك بل على الله تكذبون بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) أي أي شيء ظنهم يوم عرض الافعال والاقوال أيحسبون أنهم لا يستأثرون عن افتراءهم أولا يجازون عليه ولا جل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم في أشد العذاب لان معصيتهم أشد الما صي (ان الله لنوفضل على الناس) باعطاء العمل وارسال الرسل وانزال الكتب واما لهم على سوء أفعالهم (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تلك النعم فلا يستعملون العقل في التأمل في دلائل الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبياء الله تعالى ولا ينتفعون باستماع كتاب الله (وماتكون) يا أشرف الخلق (في شأن) أي أمر من أمور الدنيا (وماتسلو منه) أي الشأن (من قرآن ولا يعملون من عمل) أي أي عمل كان (الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون) أي تشرعون (فيه) أي في ذلك المذكور (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء) أي ولا يغيب عن علم ربك ما يساوى في الثقل غلة صغيرة أو هباء في دائرة الوجود وقرأ الكسائي بكسر الزاي (ولا أصغر من ذلك) أي الذرة (ولأكبر الافي كتاب مبين) أي في لوح محفوظ وقرأ حمزة بالرفع على الابتداء والخبر والباقون بالنصب على ان لا نافية للجنس وما بعدها اسمها وخبرها (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم) في الدارين من حقوق مكروه (ولا لهم يحزنون) من فوات مطلوب (الذين آمنوا) بكل ما جاء من عند الله تعالى (وكانوا يتقون) والتقوى هنا التجنب عن كل اثم والتمتع عن كل ما يشغل السر عن الله تعالى والتبتل اليه تعالى بالسكينة وهذا تفسير للأولياء (لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فالبشري في الدنيا محبة الناس لهم وذكرهم اياهم بالثناء الحسن والرفق بالصالحه وبشري الملائكة لهم عند الموت وفي الآخرة تلقى الملائكة اياهم مبشرين بالفوز والكرامة وبياض الوجوه واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات (لا تبدل لكلمات الله) أي لا حلف في أقواله (ذلك) أي حصول البشري لهم في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (ولا يحزبك قولهم) أي لا تحزن بما يتفوهون به في شأنك مما لا خير فيه ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبيره لا كك وإبطال أمرك وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي (ان العزة لله جميعا) أي ان القوة جميعا لله فهو يهيئهم وينصرهم عليهم حتى تكون أقوى منهم (هو السميع العليم) أي يسمع ما يقولون في حقل ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافؤهم بذلك (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) من الملائكة والنفلين واذا كان هؤلاء في ملكه تعالى فالجادات أحق أن لا تكون شركاء له تعالى (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) أي وما يتبع الذين يعبدون من دون الله آلهة شركاء فآلهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع (ان يتبعون الا الظن) أي ان المشركين ما اتبعوا شريك الله تعالى انما اتبعوا شيئا ظنوا شريك الله تعالى (وانهم الا يخرصون) أي

ما هم الا يكذبون فيما ينسبونه اليه تعالى ويقدر ان معبوداتهم شركاء (هو الذي جعل
 لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) أي هو الذي صبر لكم الليل مظلم لتستريحوا فيه من تعب النهار
 والنهار مضيا لتتهدوا به في حوائجكم بالابصار ولتتحرروا فيه لمعاشكم (ان في ذلك) أي الجعل
 (آيات) أي لعبرات (لقوم يسمعون) مواعظ القرآن فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها
 هو الله المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) أي كفار مكة (اتخذ الله ولدا) أي الملائكة بنات الله
 (سبحانه) قال تعالى ذلك تنزيها لنفسه عما نسبوه اليه وتجييبا من كلمتهم الحق (هو الغني) عن كل
 شيء في كل شيء (له ما في السموات وما في الارض) من ناطق وصامت ملكا وخالقا (ان عندكم من
 سلطان بهذا) أي ما عندكم حجة بهذا القول الباطل (أتقولون على الله ما لا تعلمون) أي أتنسبون
 اليه تعالى ما لا يجوز نسبه اليه تعالى جهلا منكم (قل ان الذين يقولون على الله الكذب لا يفلحون) أي
 لا يصلون الى مقاصدهم وكل من قال في ذات الله تعالى وصفاته قولا بغير علم وبغير حجة بينة كان اخلاقا
 هذا الوعيد (متاع في الدنيا ثم اليها مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد عما كانوا يكفرون) أي حياتهم
 متاع قليل في الدنيا ثم لا بد من الموت وعند الموت لا بد من الرجوع الى الله وعند هذا الرجوع لا بد وأن
 يذيقهم الله العذاب الشديد بسبب كونهم كافرين فأين هم من الفلاح (واتل عليهم) أي المشركين
 (نبأ نوح) أي خبره مع قومه الذين هم أشباه قومك في العناد ليصير داعيا الى مفارقة الانكار للتوحيد
 والنبوة (اذ قال لقومه) وهم بنو قاييس (يا قوم ان كان كبر) أي ثقل (عليكم مقامي) أي مكثي
 فيكم مدة طويلة (وتذكيري) أي وعظي اياكم (بآيات الله) أي بحجته (فعلى الله نوكلت) أي
 فوضت أمري الى الله (فأجمعوا أمركم) أي فاعزموا على أمركم الذين تريدون بي من السعي في اهلاكي
 (وشركاءكم) أي وادعوا من يشاركونكم في الدين والقول أو ادعوا أولادكم التي سميتموها بالالهة
 وتقدير ادعوا هو كما في مصنف أبي ويصح أن يكون وشركاءكم مفعولا معه من الضمير في فاجمعوا
 وقرأه الحسن وجماعة من القراء بالرفع عطفًا عليه (ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة) أي خفيا وليكن
 ظاهرا (ثم اقضوا الي) أي أدوا الى ذلك الامر الذي تريدون بي ونفذوه الى (ولا تنظرون) أي لا تهملون
 بعد اعلامكم اياي ما اتفقتم عليه (فان توليتم فما سألتكم من أجر) أي ان أعرضتم عن نصيحتي فلا ضير
 علي لاني ما سألتكم بمقابلته وعظي من أجر تؤدونه الى حتى يؤدي ذلك الى أعراضكم (ان أجرى الا على
 الله) أي ما ثوابي على التذكير الا عليه تعالى يثيبني به آمنتم أو توليتم (وأمرت أن أكون من المسلمين)
 أي واني مأمور بالاستسلام لكل ما يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) أي استمروا على
 تكذيب نوح بعدما بين لهم المحجة (فنجيناهم ومن معه في الفلك) أي السفينة من المسلمين من الغرق
 وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة (وجعلناهم) أي أصحاب نوح (خلائف) من الهالكين
 بالغرق فيسكنون في الارض (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر) يا أشرف الخلق
 (كيف كان عاقبة المنذرين) أي كيف صار أمر الذين أذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعده
 رسلا الى قومهم) كان منهم هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب (لما هم بالبينات) أي لما جاء كل رسول
 قومه بالخصوصين به بالمعجزات الدالة على صدق ما قالوا (فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا به من قبل) أي
 فما كانوا يصدقوا بما كذبوا به من أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اليهم اليها من
 قبل محي رسالهم أي كانت حالهم بعد مجي الرسل كحالهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك)

أى مثل ذلك الطبع (نطبع على قلوب المعتدين) أى المتجاوزين عن الحدود فى كل زمن (ثم بعثنا من بعدهم) أى من بعد أولئك الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) أى وأشرف قومه (بآياتنا) أى التسع اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين وطمس الاموال (فاستكبروا) أى فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما أى ادعوا الكبر من غير استحقاق (وكانوا قوما مجرمين) أى ذوى آثام عظام فلذلك اجترأ على الاستهانة برسالة الله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا) وهو العصا واليد البيضاء (قالوا) من فرط عنادهم (ان هذا) أى الذى جاء به موسى (لسحر مبين) أى ظاهر يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) ماتقولون من أنه سحر (أسحر هذا) أى أسحر هذا الذى أمره واضح مكشوف وشابه مشاهد معروف (ولا يفلح الساحرون) أى والحال أنه لا يفلح فاعلوا السحر وهذه جملة حالية من الواو فى أتقولون (قالوا) لموسى وهارون عاجزين عن المحاجة (أجئتنا لتلفتنا) أى لتصرفنا (بما وجدنا عليه آباءنا) أى من عبادة الاصنام (وتكون لكم الكبرياء) أى الملك والعز (فى الارض) أى أرض مصر (وما نحن لكم بمؤمنين) أى بمصدقين (وقال فرعون) لئله (انتونى بكل ساحر عليم) بفنون السحر حاذق فيه وقرأ حمزة والكسائي تحار (فلما جاء السحرة) أى فاتوا بالسحرة قالوا لموسى اما أن تلقى واما أن تكون نحن الملقين (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) أى ما معكم من الحبال والعصى (فلما ألقوا) حبالهم وعصيهم واسترهبوا الناس (قال) لهم (موسى ما جئتم به السحر) أى الذى جئتم به هو السحر أى التمويه الذى يظهر بطلانه لا ما سماه فرعون وقومه سحرا فهو من آيات الله تعالى وقرأ أبو عمرو والسحر همزة الاستفهام بابدال الهمزة الثانية ألفا ومدها مدا لازما أو بتسهيلها من غير قلب وعلى كلاهما تجب الالة فى موسى والمعنى الذى جئتم به أهو السحر أم لا وهو استفهام على وجه التحقير والتوبيخ (ان الله سيبطله) أى سيهلكه بالكيفية ويظهر فضيحة صاحبه للناس والسين للتأكيد (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) أى لا يكمله (ويحق الله الحق) أى يظهره ويقويه (بكلماته) أى بوعدده لموسى وقضائه (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى الاذرية من قومه) أى فما آمن من قوم موسى الا قليل منهم وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بعصر من أولاد يعقوب وذلك أن موسى دعا الآباء الى دينه فلم يجيبوا خوفا من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم مع الخوف (على خوف من فرعون وملئهم) أى مع خوف من فرعون لانه كان شديدا بطش وخوف على رؤساء الذرية فان أشرف بنى اسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من اجابة موسى خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم (أن يقتلهم) أى يصرفهم عن الايمان بتسليط أنواع العذاب عليهم (وان فرعون لعال فى الارض) أى لغالب فى أرض مصر (وانه لمن المسرفين) أى المتجاوزين الحد بكثرة القتل والتعذيب لمن يخالفه فى أمر من الامور وبالكبر حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الانبياء (وقال موسى) لمن آمن به (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) ولا تخافوا أحدا غيره (ان كنتم مسلمين) أى منقادين لأمره تعالى قال الفقهاء الشرط المتأخر يجب أن يكون متقدما مثاله قول الرجل لامرأته ان دخلت الدار فأنت طالق ان قلت زيد فجمعوع قوله ان دخلت الدار فأنت طالق مشروط بقوله ان قلت زيدا والمشرط متأخر عن الشرط فكأنه يقول لامرأته حال ما قلت زيدا ان دخلت الدار فأنت طالق فلو حصل هذا التعليق قبل ان قلت المرأة زيد الم يقع الطلاق فقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يقتضى أن يكون كونهم مسلمين شرط لان

يصيروا مخاطبين بقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكانه تعالى يقول للمسلم حال اسلامه ان كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والامر كذلك لان الاسلام هو الاتقياد لتكاليف الله وترك التمرد والايان هو معرفة القلب بأن واجب الوجود لذاته واحد وما سواه محدث تحت تصرفه واذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره الى الله تعالى ويحصل في القلب نور التوكل على الله تعالى (فقالوا) محييين له عليه السلام (على الله توكلنا) ولان تلغت الى أحد سواه ثم دعوا ربهم قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تجعلنا مفتونين لهم أى لا تمكنهم من أن يخذلونا بالقهر على أن ننصرف عن هذا الدين الحق الذى قبلناه (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أى خلصنا برحمتك من أيدي فرعون وقومه ومن سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصريوتا) أى اجعلا بمصر بيوتا لقومكما ومرجعاً ترجعون اليه للعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مصلى (وأقيموا الصلاة) فى بيوتكم أى ان موسى ومن معه كانوا فى أول أمرهم مأمورين بان يصلوا فى بيوتهم لئلا يظهروا على الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون فى أول الاسلام بمكة على هذه الحالة (وبشر المؤمنين) بالنصر فى الدنيا بالجنة فى العقبى وخص الله تعالى موسى بالبشارة لانه الاصل فى الرسالة وهرون تبعه (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه) أى أشرف قومه (زينة) أى ما يزين به من اللباس والمراكب ونحوها (وأموالا) كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما (فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر والمعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكها قال ابن عباس بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة حجاجا وأنصافا وثلاثا وجعل سكرهم حجارة (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها قاسية ومربوطة حتى لا تلين ولا تشرح للإيمان (فسلايؤمنوا) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهى أو عطف على ليضلوا (حتى يروا العذاب الاليم) وانما دعاء موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله لموسى وهرون (قد أجيبتم دعوتكما) فموسى كان يدعو وهرون كان يؤمن والتأمين دعاء وحصول المدعو به بعد أربعين سنة لان فرعون لبث بعده هذا الدعاء أربعين سنة (فاستقيما) أى فأثبتنا على ما أقمنا عليه من الدعوة والزام الحق ولا تستعجلا (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) بعبادات الله تعالى فى تعليق الأمور بالمصالح والحكم أى ولا تسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون انه متى كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصل فى الحال والاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله يصدران من الجهال (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) أى جعلناهم مجاوزين بحر السويس بأن جعلناهم يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه على يوسف وهم اثنان وتسعون وخرج بنوه مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالخرج ببني اسرائيل من مصر فخرجوا وقد كان فرعون غافلا عن ذلك فلما سمع بخروجهم خرج يجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والبحر أمامنا والعدو وراءنا فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضر به فأنفلق فقطعه موسى وبنو اسرائيل فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه ثمانية آلاف حصان على لون حصان سوى سائر الألوان وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فدنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يتمالك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهـم

بالخروج انطبق البحر عليهم (فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا) أي مفرطين في محبة قتلهم
ومجاورين الحسد (حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه) أي بأن الشأب (لا اله الا الذي آمنت به بنو
اسرائيل وأنا من المسلمين) أي الذين أسلموا نفوسهم لله فقال له جبريل (الآن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين) أي الآن تؤمن وتتوب وقد ضيعت التوبة في وقتها واثر دنياك الفانية على الآخرة
الباقية وقد كنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان ولم يقبل ذلك من فرعون لانه اغما آمن
عند نزول العذاب واغما أقرب عزة الربوبية ووحداية الله تعالى ولم يقرب نبوة موسى ولان ذلك الاقرار كان
مينا على محض التقليد وهو كان دهر يامن كمال الوجود الصانع واغما ذكر هذه الكلمة ليتوسل بها الى دفع
تلك البلية الحاضرة (فاليوم فنحيك ببعدك) أي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع
بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ نحيك بالحاء أي نلقيك بناحية الساحل (لتكون
لمن خلفك آية) أي لمن وراءك آية وهم بنو اسرائيل اذ قالوا مات فرعون واغما قالوا ذلك لعظمته
عندهم ولما حصل في قلوبهم من الرعب من أجله فأمر الله البحر فالتقاء على الساحل أحمق قصيرا كاه نور
فرآه بنو اسرائيل فعرفوه وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا أي لتكون لمن يأتي بعدك من الامم نكالا من
الطغيان وقرئ لمن خلفك بالثقاف أي لتكون لخالفك آية كسائر آياته فان أفراده تعالى اياك باللقاء
الى الساحل لا بطل دعوى الوهيتك لان الاله لا يعوت (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) أي
لا يتفكرون فيها (ولقد بوا نأبى اسرائيل مبوا صدق) أي أسكنهم بعدما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم
منزلا صالحا مريضيا وهو الشام ومصر فالشام بلاد البركة والخصب وأورشليم الله جميع ما كان تحت أيدي
فرعون وقومه (ورزقناهم من الطيبات) أي اللذائذ (فما اختلفوا) في أمر دينهم (حتى جاءهم
العلم) أي حتى قرؤوا التوراة فحينئذ تنبهوا للمسائل والمطالب ووقع الاختلاف بينهم (ان ربك يقضي
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز الحق من المبطل والصديق من الزنديق (فان كنت في
شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق) أي القرآن (من ربك)
فيه خبر الاولين (فلا تكونن من الممترين) أي الشاكين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
فتكونن من الخاسرين) أنفسا وأعمالا وهذا كله خطاب للنبي ظاهرا والمراد به غيره ممن عنده شك ومثل
هذا معتاد فان السلطان الكبير اذا كان له أمر وكان تحت راية ذلك الامر جمع فاذا أراد أن يأمر الرعية
بأمر مخصوص فانه يوجه الخطاب على ذلك الامر ليكون ذلك أقوى تأثيرا في قلوبهم وقيل هذا الخطاب
ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك أن الناس في زمانه كانوا فرقان ثلاثة المصدقون به والمكذبون
به والمتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت أيها الانسان في شك
مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهم عبد الله بن
سلام وعبد الله بن صور يا وليم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم (ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك) أي ثبت عليهم حكمه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار (لا يؤمنون) أبدا
اذلا كذب في كلامه (ولو جاءهم كل آية) أي ولو جاءتهم الدلائل الذي لا حصر لها لان الدليل لا يهدى
الاباعانة الله تعالى (حتى يروا العذاب الاليم) كدأب آل فرعون واشباههم (فلولا كانت قرية آمنت
فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) قال أبو مالك صاحب
ابن عباس كل ما في كتاب الله تعالى من ذكر لولا فنعنا هلا الا حرفين فلولا كانت قرية آمنت فنعنا

فما كانت قرية آمنتم فلولا كان من القرون من قبلكم فغناهم فما كان من القرون وتقدير الآية لما
 كان أهل قرية آمنوا فنفغهم أيمانهم الا قوم ونس لما آمنوا أول مارأوا أمارة العذاب صرفنا عنهم
 العذاب في الحياة الدنيا (ومتغنناهم) بتناع الدنيا بعد صرف العذاب عنهم (الى حين) أى الى وقت انقضاء
 آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا
 فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وكان يونس قال لهم ان أجلكم
 أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء غيم
 اسود هائل فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع في المدينة وسود سطوحهم فخرجوا
 الى الصحراء وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فخن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
 وكثرت التضمرات وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك
 اليوم يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن الفضل بن عباس انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت
 أعظم وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وخرج يونس ينتظر العذاب فلم ير شيئا
 فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف أرجع اليهم فيجدون كذابا وكان كل من كذب ولا يبينه له قتل
 فأنصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) أى مجتمعين على
 الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه (أفانت تكبره الناس) على ما لم يشاء الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين)
 أى لا قدرة لك على التصرف في أحد (وما كان لنفس أن تؤمن الا ماذن الله) أى وما يتأتى لنفس واحدة
 أن يقع فيها ايمان في وقت ما الا بإرادة الله وبأقداره عليه (ويجعل الرجس) أى الكفر (على الذين
 لا يعقلون) أى الذين لا يستعملون عقولهم بالنظر في الدلائل والمضارع بمعنى الماضي وهو معطوف على
 مقدر والتقدير فآذن الله لبعضهم في الايمان وجعل الكفر لبعض آخر (قل انظروا ماذا في السموات
 والارض) أى قل يا أشرف الخلق مخاطبا لأهل مكة تفكروا أى شئ يبيع في السموات والارض من
 عجائب صنع الله الدالة على وحدته وكمال قدرته (وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وماتنفع الدلائل
 السماوية والارضية والرسائل المنذرون عن قوم لا يؤمنون في علم الله تعالى وحكمه (فهل ينتظرون الا مثل
 أيام الذين خلوا من قبلهم) أى فما ينتظر المشركون الا عذابا مثل عذاب الأمم الماضية من الكفار (قل
 فانتظروا) نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين) لذلك (ثم ننجي رسلنا) أى أهلكتنا الامم ثم نجي رسلنا
 المرسل اليهم (والذين آمنوا) لان العذاب لا ينزل الا على الكفار (كذلك) أى مثل ذلك الانبياء الذين
 نجيهم (الذين آمنوا) (حقا علينا فنجي المؤمنين) بك يا أشرف الخلق من كل شدة وعذاب ووجب
 ذلك علينا وجوباً بحسب الوعد والحكم لا بحسب الاستحقاق لان العبد لا يستحق على خالقه شيئا (قل)
 لجمهور المشركين (يا أيها الناس) أى أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) الذى أدعوك اليه أى
 ان كنتم لا تعرفون ديني فانا أبينه لكم على سبيل التفصيل (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) في
 وقت من الاوقات (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) بقبض أرواحكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون
 العذاب (وأمرت أن أكون من المؤمنين) عبادا لله العقل ونطق به الوحي (وأن أقم وجهك
 للدين) أى وأمرت بتوجيه العقل بالسكينة الى طلب الدين وبالاستقامة في الدين باداء الفرائض والانتها
 عن القبائح وباستقبال القبلة في الصلاة (حنيفا) أى ماثلا الى الدين ميلا كلياً معرضاً عما سواه اهراضاً
 كلياً لقوله وأمرت ان أكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل أصل الايمان وقوله وأن أقم وجهك للدين

خفيفا إشارة الى الاستقرار في نور الايمان (ولا تكونن من المشركين) أى وأمرت بأن لا ألتفت الى غير ذلك الدين فمن عرف مولاه والتفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك الالتفات شركا وهذا هو الذى تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفى (ولا تدع من دون الله) أى لا تعبد من غير الله (مالا ينفعك ولا يضرك) فلا نافع الا الله ولا ضار الا الله ولا حكم الا الله ولا رجوع فى الدارين الا الى الله وهذه الجملة عطف على جملة الامر وهى أقم فتكون داخله فى صلة أن المسدريه (فان فعلت فانك اذا من الظالمين) أى لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الواضعين للشيء فى غير موضعه وطلب الشبع من الاكل والرى من الشرب لا يقدح فى الاخلاص لان وجود الخبز وصفاته كلها بايجاد الله وطلب الانتفاع بشئ خلقه الله لذلك لا يكون منافيا للرجوع بالكلية الى الله الا أن شرط هذا الاخلاص أن لا يقع بصرع عقله على شئ من هذه الموجودات الا ويشاهد بعين عقله أنها معدومة بذواتها وموجودة بايجاد الله حينئذ يرى ما سوى الله عدما محضا بحسب أنفسها ويرى نور وجوده تعالى وفيض احسانه عاليا على الكل (وان عيسى الله بضر) أى ان يصيبك بضر كمرض وفقر (فلا كاشف له) أى فلا رافع لذلك الضر (الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) أى وان يردك أن يصيبك بخير فلا دافع لعطيته الذى أرادك به ولم يستثن الله تعالى مع الارادة لان ارادة الله تعالى قديمة لا تتغير بخلاف مس الضر فانه صفة فعل قال الرازى وتقديم الانسان فى اللفظ وهو المشار اليه بالخطاب دليل على أن المقصود هو الانسان اما سائر الخيرات فهى مخلوقة لاجله (يصيب به) أى يخص بالفضل الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير (من يشاء من عباده) عن كان أهلا لذلك (وهو الغفور) أى البالغ الستر للذنوب (الرحيم) أى البالغ فى الاكرام (قل) مخاطبا لأولئك الكفرة لاجل أن تنقطع معذرتهم (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام (فمن اهتدى) بالايمان به (فأغنايهتدى لنفسه) أى فنفعة اهتدائه لها خاصة (ومن ضل) بالاعراض عنه (فأغنايضل عليها) أى فوبال الضلال مقصور على نفسه (وما أنا عليكم بوكيل) أى بحفيظ مؤكول الى أمركم وأغنا أنا بشير ونذير فلا يجب على السعى فى ايصالكم الى الثواب وفى تخليصكم من العذاب (واتبع ما يوحى اليك) أى يؤمر لك فى القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على ما يطرأ عليك من مشاق التبليغ (حتى يحكم الله) بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) حكمكم بالجهاد وبالجزية على أهل الكتاب وأنشد بعضهم فى الصبر شعرا فقال

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى * وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى
سأصبر حتى يعلم الصبر اننى * صبرت على شئ أمر من الصبر

﴿سورة هود مكية مائة وثلاث وعشرون آية وألف وسبع مائة وخمسة
وعشرون كلمة وستة آلاف وست مائة وخمسة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب أحكم آياته) أى نظمت نظاما رصيفا متقنا (ثم فصلت) أى جعلت فصولا من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب أو صلة للفعلين كأنه تعالى يقول أحكم آياته من عند حكيم أى واضع الشئ بالحكمة وفصلت آياته من عند خبير أى عالم بكيفيات الامور (أن لا تعبدوا الا الله) فان تفسيرة لفصلت فانها فى معنى القول (اننى لكم منه) أى من جهة الحكيم الخبير (نذير) بعذابه ان عبدتم غير الله تعالى (وبشير)

بنوايه ان تمحضتم في عبادته (وان استغفروا ربكم) معطوف على ان لاتعبدوا (ثم توبوا اليه) أي
اطلبوا من ربكم ستر ما سلف منكم من الشرك ثم اقبلوا اليه بالطاعة والاخلاص (يعتصمكم متاعا حسنا
الى أجل مسمى) أي يعصمكم عيشا مرضيا الى وقت مقدر عند الله تعالى وهو آخر اعماركم فمن اخلص
الله في القول والعمل عاش في أمن من العذاب وراحة عما يحشاؤه ومن اشتغل بمحبة الله كان انقطاعه عن
الخلق أكمل وسروره أتم لانه آمن من زوال محبوبه ومن كان مشتغلا بمحب غير الله كالأبداني ألم الخوف
من فوات المحبوب (ويؤت) أي يعطى في الدنيا وفي الآخرة (كل ذي فضل) في الاسلام والطاعة
(فضله) أي ثوابه (وان تولوا) أي تعرضوا عما ألقى اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة (فاني
أخاف عليكم) بموجب الشفقة (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) بالموت ثم البعث
للجزاء (وهو على كل شيء قدير) فيقدر على تعذيبكم بأفانين العذاب (ألا انهم يثنون صدورهم
ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم) أي تنبه ان الكفار يضمرون خلاف ما يظهرون ليستخفوا
من الله تعالى حين يغطون رؤوسهم بثيابهم للاستخفاء روى عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في
الخنس بن شريق وأصحابه من منافقي مكة وكان رجلا حلو المنطق حسن المنظر يظهر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم المحبة ويضم في قلبه العداوة (يعلم ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم
(انه علم بذات الصدور) أي انه تعالى مبالغ في الاطاعة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية
المستكنة في صدورهم فلا فائدة لهم في استخفائهم (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) أي
غذاؤها اللاتق بها روى أن موسى عليه السلام تعلق قلبه بأحوال أهله فأمره الله تعالى ان يضرب
بعصاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثانية
ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة ثم ضرب بعصاه فانشقت وخرجت منها دودة كالذرة
وفي فيها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الله الحجاب عن سمع موسى عليه السلام فسمع الدودة تقول
سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني (ويعلم مستقرها) أي مكانها في
الارض قبل الموت وبعده (ومستودعها) أي موضعها قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل
من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها وأحوالها) (في كتاب مبين) أي ثابت في علم الله ومذكور في
اللوح المحفوظ (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) أي خلق السموات في يومين والارض
في يومين وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات وغير ذلك في يومين (وكان عرشه) قبل خلقهما
(على الماء) قال صلى الله عليه وسلم كان الله وما كان معه شيء ثم كان عرشه على الماء أي
والعرش الذي هو أعظم المخلوقات قد أمدسه الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامته تحته ولا علاقة
فوقه وذلك يدل على كمال قدرته تعالى (ليبلوكم) أي خلق السموات والارض وما فيها ورتب فيها
جميع ما تحتاجون اليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم وأودع فيها ما تستدلون به على
مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يختبركم (أيكم أحسن هملا) أي أحسن عقلا وأورع عن
محارم الله وأسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به (ولئن قلت) يا أشرف
الخلق لاهل مكة (انكم مبعوثون) أي محييون (من بعد الموت ليقولن الذين كفروا) منهم (ان هذا
الاصر مبین) أي ما هذا القول الا خديعة منكم وضعتوها لمنع الناس عن لذات الدنيا وحرارها ثم الى
الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم وقرأ حمزة والكسائي الاسا حراي كاذب وحينئذ فاسم الإشارة

حائذ على النبي أو القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب) الذي هددهم الرسول صلى الله عليه وسلم به (إلى
 أمة معدودة) أي إلى انقراض جماعة من الناس بعد هذا التهديد بالقول (ليقولن) بطريق الاستهجال
 استهزاء (ما يحبسهم) أي أي شيء يمنع العذاب من المجيء إلينا (ألا) أي تنبهوا (يوم يأتيهم) أي
 العذاب (ليس مصروفا عنهم) أي فلا يرفع رافع أبدا عذاب الآخرة ولا يدفع عنهم دافع عذاب الدنيا
 (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) أي أحاط بهم ذلك العذاب (ولئن أذقنا الإنسان منارحة) أي
 أعطيناه نعمة كغنى وصحة (ثم نزعناها منه أنه ليؤس) أي قاطع رجاءه من عود أمثاله العلة صبره
 وعدم ثقته بالله (ككفور) أي عظيم الكفران لما سلف من النعم (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء
 مسته) كهمه بعد سقم وفرج بعد شدة (ليقولن ذهب السيئات عني) أي المصائب التي تحزنني (أنه
 لغر) أي بطر بالنعم مغتر بها (نخور) على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن الشكر (ألا
 الذين صبروا) عند البلاء استسلا بالقضاء الله (وعملوا الصالحات) عند الراحة والخير شكر على ذلك
 (أولئك لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم وان جنت (وأجر) أي ثواب (كبير) لأعمالهم الحسنة
 (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك) فلعل للزجر والتبعية أي لا تترك تبليغ بعض
 ما يوحى إليك من البينات الدالة على حقيقة نبوتك ولا يضيق صدرك بتلاوته عليهم في أثناء الدعوة والحاجة
 كراهة (أن يقولوا لا أنزل عليه) أي على محمد (كنز) أي مال كثير مخزون يدل على صدقه
 (أو جاء معه ملك) يصدقه والمعنى لا تترك التبليغ ولا يضيق صدرك به بسبب قول القوم لك ان كنت
 صادقاً فإنك رسول الله الذي تصفه بالقدر على كل شيء وبأنك عزيز عند مع انك فقير فها أنزل عليك
 ما تستغني به وتغني أحبابك من الكد والعناء وان كنت صادقاً فها أنزل عليك ما يكافيك بالرسالة
 فتزول الشبهة في أمرك فلما لم يفعل الهك ذلك فأنت غير صادق فنزل قوله تعالى (أنما أنت نذير) فلا
 تبال بما صدر عنهم من الرد والقبول (والله على كل شيء وكيل) أي حفيظ فتوكل عليه في جميع
 أمورك فإنه فاعل بهم ما يليق بحالهم (أم يقولون افتراء) أي بل يقولون افتري محمد القرآن من تلقاء
 نفسه وليس من عند الله (قل) لهم ارجعوا للعنان ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بعشر سور مثله) أي
 القرآن في البلاغة وحسن النظم (مفتريات) من عند أنفسكم فإنكم أقدر ذلك مني لانكم عرب
 فصحوا محارسون للاشعار ومن اولون أنواع النظم والنثر (وادعوا) للمعاونة في المعارضة (من
 استطعتم من دون الله) أي من الاصنام والكهنة (ان كنتم صادقين) في ادعاء كون القرآن مفترى
 على الله (فان لم يستجيبوا) أي من تدعونهم من دون الله (لكم) أيها الكفار في الاطاعة على المعارضة
 (فاعلموا) يا معشر الكفار (أنما نزل بعلم الله) أي ان الذي أنزل ملتبس بعلم الله أي هو من عند الله
 اذ لو كان مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق على مثله ولم يقدر واعليه ثبت انه من عند الله (وأن
 لا اله الا هو) أي واعلموا انه لا شريك له في الألوهية ولا يقدر على ما يقدر هو عليه أحد أي لما ثبت عجز
 الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن حقاً وثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقاً في دعوى الرسالة
 وفي خبره انه لا اله الا الله (فهل أنتم مسلمون) أي فهل أنتم داخلون في الاسلام والمعنى فان لم يستجب
 لكم آلهتكم وساثر من اليهم تجارون في لما تكلموا في المعارضة فاعلموا ان القرآن خارج عن دائرة قدرة
 البشر وانه منزل من خالق القوي والقادر واعلموا أيضاً ان آلهتكم بعزل عن رتبة الشركة في الألوهية فهل
 أنتم داخلون في الاسلام بعد قيام هذه الحججة القاطعة (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) بعمل الخير

من العبادات وايصال المنفعة الى الحيوانات (نوف اليهم أعمالهم فيها) أى نوصل اليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة (وهـم فيها) أى في الحياة الدنيا (لا ينجسون) أى لا ينقصون نقصا كلياً ولا يحرمون من ذلك حرماناً كلياً وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرأسوسعة الرزق وكثرة الاولاد ونحو ذلك (أولئك) أى المريدون لزينة الدنيا الموفون فيها ثمرات أعمالهم (الذين ليس لهم في الآخرة الا النار) بسبب هذه الاعمال الفاسدة المقرونة باليأسوسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعودوا بالله من جب الحزن قيل وما جب الحزن قال واد في جهنم يلقي فيه القراء المراءون وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيراً ولا خيراً فيه (وحبط ما صنعوا فيها) وهـذا ان تعلق بحبط فالضمير عائداً على الآخرة أى وظهر في الآخرة حبط ما صنعوه من الاعمال وان تعلق بصنعوا فالضمير يعود على الحياة الدنيا أى وحبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) فباطل اما خبر مقدم وما بعده مبتدأ مؤخر أعطف على الخبر وما بعده فاعل له ويرجع هـذا قراءة يزيد بن على وبطل ما كانوا يعملون على صيغة الماضى معطوف على حبط أى ظهر بطلان عملهم في نفسه في أثناء تحصيل المطالب الدنيوية وقرئ وباطل اما كانوا يعملون على ان ما باهمية أوفى معنى المصدر (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة) أى أفمن كان على برهان من ربه عرف به صحة الدين الحق ويتبع ذلك البرهان شاهد من ربه وهو القرآن ويتبع ذلك البرهان من قبل مجي الشاهد الذى هو القرآن شاهد آخر وهو كتاب موسى حال كونه مقتدى به في الدين وسبب الحصول الرحمة لانه يهدى الى الحق في الدنيا والدين كن يريد الحياة الدنيا وزينتها في انهم ليس لهم في الآخرة الا النار لابل بين الفريقين تبين بين فالحاصل انه اجتمع في تثبيت صحة هـذا الدين أمور ثلاثة أولها دلالة الدلائل العقلية اليقينية على صحته وثانيها شهادة القرآن بصحته وثالثها شهادة التوراة بصحته فعند اجتماع هذه الثلاثة قد بلغ هذا اليقين في القوة والجلالة الى حيث لا يمكن الزيادة عليه فلا يبقى في صحته شك (أولئك) أى الموصوفون بالصفات الحميدة (يؤمنون به) أى بالقرآن كعبد الله بن سلام وغيره ممن اتصف بتلك الصفات وهذا الفريق ليس له في الآخرة الا الجنة (ومن يكفر به) أى بالقرآن (من الاحزاب) أى أسناف الكفار (فالنار موعده) أى مكان وعده وهو الذى فيها ما لا يوصف من أفانين العذاب روى سعيد ابن جبير عن أبى موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع ابن يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بى الا كان من أهل النار قال أبو موسى فقلت فى نفسى ان النبى صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا الا عن القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده (فلاتك فى مريية منه انه الحق من ربك) أى فلاتك فى شك من القرآن أنه الحق من ربك نزل به جبريل أو المعنى فلاتك فى شك من أن مصير من كفر بالقرآن النار أن هذا الوعد هو الثابت بمن يرى بيلك فى دينك ودنياك والخطاب للنبي والمراد غيره (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك اما الاختلال أفكارهم واما لعنادهم (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن نسب اليه ما لا يليق به كقولهم فى الاصنام أنهم اشفعاء وهـم عند الله (أولئك) الموصوفون بالاقتراء على الله تعالى (يعرضون على ربهم) عرضاً تظهر به فضيحتهم أى يساقون الى الاماكن المعدة للحساب والسؤال (ويقول الاشهاد) من الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم فى الدنيا والانبيا عند العرض (هوؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بالاقتراء عليه ثم لما أخبر الله تعالى عن حالهم فى القيامة أخبر عن حالهم فى الحال بقوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالترام

الكفر والضلال أى انهم فى الحال ملعونون من عند الله (الذين يصدون عن سبيل الله) أى الذين يمنعون من الدين الحق كل من يقدر على منعه بالقاء الشبهات (وييغونها عوجا) أى يطلبون سبيل الله زىغابتعويج الدلائل المستقيمة (وهم) أى والحال أنهم (بالآخرة هم كافرون) أى بالبعث بعد الموت جاحدون (أولئك لم يكونوا همجزيين فى الارض) أى لا يمكنهم أن يفلتوا بأنفسهم من عذاب الله بالهرب من الارض مع سعتها ان أراد الله تعذيبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) أى أنصار يدفعون عذاب الله عنهم أى ان عدم نزول العذاب ليس لاجل أنهم قدسوا على منع الله من انزال العذاب بالفرار ونحوه ولا لاجل أن لهم ناصر يمنع العذاب عنهم كما زعموا أن الاصنام شفعاؤهم عند الله بل لانه تعالى أمهلهم كي يتوبوا عن كفرهم فاذا أبوا الا الثبات عليه فلا بد من مضاعفة العذاب فى الآخرة كما قال تعالى (يضاعف لهم العذاب) أى فيعذبون فى الآخرة على ضلالهم فى أنفسهم وعلى اضلالهم غيرهم وهذا غير خارج عن قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلهما وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وهذا تعليل لمضاعفة العذاب أى لانهم كانوا عاجزين عن الوقوف على دلائل الله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) أى فانهم اشتروا عبادة الاصنام بعبادة الله تعالى وهذا أعظم وجوه الخسران (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من شفاعاة الاصنام لهم فلم يبق معهم غير الندامة (لا جرم) أى لا بد (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) بذهاب الجنة وما فيها أى أنهم أخسر من كل خاسر لانهم أظلم من كل ظالم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) أى ان الذين آمنوا بكل ما يجب الايمان به وآتوا بالاعمال الصالحات واطمأنت قلوبهم عند آداء الاعمال الى ذكر الله فارغة عن الالتفات الى ما سوى الله تعالى واطمأنت الى صدق وعد الله بالشواب على تلك الاعمال وخافت قلوبهم من أن يكونوا أتوا بتلك الاعمال مع وجود الاخلال ومن أن لا تكون مقبولة (أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أى دائمون (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أى صفة الكافر كصفة شخص متصف بالعمى والصمم فلا يهتدى لقصوده وصفة المؤمن كصفة شخص متصف بالبصر والسمع فاهتدى لمطلوبه (هل يستويان مثلا) أى صفة وحالا (أفلا تتذكرون) أى أتشكون فى عدم الاستواء ولا تتعظون بأمثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير) للعصاة من العقاب (مبين) أى بين النذارة قابين لكم طريق الخلاص من العذاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى أنى بفتح الهمزة أى متلبسا بالانذار والباقون بالكسر على معنى فقال انى لكم (أن لا تعبدوا الا الله) بدل من انى لكم الخ على قراءة الفتح وجروا بالباء المقطرة التى للتعبدية المتعلقة بأرسلنا (انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) فى الدنيا أو فى الآخرة (فقال المدللون كفروا من قومه) أى الاشراف منهم (ما تراك الا بشرا مثلنا) أى ما نعلمك الا آدميا مثلنا ليس فيك منزلة تخصك بوجوب الطاعة علينا (وما تراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أى أخسائنا كالحجامين والنساجين والأساكفة (بأدى رأى) قرأ أبو عمرو ونصر عن الكسائى بأدى بالهمزة والباقون بالياء ونصبه على الظرفية أى فى ابتداء حدوث رأى ولوا احتاطوا فى الكفر ما تبعوك أو فى ظاهر رأى العين (وما ترى لكم علينا من فضل) أى لا ترى لك ولنا تبعوك بعد الاتباع فضلا علينا فى العقل ولا فى رعاية المصالح العاجلة ولا فى قوة الجدل (بل نظنكم كاذبين) أى بل نظنك يانوح فى دعوى النبوة

ونظن أصحابك كاذبين في تصديق نبوتك (قال) أي نوح (يا قوم أرايتم) أي اخبروني (ان كنت على بينة من ربي) أي على برهان عقلي في معرفة ذات الله وصفاته وما يجب وما يمتنع وما يجوز عليه (وآتاني رحمة من عنده) أي نبوة ومحنة دالة على النبوة (فعميت عليكم) أي وصار ذلك البرهان مشكوكا في عقولكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون بفتح العين وتخفيف الميم (أنزل منكموها وأنتم لها كارهون) أي فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصالون إلى معرفة ذلك البرهان وأنتم منكرون وله المعنى أنكم زعمتم أن عهد النبوة لا يناله إلا من له فضيلة على سائر الناس أخبروني أن امتزت عنكم بحيارة فضيلة من ربي وهي دليل العقل وآتاني بحسبها نبوة من عنده تخفى عليكم دليل العقل ولم تنالوه ولم تعلموا حيازتي لها إلى الآن حتى زعمتم أني مثلكم وهي متحققة في نفسها أنزل منكم قبول نبوتي التابعة لها والحال أنكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام لطلب الاقرار وحاصل الكلام أنهم لما قالوا وما ترى لكم علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام أن ذلك بسبب أن الحجة هيبت عليكم واشتبهت فأما لو تركتم العناد واللجاج ونظرتكم في الدليل لظهر المقصود وتبين أن الله تعالى آتانا عليكم فضلا عظيما وأنا أقدر على إعطائكم الإلهام والمعرفة في تلك الحجة وانما أقدر على أن أدعوكم إلى الله (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى الأعلى الله) أي قال نوح عليه السلام أنا لا أطلب منكم على تبليغي دعوة الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا أو غنيا وما أجرى على هذه الطاعة الأعلى رب العالمين وإن ظننتم أني انما اشتغلت بهذا التبليغ لأجل أخذ أموالكم فهذا الظن منكم خطأ وانما أسعى في طلب الدين لا في طلب الدنيا وهذا يوجب فضلي عليكم فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدين بسبب هذا الظن الفاسد (وما أنا بطارد الذين آمنوا) بقولكم لي امنعوا طرد هؤلاء الأسافلة عنك ونحن نتبعك فإنا نستحي أن نجلس معهم في مجلسك (أنهم ملاقوا ربهم) أي أنهم فائزون في الآخرة بقاء الله تعالى فإن طردتهم استخصموني في الآخرة عنده فأعاقب على طردهم (ولكني أراكم قوما تجعلون) إن منزلة المؤمنين عند الله تعالى أعلى وإن طردهم يوجب غضب الله تعالى (ويا قوم من ينصرني من الله) أي يدفع نزول منخطه عني (إن طردتهم) فإن الطرد ظلم موجب للسخط قطعا (أفلا تذكرون) أي أتأمروني بطردهم فلا تتعظون بما أقول لكم (ولا أقول لكم) حين أدعي النبوة (عندي خزائن الله) أي رزقهم وأمواله وهذا رد لقولهم وما ترى لكم علينا من فضل كالمال (ولا أعلم الغيب) أي ولا أقول أني أعلم الغيب حتى تسارعوا إلى الإنكار والاستبعاد وهذا رد لقولهم وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي في ظاهر حالهم وأول فكرهم وفي الباطن لم يتبعوك فقال نوح لهم اني انما أعول على الظاهر لا نفي لأعلم الغيب فأحكم به (ولا أقول أني ملك) رد لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا فكلنا نوحا قال أنا لم أدع الملكية حتى تقولوا ذلك أي أنكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة ذريعة إلى تكذبي والحال أني لا أدعي شيئا من ذلك ولا الذي أدعيه يتعلق بشيئا منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) أي ولا أقول كما تقولون في حق الذين تحتقرهم أعينكم (لن يؤتيهم الله خيرا) أي هداية وأجرا (الله أعلم بما في أنفسهم) أي بما في قلوبهم من الإيمان (إن إذا) أي إذا قلت ذلك (لن الظالمين) لنفسي ولهم في وصفهم بأنهم لا خير لهم مع الله أعطاهم خيري الدارين (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) أي فأتيت بأنواع الجدل (فأتنابعنا عدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) فيما تقول (قال)

أى نوح (انما يأتىكم به الله) أى ان الاتيان بالعذاب الذى تستجهلون أمر خارج عن دائرة القوى
 البشرية وانما يفعله الله تعالى (ان شاء وما أنتم بمجهزين) أى بما تعين من العذاب بالحرب أو بالدفاع
 كما تدفعوننى فى الكلام (ولا ينفعكم نصيحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى
 ان كان الله يريد ان يضلكم عن الهدى فان أردت ان أحذركم من عذاب الله وأدعوكم الى التوحيد
 لا ينفعكم دعائى الى التوحيد وتحذيرى اياكم من عذاب الله (هوبكم) أى مالك التصرف فى ذواتكم
 وفى صفاتكم قبل الموت وعند الموت (واليه) تعالى (ترجعون) بعد الموت فيجازيكم على أعمالكم
 (أم يقولون افتراء) أى بل يقول قوم نوح ان نوحا اقترى بما آتانا به من عند نفسه مسندا الى الله تعالى
 (قل) يا نوح (ان اقتريته) أى ان اختلقت الوحى الذى بلغته اليكم من تلقاء نفسه (فعلى اجماعى)
 أى فعلى عقاب اكتساب الذنب وان كنت صادقاً وكذبتمونى فعليكم عقاب ذلك التكذيب (وانابرتى بما
 تجرمون) أى من عقاب كسبكم الذنب باسناد الافتراء الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من
 آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) أى فلا تحزن بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والايذاء فى هذه المدة
 الطويلة فقد انتهت أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم (واصنع الفلك بأعيننا) أى اصنع السفينة ملتبسا
 بابصارنا لك وتعهدنا بتعليمك كيفية صنعها (ووحينا) أى وبأمرنا لك (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا) أى
 لا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم أو المعنى لا تراجعنى فى نجاة الذين كفروا ابنتك كنعان وامرأتك راعلة
 (انهم مفرقون) أى محكوم عليهم بالاغراق بالطوفان (ويصنع الفلك) أى أقبل نوح يصنعها وجعل
 يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكل ما يحتاج اليه فى عملها وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة فى
 سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وطولها فى السماء ثلاثين ذراعاً وكانت من خشب
 الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل فى البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط
 الدواب والانعام وركب هو ومن معه البطن الاعلى وحمل ما يحتاج اليه من الزاد وغيره (وكلم امر عليه ملائكة
 من قومه) أى طبقة من كبرائهم (منخر وامنه) أى كانوا يتصاحكون لعمله السفينة ويقولون يا نوح كنت
 تدعى رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك نجاراً وكان يصنعها فى موضع بعيد عن الماء جداً وكانوا يقولون ليس
 ههنا ماء ولا يمكنك نقلها الى الانهار العظيمة والى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب السفه والجنون (قال
 ان تسخر وامنانا نسخر منكم كما تسخرون) اليوم منا أى ان حكمت علينا بالجهل فيما نصنع فاننا نحكم
 عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه (فسوف تعلمون من يأتية عذاب
 يخزيه) أى فسوف تعلمون أينما يأتية عذاب فى الدنيا يهينه وهو عذاب الفرق من هو أحق بالسخرية ومن هو
 أحمد عاقبة (ويحل عليه عذاب مقيم) أى وأينما ينزل عليه عذاب النار الدائم فى الآخرة (حتى اذا جاء أمرنا)
 أى عذابنا الموعود به (وفار التنور) أى نبع الماء من تنور الخبز وارتفع بشدة كما تقور القدر بغليانها
 روى انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يغور من التنور فاركب ومن معك فى السفينة فلما نبع
 الماء أخبرته امرأته فركب وقيل كان التنور لآدم وكانت حواء تقمر فيه الخبز فصار الى نوح وكان من
 حجارة وهو فى السكوة على عين الداخل مما يلي باب كندة فى المسجد (قلنا حمل فيها) أى السفينة (من
 كل زوجين اثنين) وقرأ حفص من كل بالتنوين أى من شئ زوجين اثنين كل منهما زوج للآخر
 والجمهور على الاضافة أى من كل فردين متزاوجين اثنين بان تحمل من الطير ذكراً وانثى ومن الغنم ذكراً
 وانثى وهكذا وترك الباقي والمراد من الحيوانات التى تنفع والتى تلد أو تبيض فيخرج المضرات والتى

تنشأ من الغعونة والتراب كاللود والقمل والبقي والبعض (وأهلك) عطف على زوجين على قراءة حفص وعلى اثنين على قراءة غيره (الامن سبق عليه القول) بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وأمه واعلة فانها كانتا كافرين فحمل نوح في السفينة زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة مع نسايتهم سام وحام ويافت فسام أبو العرب وحام أبو السودان ويافت أبو الترك (ومن آمن) عطف على زوجين أو على اثنين أي واحد من آمن من غير أهلك (وما آمن معه الا قليل) وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون انسانا نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال مقاتل في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية النمانين سميت بذلك لان هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت بهذا الاسم (وقال) أي نوح عليه الصلاة والسلام لمن معه من المؤمنين (اركبوا فيها بسم الله) أي اركبوا في السفينة ذاكرين اسم الله (بجربها ومرضها) أي وقت جربها ومرضها (وقال) قيل كان نوح عليه السلام اذا اراد ان يجربها يقول بسم الله فتجربى واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو (ان ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته تعالى ورحمته اياكم لما نجاكم لانكم لاتنفعكم عن أنواع الزلات (وهي تجري بهم في موج كالجبال) في عظمه وارتفاعه وذلك يدل على وجود الرياح الشديدة في ذلك الوقت قال علماء السير أرسل الله تعالى المطر أربعين يوما و ليلة وخرج الماء من الارض وارتفع الماء على أعلا جبل وأطوله أربعون ذراعا حتى أغرق كل شيء (ونادى نوح ابنه) كنعان قبل سير السفينة (وكان في معزل) أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وأخوته وقومه بحيث لم يتناولوا الخطاب باركبوا (يا بني اركب معنا) في السفينة (ولاتكن مع الكافرين) أي في المكان وهو وجه الارض خارج السفينة في الدين لان نوحا عليه السلام يحذر ابنه عن الهلكة لا ينهي عن الكفر في ذلك الوقت (قال سألوى) أي التحيي (الى جبل يعصمي من الماء) لارتفاعه (قال) أي نوح (لا عاصم اليوم من أمر الله) أي عذابه (الامن رحم) أي الا الله الراحم والتقدير لا فرار من الله الا الى الله وهذا تأويل في غاية الحسن وقيل لا مكان يعصم من عذاب الله الا مكان من رحمته الله وهو السفينة وقيل لا ذاعصمة الا من رحمه الله (وحال بينهم الموج) أي حال الموج بين نوح وابنه كنعان (فكان من المغرقين) أي فصار كنعان من المهلكين بالطوفان (وقيل) أي قال الله (يا أرض ابلعي ماءك) أي انشفي ماء على وجهك من ماء الطوفان (ويا سماء اقلعي) أي امسكي عن ارسال المطر (وغيض الماء) أي رنقص ما بين السماء والارض من الماء (وقضى الامر) أي أتم الامر من هلاك قوم نوح (واستوت) أي استقرت الغلك (على الجودي) أي على جبل بالجزيرة قريب من الموصل يقال له الجودي وكان ذلك الجبل منخفضا روى انه عليه السلام ركب في الغلك في عاشر رجب ومرت بالبيت الحرام فطافت به سبعاء ونزل عن الغلك في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وأمر من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنو لقرية بقرب ذلك الجبل فسموها قرية الغمانين فهي أول قرية عبرت على الارض بعد الطوفان (وقيل بعد اللقوم الظالمين) أي قال نوح وأصحابه بعد وابعدا من رحمته الله للقوم المشركين بحيث لا يرجي عودهم وهذا الكلام جار مجرى الدعاء عليهم لان الغالب عن يسلم من الامر الهائل بسبب اجتماع قوم من الظلمة فاذا هلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني) كنعان (من أهلي) وقد وعدتني انجاءهم في ضمن قولك واحمل أهلك (ان وعدك الحق) أي ان كل وعد تعده لا يتطرق اليه خايب (وانت أحكم الحاكمين) أي لانتك أعذل الحاكمين وهذا دعاء سيدنا نوح عليه السلام في غاية التلطف وهي مثل دعاء سيدنا أيوب عليه السلام اني منسي

الضروا أنت أرحم الراحمين (قال) أي الله تعالى (يانوح انه) أي هذا الابن الذي سألتني نجاته
 (ليس من أهلك) الذي وعدت أنك أن أنجيهم معك (انه عمل غير صالح) أي لأن هذا الابن ذو عمل غير
 مرضي وقرأ الكسائي ويعقوب عمل على صيغة الفعل وغير بالنصب أي لانه عمل عملا غير مرضي وهو
 الشرك (فلا تسألن ماليس لك به علم) أي اذا وقعت على جلية الحال فلا تطلب مني مطلبالا تعلم يقينا
 أن حصوله صواب وموافق للحكمة (اني أعظك أن تكون من الجاهلين) أي اني أنهاك عن أن تكون
 من الجاهلين بالسؤال هي سؤاله عليه السلام جهلا لأن حب الولد شغله عن تذكر استثناء من سبق عليه
 القول منهم بالاهلاك (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم) أي أعوذ بك من أن أطلب
 منك من بعد هذا مطلقا علم أن حصوله مقتضى الحكمة (والا تغفرتي) جهلي واقدامي على سؤال ماليس
 لي به علم (وترحمني) بقبول توبتي (أكن من الخاسرين) أعمالا وليس في الآيات ما يقتضي صدور
 ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى اقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية
 وانما الجأ الى الله تعالى وسأله المغفرة والرحمة لأن حسنات الاراسيات المقربين (قيل) أي قال الله
 (يانوح اهبط) أي انزل من السفينة (بسلام) أي ملتبسا بأمن من جميع المكروه المتعلقة بالدين (منا
 وبركات عليك) أي خيرات نامية عليك وهذا بشارة من الله تعالى بالسلامة من التهديد وبنيل الحاجات
 من المأكول والمشروب (وعلى أمم عن معك) أي وعلى أمم مؤمنة ناشئة من الذين معك الى يوم القيامة
 (وأمم) كافرة متناسلة عن معك (سختهم) مدة في الدنيا (ثم) في الآخرة (يسهم منا عذاب أليم)
 فقوله وأمم مبتدأ وخمسة قوله سختهم خبر (تلك من أنباء الغيب) أي تلك التفاصيل التي بيناها من
 الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق (نوحيا) أي تلك الاخبار (اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك)
 بطريق التفصيل (من قبل هذا) أي من قبل ايحائنا اليك بنزول القرآن (فاصبر) على أذى
 هؤلاء الكفار كما صبر نوح على أذى أولئك الكفار (ان العاقبة) أي آخر الامر بالظفر في الدنيا وبالغور
 في الآخرة (للمتقين) كما عرفت في نوح وقومه ولك فيه أسوة حسنة (والى عاد أخاهم) أي ولقد أرسلنا
 الى عاد واحدا منهم في النسب نبيهم (هودا قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره) بالرفع
 صفة للمحل وبالجر على قراءة الكسائي صفة للفظ (ان أنتم الامفرون) أي كاذبون في قولكم ان الاصنام
 تسحق العبادة (يا قوم لا أسألكم عليه) أي على ارشادكم الى التوحيد (أجرا ان أجرى الاعلى
 الذي فطرنى) أي خلقتني (أفلا تعقلون) اني مصيب في المنع من عبادة الاصنام (ويا قوم استغفروا
 ربكم) أي سلوه أن يغفر لكم ما تقدم من شرككم (ثم توبوا اليه) من بعد التوحيد بالندم على
 ماضي وبالعزم على أن لا تعودوا والمثله (يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدرارا) أي كثير السيلان
 (ويردكم قوة الى قوتكم) بالمال والولد والشدة في الاعضاء قليل حبس الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين
 وعقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد (ولا تتولوا مجرمين) أي ولا تعرضوا عما أدعوكم اليه مصرين على
 آثامكم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أي بعجزة (وما نحن بتاركى آلهتنا) أي بتاركى عبادتها (عن
 قولك) أي لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) أي بمصدقين بالرسالة (ان نقول الاعتراف بعض
 آلهتنا بسوء) أي ما نقول في شأنك الا قولنا أصابك بعض آلهتنا بجنون لانك شققتها ومنعت عن عبادتها
 (قال اني أشهد الله) على (واشهدوا) أنتم على (اني بريء مما تشركون من دونه) أي من اشراككم
 آلهة من دون الله (فكيدوني جميعا) أي فاعملوا في هلاكى أنتم وآلهتكم جميعا (ثم لا تنظرون) أي

لا تؤجلوني (ان توكلت على الله ربي وربكم) أى انى فوضت أمرى الى الله مالكى ومالككم (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى ما من حيوان الا هو تحت قهره وقدرته وهو منقاد لقضائه وقدره (ان ربي على صراط مستقيم) أى انه تعالى وان كان قادرا على عباده لكنه لا يظلمهم ولا يفعل بهم الا ما هو الحق والعدل والصواب (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) أى فان تعرضوا عن الايمان والتوبة لم أهابت على تقصيرى الا بلاغ لاني قد أبلغتكم وصرت محجوجين من الله تعالى لانكم أصررت على التكذيب (ويستخلف ربي قوما غيركم) أى يخلق ربي بعدكم من هو خير منكم وأطوع وهذا اشارة الى نزول عذاب الاستئصال (ولا تضرر منه شيئا) أى لا ينقص هلاككم من ملك الله شيئا (ان ربي على كل شيء حفيظ) فيحفظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها (ولما جاء أمرنا) أى عذابنا الدنيوى وهو السهم التى تدخل من أنوفهم وتخرج من أدبارهم فترفعهم فى الجوى وتصرعهم على الارض على وجوههم فتقطع أعضاؤهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة) عظيمة كائنة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) وهو العذاب الاخرى (وتلك) القبيلة (عاد) جحدوا بآياتهم) أى دلالة المعجزات على صدق هود (وعصوا رسله) وجمع الرسول مع انه لم يرسل اليهم غير هود لبيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد (واتبعوا أمر كل جبار) أى مرتفع متمد (عنيد) أى منازع معارض أى واتبع السفلة أمر رؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل (واتبعوا فى هذه الدنيا العنة ويوم القيامة) أى جعل الابعاد من رحمة الله تعالى ومن كل خير مصاحب لهم وملازم فى الدنيا والآخرة (ألا ان عادا كفروا ربهم) أى كفروا بربهم (ألا بعد العاد) وهذا دعاء عليهم بالهلاك وتحقيرهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وهذه عاد قديمة واحترز به عن عاد ثانية ارم ذات العماد (والى عمود أخاهم صالحا) وعمود اسم أبى القبيلة هو بين صالح وبينه خمسة اجداد وبن صالح وهو مائة سنة وعاش صالح مائتى سنة وثمانين سنة (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالككم من اله غيره هو أنشأكم من الارض) فان الانسان مخلاق من المنى وهو متولد من الدم وهو متولد من الأغذية وهى اما حيوانية واما نباتية فانتهاه الحيوانية الى النبات وهو متولد من الارض فثبت أن الله تعالى أنشأ الانسان من الارض واستعمر فيها) أى جعلكم سكان الارض وصيركم عامرين لها وأجعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة أعماركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه) أى آمنوا بالله وحده (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (ان ربي قريب) بالعلم والسمع والرحمة (مجيب) دعاء المحتاجين بفضله ورحمته (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أى قبل نهيك ايانا عن عبادة الاوثان لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد فانك كنت تعطف على فقرائنا وتعين ضعفاءنا وتعود مرضانا فقوى رجائنا فإليك أنك من الاحباب ومن أنصار ديننا فكيف أظهرت العداوة ثم قالوا متعجبين تعجبا شديدا (تنهانا أن نعبد ما يعبد الأوثان) أى ما عبدوه من الأوثان (واننا فى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد وترك عبادة الأوثان (مرتب) أى موقع فى اضطراب القلوب وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرايتم) أى أخبروني (ان كنت) فى الحقيقة (على بينة) أى بصيرة وبرهان (من ربي وآتاني منه رحمة) أى نبوة (فن ينصرنى من الله) أى من ينجينى من عذابه (أن عصيته) أى بالمساهلة فى تبليغ الرسالة وفى المجازاة معكم (فما ترى دونى غير تخسير) أى فما ترى دونى بما تقولون غير بصيرة فى خسارتكم أى وما زادنى

قولكم الا قولى لكم انكم لخاسرون (و يا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أى معجزة دالة على صدق نبوتى فان الله خلقها من الصخرة فى جوف الجبل حاملا من غرذ كرك على تلك الصورة دفعة واحدة وقد حصل منها لبن كثير يكفى الخلق العظيم (فذروها) أى فاتركوها (تأكل فى أرض الله) أى ترعى نباتها وتشرب ماءها فليس عليكم كلفة فى مؤنتها وكانت هى تنفعهم ولا تضرهم لانهم كانوا ينتفعون بلبنها (ولا تمسوها بسوء) أى لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من السوء (فياخذكم عذاب قريب) أى عاجل لا يترأى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة أيام (فعقروها) أى فقتلها قد اربن سالف ومصدق بن زهر وقيل زينت عقورها لحم عذرة أم غنم وصدقة بنت المختار فضر بها مقدار بأمرهم فى رجلها فاوقعتها فذبحوها وقسموا لحمها على ألف وخمسمائة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (تمتعوا) أى عيشوا (فى داركم) أى فى بلادكم (ثلاثة أيام) من العدة الاربعاء والخميس والجمعة ثم يأتىكم العذاب فى اليوم الرابع يوم السبت وانما أقاموا ثلاثة أيام لان الفصيل راغى ثلاثة وانفجرت الصخرة بعد رغاؤه فدخلها ولما عقر والناقة أنذرتهم صالح بنزل العذاب ورغبهم فى الايمان فقالوا يا صالح وما علامة العذاب فقال تصير وجوهكم فى اليوم الاول مصفرة وفى الثانى حمرة وفى الثالث مسودة وفى الرابع يأتىكم العذاب صبيحته (ذلك) أى نزول العذاب عقب ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا) أى عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ) أى ونجينا صالحا والذين آمنوا معه من العذاب النازل بقومه الكافرين ومن الخزي الذى لزمهم وبقي العيب منسوب اليهم لان معنى الخزي العيب الذى تظهر فضيخته ويستحيى من مثله وقرأ الكسائى ونافع فى رواية ورش وقالون هنا وفى المعارج يومئذ يفتح الميم لاضافة يوم الى اذ وهو مبنى فيكون مبنيا والباقيون بكسر الميم فيهما لاضافة يوم الى الجملة من المبتدأ والخبر فلما قطع المضاف اليه عن اذنون ليدل التنوين على ذلك ثم كسرت الذا لساكونها وساكون التنوين ولم يلزم من اضافة يوم الى المبنى أن يكون مبنيا لان هذه لاضافة غير لازمة (ان ربك هو القوى العزيز) فانه أوصل ذلك العذاب الى الكافر وصان أهل الايمان عنه وهذا التمييز لا يصح الا لمن القادر الذى يقدر على قهر طبائع الاشياء فجعل الشئ الواحد بالنسبة الى انسان بلاه وعذابا وبالنسبة الى انسان آخر راحة وريحانا (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) مع الزلزلة أى صيحة جبريل فقد صاح عليهم صيحة من السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شئ فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا فى ديارهم جائعين) ميتين لا يتحركون ولا يضطربون عند ابتداء نزول العذاب ساقطين على وجوههم (كان لم يغنوا فيها) أى كأنهم لم يقيموا فى بلادهم فأنهم صاروا رمادا (ألا ان عمود كفروا بهم الا بعد النود) قوم صالح من رحمة الله (ولقد جاءت رسالتنا ابراهيم) من الملائكة جبريل وميكائيل وامرافيل (بالبشرى) أى متلبسين بالبشارة بالولد من سارة (قاراسلاما) أى سلمنا عليك سلاما (قال سلام) أى قال ابراهيم أمرى سلام أى لست مریدا غير السلامة وقرأ حمزة والكسائى هنا فى الذاريات بكسر السين وسكون اللام (فما لبث) أى ابراهيم (أن جاء بهجلا) أى فى الجحى بولد بقرة (حنيد) أى مشوى على حجارة حمراء فى حفرة فى الارض فوضعه بين أيديهم (فلما رأى أيديهم لاتصل اليه) أى الجمل (نكرهم) أى أنكرهم (وأوجس) أى أدرك (منهم خيفة) وظن أنهم لصوص حيث لم يأكلوا من طعامه فلما علموا خوفه (قالوا لا تخف) منا يا ابراهيم (انا أرسلنا) بالعذاب (الى قوم لوط) وهوابن هاران أخى ابراهيم (وامرأته قائمة) تخدم الاضياف وتسمع مقالاتهم

وإبراهيم عليه السلام جالس معهم (فضحكت) أي ففرحت سارة بزوال الخوف عنها وعن إبراهيم
 وبحصول البشارة بحصول الولد وبهلاك أهل الفساد وقال بجاهد وعكرمة أي حاضت سارة عند فرحتها
 بالسلامة من الخوف فلما ظهر حيضها بشرت بحصول الولد (فبشرناها باسمحق) على السنة فترسلنا وانما
 نسبت البشارة لسارة دون سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنها كانت أشوق إلى الولد منه لأنها كانت لم يأتها ولد
 قط بخلافه فقد أتاه اسمعيل قبل اسمحق بثلاث عشرة سنة (ومن وراء اسمحق يعقوب) قرأه ابن عامر
 وحزرة وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب أي وهو بن داود يعقوب من بعد اسمحق والباقون بالرفع على
 الابتداء أي ومن بعد اسمحق يعقوب مولود (قالت يا ويلتنا) هي كلمة تقال للتعجب عند أمر عظيم أي
 يا ذلي احضر فهذا وإن حضورك (أألدو أنا عجوز) بنت ثمان وتسعين سنة (وهذا بعلي) أي زوج
 (شيخنا) ابن مائة وعشرين سنة (ان هذا) أي حصول الولد من هرمين مثلنا (لشيء عجيب) بالنسبة
 إلى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده ومقصودها استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب
 العادي لاستبعاد قدرته تعالى على ذلك (قالوا) أي الملائكة لسارة (أتجهين من أمر الله) أي من
 قدرة الله (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي يا أهل بيت إبراهيم أي رحمة الله الواسعة لكل شيء
 وخيراته الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة لازمة لكم لا تفارقكم فإذا رأيتم أن الله خرق العادات في
 تخصيصكم بهذه الكرامات العالية فكيف يليق به التعجب (انه حميد) أي فاعل ما يستوجب الحمد
 وموصل العبد المطيع إلى مراده (مجيد) أي كريم لا ينعم الطالب عن مطلوبه (فلما ذهب عن
 إبراهيم الروع وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط) أي فلما زال عن إبراهيم الخوف وحصل له
 السرور بسبب مجيئ البشري بحصول الولد جادل رسلنا في شأن قوم لوط حيث قال للملائكة حين
 قالوا اناهلكوا أهل هذه القرية أرايتم لو كان فيها خسون رجال من المؤمنين أتهدك كونها قالوا لا قال
 فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرايتم أن كان فيها رجل مسلم
 أتهدك كونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بما فيه نجيبه وأهله إلا امرأته
 كانت من الغابرين (ان إبراهيم لحليم) أي غير عجول على كل من أساء إليه فلذلك طلب
 تأخير العذاب عنهم رجاء أقدامهم على الأيمان والتوبة عن المعاصي (أواء) أي كثير التضرع إلى
 الله عند وصول الشدائد إلى الغير (منيب) أي رجاء إلى الله في إزالة ذلك العذاب عنهم قالت الملائكة
 لإبراهيم (يا إبراهيم أعرض عن هذا) أي اترك هذا الجدل (انه قد جاء أمر ربك) بإيصال هذا
 العذاب إليهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) أي غير مصروف عنهم ولا مدفوع بجعدال ولا دعاء
 ولا غيرهما (ولما جاءت رسلنا) أي هؤلاء الملائكة (لوطامي بهم) أي حزن بسببهم (وضاق بهم
 ذرعا) أي صدر الانهم انطلقوا من عند إبراهيم إلى لوط عليها السلام ودخلوا عليه في صور شبان مرد
 حسان الوجوه يخافون ان يقصدهم قومهم وان يهجز عن امدافعتهم وبين القريتين أر بع فراسخ (وقال هذا
 يوم عصيب) أي شديد على فلما دخلت الملائكة دار لوط عليه السلام ولم يعلم بذلك أحد خرجت امرأته
 الكافرة فأخبرت قومها وقالت دخل دارنا قوم ما رأيت أحسن وجوها ولا أنظف ثيابا ولا أطيب رائحة
 منهم (وجاءه) أي لوطا وهو في بيته مع أضيافه (قومه يهرعون) أي يسوق بعضهم بعضا (إليه)
 لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) أي والحال من قبل مجيئ هؤلاء الملائكة إلى لوط (كانوا
 يعملون السيئات) وهي آتيان الرجال في أدبارهم أي فهم معتادون لذلك فلا حياء عندهم منه (قال) أي لوط

(يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) أي فتر وجوهن والمراد بالجمه ما فوق الواحد لما حمت الرواية أن لسيدنا
لوط عليه السلام بنتين فقط وهم أزنتا وزعورا وقال السدي اسم الكبرى ربا والصغرى رغوئا وكان في
ملته يجوز تزوج الكافر بالمسلمة أو قال ذلك على سبيل الدفع لآعلى سبيل التحقيق وكانوا يطلبون من من
قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفائهم لالعدم جواز تزويج المسلمات من الكفار (فاتقوا الله) بترك
الفواحش (ولا تخزون في ضيفي) أي لا تتنجسوا في أضيافي لأن مضيف الضيف يلزمه الخجالة من
كل فعل فبيع يوصل إلى الضيف (أليس منكم رجل رشيد) يمتد إلى الحق ويرعوى عن الباطل
ويرده هؤلاء الأول باش عن أضيافي (قالوا لقد علمت) يالوط (مالنا في بناتك من حق) أي شهوة أي
أنك قد علمت أن لا سبيل إلى المناكحة بيننا وبينك (وانك لتعلم ما تريد) من أتيان الذكران (قال
لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) أي لوقويت على دفعكم بنفسى أو رجعت إلى عشيرة قوية
لبالغت في دفعكم وانما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسب بل كان غريبا فيهم لأنه كان أولا بالعراق
مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله تعالى إلى أهل شذوم وهي قرية عند حصص أو المعنى لوقويت على
الدفع لدفعكم بل أعتصم بعناية الله تعالى (قالوا) أي هؤلاء الملائكة (يالوط اننا نرسل ربك لن يصلوا
إليك) بضرر فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب ودخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم
فطمس أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاة النجاة فان
في بيت لوط قوما مسخرة (فأمر بأهلك بقطع من الليل) أي فأخرج مع أهلك في نصف الليل لتستبقوا
العذاب الذي موعده الصبح (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع أي
لا يتأخر منكم أحد إلا امرأتك وأعله المناقعة والباقون بالنصب والمعنى ولا ينظر أحد إلى ورائه منكم ومن
أهلك إلا امرأتك وانما هو عن الالتفات ليسر عوا في السير فان من يلتفت إلى ما ورائه لا يخلو عن أدنى
وقفة وهذه القراءة تقتضي كون لوط غير مأثور بالامراء بها وقراءة الرفع تقتضي كونه مأثورا بذلك (انه
مصيها) أي امرأتك (ما أصابهم) من العذاب (ان موعدهم الصبح) أي ان وقت عذابهم
وهلاكهم الصبح لأنه وقت الراحة لخلول العذاب حينئذ أقطعوه ذات تعليل للنهي عن الالتفات المشعر
بالحث على الإسراع (أليس الصبح ب قريب) وهذا تأكيد للتعليل فان قرب الصبح داع إلى الإسراع
في الامراء للتباعد عن مواضع العذاب (فلما جاء أمرنا) أي وقت عذابنا وهو الصبح (جئنا عاليا)
أي على قرى قوم لوط وهي خمس مدائن فيها أربع مائة ألف ألف (سافلها) روى ابن جبريل عليه
السلام أدخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء
نهيق الحمار ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم تنسكفى لهم جرة ولم ينسكب لهم انا ثم قلبها دفعة واحدة
وضربها على الأرض (وأمطرنا عليها) أي على أهل تلك القرى الخارجين عنها في الاسفار وغيرها
(حجارة من سجيل) أي من طين متحجر (منضود) أي كان بعض الحجارة فوق بعض في النزول
(مسومة) أي مخططة بالسواد والحمرة والبياض أي كان عليها علامة تميز بها عن حجارة الأرض
(عند ربك) أي في خزائنه التي لا يتصرف فيها أحد الا هو (وما هي من الظالمين ببعيد) أي ما هذه
الحجارة من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها أي فان الظالمين حقيق بأن تطر عليهم
(والى مدين) أي وأرسلنا إلى أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام (أنعام) في النسب (شعبيا)
قال يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا (مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان)

أى لا تنقصوا حقوق الناس بالكيل والوزن (ان أرا كم بخير) أى ملتبسين بسعة تغنيكم عن النقص
 (وانى أخاف عليكم) ان لم توفوا بالكيل والوزن (عذاب يوم يحيط بكم ولا ينفلت منكم
 أحد) (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أى أتموهما (بالقسط) أى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان
 (ولا تبخسوا الناس) بسبب عدم اعتدالهما (أشياءهم) أى أموالهم التى يشترونها بهما (ولا تعثوا فى
 الأرض مفسدين) أى ولا تعملوا فى افساد مصالح الغير فان ذلك فى الحقيقة افساد مصالح أنفسكم
 (بقيت الله خير لكم) أى المال الحلال الذى يبقى لكم خير من تلك الزيادة الحاصلة بطريق التطفيف
 (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين لى فى مقالتي لكم وقرئ تغية الله بالفوقية أى تقواه تعالى عن المعاصي
 (وما أنا علىكم بمحفيظ) أى أحفظكم من الفسائح ولست بحافظ عليكم نعم الله اذ لو لم تتركوا هذا العمل
 القبيح لزالتم عنكم (قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى
 أموالنا ما نشاء) وقوله أو أن نفعل معطوف على ما يعبدوا بمعنى الواو والمعنى هل صلاتك تأمرك
 بتكليفك ان تترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الاوثان وترك فعلنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة
 والنقص روى ان شعيبا كان كثير الصلاة فى الليل والنهار وكان قومه اذ ارأوه يصلى تغامروا
 وتضاحكوا فقصهوا بقولهم أصلاتك تأمرك السخرية (انك لانت الحليم الرشيد) أى كنت عندنا
 مشهورا بأهلك حليم رشيد فكيف تنهانا عن دين ألفينا من آباؤنا (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة
 من ربي) أى علم وهداية ودين ونبوة (ورزقنى منه) أى من عنده باعانتى بلا كد منى (رزقا حسنا) أى
 مالا حلالا فهل يجوز لى مع هذا الانعام العظيم ان أخون فى وحيه وأن أحالفه فى أمره ونهيه وهذا الجواب
 مطابق لقولهم لسيدنا شعيب انك لانت الحليم الرشيد فكيف يليق بك مع حلمك ورشدك أن تنهانا عن
 دين آباؤنا فكان شعيبا قال ان نعم الله تعالى عندي كثيرة وهو أمرنى بهذا التبليغ والرسالة فكيف
 يليق بى مع كثرة نعم الله تعالى على ان أحالف أمره ومعنى الآية على هذا الوجه يا قوم اخبروني ان كنت
 نبيا من عند الله تعالى ورزقنى مالا حلالا أستغنى به عن العالمين أيصح ان أحالف أمره وأوافقكم فيما
 تأتون وما تذرون (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) أى ليس مرادى ان أمنعكم عن التطفيف
 وان أفعله (ان أريد الاصلاح ما استطعت) أى ما أريد الا أن أصلحكم بموعظتى مدة استطاعتى للاصلاح
 لا أقصر فيه والمعنى انكم تعرفون من حالى انى لا أسهى الا فى الاصلاح وازالة الخصومة حتى انكم أقروتم
 بأنى حليم رشيد فلما أمرتكم بالتوحيد وترك ايداء الناس فاعلموا أنه دين حق وانه ليس غرضى منه ايقاع
 الخصومة فانكم تعرفون انى أبغض ذلك الطريق ولا أدور الا على ما يوجب الصلاح به - در طاقى وذلك
 هو الابلاغ والانذار (وما توفيقى) أى ما قدرتى على تنفيذ كل الاعمال الصالحة (الا بالله) أى الابعونه
 وهدايته (عليه توكلت) أى عليه تعالى اعتمدت فى جميع أمورى (واليه انيب) أى عليه أقبل
 (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى) أى لا تكسبنكم معاداتكم لى (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح)
 من الغرق (أوقوم هود) من الريح العقيم (أوقوم صالح) من الصيحة والرجفة (وما قوم لوط منكم
 ببعيد) أى وما خبر اهلاك قوم لوط بالحسف منكم ببعيد فان لم تعتبروا بمن قبلكم من الأمم
 المعدودة فاعتبروا بهم فان بلادهم قريبة من مدين واهلاكهم أقرب الاهلاكات التى عرفها الناس فى
 زمان شعيب (واستغفروا ربكم) عن عبادة الاوثان (ثم توبوا اليه) عن النجس (ان دبري رحيم)
 أى عظيم الرحمة للتائبين (ودود) أى محب لهم (قالوا يا شعيب ما تنقذ كثيرنا مما نكذب
 أى ما نكذب

مرادك وانما قالوا ذلك لانهم لم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى المنع عن طريق الحق كما هو دين المفهم
المحجوج (وانا لنراك فينا) أي فيما بيننا (ضعيفا) أي لا تقدر على منع القوم عن نفسك ان أرادوا
بك سوءا (ولو لا رهطك) أي لولا حرمة قومك عندنا بسبب كونهم على ملتنا (لرجمناك) أي
لقتلناك بالحجارة أو لشتتناك وطردناك (وما أنت علينا بعزير) أي معظم فيسهل علينا قتلك واذا أولك
وانما غتنع من ذلك لرعاية حرمة عشيرتك لموافقهم لنا في الدين لا لقوة شوكتهم (قال) لهم (يا قوم
أرهطى أعز عليكم من الله) والمعنى حفظكم أي رعاية لا من الله تعالى أولى من حفظكم أي رعاية
لحق رهطى فالله تعالى أولى ان يتبع أمره (واتخذتموه راءكم ظهريا) أي جعلتموه الله شيئا منبوا
خلف ظهره منسيلا ليعبأ به (ان ربي بما تعملون) من الاعمال السيئة (محيط) أي عالم فلا يخفى
عليه شيء منها فيجازيكم عليها (و يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على غاية استطاعتكم من ايصال
الشرور الى (ان عامل) بقدر ما آتاني الله تعالى من القدرة (سوف تعلمون من يأتي به عذاب يخزيه
ومن هو كاذب) أي سوف تعرفون الشقي الذي يأتي به عذاب يهلكه والذي هو كاذب في ادعاء القوة
والقدرة على رحم شعيب عليه السلام وفي نسبته الى الضعف (وارتقبوا) أي انتظروا عاقبة ما أقول
(اني معكم رقيب) أي منتظر (ولما جاء أمرنا) أي عذابنا (فنجينا شعيبا والذي آمنوا معه) من ذلك
العذاب (برحمة منا) أي بسبب رحمة كائنة مناهم (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل
والزلزلة أيضا فأهلكوا بها (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) أي ميتين ملازمين لما كنهم (كان لم يغنوا
فيها) أي كأنهم لم يقيموا في ديارهم احياء متردين (ألا بعد المدين) أي هلاك كالقوم شعيب (كما بعدت
عمود) أي كما هلكت قوم صالح أي فأنهم ما أهلكوا بنوع من العذاب وهو الصيحة إلا أن هؤلاء صيغ بهم من
فوقهم وأولئك من تحتهم وهذا في أهل قرية شعيب وأما أصحاب الايكة فأهلكوا بعذاب الظلة وهو نار
زلت من السماء أحرقتهم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) أي ولقد أرسلنا موسى
بالتوراة مع ما فيها من الاحكام وأيدناه بمعجزات قاهرة دالة على صدق نبوته ورسالته (الى فرعون
ولهائه) أي جماعته (فاتبعوا أمر فرعون) أي أمره ياهم بالكفر بموسى ومعجزاته (وما أمر
فرعون برشيد) أي برشد الى خير فانه كان دهر يانا فيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله الا الله وانما يجب
على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم (يقدم قومه) أي يقود
قومه جميعا (يوم القيامة فأورددهم النار) أي ان فرعون كان قدوة لقومه في الضلال وفي دخول البحر
والغرق في الدنيا فكذلك يتقدمهم يوم القيامة في دخول النار والحرق (وبشس الورد المورود) أي
بشس الورد الذي يردونه النار لان الورد اغيار اذ تسكين العطش وتبريد الا كباد والنار على ضد ذلك
(وأتبعوا) أي الملائكة الذين تبعوا أمر فرعون (في هذه) أي في الدنيا (لعنة) من الأمم بعدهم الى يوم
القيامة (ويوم القيامة) أيضا من أهل الموقف قاطبة (بشس الرقد المرفود) أي بشس العون المعان
عونهم أي بشس اللعنة الاولى المعان باللعنة الثانية عونهم وهي اللعنة في الدارين ومميت اللعنة عوننا لانها
اذا تبعتهم في الدنيا أبعدتهم عن رحمة الله واما انتهم على ما هم فيه من الضلال ومميت رقد أي عوننا لهذا
المعنى على التهلكة ومميت معاننا لانها أرفدت في الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديين الى طريق الحق
(ذلك) أي الذي ذكرناه في هذه السورة من القصص السبعة (من أنباء القرى نقصه عليك) أي
ذلك بعض أخبار القرى المهلكة بجناية أهلها مقصوص عليك لتخبر به قومك لعلهم يعتبروا ولا فينزل

بهم مثل ما نزل بالقرى المهلكة (منها) أى القرى (قائم) أى أثر باق (و) منها (حصيد) أى
 ذاهب الأثر فشيء ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما يحى منها بالزرع المحصود
 (وما ظلمناهم) بالعذاب والهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية (فما أغنت عنهم
 آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) أى فما نفعتهم أصنامهم الذين يعبدونها فى
 شئ البتة ولا دفعت شيئا من عذاب الله عنهم حين جاءهم (وما زادوهم غير تبديب) أى وما زادت
 الأصنام عابديها غير اهلاك فان الكفار كانوا يعتقدون فى الأصنام أنها تعين على تحصيل المنافع ودفع
 المضار ثم زال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجاب اليهم ضرر الدنيا والآخرة فكان
 ذلك من أعظم موجبات الحسران وقرئ آلهتهم اللاتى بالجمع ويدعون بالبناء للمجهول (وكذلك
 أخذ ربك إذا أخذ القرى) وقرأ عاصم والجحدري إذا أخذ بالف واحدة (وهى ظالمة) أى ومثل
 ذلك الأخذ المذكور أخذ ربك أهل القرى إذا أخذهم وهم ظالمون أنفسهم بالكفر أى ان كل من
 شارك أو مثل المتقدمين فى فعل ما لا ينبغي فلا بد وان يشاركهم فى ذلك الأخذ (ان أخذه أليم شديد)
 أى وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص (ان فى ذلك) أى القصص السبعة (لآية) أى
 لموعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) فينتفع بسماع هذه القصص ويعلم ان الغادر على انزال عذاب الدنيا
 قادر على انزال عذاب الآخرة فان فى هذه القصص عذاب الدارين وقد حصل عذاب الدنيا (ذلك) أى
 يوم الآخرة (يوم مجموع له الناس) أى يوم فى ذلك اليوم الأولون والآخرون للمعاسبة والجزاء (وذلك
 يوم مشهود) أى يحضر فيه أهل السماء وأهل الأرض (وما تؤخره) أى ذلك اليوم (الا لاجل معدود)
 أى الا لاجل انقضاء وقت محدود وهو مدة الدنيا (يوم يأت) أى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر (لا تكلم
 نفس الا بأذنه) أى الله تعالى فى التكلم والمأذون فى الكلام هو الجوابات الصحيحة والمنعوع عنه هو
 ذكر الاعذار الباطلة (فهم) أى من أهل الموقف (شقي) أى من مات على الكفر وان تقدم منه
 ايمان (وسعيد) أى من مات على الايمان وان تقدم منه كفر (فأما الذين شقوا فى النار) أى
 فستعرون فيها (لهم فيها زفير) أى صوت شديد (وشهيق) أى صوت ضعيف (خالدين فيها ما دامت
 السموات والأرض الا ما شاء ربك) والافى المعنى بمعنى واوالعطف والاستثناء منقطع بـ **يدربك** لكن
 أو بسوى فالعنى دائمين فى النار مثل دوام السموات والأرض منذ خلقت الى أن تبنى وزيادة على هذه المدة
 وهى ما شاء الله مما لا نهاية له (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (وأما الذين سعدوا فى الجنة
 خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك) أى مثل دوام السموات والأرض منذ خلقتا
 سوى ما شاء ربك زائدا على ذلك وهو لا منتهى له (عطاء غير مجدوذ) أى غير مقطوع وعطاء نصب على
 المصدرية أى يعطيهم عطاء وهذا ظاهر فى انه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة وما
 ذكر من ان عذاب الكفار فى جهنم دائم أبدا هو ما دللت عليه الآيات والاخبار وأطبق عليه جمهور الأمة
 سلفا وخلفا ولا ظلم على الله فى ذلك لان الكافر كان عازما على الكفر مادام حيا فعوقب دائما فهو لم يعاقب
 باللائم الاعلى دائما فلم يكن عذابه الاجزاء وفاقا وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم سعدوا بضم السين
 والباقون بفتحها (فلاتك فى سرية عما يعبد هؤلاء) أى فلانك يا أشرف الخلق فى شك من حال ما يعبد
 كفار قريش من الاوثان فى انها لا تنفع لهم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) أى ليس لهم فى
 عبادة الأصنام مستند الا تقليد آباؤهم فانهم أشبهوا آباءهم فى لزوم الجهل والتقليد (وانا لموفوهم نصيبهم

غير منقوص) أى انما عطاها هؤلاء الكفرة ما يخصهم من العذاب ونصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية
 تاما كما أعطينا آباءهم أنصباهم من ذلك (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فاختلف فيه) أى
 فى شأنه فآمن به قوم وكفر به قوم آخرون كما اختلف قومك فى القرآن فلا تحزن فان ما وقع لك وقع لمن قبلك
 (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم) أى لا الحكم الا لى بتأخير العذاب عن امتك الى يوم القيامة
 لا وقع القضاء بين المختلفين من قومك بازال العذاب الذى يستحقه المبطون ليميزوا به عن المحقين (وانهم)
 أى وان كفارة قومك (لفى شك) عظيم (منه) أى القرآن (مريب) أى ظاهرا للشك أو موقع
 فى الشك (وان كلاما يوفينهم ربك أعمالهم) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم ان ولما خففتين
 وأبو عمرو والكسافى شددان وخففا لما وحمة وابن عامر وحناص شددوهما أى وان كل المختلفين فيه
 المؤمنون منهم والكافرون والله لفريق يوفيهم ربك أجزية أعمالهم أو المعنى وان جميعهم والله ليوفينهم
 الآية قالوا وأحسن ما قيل ان أصل لما بالتثنية بمعنى جميعا (انه بما يعملون خبير) أى ان ربك
 بما يعمل كل فرد من المختلفين من الخير والشر عالم لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت (فاستقم
 كما أمرت) أى مثل الاستقامة التى أمرت بها فى العقائد والأعمال والأخلاق فان الاستقامة فى
 العقائد اجتناب التشبيه والتعطيل وفى الأعمال الاحترار عن الزيادة والنقصان وفى الأخلاق التبعاد
 عن طر فى الإفراط والتفريط وهذا فى غاية العسر وعن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى
 النوم فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى هودوا وخواصها فقال نعم فقلت وبأى آية فقال بقوله تعالى فاستقم
 كما أمرت (ومن آت معك) من الكفر وشاركك فى الايمان فمن منصوب على انه مفعول معه أو مرفوع عطف
 على الضمير فى أمرت (ولا تطغوا) أى لا تتحرفوا عما حذر لكم بأفراط أو تفريط فان كلا طرفى قصده
 الأمور ذميم (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) أى ولا تعملوا
 أدنى ميل الى الذين وجد منهم الظلم (فتمسك النار) أى فتصيبكم بسبب ذلك (وما لكم من دون الله
 من أولياء) أى من أنصار ينقذونكم من النار (ثم لا تنصرون) من جهة الله تعالى قال المحققون الركون
 المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم ومشاركتهكم فى شئ من تلك الأبواب فأمامدا خلتهم لدفع
 ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل فى الركون (وأقم الصلاة طرفى النهار) أى غدوة وعشية فالصبح
 فى الغدوة والظهر والعصر فى العشية (وزلفا من الليل) أى ساعات منه قريبة من النهار وهى المغرب
 والعشاء (ان الحسنات) كالصاوات الخمس (يذهبن السيئات) أى يكفرنهن وفى الحديث ان الصلاة
 الى الصلاة كفارة لما بينهن مما اجتنبت الكبائر روى ان أبا اليسر بن عمرو والانصارى قال أتتني امرأة
 تشتري تمرا فقلت لها ان فى البيت تمرا طيب من هذا فدخلت معى البيت فقبلتها فأثبت أبا بكر فذكرت
 ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحد فأثبت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا
 تخبر أحد فلم أصبر حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لى أخنت رجلا غازيا فى
 سبيل الله فى أهله بمنزل هذا وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى نزلت هذه الآية فقرأها على
 فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت (ذلك) أى القرآن (ذكرى للذاكرين) أى عظة للعظمين
 أو ذلك الحسنات كفارات لذنوب التائبين (واصبر) يا أشرف الخلق على مشاق ما أمرت به (فان الله
 لا يضيع أجر المحسنين) أى ان الله يوفى الصابرين أجورا أعمالهم من غير بخس أصلا (فلولا كان
 من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم) والمراد بالتحضيض

النفي أى فما كان من القرون الماضية المهلكة بالعذاب جماعة أصحاب جودة فى العقل وفضل ينهون
 عن الفساد الا قليلا وهم من أنجيناهم من العذاب نهوا عن الفساد (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه)
 أى واتبع الذين تركوا النهى عن المنكرات ما أنعموا من الشهوات واشتغلوا بتحصيل الرياسات وأعرضوا
 عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) أى كافرين فان سبب استئصال الامم المهلكة ففساد الظلم وشروع ترك النهى
 عن المنكرات مع الكفر (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) أى لا يهلك ربك أهل
 القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين فى المعاملات بينهم أى ان عذاب الاستئصال لا ينزل لاجل
 كون القوم معتقدين للشرک بل انما ينزل ذلك اذا أساؤا فى المعاملات وسعوا فى الايذاء للناس وظلم الخلق
 لفرط مسامحته تعالى فى حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوقه تعالى عند تراحم الحقوق (ولو شاء
 ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى أهل ملة واحدة وهى الاسلام بحيث لا يختلف فيه أحد ولا كان لم يشأ
 ذلك (ولا يرآون مختلفين الا من رحم ربك) أى ولا يرآون مختلفين لدين الحق الا قوما قد هداهم الله تعالى
 بفضله اليه فلم يخالفوه (ولذلك خلقهم) أى وللدكر من الاختلاف والرحمة خلق الناس كافة فان الله تعالى
 خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين ومصيرهم النار وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين ومصيرهم الجنة
 (وتعت كلمة ربك) أى ثبت قول ربك (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى من كفارهما
 أجمعين (وكلا) أى كل نبأ (نقص عليك من أنباء الرسل) أى من أخبارهم وما جرى لهم مع قومهم
 (ما نثبت به فؤادك) أى ما تقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتنامى بالرسول الذين خلوا من قبلك
 (وجاءك فى هذه) الانباء المقصورة عليك (الحق) أى البراهين الدالة على التوحيد والنبوة
 (وموعظة) أى تنفير عن الدنيا (وذكرى للمؤمنين) أى ارشاد لهم الى الاعمال الصالحة (وقل للذين
 لا يؤمنون) بهذا الحق (اعملوا على مكانتكم) أى ثابتين على حالتكم وهى الكفر (انا عاملون)
 على حالتنا وهى الايمان أو المعنى افعلوا كل ما تقدررون عليه فى حق من الشرف نحن عاملون على قدرتنا
 والمراد بهذا الامر التهديد (وانظروا) ما يعدكم الشيطان به من الخذلان (انا منتظرون) ما وعدنا
 الرحمن من أنواع الغفران والاحسان (ولله غيب السموات والأرض) فان علمه تعالى نافذ فى جميع
 الكليات والجزئيات والحاضرات والغائبات عن العباد (واليه يرجع الامر كله) أى أمر الخلق كلهم
 فى الدنيا والآخرة (فاعبدوه) أى فاشتغل بالعبادات الجسدانية والروحانية أما العبادات الجسدانية
 فأفضل الحركات الصلاة وأكل السككات الصيام وأنفع البر الصدقة وأما العبادات الروحانية فهى الفكر
 والتأمل فى عجائب صنع الله تعالى فى ملكوت السموات والأرض (وتوكل عليه) أى ثق به تعالى فى
 جميع أمورك فإنه كافيك (وما ربك بغافل عما تعملون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب
 أى فإنه تعالى لا يضيع طاعات المطيعين ولا يهمل أحوال المتمردين الجاحدين وذلك بأن يحضروا فى
 موقف القيامة ويحاسبوا على النقيير والقطمير ويعانبوا فى الصغير والكبير ثم يحصل عاقبة الامر
 فريق فى الجنة وفريق فى السعير

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وهى مائة واحدى عشرة آية وألف وتسعمائة﴾

وست وتسعون كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفا ﴿﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وعن ابن عباس انه قال سألت اليهود والنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا احذثنا عن

أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فنزلت هذه السورة (الرتلك آيات الكتاب المبين) أي تلك الآيات التي نزلت إليك في هذه السورة المسماة الر هي آيات الكتاب المبين وهو القرآن الذي بين الهدى وقصص الأولين (انا أنزلناه) أي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه (قرأنا عرييا لعلكم تعقلون) أي لكي تفهموا معانيه في أمر الدين فتعلموا أن قصه كذلك عن لم يتعلم القصص مجزلا يتصور إلا بالإنحاء (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بسبب إحيائنا إليك يا أكرم الرسل هذه السورة لما فيه من العبر من أنه لا مانع من قدر الله تعالى وأن الحسد سبب للخذلان وأن الصبر مفتاح الفرج (وان كنت من قبله) أي وانه أي الشأن كنت من قبل إحيائنا إليك هذه السورة (لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تحظر بك ولم تفرع معك قط (اذ قال يوسف) منصوب بقال يا بني أي قال يعقوب يا بني وقت قول يوسف له كيت وكيت أو بدل من أحسن القصص بدل اشتمال (لأبيه) يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام (يا أبت اني رأيت) في منام النهار (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) قال وهب رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت من كوزة في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى ابتلعتها فذلك لأبيه فقال يا ك أن تذكر هذا لأخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصصها على أبيه فقال لا تذكرها لهم فيبغوا لك الغوائل روى عن جابر رضي الله عنه أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رأى يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لليهودي إذا أخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال جبريل والطارق والذبال وقابس وعمودان والغليق والمصبح والضروخ والفرغ ووثاب وذوالكتفين وآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي أي والله أهلا لها وها (قال) أي يعقوب ليوسف في السر (يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا) أي فيفعلوا لأجل هلاكك كيدا خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته (ان الشيطان للانسان) أي لبني آدم (عدو مبين) أي ظاهر العداوة فلا يقصر في اضلال أخوتك وحملهم على الحسد وما لا خير فيه كما فعل بآدم وحواء وأخوة يوسف الذين يخشى غوائلهم الا أحد عشر هم يهودا ورييل وشعمون ولاوي ورياحون ويشجرون وبنو لاوي بنو يعقوب من ليابنت خالته ودان ونفتالي وجاد وأشرف هؤلاء بنوه من مريمين زلفة وبلهة وأما بنيامين فهو شقيق يوسف وأمه مراحيل التي تزوجها يعقوب بعد وفاة أختها ليا (وكذلك) أي كما اجتنبك لهذه الرؤية الدالة على كبر شأنك (يجتنبك ربك) للنبوة (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أي تعبير الرؤيا اذهي أحاديث الملك ان كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة (ويتم نعمته عليك) بسعادات الدنيا والآخرة أما سعادات الدنيا فلا كثر من الأولاد والخدم والأتباع والتوسع في المال والجاه والاجلال في قلوب الخلق وحسن الثناء وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والخلق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أي أولاده (كما أتمها) أي نعمته (على أبويك من قبل) أي من قبل هذا الوقت (إبراهيم وإسماعيل) عطف ببيان لأبويك (ان دبك علم حكيم) فالله أعلم حيث يجعل رسالته ومقدس عن العبث فلا يضع النبوة إلا في نفس قدسية وهذا يقتضي حصول النبوة لأولاد يعقوب وأيضا ان رؤية يوسف أخوته كواكب دليل على مصير أمرهم

الى النبوة فان الكواكب يهتدى بانوارها وكانت تأويلها بأحد عشر نفسا لهم فضل يستضيء بعلمهم
ودينهم أهل الارض لانه لا شئ أضوء من الكواكب وأماما وقع منهم في حق يوسف فهو قبل النبوة
فالعصبة من المعاصي انما تعتبر وقت النبوة لا قبلها على خلاف في ذلك (لقد كان في يوسف واخوته)
أى في قصتهم (آيات) أى عبرات (للسائلين) أى لكل من سأل عن قصتهم وعرفها أو للطلابين
للآيات المتعبرين بها فانهم المنتفعون بهادون من عدتهم (اذ قالوا) أى بعض العشرة لبعضهم (ليوسف
وأخوه) الشقيق بنيا من بكسر الباء وفتحها (أحب الى أينا منا ونحن عصبة) أى والخالنا جماعة
قائمون بدفع المفاسد والآفات مستغلون بتحصيل المنافع والخيرات وقائمون بمصالح الاب فممن أحق
بزيادة المحبة منهما لفضله بذلك وكوننا أكبر سنا ونقل عن على رضى الله عنه انه قرأ ونحن عصبة
بالنصب (ان أبانا في ضلال) عن راية المصالح في الدنيا (مبين) أى ظاهر الحال وانما خصص
على يوسف أبوه بالبر لانه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجابة ما لم يجد في سائر الاولاد ولانه وان
كان صغيرا كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى مما كان يصدر عن سائر الاولاد قال شمعون
ودان والباقيون كانوا راضين الامن قال لا تقتلوا الخ (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) يحصل
اليأس من اجتماعه مع أبيه (يخل لكم وجه أبيكم) أى يقبل عليكم أبوكم بكليته ولا يلتفت الى
غيركم (وتكونوا من بعده) أى من بعد يوسف من قتله وتغريبه في أرض بعيدة (قوما صالحين)
أى تائبين الى الله تعالى من السكائر ومتفرغين لاصلاح أمور دنياكم وصالحين مع أبيكم باصلاح
ما بينكم وبينه (قال قائل منهم) أى من اخوة يوسف هو يهودا فانه أقدمهم في الرأي والفضل وأقربهم
الى يوسف سنا (لا تقتلوا يوسف) وقال قتادة القاتل لاخته روبيل حتى قال القتل كبيرة عظيمة
(والقوه في غيابة الجب) أى في قعره وقرأ نافع غيابات بالجمع في الموضعين قال قتادة الجب هنا هو بئر بيت
المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال ابن زيد هو بحيرة طبرية (يلتقطه بعض السيارة) أى
يرفعه بعض طائفة تسير في الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتى ولم يقطع القول عليهم بل انما عرض
عليهم ذلك تأليفا لقلوبهم وحذرا من نسبتهم له الى الاقتيات أو ان كنتم فاعلين ما عزمتم عليه من ازالته من
عند أبيه ولا بد فافعلوا هذا القدر أى القاء في البئر والاولى أن لا تفعلوا شيئا من القتل والتغريب (قالوا)
لا بينهم اعمالا للحيلة في الوصول الى مقاصدهم مستفهمين على وجه التعجب لانه علم منهم السوء وهذا مبني
على مقدمات محذوفة وذلك أنهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا الى الصحراء الى مواشينا فنستبق ونصيد
وقالوا له سل أباك أن يرسلنا معنا فسأله فتوقف يعقوب فقالوا له (يا أبانا مالك لا تأمننا على يوسف) أى
أى شئ ثبت لك لا تجعلنا أمنا عليه مع أنه أخونا وأنتك أبونا ونحن بنوك (و) الحال (اننا لناسحمون)
أى لعاطفون عليه قائمون بعصمته وحفظه أى هم أظهروا عند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف وفي
غاية الشفقة عليه (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (يرتع) أى يتسع في أكل الفواكه ونحوها
(ويلعب) بالاستباق والاتصال تمرينا للقتال الاعداء وبالأقدام على المباحات لأجل انشراح الصدر
لألله وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي بعثنا تحتية على اسناد الفعل ليوسف لانهم سألو ارسال يوسف
معهم ليفرح هو باللعب لا ليفرحوا به (واناله لحافظون) من أن يناله مكروه (قال ان ليحزننى أن
تذهبوا به) أى ليؤلم قلبي ذهابكم به لاني لا أصبر عنه ساعة (وأخاف أن يأكله الذئب) لكثرة الذئب
في تلك الارض (وأنتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالتساعى الملاذ ونحو التناضل (قالوا) لا بينهم

(ان اكله الذئب وفمن عصبه) أى جماعة كثيرة عشرة تكفى الخطوب بأرائنا (انا اذا) أى اذ لم
نقدر على حفظ أخينا (الخاسرون) أى لقوم عاجزون وهذا جواب عن عذر يعقوب الثانى وأما عذره
الاول فلم يجيبوا عنه لكون غرضهم إيقاعه فى الحزن ولكون حقدهم بسبب ذلك العذر وهو شدة حبه له
فتغافلوا عنه (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب) أى فأرسله معهم فلما ذهبوا به وعزموا
على جعله فى ظلمة البئر فجعلوه فيها قال السدى يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته أظهر وأله العداوة
الشديدة وجعل هذا الاخ يضربه فيستغيث بالأخ فيضربه ولا يرى فيهم رجما فضر به حتى كادوا يقتلونه
وهو يقول يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابتك لا بكاك فقال يهوذا أليس قد أعطيتهم موني موثقا أن لا تقتلوه
فانظروا به الى الجب يدونه فيه وهو متعلق بشفير البئر فترفعوا فيصه وكان غرضهم أن يلطخوه بالدم
ويعرضوه على يعقوب فقال لهم ردوا على قميصي لا توارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
لتؤنسك ثم دس في البئر حتى اذا بلغ نصفها ألقتوه ليموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى حفرة فقام
بها وهو يبكي فنادوه فظن ان رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرفعوه به حفرة فقام يهوذا فذمهم من ذلك
وكان يهوذا يأتيه بالطعام وبقى فيها ثلاث ليال وروى أنه عليه السلام لما ألقى فى الجب قال يا شاهدا
غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا وروى أن ابراهيم
عليه السلام لما ألقى فى النار جرد عن ثيابه فجاء جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه اياه
فدفعه ابراهيم الى الحق ودفعه الحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تيممة وعلقها فى عنق يوسف فجاءه
جبريل فأخرجته من التيممة وألبسه اياه وروى أن جبريل قال له اذا رعبت شيئا فقل يا صريح
المستعرجين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكر وبين قدرى مكاني وتعلم حالى ولا يخفى عليك
شي من أمرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس فى الجب (وأوحينا اليه) فى الجب ازالة
لوحيته عن قلبه وتبشير اله بماية ول اليه أمره وكان ابن سبع عشرة سنة (لتنبئهم بأمرهم هذا) أى
لتخبرن يا يوسف اخوتك بصنيعهم هذا بك بعد هذا اليوم (وهم لا يشعرون) فى ذلك الوقت أنك يوسف
حتى تخبرهم لعلو شأنك وبعد ذلك عن أو هامل والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص عن هذه
الحنة ويصيرون تحت قهره وقدرته (وجاؤا بأهمل عشاء يبيكون) أى لما طرحوا يوسف فى الجب
رجعوا الى أبيهم وقت العشاء فى ظلمة الليل متباكين وقرئ عشيا بالتصغير لعشى أى آخر النهار وقرئ
عشى بالضم والقصر جمع أعشى فعند ذلك فرع يعقوب وقال هل أصابكم فى غنمكم شي قالوا لا قال وأنى
يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أى يسابق بعضنا بعضا فى الرعى وروى أن فى قراءة عبد الله
انا ذهبنا نتفضل (وتركا يوسف عند متاعنا) من ثياب وأزواد وغيرهما المحفوظة (فأكله الذئب
وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لنا فى هذه المقالة (ولو كنا صادقين) أى ولو كنا عندك موصوفين
بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سئ الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قميصه)
أى فوق قميص يوسف (بدم كذب) أى بدم ملابس لكذب وقرئ كذبا على أنه حال من الضمير أى جاؤا
كاذبين أو مفغول له وقرأت عائشة رضى الله عنها بدم كذب بالبدال المهمة أى كدرا وطرى (قال بل
سولت لكم أنفسكم أمرا) أى قال يعقوب ليس الامر كما تقولون بل زينت لكم أنفسكم أمرا غير
ما تصفون قيل لما جاؤا على قميصه بدم جدى وقد ذهلوا عن خرق القميص فلما رأى يعقوب القميص
مصحفا قال كذبتكم لوأكله الذئب لخرق قميصه وقال بعضهم بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا

قيصه وهم الى قيصة أحو ج منه الى قتله وقيل انهم أتوه بذئب وقالوا هـ ذاً كلف قال يعقوب أيها الذئب
 أنت أكلت ولدي وثمره فوادي فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما أكلت ولدك ولا رأيت قط ولا يحل لنا
 أن نأكل لحوم الانبياء فقال له يعقوب فكيف وقعت في أرض كنعان قال جئت لصلة الرحم قرابة لي
 فأخذوني وأتوا بي الليل فأطلقه يعقوب (فصبر جميل) أي فصبري صبر جميل أو فصبر جميل أولى من
 الجزع وهو أن لا يشك في البلاء لا حد غير الله تعالى (والله المستعان) أي المطلوب منه العون (على
 ما تصفون) أي على تحمل ما تصفون من هلاك يوسف وكان الله تعالى قد قضى على يعقوب أن يوصل
 اليه ثلاث الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليكثر رجوعه الى الله تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا
 فيصل الى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول اليها الا بتحمل المحن الشديدة والله أعلم (وجاءت
 سيارة) أي رفقة تسير من جهة مدين يريدون مصر فأخطأ الطريق فانطلقوا يهيمون في الأرض حتى
 رقعوا في الأرض التي فيها الحب وهي أرض دوشن بين مدين ومصر فنزلوا عليه (فأرسلوا واردهم) أي
 ساقبهم ليطلب لهم الماء وهو من يهيئ الارشية والدلاء فيتقدم الرفقة الى الماء يقال له مالك بن دعر الخزاعي
 ابن أخي سيدنا شعيب عليه السلام وهو رجل من العرب من أهل مدين (فأدلى دلوه) أي فأرخى دلوه
 في جب يوسف فتعلق هو فلم يقدر الساقى على نزعه من البئر فنظر فيه فرأى غلاما قد تعلق بالدلو فنادى
 أصحابه (قال يا بشرى) أي يا أصحابي وقال الاعشى انه دعا امرأة امهها بشرى وقال السدي انه نادى
 صاحبه واسمه بشرى كما قرأه حمزة وعاصم والكسائي بغير ياء المتكلم بعد الالف المقصورة وقال أبو علي
 الفارسي والوجه أن يجعل البشرى اسما للبشارة فنادى ذلك بشارة لنفسه كأنه يقول يا أيها البشرى هذا
 الوقت وقتك ولو كنت ممن يخاطب الخوطب الآن ولامرت بالحضور ويدل على هذا قراءة الباقيين يا بشرى
 بفتح ياء المتكلم بعد الياء على الاضافة قالوا ما ذلك يا مالك قال (هذا غلام) أحسن ما يكون من الغلمان
 فكان يوسف حسن الوجه جعد الشعر خنم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعد
 والعضدين والساقين خيمص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحه واذا تكلم ظهر
 من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه اه فاجتمعوا عليه فأخرجوه من الحب بعده كنه فيها ثلاثة أيام
 (وأسروه بضاعة) أي أخفوه حال كونه متاعا "تجارة أي كتم الوارد مالك وأصحابه من بقية القوم ذلك
 لأنهم قالوا ان قلنا للسيارة التقطناها شاركونا فيه وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالأصوب ان نقول
 ان أهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان يبيعه لهم بمصر (والله أعلم بما يعملون) أي بما ينشأ من
 عمل اخوة يوسف ليوسف من ايقاعه في البلاء الشديد وهو سبب لوصوله الى مصر ولتنقله في أحوال الى
 ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم فرحم الله به العباد والبلاد (وشروه) أي باع يوسف
 من استخسر جوه من البئر (بثن بخس) أي حرام (دراهم معدودة) فانهم في ذلك الزمان كانوا
 لا يزنون ما كان أقل من أربعين دينارا (وكانوا) أي البائعون (فيه) أي في يوسف (من الزاهدين)
 أي من الذين لا يرغبون لأنهم خافوا ان يظهر المستحق فينزعه من يدهم فكذلك باعوه من أول مساوم
 بأوكس الاثمان (وقال الذي اشتراه من مصر) أي في مصر من مالك بن دعر وكان اشتراؤه بعشرين
 درهما وحلة ونعلين فالذي اشتراه في مصر هو قطيفر خازن الملك الريان بن الوليد وهو صاحب جنوده وقد
 أمن الملك بيوسف ومات في حياة يوسف عليه السلام فلما بعد قايوس بن مصعب فدعا يوسف الى
 الاسلام فأبى واشترى ذلك الوزير وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره

ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لأمراءاته) زليخا وقال ابن أمحق اسمها راعيل بنت رعيائيل (أكرمي مثواه) أي اجعلي منزله عندك كريما حسنا مرضيا والمعنى أحسنني تعهده (عسى أن ينفعنا) أي يقوم بإصلاح مهماتنا (أو فتخذه ولدا) أي نتبناه وكان قطفيرا يأتي النساء (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أي وكما نجينا يوسف من القتل والجلب وجعلنا في قلب الوزير حنوا عليه نعطيته مكانة أي رتبة عالية في أرض مصر (ولنهله من تأويل الأحاديث) أي تعبير بعض المنامات التي أعظمها رؤيا الملك وصاحب السجين وهذا عطف على مقدر متعلق بمكنا أي جعلنا يوسف وجيها بين أهل مصر ومحبيها في قلوبهم لينشأ منه ما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنهله بعض تأويل الرؤيا (والله غالب على أمره) أي أمر نفسه لأنه فعال لما يريد لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في أرضه وسماؤه (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) أن الأمر كله لله وأن قضاء الله غالب فمن تأمل في أحوال الدنيا عرف ذلك (ولما بلغ أشده) وهو ما بين الثلاثين والأربعين (آتيناه حكما وعلما) أي حكمة عملية وحكمة نظرية وانما قدم الحكمة العملية هنا على العملية لأن أصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية وأما أصحاب الأفكار العقلية والانتظار والوحانية فانهم يصلون إلى الحكمة النظرية أولا ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه السلام هو الأول لأنه صبر على البلاء والمحنة ففتح الله تعالى عليه أبواب المكاشفات (وكذلك) أي مثل ذلك الجزء العجيب (نجزى المحسنين) أي كل من يحسن في عمله وعن الحسن من أحسن عبادة ربه في شيبته آتاه الله الحكمة في اكتماله (وراودته التي هو في بيتهما عن نفسه) أي طلبت زليخا من يوسف أن يجامعها (وغلقت الأبواب) أي أبواب البيت السبعة ثم دعتة إلى نفسها (وقالت هيت لك) قرأنا فاع وابن عامر في رواية ابن ذكوان هيت بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت بضم التاء وفتحها مع فتح الهاء وقرأ هشام بن عمار عن أبي عامر هيت بكسر الهاء وبالهزمة الساكنة وضم التاء والباقون بفتح الهاء واسكان الياء وفتح التاء وإن قرأ هيت بفتح الهاء والتاء أو ضم التاء فنعناه تعال وبادرنا لك وإن قرأت بكسر الهاء ثم بالهزمة الساكنة وضم التاء فنعناه تهيأت لك (قال) يوسف (معاذ الله) أي أعوذ بالله معاذما تدعينني إليه (انه) أي الشأن العظيم (ربي) أي سيدي العزيز (أحسن مثواي) أي تعهدني حيث أمرتك بأكرامى فلا يليق بالعقل أن أجازيه على ذلك الاحسان بالحياة في حرمة (انه) أي الشأن (لا يفلح الظالمون) أي المجازون للاحسان بالاساءة (ولقد همت به وهم بها) أي قصدت زليخا مخالطة يوسف مع التمهيم وقصد مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب لا بقصد اختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمذح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض أهل الحقائق الهم قسمان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضا مثل هم امرأة العزيز فإلعبس ما أخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل (لولا أن رأى برهان ربه) أي لولا أن أيقن بحجته ربه الدالة على كمال قبح الزنا وجواب لولا محذوف أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي لكنه حيث كان البرهان الذي هو الحكم والعلم حاضر لديه حضور من يراه بالعين فلم يهمل أصلا والحاصل أن هذا البرهان عند المحققين المثبتين لعصمة الانبياء هو

حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب والمراد برؤية البرهان حصول الاخلاق
 الحميدة وتذكير الاحوال الرادعة لهم عن الاقدام على المنكرات وقيل ان البرهان هو النبوة المانعة
 من اتيان الفواحش وقيل انه عليه السلام رأى مكتوباً في سقف البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
 وسامسيلاً وأما الذين نسبوا المعصية الى يوسف فقالوا انه رأى يعقوب عاضاً على ايهامه أو هتف به هاتف
 وقال له لا تعمل عمل السفهاء واسمك في ديوان الانبياء أو تمسك له يعقوب فضرب في صدره فخرجت منه
 من أنامله أو رأى كفاً من غير ذراع مكتوباً فيه ومات عملون من عمل الاكنا عليكم شهود الآية (كذلك)
 أي مثل ذلك التثبيت ثبته (لنصرف عنه السوء) أي مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة
 (والفحشاء) أي الزنا (انه من عبادنا المخلصين) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام في
 جميع القرآن أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى والباقون بفتح اللام أي الذين اختارهم الله لطاعته بان
 عصمهم عما هو قاذح فيها أو أخلصهم من كل سوء (واستبقا الباب) أي تسابعا الى الباب البراني الذي هو
 المخلص فان سبق يوسف فتح الباب للخروج وان سبقت زليخا أمسكت الباب لمنع الخروج (وقد تقيصه
 من دبر) أي شقت قيص يوسف من خلف بنصفين من وسطه الى قدميه فغلها يوسف وخرج وخرجت
 خلفه (والغياسيدها) أي صادفاز وجهها قطير (لدى الباب) أي البراء روى كعب رضي الله عنه أنه
 لما هرب يوسف عليه السلام صار فراس القفل يتناثر حتى خرج من الابواب (قالت) روجه خائفة من
 التهمة (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) قيل ان يوسف أراد ان يضربها ويدفعها عن نفسه وكان ذلك
 بالنسبة اليها جارياً مجرى السوء فذكرت كلامهم سماً ثم خافت ان يقتله العزير وهي شديدة الحب له
 فقالت (الا أن يسجن أو عذاب أليم) أي ليس جزاؤه الا السجن أو الضرب الجميع وانما بدأت بذكر
 الضرب لان الحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن يوماً أو اقل على سبيل التخفيف أما
 الحبس الطويل فلا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين (قال هي راودتني عن
 نفسي) ولم يقل هذه ولا تلك لفرط استحيائه وهو أدب حسن حيث أتى بلفظ الغيبة ولم يكن يوسف يريد أن
 يهتك سترها ولو كان لما طخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فصرح بالامر فقال هي طالبتني
 للواتاة (وشهد شاهد من أهلها) وهو ابن داية زليخا وابن خال لها وكان عمره شهرين أنطقه الله تعالى
 لبراءة يوسف وروى أن العزير اشترى يوسف بوزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه لؤلؤاً ووزنه مرجاناً ووزنه
 مسكاً ووزنه عنبراً فلما ذهب به الى البيت شغفت به زليخا فقالت لحاضنتها ما الحيلة فقالت لها يا سيدتي
 لو نظر اليك لكان أسرع حياً منك اليه ولو رأى حسنك وجمالاً وصفاء لونك ما قرله قرار دونك فقالت
 وكيف ذلك فقالت مكنتني من الاموال فقالت خرائتي بين يديك اخذني ماشئت لا حساب عليك وأمرت
 باحضار أهل البناء والهندسة وقالت أريد بيتاً يرى الوجه في سقفه وفي حيطانه كما يرى في المرأة المصقولة
 فما لو انهم قبضوا لها بيتاً سمته القيطون فلما تم دعت المصور وأمرته بصنع سرير من ذهب مرصع بالجواهر
 والياقوت وفرشته بالديباج والسندس وصورت صورة يوسف وزليخا متعانقين ثم زينت زليخا وخرجت
 الى يوسف مستجملة وقالت يا يوسف أجب سيدتك فأنما تدعوك في بيتها القيطون وكان جميعاً مطيعاً
 وكان بيده قضيب من ذهب يلعب به فرماه وأمره لبا ببيت فلما وضع قدمه الواحدة أحس قلبه بالشر
 وأراد الرجوع فأسرعت زليخا اليه وجرته للسري فغمض عينيها وأطرق رأسه وبكا حياً من الله تعالى
 وراودته عن نفسه فأبى فقالت له لم تخالف أمرى فقال خوفاً من الله وأكراماً للسيد الذي أحلني محل

أولاده فقالت أما الهلك فانا أعطيتك جميع الاموال تصدق بهال بك ليغفر لك هذا الذنب وأما سيدك فانا
أطعمه السم حتى يتهرى لجهنم وأكون أنا وأموالي ملسك فقام وبادر الى الباب من غير أن يكون بينه وبينها
سبب من الاسباب فحذبت به من رقت قيصة من خلفه وهو فارة واقف ذلك الوقت أن العزيز مر بالباب فنظر
العزيز لئلا يخاف آهنا من رينة حاسرة عن وجهها ونظر الى يوسف فراء منكس الرأس بأكي العين فوقف
متحيرا في أمرهما ينظر اليه مرة واليهامرة فقالت له ان غلامك هذير يد أن يخونك في أهلك أي شيء
جزاؤه أن يسجن أو عذاب أليم فقال له العزيز يا يوسف ما كان هذا جزائي منك أحلتك محل أولادي
وتخونني في أهلي فقال يوسف عليه السلام ان لي شاهدا يشهد لي بالبراءة فقال له أين الشاهد وليس معك
في البيت ثالث فقال هذا الطفل يشهد لي بالبراءة فأوحى الله لجبريل أن اهبط على الطفل وشق لسانه حتى
يشهد لعبد يوسف بالبراءة فعند ذلك تخلف الطفل وقال أيها الملك ان عندى في أمرك هذا مالك فيه فرج
ومخرجا أنظر الى قيصة الغلام العبراني (ان كان قيصة قدم من قبل) أي شق من قدام (فصدقت) أي
فقد صدقت المرأة (وهو من الكاذبين) في قوله هي راودتني (وان كان قيصة قدم من دبر) أي من
خلف (فكذبت) أي فقد كذبت المرأة في دعواها (وهو من الصادقين) في قوله هي راودتني (فلم
رأى) أي زوجها (قيصة قدم من دبر قال) لها زوجها قطير وقد قطع بصدقه وكذبها (انه) أي هذا
القذف له في ضمن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا (من كيد كن) أي من جنس مكر كن أيتها النساء
(ان كيد كن عظيم) لان لمن في هذا الباب من الخيل مالا يكون للرجال ولان كيدهن في هذا الباب
يورث من العار مالا يورثه كيد الرجال (يوسف أعرض عن هذا) أي يا يوسف أعرض عن ذكر هذه
الواقعة حتى لا يمتشر خبرها ولا يحصل العار العظيم بسببها واكتف فقد ظهر صدقك ونزاهتك (واستغفري)
يا زليخا (لذنبك) الذي صدر عنك أي توب الى الله تعالى تارميت يوسف به وهو بري منه (انك كنت)
بسبب ذلك (من الخاطئين) في هذا القول الذي لا يليق بمقام الانبياء وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى
بهذا القدر من مؤاخذتها وكان قليل الغيرة بل قال في البحران تربة مصر تقتضي هذا ولهذا لا ينشأ فيها
الاسد ولو دخل فيها يبقى ثم أخبرت زليخا بعض النساء بما حصل لها وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن بل
أشعن الامر (وقال نسوة في المدينة) أي أشعن الامر في مصر (امرأة العزيز) أي الملك قطير
(تراودفتها عن نفسه) أي وقال جماعة من النساء وكن خساوهن امرأة صاحب دواب الملك وامرأة
صاحب مخبئه وامرأة خبازه وامرأة صاحب مطبخه وامرأة ساقية فتحدثن فيما بينهن وقلن امرأة العزيز
تراود عبدك الكنعاني عن نفسه وهو يعتنق منها (قد شغفها حبا) أي قد شق فتاها شغاف قلبها من
جهة الحب وقرأ جماعة من العصاة والتابعين شغفها بالعين المهمة أي قد أحرق حبا فتاها حجاب قلبها
والمعنى ان اشتغالها بحبه صار حجابا بينها وبين كل ماسوى هذه المحبة فلا يخطر ببالها الا هو (انا تراها في
ضلال مبين) أي انا نعلمها في ضلال واضح عن طريق الرشد بسبب حباها (فلما سمعت بمكرهن) أي
قولهن المستدعي لنظرهن الى وجه يوسف (أرسلت اليهن) أي أرادت اظهار عذرهما فأتخذت مادة
ودعت أربعين امرأة من أشراة مدينتهما فيهن الخمس المذكورات (وأعتدت) أي أحضرت (لهن
متكا) أي وسائد يتكئن عليها هذا ان قرأت مشددة فان قرأت مخففة فعناها الترجمة فانهم كانوا
يتكئون على المسائد عند الطعام والشراب والحديث على عادة المتكبرين ولذلك جاء النهي عنه في
الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا (وأتت) أي أعطت (كل واحدة منهن سكيناً)

لأجل أكل الفاكهة واللحم لأنهم كانوا لا يأكلون من اللحم إلا ما يقطعون بسكاكينهم (وقالت) أي زليخا
 ليوسف وهن مشغولات بأعمال الخناجر في الطعام (أخر ج عليهن) أي ابر زلهن ومر عليهن فان يوسف
 عليه السلام ما قدر على مخالفتها خوفا منها (فلما رأيته أكبره) أي أعظمته وهبته ودهشن عند رؤيته
 من شدة جماله وقيل معنى أكبرن أي حضن والهاء أمال السكت أو ضمير راجع إلى يوسف على حذف اللام
 أي حضن له من شدة الشبق وأيضا ان المرأة اذا فزعت فرعها أسقطت ولدها لحاضت ويقال أكبرت المرأة
 أي دخلت في الكبر وذلك اذا حاضت لانها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر (وقطعن أيديهن)
 أي جرحن أيديهن حتى سال الدم ولم يجدن الألم لفراط دهشتهم وشغل قلوبهن بيوسف (وقلن حاش لله)
 أي تنزيها لله تعالى من العجز حيث قدر على خلق جميل مثل هذا (ما هذا بشرا) أي ليس يوسف آدميا
 وقرأ ابن مسعود ما هذا بشر بالرفع وقرئ ما هذا بشري أي ما هو بعبد عاقل للبشر حاصل بشرا (ان هذا
 الاملاك كريم) على الله فانه قد ثبت في العقول انه لا شيء أحسن من الملك كما ثبت فيها أن لا شيء أقبح من
 الشيطان وقيل ان النسوة لما رأين يوسف لم يلبثت اليهن البتة ورأين عليه هيبة النبوة والرسالة وسميا
 الطهارة قلن انما رأينا فينا فيه أثر من آثار الشهوة ولا صفة من الانسانية فهذا قد تطهر عن جميع الصفات
 المغروزة في البشر وقد ترقى عن حد الانسانية ودخل في الملكية (قالت) أي زليخا لهن (فذلكن
 الذي لم تنني فيه) أي فهذا الذي تريه هو ذلك العبد الكنعاني الذي عيبتني في الاقتتان به قبل أن
 تتصوره حق تصوره ولو حصلت صورته في خيالك لتركته هذه الملامة (ولقد راودته عن نفسه)
 حسبما سمعتن وقلتن (فاستعصم) أي فامتنع عني بالعفة (ولئن لم يفعل ما أمره) أي ان لم يفعل
 يوسف مقتضى أمرى اياه من قضاء شهوتي (ليسجنن) أي ليعاقبن بالحبس (وليكونن من الصاغرين)
 أي من الذليلين في السجن فقلن ليوسف أطع مولاتك (قال) أي يوسف مناجيا لربه عز وجل (رب
 السجن أحب إلى) أي يارب دخول السجن أحب عندي (عما يدعونني اليه) من مواعاتها التي تؤدي
 إلى الشقاء والعذاب الاليم (والا تصرف عني كيدهن) بالثبوت على العصمة فان كل واحدة منهن
 كانت ترغب يوسف على موافقة زليخا وتخوفه على مخالفتها (أصب اليهن) أي أمل إلى اجابتهن على قضية
 الطبيعة البشرية وكم القوة الشهوية (وأكن من الجاهلين) أي وأصر من الذين لا يعملون بعلمهم
 (فاستجاب له ربه) دعاء الذي في ظمن قوله واللاتصرف عني الخ فان فيه التجاء إلى الله تعالى جريا على
 سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الحيرات وطلب النجاة من الشر ورعى جناب الله تعالى كقول
 المستغيث أدركني والآه لك (فصرف عنه كيدهن) حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة حتى
 وطن نفسه على مشقة السجن (انه هو السميع) لدعاء المتضرعين اليه (العليم) للنيات فيجب
 ما طاب منه العزم (ثم بداهم من بعد ما رآوا الآيات) أي ثم ظهر للعزیز وأصحابه المشاركون له في الرأي
 من بعد ما رآوا الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القميص من دبر وقطع
 النساء أيديهن مجننه عليه السلام قائلين والله (ليسجننه حتى حين) أي إلى انقطاع مقالة الناس في
 المدينة فان زليخا لما أيسر من يوسف بجميع حيلها كي تحمله على موافقة مرادها قالت لزوجهان
 هذا العبد العبراني فضمني في الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه فامان تاذن لي فأخرج وأعتذر اليهم
 واما أن تسجننه فمجننه (ودخل معه السجن فتيان) أي عبدان للملك مصر الكبير وهو الريان بن اوريد
 العمليق مهي أحدهما وهو صاحب شرابه سرهم وسهي الآخر وهو صاحب مطبخه برهم وقيل اسم الاول

مرطش والثاني رأسان وسبب مجنهما ان جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهم رشوة على ان يسما الملك في طعامه وشرا به فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى ندم ورجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الخبز بين يدي الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من الطعام فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة ففعلت كما أمر به فاتفق انهما دخلا مع يوسف فلما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني أعبر الاحلام (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (اني أراني أعصر خمرا) أي اني رأيت نفسي أعصر عنباً واسقى الملك (وقال الآخر) وهو الخباز (اني أراني) أي رأيتني (أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبشاً وتأويله) أي اخبرنا بتفسير رؤيانا (انا نراك من المحسنين) أي من العالمين بتفسير الرؤيا ومن المحسنين الى أهل السجن فيسليهم ويقول اصبروا وابشروا توخر وافعالوا بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى فقال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت خلعت سبيلك ولكني أحسن جوارك واخترت بيوت السجن شئت أي ان الساقى قال لسيدنا يوسف أيها العالم اني رأيت في المنام كافي في بستان وفيه شجرة عنب فيها ثلاثة أغصان وعليها ثلاثة عناقيد من العنب فخذتها وكان كأس الملك في يدي فعصرتها وسقيت الملك فشربه وقال الخباز اني رأيت في المنام كافي أخرج من مطبخ الملك وعلى رأسي ثلاث سلال من الخبز فوقع طير على أعلاها وأكل منها ولما قصصا عليه الرؤيا كره ان يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما فيها من المكر وه لا حد ما فاعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد دلالة علم ان أحدهما هالك فأراد ان يدخله في الاسلام فبدأ باظهار المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) أي لا يأتيكما طعام ترزقانه في منزلكما على حسب عادتكما المطردة الا أخبرتكما بعاقبته فهو يفيد الصحة أو السقم وبلونه وجنسه (قبل أن يأتيكما) وكيف لا أعلم تعبير رؤياكما وهذا راجع الى ان يوسف ادعى الاخبار عن الغيب وهو يجري مجرى قول عيسى وان بشكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم (ذلكا) أي هذا التأويل والاخبار بالمغيبات (عما علمني ربي) بالوحي والالهام لا على جهة الكهانة والنجوم (اني تركت مسلمة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) أي اني امتنعت عن دين قوم لا يؤمنون بالله وبالبعث بعد الموت (واتبعت مسلمة آباءي ابراهيم واسحق ويعقوب) وانما قال يوسف ذلك ترغيباً له في الاحسان والتوحيد وتنفيراً لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال (ما كان) أي لا يصح (لنا) معاشر الانبياء (أن نشرك بالله من شيء) أي أي شيء كان من ملك أو جني أو انسي فضلاً عن ان نشرك به صنماً لا يسمع ولا يبصر (ذلكا) أي التوحيد الذي هو ترك الاشراك (من فضل الله علينا) بالوحي (وعلى الناس) بارسالنا اليهم (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أي لا يوحّدون الله تعالى (يا صاحبي السجن) أي يا صاحبي في السجن أو يا ساكني السجن كما قيل لسكان الجنة أصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) أي مختلفون في الكبر والصغر واللون من ذهب وفضة وحديد وصغرو خشب وحجارة وغير ذلك (خير) لك (أم الله الواحد القهار) أي هذه الاصنام معمولة ومقهوره فان الانسان اذا أراد كسرهما قدر عليها فهي مقهورة ولا ينتظر حصول منفعة من جهتها واله العالم فعال قهار قادر على ايصال الخيرات ودفع الآفات والمراد عبادة آلهة شتى مقهورة خيراً أم عبادة

الله المتوحد بالانوهية الغالب على خلقه ولا يغالب خيره (ما تعبدون من دونه) أى من غير الله شياً (الا
أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) أى الاذوات أو جدم وآباؤكم لها أسماء آلهة بمحض ضلالكم
(ما أنزل الله بها) أى بتلك التسمية المتبعة للعبادة (من سلطان) أى من حجة تدل على صحتها وتحقيق
مسمياتها في تلك الذوات فكأنكم لا تعبدون الا الأسماء المجردة عن الذوات والمعنى انكم مهيتهم ما لم يدل
على استحقيقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها (ان الحكم الا لله)
أى ليس الحكم فى أمر العبادة الا لله فليس لغير الله حكم واجب القبول ولا أمر واجب الالتزام (أمر)
على السنة الانبياء عليهم السلام (أن لا تعبدوا الاياه) لان العبادة نهاية التعظيم فلا تليق الا بجن
حصل منه نهاية الانعام وهو الله تعالى لان منه الخلق والاحياء والرزق والهداية ونعم الله كثيرة وجهات
احسانه الى الخلق غير متناهية (ذلك) أى تخصيصه تعالى بالعبادة (الدين القيم) أى الذى تعاقدت
عليه البراهين عقلاً ونقلاً (واسكن أكثر الناس لا يعلمون) ان ذلك هو الدين المستقيم لجهلهم بتلك
البراهين ولما فرغ سيدنا يوسف من الدعاء الى عبادة الله تعالى رجع الى تعبير رؤياهما فقال (يا صاحبي
السجن أما أحدكما) وهو الشرابي (فيسقى ربه) أى سيده (خمرا أو ماء الآخر) وهو الحبارز (فيصلب
فتأكل الطير من رأسه) روى ان الساقى لما قص رؤياه على يوسف قال له ما أحسن ما رأيت أما الكرم
فهو العمل الذى كنت فيه وأما العنب فهو عزك فى ذلك العمل وأما الاغصان الثلاثة فتلاثة أيام وجه
اليك الملك عند انقضائهم وأما العنب الذى عصرت وناولت الملك فهو ان يردك الى هملك فتصير كما كنت
بل أحسن ولما قص الحبارز رؤياه على يوسف قال له بشما رأيت أما خر ورك من المطبخ فهو ان تخرج
من عمالك وأما ثلاث سلال فهي ثلاثة أيام تكون فى السجن وأما أكل الطير من رأسك فهو ان يخرجك
الملك بعد ثلاثة أيام ويصليك وتأكل الطير من رأسك ففرع التعبير رؤيا الحبارز وقال جميعا ما رأينا شياً
انما كنا نلعب فقال لهما يوسف (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) أى تم الأمر الذى تسألان عنه
رأيتما أولم تريا فكما قلتما رقت لكما كذلك يكون (وقال) أى يوسف عليه السلام (لذى ظن أنه
ناج) أى للرجل الذى ظنه ناجيا من القتل (منهما) أى من صاحبيه وهو الساقى (اذ كرنى عند
ربك) أى عند سيدك الملك الكبير فقل له ان فى السجن غلاما يحبس ظلماً خمس سنين (فأنساه
الشیطان ذكره) أى أنسى الشيطان بوسوسته الشرابي ذكره ليوسف عند الملك ويقال فأنسى
الشیطان يوسف ان يذكره حتى طلب الفرج من مخلوق مثله وذلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام
فان الاستعانة بالناس فى دفع الظلم جائرة فى الشريعة الا ان حسنات الارباب سيئات المقربين فالاولى
بالصديقين ان لا يشتغلوا الاسباب ولذلك جوزى يوسف بسنتين فى الحبس كما قال تعالى (فلبث)
أى يوسف (فى السجن) بسبب ذلك القول (بضع سنين) أى سبع سنين خمس منها قبل ذلك القول
وتنتان بعده هذا هو الصحيح (وقال الملك) الى يان بن الوليد (انى أرى) أى رأيت فى منامى (سبع
بقرات سمان) قد خرجن من النهر ثم خرج منه بعدهن سبع بقرات مهزيلة (ياكلهن سبع عجاف)
أى ابتلعت العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم يتبين على العجاف شئ منهن (و) انى أرى (سبع
سنبلات خضر) أى قد انعدت حبها (وأخر) أى وسبعاً آخر (يابسات) أى قد بلغت أوان الحصد فالتوت
اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتهن شئ فقلق الملك لما رأى الناقص الضعيف
قد استولى على القوى الكامل حتى غلبه لجمع مهرته وكنهته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه

وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله تعالى عن تأويل هذه الرؤيا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن فهذا هو قوله (يا أيها الملأ) أي السحرة والكهنة والمعبرون للرؤيا (أفتوني في رؤياي) أي بينوا لي تعبيري رؤياي هذه (ان كنتم للرؤيا تعبرون) أي ان كنتم تعلمون بانتقال الرؤيا من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها (قالوا) أي أشرف العلماء والحكماء (أضغاث أحلام) أي هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة لا حقيقة لها (وما نحن بتأويل الاحلام) أي المنامات الباطلة التي لا أصل لها (بعلمين) أي لأنه لا تأويل لها وانما التأويل للرؤيا بالصادقة (وقال الذي نجيا منهما) أي الذي خلاص من السجن من صاحبي يوسف بعد ان جلس بين يدي الملك أي قال الشرايبي للملك ان في الحبس رجلا فاضلا صالحا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والحجاز عليه منامين فذكر تأويلهما فصدق في الكل وما أخطأ في حرف فان أذنت مضيت اليه وجئت بك بالجواب (وادكر بعد أمة) أي تذكر الشرايبي يوسف بعد مدة طويلة وقرأ الاشهب العقيلي بعد مدة بكسر الهمزة أي بعدما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمة بفتح الهمزة والميم ثم بالهاء أي بعد نسيان (أنا أنبؤكم بتأويله) أي أنا أخبرك أيها الملك بتعبيري رؤياك (فأرسلون) الى السجن فأرسله اليه فأتى يوسف فقال له (يوسف أيها الصديق) أي البالغ في الصدق (أفتنا) أي بين لنا (في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع) من البقر (عجاف و) في (سبع سنبلات خضرو) في سبع (آخر) من السنابل (يابسات) أي في رؤيا ذاك رآها الملك (لعلي أرجع الى الناس) أي أعود الى الملك وجماعته بفتواك (لعلهم يعلمون) فضلك وعلمك فان الساقى علم عجز سائر المعبرين عن جواب هذه المسئلة فخاف ان يهزى يوسف عنه أيضا (قال تزرعون سبع سنين دأبا) أي متتابعة على عادتك في الزراعة (فما حصدتم) من الزرع في كل سنة (فذروه في سنبله) أي كوافره ولا تدوسوه لئلا يقع فيه السوس فان ذلك أبقى له على طول الزمان (الا قليلا مما تأكلون) أي الا كل ما أردتم أكله فدوسوه في تلك السنين وهذا تأويل السبع السمان والسبع الخضر (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السبع سنين المحصبة (سبع شداد) أي سبع سنين قطعة صعب على الناس وهذا تأويل السبع العجاف والسبع اليابسات (يا كلن ما قدمت لهن) أي تأكلون الحب المزروع وقت السنين المحصبة المترولة في سنبله في السنين المجدية (الا قليلا مما تحصدون) أي تدخرون للبذر فأكل ما جمع أيام السنين المحصبة في السنين المجدية تأويل ابتلاع العجاف السمان (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السنين المجدية (فام فيه يغاث الناس) أي ينقذ الناس من كرب الجذب (وفيه يعصرون) ما من عادته أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرة ما قيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وقيل معناه يعطرون وقيل معناه ينجون من الشدة وعلى هذين يقرأ بالبناء للمفعول وهذا من مدلولات المنام لانه لما كانت العجاف سبعا دل ذلك على أن السنين المجدية لا تزيد على هذا العدد فالخاصل بعد هذه هو الخصب على العادة الالهية حيث يوسع الله على عباده بعد تضيقه عليهم فلما رجع الشرايبي الى الملك وأخبره بما ذكره يوسف استحسنته الملك (وقال الملك ائتوني به) أي بيوسف لما علم من فضله وعلمه فرجع الساقى الى يوسف (فلما جاءه) أي يوسف (الرسول) وقال له أجب الملك (قال) أي يوسف له (ارجع الى ربك) أي الى سيدك الملك الكبير (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) أي فأسأل الملك بأن يفتش عن شأن تلك النسوة ليعلم براءتي عن تلك التهمة وانما لم يخرج يوسف من

السجين في الحال لانه لو خرج قبل ظهور براءته من تلك التهمة عند الملك فلربما يقدر الحاسد على أن يتوسل الى الطعن فيه بعد خروجه (ان رب) أي سيدي ومربي وهو ذلك الملك (بكيدهن) أي بكرهن (عليم) فلما أبي يوسف أن يخرج من السجن قبل تبين الأمر جمع الرسول الى الملك فأخبره بما قال يوسف عليه السلام فأمر الملك بإحضارهن وكانت زليخا معهن (قال) أي الملك مخاطباً لهن لأن كل واحدة منهن راودت يوسف لاجل امرأة العزيز بقولها ليوسف أطع مولاتك (ما خطبك) أي ما شأنك (اذ راودتن يوسف عن نفسه) أي خادعتنه هل وجدت في نفسه ميلاً الى قولك (قلن حاش لله) أي تنزيهاً (ما علمنا عليه) أي يوسف (من سوء) أي من خيانة في شيء من الأشياء (قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق) أي الآن تبين الحق ليوسف (أنا راودته عن نفسه) أي أنا دعوته الى نفسي (وانه لمن الصادقين) أي في قوله حين اقتربت عليه هي راودتني عن نفسي وانما اقرت زليخا بذنبها وأشهدت لبراءة يوسف عن الذنب مكافأة على فعل يوسف حيث ترك ذكرها وقال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن مع أن الفتن كلها اغتاشات من جهتها وقد عرفت أن ذلك لرعاية حقها ولتعظيمها ولا خفاء الأمر عليها فجاء الرسول الى يوسف فأخبره بجواب النسوة بقول زليخا فقال يوسف وهو في السجن (ذلك) أي الذي فعلت من ردّي الرسول لطلب البراءة انما كان (ليعلم) أي الملك الصغير الذي هو قطير زوج زليخا (أن لم أخنه) في حرمة كآزموه (بالغيب) أي وأنا غائب عنه أو هو غائب عني (و) ليعلم (أن الله لا يهدي كيد الخائنين) أي لا ينفذه ولو كنت خائناً لما خلصني الله تعالى من هذه الورطة (وما أبرئ نفسي) أي والحال أني لم أقصد بذلك تنزيه نفسي من الزلل وبراءة تهمته (ان النفس البشرية) (لامارة بالسوء) أي ميالة الى القبايح راغبة في المعصية ولما كان قوله ذلك ليعلم اني لم أخنه جارياً مجرى مدح النفس استدركه بقوله وما أبرئ نفسي أي لا أمدحها (الامارحم ربي) أي الانفساء عصفه ربي من الوقوع في المهالك (ان ربي غفور) اللهم الذي هممت به (رحيم) لمن تاب وهذا ما عليه أكثر المفسرين وقال بعضهم من اسم الإشارة الى ههنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليوسف اني لم أخنه بالغيب أي اني لم أقول في يوسف وهو في السجن خلاف الحق فاني وان أحلت الذنب عليه عند حضوره ما أحلت الذنب عليه عند غيبته وأن الله لا يهدي كيد الخائنين أي لا يرضاه فان لما أقدمت على المكر لا شك افتضحت وأن يوسف لما كان بريئاً من الذنب لا شك طهره الله عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث راودته وقلت في حقه ما قلت وأودعته في السجن ومقصود زليخا بهذا الكلام الاعتذار عما كان وتنزيه يوسف من الذنب ان كل نفس لامارة بالسوء الانفسارحمها الله بالعصاة كنفس يوسف عليه السلام ان ربي غفور رحيم استغفر من ذنبه رحيم له فعلى هذا يكون تأنيبه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه ملاقاته الملك حتى يتبين أنه انما هجن بظلم عظيم مع ماله من نباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاجلال وقد حصل ذلك (وقال الملك) أي الكبير وعو الريان (اثبتوني به) أي بيوسف (استخلصه لنفسه) أي اجعله خاصاً بي دون العزيز روى أن الرسول قال ليوسف عليه السلام قم الى الملك متنظفاً من درن السجن بالثياب النظيفة والهيئة الحسنة فكتب على باب السجن هذه منازل الباوي وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء فلما أراد الدخول على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم دخل على الملك فسلم عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له

بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان قال هذا لسان آباءى وكان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف به وزاد عليه بالعربية والعبرانية وروى أنه لما رآه الملك شابا وهو في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة قال للشرابي هذا هو الذى علم تأويل رؤياى قال نعم فأقبل على يوسف وقال انى أحب أن أسمع تأويل الرؤيا منك شفاها فأجاب بذلك الجواب شفاها وشهد قلبه بصحته فذلك قوله تعالى (فلما كلمه) أى كلم الملك يوسف (قال) أى الملك (أنك اليوم لدينامكين) أى ذو منزلة رفيعة (آمين) أى ذوامانة على كل شئ فأتى أيها الصديق (قال) أرى أن تزرع في هذه السنين المحصبة زرعاً كثيراً وتبنى الخزائن وتجمع فيها الطعام فإذا جاءت السنون المجدة بعنا الغلات فيحصل هذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لى بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلنى على خزانة الارض) أى ولنى أمر خزانة أرض مصر (انى حفيظ) لما وليتني ولجميع مصالح الناس (عليم) بوجوه التصرف في الاموال وبجميع ألسن الغرباء الذين يأتوننى وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب عن يقين على إقامة العدل وان كان الطلب من يد الكافر (وكذلك) أى مثل ذلك الانعام الذى أنعمنا عليه من تقرر بنا اياه من قلب الملك وانجائنا اياه من غم الحبس (مكاليوسف في الارض) أى أقدرناه على ما يريد برفع الموانع في أرض مصر (يته وأمنها حيث يشاء) أى نازلنا في أى موضع يريد يوسف من بلادها روى أنها كانت أربعين فرسخاً في أربعين فرسخاً وقرأ ابن كثير نشأ بالنون مسنداً الى الله تعالى روى أنه لما تمت السنة من يوم سأل يوسف الأمانة دعاه الملك فتوجه وأخرج خاتم الملك وجعله في أصبعه وقلده بسيفه وجعل له سرير من ذهب مكلاً بالدر والياقوت طوله ثلاثون دراعاً وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشاً وضرب له عليه حلة من استبرق فقال يوسف عليه السلام أما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم فادبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آباءى فقال الملك قد وضعت اجلالاً لك واقراراً بفضلك وأمره أن يخرج فخرج متوجاً لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت له الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وأمر مصر وعزل قطيرهما كان عليه وجعل يوسف مكانه ومات قطير بعد ذلك فزوجه عليه السلام الملك امرأته زليخا فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خير مما كنت تريدن قالت له أيها الصديق لا تلمنى فاني كنت امرأة حسنة ناعمة كما ترى وكان صاحبي لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيتك فغلبتني نفسي وعصمت الله فأصابها يوسف فوجدها عذراء فولدت له ذكراً ثم أنثى وميشافا استولى يوسف ملك مصر وأقام فيها العدل وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدرهم وفي الثانية بالخل والجواهر وفي الثالثة بالدواب وفي الرابعة بالجوارى والعبيد وفي الخامسة بالضياع والعقار وفي السادسة بارلادهم وفي السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبد الله عليه السلام فقال أهل مصر ما رأينا كالיום ملكاً أجلاً وأعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فأتى في هؤلاء قال الملك الرأى رأيت ونحن لك تبسع قال فاني أشهد الله وأشهدك انى قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان يوسف لا يبيع من أحد من המתارين أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس ومات الملك في حياة يوسف (نصيب برحمتنا) أى بعطائنا في الدنيا من الملك والعنى وغيرهما من النعم (من نشأ) من عبادنا (ولا تضيع أجرة المحسنين) لان

اضاعة الاجراما تكون للجهل أو للبخل والكل تمتنع في حق الله تعالى فكانت الاضاعة ممتنعة
(ولا جبر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) أي ولا جبر المحسنين وهم الذين آمنوا بالله والكتب
والرسل واتقوا الفواحش في الآخرة خير لهم والمراد أن يوسف وإن كان قد وصل إلى الدرجات الرفيعة في
الدنيا فثوابه الذي أعده الله له في الآخرة أفضل وأكمل وقد ثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف عليه
السلام كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلقين (وجاء اخوة يوسف) إلى مصر وهم عشرة ليجتاروا
أي لما وصل القبط إلى البلدة التي يسكنها يعقوب عليه السلام وهي تغور الشام من أرض فلسطين قال
لبنيه ان بعصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام
فخرجوا غير بنيامين حتى قدموا مصر (فدخلوا عليه) أي إلى يوسف وهو في مجلس ولايته
(فعرّفهم) بأول نظرة نظر اليهم لقوة فهمه (وهم له منكرون) أي والحال انهم لم لا يعرفونه لطول المدة
فبين أن القوة في الحب ودخولهم عليه أربعون سنة ولا نهم رأوه جالساً على سرير الملك وعليه ثياب حرير
وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فكلموه بالعبرانية فقال لهم من أنتم وأي شيء أقدمكم
بلادي فقالوا قد مننا لاخذ الميرة ونحن قوم رحاة من أهل الشام أصابنا الجهد فقال لعلكم عيون تطلعون على
عوراتنا وتخبرون بها أعداءنا فقالوا معاذ الله قال من أين أنتم قالوا من بلاد كنعان نحن اخوة بنو أب
واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من أنبياء الله اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كئنا اثني عشر فهلك منا
واحد فقال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك لأنه أخوه
الشقيق قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيوناً وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاذ غريبة لا يعرفنا فيها أحد
فيشهد لنا قال فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فأنا اكتب بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن
لفراقه قال فاتركوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتوني به فاقتربوا فيما بينهم فأصاب القردة شععون وكان
أحسنهم رأياً في يوسف في أمر الحب فتركوه عنده فأمر بأنزالهم وإكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم)
أي فلما أقر يوسف ابلهم بالميرة وأصلحهم بالزاد وما يحتاج اليه المسافر (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم)
اذا رجعت لئتماروا مرة أخرى لأعلم صدقكم فيما قلتم ان لنا أخاً من أبينا عند أبينا (الأترون أنى أوف
الكيل) أي أتمه وأزيدكم حمل بعير آخر لا حمل أخيكم وحمل آخر لا بيكم لانهم قالوا ان لنا أباً شيخاً
كبيراً وأخاً آخر بقي معه لان يوسف لا يريد لأحد من حمل بعير (وأنا خير المنزلين) أي خير المضيفين
فانه عليه السلام كان قد أحسن ضيافتهم مدة أقامتهم عنده (فان لم تأتوني به) أي بأخيكم من أبيكم اذ
عدتم مرة أخرى (فلا كيل لكم عندى) أي فلا طعام لكم يكال عندى (ولا تقربوا) أي
لا تدخلوا بلادى فضلاً عن وصولكم إلى (قاراسن) راد عنه أباه أي سنطلبه من أبيه ونحتال على ان
ننزع من يده (وانا لفاعلون) ما أمرتنا به من أن نجيشك بأخينا فانهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام
ولا يمكن الا من عنده (وقال لفتياناه) أي لحدا مة الكياليين وقرأ حمزة والسكستاني وحفص عن
عاصم لفتياناه بالالف والنون والباقون لفتيته بالتاء من غير ألف (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أي
دسوا دراهمهم التي اشتروا بها الطعام في أوعيتهم التي يحملون فيها الطعام (اعلمهم يعرفونها) أي لكي
يعرفوا بضاعتهم (اذا انقلبوا إلى أهلهم) أي اذا رجعوا إلى أبيهم وفرغوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون)
أي لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع اليه لانهم ادعوا وان ذلك من سخاء يوسف بعثهم على العود
عليه الرغبة في معاملته وأيضاً ان سيدنا يوسف يخاف من ان لا يكون عند أبيه من الدراهم ما يرجعون به

مرة أخرى (لما رجعوا) أي اخوة يوسف غير شمعون (إلى أبيهم) بكنعان (قالوا) قبل أن يشتغلوا بفتح المتاع (يا أبا نافع من الكيل) أي حكم العزيز بمنع الطعام بعد هذه المرة إن لم يذهب معنا بنيامين إليه (فأرسل معنا أخانا) بنيامين إلى مصر وقال يعقوب أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر وأخبروه بالقصة (نسكتل) أي نرفع المانع من الكيل بسببه ونسكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء أي يكتل أخونا بنفسه مع أكتيالنا (واناله لحافظون) من أن يصيبه مكروه وضامنون برده إليك (قال هل آممكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل) أي قال لهم يعقوب كيف آممكم على بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف رضعنتم لي حفظه فما فعلتم فلما لم يحصل الأمن والحفظ هناك فكيف يحصل ههنا وانما أقوض الأمر إلى الله (فإنه خير حافظا) منكم قرأ حفص وحمزة والكسائي بفتح الحاء وبالف بعدها على التمييز أي حفظ الله لبنيامين خير من حفظكم وقرأ الباقر حفظا بكثرا الحاء وسكون الفاء وقرأ الأعمش فأنه خير حافظ وقرأ أبو هريرة خير الحافظين (وهو أرحم الراحمين) وهو أرحم به من والديه ومن أخوته وقيل إن يعقوب لما ذكر يوسف قال فأنه خير حافظ الخ أي حفظا ليوسف لانه كان يعلم أن يوسف حي (ولما فتحو امتاعهم) أي أوعيتهم التي وضعوا فيها الميرة بحضرة أبيهم (وجدوا بضاعتهم) وهي ثمن الميرة الذي دفعوه ليوسف (ردت إليهم قالوا يا أبا نافع) أي ما نكذب بما قلنا من أن نقد مناعا على خير رجل انزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة أو المعنى أي شيء نريد من أكرام الملك (هذه بضاعة نردت إلينا) هل من مريد على ذلك فقد أحسن الملك مثوانا وباع مناررد علينا متاعنا فلا نطلب وراء ذلك احسانا وقيل المعنى نحن لا نطلب منك يا أبا نافع ندر جوعنا إلى الملك بضاعة أخرى فان هذه التي ردت إلينا كافية لنا في ثمن الطعام (وغير أهلنا) أي نأق بالطعام إلى أهلنا برجوعنا إلى ذلك الملك بتلك البضاعة وهذا معطوف على محذوف والتقدير فنستعين بهذه البضاعة وغير أهلنا (ونحفظ أخانا) بنيامين من المكروه في الذهاب والاياب (ونزداد) بسببه (كيل بعير) أي وقر بعيره (ذلك كيل يسير) أي ذلك الحمل الذي نزداده كيل قليل على الملك لانه قد أحسن إلينا وأكرمنا بأكثر من ذلك ويقال ذلك الذي نطلب منك أمر يسير (قال) لهم أبوه (لن أرسله) أي بنيامين (معكم حتى تؤتون موثقا من الله) أي حتى تعطوني عهدا من الله أي حتى يحلفوا بالله (لتأتنني به الآن يحاط بكم) أي في حال أن تموتوا أو في حال أن تصيروا مغلوبين فلا تقدر والالتيان به إلى (لما آتوه موثقهم) أي أعطوا أباهم عهدهم من الله على رده إلى أبيهم فقالوا في حلفهم بالله رب محمد لنا تينك به (قال) أي يعقوب (الله على ما نقول وكييل) أي شهيد فان وفيتهم بالعهد جازا كم الله بأحسن الجزاء وان غدرتم به كافأكم بأعظم العقوبات (وقال) ناصحهم لما أزمع على إرسالهم جميعا (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) من أبوابها الأربعة (وادخلوا من أبواب متفرقة) انما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين فانهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة وكانوا أولاد رجل واحد وقد تجملوا في هذه السكرة أكثر مما في المرة الأولى (وما أغنى عنكم من الله من شيء) أي لا أدفع عنكم بتدبيرى شيئا مما قضى الله عليكم فان الحذر لا يمنع القدر والانسان مأمور بأن يحذر عن الأشياء المهلكة والغذية الضارة وان يسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان (ان الحكم) أي ما الحكم بالالزام والمنع (الله) وحده (عليه توكلت) أي إليه وحده فوضت أمري وأمركم (وعليه) دون غيره (فليتوكل المتوكلون) أي فليبتق الواثقون

(ولمادخلوا) أى المدينة (من حيث أمرهم أبوهم) أى من الابواب المتفرقة (ما كان) أى دخولهم متفرقين (يعنى) أى يخرج (عنهم) أى الداخلين (من الله) أى من قضائه (من شئ) الحاجة فى نفس يعقوب قضاها) أى لكن الدحول على صفة التفرق أظهر حاجة فى قلب يعقوب وهى خوفه عليهم من اصابة العين وهذا تصديق الله لقول يعقوب وما أغنى عنكم من الله من شئ (وانه) أى يعقوب (لذو علم لما علمناه) أى لفوائده ما علمناه أى انه طاملا بما علمه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان يعقوب بهذه الصفة والعلم (ولمادخلوا على يوسف) أى فى محل حكمه (أوى اليه أخاه) أى أنزل معه فى منزله أى لما أتى اخوة يوسف بأخيه بنيامين قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وتجدون ذلك عندى فأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيد فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم فريدا فاجلسه معه على مائدة وجعل يواكله ثم أنزل كل اثنين منهم بيتا فبقى بنيامين وحده وقال هذا لثانى له فتركوه معي فضمه يوسف اليه وشتم ربح أبيه منه حتى أصبح فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك وقال بنيامين قال وما بنيامين قال المتشكك وهولما ولد هلك أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال لى عشرة بنين قال فهل لك من أخ لا أمك قال كان لى أخ فهلك قال يوسف أنتحب ان أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وهانقه و(قال انى أنا أخوك فلا تبتئس) أى فلا تحزن (بما كانوا يعملون) أى لا تلتفت الى ما صنعوه فيما تقدم من أعمالهم المنكرة وفيما يعملون بك من الجفام ويقولون لك من التعبير والاذى قال بنيامين فانا لا أفارقك وقال يوسف قد علمت اعتمام والذى بي فاذا حبستك عندى ازداد غمى ولا يمكننى هذا الابدع أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالى فافعل ما يدا لك فانى لا أفارقك قال يوسف فانى أؤس صاعى فى رحلك ثم نادى عليه بالسرقه لاحتال فى ردك بعد اطلاقك معهم قال فافعل ما شئت فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم) أى فلما هياأ يوسف لهم ما يحتاجون للسفر وحمل لهم أحماهم من الطعام على ابلهم (جعل السقاية فى رحل أخيه) أى دس مشربته التى كان يشرب فيها فى وفاة طعام أخيه الشقيق بنيامين ثم أمرهم بالسير ثم أرسل خلفهم عبده (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد مع رفع صوت مرارا كثيرا (أيتها العير) أى يا أصحاب الابل التى عليها الاحمال (انكم لسارقون) وهذا الكلام اما على سبيل الاستفهام واما على قصد المعارض والمعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه ليكون المنادى من دوحا عن الكذب (قالوا) أى اخوة يوسف (واقبلوا عليهم) أى والحال انهم التفتوا الى جماعة الملك المؤذن وأصحابه (ماذا تفقدون) أى أى شئ ضاع منكم (قالوا) أى أصحاب الملك (نفقد صواع الملك) أى نطلب انا الملك الذى كان يشرب فيه ويكيل وانما اتخذ هذا الاناء ميكا لا لعزة ما يكال به فى ذلك الوقت قال المؤذن (ولمن جاء به) أى بالاناء من عند نفسه مظهره قبل التفتيش (حمل بعير) من الطعام أجرة له (وأنا به) أى بالحمل (زعيم) أى كفيل أو ديه اليه لان الاناء كان من الذهب وقد اتهمنى الملك (قالوا والله لقد علمتم) يا أهل مصر (ما جئنا لنفسد فى الارض) أى أرض مصر بمضرة الناس (وما كنا سارقين) لانه قد ظهر من أحوالهم امتناعهم من التصرف فى أموال الناس بالكلية لا بالاكل ولا بارسال الدواب فى مزارع الناس ولا بهم لما وجدوا بضاعتهم فى رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا أخذها (قالوا) أى أصحاب يوسف

(فما جزاؤه) أي فما جزاء سرقة الصواع في شريعتكم (ان كنتم كاذبين) في نفي كون الصواع فيكم (قالوا) أي اخوة يوسف (جزاءه من وجد في رحله) أي جزاء سرقة الصواع هو أخذ الانسان الذي وجد الصواع في متاعه (فهو جزاؤه) أي فاسترقاق ذلك الشخص سنة هو جزاء سرقة لا غير فافتوا بشريعتهم (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء (نجزى الظالمين) بالسرقه في ارضنا هذا من بقية كلام اخوة يوسف وقيل من كلام أصحاب يوسف جوابا لقول اخوته ذلك (فبدأ) أي يوسف بعدما رجعوا اليه (بارعيتهم) أي بتفتيش وعية الاخوة العشرة (قبل) تفتيش (وها أخيه) بنيامين لنفي التهمة روى أنه لما بلغت النوبة الى وطائه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقال اخوة يوسف والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجوها) أي الصواع (من وعاء أخيه) فقال له فربك الله كما فرجتني (كذلك كدنا ليوسف) أي كما ألهمنا اخوة يوسف ان جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا بأمر الله) أي لم يكن يوسف يأخذ أخاه في حكم الملك بسبب من الاسباب لا بسبب مشيئة الله وهو حكم أيه أي وكان حكم ملك مصر في السارق أن يضرب ويغرم مثلي قيمة المسروق فما كان يوسف قادرا على حبس أخيه عند نفسه الا أن الله تعالى كادله ما جرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق (نرفع درجات من نشاء) وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بالتشوين والباقون بالاضافة أي نرفع رتبة كثيرة عالية من العلم من نشاء رفعه (وفوق كل ذي علم عليم) أي ان اخوة يوسف كانوا علماء فضلاء ويوسف كان زائدا عليهم في العلم ففوق كل عالم عالم الى أن ينتهي العلم الى الله تعالى فليس فوقه أحد (قالوا) أي اخوة يوسف تبرئة لانفسهم (ان يسرق) أي بنيامين سقاية الملك (فقد سرق أخ له من قبل) أي قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب من بنيامين فان أخاه الذي هلك كان سارقا أيضا قال سعيد بن جبير كان جد يوسف أبو أمه كافرا يعبد الاوثان فأمرته أمه بأن يسرق تلك الاوثان ويكسرها ففعل به يترك عبادة الاوثان ففعل ذلك فها هو السرقة (فأسرها) أي اجابتهم (يوسف في نفسه) أي في قلبه (ولم يبدها) أي لم يظهر الاجابة (لهم قال) أي يوسف في نفسه (أنتم شرمكانا) أي منزلة في السرقة من يوسف حيث سرقتم أخاكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون) أي بحقيقة ما تدكرون من أمر يوسف هل يوجب عود مذمة اليه أم لا (قالوا) مستعطفين (يا أيها العزيز) أي ملك مصر (ان له) أي بنيامين (أبا شيخا كبيرا) في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو يفرح به ان رددناه (نخذأحدا منكم) أي بدلامنه في الاسترقاق (انا نراك من المحسنين) البنا في حسن الضيافة ورد البضاعة اليها فأنعم احسانك اليها بهذه النعمة (قال معاذ الله) أي نعوذ بالله معاذ من (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لان أخذنا له انما هو بقضية فتواكم (انا اذا) أي ان أخذنا بريثا عذنب (لظالمون) في مذهبكم وما لنا ذلك ولهذا الكلام معنى باطن وهو ان الله تعالى انما أمرني بالوحي أن آخذ بنيامين لمصالح يعلمها الله تعالى فلو أخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فصرت ظالما لنفسى (فلما استياسوا منه) أي من يوسف (خلصوا نجيا) أي تفردوا عن سائر الناس يتناجون (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل أوفى العقل وهو يهوذا ورئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا) يا اخوتاه (أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) في رد بنيامين اليه (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) فامر يدة والجار والمجرور متعلق بفرطتم أي ومن قبل أخذكم العهد في شأن بنيامين قصرتم

في شأن يوسف ولم تفوا بوعدكم على النصح والحفظ له أو مصدرية عطفا على مفعول تعلموا أي ألم تعلموا
 أخذ أي بكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شأن يوسف أو وتر ~~كم~~ ميثاقه في حق يوسف
 أو موصولة عطفا على مفعول تعلموا أيضا أي ألم تعلموا أخذ أي بكم موثقا والذي قدمتموه في حق يوسف من
 الحياة العظيمة من قبل تقيصيركم في بنيامين (فلن أبرح الأرض) أي فلن أفارق أرض مصر (حتى
 يأذن لي أبي) في الرجوع إليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق أو
 بخلاص أخي من يد العزيز بسبب من الأسباب (وهو خيرا لما كين) لانه لا يحكم الا بالعدل والحق
 روى أنهم كلوا العزيز في اطلاق بنيامين فقال روبيل أيها الملك لتردن اليانا أنا وأولادنا لا يصح صحة لا تبقى
 بمصر حامل الا ألت ولد هاو ووقت كل شعرة في جسده نخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم إلى جنب
 روبيل فذهب ذلك الابن فسه فسكن غضبه فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وهم أن يصيح
 فركض يوسف عليه السلام على الأرض وأخذ علابسه وجذبه فسقط على الأرض وقال له أنتم يامعشر
 العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل إلى الخلاص خضعوا ثم قال
 لهم كبيرهم (ارجعوا) يا اخوتي (إلى أبيكم) دوني (فقولوا) له متلطفين بخطابكم (يا أبانا ان
 ابنك سرق) صواع الملك من ذهب (وما شهدنا الا بما علمنا) أي رأينا ان الصواع استخرجت من ومائه
 (وما كنا للغيب) أي باطن الحال (حافظين) أي ان حقيقة الامر غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه
 الا الله فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم ذلك (وأسأل القرية التي كنا فيها) أي وأسأل أهل
 قرية من قرى مصر التي كنا فيها (والعير التي أقبلنا فيها) أي وأسأل أصحاب الأبل التي عليها الاحمال
 الذين جئنا معهم وهم قوم من كنعان من حيران يعقوب عليه السلام (وانا الصادقون) في أقوالنا فرجع
 التسعة إلى أبيهم فقالوا له ما قال كبيرهم (قال) أي يعقوب (بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا) أي بل
 زينت لكم أنفسكم انخراج بنيامين عنى إلى مصر طلبا للنفعة فعاد من ذلك ضرر (فصبر جميل) أي فعلى
 صبر بلا جزع ولما رجع القوم إلى يعقوب عليه السلام وأخبروه بالواقعة بكى وقال يا بني لا تخرجون من
 عندي مرة الا ونقص بعضكم ذهبتم مرة فنقص يوسف ومرة ثانية نقص شعرون ومرة ثالثة نقص
 روبيل وبنيامين ثم بكى وقال (عسى الله أن ياتيني بهم) أي بيوسف وأخيه الشقيق وأخيه الذي
 توقف في مصر (جميعا) فلا يتخلف منهم أحد وانما قال يعقوب هذه المقالة على سبيل حسن الظن بالله
 تعالى لانه اذا اشتد البلاء كان أمرا إلى الفرج ولانه علم بما جرى عليه وعلى بنيه من وثر يا يوسف (انه
 هو العليم) بحالي وحالهم (الحكيم) أي الذي لم يبتلني الا بالحكمة بالغة (وقولي عنهم) أي وأعرض
 يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين وخرج من بينهم كراهة لما سمع منهم (وقال يا أسفا) أي يا شدة
 حزني (على يوسف) أي أشكو إلى الله أسفى ولم يسترجع يعقوب أي لم يقل ان الله وان الله راجعون لان
 الاسترجاع خاص بهذه الامة (وابيضت عيناه من الحزن) أي ضعف بصره من كثرة البكاء فان الدمع
 يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من بياض الماء الخارج منها (فهو كظيم) أي عسل على
 حزنه فلا يظهره أو يعتلى من الحزن أو ملوه من الغيظ على أولاده (قالوا) أي الجماعة الذين كانوا في
 الدار من أولاد أولاده وخدومه (تالله تفتؤن ذكر يوسف) أي والله لا تزال تذكر يوسف (حتى
 تكون حرضا) أي فاسدا في جسمك وعقلك (أو تكون من الهالكين) أي من الاموات فسكانهم
 قالوا أنت الآن في بلا شديد ونخاف عليك أن يحصل فيك ما هو أزيد منه وأرادوا بهذا القول منعه عن

كثرة البكا (قال) أي يعقوب لهم (اغما أشكو بني وحزني إلى الله) أي لا أذكر الحزن العظيم ولا
 الحزن القليل إلا مع الله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي أعلم من رحمته ما لا تعلمون وهو أنه تعالى يأتيني
 بالفرج من حيث لا أحتسب أي أنه يعلم أن رؤيا يوسف صادقة وليعلم أن يوسف حي لأن ملك الموت قال إن
 أطلبه ههنا وأشار إلى جهة مصر ويعلم أن بنيامين لا يسرق وقد سمع أن الملك ما آذاه وما ضربه فغلب على
 ظنه أن ذلك الملك هو يوسف فن ذلك قال (يا بني أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) أي استعلموا بعض
 أخبار يوسف وأخيه بنيامين فإن حالهما مجھولة ومخوفة بخلاف حال روبيل (ولا تيأسوا من روح الله)
 أي لا تقنطوا من فرج الله وفضله وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بضم الراء أي من رحمته (أنه لا يأس
 من روح الله إلا القوم الكافرون) لأن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن
 الإله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر
 فثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً أي قبلوا من أبيهم تلك الوصية فعادوا إلى مصر مرة ثالثة
 (فلما دخلوا عليه) أي يوسف (قالوا يا أيها العزيز) أي الملك القادر القوي (مسنا وأهلنا الضرع) أي
 أصابنا ومن تركناهم وراءنا الهزال من شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي بدراهم رديئة لا تقبل
 في ثمن الطعام وتقبل فيما بين الناس (فأوف لنا الكيل) أي أتمم لنا كما تكتمل لنا بالدراهم الجياد (وتصدق
 علينا) بالمساحة عن ما بين الثمنين (إن الله يجزي المتصدقين) في الدنيا والآخرة وروى أنهم لما قالوا
 ذلك وتضرعوا إليه أغرو رقت عيناه فعند ذلك (قال) محبباً لهم عرضوا به من طلب رد أخيه بنيامين
 (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أي ما أعظم ما أتيتهم من أمر يوسف وأخيه من تفريق يوسف من
 أبيه وإفراجه عن أخيه لأبيه وأمه (أذ أنتم جاهلون) أي حال كونكم جاهلين عني فعلكم ليوسف
 من خلاصه من الحب وولايته السلطنة (قالوا) أي أخوته (أئنك لانت يوسف) قرأ ابن كثير
 أنك على لفظ الخبر وقرأ نافع أثنك بفتح الالف غير معدودة وبالياء وقرأ أبو عمرو وأينك بعد الالف وهو
 رواية قالون عن نافع والباقون أثنك بهمزتين وكل ذلك على الاستفهام لأنهم فهموا من لحوى كلامه عليه
 السلام أو من ابصار ثناياه وقت تبسمه عند تكلمه بذلك وقال من قرأ على الخبر أن الأخوة لم يعرفوا يوسف
 حتى رفع التاج عن رأسه فرأوا في فرقه علامة تشبه الشامة البيضاء كما كان يعقوب وأحق مثل ذلك فلما
 عرفوه بتلك العلامة قالوا ذلك (قال) جواباً لسؤالهم (أنا يوسف وهذا) أي بنيامين (أخي) أي شقيق
 (قدم من الله علينا) بالجمع مع بيننا بعد التفرقة وبكل عز ولم يقل عليه السلام في الجواب هو أنا بل صرح
 بالاسم تعظيماً لما نزل به عليه السلام من ظلم أخوته وما عوذه الله من النصر والملك فكانه قال أنا يوسف
 الذي ظلمته موني على أعظم الوجوه وأنا العاجز الذي قصدتم قتله والله تعالى أوصلني إلى أعظم المناصب
 كما ترون فكان في اظهار الاسم هذه المعاني ولهذا قال وهذا أخي مع أنهم كانوا يعرفونه لأن مقصوده عليه
 السلام أن يقول وهذا أيضاً مظلوم ثم صار هو من نعم الله تعالى كما ترون (أنه) أي الشأن والمحدث
 (من يتق) معاصي الله (ويصبر) على أذى الناس والمحن (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ويقوم
 الظاهر مقام الضمير لا شتماله على النعتين اللذين هما التقوى والصبر (قالوا تالله لقد آثر الله) أي
 فضلك الله (علينا) بالعلم والحلم والحسن والعقل والملك (وان كنا) أي وإن الشأن كنا (لخاطئين)
 أي لمتعمدين في الأثم فهم اعتذروا منه وتابوا (قال لا تثريب عليكم اليوم) خبرنا أن أي حكمت في
 هذا اليوم بأن لا توبخ مطلقاً وتقدير الكلام اليوم حكمت بهذا الحكم العام المتناول لكل الأوقات لأن

لا تريب نفي للماهية فيقتضي انتفاء جميعه أفراد الماهية فذلك مفيد للنفي المشتمل لكل الاوقات (يغفر الله لكم) ما كان منكم (وهو ارحم الراحمين) يغفر الصغار والكبار أى لما بين يوسف لهم انه أزال عنهم ملامة الدنيا بعد اليوم طلب من الله أن يرزقهم عقاب الآخرة وروى أن اخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا اليه انك تفضلنا في ما نؤدك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما صدر منا من الاساءة اليك فقال يوسف عليه السلام ان أهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا يبيع بعشرين درهما ولقد شرفت الآن باتيانكم وعظمت في العيون لما علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام فقال يوسف (اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت) الى (بصير او أتوني بأهلكم أجمعين) من النساء والذاري والموالي وكانوا نحو سبعين انسانا وحمل القميص يهوذا وقال أنا حزنته بعمل القميص ملطخا بالدم اليه فأفرجه كما أحزنته لحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهم ماسيرة ثمانين فرسخا (ولما فصلت العير) أى خرجت الابل التي عليها الاحمال لاخوة يوسف من العريش وهي قرية بين مصر وكنعان (قال أبوه) يعقوب ابن حضر عنده من أولاد بنيه وقرابته (اني لأجد ريح يوسف) أى اني لأشم ريح الجنة من قيص يوسف (لولا أن تغفدون) أى لولا ان تنسبونني الى الحرف وفساد الرأي من هرم لصدقتموني والتحقيق أن يقال انه تعالى أوصل تلك الرائحة الى سيدنا يعقوب على سبيل اظهار المعجزات لان وصول الرائحة اليه من المسافة البعيدة ثمانية أيام مثلا أمر مناقض للعادة فيكون معجزته (قالوا) أى الحاضرون عنده (تالله انك لفي ضلالك القديم) أى لفي حبل الاول ليوسف لا تنسأه ولا تذهل عنه وكان يوسف عندهم قدمات (فلما أن جاء البشير) وهو يهوذا بالقميص (ألقاه على وجهه) أى ألقى البشير القميص على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) أى فصار يعقوب بصيرا العظم فرحه (قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وان رؤياه صدق وان الله يجمع بيننا (قالوا) اعتذارا عما حصل منهم (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) أى اطلب لنا من الله غفر ذنوبنا (انا كنا خاطئين) أى متعمدين لللاثم في أمر يوسف (قال سوف أستغفر لكم ربي) أى أدعوا لكم ربي ليلة الجمعة وقت السحر (انه هو الغفور الرحيم) فقام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عليه واغفر لاولادي ما فعلوه في حق يوسف فأوحى الله تعالى اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين روى أن يوسف عليه السلام وجهه الى أبيه جهازا ومائتي راحلة مع اخوته ليأتوا بجميع أهله الى مصر وهم يومئذ اثنان وسبعون مابين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موهى عليه السلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمي وكانت الذرية ألف ومائتي ألف فقد بورك فيهم كثيرا حتى بلغوا هذا العدد في مدة موسى مع أن بينه وبين يوسف أربع مائة سنة فخرج يوسف في أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خزوق صب فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفا واما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته ونظر الى الصحراء غلوة بالفرسان مزينة بالالوان فنظر اليهم متعجبا فقال جبريل أنظر الى الهواة فان الملائكة قد حضرت سرورا باللائك وكانوا باصكين محزونين مدة لا جلت وهاجت الفرسان بعضهم في بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضربت بالطبول والبوقات فصار اليوم كأنه يوم القيامة وكان دخولهم في مصر يوم عاشوراء (فلما دخلوا على يوسف) في محل ضرب فيه يوسف خيامه حين خرج من مصر لتلقى أبيه (أوى اليه أبوه) أى ضم يوسف اليه أباه وخالاته واعتنقهما فان أمه ماتت في النفاس

بأخيه بنيامين فعني بنيامين بالعبرانية ابن الوجود ولما ماتت أمه تزوج أبوه بخالته فان الزانية تدهى أما
 (وقال) أي يوسف لجميع أهله (ادخلوا مصر) للقامة بها (ان شاء الله آمين) على أنفسكم
 وأموالكم وأهلكم لا تخافون أحدا وكأني ما سمعنا سلف يخافون ملوك مصر (ورفع أبويه على العرش)
 أي لما نزلوا في مصر جلس يوسف أباه وخالته معه في السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه (وخر واله
 مهبطا) أي وخر والله سبحانه شكري لاجل يوسف واجتماعهم به وكان يوسف كالقبلة لهم كما وجدت
 الملائكة لآدم فان الله أمر يعقوب بالسجود لحكمة خفية وذلك لان اخوة يوسف ربما حملهم التكبر عن
 السجود على سبيل التواضع لا على سبيل العبادة ويوسف لم يكن راضيا بذلك السجود في قلبه لكن لما علم
 ان الله أمر يعقوب بذلك سكنت ولان يعقوب علم أنهم لم يفعلوا ذلك لظهور الفتر والاحقاد القديمة بعد
 كونها فالسجود لزوال الاستعلاء والنفرة عن قلوبهم وذلك جاز في ذلك الزمان فلما جاءت هذه الشريعة
 نسخت هذه الفعلة ويقال كان سجودهم تحيتهم فيما بينهم كهيئة الركوع مخوف فعل الا عاجم (وقال)
 أي يوسف (يا أبت هذا أويل رؤياي من قبل) أي هذا السجود تصديق رؤياي الكائنة من قبل
 المصائب التي وقعت فكان يوسف يقول يا أبت لا يليق بمثلك على جلالتك في العلم والدين والنبوة أن
 تسجد لولدك الا أن هذا أمر أمرت به فان رؤيا الانبياء حق وذلك قوله تعالى حكاية عن قول يوسف (قد
 جعلها ربي حقا) وكأنه قيل ليعقوب انك كنت دائم الرغبة في وصال يوسف ودائم الحزن بسبب فراقه
 فاذا وجدته فاسجد له فكان الامر بذلك السجود من تمام التشديد من الله تعالى على يعقوب عليه السلام
 قال سلمان كان بين رؤيا وتأويلها أربعون عاما (وقد أحسن بي) أي وقد لطف بي محسنائي (اذ
 أخرجني من السجن) اغاذا كراخراجه من السجن ولم يذكرا خراجه من الحب لثلاثين خوتة ولان
 خروجه من السجن كان سببا لصيرورته ملكا ولوصوله الى أبيه واخوته ولزوال التهمة عنه وكان ذلك
 من أعظم نعمه تعالى عليه (وجاء بكم من البدو) أي من البادية وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية
 فسكنوا البادية وقال علي بن طلحة أي من فلسطين (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) أي
 من بعد أن أفسد الشيطان بيننا بالحسد (ان ربي لطيف لما يشاء) أي مدبر لما يشاء من خفايا الامور
 فاذا أراد الله حصول شيء سهل أسبابه فحصل وان كان في غاية البعد عن الحصول عند العقول (انه هو
 العليم) بالوجه الذي يسهل تحصيل ذلك الصعب (الحكيم) أي المحكم في فعله مبرا عن العبث والباطل
 وروى أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعين سنة فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن
 يحمل جسده الى الشام ويدفنه عند قبر أبيه اهق فلما مات بمصر حمله يوسف وجعله في تابوت من ساج
 فوافق ذلك موت عيص أخي يعقوب وكان قد ولد في بطن واحد فدقنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة
 وسبعة وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه رجع الى مصر وطاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره
 وعلم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله حسن العاقبة فقال (رب قد آتيتني من الملك) أي بعضا منه وهو
 ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) أي بعضا من تعبير الرؤيا (فاطر السهوات والارض) أي
 يا خالقهما (أنت ولي) أي أنت الذي تتولى اصلاح جميع مهماتي (في الدنيا والآخرة توفني مسلما)
 دعا يوسف بذلك مع علمه بأن كل نبي لا يموت الا مسلما اظهر العبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب
 سعادة الخاتمة وتعليمه غيره والمطلوب ههنا كمال حال المسلم وهو أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر
 قلبه على ذلك ان يستسلام ويرضى بقضاء الله وقدره ويكون مطمئن النفس منشرح الصدر منفتح القلب

في ذلك وهذه الحالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر (والحقني بالصالحين) أي بآبائي المرسلين
ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب في ثوابهم ودرجاتهم في الجنة ولد ليوسف أفرام وميشاو ولد لأفرام
نون وولد لنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالة مصر بعد يوسف ولم يزل
بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام (ذلك)
أي خبر يوسف وأخوته (من أنباء الغيب) الذي لا يحوم حوله أحد (نوحية ليك وما كنت لديهم)
أي عند أخوة يوسف (إذا جمعوا أمرهم) أي حين عزه وأعلى القامم يوسف في غيابة الجب (وهم
يمكرون) أي والحال أنهم يحتالون بيوسف ويريدون بذلك قتل يوسف أي ذلك الخبير لا سيبل إلى
معرفتكم أياه إلا بالوحى وأما ما ينقله أهل الكتاب فليس على ما هو عليه ومثل هذا التحقيق بلا وحى
لا يتصور إلا بالحضور فيكون مهزلاً لأن محمد لم يطالع الكتب ولم يأخذ عن أحد من البشر وما كانت بلده
بلد العلماء فآتيانه بهذه القصة على وجه لم يقع فيها غلط كيف لا يكون مهزلاً (وما أكثر الناس) وهم
قريش واليهود (ولو حرصت) أي بالغت في طلب إيمانهم باظهار آيات الدالة على صدقك (بمؤمنين)
لاصرارهم على العناد روى أن اليهود وقريش أسألو عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم
بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (وماتسألهم عليه) أي
على تبليغ الانبياء التي أوحينا إليك (من أجر) كما يفعله حملة الاخبار (إن هو) أي القرآن الذي
أوحينا إليك (الاذكر للعالمين) عامة أي عظة من الله تعالى لهم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
والتكاليف والقصص فإن الوعظ العام ينافي أخذ الأجر من البعض وهذا القرآن مشتمل على هذه
المنافع العظيمة ولا تطلب منهم ما لا فلو كانوا عقلاء لقبولوا منك (وكان من آية) أي وكم من عدد شئت
من العلامات الدالة على وجود الصانع و وحدته وكمال قدرته وعلمه وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها
كأثرة (في السموات والأرض) من الأجرام الفلكية وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في
الأرض من العجائب (يعرون عليها) أي يشاهدونها ولا يتأملون فيها وقرئ برفع والأرض على الابتداء
ويعرون عليها خبره وقرأ السدي بنصبها على معنى ويطؤون الأرض (وهم عنها) أي الآية (معرضون)
أي غير متفكرين فيها فلا عجب إذا لم يتأملوا في الدلائل الدالة على نبوتك يا أشرف الخلق (وما يؤمن
أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي لا يؤمن أكثرهم بوجود الله الا في حال شركهم فالكافرون
مقرون بوجود الله لكنهم يشبهون له شريكاً في العبودية وعن ابن عباس إن أهل مكة قالوا الله ربنا وحمده
لا شريك له والملائكة بناته وقال عبدة الاصنام ربنا الله وحمده والاصنام شفعاءنا عنده وقالت اليهود
ربنا الله وحمده وعزير بن الله وقالت النصارى ربنا الله وحمده لا شريك له والمسيح ابن الله وقال عبدة
الشمس والقمر ربنا الله وحمده وهؤلاء أربابنا وكل من هؤلاء لم يوحدهوا بل أشركوا وقال المهاجرون
والانصار ربنا الله وحمده ولا شريك معه (أفأمنوا) أي أهل مكة (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله)
أي أفلم يخافوا أن تأتيهم في الدنيا عقوبة تشهلهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة من غير سبق علامة
(وهم لا يشعرون) بآياتها غير مستعدين لها (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (هذه) أي الدعوة
إلى التوحيد والايمان بالاخلاص (سيبلي) أي ديني (أدعوا إلى الله) بهذا الدين (على بصيرة)
أي حجة واضحة (أنا ومن اتبعن) فادعوا ما مستأنف أحوال من الياء وعلى بصيرة أما حال من فاعل
أدعوا ومن الياء وأنا ما تو كيد للمستكن في أدعوا وفي على بصيرة ومن اتبعن عطف على فاعل أدعوا قال

صلى الله عليه وسلم العلماء أمناه الرسل على عباد الله من حيث يحفظون لما يدعونهم اليه (وسبحان الله) أى وأسبح سبحان الله (وما أنا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله ضدا وولدا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى) وهذا رد على أهل مكة حيث أنكروا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هلا بعث الله ملسكا والمعنى كيف يتعجبون من ارسالنا اياك مع ان سابق الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك ولم يبعث الله رسولا من أهل البادية قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل وقرأ حفص عن عاصم نوحى بالنون مبنيا للفاعل والباقون بالياء مبنيا للمفعول (أفلم يسروا) أى أهل مكة (فى الارض فيمنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى كيف صار آخر أمر المكذبين للرسل والآيات عن قبلهم فيعتبروا بما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة) أى الجنة (خير للذين اتقوا) معاصى الله (أفلا تعقلون) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لأهل مكة والباقون على الغيبة (حتى اذا استيأس الرسل) أى لا يغروهم عمادهم فيمأهم فيه من الراحة والرخاء فان من قبلهم أمهلوا حتى آيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ عاصم وحزرة والكسائى بتخفيف الذال المكسورة والمعنى وظن القوم أن الرسل أخلفوا فى وعدهم بالنصر أى أخلف الله وعده لرسولهم بالنصر وقرأ الباقر بالتشديد والمعنى وظن الرسل أنهم قد كذبهم الامم الذين آمنوا بهم بما جاؤا به من الله وهذا التأويل منقول عن عائشة رضى الله عنها وهو أحسن الوجوه وقالت ان الله لم يرزل من الانبياء حتى خافوا من أن يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم (جاءهم نصرنا) لهم بهلاك أعدائهم (فنبى من نشاء) هم الرسل والمؤمنون بهم وقرأ ابن عامر وعاصم بنون واحدة فعل ماض مبنى للمفعول والباقون بنونين الثانية ساكنة وبسكون الياء فعل مضارع (ولا يرد بأسنا) أى عذابنا (عن القوم المجرمين) أى المشركين اذا نزل بهم (لقد كان فى قصصهم) بفتح القاف أى قصص يوسف واخوته وأبيه عليهم السلام وقرئ بكسر القاف أى قصص الانبياء وأهمهم (عبرة) أى عظة عظيمة (الاولى الباب) أى لذوى العقول الذين انتفعوا بعرفتها (ما كان) أى هذا القرآن فقد تقدم ذكره فى قوله تعالى انا أنزلناه قرآنا عربيا (حديثا يفتري) فلا يصح من محمد ان يختلق فيه ولا يصح الكذب من القرآن فليس بكذب فى نفسه (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى وليكن كان القرآن مصدق الكتب التى قبله (وتفصيل كل شئ) أى ومبين بين الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدين (وهدى) فى الدنيا من الضلالة (ورحمة) أى سببا للحصول الرحمة من العذاب يوم القيامة (لقوم يؤمنون) أى يصدقونه فانه المنتفعون به

(سورة الرعد مكية الايتين فهما مدنيان وهما قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا قارعة الآية وقوله تعالى ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب وقيل مدنية سوى قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الايتين وآياتها خمس وأربعون وكلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون وعرفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم المر) اسم للسورة أى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وقال ابن عباس فى رواية عطاء معناه أنا الله الملك الرحمن وقال فى رواية غيره أنا الله أعلم وأرى ما تعملون وتقولون (تلك) أى آيات السورة المسماة بالمر (آيات الكتاب) أى الكتاب المحيى الكامل (والذى أنزل اليك من ربك)

وهو القرآن (الحق) أي هو المطابق للواقع في كل ما نطق به (ولكن أكثر الناس) أي مشركي مكة (لا يؤمنون) بالقرآن لاخلالهم بالنظر (الله الذي رفع السموات بغير عمد) أي بغير دعائم (ترونها) كلام مستأنف أو حال من السموات أي وأنتم ترون السموات مرفوعة بلا عمد أو صفة لعدم والمعنى إن الله رفع السموات بغير عمد مرئية لكم من العيون بل لها عمد غير مرئية وهي قدرة الله تعالى أي أغابقت السموات واقفة في الجوال العالي بقدرة الله تعالى (ثم استوى على العرش) أي استولى الله على العرش بالحفظ والتدبير وظهر تصرفه في هذه الأشياء بعد خلق السموات ويقال السلطان للملك إذا استقام أمره أنه استوى على عرشه أي مريره الذي يجلس عليه فالاستواء على العرش كناية عن جريان التدبير والحكم (ومخر الشمس والقمر) أي وذللهما للمنافع الخلق (كل) منهما (يجري) في فلكه حسب ما أريد منهما (لأجل مسمى) لمدة معينة فيهما تتم دورته قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلاً كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة أشهر ثم أنها تعود مرة أخرى إلى واحد منها في ستة أشهر أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلاً فالله تعالى قدر لكل واحد منهما سيراً خاصاً إلى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء فلزم أن يكون لهما بحسب كل لحظة حالة أخرى لم تكن حاصلة قبل ذلك (يدبر الأمر) أي يدبر أمر الخلق بالإيجاد والاعدام والأحياء والاماتة والغناء والافقار وابتزال الوحي وبعثة الرسل وتكليف العباد (يفصل الآيات) أي يحدث الله بعض الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته عقب بعض على سبيل التمييز والتفصيل (لعلكم يلقوا ربكم توفقون) أي لكي تصدقوا بالبعث بعد الموت فهذه الدلائل المذكورة كالتدل على وجود الصانع تدل على صحة القول بالحشر والنشر لأن من قدر على خلق هذه الأشياء وتدبيرها على كثرتها فلا ينبغي قدر على النثر والحشر أولى ويرى أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلق دفعة واحدة فقال كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسمع نداءهم ويحيي دعاءهم الآن دفعة واحدة (وهو الذي مد الأرض) أي بسطها طولاً وعرضاً على الماء (وجعل فيها) أي الأرض (روابي) أي جبالاً ثوابت أو تادها (وأنهاراً) أي مجارى للماء واسعة لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها زواجر) أي وجعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا صنفين إما في اللون كالأبيض والأسود أو في الطعم كالالحلو والحامض أو في القدر كالكبير والصغير أو في الكيفية كالخار والبارد وما أشبه ذلك (يغشى الليل والنهار) أي يستر النهار بالليل (ان في ذلك) المذكور من مد الأرض وابتادها بالروابي وأجرا الأنهار وخلق الثمرات واغشاء الليل والنهار (آيات) دالة على وحدانية الله تعالى (لقوم يتفكرون) فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب (وفي الأرض قطع) أي بقاع مختلفة في الأوصاف (متجاورات) أي متقاربات فمنها أرض سبخة رديئة وبجانبها أرض عذبة جيدة ومنها صلبة وبجانبها رخوة إلى غير ذلك والاختلاف من دلائل قدرته تعالى (وجنات) أي بساتين (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) أي تثبت من أصل واحد ثلاث نخلات فأكثر أي مجتمع أصول الأربعة مثلاً في أصل واحد (وغير صنوان) أي هو مفترق أصولها واحدة واحدة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان كلها بالرفع عطف على قوله وجنات والباقيون بالجر عطف على لي أعناب وقرأ حفص عن عاصم في رواية القواس صنوان بضم الصاد والباقيون بكسرها (يسقي بماء واحد) في الطبع سواء كان السقي بماء الأمطار أو بقاء الأنهار قرأ عاصم وابن عامر يسقي بالياء أي كل المذكور

من القطع وما بعده والباقون بالتاء أى جنات (ونفضل بعضها) أى الجنات (على بعض فى الاكل)
بضم الهزة أى فى المهيأ للكل طعاما وشكلا ورائحة وحلاوة وحموضة ولونا وقدرًا ونفعًا وضرا وقرأ حمزة
والكسافى يفضل بالياء عطفًا على يدبر والباقون بالنون (ان فى ذلك) أى المفصل من أحوال القطع
والجنات (آيات) أى دلالات كثيرة ظاهرة (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى التدبر
(وان تهيب فتهيب قولهم) أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد) أى وان تهيب يا أكرم الخلق من تكذيبهم
أياك بعدما كانوا قد حكموا عليك انك من الصادقين لتحقيق ما تهيب قولهم أنعاد خلقًا جديدًا بعد الموت
وبعد أن هربنا ترابًا ووفينا الروح كما كنا قبل الموت فانهم عرفوا ان الله على كل شئ قدير فمن كانت قدرته
وافية بهذه الاشياء العظيمة كيف لا تكون وافية باعادة الانسان بعد موته لان القادر على الاقوى قادر
على الاضعف بالاولى (أولئك) أى المنكرون لقدرة تعالى على البعث بعدما عاينوا الآيات الباهرة
(الذين كفروا برؤسهم) لانهم أنكروا قدرته وعلمه وصدقته فى خبره (وأولئك) أى أهل الكفر
(الاغلال فى أعناقهم) يوم القيامة (وأولئك) أى أهل الاغلال (أصحاب النار) أى سكان النار
(هم فيها) أى النار (خالدون) لا ينفكون عنها (ويستجلبونك) استهزاء منهم (بالسيئة) أى
بنزول العذاب عليهم (قبل الحسنة) أى قبل طلب الاحسان اليهم بالامهال وذلك ان النبى صلى الله
عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا فكلماهم بهدم بعذاب القيامة أنكروا
البعث والجزاء وكلماهم بهدم بعذاب الدنيا قالوا له استهزاء بانذاره فثنا بهذا العذاب (وقد خلت من
قبلهم المثالات) أى والحال انه قدم مضى العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين فقالهم لا يعتبرون
بها (وان ربك لذو مغفرة للناس) أى لذو امهال لهم وتأخير للعذاب منهم (على ظلمهم) أى حال
كونهم ظالمين أنفسهم بالمعاصي (وان ربك لشديد العقاب) فيعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير
ما يستجلبونه ليس للامهال (ويقول الذين كفروا) وهم المستجلبون بالعذاب أيضا (لولا أنزل عليه آية
من ربه) أى قالوا عند اداه لا أنزل على محمد من ربه علامة لنبوته كما أنزل على موسى وعيسى عليه
السلام قال تعالى له صلى الله عليه وسلم ازالة لرغبته فى حصول مقترحاتهم (انما أنت منذر) أى انما
أنت يا أشرف الخلق رسول مخوف من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون ولا حاجة الى الزامهم باتيان ما
اقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) أى نبى مخصوص له هداية مخصوصة فلما كان الغالب فى زمان
موسى هو السحر جعل مهجته من جنس ذلك وهو العصا واليد ولما كان الغالب فى أيام عيسى الطرب جعل
مهجته ما كان من جنس ذلك وهو احياء الموتى وبراء الاكهم والابرص ولما كان الغالب فى أيام الرسول
صلى الله عليه وسلم الفصاحة جعل مهجته ما كان لا ثقا بذلك الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب
لم يؤمنوا بهذه المهجزة مع كونها أليق بطباعهم فبان لا يؤمنوا عند اظهار سائر المهجرات أولى (الله يعلم ما
تحمّل كل أنثى) من حين العلوق الى زمن الولادة من أى شئ تحمّل وعلى أى حال (وما تغيض الارحام
وما ترزاد) أى فى عدد الولد واحد واثنين وثلاثة وأربعة وفى جمته فقد يكون الولد مخدجا وتامًا وفى مدة ولادته
فقد يكون مدة الحمل تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند أبى حنيفة وإلى أربعة سنين عند الشافعى وإلى
خمس عند مالك (وكل شئ) من الاشياء (عنده) أى فى علمه تعالى (بمقدار) أى بحد لا يجاوز
ولا ينقص عنه (عالم الغيب) أى ما غاب عن العباد (والشهادة) أى ما علمه العباد (الكبير) أى
العظيم الذى يصغر غيره بالنسبة الى كبريائه (المتعال) أى المنزه عن كل ما لا يجوز عليه فى ذاته (سواء

منكم من أسرار القول) في نفسه فلم يظهره على أحد (ومن جهريه) أي أظهره لغيره وقال ابن عباس أي سواه ما أضرته القلوب وأظهرته اللسنة (ومن هو مستخف) أي مستتر (بالإسـل وسارب) أي بارز راء كل أحد (بالنهار) وقال مجاهد أي وسواه من أقدم على القبائح سرا في ظلمات الليل ومن أتى بها ظاهرا بالنهار أي فإن علمه تعالى محيط بالكل (له) أي لسكل عن أسرار وجهه والمستخفي والسارب أول عالم الغيب والشهادة (معقبات) أي ملائكة حفظة يعقب بعضهم بعضا في الحجى إلى من ذكر ويعقبون أقواله وأفعاله بالكتب (من بين يديه ومن خلفه) أي يحيطون بمن ذكر فيعدون عليه أهـماله وأقواله ولا يشذ من حفظهم أيها شيء أصلا (يحفظونه) أي من ذكر (من أمر الله) أي من بأس الله حين أذن بالآستعمال أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله وقد قرئ به أو بسبب أمر الله كما تدل له قراءة على وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة بأمر الله (ان الله لا يغير ما بقوم) من أمن ونعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بترك الشكر (واذا أراد الله بقوم سوءا) أي هلاكاً (فلا مرد له) أي لم تغض المعقبات شيئا فلما أراد عذاب الله ولا ناقض لحكمه (وما لهم من دونه) أي من غير الله (من وال) أي مانع من عذاب الله الذي أراد بهم بتغيير ما بهم (هو الذي ير يكـم البرق) وهو لمعان يظهر من خلال السحاب (خوفا) أي خائفين من وقوع الصواعق (وطمعا) أي وطامعين في نزول الغيث أو ذا خوف لمن له فيه المطر ضرر كالسافر وكمن يجفف الثمر والزبيب والقمع وذات طمع لمن له فيه نفع كالحرث (وينشئ السحاب) أي ويرفع الغمام المنسحب في الجو (الثقال) بالماء (ويسبح الرعد بحمده) قيل الرعد اسم ملك موكل بالسحاب والصوت المسموع لنا هو صوته بالتسبيح وقيل هو صوت الآلة الذي يتولد عند ضرب السحاب بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق أي آلات من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذي نسمع قال زجر السحاب ويقال الرعد صوت السحاب وتسبيحه هو دلالته على وحدانية الله تعالى وفضله المستلزم لحده (والملائكة من خيفته) أي وتسبح جميع الملائكة من هيبة الله تعالى وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يوزم وأنه يحوز الماء في نقرة ابهامه وأنه يسبح الله تعالى فإذا سجع لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر (ويرسل الصواعق) وهي نيران تنشأ من السحاب (فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله) أي في شأن الله (وهو شديد المحال) أي العقاب نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخى لبيد بن ربيعة فأنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمهانه ويريدان القتل به صلى الله عليه وسلم فقال أربد أخو لبيد أخبرنا عن ربنا أمن فحاس هو أم من حديد فلما رجع أرسل الله عليه صاعقة في يوم موصائف فأحرقته ورمى عامر ابغدة كغدة البعير فمات على ظهر فرسه وعن الحسن أنه قال كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم نغرا يدعونه إلى الله تعالى ورسوله فقال لهم أخبروني من رب محمد هذا الذي تدعونني إليه فهل هو من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من نحاس فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله مارأينا رجلا كفرة قلبا ولا أعتى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فرجعوا إليه فقال أجيب محمدا إلى رب لا أراه ولا أعرفه فرجعوا إليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته إلا ولي بل أخبث منها فقال صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما هم عنده ينار عونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق

الكافروهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا
احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويرسل الصواعق
الخ (له دعوة الحق) أي لله الدعوة المطابقة للواقع حيث جعلها افتتاح الاسلام بحيث لا يقبل بدونها
وهي شهادة أن لا إله الا الله وهي كلمة الاخلاص (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا
كما سطر كفيه الى الماء) أي والاصنام الذين يعبدونهم الكفار من غير الله لا يستجيبون لهم بشيء من
طلباتهم الاستجابة كاستجابة الماء لمن يسطر كفيه اليه من بعيد (ليبلغ فاه وما هو ببالغه) أي ليلبلغ
الماء بنفسه من غير أن يغترف الى فيه وما الماء ببالغ فيه أبد الا كونه حمادا لا يشعر بعطشه ولا يسطر يده
اليه فكما لا يبلغ الماء في هذا الرجل العطشان كذلك لا تنفع الاصنام من عبدها (ومادها الكافرين
الا في ضلال) أي وما عبادة الكافرين الا في ضياع لا منفعة فيها لانهم ان عبدوا الاصنام لم يقدر واعلى
نفعهم وان عبدوا الله لم يقبل منهم لا شرا كهم (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) أي
ولله يعبد من في السموات ومن في الارض من الملائكة وبعض المؤمنين من الثقلين حال كونهم طائعين
بسهولة ونشاط وحال كونهم كارهين للعبادة بمشقة لصعوبة ذلك على بعض المؤمنين (وظلالهم بالغدو
والآصال) أي ولله يسجد ظلال من يسجد غدوة عن ايمانهم وعشية عن شمائلهم (قل) يا اشرف
الخلق لقومك (من رب السموات والارض قل الله) أمر الله رسوله بهذا الجواب اشعارا بأنه متعين
للجوابية وبأنهم لا ينكرونه البتة ثم ألزمهم الحجة فقال (قل أفأنتخذتم من دونه أولياء) أي أبعد اقراركم
هذا عبدتم من غير الله أربابا (لا يملكون لأنفسهم نفعا) يستجلبونه (ولا ضرا) يدفعونه عن أنفسهم
فبالأولى أن يكونوا عاجزين عن تحصيل المنفعة للغير ودفع المضرة عن الغير فاذا عجزوا عن ذلك كانت
عبادتهم محض العبث والسفه (قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) أي
قل لهم هل يستوى الجاهل بمسحق العبادة والعالم بذلك وهل يستوى الجاهل بالحجة والعلم بها (أم جعلوا
لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أي بل أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم
بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها أي هذه الاشياء التي زعموا انها
شركاء لله ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى يقولوا انها تشارك الله في كونها خالقة فوجب أن تشاركه في
الالوهية واستحقاق العبادة بل هؤلاء المشركون يعلمون بالضرورة ان هذه الاصنام لم يصدر عنها فعل البتة
واذا كان الامر كذلك كان حكمهم بكونها شركاء لله في الالوهية محض الجهل (قل الله خالق كل شيء)
فلا شريك له في الخلق فلا يشاركه في استحقاق العبادة أحد (وهو الواحد) أي المنفرد بالالوهية
(القهار) لكل ما سواه (أنزل من السماء) أي من جهتها (ماء فسال) بذلك الماء (أودية) أي
أنهار (بقدرها) من الماء فان صغر الوادي قل الماء وان اتسع الوادي كثر الماء (فاحتمل السيل)
أي الجاري (زبدا) أي غثاء (رايبا) أي منتفخا فوق الماء (وعما يوقدون عليه في النار) أي من
الجواهر كالنحاس والذهب والفضة (ابتغاء حلية أو متاع) أي لطلب اتخاذ زينة أو اتخاذ متاع
كالأواني (زبد) أي خبث (مثله) أي مثل وسخ الماء في أن كلامهم ما شيء من الأكدار (كذلك)
أي مثل هذا التبيين الامور الاربعة الماء والجوهر والزيد (يضرب الله الحق والباطل) أي يبين
الله مثل الايمان والكفر (فأما الزبد) من الماء والجوهر (فيذهب جفا) أي يرميه الماء الى الساجل
ويرميه الكبير (وأما ما ينفع الناس) من الماء الصافي والفلز الخالص (فيمكث في الارض) فالما

يثبت بعضه في منافعهم ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والآبار والفلز يصاغ من بعضه أنواع
الحلى ويتخذ من بعضه أصناف الآلات فينتفع بكل من ذلك مدة طويلة والحاصل أن القرآن شبه بالماء
فإنه أنزل من "ماء الكبرياء والاحسان وشبهت القلوب المنورة بالآودية لأن القلوب تستقر فيها أنوار
علوم القرآن كما أن الآودية تستقر فيها الماء فيحصل في كل قلب من أنوار علوم القرآن ما يليق به من قوة
فهمه وقصوره كما يحصل في كل واد من مياه الأمطار ما يليق به من سعته وضيقه وكما أن الماء يعلوه وضر
والفلز يخالطه خبث ثم إن ذلك يذهب ويبقى الخالص منه كذلك بيانات القرآن تحتلط بها شبهات ثم تزول
 ويبقى العلم والدين في الآخر وشبهت القلوب المظلمة بالسيل أي فاحتملت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها
بالنور واحتملت القلوب المظلمة باطلا كثيرا بها (كذلك) أي مثل ذلك الضرب العجيب (يضرب
الله الامثال) أي بين الله أمثال الحق والباطل فيجعلها في غاية الوضوح (للذين استجابوا لربهم
الحسن) أي للذين أجابوا ربهم الى ما دعاهم اليه من التوحيد والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله
المنفعة الدائمة الخالصة عن شوائب المضرة المقرونة بالاجلال وهي الجنة (والذين لم يستجيبوا له لو أن ما لهم
ما في الارض جميعا ومثله معه لا فائدة له) أي والاشقياء الذين عاندوا الحق الجلي لو أن لهم ما في الارض
من أصناف الاموال جميعا لجعلوا ما في الارض ومثله فداء أنفسهم من العذاب لأن محبوب كل انسان ذاته
فاذا كانت في ضرر وكان ما سلكا سلكا شئ فإنه يرضى أن يجعل جميع ملكه فداء لها لأنه يحب ما سواها
ليكون وسيلة الى مصالحها (أولئك لهم سوء الحساب) بأن يحاسبوا بكل ذنب فلا يغفر منه شئ
(وماؤاهم جهنم وبئس المهاد) أي المستقر هي (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كنه هو أعمى) أي
أفمن يعلم أن القرآن الذي مثل بالماء النازل من السماء وبالابرير الخالص في المنفعة هو الحق كمن لا يعلم
(انما يتذكر أولوا الالباب) أي انما يتعظ بالقرآن ويتنفع بهذه الامثلة وذوو العقول الذين يطلبون من
كل صورة معناها (الذين يوفون بعهد الله) أي بما كلف الله العبد به فيدخل فيه الاتيان بجميع
المأمورات والوفاء بالعقود في المعاملات وأداء الامانات (ولا ينقضون الميثاق) وهو ما التزمه العبد من
أنواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)
وهو رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد فيدخل فيه صلة الرحم والقرباة الثابتة بسبب اخوة الايمان
وعيادة المريض وشهود الجنائز واقشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الاذى عنهم
ويدخل في العباد كل حيوان حتى الدجاجة والهريرة (ويخشون ربهم) والخشية نوحان خوف من أن يقع
خلل في طاعاته وخوف هيبته وان كان العبد في عين طاعته (ويخافون سوء الحساب) فيحاسبون
أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على فعل العبادات وعلى ثقل الامراض والمضار والغموم
وعلى ترك الشهوات (ابتغاء وجه ربهم) أي طلبا لرضاء خاصة من غير أن ينظروا الى جانب الخلق
رياء ومهمة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا فلكي ان العاشق يرضى بضرب معشوقه لا لتذاذه بالنظر الى
وجهه فكذلك العبد يرضى بالخدمة لاستغراقه في معرفة نور الله تعالى (وأقاموا الصلاة) وأفردوا بالذكر
تنبيها على كونها أشرف من سائر العبادات ولا يمتنع ادخال النوافل فيها (أنفقوا) نفقة واجبة
ومندوبة (عمارزقناهم سرا) لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك الزكاة أو عند اعطائه من تنفعه
المروءة من أخذه ظاهرا أو في التطوع (وعلانية) لغير ذلك (ويدرون بالحسنة السيئة) أي يدفعون
المعصية بالتوبة ولا يجازون الشر بالشر بل يجازون الشر بالخير (أولئك لهم عقي الدار) أي عاقبة

الدنيا و مرجع أهلها (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى يدخل
جنات عدن المنعوتون بتلك النعوت الجليلة ومن آمن كما آمنوا من أصولهم وان علوا ذكورا كانوا أو
أنثا ومن أزواجهم اللاتي متن في عصمتهم وذرياتهم وان لم يعمل مثل أعمالهم لان الله تعالى جعل من
ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة وانما يلحق بهم من آمن من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم
كرامة لهم وتعظيم الشأهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعاة وقوله جنات عدن بيان لعقبى أو خير
مبتدا مضمهر (واللائكة يدخلون عليهم من كل باب) لكل واحد منهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة
آلاف باب لكل باب مصراع من ذهب يدخل عليهم من كل باب ملائكة يقولون لهم (سلام عليكم) أى
سلمكم الله دعاه لهم وبشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم أو بمعدوف أى هذه الكرامة
العظمى بسبب صبركم على الطاعات وترك المحرمات وعلى المحن (فنعقبى الدار) أى نعم عاقبة الدار التي
كنتم عملتم فيها هذه الكرامات التي ترونها (والذين ينقضون عهد الله) أى لا يعملون مقتضى الأدلة (من
بعد ميثاقه) أى من بعد ان وثق الله تلك الأدلة أو المعنى يتركون فرائض الله من بعد توكيده (ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل) أى ما أوجب الله وصله فيدخل فيه وصل الرسول بمعاونة دينه ووصل سائر من له
حق (ويفسدون في الأرض) بالدعاء الى غير دين الله وبالظلم في النفوس والاموال (أولئك) أى الموصوفون
بالقبائح (لهم اللعنة) أى الابعاد من خيرى الدنيا والآخرة الى نقمة (ولهم سوء الدار) أى سوء عاقبة
الدنيا (الله يبسط الرزق) أى يوسع (من يشاء) من عباده (ويقدر) أى يعطى من يشاء منهم بقدر كفايته
لا يفضل عنه شئ أى ان فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والايان بل هو متعلق بمجرد مشيئته
تعالى فقد يوسع على الكافر استدرجا ويضيق على المؤمن امتحانا بالصبره وتكفيرا لذنوبه فالدينار دار
امتحان (وفرحوا) أى فرح من بسط الله له رزقه من كفار مكة فرح بطر (بالحياة الدنيا) لا فرح سرور
بفضل الله تعالى (وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع) أى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم
الآخرة والحسار ان ما بطروا به فى مقابلة ما عرضوا عنه شئ قليل النفع سريع النفاذ كمتاع البيت وزاد
الراعى (ويقول الذين كفروا) أى أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أى هلا أنزل على محمد من ربه
علامة انبؤته كما كانت للرسل الاولين (قل) لهؤلاء المعاندين (ان الله يفضل من يشاء) عن دينه
(ويهدى اليه) أى يرشد الى دينه (من أناب) أى من أقبل اليه أى ما أعظم عنادكم فى الآيات
التي ظهرت على يد الرسول ان الله يفضل من كان على صفتكم من شدة الشكيمة على الكفر فلا سبيل الى
اهتدائهم وان أنزلت عليهم كل آية طلبوها ويهدى اليه بأدنى آية جاء بها الرسول من كان على خلاف
صفتكم (الذين آمنوا) بما جاء به الرسول (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أى بكلام الله أى ان علم
المؤمنين بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم فى كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من
عند الله وان شكهم فى انهم أتوا بالطاعات كاملة يوجب الوجع فى قلوبهم (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)
أى ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على الجسم النحاسى انقلب ذهبيا قيا على كرا الا زمان فاكسر جلال
الله تعالى اذا وقع فى القلب أولى ان يقلبه جوهر اصفيا نورا نيا لا يقبل التغير (الذين آمنوا وعملوا
الصالحات طوبى لهم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة فى الجنة غرسها الله
بيده تثبت الحلى والحلل وان أغصانها الترى من ورائها سور الجنة ويقال طوبى شجرة فى الجنة ساقها من
من ذهب وغرسها من كل لون وثياب أهل الجنة تخرج من اكمامها فتثبت الحلى والحلل وأصلها فى دار النبي

صلى الله عليه وسلم وأغصانها متدليات في كل دار وغرفة في الجنة وتحتها كسبان المسك والعنبر والزعفران
 وينبوع من أصلها عينان الكافون والسلسيل (وحسن ما تب) أي مقرر (كذلك) أي مثل إرسالنا
 الأنبياء إلى أمم وأعطائنا إياهم كتباً تتلى عليهم (أرسلناك في أمة) أي إلى جماعة كثيرة (قد خلت
 من قبلها أمم) أي قد تقدمتها أمم كثيرة (لتتلو عليهم) أي على أمتك (الذي أوحينا إليك) فلماذا
 اقترحوا غيره (وهم) أي والحال أن أمتك (يكفرون بالرحمن) الذي رحمته وسعت كل شيء وما بهم
 من نعمة فنه وكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وفي أنزال هذا القرآن المجز عليهم روى الضحاك عن
 ابن عباس أن هذه الآية نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن أي
 اخضعوا بالصلاة وغيرها للرحمن أي الذي لا نعمة لكم إلا منه قالوا وما الرحمن متجاهلين في معرفته فضلاً
 عن معرفة نعمته معبرين بأدق ما لا يعقل قال الله تعالى (قل) لهم يا أشرف الخلق (هو) أي الرحمن
 الذي أنكرتم معرفته (رب) أي خالق ومباني إلى مراتب الكمال (لا اله إلا هو) أي لا مستحق
 للعبادة سواه (عليه توكلت) في جميع أمور لا على أحد سواه (واليه متاب) أي مرجعي في الآخرة
 (ولو أن قرأ ناسيرت به) أي زعزعت بتلاوته (الجبال) من أماكنها كما فعل ذاك بالطور لموسى عليه
 السلام (أو قطعت به الأرض) أي شققت وجعلت أنهاراً وعيوناً كما فعل بالبحر حين ضرب به موسى
 بعصاه أو جعلت قطعاً بعيدة (أو كالم به الموتى) بعد أن أحييت بقراءته عليها كما أحييت لعيسى عليه
 السلام لكان هو هذا القرآن لا كونه ينطوي على عجائب آثار قدرة الله تعالى روى أن أهل مكة منهم أبو
 جهل بن هشام وعبد الله بن أمية قعدوا في فناء الكعبة فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام
 عليهم فقال له عبد الله بن أمية المخزومي إن شركاً ان تتبعك فسير جبالة مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى
 ينفسح المكان علينا لأنها ضيقة لمزارعنا وجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس الأشجار ونزرع فلست كما
 زعمت بأهون على ربك من داود حيث مخرله الجبال تسير معه أو مضر لنا الريح لتركبها إلى الشام لميرتنا
 وحوادثنا ونرجع في يومنا كما مخرت لسليمان فاست بأهون على ربك من سليمان كما زعمت أو أحي لنا
 جدك قصي بالنساء أحق ما تقول أم باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل
 الله تعالى هذه الآية ولو أن قرأنا الخ (بل الله الأمر جميعاً) أي بل الله الأمر الذي ور عليه فلا كوان
 وجوداً وعدمه أن شاء فعل وإن شاء لم يفعل فآله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن
 ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تالين له شكيمتهم (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس
 جميعاً) أي أغفل المؤمنون عن كون الأمر جميعاً لله تعالى فلم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هداية جميع
 الناس إلى دينه لهداهم لكنه تعالى لم يشأها فلم يظهر ما اقترحوا من الآيات قيل لما سأل الكفار تلك الآيات
 طمع المؤمنون في إيمانهم فطلبوا نزولها لمؤمنوا وعلم الله أنهم لا يؤمنون برؤيتها (ولا يزال الذين كفروا)
 من أهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) من سوء أعمالهم (قارعة) أي داهية تفرعهم بما ينزل الله عليهم في كل
 وقت من أنواع البلاء والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريباً من دارهم) أي أو تنزل
 تلك القارعة مكاناً قريباً منهم فيفزعون منها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم أو القيامة (إن الله لا يخلف
 الميعاد) أي الوعد والمقصود من هذه الآية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه ولقد استهزئ
 برسول من قبلك أي أن أقوام ساءوا بالأنبياء استهزؤا بهم كما أن قومك استهزؤا بك (فأملت للذين كفروا)
 أي فتركتهم بعد الاستهزاء مدة طويلة في راحة وأمن (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب)

أى على أى حالة كان عقاب إياهم هل كان ظمالمهم أو كان عدلا (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى
 أذن هو حافظ كل نفس مع ما عملت من خير وشر وهو الله القادر على كل المحركات العالم بجميع الجزئيات
 والكليات كالاصنام التى لا تضر ولا تنفع (وجعلوا) أى الكفار (لله شركاء قل سموهم) أى سموهم
 بالآلهة وهذا أمر على سبيل التهديد والمعنى سواء سميتهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به فإنها لا تستحق
 أن يلتفت العاقل إليها لمقارنتها (أم تنبؤونه بما لا يعلم فى الأرض أم بظواهر من القول) أى أتقصدرون
 على أن تخبروا الله بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى أم تتفوهون بظواهر قول من غير اعتبار
 معنى أى أتقولون بأفواهكم من غير فكر وأنتم ألباء فتفكروا فى ذلك لتعلموا بطلانه واغماص بنفى
 الشريك عن الأرض وإن لم يكن له تعالى شريك البتة لأن الكفرة أرادوا أن له تعالى شركاء فى الأرض
 لا فى غيرها (بل زين للذين كفروا مكرهم) أى تغييبهم الباطل فانهم أظهروا أن شركاءهم
 آلهة حقوا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس فيهم فى الباطن إلا تقليد الآباء (وصدوا عن السبيل) قرأ
 حاصم وحزمة والكسافى هنا فى حم المؤمن بضم الصاد أى منعوا عن سبيل الحق والباقون بفتح الصاد
 أى أعرضوا عنه أو صرفوا غيرهم عنه وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال المكسورة إليها (ومن
 يضل الله) عن دينه بسوء اختياره (فأله من هاد) أى موفى للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا)
 بالقتل والسبي واغتنام الأموال واللعن (ولعذاب الآخرة أشق) أى أشد من عذاب الدنيا بالقوة
 وكثرة الأنواع وعدم الانقطاع وعدم اختلاط شئ من الراحة (وما لهم من الله) أى عذابه (من واق)
 أى حافظ يعصمهم من ذلك (مثل الجنة) أى صفة الجنة (التي وعد المتقون) عن الكفر والمعاصي
 (تجرى من تحتها الأنهار) أى أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (أكلها دأثم) أى غرها لا ينقطع
 (وظلها) كذلك أيضا فليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة (تلك) أى الجنة (عقبي الذين
 اتقوا) أى منتهى أمرهم (وعقبي الكافرين) أى آخر أمرهم (النار) لا غير (والذين آتيناهم
 الكتاب) أى أعطيناهم علم التوراة والإنجيل وهم من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
 وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنتان وثلاثون
 بالحبشة (يفرحون بما أنزل إليك) أى بالقرآن لكونهم آمنوا به (ومن الأحزاب) أى بقية أهل
 الكتاب وسائر المشركين (من ينكر بعضه) أى بعض القرآن وهو الشرائع الحادثة (قل اغماصرت أن
 أعبد الله) وحده فعبادة الله واجبة على المرء فهذا يبطل القول بالجبر المحض وقول نفاة التكليف ولا
 تمكن عبادة الله إلا بعد معرفة الله ولا سبيل إلى معرفته إلا بالدليل فهذا دليل على أن المرء مكلف بالنظر
 والاستدلال فى معرفة ذات الصانع وصفاته وما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه (ولا أشرك به) وهذا
 يدل على نفي الشركاء فيبطل من أثبت معبودا سوى الله تعالى سواء قال إن المعبود هو الشمس أو القمر
 أو الكواكب أو الاصنام أو الأرواح العلوية أو يرزقان وأهر من على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة
 على ما يقوله الثنوية (إليه) أى إلى الله خاصة (أدعو) خلقه فكل يجب عليه صلى الله عليه وسلم
 الأيمان بالعبادة كذلك يجب عليه صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى عبودية الله تعالى وهذا إشارة إلى نبوته
 صلى الله عليه وسلم (وإليه) أى إلى الله تعالى وحده (مآب) أى مرجعى للجزاء وهذا إشارة إلى
 النشر والحشر والبعث والقيامة فإذا تأمل الإنسان فى هذه الألفاظ القليلة عرف أنها محتوية على جميع
 المطالب فى الدين (وكذلك) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم (أنزلناه) أى ما أنزل إليك

(حكاً) أى كما يحكم في القضايا والواقعات (عربياً) أى مترجماً بلسان العرب (ولئن اتبعت أهواءهم) أى الكفار (بعد ما جاءك من العلم) الفاضل من ذلك الحكم العربي (مالك من الله من ولى) أى قريب ينفعك (ولا واق) أى مانع يمنعك من مصارع السوء روى أن المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملة آباءه فهدده الله تعالى على اتباع أهوائهم في ذلك (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً) أى نساء فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبع مائة سرية وكان لآبائه داود مائة امرأة (وذرية) أى أولاد مثل إبراهيم واسحق ويعقوب (وما كان لرسول أن يأتي بآية) مما اقترح عليه (إلا بإذن الله) أى بإرادته (لكل أجل) أى لكل وقت من الاوقات (كتاب) أى حكم معين مكتوب في مصحف الملائكة التي تنسخها من اللوح المحفوظ فقد أثبت فيها أن أمر كذا يكون في وقت كذا هل إلى ما تقتضيه الحكمة (يمحو الله ما يشاء) من الأحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت (ويثبت) أى يبقيه على حاله (وعنده أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما هو فالحكمة فيه أن يظهر للملائكة كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات على سبيل التفصيل فعند الله كتابان يكتب الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات وكتاب كتبه القلم بنفسه في اللوح المحفوظ وهو الباقي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق إلى قيام الساعة علم أن القوم كانوا يذكرون أنواعاً من الشبهات في إبطال نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالشبهة الأولى أنهم عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وبأكل الطعام والمشى في الأسواق وبكونه من جنس البشر وقالوا لو كان محمد رسولا من عند الله لما اشتغل بالنسوة بل كان مشغولاً بالنسك والزهد وقالوا الرسول الذي يرسله الله إلى الخلق لا بد وأن يكون من جنس الملائكة وقالوا لو كان محمد رسولا من الله لما أكل الطعام ولما مشى في الأسواق فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية أى إن الأنبياء الذين كانوا قبل محمد كانوا من جنس البشر فاتصفوا بصفات من الزواج والاكل ونحو ذلك ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكيف يجعلون ذلك قادحاً في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والشبهة الثانية قولهم لو كان محمد رسولا من عند الله لكان أى شيء طلبناه من المجهزات أتى به ولم يتوقف فأجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله أى إن المجهزة الواحدة كافية في إظهار الحجة فالزائدة عليها مفوضة إلى مشيئة الله تعالى إن شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها والشبهة الثالثة أنه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب فيهم وظهور النمرة ولا محاباة فلما تأخر ذلك طعنوا في نبوته صلى الله عليه وسلم وقالوا لو كان محمد نبياً لما ظهر كذبه فأجاب الله تعالى عنه بقوله لكل أجل كتاب أى إن نزول العذاب على الكفار وظهور النمرة للأولياء قضى الله بحصولها في أوقات مخصوصة ولكل حادث وقت معين ولكل أجل كتاب فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فتأخر تلك المواعيد لا يدل على كونه صلى الله عليه وسلم كاذباً والشبهة الرابعة قولهم لو كان محمد صادقاً في دعوى الرسالة لم ينسخ الأحكام التي نص الله تعالى على نبوتها في الشرائع المتقدمة لكنه حرقها كافي القبلة ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل فوجب أن لا يكون نبياً فأجاب الله عنه بقوله يمحوا الله ما يشاء ويثبت (واما ترينك) أى أن ترك (بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك (أو نتوفينك) أى نقبضنك قبل أن ترينك (فاغما عليك البلاغ) أى سواء أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوى في حياتك أو قوفيناك

قبل ظهوره قالوا يجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأداء رسالته وأما انت فلا تهتم بما وراء ذلك فممن
 تكفيك ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يفجر ك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية (وعليها
 الحساب) أي وعليها لا عليك بحاسبة أعمالهم السيئة وبجاراتها (أولم يروا أنات الأرض تنقصها
 من أطرافها) أي أنكرا أهل مكة نزول ما وعدناهم ولم يروا أنا أخذ أرضهم فنقصها من نواحيها للمسلمين
 شيئا فشيئا ونقصها بدار الاسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والاسر والاجلاء أليس هذا من ذلك (والله
 يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار (لامعقب لحكمه)
 أي لا راد له (وهو سريع الحساب) أي فبعد من قليل يحاسبهم في الآخرة عذبهم في الدنيا
 بالقتل والامر والاخراج من ديارهم (وقدمكر الذين من قبلهم) أي وقد مكر الكفار الذين مضوا من
 قبل كفار مكة بأنبيائهم فتمرد مكر إبراهيم وفرعون مكر موسى واليهود مكر وابيعسى كما مكر هؤلاء بل
 (فإنه المكر جميعا) أي ان مكر جميع الماكرين حاصل بتخليقه تعالى وارادته فوجب أن لا يكون الخوف
 الا من الله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) فكل ما علم الله وقوه فهو واجب الوقوع فلا قدرة للعبد
 على الفعل والترك (وسيعلم الكفار) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمر الكافر على لفظ المفرد وقرأ جناح
 ابن جنيش وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام أي سيخبر (لمن عقبى الدار) أي لمن العاقبة الحسنة
 (ويقول الذين كفروا) أي اليهود وغيرهم (لست مرسل) من الله يا محمد (قل) لهم يا أكرم
 الرسل (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه تعالى قد أظهر المعجزات الدالة على كوني صادقاً في
 دعوى الرسالة (ومن عنده علم الكتاب) أي السماوى ككتب الاحبار وسلمان الفارسي وعبد الله
 ابن سلام وتميم الداري وآصف بن برخيا فكل من كان عالماً بالتوراة والانجيل علم أن محمداً مرسل من عند
 الله وقرئ ومن عنده علم الكتاب عن الجارة التي لا ابتداء لها أي ومن عند الله حصل علم القرآن لان
 أحداً لا يعلمه الا من تعليمه ثم على هذه القراءة قرئ أيضاً علم الكتاب على البناء للمفعول أي لما أمر الله
 نبيه أن يمتحنهم بشهادة الله على رسالته ولا يكون ذلك الا باظهار القرآن ولا يعلم العبد كون القرآن
 معجزاً الا بعد العلم بما فيه من أسرار بين الله تعالى ان هذا العلم لا يحصل الا من عند الله

سورة ابراهيم مكية وآياتها اثنان وخمسون وكلما تها ثمانمائة واحد وثلاثون
 وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب) أي السورة المسماة بالكتاب (أترلنا اليك) يا أشرف الخلق (لتخرج
 الناس) كافة بدعائك أيهم (من الظلمات) أي ظلمات الكفر والضلالة والجهل (الى النور) أي الايمان
 وهذه الآية دالة على أن طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق واحد (بأذن ربهم) أي بتسهيله
 فان الرسول لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات الى النور الا بمشيئة الله وتخليقه (الى صراط العزيز الحميد)
 أي الى دين السكامل القدرة المستحق للحمد في كل أفعاله (الله) قرأه نافع وابن عامر بالرفع (الذي له ما في
 السموات وما في الارض) ملكا وملكاً (وويل للكافرين من عذاب شديد) أي لما ترك الكفار عبادة الله
 الذي هو المالك للسموات والارض ولكل ما فيهما ما عبدوا ما لا يملك ضرا ولا نفعا فالويل ثم الويل لمن كان
 كذلك أي يولولون أي يصيحون من عذاب غليظ ويقولون يا ويلاه (الذين يستحبون الحياة الدنيا على
 الآخرة) أي يختارون الدنيا على الآخرة فهم ضالون (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن

قبول دين الله فهم مضلون (ويبغونها عوجا) أي يطلبون لسييل الله زيغوا ويقولون لمن يريدون اضلاله
 انها زائغة غير مستقيمة فهذا نهاية الضلال والاضلال (أولئك) الموصوفون بتلك القبائح (في
 ضلال) عن طريق الحق (يعبد) أي في غاية البعد عنه فلا يوجد ضلال أكل من هذا الضلال
 (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أي الامتكاما ببلغة من أرسل اليهم الرسول أي كان وهم بالنسبة
 لغرسيدنا محمد خصوصا عشيرة رسوله وبالنسبة اليه كل من أرسل اليه من أصناف الخلق لان رسالته
 عامة لجميع الخلق وهو صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم ببلغتهم وان لم يثبت انه تكلم باللغة التركية
 لانه لم يصادف انه خاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه لكلمه بها (ليبين لهم) ما كلفوا به بلغاتهم فيكون
 فهمهم لا سرار الشريعة أسهل ووقوفهم على المقصود أكل (فيضل الله) عن دينه (من يشاء) أي
 يمنع الطاعة تعالى به (ويهدي) لدينه بمنع اللطاف (من يشاء) فتقوية البيان لا توجب حصول
 الهداية فربما قوى البيان ولا تحصل الهداية وربما ضعف البيان وحصلت الهداية لان الهداية والضلال
 لا يحصلان الا من الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) فلا يغالب في مشيئته ولا يفعل شيئا الا بحكمة
 (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهي هجراته التي أظهرها لبنى اسرائيل (أن أخرج قومك من
 الظلمات) أي ظلمات الكفر (إلى النور) أي نور الايمان فان مفسرة لا أرسلنا (وذكرهم
 بأيام الله) أي بنعم الله عليهم كأنفلاق البهر وتظليل الغمام وعلى من قبلهم عن آمن بالرسول في ماسلف
 من الايام ويأس الله عليهم وهي أيامهم تحت قهر فرعون وبعباب الله عن كذب الرسل فيما سلف من
 الايام كما نزل بعاد وحمود وغيرهم ايرغبوا في الوعد فيصدقوا وليحذروا من الوعيد فيتركووا التكذيب
 (ان في ذلك) أي في التذكير بالوقائع (آيات) أي دلائل (لكل صابر شكور) وهذا تنبيه على
 ان المؤمن يجب ان لا يخلو زمانه عن أحد الامرين الصبر والشكر لان الحال اما أن يكون حال بلية أو حال
 عطية فان جرى الوقت على ما يلائم طبعه كان شكورا وان جرى بما يلائم طبعه كان صابرا فالانتفاع
 بهذا التذكير لا يكون الا من كان صابرا أو شاكرا (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم)
 أي مستقرة عليكم (اذ أنجاكم من آل فرعون) أي وقت انجائهم اياكم منهم (يسومونكم سوء
 العذاب) أي يطلبون منكم الاعمال الشاقة (ويذبون) تذيبها كثيرا (أبناءكم) صغارا
 (ويستحيون نساءكم) أي يستخدهنهن بكرا بالاستحياء ويبقونهن منفردات عن الرجال (وفي
 ذلكم) أي المذكور من الافعال الفظيعة (بلاء من ربكم عظيم) لا يطاق وفي الخلاص من ذلك نعمة
 عظيمة (واذ تأذن ربكم) أي واذكروا حين أعلم ربكم في الكتاب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
 واذ قال ربكم (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك بالايمان الخالص
 والعمل الصالح (لازيدنكم) نعمة الى نعمة وحقيقة الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه
 ومزيد النعم الجسدية ان كل من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر ومزيد
 النعم الروحية ان النفس اذا اشتغلت بطاعة أنواع فضل الله واحسانه أوجب ذلك الاشتغال تأكد
 محبة العبد لله تعالى ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة الى أن يصير حبه للنعم شاغلا له عن الالتفات الى النعم
 فالشكر مقام شريف يوجب السعادة في الدين والدنيا (ولئن كفرتم) أي أنكرتم نعمتي فعسى يصيبكم
 عذابي (ان عذابي لشديد) وكفران النعمة لا يكون الا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمت من الله تعالى
 والجاهل بها جاهل بالله والجهل بالله من أعظم أنواع العذاب (وقال مومني ان تكفروا) نعمة تعالى ولم

تشكروها (أنتم) يا بني إسرائيل (ومن في الأرض جميعا) لم يرجع ضرر الكفر إلا عليكم (فإن الله لغني) عن شكر الشاكرين (حميد) أي مستحق للحمد في ذاته وإن لم يحمد أحد بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده (ألم يأتكم) يا بني إسرائيل (نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي من بعده هؤلاء المذكورين (لا يعلمهم إلا الله) أي لا يعلم عددهم إلا الله لكثرتهم وهذه الجملة حال من الذين آمنوا من الغدير المستكن في من بعدهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالدلائل الواضحة على صدقهم وهذه الجملة تفسير لنبأ الذين من قبلكم (فردوا أيديهم في أفواههم) أي وعض الكفار أيديهم من الغيظ من شدة نفرتهم عن استماع كلام الرسل أو وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين إلى الرسل أي كفوا عن هذا الكلام واسكتوا (وقالوا أنا كفرناحبا أرسلتم به) على ادعائكم فإنهم ما أقروا بأن أوامر الرسل ومنهياتهم من الله تعالى (وانا في شك) عظيم (عمادعوننا إليه) من الايمان بالله والتوحيد وقرئ تدعوننا بادغام النون (مريب) أي ذى قلق النفس (قالت رسلهم أي في الله شك) أي في وجود الله ووحدته شك وهو أظهر من كل ظاهر (فاطرا السموات والأرض) أي مبدعهما وما فيهما (يدعوكم) إلى التوحيد بإرساله إيانا (ليغفر لكم) بسببه (من ذنوبكم) في الجاهلية (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي يؤخر موتكم إلى وقت معين عند الله إن آمنتم والاعاجيلكم الله بالاستئصال (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا) من غير فضل (تريدون) بالدعوة (أن تصدونا) أي تصرفونا (عما كان يعبد آباؤنا) أي عن عبادة ما أسقرا آباؤنا على عبادته (فأتونا بسلطان مبين) أي وإن كنتم رسلا من الله فأتونا بحجة ظاهرة تدل على صحة ما تدعون من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده قالوا ذلك عناداً فإن الرسل قد أتوهم بالآيات الظاهرة (قالت لهم رسلهم) بحجراتهم في أول معالمتهم (إن نحن إلا بشر مثلكم) كما تقولون (ولكن الله ينزل على من يشاء من عباده) بالنبوة فإنها عطية من الله من غير سبب (وما كان لنا) أي ما استقام لنا (أن نأتيكم بسلطان) أي بحجة (الاباذن الله) أي بإرادته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ومقصود الرسل بهذا القول حمل أنفسهم على التوكل فإن الكفار أخذوا في التخويف حتى قالوا للرسول توكلوا أنتم على الله حتى تر واما يفعل بكم فقالت الرسل (وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) أي أي عذر لنا في ترك التوكل على الله والحال أنه قد هدانا طرقه التي نعرفه بها ونعلم أن الأمور كلها بيده (ولنصبرن على ما آذيتونا) بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك فإن الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أمر الرسل في هذا اتباعهم بالتوكل بعد أمر أنفسهم به وذلك يدل على أن الأمر بالخير لا يؤثر إلا بعد الايمان به فالإنسان إما أن يكون ناقصاً أو كاملاً فالناقص إما أن يكون ناقصاً غير ساع في تنقيص حال غيره فهو ضال وإما أن يكون ساعياً في ذلك فهو مضل وإما خالياً عن الوصفين فهو مهتد والكامل إما أن يكون غير قادر على تكميل الغير فهو ولي وإما قادراً على ذلك فهو نبي فالولي هو الإنسان الكامل والنبي هو الإنسان الكامل المكمل (وقال الذين كفروا) أي الغالون في الكفر (لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا) أي من مدينتنا (أو لنعودن في ملتنا) أي لتصيرن داخلين في ملتنا (فأوحى إليهم) أي الرسل (ربهم) لنملكن الظالمين ولنسكننكم الأرض) أي أرض الظالمين وديارهم (من بعدهم) أي من بعدهم هلاكهم (ذلك) أي أسكان الأرض ثابت (لمن خاف مقامى) أي لمن خافني وخاف حفظي لأعماله (وخاف وعيد) أي حذابي الموعود بالكفار (واستفتحوا) أي طلب كل من الرسل والقوم النصرة على عدوه

فمنصر الله الرسل (وخاب كل جبار) أى خسر عند الدعاء من النصرة كل متكبر عن عبادة الله (عنيد) أى منحرف عن الحق (من ورائه جهنم) أى من بعده هذه الخيبة جهنم يلقي فيها (ويسقى من ماء صديد) أى مما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم (يتجرعه) أى يتناونه جرعة جرعة على الاستقرار لغلبة العطش والحرارة عليه (ولا يكاد يسيغه) أى لا يكاد أن يجريه في الحلق بل يستسكه فيه لمرارته وفتنه فوصوله إلى الجوف ليس بإجازة (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) أى يجد ذلك الكافر ألم الموت من كل مكان من أعضائه حتى من أصول شعره وإبهام رجله والحال أنه لا يموت من ذلك العذاب (ومن ورائه عذاب غليظ) أى ومن بعده ذلك العذاب عذاب أشدهما هو عليه لا ينقطع ولا يخف بسبب الاعتياد كفى عذاب الدنيا (مثل الذين كفروا بربههم أعمالهم) أى صفة أعمالهم الصالحة كصدقة وصله رحم واعتاق رقاب وفداء أسير وقرى ضيف وبر والدوافاة ملهوف (كرما دأشتدت) أى ذرت (به الريح في يوم طاف) أى شديد الريح (لا يقدر أن يمسوا على شيء) أى لا يجدون يوم القيامة أثر أعمالهم لو في الدنيا من ثواب أو تخفيف عذاب كما لا يوجد من الرماد شيء إذا ذرته الريح وذلك لفقد شرط الأعمال وهو الأيمان (ذلك) أى عملهم (هو الضلال البعيد) أى الضياع البعيد عن نيل الثواب (ألم تر) أى قد أخبرت أيها المخاطب (أن الله خلق السموات والأرض بالحق) أى ملتبساً بالحكمة وليس عبثاً وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات على اسم الفاعل والاضافة (إن يشأ يذهبكم) أى يهلككم بالمرة (ويأت بخلق جديد) سواءكم أطوع الله منكم (وما ذلك) أى أذهب بكم والأتيان ببدل لكم (على الله بعزيز) أى بعتر لان القادر لا يصعب عليه شيء (وبرزوا لله جميعاً) أى ويخرجون من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة (للذين استكبروا) عن عبادة الله وهم أكابرهم (أنا كآلهم تبعاً) في الدنيا في تكذيب الرسل والأعراض عن نصيحتهم (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) أى فهل أنتم في هذا اليوم دافعون عنا بعض شيء هو عذاب الله (قالوا) أى القادة (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو خلاصنا الله من العقاب وهدانا إلى طريق الجنة لهديناكم طريق النجاة ودفعنا عنكم بعض العذاب ولكن سدا الله عنا طريق الخلاص (سواء علينا أجزعنا) مما لقينا (أم صبرنا) على ذلك أى الصياح بالتضرع والصبر مستويان علينا في عدم الانجاء (مالنا من محيص) أى محل هرب من العقاب (وقال الشيطان) أى يقول ابليس رئيس الشياطين خطيباً في محفل الأشقياء من الثقلين (لما قضى الأمر) أى فرغ منه بأن استقرأ أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقد قالوا له اشفع لنا فانك أضللتنا (إن الله وعدكم وعد الحق) وهو الوعد بالبعث والجزاء على الأعمال فصدق في وعده أياكم (ووعدتكم) أن لا تبعث ولا حساب ولا الجنة ولا نار ولن كان فالأصنام شفعاءكم (فأخلفتمكم) أى كذبت لكم وتبين خلف وعدى (وما كان لي عليكم من سلطان) أى حجة تدل على صدقي أو قهر فاقهركم على الكفر والمعاصي (الأن دعوتكم) أى الادعائي أياكم إلى الضلالة بوسوستي (فاستجبتم لي) أى أجبتهموني (فلا تلومونني) بوعدي أياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر (ولوموا أنفسكم) حيث أجبتهموني باختياركم حين دعوتكم بلا دليل فما كان مني إلا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل وكان من الواجب عليكم أن لا تغتروا بقولي فلما رجحت قولي على الدلائل الظاهرة كن اللوم عليكم لا على في هذا الباب (ما أنابصر خكم) أى بغيشكم من عذابكم (وما أنتم بمصرخي) أى بغيشي من عذابي (إني كفرت

بما أشركتمون من قبل) أي اني الآن تبرأت من أشرككم أي مع الله في الطاعة من قبل هذا اليوم
 أي في الدنيا أي لان الكفار كانوا يطيعون إبليس في أعمال الشرك كما يطاع الله في أعمال الخير ومعنى
 أشركهم إبليس بالله تعالى طاعتهم لا إبليس في تزيينه لهم في عبادة الاوثان (ان الظالمين لهم عذاب
 أليم) هذا تمام كلام إبليس قطعاً لا طماع أولئك الكفار عن الاغاة فالوقف على من قبل حسن أو
 ابتداء كلام من حضرة الله تعالى ايفاظا للسامعين حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم فالوقف على
 من قبل تام كما هو عند أبي عمر (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
 خالدين فيها باذن ربهم) متعلق بادخل أي أدخلتهم الملائكة بأمر ربهم (تحييتهم فيها سلام) فان
 بعضهم يحيي بعضهم هذه الكلمة والملائكة يحيونهم بها والرب الرحيم يحييهم أيضا بهذه الكلمة وقرأ الحسن
 وأدخل على صيغة التثنية وعلى هذه القراءة فقول باذن ربهم متعلق بتحييتهم أي يحييهم الملائكة بالسلام
 باذن ربهم (الم تر) أي ألم تخبر يا شرف الخلق (كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) أي كيف
 جعل الله كلمة طيبة وهي لا اله الا الله مثلا وهي (كشجرة طيبة) وهي النخلة (أصلها ثابت) أي
 ضارب بعروقه في الارض (وفرعها في السماء) أي أعلاها في الهواء (تؤتي أكلها) أي تعطى
 هذه الشجرة ثمرها (كل حين) أي كل وقت وكل ساعة ليلا أو نهارا شتاء أو صيفا فيؤكل منها الجمار
 والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين
 الطرى الرطب فأكلها دائم في كل وقت (باذن ربها) أي بإرادة خالقها كذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب
 المؤمن بالبرهان وهل المؤمن المخلص يرفع الى السماء وفي كل حين يعمل خيرا بأمر ربه وحكمة تعميل
 كلمة التوحيد بالشجرة ان الشجرة تكون بثلاثة أشياء عرق رأسخ وأصل قائم وفرع حال كذلك التوحيد
 يكون بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان (ويضرب الله الامثال) أي يبين
 الله صفات التوحيد (للناس لعلهم يتذكرون) أي يتعظون لان في ضرب الامثال تصوير اللغات
 فيحصل به الفهم التام والوصول الى المطلوب (ومثل كلمة خبيثة) وهي الشرك بالله (كشجرة
 خبيثة) كالحنظل والكثوث وهي نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير ان يضرب بعرق في الارض
 (اجتمت) أي استوصلت (من فوق الارض) لتكون عروقها في وجه الارض أي ليس لها أصل
 ولا عرق يغوص في الارض فتسميتها شجرة للشاكلة فكذلك الشرك بالله ليس له حجة ولا قوة (مالها
 من قرار) أي ثبات على وجه الارض فلا يقبل مع الشرك هل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)
 أي الذي يثبت بالجنة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو شهادة ان لا اله الا الله (في الحياة الدنيا) فلا
 يزالون عن تلك الشهادة اذا اقتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وعيسى وموسى والذين فتنهم أصحاب
 الاخدود (وفي الآخرة) أي في القبر حين يقال له من ربك وما دينك ومن نبيلك فيقول ربى الله ودينى
 الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم وحكى ان سهل بن عمار العملي يقول رأيت يزيد بن هرون في منامى
 بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيلك فاخذت
 بلحيتي البيضاء فقلت لهما المثل يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا وكلما كانت
 مواظبة العبد على ذكر لا اله الا الله وعلى التأمل في دقائقها أتم وأكمل كان دسوخ هذه المعرفة في قلبه
 بعد الموت أقوى وأكمل قال ابن عباس من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يثبت الله عليها في قبره
 ويلقنها ياها وانما فسر الآخرة ههنا بالقبر لان الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام

الآخرة (ويضل الله الظالمين) أي يصرف الله المشركين عن قول لا اله الا الله في الدنيا وفي القبر وعند خروجهم من القبور فانهم اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال والتشيت ومن صرف منكر ونكير (ألم تر) أي ألم تنظر (الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) كأهل مكة حيث أسكنهم الله حرمة الا من ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا بذلك فمحقوا سبع سنين فقتلوا وأمروا يوم بدر (وأحلوا قومهم) أي أنزل بعض قريش المطعمون يوم بدر وهم بنو أمية وبنو المغيرة أتباعهم وهم ببيعة قريش بسبب اضلالهم اياهم (دار البوار) أي دار الهلاك (جهنم يصلونها) أي يدخلونها يوم القيامة مقاسين لحرها (وبشس القرار) أي بشس المنزل جهنم (وجعلوا الله آتادا) أي أشباها وشركاء في التسمية والحظ والعبادة (ليضلوا عن سبيله) الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فاللام للعاقبة والباقون بضمها فاللام اما للعاقبة لان عبادة الاوثان سبب يؤدي الى الضلال أو للتعليل فالذين اتخذوا الاوثان يريدون اضلال غيرهم وتحقيق لآلام العاقبة ان المقصود من الشيء لا يحصل الا في آخر المراتب كما قيل أول الكفر آخر العمل وكل ما حصل في العاقبة كان شيئا بالامر المقصود في هذا المعنى (قل تمتعوا) بعبادتكم الاوثان وعيشوا بكفركم وهذا الامر تهديد لهم (فان مصيركم) أي مرجعكم يوم القيامة (الى النار) ليس الا (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) وهذا اما مجزوما في جواب أمر محذوف أي قل لهم أقيموا الصلاة فان قلت لهم ذلك يقوموا الصلاة أو مجزوما بلام أمر مقدر أي ليعقيموا الصلاة أي الواجبة (وينفقوا مما رزقناهم) أي أعطيناهم (سرا وعلانية) أي أنفقوا انفاق سرا وعلانية والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وعلى ترك التمتع بمتاع الدنيا كما هو صنيع الكفرة (من قبل ان ياتي يوم لا بيع) أي معارضة (فيه ولا خلال) أي مصادقة تنفع وهو يوم القيامة وانما الانتفاع فيه للأؤمن بالعمل الصالح والانفاق لوجه الله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض) وهما أصلان في دلالة وجود الصانع (وأنزل من السماء) أي السحاب (ماء) فلولو السماء لم يصح انزال الماء منها ولولا الارض لم يوجد ما يستقر الماء فيه (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثورات رزقا لكم) تعيشون به فاذا علم المكافون ان في تحصيل هذه المنافع القليلة تحمل المتاع بالمنافع العظيمة الدائمة في الآخرة أولى بتحمل المشاق في طلبها (ومخرلكم الفلك) أي السفن (لتجري) أي الفلك تجري يا تابعي الارادتكم (بأمره) أي بمشيئته التي نيط بها كل شيء فان الانتفاع بما ينبت من الارض لا يكمل الا بوجود الفلك لنقله الى البلد الآخر المحتاج أهلها اليه (ومخرلكم الانهار) أي لتنتفع بها في نحو الشرب وسقي الزراعات (ومخرلكم الشمس والقمر داثين) أي جارين فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران في سيرهما الى انقضاء عمر الدنيا ولولاهما لاختلت مصالح العالم بالكلية (ومخرلكم الليل والنهار) لنامكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ما سألتوه) أي كل ما لم تصلح أحوالكم الا به فكن أنكم سألتوه أو من كل ما طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمة الله) التي أنعم الله بها عليكم (لا تحصوها) أي لا تطبقوا على عد أنواعها فضلا عن عد أفرادها فانها غير متناهية (ان الانسان لظلوم كفار) أي فان الانسان مجبول على النسيان والملافة فاذا وجد نعمة نسيها في الحال وترك شكرها فذلك ظلم وان لم ينسها فانه يعلمها فيقع في كفران النعمة وأيضا ان نعم الله كثيرة فتفي حواصل الانسان التأمل في بعضها غفل عن الباقي (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) أي مكة (آمنا) من الحراب ومن الخوف لمن التجأ

اليه (واجبني وبني أن نعبد الأصنام) أي نبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الإسلام ومن البعد عن عبادة الأصنام أو المراد أعصمنا من الشرك الخفي وهو عند الصوفية تعليق القلب بالوسائط وبالأسباب الظاهرة (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) أي ان الأصنام ضل بهن كثير من الناس أي لما حصل الاضلال عند عبادتها نسب اليها (فمن تبعني) أي خالف ديني (فإنك غفور رحيم) أي فانه جار مجرى بعضي لقربه مني (ومن عصات) أي خالف ديني (فإنك غفور رحيم) أي فأنك قادر على ان تغفر له وترحمه بأن تنقله عن الكفر الى الإسلام (ربنا اني أسكنت من ذريتي) أي بعض ذريتي اسمعيل ومن سيولده (بواد غير ذي زرع) أي في واد ليس فيه زرع (عند بيتك المحرم) أي المعظم الذي يهابه كل جبار والذي منع من الطوفان وهو مكة شرفها الله تعالى فلعنه قال ذلك باعتبار ما سيؤول اليه أو باعتبار ما كان (ربنا ليقيموا الصلاة) أي ياربنا انما أسكنت قوما من ذريتي وهم اسمعيل وأولاده في هذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا الصلاة نحو الكعبة (فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) أي فاجعل قلوب بعض الناس تسرع الى ذريتي شوقا اليهم بنقل المعاشات اليهم بسبب التجارات بالنسك والطاعة لله تعالى وقرأ العامة تهوى بكسر الواو وقرأ أمير المؤمنين علي وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد يفتح الواو أي تحبهم وقرئ على البناء للمفعول أي اجعل قلوب بعض الناس عمالة اليهم (وارزقهم) أي ذريتي (من الثمرات لعلهم يشكرون) تلك النعمة فان ابراهيم عليه السلام انما طلب تيسير المنافع على أولاده لاجل ان يتفرغوا لاقامة الصلاة وأداء الواجبات (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) من الحاجات وغيرها فلا حاجة بنا الى الدعاء انما ندعوك اظهارا للعبودية لك واقتدارا الى ما عندك (وما يخفي على الله من شيء في الارض ولا في السماء) وهذه الجملة من كلام الله تعالى تصديقا لابراهيم عليه السلام وهي اعتراض بين كلامي ابراهيم فالوقف على نعلن حسن كالوقف على في السماء (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي حال كوني بعد الكبر (اسمعيل واسحق) روى انه لما ولد اسمعيل كان سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة ولما ولد اسحق كان سنه مائة واثنى عشرة سنة (ان ربي لهيب الدعاء) أي لجيب الدعاء وهو عالم بالمقصود (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي مشارا عليها (ومن ذريتي) أي واجعل بعض ذريتي كذلك (ربنا وتقبل دعاء) وقال ابن عباس أي عبادتي (ربنا اغفر لي) ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك (ولو ادي) وهذا الاستغفار قبل تبين أمرهما وقرأ ابن حسين ولو ادي بسكون الياء وقرأ الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي بن الحسين ولو ادي بفتحات وهما اسمعيل واسحق وقرأ ابن يعمر ولو ادي بضم الواو وسكون اللام وكسر الدال جمع ولد فالقراآت الثلاثة (والمؤمنين) كافة أي من ذرية ابراهيم وغيرهم ففي هذا الدعاء بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خيله ابراهيم عليه السلام (يوم يقوم الحساب) أي يوم يثبت محاسبة أعمال المكلفين على وجه العدل (ولا تحسبن الله) يا أشرف الخلق (غافلا عما يعمل الظالمون) أي تارك عقوبة المشركين بما عملوا والمراد تشييته صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من انه صلى الله عليه وسلم لا يحسب الله غافلا والمقصود تنبيهه على انه تعالى لو لم ينتقم للظلم من الظالم لزم عليه تعالى أحد الامور الثلاثة اما أن يكون غافلا عن ذلك الظالم أو عاجزا عن الانتقام أو راضيا بذلك الظلم وكل ذلك محال عليه تعالى فامتنع أن لا ينتقم للظلم من الظالم (انما يؤخرهم) بلا عذاب الاستئصال (ليوم) أي لاجل يوم (تشخص فيه الابصار) أي تبقى مفتوحة لا تتحرك أجفانهم

للهشة (مطعين) أى مسرعين نحو البلا ناطرين الى الداعي وهو جبريل حيث يدعو الى الحشر من مخرة بيت المقدس (مقني رؤسهم) أى رافعي رؤسهم الى السماء لا ينظر أحد الى أحد (لا يرتد اليهم طرفهم) أى يدوم شخوص أبصارهم لدوام الحيرة في قلوبهم (وافئدتهم هوا) أى خالية عن جميع الافكار لعظم ما ينالههم من الحيرة لما تحققوه من العقاب وحصول هذه الصفات الخمسة عند المحاسبة (وأندرا الناس يوم يأتيهم العذاب) أى وخوف الكفار يا كرم الرسل أهوال يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أى كل من ظلم بالشرك (ربنا أخرنا الى أجل قريب) أى أخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وأمهلنا الى حد من الزمان قريب (نحب دعوتك) لنا على السنة الرسل الى التوحيد (وتتبع الرسل) فيها جاؤنا به أى نتدارك في الدنيا ما فاتنا من اجابة الدعوة واتباع الرسل فيقول الله لهم توبيننا (أولم تكونوا أقسمتم) أى أطلبتم هذا المطلوب وهل لم تكونوا حلفت (من قبل) هذا اليوم أى في الدنيا (مالكم من زوال) أى كانوا يقولون بالخلف لازوال لنا من هذه الحياة الى حياة أخرى ومن هذه الدار الى دار المجازاة أمازوا لهم من غنى الى فقر ومن شباب الى هرم ومن حياة الى موت فلا ينكرونه (وسكنتم) معطوف على أقسمتم (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية وهم قوم نوح وعاد وثمود لان من شاهد هذه الأحوال وجب عليه أن يعتبر فاذا لم يعتبر كان مستحقا للتقريع (وتبين لكم) أى وظهر لكم حالهم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار (كيف فعلنا بهم) من الاهلاك بما فعلوا من الفساد وقرى وبين على المجهول وقرى أيضا وتبين بنون المتكلم أى أولم نبين لكم (وضربنا لكم الامثال) أى بينا لكم الامثال في القرآن عما يعلم به انه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المجل (وقدمكم) أى المهلكون (مكرهم) حال من الضمير في فعلنا بهم أى فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قدمكم مكرهم وفى ابطال الحق مكرهم الذى جاوزوا فيه كل حدمعهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم (وعند الله مكرهم) أى أخذهم بهم بالعذاب الذى يستحقونه بأنهم به من حيث لا يشعرون وهذه الجملة حال من الضمير في مكرهم (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) أى وان كان مكرهم فى غاية العظم والشدة بحيث تزول منه الجبال فان وصليته وقيل ان نافية واللام لتأكيدها وينصره قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حيثئذ حال من الضمير في مكرهم أى ومكرهم مكرهم والحال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الشرائع والمجرات وقيل هي محققة من ان أى وانه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال فى الثبات من الشرائع والمجرات وقرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الفارقة ورفع الفعل فالجملة حيثئذ حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أى وعند الله المكر بهم والحال أن مكرهم فى غاية القوة بحيث تزول منه الجبال (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) تفريع على ولا تحسبن الله الخ فكأنه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقونه من الشدائد وما يسألونه من الرد الى الدنيا وما أجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم فى أحوال من سبقهم من الامم الذين أهلكتهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم باهلا كههم قدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلاقنا رسلنا وعدنا فمخلف امام تعدلاتين مضاف لفعله الثانى وامامتعد لواحد مضاف لفعله ورسله مفعول لوعده (ان الله عزيز) أى طالب لا يماكر (ذوانتقام) لاوليائه من أعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) أى تغير فى صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتغير بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت (والسموات) أى تبدل السموات غير السموات فتنتثر كواكبها وتكسف شمسه ويخسف قمرها وتكون السماء أبوابا واذ كر شيب بن

ابراهيم بن حيدرة أن الارض والسموات تبدلان كرتين احدهما قبل نفخة الصعق فتنتثرأولا الكواكب
وتكسف الشمس والقمر وتصر السماء كالمهل ثم تكشط عن رؤسهم ثم تسير الجبال ثم تجوج الارض ثم
تصير البحار نيرانا ثم تنشق الارض من قطر الى قطر فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء وبذلت
السماء سماء أخرى من ذهب ودحيت الارض أى مدت مدا لاديم وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر
على ظهرها وفي بطنها وتبدل تبدلا ثانيا اذ اوقفوا في المحشر فتبدل لهم ساهرة يحاسبون عليها وهي أرض
بيضاء من فضة وحيث تقوم الناس على الصراط وعلى متن جهنم وهي أرض من نار فاذا جاوزوا الصراط
حصل أهل الجنان من وراء الصراط في الجنان وأهل النيران في النار بذلت الارض خبزات قيافا كلوا من
تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت الارض قرصا واحدا يأكل منه جميع من دخل الجنة وأدامهم
زيادة كبذورا الجنة وزيادة كبدا النون وحاصل كلام القرطبي أن تبديل هذه الارض بأرض أخرى من
فضة يكون قبل الصراط وتكون الخلائق اذ ذاك مرفوعة في أيدي ملائكة سماء الدنيا وأن تبديل
الارض بأرض من خبز يكون بعد الصراط وتكون الخلائق اذ ذاك على الصراط وهذه الارض خاصة
بالمؤمنين عند دخولهم الجنة وقال الرازي لا يبعد أن يقال المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى
يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة (وبرزوا لله الواحد القهار) أى واذا كروا يوم يبرز الخلائق
جميعا من قبورهم للحساب والجزاء (وترى المجرمين) أى وتبصر يا أكرم الخلق الكافرين (يومئذ) أى يوم
اذ برزوا له تعالى (مقرنين) أى قرن بعضهم ببعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال (في الاصفاد) أى
القيود (سرايلهم) أى قصاصهم (من قطران) وهو ما يتحلب من شجر الابل فيطبخ ويطلى به
الابل الجربى فيحرق الجرب بحرارته وقد تصل الى الجوف والمراد انه تطلّى به جلود أهل النار ليجمع عليهم
الانواع الاربع من العذاب لذع القطران ووحشة لونه وتتنريحه وامرأع النار في جلودهم (وتغشى
وجوههم النار) أى تعلوها النار وخص الله هذا العضو بظهور آثار العقاب كما خص القلب بذلك في قوله
تعالى نارا لله الموقدة التي تطلع على الاقعدة لان الرأس محل الفكر والوهم والخيال والقلب موضع العلم
والجهل ولا يظهر أثر هذه الاحوال الا في الوجه ولانه مجمع الحواس ونحوه عن القطران ويفعل الله بهم
تلك الامور الثلاثة (ليجزى الله كل نفس) مجزئة (ما كسبت) من أنواع الكفر والمعاصي جزاء
موافقا لعملها (ان الله سريع الحساب) فلا يشغله حساب عن حساب ولا يظلمهم ولا يزد على عقابهم
الذى يستحقونه (هذا) أى الموعظة التي في هذه السورة (بلاغ) أى كفاية في الموعظة (للناس
ولينذروا به) عطف على مقدمته ليقرب بلاغ أى كفاية لهم لينتصحووا ولينذروا به أى بهذا البلاغ
(وليعلموا) بما فيه من الأدلة (أنما هو) أى الله (اله واحد) لا شريك له (ولينذروا الابواب)
أى وليتعضوا بذلك وهذه الآيات مشعرة بان التذكير بهذه المواضع يوجب الوقوف على التوحيد
والاقبال على العمل الصالح

(سورة المجرمكية وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع

وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) قال ابن عباس أى أنا الله أرى (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أى تلك
آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان لسبيل الرشاد والغي

وللفرق بين الحق والباطل وهو الكتاب الذي وعد الله تعالى به محمد صلى الله عليه وسلم و تنكير القرآن للتفخيم كتعريف الكتاب فالمقصود الوصفان وقيل الواو للقسم أى أقسم بالقرآن المبين بالحلل والحرام وبالأمر والنهي (ربما يورد الذين كفروا ولو كانوا مسلمين) أى ان الكافر بالقرآن كلما رأى حالاً من أحوال العذاب ورأى حالاً من أحوال المسلم غنى كونه فى الدنيا منقاداً لحكمه ومذعناً لأمره وذلك عند الموت وعند اسوداد وجوه الكفار وعند دخولهم النار وعند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار قرب للتكثير باعتبار مرات التمنى وللتقليل باعتبار ازمان الافاقة فآزمان افاقتهم قليلة بالنسبة لآزمان الدهشة وكونه للتقليل أبلغ فى التهديد ومعناه انه يكفى قليل الندم فى كونه زاجراً لك عن هذا العمل فكيف ~~كثيره~~ وأيضاً انه يشغلهم بالعذاب عن غنى ذلك الا فى القليل وقرآن نافع وعاصم ربما بتخفيف الباء والباقون بالتشديد (ذرهم) أى اترك كفار مكة يا أشرف الرسل عن النهى عما هم عليه بالنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك بل مرهم يتناول ما يتناولونه (يا كلوا ويطمئئنوا) أى يأخذوا حظوظهم من دنياهم فتملك اخلاقهم ولا خلاق لهم فى الآخرة (ويلهم الامل) أى يشغلهم الامل عند الاخذ بحظهم عن الايمان والطاعة (فسوف يعلمون) عند الموت وفى القبر ويوم القيامة ماذا يفعل بهم وعن على رضى الله عنه انه قال انما أخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكتنا من قرية) من القرى بالحسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها وبأخلائها عن أهلها غلب أهلها كما فعل ببعض آخر (الاولها) فى ذلك الشأن (كتاب معلوم) أى أجل مؤقت لهلاكها مكتوب فى اللوح المحفوظ لا يغفل عنه (ما سبق من أمة) من الامم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب فى كتابها فلا يجبى هلاكها ولا موتها قبل مجئ كتابها (وما يستأخرون) عن أجلها (وقالوا) أى كفار مكة عبد الله بن أمية المخزومى وأصحابه استهزاء للنبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذى نزل عليه الذكر) أى القرآن فى زعمه (انك لمجنون) أى انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله تعالى نزل عليك القرآن (لوما تأتينا بالملائكة) أى هلا أتيتنا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك فى الانذار (ان كنت من الصادقين) فى مقاتلتك انك نبي وان هذا القرآن من عند الله فأجاب الله تعالى عن قولهم بقوله تعالى (ماننزل الملائكة الا بالحق) أى فالحق فى حق الكفار تنزل الملائكة بعذاب الاستئصال كما فعل بامثالهم من الامم السالفة لا التنزيل بما اقترحوا من اخبارها لهم بصدق الرسول فان ذلك من باب التنزيل بالوحى الذى لا يكاد يقع على غير الانبياء من افراد كل المؤمنين فكيف على أولئك الكفرة وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم ما تنزل بنون المتكلم وبكسر الزاى المشددة والملائكة بالنصب يقرأ شعبة عن عاصم ما تنزل بنون الفعل للمفعول والملائكة بالرفع والباقون تنزل الملائكة (وما كانوا اذا) أى اذ نزلت عليهم الملائكة بالعذاب (منظرين) أى مؤخرين ساعة أى ولو نزلنا الملائكة ما أخر عذابهم ونحن لانريد عذاب الاستئصال بهذه الامم فلهذا السبب ما أنزلنا الملائكة (انما نحن نزلنا الذكر) الذى انكروا نزوله عليك ونسبوه لذلك الى الجنون (واناله) أى اذكر (لحافظون) من الشياطين حتى لا يز يدوافيسه ولا بنقصوامنه ولا يغيروا حكمه ويقال واتا الحمد لحافظون من الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) يا أكرم الرسل (فى شيع الاولين) أى فى ايام الارلين (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) أى عادة هؤلاء الجاهل مع الرسل ذلك الاستهزاء كما يفعله هؤلاء الكفرة بك وهذا تسلية

رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك نسله في قلوب المجرمين) أي مثل ذلك السلك الذي سلكناه
 في قلوب أولئك المستهزئين برسولهم وبما جازاه من الكتاب نسله الذي ذكر في قلوب كفار مكة (لا يؤمنون
 به) أي بالذكر وهذا حال من ضمير نسله أولا محل له من الاعراب تفسير الجملة السابقة والمراد من
 هذا السلك هو أنه تعالى يسمعهم هذا القرآن ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن ويخلق فيها العلم
 بعانيه ومع هذه الأحوال لا يؤمنون به عناداً منهم (وقد خلت سنة الأولين) أي وقدمت سيرة
 الأولين بتكذيب الرسل ومضت سيرة الله فيهم بالهلاك أيهم بعد التكذيب وهذه الجملة استئناف
 جسي بها تكملة للتسليية وتهديد بالكفار مكة (ولو فتحنا عليهم) أي كفار مكة الذين اقترحوا نزول
 الملائكة (باباً من السماء فظلوا فيه) أي في ذلك الباب (يعرجون) أي يصعدون ريرون
 ما فيها من العجائب عياناً (لقالوا) لفرط عنادهم (أنما سكرت أبصارنا) أي غشيت بالسكر وقرأ
 ابن كثير بتخفيف الكاف والباقون بتشديد هاء فهو يوجب تكثيراً أو حيرت من السكر كما يعضده
 قراءة من قرأ سكرت أي حارت (بل نحن قوم مسحورون) أي قد مسحرت عقولنا كما قالوه عند ظهور
 سائر المعجزات من انشقاق القمر ومن القرآن الذي لا يستطيع الجن والانس ان يأتوا بمثله (ولقد جعلنا
 في السماء بروجاً) أي محال تسير فيها الكواكب السيارة وهي المريخ بكسر الميم وهو كوكب في السماء
 الخامسة وله الحمل والعقرب والزهرة بضم زه وهي في السماء الثالثة ولها الثور والميزان وعطارد بفتح
 العين وهي في الثانية ولها الجوزاء والسنبلة والقمر وهو في الأولى وله السرطان والشمس وهي في الرابعة
 ولها الأسد والمشتري وهو في السادسة وله القوس والحوت وزحل وهو في السابعة وله الجدي والحوت
 وجملة البروج اثنا عشر ووجه دلالة البروج على وجود الصانع المختار هو ان طبائع هذه البروج مختلفة
 فالقمر مركب من هذه الاجزاء المختلفة وكل مركب لا بد له من مركب يركب تلك الاجزاء بحسب الاختيار
 والحكمة فثبت ان يكون السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المطالب
 (وزيناها) أي السماء بالشمس والقمر والنجوم (لناظرين) بأبصارهم وببصائرهم فيستدلون بها
 على قدر قصائدها ووحدته (وحفظناها من كل شيطان رجيم) أي من كل الشهاب فلا يقدر ان يصعد
 اليها ويوسوس في أهلها ويقف على أحوالها (الامن استرق السمع) أي الامن اختلس المسموع سرا
 من غير دخول (فأتبعه شهاب) أي لحقه شعلة نار ساطعة تنفصل عن الكوكب (مبين) أي ظاهر
 امره للبصيرين (والارض مددناها) أي بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها) أي على الارض -
 (رواسي) أي جبالاً ثوابت لكيلا تميل بأهلها وتسكون دلالة للناس على طرق الارض لانها كالاعلام
 فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال (وأنبثنا فيها) أي الارض (من كل شيء
 موزون) أي مستحسن مناسب أو موزون بوزن فالمعادن كلها موزونة وذلك مثل الذهب والفضة والحديد
 والرصاص وغير ذلك والنبات يرفع عاقبتها الى الوزن لان الحبوب وزن وكذلك الفواكه في الاكثر
 (وجعلنا لكم فيها) أي الارض (معايش) أي ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما
 يتعلق به البقاء مدة حياتكم في الدنيا (ومن لستم به برازقين) أي وجعلنا لكم من لستم برازقين - من
 العيال والخدم والعبيد والدواب والطيور وما أشبهها فالناس يظنون في أكثر الامور انهم الذين يرزقونهم
 وذلك خطأ فان الله هو الرزاق يرزق الكل (وان من شيء الا عندنا خزائنه) أي ان جميع المسكنات
 مقدورة له تعالى يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء شئت مقدوراته تعالى الفائتة للعصر في كونها

مستورة عن علوم العالمين وكونها مهياة لا يجاده بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت من غير تأخر
بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية (وما ننزله) أى بانوجد شيئا (الابقدر معلوم) أى
الاملتبس باقدار معين تقتضيه الحكمة فقوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه اشارة الى كون مقدوراتنا
غير متناهية وقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم اشارة الى ان كل ما يدخل في الوجود منها فهو متناه ومضى
كان الخارج الى الوجود منها متناهيا ~~كان مختصا بوقت مقدرو بخير معين وبصفات معينة بدلا عن~~
أضدادها فتمتخصيص كل شئ بما اختص به لا بد له من حكمة تقتضى ذلك وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن
جده قال ان في العرش عرشا لجميع ما خلق الله في البحر والبر وهو تأويل قوله تعالى وان من شئ الا عندنا
خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقف) أى حوامل لانها تحمل الماء وتجيء في السحاب (فأنزلنا من السماء)
أى السحاب (ماء فأسقيناكموه) أى جعلناه لكم سقيا وفي هذا دلالة على جعل المياه معدا لهم ينفعون به
متى شاؤا (وما أنتم له بخازنين) أى نحن القادرون على ايجاده وخزونه في السحاب وانزاله في الارض وما
أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بعدما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها
لنجعلها سقيا لكم أى معدا لسقي أنفسكم ومواسيكم وأراضكم مع ان طبيعة الماء تقتضى الفور (وانا
لنحن نحيي ونميت) أى لا قدرة على الاحياء ولا على الاموات الا لنا (ونحن الوارثون) أى الباقيون بعد فناء
الخلق المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي (ولقد علمنا المستقدمين منكم) أى من تقدم منكم
ولادة وموتا (ولقد علمنا المستأخرين) أى من تأخر ولادة وموتا وقال ابن عباس في رواية عطاء معنى
المستقدمين أهل طاعة الله تعالى ومعنى المستأخرين المتخلفون عن طاعة الله تعالى (وان ربك هو يحشرهم)
للجزاء (انه حكيم) أى متقن في أفعاله فيأتى بالافعال على ما ينبغي وعالم بحقائق الاشياء على ما هي عليه
(عليم) أى راسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان) أى آدم (من صلصال) أى من طين يابس غير مطبوخ
يصوت عند نقره (من حمأ) أى كائن من طين متغير أسود بطول مجاورة الماء (مسنون) أى مصور بصورة
الآدمي قال المفسرون خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة
فصار صلصالا كالحزق ولا يدري أحدا ما يراد به ولم ير واشيا من الصور يشبهه الى أن نفخ فيه الروح
(والجنان) وهو أبو الجن والاصح ان الشياطين قسم من الجن فكل من كان منهم مؤمنا فانه لا يسمى
بالشيطان وكل من كان منهم كافرا يسمى بهذا الاسم (خلقناه من قبل) أى من قبل خلق الانسان
(من نار السموم) أى من نار الحرا الشديد النفاذ في المسام أو من نار الريح الحارة (واذ قال ربك للملائكة
ان خالقي بشرا) أى جسمها كثيفا يلاقى بخلاف الجن والملائكة فانهم لا يلاقون لاطف أجسامهم (من
صلصال) أى من طين يتصلصل (من حمأ مسنون) أى من طين منتن رطب (فاذا سويته) أى
أتممت خلقه باليد والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي) أى جعلت الروح فيه
وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما يحيا آدم به من الروح التي هي من أمره تعالى (فقعوا)
اى خروا (له) أى لذلك البشر (ساجدين) بوضع الجبهة على الارض لا بالانحناء تعظيما له فالسجود
كان لآدم في الحقيقة أو المعنى امجد والله تعالى بوضع الجبهة على الارض وآدم عليه السلام بمنزلة القبلة
لذلك السجود حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)
أى خلقه فسواه فجعل فيه الحياة فهدى الملائكة فغنى كلهم أى لم يشذ منهم أحد ومعنى أجمعون أى لم يتهأخر
في ذلك أحد منهم عن أحد أى فالكل همدوا دفعة واحدة (الا بليس) رئيسهم (أبى أن يكون مع

الساجدين قال) أي الله تعالى (يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين) أي أي سبب لك في أن
 لا تكون مع الساجدين لآدم (قال) أي ابليس (لم أكن لاسجد) أي لا يصح مني أن أسجد (لبشر)
 أي جسم كثيف لانه مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها وانا روحاني لطيف (خلقته) أي البشر
 (من صلصال) ناشئ (من حماسنون قال) الله تعالى (فاخرج منها) أي من زمرة الملائكة
 المعززين ويقال من رحمتي والغاء في جواب شرط مقدر أي حيث عصيت وتكبرت فاخرج منها (فانك
 رجيم) أي مطرود عن الرحمة (وان عليك اللعنة) أي الابعاد عن الرحمة (اليوم الدين) أي
 الجزاء أي انك مدعو باللعنة في السموات والارض الى يوم الحساب من غير ان يعذب فاذا جاء ذلك اليوم
 عذب عذابا ينسى اللعن معه فيصير اللعن حيثئذ كالزائل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه (قال) ابليس
 (رب فأنظرنى) أي أخرفي ولا تمنني (اليوم يبعثون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فناءهم وأراد
 الملعون بهذا السؤال ان لا يذوق الموت لاستحالة بعد يوم البعث وان يجد فسحة في اغوائهم (قال) الله
 تعالى (فانك من المنظرين) أي المؤجلين (اليوم الوقت المعالوم) وهو وقت النفخة الاولى التي
 علم أنه يموت كل الخلائق فيه (قال) ابليس (رب بما أغويتني لازين لهم في الارض) أي أقسم
 باغوائك اياي لازين لذرية آدم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور (ولا غوينهم أجمعين الا عبادة
 منهم المخلصين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بكسر اللام في كل القرآن أي الذين أخلصوا دينهم
 عن كل شائب يناقض التوحيد وقرأ الباقر بن فتح اللام أي الذين أخلصهم الله تعالى بالتوفيق والعصمة
 وعصمتهم من كيد ابليس قال تعالى (هذا صراط على مستقيم) أي هذا الاخلاص طريق يؤدي الى
 كرامتي وثوابي من غير اعوجاج وقرأ يعقوب على بالرفع والتنوين على أنه صفة لصراط أي هذا الاخلاص
 طريق رفيع لا عوج فيه (ان عبادي) سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين (ليس لك عليهم
 سلطان) أي قدرة أصلا على الاغواء (الامن اتبعك من الغاوين) ولما أوهم ابليس في كلامه ان له
 على بعض عباد الله تسلطا بالاغواء بين الله كذبه فيه وذكر أن اغواءه للغاوين ليس بطريق تصرفه
 بالاغواء بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وان جهنم لو عدهم) أي لمصير المتبعين (أجمعين
 لها) أي لجهنم (سبعة أبواب) أي سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم
 لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاويه (لكل باب) أي دركة (منهم) أي الاتباع
 (جزء) أي حزب معين (مقسم) أي مفرز من غيره ففي الدركة الاولى أهل التوحيد الذين ادخلوا
 النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون
 وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون والحاصل ان الله تعالى يجزئ
 أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء منهم دركة من النار والسبب في التجزئة ان مراتب الكفر
 مختلفة بالغلظ والخفة فصارت مراتب العذاب مختلفة بذلك (ان المتقين) من الكفر (في جنات وعيون)
 أي مستقرون فيهما لكل منهم عدة منهما (ادخلوها بسلام) أي ادخلوا الجنة سالمين من كل آفة (آمنين)
 من كل خوف أي لما ملكوها جنات كثيرة فكما أرادوا ان ينقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ادخلوها
 بسلام آمنين وقرئ ادخلوها أمرا من الله تعالى للملائكة بادخالهم في الجنة وقرأ الحسن ادخلوها مبنيًا
 للمفعول على صيغة الماضي المزيدي فيه (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي عداوة كانت بينهم في الدنيا
 (اخوانا) حال من ضمير صدورهم أو من فاعل ادخلوها (على سرر) من ذهب مكالة بالزبرجد

والدر والياقوت تدور بهم الاسرة حيث اداروا (متقابلين) في الزياره أي انهم اذا اجتمعوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم به بحيث يصير راسه مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاء الى الجهة التي يسير لها السرير وهذا أبلغ في الانس والاکرام (لا يمسهم فيها نصب) أي تعب لحصول كل ما يريدونه من غير منازلة عمل أصلا (وما هم منها بغير جين) لان تمام النعمة بالخلود (نبي عبادي) أي اخبريا أشرف الرسل كل من كان معترفا بعبوديتي (أنا الغفور) لاهصاة من المؤمنين (الرحيم) بهم (وأن عذابي) للعصاة ان عذبت (هو العذاب الاليم) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون والناريين أيديكم فنزل قوله تعالى نبي عبادي أنا الغفور الرحيم (ونبتهم) أي خبريا سيد المرسلين عبادي (عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة على صور غلمان حسان منهم جبريل (أدخلوها عليه فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما أي قالوا تحية لابراهيم (قال أنا منكم وجلون) أي خائفون قال ابراهيم ذلك حين امتنعوا من أكل ما قرب به اليهم من العجل الخبيذ لان العادة ان الضيف اذا لم يأكل مما قدم له يكون خائفا (قالوا لا توجل) أي لا تخف يا ابراهيم منا (أنا نبشرك بغيلام) أي ولدها هو الحق (عليه) في صغره حلیم في كبره (قال أبشروني) بذلك (على أن مسني الكبر) أي بعدما أصابني الكبر (فبم تبشرون) أي فبأي أعجوبة تبشرونني فما استفهام بمعنى التجبب أراد ابراهيم بهذا السؤال ان يعرف انه تعالى يعطيه الولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة أو بعد قلبه شابا فيبينوا ان الله تعالى أعطاه الولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة فقرأنا تبشرون بكسر النون خفيفة في كل القرآن وقرأ ابن كثير بكسر النون وتشديد هاو الباقون بفتح النون خفيفة (قالوا بشركناك بالحق) أي بطريقة هي حق وهو أمر الله تعالى (فلا تكن من القانطين) أي من الآيسين من الولدان الله قادر على أن يخلق بشرا بغير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر (قال) ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) أي لا يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح في ربه فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكل علمه وقدرته ومرا د سيدنا ابراهيم بهذا القول نفى القنوط عن نفسه على أبلغ وجه أي ليس بي قنوط من رحمة تعالى وانما الذي أقول لبيان منافاة حاله لفيضان تلك النعمة الجليلة على وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بكسر النون وقرئ شاذ اضم النون (قال) ابراهيم لجبريل وأعوانه (فما خطبكم) أي شأنكم الخطير سوى البشارة (أيها المرسلون) قالوا أنا أرسلنا الى قوم مجرمين) لاهلاكهم (الا آل لوط) ابنتيه زاعورا وريشا وامراته الصالحة (أنا المنجوه) أي لوط وآله (أجمعين) أي عما يصيب القوم (الامراته) واعلة المناقفة (قدرنا) أي قضينا عليها (انها من الغابرين) أي الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا بتخفيف الدال ههنا وفي النمل وقرأ حمزة والكسائي المنجوه هم يسكون النون فخرجوا من عند ابراهيم وسافروا من قريته الى قرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (فلما جاء آل لوط المرسلون) هم الملائكة الذين ضافوا ابراهيم (قال) لوط لهم (انكم قوم منكرون) أي تنكرونكم نفسي فأخاف ان تصيبوني بشروا أعرف غرضكم لاى غرض دخلتم على (قالوا) أي الملائكة (بل جئناك بما كنوا فيه يعترفون) أي ما جئناك بما تنكروننا لاجله بل جئناك بالعذاب الذي هددت قومك به فيشكون في مجيئه بهم ويكذبونك وهو ما يشفيك من عدوك وما فيه سرورك (وأنتيناك بالحق) أي بالآخبار بمجيء العذاب (وانا الصادقون) في مقالتنا ان العذاب نازل عليهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أي فسر بنتيك

وامرأتك الصالحة في جزء من الليل عند السحر (واتبع أديارهم) أي امش خلفهم جهة صعر لاجل
 ان تطمئن عليهم وتعرف انهم ناجون (ولا يلتفت منكم أحد) الى ورائه اذا سمع الصيحة لثلاث ناعوا من
 عظيم ما نزل بهم من البلاء (وامضوا حيث تؤمرون) أي سيروا الى المكان الذي امركم الله بالذهاب
 اليه وهو صعر (وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي وأخبرنا الوطاعين ذلك الامر
 ان آخر هؤلاء المجرمين مستأصل حال دخولهم في الصبح أي يتم استئصالهم حال ظهور الصبح حتى لا يبقى
 منهم أحد (وجاء أهل المدينة) أي مدينة شذوم الى دار لوط (يستبشرون) أي يظهر السرون
 باضياف لوط وقالوا نزل بلوط ثلاثة من الرمد ما رأينا قط أصبح وجهها ولا أحسن شكلا منهم فذهبوا الى دار
 لوط طلبا منه لاولئك الرمد (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) أي فلا تظهر واعاري
 عندهم فان الضيف يجب اكرامه فاذا قصدتموهم بالسوء كان ذلك اهانتي (واتقوا الله) في فعل الفاحشة
 (ولا تخزون) أي ولا تتجملوني (قالوا أولم ننهك عن العالمين) أي السنأقد نهيناك عن أن تكلمنا في أحد
 من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكان لوط ينهاهم عنها بقدر وسعه (قال هؤلاء بناتي) فتزوجهن
 (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر (لعمرك) قسمي وهذا قسم من الملائكة بحياة لوط عليه السلام (انهم
 لفي سكرتهم) أي في شدة غلغلتهم التي أزال عقولهم (يعمّهون) أي يتحيرون فكيف يقبلون قولك
 ويلتفتون الى نصيحتك (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة عظيمة مهلكة (مشرقين) أي داخلين في وقت
 شروق الشمس (لجعلنا عاليها) أي المدينة (سافلها) وكانت قراهم أربعة فيها أربع مائة ألف مقاتل
 (وأمطرنا عليهم) أي على أهل المدينة قبل تمام الانقلاب أو على من كان منهم خارجا عن المدينة بأن
 كان غائبا في سفر أو غيره (حجارة من سجيل) أي وحل مطبوخ بالنار عليه كتاب (ان في ذلك) أي فيما
 ذكر من قصة ابراهيم وقصة لوط (آيات) أي لعبرات (للتوسمين) أي للتعكرين (وانها) أي مدينة قوم
 لوط (لبسيل مقيم) أي في طريق ثابت لم يخف والذين يعمرون من الحجاز الى الشام يشاهدونها (ان في
 ذلك) أي في كون المدينة مشاهدة للناس في ذهابهم وايابهم (آية) أي لعبرة عظيمة (للمؤمنين) أي لكل
 من آمن بالله وصدق الانبياء فانهم عرفوا أن ما حاق بهم من العذاب لمخالفتهم لرسول الله تعالى أما الذين
 لا يؤمنون فيحملونه على حوادث العالم (وان كان أصحاب الايكة) أي وان الشأن كان أصحاب بقعة
 الاشجار وكانوا يسكنونها وكان أكثر شجرهم الدوم (نظامين) بتكذيبهم شعيبا عليه السلام (فانتقمنا
 منهم) روى أن الله تعالى سلط عليهم الحرسبعة أيام حتى أخذ بانفسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله لهم
 محابة كالنظلة فالتجأوا اليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها فبعث الله عليهم مناهارا فاحرقهم جميعا (وانهما)
 أي قريات لوط وقريات شعيب (لبامام مبين) أي لفي طريق واضح يرأه أهل مكة عليهما (ولقد كذب
 أصحاب الحجر المرسلين) أي صالحا وحملة المرسلين فالقوم براهمة منكرون لكل الرسل والحجرواديين
 المدينة الشريفة والشام وآثاره باقية يمر عليها ركب الشام في ذهابه الى الحجاز وكان ثمود يسكنونه
 (وآتيناهم آياتنا) أي أعطيناهم الناقة وكان فيها آيات كثيرة تكبر وجههم من العظيمة وعظم جثتها
 وقرب ولادتها عند خروجها من الصخرة وكثرة لبنها وشرابها (فكانوا عنها) أي تلك الآيات (معرضين)
 فلا يستدلون بها على صدق صالح عليه السلام حتى قتلوا الناقة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين)
 من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لو ثاقتها (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي صيحة من
 السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم عند الصباح

(فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي فلم يدفع عنهم ما كانوا يعملون من فحش تلك الجبال بنقرها بالموال
 وجمع الأموال ما نزل بهم من البلاء (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي لا بسبب
 العدل فكيف يليق بحكمته أهمال أمرك يا أكرم الرسل (وان الساعة لا تيسر) فان الله لينتقم لك
 فيها من أعدائك ويجازيك على حسناتك ويجازيهم على سيئاتهم (فاصفع الصفع الجميل) أي
 أعرض عنهم وحتم ما تلقى منهم أعراضا جحيمًا بحلم والمقصود من هذا الكلام أن يظهر الرسول الخلق
 الحسن والعفو فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق العليم) أي انه تعالى خلق الخلق مع اختلاف
 طبائعهم وتفاوت أحوالهم وعلم كونهم كذلك لمحض ارادته (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) أي سبع
 آيات هي المثاني وهي الفاتحة وهذا قول عمر وعلى وابن مسعود وأب هريرة والحسن وأبي العالية ومجاهد
 وأصحابك وسعيد ابن جبير وقتادة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي السبع
 المثاني وقيل سميت الفاتحة مثاني لأنها قسمان ثناء ودهاء وأيضا النصف الأول منها حق الربوبية وهو
 الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء (والقرآن العظيم) وهذا من عطف الكل على
 البعض فبعض الشيء مغاير لمجموعه فكيف هذا القدر من المغايرة في حسن العطف ونقل عن ابن عباس
 وطاوس أن السبع المثاني هو القرآن كله وعلى هذا فهو عطف أحد الوصفين على الآخر مع وحدة ذات
 الموصوف وانما حسن العطف لاختلاف اللفظين فان القرآن سبعة أسباع كل سبع حقيقة وكله مثان
 أمر ونهي ووعود وعيد وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ وحقيقة ومجاز ومحكم ومتشابه وخبر بما كان
 وما يكون ومدحة لقوم ومذمة لقوم وسبب نزول هذه الآية أن سبع قوافل أقبلت من بصرى وأذرعات
 ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون
 لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينابها لا نفقناها في سبيل الله فقال الله تعالى لهم لقد أعطيتكم سبع
 آيات هي خير لكم من هذه القوافل السبع ويد على صحة هذا قوله تعالى (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به
 أزواجنا منهم) أي لا تنظرن بالرغبة إلى ما أعطينا رجالا من الكفرة من متاع الدنيا وزخارفها وان ما في الدنيا
 بالنسبة إلى ما أعطيتكم مستحق (ولا تحزن عليهم) أي لا تحزن لاجل عدم إيمانهم (واخفض جناحك
 للمؤمنين) أي تواضع لهم ولين جانبك لهم (وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين) أي اني منذر
 أت بالبينات فانذرتكم مثل ما نزل بالذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإيمان ويقولون
 لمن سلكها لا تغروا بهذا الحار ج فينا يدعي النبوة فانه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما
 قالوا كاهن وسماوا المقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطرق فاماتهم الله شرميتة (الذين جعلوا القرآن عضين)
 أي الذي جزوا القرآن أجزاء فقالوا اسحر وشعرو كهانة ومفترى وأساطير الاولين (فأوردك لنسألتهم
 أجمعين) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) في الدنيا من قول وفعل وترك (فأصدع بما تؤمر) أي اظهر
 ما تؤمر به وافرق بين الحق والباطل (وأعرض عن المشركين) أي لا تبال بهم ولا تلتفت إلى لومهم اياك
 على اظهار الدعوة وهذا ليس بمنسوخ لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم (انا كفيناك المستهزئين)
 أي الذين يبالغون في الاستهزاء بك وفي اذائك (الذين يجعلون مع الله الهاء آخرف سوف يعلمون) ماذا يفعل
 بهم فاهلكهم الله في يوم وليلة وكانوا خمسة من أشرف قريش الزيد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث
 ابن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبيد يغوث غاما الوليد المخزومي فربن بال فأصاب النبيل عرقا
 في عقبه فقطعه فمات وأما العاص السهمي فدخلت في أخمصه شوكة فقال لدغت لدغت وافتتحت رجله

حتى صارت كالرمات وأما الحرث السهمي فانه أكل حوتاً ما لحا فأصابه العطش فشرب عليه الماء حتى انشق بطنه فمات وأما الاسود بن المطلب فرماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعته عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وأما الاسود بن عبيد يغوث فانه خرج في يوم شديد الحر فأصابه السهم فأسود حتى عاد حبشياً فرجع الى بيته فلم يفتحوا عليه الباب فنقطع رأسه بيابه حتى مات وكلهم كانوا يقولون قتلنا رب محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد علم أن ذلك يضيق صدرك) بحسب الطبيعة البشرية وان كان جميع أموره صلى الله عليه وسلم مفوضا اليه (بما يقولون) أي بسبب ما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك (فسبح بحمديك) أي فافزع الى الله تعالى فيما نابك من الغم بالنسيج ملتبسا بحمده تعالى (وكن من الساجدين) أي من المصلين وكان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي الموت فانه متيقن الحق بكل شيء مخلوق أي واعبد ربك في زمان حياتك ولا تتخل لحظة من لحظات الحياة عن هذه العبادة

سورة النحل وتسمى سورة النعم مكية الاثلاث آيات في آخرها مائة وثمان وعشرون آية
وألف وثمان مائة واحد وأربعون كلمة وستة آلاف وثمان مائة وسبعة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله) أي العذاب الموعود للكفرة والحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئاً نسبوه الى الكذب فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى أتى أمر الله أي قد حصل حكم الله بنزول العذاب من الازل الى الابد واغما لم يحصل المحكوم به لانه تعالى خصص حصوله بوقت معين (فلا تستعجلوه) أي لا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ولما قالت الكفار اننا نعلم هذه الاصنام فانها شفعاؤنا عند الله فهي تسفع لنا عنده فنتخلص من هذا العذاب المحكوم به بسبب شفاعة هذه الاصنام فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يشركون) ففزع الله تعالى نفسه عن شركة الشركاء وأن يكون لاحد أن يشفع عنده الا باذنه ولما قال الكفار انه تعالى قضى على بعض عباده بالسراة وعلى آخرين بالضرارة ولكن كيف يمكنك يا محمد ان تعرف هذه الاسرار التي لا يعلمها الا الله تعالى وكيف صرت بحيث تعرف أسرار الله وأحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ينزل الملائكة) أي جبريل ومن معه من الملائكة (بالروح) أي بكلام الله تعالى (من أمره) أي ان الروح هي أمره تعالى (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أنذروا) أي أعلموا الناس (أنه لا اله الا أنا فاتقون) بالآتيان بعبادتي وتقريري هذا الكلام انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عبيده ويأمر الله ذلك العبد الذي نزلت عليه الملائكة بان يبلغ الى سائر الخلق ان اله العالم واحد كالفهم بهرقة التوحيد وبالعبادة له وبين انهم ان فعلوا ذلك فازوا بخير الدنيا والآخرة وان تمردوا أو وقعوا في شر الدنيا والآخرة فبهذا الطريق صار ذلك العبد مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق فقوله تعالى لا اله الا أنا إشارة الى الاحكام الاصولية وقوله تعالى فاتقون إشارة الى الاحكام الفروعية (خلق السموات والارض بالحق) أي أو جدهما على صفات خصصهما بحكمته ولما احتج تعالى بخلق السموات والارض على حدوثهما قال بعده (تعالى عما يشركون) فالقاتلون بقدم السموات والارض كأنهم أثبتوا الله شريكاً في القدم ففزع الله تعالى نفسه عن ذلك وبين انه

لا قديم الا هو فالقصد من قوله أولا سبحانه وتعالى عما يشركون ابطال قول من يقول ان الاصنام
 تشفع للكفار في دفع عقاب الله عنهم والقصد ههنا ابطال قول من يقول اجسام السموات والارض
 قديمة نزه الله تعالى نفسه عن ان يشاركه غيره في القدم (خلق الانسان من نطفة) منتنة (فاذا هو)
 بعد قوة عقله وعظم فهمه (خصيم) لربه (مبين) أي ظاهر الخصومة منكرا لحالقه قائل من يحيي
 العظام وهي رميم وهذا إشارة الى الاستدلال بأحوال نفس الانسان على وجود الصانع الحكيم فان
 الانتقال من الحالة الحسية الى الحالة العالية لا يحصل الا بتدبير مدبر حكيم عليم (والانعام) أي الابل
 والبقر والغنم (خلقها لكم فيها داف) أي ما يتدفأ به من اللباس المتخذة من الأصواف والاوبار والاشعار
 (ومنافع) هي درها وركوبها والحراثة بها وغير ذلك (ومنها) أي من لحومها (تأكلون ولكم فيها جمال)
 أي منظر حسن عند الناس (حين تريحون) أي تردونهما من مراعيها الى مراحيها بالعشي (وحين
 تسرحون) أي تخرجونهما من حظائرهما الى المرعى بالغداة (وتحمل) أي الابل (اتقاكم) أي
 أمتعتكم (الى بلدكم تكونوا بالغيه) أي واصلين اليه على غير الابل (الابشق الانفس) أي
 لا يتعب النفس أو لا يذهب نصف قوة البدن والشق بكسر الشين وفتحها معناه المشقة والنصف (ان
 ربكم لرفوف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة (والخيل والبغال
 والحمير لتركبوها وزينة) أي وخلق هذه الاشياء للركوب وللنظر الحسن واحتج بهذه الآية من يحرم
 لحوم الخيل وقالوا ان الله تعالى خص هذه بالركوب فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وهو قول ابن
 عباس وليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول
 الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي وأحمد وأبو حنيفة واحتجوا على اباحة لحوم الخيل
 بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت فخرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن
 بالمدينة أخرجه البخاري ومسلم وروى الشيخان عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نهى عن لحوم الجر الا هلية وأذن في لحوم الخيل (ويخلق ما لا تعلمون) أي ويخلق في الدنيا غير
 ما عدد من أصناف النعم وروى عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهران نور مثل السموات السبع
 والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيها جبريل عليه السلام كل صهر فيغتسل فيزداد نورا الى نور
 وجمالا الى جمال وعظما الى عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة ماء من ريشه كذا وكذا ألف
 ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون اليه
 الى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) أي وعلى الله بيان استقامة الطريق وهو الاسلام (ومنها)
 أي من السبيل (جائر) أي مائل عن الحق وهو أنواع الكفر والضلال (ولو شاء الله لهداكم أجمعين)
 الى استقامة الطريق (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم) ولكل حي (منه) أي الماء (شراب ومنه
 شجر) أي من الماء ما ينبت على الارض (فيه) أي في الشجر ترعون مواشيكم (ينبت لكم به)
 أي بالماء (الزروع والزيتون والنخيل والاعناب) والانسان خلق محتاجا الى الغذاء وهو اما أن يكون
 من الحيوان أو من النبات والغذاء الحيواني انما يحصل من اسامة الحيوانات وأما الغذاء النباتي
 فقسمان حبوب وفواكه فالحبوب هي ما به قوام بدن الانسان وأشرف الفواكه الزيتون والنخيل
 والاعناب أما الزيتون فلانه فاكهة من وجهه وادام من رجه آخر لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان
 كثيرة في الاكل والطلا واشتغال المرج واما امتياز النخيل والاعناب من سائر الفواكه فظاهر (ومن

كل الثمرات) مما لا يمكن على الناس تفصيل أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها (ان في ذلك) أي
 في انزال الماء وانبات ما ذكرنا (آية) دالة على تفرد تعالى بالالوهية (لقوم يتفكرون) ألا ترى ان
 الحجة الواحدة اذا وضعت في الارض ومرت عليها مقدار من الزمان مع رطوبة الارض فانها تنتفخ
 وينشق أعلاها فيصعد منه شجرة الى الهواء وأسفلها تغوص منه عروق في الارض ثم ينمو الاعلى ويقوى
 وتخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار المستمدة على أجسام مختلفة الطباع والطعوم
 والالوان والرائحة والاشكال والمنافع ومن تفكر في ذلك علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه
 أحد في شيء من صفات الكمال (ومخبر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات)
 قرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم بالرفع على الابتداء ومسخرات خبرها قرأ حفص عن عاصم
 والنجوم بالرفع والباقون بالنصب في الجميع ومسخرات حاله منه أي انه تعالى مسخر للناس هذه الاشياء
 وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرات لله تعالى (بأمره) أي بإرادته كيف شاء (ان في ذلك)
 أي تسخير الليل وما بعده (آيات لقوم يعقلون) أي يعلمون ان تسخيرها من الله تعالى (وما ذرا
 لكم في الارض) أي ومخبر لكم ما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات (مختلفا ألوانه ان في ذلك)
 أي في اختلاف ما في الارض (آية لقوم يذكرون) أي يتعظون فان اختلاف طبائع ما في الارض
 وأشكاله مع اتحاد مواده انما هو بصنع حكيم عليم قادر مختار نزه عن كونه جسمانيا وذلك هو الله
 تعالى (وهو الذي مسخر البحر) ومعنى تسخير الله تعالى اياهما للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من
 الانتفاع بها اما بالركوب أو بالغوص (لتأكلوا منه لحما) أي سمكا (طريا) والتعبير عن السهك
 باللحم مع كونه حيوانا لا لخصا لا لانتفاع به في الاكل ووصفه بالظراوة للشعار بلطافته والتنبيه على
 طلب المسارعة الى أكله لسرعة فسادة (وتستخرجوا منه حليمة) أي لؤلؤ ومرجانا (تلبسونها)
 أي تلبسها نساؤكم لاجلكم فان زينة النساء بالحلي انما هو لاجل الرجال فهي حليمة لكم بهذا الاعتبار
 (وترى الفلك) أي تبصر السفن (فيه مواجر) أي جوارى في البحر مقبلة ومدبرة ومعرضة بريح واحدة
 تشقه بحيزومها (ولتبغوا من فضله) أي لتركبوها للوصول الى البلدان الشاسعة فتطلبوا الرزق
 بالتجارة وغيرها من فضل الله تعالى (ولعلكم تشكرون) أي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون
 بادائها بالطاعة والتوحيد (وألقى في الارض رسي) أي جعل فيها جبالا ثابتا (أن عميد بكم)
 أي كراهة ان تميل بكم الارض وتضطرب (وأنهارا) أي جعل في الارض أنهارا جارية لمنافعكم
 (وسبلا) أي جعل فيها طرقا (لعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا بها في أسفاركم الى مقاصدكم (وعلامات)
 أي جعل في الارض امارات الطرق التي يستدل بها المارون وهي الجبال والرياح والتراب فان جماعة
 يشهون التراب ويتعرفون بذلك الشم الطرق (وبالنجوم هم يهتدون) بالليل في البراري والبحار وقال
 السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى (أفمن يخلق) هذه الاشياء هو الله تعالى (كن لا
 يخلق) شيئا أصلا وهو الاصنام (أفلا تذكرون) أي ألا تلاحظون فلا تتذكرون فان هذا القدر لا يحتاج
 الى تفكير ولا الى شيء سوى التذكير فيكفي فيه ان تنبهوا على ما في عفوكم من ان العبادة لا تليق الا
 بالذم الاعظم فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة ويترك عبادة من
 يستحقها (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي انكم لا تعرفونها على سبيل التمام واذ لم تعرفوها
 امتنع منكم القيام بشكرها على سبيل التمام وما يدل قطعاً على ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة أقسام

نعم الله تعالى ان كل جزء من أجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه أدنى خلل لتنقص العيش على الانسان
 ولتغنى أن ينفق كل الدنيا حتى ينزل عنه ذلك الخلل ثم انه تعالى يدبر أحوال بدن الانسان على الوجه
 الاكمل مع أن الانسان لا علم به بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحة فلا يمكن هذا المثال حاضرا في ذهنك
 ثم تأمل في جميع ما خلق الله في هذا العالم من المعادن والنبات والحيوان وجعلها مهياة لا تنفعا على بها
 حتى تعلم أن عقول الخلق تنفذ في معرفة حكمة الرحمن في خلق الانسان فصلا عن سائر وجوه الاحسان ثم
 الطريق الى الشكر أن يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلا ومجملها (ان الله لغفور) للتقصير
 الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب تقصيركم (والله
 يعلم ما تسرون) أي تضررونه من العقائد والاعمال (وما تعلنون) أي تظهرونه منها وهذه الاصنام
 جمادات لا معرفة لها بشئ أصلا فكيف تحسن عبادتها (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا)
 أي والآلهة الذين يعبدون الكفار من دون الله لا يقدرون أن يخلقوا شيئا فقرأ حفص عن عاصم يسرون
 ويعلنون ويدعون بالياء على الغيبة لكن ما نقل عن السمين أن قراءة الياء التحتية شاذة في الفعلين
 الاولين وقرأ أبو بكر عن عاصم يدعون خاصة بالياء على المغيبة وقرئ على صيغة المبني للفعل (وهم
 يخلقون) أي ان الاصنام مخلوقة لله تعالى محبوسة من الجارية وغيرنا (أموات) أي جمادات لا روح
 فيها (غير أحياء) أي لا تأتيا بالحياة أصلا (وما يشعرون أيان يبعثون) أي وما يشعروا أولئك الآلهة
 متى يبعث عبدتهم من القبور وفي ذاتهم بالشرك في أن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف وقت
 جزاء منهم على عبادتهم وقيل المعنى ان هذه الاصنام لا تعرف متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله
 تعالى يبعث الاصنام ولها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بها الى النار (الهمكم اله واحد) لا يشاركه
 شئ في شئ (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) ولا يرغبون في حصول الثواب ولا يرهبون من الوقوع في العقاب
 (قلوبهم منكورة) لوحداية الله تعالى ولكل كلام يخالف قولهم (وهم مستكبرون) عن الرجوع
 من الباطل الى الحق (لا حرم) أي حق (أن الله يعلم ما يسرون) من قلوبهم (وما يعلنون) من
 استكبارهم (انه لا يحب المستكبرين) على خلقه فبالاكتساب المستكبرين على التوحيد واتباع الرسول
 صلى الله عليه وسلم (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) أي واذا قال وفود الحاج لا أولئك المنكرين
 المستكبرين عما أنزل الله تعالى على محمد عليه السلام (قالوا أساطير الاولين) أي هذا الذي تذكرون
 انه منزل من ربكم هو أكاذيب الاولين ليس فيه شئ من العلوم والحقائق (ليحملوا أوزارهم) أي آثامهم
 الخاصة بهم وهي آثام ضلالهم (كاملة يوم القيامة) أي لم يخفف من عقابهم شئ يوم القيامة بمصيبة
 أصابتهم في الدنيا فقله ليحملوا متعلق بقالوا فاللام للعاقبة وقوله يوم القيامة ظرف ليحملوا (ومن أوزار
 الذين يضلونهم) أي وليحملوا أيضا من جنس آثام من ضل باضلالهم أي فيحصل للرؤساء مثل أوزار
 الاتباع (بغير علم) أي ان هؤلاء الرؤساء يقدمون على الانزال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب
 الشديد في مقابلته (الأساء ما يزرون) أي بشئ ما يحملونه من الذنوب حملهم هذا (قدموا الذين من
 قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم) أي قدر تبوا منصوبات ليكرها بها
 أنبياء الله تعالى فأهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو بنينا شديدا ودعوه فانهم ذلك
 البنيان وسقط عليهم سقن بنيانهم فأهلكهم شئت حال أولئك الماكرين في تسويتهم المكايدي في
 إبطاله تعالى تلك الحيل وجعله تعالى أياها أسبابا لهلاكهم بحال قوم بنو بنينا وهدوه بالاساطين

فضعفت تلك الاساطين فسقط عليهم السقف فهلكوا فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر بآخرفأهلكه
الله بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قريبا (وأناهم العبد اب من
حيث لا يشعرون) أي أنهم اعتمدوا على منصوباتهم ثم تولد البلاء منها باعيا منها فهو لا اله الا كرون
القائلون ان القرآن أساطير الاولين سيأتيهم من العذاب العاجل من جهة لا تخطر ببالهم مثل ما أتاهم
(ثم) الله تعالى (يوم القيامة يخزيهم) أي يذل الكفار بعذاب (و يقول أين شركائ الذين كنتم تشاقون
فيهم) أي يقول الله لهم تفضيها أين شركائ في زعمكم الذين كنتم تتخاهون الانبياء والمؤمنين في شأن
الشركاء حين ينوالكم بطلانها وقرآنافع تشاقون بكسر النون (قال الذين أوتوا العلم) أي يقول
المؤمنون الذين أوتوا علما بدلائل التوحيد حين يرون خزي الكفار وهزمهم في الموقف (ان الخزي) أي
الفضيحة (اليوم والسوء) أي العذاب (على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة) أي عزرائيل
وأعوانه (ظالمى أنفسهم) أي مستمرين على الكفر فأنهم ظلموا أنفسهم حيث عرضوها للعذاب المخلد
وقرأ حمزة يتوفاهم بالياء مع الامالة في الموضعين (فألقوا السلم) أي أسلموا وأقر والله بالعبودية عند
الموت قائلين (ما كنا نعمل من سوء) أي شرك في زعمنا فتقول الملائكة (بلى) كنتم تعملون أعظم
الشرك (ان الله عليم بما كنتم تعملون) من الشرك فلا فائدة لكم في انكاركم (فادخلوا أبواب جهنم)
أي ليدخل كل صنف من الكفرة في طبقة هو موعود بها والمراد دخولهم فيها في رقتة فان ذلك تخويف
عظيم وان تراخي المخوف به لا دخول القبر الذي هو حفرة من حفر النيران (خالدين فيها) أي دركات
جهنم لا يخرجون منها (فلبئس مثوى المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الانبياء (وقيل
للذين اتقوا) أي خافوا الشرك وأيقنوا انه لا اله الا الله محمد رسول الله (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي
أنزل خيرا قال المفسرون كان في أيام الموسم يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره فيقولون انه
ساحر وكاهن وكذاب فيأتي المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أنزل الله عليه فيقولون خيرا أي أنزل خيرا
والذي قالوه من الجواب موصوف بأنه خير (للذين أحسنوا) أي قالوا لا اله الا الله مع الاعتقاد الحق
(في هذه الدنيا حسنة) أي ثناء ورفعة وتعظيم وهذه الجملة بدل من قوله خيرا أو تفسير له وذلك أن الخير هو
الوحي الذي أنزل الله تعالى فيه قوله من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة وقوله
تعالى في هذه الدنيا حسنة (ولدار الآخرة حسنة) (ولدار الآخرة خير) مما حصل لهم في الدنيا (ولنعم دار المتقين)
والمخصوص بالمدح اما محذوف تقديره دار الآخرة أو هي دار الدنيا لان المتقين يتزودون فيها للآخرة واما
قوله تعالى (جنات عدن) وهذه تدل على القصور والبساتين وعلى الدوام (يدخلونها) يوم القيامة صفة
الجنات أو حال (تجري من تحتها الانهار) أي انهار الخرو الماء والعسل واللبن وهذه تدل على أن هناك
أبنية يرتفعون عليها وتكون الانهار جارية من تحتهم (لهم فيها ما يشاؤون) من أنواع المشتبهات والمتخنيات
وهذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات (كذلك) أي مثل ذلك الجزء الاول (يجزي
الله المتقين) أي كل من يتقى من الشرك والمعاصي (الذين تتوفاهم الملائكة) أي قبضتهم (طيبين)
أي طاهرين من الكفر مبشرين عن العلائق الجسمانية متوجهين الى حضرة القدس فرحين ببشارة
الملائكة اياهم بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت (يقولون) أي الملائكة
عند الموت وهذه حال من الملائكة وطيبين حال من المفعول (سلام عليكم) أي لا يلحقكم مكروه وعن
محمد بن كعب القرظي قال اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله

بقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (ادخلوا الجنة) أي جنات عدن وهي خاصة لكم كأنكم فيها والمراد
 دخولهم فيها في وقته فإن ذلك بشارة عظيمة وإن تراخى المبشر به لادخول القبر الذي هو روضة من رياض
 الجنة فإن الملائكة لما بشرهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها (بما كنتم تعملون) أي
 بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة (هل ينظرون) أي ما ينتظرون الكفار الذين طعنوا في القرآن
 وأنكروا النبوة (الأن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم بالتهديد (أو يأتي أمر ربك) أي عذاب
 ربك في الدنيا بهلاكهم (كذلك) أي مثل فعل هؤلاء من الشرك والتكذيب والاستهزاء (فعل
 الذين من قبلهم) من الأمم فأصابهم العذاب المجهل (وما ظلمهم الله) بذلك فإنه أنزل بهم ما استحقوه
 بكفرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأن كذبوا الرسل فاستحقوا ما أنزل بهم (فأصابهم سيئات
 ما عملوا) أي عقاب سيئات أعمالهم (وفاق) أي وأحاط (بهم ما كانوا يستهزئون) أي عقاب
 استهزائهم من جوانبهم (وقال الذين أشركوا) أي من أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم تكذيباً له
 وطعنوا في الرسالة (لو شاء الله) عدم عبادتنا لشيء غيره (ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا)
 الذي نفتدى بهم في ديننا (ولا حرمنا من دونه من شيء) من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى
 وأشرأ كما بالله الأوثان وتحرينا بالانعام والحرب عشيئته تعالى فهو راض بذلك وحينئذ فلا فائدة في محيئك
 الدنيا بالامر والنهي وفي إرسالك (كذلك) أي مثل ذلك لفعل الشنيع (فعل الذين من قبلهم) من
 الأمم فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم عن الخطأ وهدوهم إلى الحق
 (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليست وظيفة الرسل إلا تبليغ الرسالة تبليغاً واضحاً فهو واجب
 عليهم وأما حصول الأيمان فلا يتعلق بالرسول (ولقد بعثنا في كل أمة) من الأمم السالفة (رسولاً)
 خاصاً بهم كما بعثناك إلى قومك (أن اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطاغوت) أي اجتنبوا عبادة
 ما تعبدون من دون الله أو اجتنبوا طاعة الشيطان في دعائه لكم إلى الضلالة (فهم) أي من تلك الأمم
 (من هدى الله) إلى الحق الذي هو عبادته (ومنهم من حقت) أي ثبتت (عليه الضلالة) فلم يجب
 الرسول إلى الأيمان فضل عن الحق وعي عن الصدق ووقع في الكفر (فسيروا) يا معشر كفار قريش
 (في الأرض) أي فإن كنتم في شك من أخبار الرسل فسيروا في الأرض (فانظروا) في أكافها
 واعتبروا (كيف كان عاقبة المكذبين) بالرسل من عاد وثمود وأمثالهم لتعرفوا أن العذاب نازل بكم
 كما نزل بهم (إن تحرص على هداهم) أي إن تطلب يا سيد الرسل توحيد كفار قريش بجهدك فلا تقدر
 على ذلك (فإن الله لا يهدي من يضل) أي لأنه تعالى لا يخلق الهداية قسراً فيخلق فيه الضلالة
 لسوء اختياره وقرئ لا يهدي بالبنا للفعل (وما لهم من ناصرين) أي وليس لهم أحد يعينهم على مطلوبهم
 في الدنيا والآخرة من دفع العذاب عنهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي حلف الذين أشركوا غاية أيمانهم
 وإذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد عينه فإن الكفار كانوا يحلفون بأبائهم وآلهتهم فإذا كان الأمر
 عظيماً حلفوا بالله وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين أشركوا اعلما بأنهم كما أنكروا التوحيد
 أنكروا البعث مقسمين (لا يبعث الله من يموت) فإنهم يجدون في عقولهم أن الشيء إذا صار عداً محضاً لا يعود
 بعينه بل العائد يكون شيئاً آخر ولقد رد الله تعالى عليهم بلغ رد بقوله (بلى وعدا عليه حقاً) أي بلى يبعثهم
 الله بالبعث وعداً حقاً لا خلف فيه ثابتاً على الله فيمنجزه لا امتناع الحلف في وعده (ولكن أكثر الناس)
 أي أهل مكة (لا يعلمون) أنهم يبعثون لقصور نظرهم بالآلوف فيتوهمون امتناع البعث ولجهلهم بشئون

الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال (ليبين لهم) أي بلي يبعثهم ليعين لمن يموت
 (الذي يختلفون فيه) من أمور البعث وغيرها من أمور الدين فيشيب الحق من المؤمنين ويعذب المبطل
 من الكافرين (وليعلم الذين كفروا) بالله بالاشراك وانكار البعث والنبوة يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين)
 في ما أقسموا فيه وفي كل ما يقولون (اغنا قولنا الشيء) أي شيء كان (إذا أردناه) أي وقت ارادتنا
 لوجوده (أن نقول له كن) أي احدث وهو خبر المبتدا (فيكون) أي فيحدث عقب ذلك من غير
 توقف وهذا تمثيل لنفي الكلام والتعب فليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور بل هو تمثيل
 لسهولة حصول المقدورات عند تعلق ارادته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها ولو كان العباد خوطبوا بذلك
 على قدر عقولهم ولو أراد الله خلق الدنيا وما فيها في قدر لمع البصر لقدر على ذلك فالمعنى اغنا إيجادنا الشيء عند
 تعلق ارادتنا به ان نوجده في أسرع ما يكون (والذين هاجروا) من مكة الى المدينة (في الله) أي
 لاظهار دينه (من بعد ما ظلموا النبوتهم في الدنيا حسنة) أي أرضا كريمة آمنة وهي المدينة وهم أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم الى المدينة وعلى
 هذا يكون نزول الآية في أصحاب الهجرة فيكون نزولها في المدينة بين الهجرةين وقال ابن عباس رضي
 الله عنهما نزلت هذه الآية في ستة من الصحابة صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبر أخذهم
 المشركون بمكة يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فأما بلال يخرجونه الى بطناء مكة في شدة الحر
 ويشدون عليه صدره الحجارة وهو يقول أحدا أحدا فاشترأ منهم أبو بكر وأعتقه وأما صهيب
 فقال أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم وهاجر وأما سائرهم فقد
 قالوا بعض ما أراد أهل مكة من كلمة الكفر فتركوها عذابهم ثم هاجروا بسبب هجرتهم ظهرت قوة الاسلام كما
 ان بنصرة الانصار قويت شوكتهم فلذلك غلبوا على أهل مكة وعلى العرب فأطبة وعلى أهل المشرق
 والمغرب وعن عمرانه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله
 في الدنيا وما ادخلك في الآخرة أكبر (ولأجر الآخرة أكبر) أي ولأجر الكائن في الآخرة وهو النعيم
 الكائن في الجنة أعظم من الأجر الكائن في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي وعلم الكفار ان الله تعالى يجمع
 لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لو افاقوهم في الدين (الذين صبروا) على أذية الكفار ومفارقة الأهل
 والوطن وعلى المجاهدة وبذل الأموال والانفس في سبيل الله (وعلى رءسهم يتوكلون) أي اليه خاصة
 يفوضون الامر كله معرضين عما سواه (وما أرسلنا من قبلك) يا أكرم الرسل الى الامم من طوائف
 البشر (الارجالا نوحى اليهم) بواسطة الملائكة وهذا رد لقريش حين قالوا الله أعلى وأعظم من ان
 يكون رسوله واحدا من البشر بل لو أراد بعثة رسول اليها لبعث ملكا (فاسألوا أهل الذكر) أي أهل
 العلم باخبار الماضين فاذا سألوهم فلا بد ان يجيبوا بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم
 بذلك زالت الشبهة من قلوبهم (ان كنتم لا تعلمون) ان الرسل من البشر (بالبينات والزبر) متعلق
 بمحذوف على انه صفة لرجال لا يسيرون بالمعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وبالتكاليف
 التي يبلغونها من الله تعالى الى العباد أو متعلق بيوحى أي يوحى اليهم بالحجج الواضحة وبالكاتب أو
 متعلق بذلك أي فاسألوا أهل العلم بالحجج وبالكاتب القريبة من التوراة والانجيل أو متعلق بلاتعلمون أي
 ان كنتم لا تعلمون الله لم يرسل الرسل الا انسيا بالعلامات وبخبر كتب الاولين فاسألوا كل من يذكر بعلم
 وتحقيق واسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى (وأترلنا اليك الذكر) أي القرآن

سمى ذكرا لان فيه تنبيه للغافلين (لتبين للناس) كافة (ما نزل اليهم) في ذلك الذكرو من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال الامم المهلكة بأفانين العذاب على حسب أعمالهم الموجبة لذلك (ولعلمهم يتفكرون) فيما نزل اليهم فيتنبهوا لما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما أصاب الاولين من العذاب (أفأمن الذين مكرروا السيئات) أي سعادوا من أهل مكة ومن حول المدينة في ايداء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على سبيل الخفية (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسف بقارون وأصحابه (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي في حال غفلتهم فيهلكهم بغتة ~~كما فعل~~ بقوم لوط (أو يأخذهم بالعقوبة) (في قلوبهم) أي في أسفارهم وحركاتهم اقبالا وادبارا (فأهمهم مجزين) أي وهم لا يعجزون الله بسبب سفرهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله حيث كانوا (أو يأخذهم على تخوف) أي على ان ينقص شيئا بعد شيء في أموالهم وأنفسهم حتى يهلكوا أو على مخافة عن العذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون (فانذركم لرؤف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتغيظون لاله عن الذين والشمائل مجد الله) أي ألم ينظر أهل مكة ولم يروا بياضهم الى جسم قائم له ظل من جبل وشجر وبناء يرجع ظلاله من المشرق ومن المغرب واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد (وهم داخرون) أي منقادون لقدرة الله تعالى وتديره ولما وصفت الظلال بالانقياد لامر الله تعالى أشبهت العقلاء فعبّر عنها بلفظ من يعقل وقرأ حمزة والسكاكي تروا بالتاء على الخطاب وقرأ أبو عمرو وحده تتقيوا بالتاء (ولله يسجد ما في السموات) من الشمس والقمر والنجوم (وما في الأرض من دابة والملائكة) عطف على ما في السموات ولما بين الله تعالى أولا ان الجمادات بأسرها منقادة لله تعالى بين هذه الآية ان الحيوانات بأسرها منقادة لله تعالى فأخسها الدواب وأشرفها الملائكة وذلك دليل على ان كل المخلوقات منقادة لله تعالى (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وهذه الجملة بيان لقوله لا يستكبرون أو حال من ضميره أي خائفين لما لك أمرهم خوف هيئة واجلال وهو فوقهم بالقهر (ويفعلون ما يؤمرون) به من الطاعات والتدبيرات فبواطنهم وظواهرهم مبرأة من الاخلاق الفاسدة والافعال الباطلة (وقال الله) لجميع المكلفين (لا تتخذوا الهين اثنين) أي لا تعبدوا الله والاصنام ولما بين الله تعالى أولا ان كل ما سوى الله سواء كان من عالم الارواح أو من كلام الاجسام فهو منقاد حاض لجلال الله تعالى أتبعه في هذه الآية بالنهي عن الشرك والمقصود من التكرير تأكيد التنفير عن الاشرار بالله وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح (انما هو اله واحد) أي لما دلت الدلائل السابقة على انه لا بد للعالم من اله وقد ثبت ان وجود الهين محال ثبت انه لا اله الا الواحد الاحد (فاياي فارهبون) أي ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض ولما كان اله واحد والواجب لذاته واحدا كان كل ما سواه ماصلا بتخليقه وابعاده فثبت ان تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لان أفعال العباد من جملة ما في السموات والأرض ووجب ان يكون جميع المخلوقات في ملكه وتصرفه وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله ما في السموات والأرض) أي خلقا وملكا (وله الدين واصبا) أي لله تعالى الطاعة دائما فلا يس من أحد يطاع الا انقطعت تلك الطاعة بالموت أو بسبب في حال الحياة الا الله تعالى فان طاعته واجبة أبدا وفي الآية دققة أخرى فمعنى قوله تعالى له ما في السموات والأرض ان كل ما سوى الله محتاج في انقلابه من العدم الى

الو جود ومن الو جود الى العدم الى مخصص ومعنى قوله تعالى وله الدين واصب ان هذا الاحتياج الى
 المربح حاصل دائماً ابد الان الممكن حال بقائه لا يستغنى عن المربح لان علة الحاجة هي الامكان وهو من
 لوازم الماهية فوجب ان تكون الحاجة حاصلة حال حدوثها وحال بقائها (أفغير الله تتقون) أى انكم بعد
 ما عرفتم ان اله العالم واحد وان كل ما سواه محتاج اليه في وقت حدوثه وفي وقت دوامه فبعد العلم بهذه
 الاصول كيف يعقل ان يكون الانسان رغبة في غير الله أو رهبة عن غير الله تعالى (وما بكم من نعمة
 فمن الله) أى أى شئ يصاحبكم من نعمة آية نعمة كانت فهي من الله فيجب على العاقل أن لا يخاف الا
 الله وأن لا يشكر الا الله (ثم اذا مسكم الضر) كالاسقام (فاليه تجأرون) أى ترفعون أصواتكم
 بالاستغاثة في كشفه لا الى غيره (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فرق بينكم) أى اذا فرق كفروهم
 أنتم (ربهم يشركون) غيره وهذا ضلال كامل (ليكفروا بما آتيناهم) أى ان عاقبة تلك
 التصرفات ما كانت الا كفران نعمة ازالة المكروه عنهم وقيل ان هذه اللام لام الامر الوارد للتهديد كقوله
 تعالى (فتمتعوا) أى عيشوا في الكفر (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب
 (ويجعلون) أى المشركون (لما لا يعلمون) أى للصنام التي لا يعلم المشركون انها تضر من حيث
 عبادتها ولا تنفع (نصيباً مما رزقناهم) من الزرع والانتعام وغيرهما تقرباً اليها (تالله لتسئلن) يوم
 القيامة سؤالاً توبيخ (بما كنتم تفترون) أى تكذبون على الله من انه أمركم بذلك الجعل (ويجعلون
 لله البنات) أى يقول خراعة وكأنه الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله ذاته عن نسبة الولد اليه وأمر
 الله تعالى الخلق بالتهجيب من جراتهم على وصف الملائكة بالانوثة ثم نسبتها بالولدية الى الله تعالى (ولهم
 ما يشتهون) ويجعلون لانفسهم ما يختارون من البنين (واذا بشر أحدكم بالانثى) أى والحال انه اذا
 أخبر بولادة الانثى (ظل وجهه مسوداً) أى صار وجهه متغيراً تغير مغتم من الحياء من الناس (وهو
 كظيم) أى غملي غمما وحقوا وغيظا من زوجته فكيف ينسب البنات اليه تعالى وجملة واذا بشر حال من
 الواو في ويجعلون (يتوارى من القوم) أى يختفي من قومه (من سوء ما بشره) أى من أجل
 كراهية الانثى التي أخبر بها من حيث كونهن لا تكسب وكونها يخاف عليها الزنا وكان الرجل في
 الجاهلية اذا ظهر آثار الطلق بامرأته اختفى عن القوم الى ان يعلم ما يولد له فان كان ذكراً فرح به وان كان
 أنثى حزن ولم يظهر للناس أياماً يدبر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله تعالى (أيمسكه على هون) أى يحفظ
 ما بشر به من الانثى مع رضاه بذل نفسه (أم يدسه في التراب) أى أم يخفيه في التراب بالوادفالعرب كانوا
 مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفن فيها الى ان تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل
 ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وهم كانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية وتارة خوفاً من الفقر ولزوم النفقة
 (الاساء ما يحكمون) حكمهم هذا حيث يجعلون له تعالى ما عادت عندهم حقارة والحال انهم يتباعدون
 عنه (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت (مثل السوء) أى الصفة القبيحة وهي احتياجهم
 الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وللاستعلام به وكرهتهم الاناث خوف الفقر والعار مع احتياجهن اليهن
 للنكاح (ولله المثل الاعلى) أى الصفة المقدسة وهي الصفة الالهية المنزهة عن صفات المخلوقين وعن
 الولد (وهو العزيز) أى المنفرد بكمال القدرة (الحكيم) أى الذي يفعل ما يفعل بالحكمة البالغة
 (ولو يؤخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهما) أى الارض (من دابة) أى لو يؤخذهم الله بما كسبوا
 من كفر ومعصية لا يبق لهم نسل فيلزم ان لا يبقى في العالم أحد من الناس حينئذ لا يبقى في الارض

أحد من الدواب أيضا لأنها مخلوقة لمنافع البشر (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أي معين عند الله تعالى لأعمارهم ليتوالدوا (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون) عن ذلك الأجل (ساعة) أي فذة (ولا يستقدمون) وإنما ذكر الاستقدام مع أنه لا يتصور عند مجيء الأجل مبالغة في بيان عدم الاستعجال بنظمه في سلك ما يعتنع (ويجعلون لله ما يكرهون) أي وينسبون إليه تعالى البنات التي يكرهونها لأنفسهم (وتصف ألسنتهم بالكذب أن لهم الحسنى) بدل من الكذب أي يصون أنفسهم بأنهم فازوا برضوان الله تعالى بسبب اثبات البنات له تعالى وبأنهم على الدين الحق (لا يجرم) أي ثبت (أن لهم النار) التي ليس وراء عذابها عذاب (وأنهم مفرطون) أي متروكون في النار وقرأنا نافع وقتيبة عن الكسائي بكسر الراء أي مفرطين على أنفسهم في الذنوب (تالله لقد أرسلنا) رسلا (إلى أمم من قبلك) فدعواهم إلى الحق (فزين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة فقرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم اليوم) أي فالشيطان متولى أمورهم في الدنيا باغوائهم وقرينهم في النار (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أي القرآن (إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) أي الالتبين للناس بواسطة بيانات القرآن الأشياء التي اختلفوا فيها من التوحيد والشرك والجبر والقدر وأحوال المعاد والأحكام كتحریم الميتة وتحليل نحو البحيرة (وهدي ورحمة) أي وللهداية من الضلالة وللرحمة من العذاب (لقوم يؤمنون) بالقرآن لأنهم المغتصمون بآثاره (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) أي والله خلق السماء على وجه ينزل منه الماء ويصير ذلك الماء سببا لنبات الزرع والشجر ولخروج النور والثمر (ان في ذلك) أي في أنزال الماء وأحيا الأرض اليابسة (آية) دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسمعون) هذه المواعظ فذكر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم (وان لكم في الأنعام لعبرة) عظيمة إذا تفكرتم فيها (نسقيكم مما في بطونه) أي الأنعام قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحزمة والكسائي نسقيكم بضم النون والباقون بالفتح (من بين فرث) أي روث في الكرش (ودم لبننا خالصا) أي لا يخالطه الفرث ولا الدم وقوله لبننا مفعول ثان وقوله من بين حال من ما التي للتبعيض أولا ابتداء أو من لبننا وعن ابن عباس أنه قال إذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثا وأعلاه دما وأوسطه لبنا فيجري الدم في العروق واللبن في الفرع ويبقى الفرث كما هو (سائغا للشاربين) أي جاريا في حلقهم لذيذا فلا يغص أحد باللبن (ومن ثمرات النخيل والأعناب) أي ونسقيكم من عصير ثمرات النخيل والأعناب (تتخذون منه سكرا) أي خمرا (ورزقا حسنا) كاللبس والخل والتمر والزبيب والله تعالى ذكر ما في هذه الأشياء من المنافع وخاطب بها المشركين والحمير من امر بتهم فهي منفعة في حقهم ثم نبه في هذه الآية على تحريمها لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان لا تكون الحمير رزقا حسنا والحمير يكون حسنا بحسب الشهوة ولا يكون حسنا بحسب الشريعة وهذه الآية جامعة بين العتاب والمنة وهذا إذا كانت الحمير محرمة قبل تزويها وان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فهي دالة على كراهتها (ان في ذلك) أي في إخراج اللبن من بين الروث والدم وفي إخراج الخمر والرزق الحسن من الثمرات (آية) دالة على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم بالتأمل في الآيات فيعلمون ان هذه الأحوال لا يقدر عليها إلا الله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل) أي ألهم ربك النحل (أن اتخذ من الجبال بيوتا) أي أوكلها (ومن الشجر) أي مما يوافق مصالحك ويليق بك (ومما يعرشون) أي مما يرفع الناس وينونه لك أي ان الله قدر في

أنفس النحل الاعمال العجيبة التي تجزئ عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتاً على شكل سدس من اضلاع متساوية لا يزد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيها فرج خالية ضائعة فإلهام ذلك الحيوان الضعيف بهذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من اعاجيب والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت الا بالآلات مثل المسطر والفرجار (ثم كل من كل الثمرات) أي من كل ثمرة تشتهيها امرها وجلوها (فاسلكي سبل ربك) أي فاذا أكلتها فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك (ذللاً) حال من السبل أي مسخرة لك أو من الضمير في اسلكي أي فاسلكي منقاداً لما أمرت به ولذا يقسم بعسوها أعمالها بين ما يقبض يعمل الشمع وبعض يعمل العسل وبعض يستقي الماء ويصبه في البيت وبعض يبني البيوت (يخرج من بطونها شراب) أي عسل (مختلف ألوانه) من أبيض وأسود وأصفر وأحمر على قدر ما تأكل من الثمار والازهار وبموجب اختلاف الفصل أو سن النحل فيستحيل المأكول في بطونها عسلاً بقدره الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب (فيه) أي في ذلك الشراب (شفاء للناس) من الالوجاع لاسيما البلغمية فإنه فيها عظيم النفع وعن ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاء من العسل والقرآن (ان في ذلك) أي في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة وفي اهتدائها الى جمع الاجزاء العسلية من أطراف الاشجار والاوراق (آية) أي عبرة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر في شؤون النحل جزم قطعاً بان له خالقاً قادراً حكيماً يلهمها ذلك (والله خلقكم) فان خالق الابدان هو الله تعالى (ثم يتوفاكم) أي يقبض ارواحكم عند انقضاء آجالكم فان الحياة والموت انما حصلتا بتخليق الله تعالى وبتهديره (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي أحقره وهو المحرم قال العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها سن النشو وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وثانيها سن الوقوف وهي من ذلك الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل وثانيها سن الانحطاط القليل وهو سن الكهولة وهو من ذلك الى ستين سنة ورابعها سن الانحطاط الكبير وهو سن الشيخوخة وهو من ذلك الى خمسة وستين سنة وفيه يتبين النقص والهرم قال علي بن أبي طالب أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقال قتادة تسعون سنة وقال السدي انه الحرف أي زوال العقل وقيل والمسلم لا يزداد بسبب طول العمر الا كرامة على الله تعالى وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) أي ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في نقصان العقل وسوء الفهم وفي النسيان (ان الله عليم) بمقادير أعمالكم (قدير) على تحويلكم من حال الى حال وكان الانسان ميتاحين كان نطفة ثم صار حياً ثم مات فلما كان الموت الاول جائزاً كان عود الموت جائزاً كذلك لما كانت الحياة الاولى جائزة وجب أن يكون عود الحياة جائزاً في المرة الثانية ومتى كان الامر كذلك ثبت أن القول بالبعث والنشور والمشرحق (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي فإوت بينكم في الرزق كما فوات بينكم في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والصحة والسقم (فما الذين فضلوا برأدي رزقهم على ما ملككم أيماهم فهم فيه سواء) أي فليس الذين فضلوا في الرزق على غيرهم يجاء على رزقهم لعبيدهم حتى تكون عبيدهم فيه معهم سواء في الملاك وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية والمرزوقية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في نصارى نجران حين قالوا ان عيسى بن مريم بن الله فالمعنى أنكم لا تشركون عبيدكم فيما ملككم فتكونون سواء فكيف جعلتم عبدي عيسى ابناً لي وشرى بكلي في

الالهية (أفبنةمة الله يجمعون) فان من أثبت لله شريكا فقد أسند اليه بعض الخيرات فكان جا حدا
لكونها من عند الله تعالى وأيضا ان أهل الطبائع وأهل النجوم يضيفون أكثر هذه النعم الى الطبائع والى
النجوم وذلك يوجب كونهم جا حدين لكونها من الله تعالى وقرأ أعاصم في رواية أبي بكر يجمعون بالتاء
على الخطاب (والله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) أى زوجات لتأنسوا بها
وتقيموا بهامصا لحكم قال الاطباء والتفاوت بين الذكر والانثى ان الذكر امخن مزاجا والانثى أكثر
رطوبة فالمنى اذا أنصب الى الخصية اليمنى من الرجل ثم أنصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
ذكرا تاما فى الذكورة وان أنصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم أنصب منها الى الجانب الايسر من
الرحم كان الولد أنثى تاما فى الانوثة وان أنصب الى الخصية اليمنى ثم أنصب منها الى الجانب الايسر كان الولد
ذكرا فى طبيعة الاناث وان أنصب الى الخصية اليسرى ثم أنصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
أنثى فى طبيعة الذكور (وجعل لكم من أزواجكم) أى من نسايتكم (بنين وحفدة) أى خدما يصرعون
فى طاعتكم وهم اما اولاد الاولاد واما البنات فانهم يخدمون البيوت أتم خدمة وأما الاختان على البنات
أى فيحصل لهم الاختان بسبب البنات (ورزقكم من الطيبات) أى بعض اللذائذ من النباتات
والحيوان فالرزق فى الدنيا أغودج لما فى الآخرة وكل الطيبات فى الجنة (أفبالباطل يؤمنون) أى
أيكفرون بالله الذى شأنه ذلك المذكور ويؤمنون بالباطل بأن يحرموا على أنفسهم طيبات أحلها الله لهم
مثل البحيرة والسائبة والوصيلة ويبيعوا لانفسهم محرمات حرما الله عليهم وهى الميتة والدم ولحم الخنزير
وما ذبح على النصب أى لم يحكمون بتلك الاحكام الباطلة (وبنعمة الله هم يكفرون) أى وبانعام الله
فى تحليل الطيبات وتحريم الخبيثات يجمعون (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا) أى أيعدون الاصنام التى لا تملك لعبادتهم رزقا من المطر والنبات لا قليلا ولا كثيرا
فشيأ بدل من رزقا (ولا يستطيعون) أى وليس للاصنام استطاعة تحصيل الملك وهذا معطوف على
مالا يملك وعبر عن الاصنام بلفظ ما اعتبار الحقيقة ولفظ جمع العقلاء اعتبارا لاعتقادهم فيها أنها آلهة
(فلا تضر بوا الله الامثال) أى لا تشبهوا الله تعالى بخلقه فى شأن من الشؤون فان عبدة الاوثان كانوا
يقولون ان اله العالم أعظم من أن يعبدوا الواحد منا بل نحن نعبد الكواكب وهذه الاصنام ثم ان
الكواكب والاصنام عبيد اله الاكبر الاعظم فان أصغر الناس يخدمون أكبر خدام الملك وأولئك
الاكبر يخدمون الملك فكذا ههنا عند هذا قال الله تعالى لهم اتركوا عبادة هذه الاصنام والكواكب
ولا تجعلوا لله الامثال التى ذكرتموها وكونوا مخلصين فى عبادة اله القدير الحكيم (ان الله يعلم) أى
خطأ قولكم الاشتغال بعبادة عبيد الملك ادخل فى التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك لان هذا
الدليل قياس والقياس يجب تركه عند ورود النص (وأنتم لا تعلمون) ذلك فتقعون فى مهاوى
الضلال (ضرب الله مثلا) بالعبد والحر (عبداء لو كالا يقدر على شئ) من التصرفات (ومن رزقناه
منارزقا حسنا) أى مستحسناء عند الناس مرضيا (فهو ينفق منه سرا وجهرا) أى حال السر والجمهور
(هل يستوون) أى هل يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بتلك الصفات مع أن الفريقين سيان فى
البشرية والخلق لله تعالى وأن ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل فى ايجاده بل هو مما أعطاه الله تعالى
اياهم حيث لم يستوا الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به مالا ذليل أدل منه وهو الاصنام
والمعنى لو فرضنا عبدا لو كالا يقدر على التصرف وحر اغنيا كريعا كثيرا لانفاق فى كل وقت فصرح

العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الصورة والبشرية فكيف يجوز للعقل أن يسوى بين الله القادر على الرزق وبين الأصنام التي لا تقدر البتة (الحمد لله) أي كل الحمد لله تعالى لأنه معطى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره فضلا عن استحقاق العبادة (بل أكثرهم لا يعلمون) أن كل الحمد لله وحده فيسندون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه لاجلها وبعض الكفار يعلمون ذلك وانما لا يعلمون سبب الحمد عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (وضرب الله مثلا لرجلين أحدهما أبكم) أي الذي لا يحسن الكلام ولا يعقل (لا يقدر على شيء) للجزالة والانعصان الكامل (وهو كل على مولاه) أي هذا الألبكم ثقيل على من يعوله (أي إنما وجهه لا يأت بخير) أي أينما يرسله من يلى أمره في وجهه عين لا يأت بمطلوب لأنه عاجز لا يحسن شيئا ولا يفهم (هل يستوى هو) أي هذا الموصوف بهذه الصفات الأربع (ومن يأمر بالعدل) أي من هو منطيق فهم ينفع الناس بحثهم على العدل (وهو على صراط مستقيم) أي وهو عادل مبرا عن العيب وإذا ثبت في بديهة العقل أن الألبكم العاجز لا يساوى الناطق القادر الكامل في الفضل والشرق مع استوائهما في البشرية فلان فتحكم بأن الجماد لا يكون مساويا لرب العالمين في المعبودية أولى (ولله غيب السموات والأرض) أي والله تعالى خاصة الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة فإن علمه تعالى حضوري وتحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة إليه تعالى وهذا بيان كمال العلم (وما أمر الساعة إلا كلمع البصر) أي وما أمر إقامة الساعة وهي أمانة الأحياء وأحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الأكوأ جمعين إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها في سهولته (أو هو أقرب) أي بل أمر إقامة الساعة أقرب من طرف العين في السرعة بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة فإله تعالى يحيي الخلق دفعة وهي في جزء غير منقسم وهذا بيان كمال القدرة (إن الله على كل شيء قدير) فإن الله تعالى متى أراد شيئا أيجاد أو أعدامه حصل في أسرع ما كان (والله أخر جكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) أي غير عارفين شيئا أصلا (وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة) أي جعل لكم هذه الأشياء آلات تخصصلون بها المعرفة (لعلكم تشكرون) أي لكي تستعملوها في شكر ما أنعم الله به عليكم طور أغب طور فتسمعوا وما أعظ الله وتبصر وادلائل الله وتعتقوا عظمة الله (ألم ير والى الطير) أي ألم ينظر كفار مكة بأبصارهم إليها وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي تروا بالسماء على خطاب العامة (مسخرات) أي مذلات للطيران (في جوا السماء) أي في الهواء المتباعده من الأرض قال كعب الأحماس الطير ترتفع في الجومسافة اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يسكنهن) في الجوحين قبض أجنحتهن وبسطها ووقوفهن (إلا الله) بقدرته الواسعة فإن جسد الطير ثقيل يعتنق بقاءه في الجومعلقا من غير دعم تحت ولا علاقة فوقه فبقاؤه في الجومعلقا فعله وحاصل باختياره فثبت أن خالق فعل العبد هو الله تعالى (إن في ذلك) أي تسخير الطير للطيران بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذنا با كذلك فاذا بسطت أجنحتها وأذناها تخرق ما بين يديها من الهواء (آيات) أي لعلامات لوحدانية الله تعالى (لقوم يؤمنون) أي يصدقون أن أمسا كهن من الله تعالى فإنه تعالى أعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويكسره مرة أخرى وخلق الهواء خلقا دقيقة يسهل بسبب خرقه ولولا ذلك لما أمكن الطيران (والله جعل لكم من بيوتكم) التي تبنيونها (سكنا) أي مواضعات سكنون فيه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) مغارة لبيوتكم المهدودة هي الخيام (تستخفونها) أي

تجدونها خفيفة عليكم في حملها ونقلها ونقصها في أسفاركم (يوم طعنكم) أي وقت سيركم في أسفاركم
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين (ويوم أقامتكم) أي وقت نزولكم في الضرب (ومن
أصوافها) أي الأنعام (وأوبارها وأشعارها أثاثا) أي وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الأبل
وأشعار المعز أنواع متاع البيت من الفرش والأكسية (ومتاعا) أي ما ينتفع به في البيت خاصة ويتزين
به (إلى حين) أي إلى وقت البلاء (والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من جهنكم (ظلالا) أي
ما يستظلون به من شدة الحر وهي ظلال الجدران والأشجار والجبال والغمام (وجعل لكم من الجبال
اكثانا) أي مواضع تستكنون فيها من شدة البرد والحر من الكهوف والغيران والسرور (وجعل لكم
سراييل) أي ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها (تقيكم الحر) في الصيف والبرد في الشتاء
ولم يذكر الله تعالى وقاية البرد لتقدمه في قوله تعالى فيهادف (وسراييل) أي جواشن (تقيكم
بأسكم) أي الشدة الذي يصل إلى بعضكم من بعض في الحرب من الطعن والضرب والرمي (كذلك)
أي مثل ما خلق الله هذه الأشياء لكم وأنعم بها عليكم (يتم نعمته) في الدنيا (عليكم لعلمكم) يا أهل
مكة (تسلمون) أي تؤمنون به تعالى وتنقادوا لأمره وقرى تسلمون بفتح التاء واللام أي لكي تسلموا من
الجراحات أو من الشرك (فإن تولوا) أي أعرضوا عن الإسلام وآثروا متابعة الآباء فلا نقص من جهنكم
(فإنما عليكم البلاغ المبين) أي لأن وظيفتك هي البلاغ الواضح فقد فعلته (يعرفون نعمة الله) أي
يقرون أن هذه النعم كلها من الله (ثم ينكرونها) أي لا يشكرونها بالتوحيد لأنهم قالوا إنما حصلت
هذه النعم بشفاعته هذه الأصنام (وأكثرهم الكافرون) أي المنكرون بفلوهم غير مقرين بأن هذه
النعم من الله (ويوم نبعث) أي وخوفهم يوم تأتي (من كل أمة شهيدا) يشهد لهم بالإيمان وعليهم
بالكفر وهونيبها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار وفي كثرة الكلام ليظهر لهم كونهم آيسين
من رحمة الله تعالى (ولا هم يستعتبون) أي لا يكفون أن يرضوا بهم بالعبادات فلا يقال لهم ارضوا
ربكم بالتوبة لأن الآخرة ليست بدار عمل وإنما هي دار الجزاء (وإذا رأى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر
(العذاب) أي عذاب جهنم بعد شهادة الشهداء (فلا يخفف عنهم) ذلك العذاب (ولا هم ينظرون)
أي يهلون فعذابهم يكون دائما لأن التوبة هناك غير موجودة (وإذا رأى الذين أشركوا) أي إذا
أبصروا يوم القيامة (شركاءهم) أي الأصنام التي يسمونها شركاء الله تعالى (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا)
أي آلهتنا (الذين كاندعوا) أي نعبدهم (من دونك) أي هؤلاء الذين كنا نقول أنهم شركاء الله في
المعبودية (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) أي فبادر شركاؤهم بالجواب إلى المشركين بقولهم إنكم
لكاذبون في قولكم إننا نستحق العبادة وأنكم عبدتمونا حقيقة بل إنما عبدتم أهواءكم والمعنى أنه تعالى
يخلق الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام حتى تقول هذا القول (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أي
أسرع المشركون إلى الله يومئذ لا تقياد لحكم الله فاقروا بالبراءة عن الشركاء وبر بوبية الله بعد أن كانوا
في الدنيا متكبرين عنه لما عجزوا عن الجواب لكن الانقياد في هذا اليوم لا ينفعهم لأنقطاع التكليف
فيه (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب عنهم افتراؤهم على الله من أن الله شريك أو بطل أم لهم من
أن الهتهم تشفع لهم عند الله تعالى (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) أي منعوا الناس
عن الدخول في الإسلام وحملوهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أي بحيات وعقارب وجوع
وعطش وزمهرير وغير ذلك فيخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد إلى النار (عما كانوا

يفسدون) بذلك الصد (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) وهو أعضاءهم فأن الله تعالى ينطق
 عشرة من أعضاء الانسان حتى أنها تشهد عليه وهي العينان والاذنان والرجلان واليدين والجلد
 واللسان (وجنابك) ياسيد الرسل (شهيدا على هؤلاء) أي الامم كلهم (ونزلنا عليك الكتاب) أي القرآن
 (تبيانا لكل شيء) من أمور الدين بنص فيه على بعضها وباحالته لبعضها على السنة أو على الاجماع
 أو على القياس فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب (وهدي ورحمة) للعالمين
 فان حرمان الكفرة من مغنايم آثار الكتاب من تفريطهم لا من جهة الكتاب (وبشرى للمسلمين) خاصة
 لانهم المنتفعون بذلك (ان الله يأمر بالعدل) أي بالتوسط في الامور وهو رأس الفضائل كلها فيندرج
 تحته فضيلة القوة العقلية فالحكمة متوسطة بين الحرمة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية فالعفة
 متوسطة بين الخلاعة والحمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية فالشجاعة متوسطة بين التهور والحبس
 ويندرج فيه أيضا الحكم الاعتقادية فالتوحيد متوسط بين التعطيل والتشريك ففي الاله تعطيل
 محض واثبات أكثر من اله واحد تشريك والعدل هو اثبات الاله اواحده وهو قول لاله الا الله والقول
 بالكسب متوسط بين الجبر والقدر فان القول بأن العبد ليس له قدرة واختيار جبر محض والقول بأن
 العبد مستقل بافعاله قدر محض والعدل أن يقال ان العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قدرة وداعية يخلقهما
 الله تعالى فيه والقول بأن الله تعالى لا يؤاخذ عبده على شيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه تعالى
 يخلد في النار عبده الآتي بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل هو القول بأنه تعالى يخرج من النار كل من
 اعتقد أنه لا اله الا الله ويندرج تحته أيضا الحكم العملية فالتعبد باداء الواجبات متوسط بين البطالة
 والترهب والختان مأموره في شريعتنا فان ابقاء الجلمدة مبالغة في تقوية اللذة والاختصاص وقطع الآلات
 كما عليه المنافرة افراط فكانت الشريعة انما أمرت بالختان سعيا في تقليل تلك اللذة حتى يصير ميل
 الانسان الى قضاء شهوة الجماع الى حد الاعتدال ولثلاث تصير الرغبة فيه غالبية على الطبع ويندرج تحته
 أيضا الحكم الخلقية فالجود متوسط بين الجخل والتبذير وشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسط
 بين التشديد والتساهل قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي متباعدة عن طرفي الافراط
 والتفريط في كل الامور واما بالغرسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات قال تعالى طه ما أنزلنا عليك
 القرآن لتشقي ولما أخذ قوم في المساهلة قال تعالى ألحسبتم أنما خلقتنا كم عبدا والمطلوب رعاية العدل بين
 طرفي الافراط والتفريط (والاحسان) أي المبالغة في أداء الطاعات اما بحسب الكمية كالتطوع
 بالنوافل واما بحسب الكيفية كالاستغراق في شهود مقامات الربوبية والحاصل ان العدل عبارة عن
 القدر الواجب والاحسان عبارة عن الزيادة في ذلك (وايتاه ذى القربى) أي اعطاء الاقارب ما يحتاجون
 اليه قال صلى الله عليه وسلم ان أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) أي المعاصي
 كلها (والمسكر) وهو ما لا يعرف في شريعة (والبغى) أي الاستعلاء على الناس والترفع والحاصل
 ان الفحشاء هي الافراط في متابعة القوة الشهوية فهي اغتراب في تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة
 عن اذن الشريعة وان المنكر هو الافراط في اظهار القوة الغضبية السبعية فهي اغتراب في الايذاء
 الى سائر الناس وايصال البلاء اليهم فالتفريط في تلك الحالة وان البغى من آثار القوة الوهمية
 الشيطانية فهي اغتراب في التطاول على الناس والترفع عليهم واما اظهار الرياسة والتقدم (يعظكم)
 أي يأمركم بتلك الثلاثة وينهاكم عن هذه الثلاثة (لعلكم تذكرون) أي لارادة أن تتذكروا

طاعته تعالى وهذا يدل على ان الله تعالى يطلب الايمان من الكل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وهو العهد الذي يلزمه الانسان باختياره فيدخل فيه المبايعة على الايمان بالله وبرسوله وعهد الجهاد وعهد الوفاء بالمنذورات والاشياء المؤكدة باليمين (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) بالقصد ففرق بين اليمين المؤكدة بالعزم وبين لغو اليمين (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أى شاهد افان من حلف بالله قد جعل الله كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف وهذه احوال أى لا تنقضوا الايمان وقد قلتم الله شاهد علينا بالوفاء (ان الله يعلم ما تفعلون) من النقض والوفاء فيجوز انكم على ذلك ان خير الخيرة وان شرافهم وفي هذا ترغيب وترهيب (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) أى من بعد قوة الغزل بقتلها وابرامها (أنكنا) أى أنقضا وهو مفعول ثان لنقضت بمعنى جعلت أحوال من غزلها مؤكدة لعاملها أى منكم أو ناقيل المشبه به معين وهى امرأة فى مكة اسمها راثطة بنت سعد بنت تيم وقيل تلقيب بجعرانة وكانت حمقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وسنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل الصوف والوبر هى وجواريهما من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون ايمانكم دخلا) أى مكرا (بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة) وهو استفهام بمعنى الانكار والمعنى أتصرون ايمانكم غشا بينكم بسبب ان أمة أزيد فى القوة والكثرة من أمة أخرى قال مجاهد كان قريش يحالفون الحلفاء ثم اذا وجدوا شوكة فى اعدائهم نقضوا عهدهم مع الحلفاء وعاهدوا اعداء حلفائهم (اغاييلوكم الله به) أى يعاملكم بالاكتر معاملة من يحتبركم لينظر أتعسكون بحبل الوفاء بعهد الله أم تغترون بكثرة قوم (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا أى حين يجازيكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله) مشيئة قسر (لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء اختلافكم لقضية حكمة يعلمها الله ولذلك (يضل من يشاء ويهتدي من يشاء) وروى الواحدى ان عزيزا قال يارب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهتدي من تشاء فقال يا عزيز اعرض عن هذا فأعاده ثانيا فقال اعرض عن هذا فأعاده ثالثا فقال اعرض عن هذا والاصحوت اسمك من النبوة (ولتسئلن) جميعا يوم القيامة (هنا كنتم تعملون) فى الدنيا وهذا اشارة الى الكسب الذى عليه يدور أمر الهداية والصلال (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا) أى خديعة (بينكم) أى لا تنقضوا عهدكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرائه (فتزل قدم بعد ثبوتها) على الطريق الحق بالايمان أى تمزقوا عن طاعة الله فان من نقض عهد الاسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع فى الضلالة (وتذوقوا السوء) أى العذاب فى الدنيا (بما صدقتم عن سبيل الله) أى بامتناعكم عن دين الله وبصرفكم الناس عنه بايمانكم الذى أردتم به اخفاء الحق (ولكم) مع ذلك فى الآخرة (عذاب عظيم) أى غير منفلك اذا متم على ذلك (ولا تشتروا بعهد الله) أى لا تأخذوا بعقابلة بيعه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) أى عرض الدنيا وكانت قريش يعدون ضعفة المسلمين على الارتداد بحطام الدنيا أى انكم وان وجدتم على نقض عهد الاسلام خيرا من خيرات الدنيا لا تلتفتوا اليه وان كان كثيرا لان الذى أعده الله تعالى على الاستمرار على الاسلام أفضل مما تجدون فى الدنيا على نقض عهد الاسلام (ان ما عند الله) من ثواب الدارين الغنيمة والثواب الاخرى (هو خير لكم) مما يعدونه (ان كنتم تعلمون) تفاوت ما بين العوضين (ما عندكم ينفذ) وان جم عدد (وما عند الله) من خزائن رحمته الدنيوية والاخرى (بأق) لانفادله (ولنجزي الذين صبروا) على مشاق التزام شرائع

الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي بحسب أحسن أفراد أعمالهم والمعنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم مانعطيهم بمقابلة الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل وفي هذا من العدة الجميلة باغتفار ما قد يطرأ عليهم في أثناء الصبر من بعض جزع وبنظمه في سلك الصبر الجميل وقرأ ابن كثير وعاصم ولنجزيهم بنون العظمة على طريقة الالتفات والباقون بالياء من غير التفتات واللام لام قسم أي والله لنجزين الله (من همل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة) في الدنيا فيعيش عيشاً طيباً فالموسر ظاهر والمعسر يطيّب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم فإن قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى والقلب إذا كان علواً من هذه المعارف لم يتسع للاحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا أما قلب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فيصير علواً من الاحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا (ولنجزيهم) في الآخرة (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي بجزاء أحسن من أعمالهم (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي فإذا أردت قراءة القرآن فاسأل الله أن يمهلك من وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله لئلا يوسوسك في القراءة أي فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا الأمر للندب عند الجمهور وللو جوب عند عطاء وحيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستعانة عند قراءة القرآن فإظنكم من عداة صلى الله عليه وسلم فيمن عدا القراءة من الأعمال (أنه) أي الشيطان (ليس له سلطان) أي تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) أي وإلى ربهم يفوضون أمورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون ويذرون فإن وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم (إنما سلطانه) أي ولايته بدعوته (على الذين يتولونه) أي يطيعونه (والذين هم به) أي برهم (مشركون) أي والذين هم بسبب عمل الشيطان إياهم على الشرك بالله صاروا مشركين (وإذا بدلنا آية مكان آية) أي وإذا نسخنا حكم آية فإبدلنا مكانه حكماً آخر (والله أعلم بما ينزل) من التخليط والتخفيف في مصالح العباد وما الشرائع المصالح للعباد في المعاش والمعاد فالمصالح تدور وهذه الجملة اعتراضية بين الشرط وجوابه لتوبيخ الكفرة على كونهم ينسبون رسول الله إلى الاقتراء في التبديل والتنبيه على فساد رأيهم (قالوا) أي الكفار من أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم (إنما أنت مفتر) أي محتلق من تلقاء نفسك قال ابن عباس رضي الله عنهما إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها تقول كفار قريش والله ما نجد إلا يسخر بأصحابه اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه رآه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية (بل أكثرهم لا يعلمون) أن الله لا يأمر عباده إلا بما يصلح لهم وإن في النسخ حكماً بالغته واسناد هذا الحكم إلى أكثر لما أن منهم من يعلم ذلك وإنما ينسكه عنادا (قل نزل) أي القرآن (روح القدس) أي الروح المطهر من الأدناس البشرية وهو جبريل (من ربك) يا أكرم الخلق (بالحق) أي بالموافق للحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الإيمان بأن القرآن كلام الله فانهم إذا سمعوا النامح وتدبر وأما فيه من رعاية المصالح اللاتئة بالحال ومخت عقائدهم وأطمأنت قلوبهم (وهدي وبشرى للمسلمين) وهذان معطوفان على ليثبت فهما منصوبان باعتبار محله ومجروران باعتبار المصدر المؤول (ولقد نعلم أنهم) أي كفار مكة (يقولون إنما يعلم بشر) أي إنما يعلم محمد القرآن بشراً لا جبريل كما يدعي قال عبد الله بن مسلم الحضرمي عنوا عبدين لنا أحدهما يقال له يسار والآخر جبر وكانا يصنعان السيف بمكة وقرأ القرآن التوراة والإنجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأهما ويضع ما يقرأه فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (لسان

الذي يهدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي كلام الذي ينسبون اليه عبراني لم يتكلم بالعربية ولم يأت بفصيح الكلام وهذا القرآن كلام عربي ذو بيان وفصاحة فكيف يعلم محمد أو هو جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم عنه وأنتم أهل الفصاحة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثل هذا القرآن وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي تشيرون اليه فثبت بهذا الدليل أن القرآن وحى أو جاء الله الى محمد وليس هو من تعليم الذي تشيرون اليه ولا هو أت به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله تعالى (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي لا يصدقون أنهم من عند الله بل يسمونها افتراء أو معلمة من البشر (لا يهديهم الله) الى طريق الجنة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) أي بل يسوقهم الى النار (اغيا يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي ان المفترى هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انها افتراء ومعلمة من البشر وهذا رد لقولهم اغيا أنت مفترى وقلب الامر عليهم ببيان أنهم هم المفترى (وأولئك هم الكاذبون) أي الكاملون في الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيب آيات الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه) أي من تلفظ بكلمة الكفر من بعد إيمانه به تعالى فعليه غضب من الله فمن موصولة مبتدأ وخبره محذوف للدلالة الخبر الآتي عليه (الامن أكره) على التلفظ بالكفر فتلفظه بأمر لا طاقته به كالتخويف بالقتل كالضرب الشديد وكالايلامات القوية مما يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه (وقلبه مطمئن بالإيمان) أي والحال ان قلبه لم تتغير عقيدته وهذا دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي ولكن من اعتقد الكفر وانشرح به قلبا (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) روى ان قريشا أكرهوا عمارا وأباه يأسر وأمه سمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وضربها أبوجهل بحربة في فرجها فماتت وقتل يأسر وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوا عليه فقبل يارسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ إيمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بطمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينه وقال مالك ان عادوا لك فقل لهم ما قلت فنزلت هذه الآية (ذلك) أي الكفر بعد الايمان (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) أي بسبب انهم رجحوا الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) أي وبأنه تعالى ما هداهم الى الايمان وما عصهم عن الكفر (أولئك) الموصوفون بتلك القبائح (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبت عن التأمل في الحق وادراكه (وأولئك هم الغافلون) عمارا دبرهم في الآخرة من العذاب فلا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر عواقب الامور (لا جرم) أي حق (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) حيث صرفوا أعمارهم فيما أفضى بهم الى العذاب المخاد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى المدينة أي ناصرهم (من بعد ما فتنوا) أي عذبوا نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة أخى أبي جهل من الرضاة أو من أمه وفي أبي جندل بن سهل والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فقتلهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا ومن شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقرأ ابن عامر فتنوا بالبناء للفاعل أي عذبوا المؤمنين كعامر بن الحضرمي أكرهه مولا جبرار الرومي حتى ارتد ثم أسلما وحسن اسلامهما وهاجرا (ثم جاهدوا) في سبيل الله (وصبروا) على الطاعة والمرازي (ان ربك من بعدها) أي من بعد هذه الاعمال الثلاثة (لغفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) فينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد هذه الآية ان كانت نازلة فيمن أظهر الكفر فالمراد ان حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال

من لا يكره فلا تخم له في ذلك وان كانت واردة فيمن ارتد فالمراد ان التوبة والقيام بما يجب عليه يحصلان له الغفران والرحمة ويزيلان العتاب (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) فالظرف منصوب برحيم أو بمحذوف أي ذكرهم يوم يأتي كل انسان يعتذر عن ذاته ويسعى في خلاصه من العذاب كقولهم هؤلاء أضلونا السبيلا وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزل المحصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فضعف عليه العذاب فيقول الجسد يا رب أنت خلقتني كالخشب ليس لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه أبصرت عيني وبه مشيت رجلاي فيضرب الله لهما مثلاً أعمى ومقعداد خلا بسبب تنافيه ثم ارفأ الأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يتناولونه لحمل الأعمى المقعد فأصابا بالثمر فعلى من يكون العذاب قال الله تعالى عليهما العذاب (وتوفي كل نفس ما عملت) أي وتعطى كل نفس جزاء ما عملت كاملاً (وهم لا يظلمون) بالعقاب بغير ذنب وبالزيادة في العقاب على الذنوب (وضرب الله مثلاً قرية) أي جعل الله مثلاً أهل قرية مكة (كانت آمنة) أي كان أهلها ذوي أمن فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب الخوف من العدو (مطمئنة) أي كان أهلها مطمئنين لان هوا ذلك البلد لما كان ملائماً لآمن جنتهم اطمأنوا اليه واستقروا فيه فلا يحتاجون الى الانتقال منه بسبب الامراض (يأتيها زقهار غدا من كل مكان) أي يأتي أهل تلك القرية أقوات واسعة من نواحيها من بر وبحر فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب ضيق الرزق قالت العقلاء من بحر الرجز

ثلاثة ليس لها نهاية * الامن والصحة والكفاية

(فكفرت بأنعم الله) أي كفر أهلها بنعمه تعالى وهي نعمة الامن والصحة والرزق الواسع (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أي أذاق الله أهلها ضرراً بالجوع والخوف من حرب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع والخوف نوعان أحدهما انه لما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والخوف فأشبهها الطعام وثانيه ما ان أثر الجوع والخوف لما اشتد صار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبهه اللباس وقد ظهر أثرهما عليهم من الهزال وصفرة اللون ونهكة البدن وسوء الحال وكسوف البال ويشبهه أيضاً أثر الخوف باللباس في الاحاطة واللزوم وأثر الجوع بالطعام المر البشع في الكراهة (بما كانوا يصنعون) من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإخراجه من مكة رهم قتله فآله تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو وبر يخلط بالدم والقود وهو جلد الماعز الصغير حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع وأما خوفهم فهو لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث اليهم السرايا فيغيرون على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم ثم ان رؤساء مكة أرسلوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أباً سفيان بن حرب في جماعة فقدموا المدينة عليه وقال له أبو سفيان يا محمد انك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون وهذه الآية نزلت في المدينة لان الله تعالى وصف القرية بصفات مست كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضر بها الله مثلاً لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم

مثل ما أصابهم من الجوع والخوف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال
 لما هاجر الى المدينة فكان يبعث سرايا الى جوار مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة (ولقد جاءهم) أي جاء
 أهل تلك القرية وهي مكة (رسول منهم) أي من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر
 على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يندون (فكذبوه) في رسالته (فأخذهم العذاب) بالجوع
 الذي كان بمكة (وهم ظالمون) أي والحال انهم كافرون بتكذيب رسول الله (فكافوا) يامعشر المسلمين
 (عمارزقكم الله) أي من الغنائم (حلالا طيبا) أي انكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكافوا الحلال
 الطيب وهو الغنيمة واتركوا الحباثت وهي الميتة والدم (واشكروا نعمة الله) أي واعرفوا حقها
 ولا تقابلوها بالكفران (ان كنتم اياه تعبدون) أي تطيعون (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
 وما أهل لغير الله به) فهذه الآية دالة على حصر المحرمات في هذه الاربعة فالمختنقة والموقوذة والمتردية
 والقطيعة وما أكل السبع داخلة في الميتة وما ذبح على النصب داخل تحت قوله تعالى وما أهل لغير الله به
 (فن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) أي فن دعت ضرورة المحمصة الى تناول شيء من ذلك
 غير ظالم على مضطر آخر ولا متجاوز قدر الضرورة وسد الرمي قاله لا يؤاخذ بذلك (ولا تقولوا ما تصف
 أنستكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل ذكر أنستكم
 الكذب ولتعوذهابه (لتفتروا على الله الكذب) وهذا يدل من التعليل الاول أي انهم كانوا ينسبون
 ذلك التحليل والتحريم الى الله تعالى ويقولون ان الله أمرنا بذلك (ان الذين يفترون على الله الكذب)
 في أمر من الأمور (لا يفلهون) أي لا يفوزون بخير لا في الدنيا ولا في الآخرة (متاع قليل) أي
 منفعتهم في أفعال الجاهلية منفعة قليلة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم وعلى الذين هادوا) خاصة
 (حرمانا قصصنا عليك) يا أشرف المرسلين (من قبل) أي من قبل تحريمنا على أهل ملتك ما عدد
 لك من المحرمات وهو الذي سبق ذكره في سورة الانعام (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك (ولكن كانوا
 أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما يؤدي ذلك التحريم (ثم انذركم للسوء) أي الكفر والمعاصي
 (بجهالة) أي بسبب جهالة لان أحد لا يختار الكفر ما لم يعتقد كونه حقا ولا يفعل المعصية ما لم تهر الشهوة
 غالبية للعقل فكل من عمل السوء يكون بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعد ذلك) أي عمل السوء (وأصلحوا)
 بأن آمنوا وأطاعوا الله (ان ربك من بعدها) أي التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثبت على طاعتهم
 تركا وفعلا أي لما بالغ الله في تهديد المشركين على أنواع قبائحهم من انكار البعث والنبوة وكون القرآن
 من عند الله وتحريم ما حل الله وتحليل ما حرمه بين الله أن مثال تلك القبائح لا تمنعهم من قبول التوبة
 وحصول المغفرة والرحمة اذ اندموا على ما فعلوا وآمنوا فأن الله يخلصهم من العذاب (ان ابراهيم كان أمة) على
 انفسه اراده لكاله في صفات الخير وجمعه فضائل وهو رئيس أهل التوحيد ولانه كان مؤمنا وحده والناس
 كلهم كانوا كفارا ولذلك وصفه بتسع صفات (قانتا لله) أي مطيعا له تعالى قائما بأمره (خنيفا) أي ماثلا
 عن كل دين باطل الى الدين الحق لا يزول عنه (ولم يك من المشركين) في أمر من أمور دينهم فانه كان من
 الموحدين في الصغر والكبر (شاكر الأنعمه) روى أن ابراهيم عليه السلام كان لا يتغذى الا مع ضيف
 فلم يجد ذات يوم ضيفا فآخر غداءه فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فآثروا ان
 بهم علة الجذام فقال الآن يجب على مؤا كلتكم فلو لا عزتكم على الله تعالى لما ابتلاكم بهذا البلاء
 (اجتباء) أي اصطفاه للنبوة (وهذا الى صراط مستقيم) أي هداة في الدعوة الى طريق موصل الى

الله تعالى وهو ملّة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) أي ولد أصالحا وسيرة حسنة عند كل أهل الأديان
فجميع الملل يترضون عن إبراهيم ولا يكفرون به أحد (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي لمن أصحاب
الدرجات العالية في الجنة (ثم أوحينا إليك) ياسيد المرسلين مع علو طبقتك (أن اتبع ملّة إبراهيم)
أي في كيفية الدعوة إلى التوحيد وهو أن يدعو إليه بطريق الرفق والسهولة وابتیان الدلائل مرة بعد
أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن (حنيفا) أي مائلا عن الباطل حال من إبراهيم
(وما كان من المشركين) وهذا تكرير لما سبق لزيادة تأكيد في الرد على المشركين حيث زعموا أنهم كانوا
على ملّة إبراهيم (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي انما فرض تعظيم يوم السبت على الذين
خالفوا نبيهم موسى عليه السلام لاجل يوم السبت فان أهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة
أيام وبدأ تعالى بالتسكين من يوم الاحد وتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فأمر سيدنا موسى
عليه السلام اليهود أن يعظموا يوم الجمعة كما هو ملّة إبراهيم عليه السلام بالتفرغ للعبادة فيه وترك الاشغال
فيكون عيد الخلقوا كلهم وقالوا نحن نوافق ربنا في ترك الاحمال فاخترنا السبت فاذن الله تعالى لهم
فيه وشدد عليهم بحريم الاصطيد فيه وقالت النصارى مبدأ التسكين هو يوم الاحد فنجعل هذا اليوم
عيدا لنا وقد جاءهم عيسى عليه السلام بالجمعة أيضا فقالوا لا نريد أن يكون عيد اليهود بعد عيدنا واتخذوا
الاحد عيدا لهم وقلنا معشر الامة المهدية يوم الجمعة هو يوم الكمال فصول التمام يوجب الفرح الكامل
فهو أحق بالتعظيم ويجعله عيدا وأيضا ان الله تعالى خلق في يوم الجمعة أبا البشر آدم عليه السلام وهو
أشرف خلقه وتاب عليه فيه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة
لهذه الامة ولم يختاروه لانفسهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) في الدين
فانه تعالى سيحكم للعقدين بالشواب وللباطلين بالعقاب (ادع) يا أشرف الرسل من بعثت اليهم من الامة
قاطبة (إلى سبيل ربك) أي إلى دينه (بالحكمة) أي بالحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية وهذه أشرف
الدرجات وهي التي قال الله تعالى في صفتها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا (والموعظة الحسنة) أي
الامارات الظنية والدلائل الاقناعية (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي بدليل مركب من مقدمات مقبولة
فالناس على ثلاثة أقسام * الاول أصحاب العقول الصحيحة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها
* والثاني أصحاب النظر السليم الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا إلى حصيص النقصان * والثالث الذين
تغلب على طباعهم الخاصة لا طلب العلوم اليقينية فقوله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة الخ معناه ادع
الاقوياء الكاملين إلى الدين الحق بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها وهم خواص
الصحابة وغيرهم وادع عوام الخلق بالدلائل الاقناعية الظنية وهم أرباب السلامة وفيهم الكثرة وتكلم
مع المشاغبيين بالجدل على الطريق الاحسن الا كمال وهي التي تغيد أحماتهم والزامهم والجدل ليس من
باب الدعوة بل المقصود منه قطع الجدل عن باب الدعوة لانها لا تحصل أي ولما أمر الله محمد صلى الله عليه
وسلم باتباع إبراهيم بين الشئ الذي أمره باتباعه فيه وهو أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي
الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الاحسن (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذي
أمرك بدعوة الخلق اليه وأعرض عن قبوله (وهو أعلم بالمهتدين) اليه أي انك مكلف بالدعوة إلى الله
تعالى بهذه الطرق الثلاثة وحصول الهداية لا يتعلق بك فانه تعالى هو العالم بضلال النفوس المظلمة
والكفرة وباهتداء النفوس المشرقة الصافية (وان عاقبتكم) أي ان أردتم المعاقبة (فعاقبوا بمثل

ما عوقبتهم به) أن يجتنب ما فعل بكم ولا تزدوا عليه وقد مر أنه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة وتلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آباءهم وبالحكم عليه بالضلالة وذلك مما يشوش قلوبهم ويحمل أكثرهم على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب ثانياً وبالشتم ثالثاً إن ذلك الداعي إذا عرف ذلك يحمله طبعه على تأديب أولئك السفهاء بالقتل أو بالضرب فعند هذا أمر الله الداعي في هذا المقام برعاية العدل وترك الزيادة وهي ظلم وهو ممنوع في عدل الله ورحمته والله تعالى أمر في هذه الآية برعاية الانصاف فيدخل فيها ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمة حمزة قد مثل به المشركون في أحد فقطعوا أنفه وأذنيه وذكروه وأنثيه وفجروا بطنه قال لئن أنظرني الله بهم لا مثلن بسبعين منهم مكانك فنزلت هذه الآية فكفر عن عينه وكف عما أراد (ولئن صبرتم) عن المعاقبة بالمثل (لهو) أي الصبر (خير للصابرين) لأن الرحمة أفضل من القسوة والنفع أفضل من الأيلام والمقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب في كيفية الدعوة إلى الله تعالى وطلب ترك الزيادة من الظالم وهذا ليس بمنسوخ (واصبر) على ما أصابك من جهتهم من فنون الأذية (وما صبرك) بشئ من الأشياء (إلا بالله) أي بذكروه بالاستغراق في مراقبة شؤنه تعالى وبالتبتل إليه تعالى بمجامع الهمة (ولا تحزن عليهم) أي الكافرين بسبب أعراضهم عندك واستحقاقهم للعذاب الدائم (ولا تك في ضيق) أي غم وقرأ ابن كثير بكسر الضاد (مما يكرون) أي من مكرهم بك في المستقبل فالضيق إذا قوى صار كالشئ المحيط بالإنسان من كل الجوانب (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وهذا يدل على أن كمال السعادة للإنسان في هذين الأمرين التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله والمراد بالمعينة هي بالرحمة والفضل والرتبة

(سورة بني إسرائيل وتسمى سورة الاسراء وسبحان مكية غير قوله وإن كادوا ليستفزونك إلى قوله سلطاً ناصراً فهو لاء الآيات الثمانية مدييات وعدداً ياتهما مائة وعشر وكلما ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون وعددها وفها ستة آلاف وأربعمائة وستون)

(بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده) أي تبرأ عن الشريك من سير عبده محمد صلى الله عليه وسلم (إيلاً) أي في جزء قليل من الليل (من المسجد الحرام) أي من حرم مكة من بيت أم هانئ بنت أبي طالب (إلى المسجد الأقصى) أي الأبعد من الأرض وأقرب إلى السماء وهو مسجد بيت المقدس وهي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ويطلب بها الأجر من المسجد الحرام وروى أن عبد الله ابن سلام قال في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم عند قرأته هذه الآية لأنه وسط الدنيا لا يز يد شيئاً ولا ينقص فقال صلى الله عليه وسلم صدقت ثم قال ويقال له البيت المقدس والزيتون ولا يقال له الحرم والحكمة في أمر الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ليحصل له العروج إلى السماء مستوياً من غير تعويج لما روى عن كعب بن باب السهماء الذي يقال له مصعب الملائكة يقابل بيت المقدس قال وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً وقيل الحكمة في ذلك أن الشام خيرة الله تعالى من أرضه كما في حديث صحيح فهي أفضل الأرض بعد الحرمين وأول أقليم ظهر فيه ملكه صلى الله عليه وسلم وروى أن حضرة بيت المقدس من جنة الفردوس وقيل الحكمة في ذلك لإظهار الحق على من عاند لأنه لو عرج به

من مكة الى السماء لم يجد لعائده سبيلا الى الايضاح فلما ذكر انه أسرى به الى بيت المقدس سألوه عن
 أشياء من بيت المقدس كانوا علموا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رآها قبل ذلك لما أخبرهم بها حصل
 التحقق بصدقه فيما ذكر من الاسراء به الى بيت المقدس في ليلة واذا صح خبره في ذلك لم تصدقه
 في بقية ذلك من خبر المعراج الى السموات وقيل الحكمة في ذلك ليجمع الله له صلى الله عليه وسلم بين القبلتين
 (الذي باركنا حوله) أي المسجد الأقصى من أرض الشام بركة دنيوية بالمياه والأشجار وبركة دينية
 لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء وأما كنهم أحياء وأمواتا وفي قوله تعالى سبحانه الذي أسرى الخ معني
 التنزيه والتعجب أشار الله تعالى بذلك الى أعجب أمر جرى بينه تعالى وبين أفضل خلقه (لنريه) أي
 محمد صلى الله عليه وسلم (من آياتنا) أي بعض عجائب قدرتنا العظيمة التي من جلتها ذهابه في برهة
 من الليل مسيرة شهر وثبت بالدليل ان خالق العالم قادر على كل الممكنات فحصل الحركة البالغة في السرعة
 الى هذا الحد في جسد محمد صلى الله عليه وسلم يمكن وحيث يذيلزم أن القول بثبوت هذا المعراج أمر يمكن
 الوجود في نفسه لكن يبقى التعجب لانه حاصل في جميع المجهزات فانقلاب العصاة نباتا تبلى سبعين ألفا
 من الجبال والعصى ثم تعود في الحال عصا صغيرة كما كانت أمر عجيب وخروج الناقة العظيمة من الجبل
 الاصم وظلال الجبل العظيم في الهواء عجيب وكذا القول في جميع المجهزات فان كان مجرد التعجب يوجب
 الانكار لزم الجزم بفساد القول باثبات المجهزات وهو فرع على تسليم أصل النبوة وان كان مجرد التعجب
 لا يوجب الابطال فكذا ههنا ثبت ان المعراج يمكن غير محتج (انه هو السميع البصير) أي انه تعالى هو
 السميع لا قول محمد صلى الله عليه وسلم وأحواله بلا اذن البصير بأفعاله بلا عين فيكرمه ويقربه بحسب
 ذلك أي فهو عالم بكونهم مذهب خالصة من شوائب الهوى مقرونة بالصدق والصفامة أهله للقرب والرفق
 ويقال انه تعالى هو السميع لقالة قريش البصير بهم روى عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان نائما
 في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون
 فصليت بهم فلما قام ليخرج الى المسجد تشبهت هي بثوبه صلى الله عليه وسلم فقال مالك قالت أخشى ان
 يكذبك الناس وقوله ان أخبرتهم قال وان كذبوني فلما خرج جلس اليه أبو جهل فأخبره بمحدث الاسراء
 فقال أبو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هل أخذتهم من مصفق ووضع يده على رأسه تعجبا وانكارا
 واراد ناس عن كان آمن به صلى الله عليه وسلم وذهب رجال الى أبي بكر وقالوا له ان صاحبك يقول كذا
 وكذا فقال أبو بكر ان كان قد قال ذلك فهو صادق قالوا أتصدق على ذلك قال اني أصدق على أبعده من ذلك
 أي كانه قال لما سلمت رسالته فقد صدقته فيما هو أعظم من هذا فكيف أكذبه في هذا ثم جاء أبو بكر الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل فكلاما ذكر صلى الله عليه وسلم شيئا قال له أبو
 بكر صدقت فلما تم الكلام قال أبو بكر أشهد انك رسول الله حقا فقال له الرسول وأنا أشهد انك الصديق
 حقا ويقال ان هذا العبد الذي اختصناه بالاسراء هو خاصة السميع لكلامنا البصير لذاتنا فهو السميع
 اذنا وقلبا بالاجابة لنا والقبول لاوامرنا البصير بصرا وبصيرة وتوسط ظهر الفصل للأشعار باختصاصه
 صلى الله عليه وسلم وحده بهذه الكرامة ولهذا عقب الله تعالى بقوله هذا (وآتيناهم موسى الكتاب) أي
 التوراة أي لما ذكر الله تعالى تشریف محمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء ذكر عقبه تشریف موسى
 عليه السلام بازال التوراة عيله مع ما فيه من دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمع
 بين الامرين المتحدین في المعنى أي آتيناه التوراة بعدما أسرى بناه الى الطور (وجعلناه هدى لبني

اسرائيل) والضمير يعود الى الكتاب أو الى موسى أي جعلنا موسى يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من
 ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الحق (أن لا تتخذوا) فلانا هبة وان يعني أي التفسيرية أو
 زائدة وتخذوا على اضمحار القول أي فقلنا لا تتخذوا قرأ أبو عمرو وان لا يتخذوا بالياء خبرا عن بني اسرائيل
 فان مصدرية ولا نافية ولا مفعول تعليل مقدرة والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا
 (من دوني وكيلا) أي ربا تفوضون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص
 على قراءة النهي وعلى مفعول يتخذوا الأول ومن دوني حال من وكيلا والتقدير لا تتخذوا ذرية من حملنا مع
 نوح من دوني وكيلا فان الناس كلهم ذرية نوح لانه كان معه في السفينة ثلاثة بنين سام وحام ويافت فان الناس
 كلهم من ذرية أوائلك (انه) أي نوحا (كان عبدا شكورا) أي كثير الشكر في جميع حالاته وفي
 هذا اعلام بأن انجاء من معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك والمعنى
 ولا تشركوا بي لان نوحا كان عبدا شكورا وانتم من ذريته فاقتدوا به كما أن آباءكم اقتدوا به وانما يكون
 العبد شكورا اذا كان موحدا لا يرى حصول شيء من النعم الا من فضل الله تعالى روى أن نوحا عليه
 السلام كان اذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجازني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء
 أظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعزاني واذا احتدى قال الحمد لله الذي حذاني ولو
 شاء أحفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني اذا في عافية ولو شاء حبسه واذا أراد الاقطار
 عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثر به (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) أي
 أخبرناهم في التوراة بمحصول الفساد مرتين (لتفسدن في الأرض) أي أرض الشام (مرتين)
 الأول مخالفة حكم التوراة وحبس أرميا عليه السلام حين أظفرهم مخطط الله تعالى وقتل شعيبا نبي الله في
 الشجرة وذلك انه لما مات صدقيا ملكهم تنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم فقال
 الله تعالى له قم في قومك فلما فرغ مما أوحى الله اليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها
 وأدركه الشيطان فأخذ هربة من ثوبه فأراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها
 وقطعوه في وسطها والثاني قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (ولتعلن) أي
 لتعلن الناس بغير الحق (علوا كبيرا) أي مجاوزا للحدود ويقال لكل متجبر قد علا (فانجاهم وعد
 أولاهما) أولى مرتي الفساد (بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس) أي قتال (شديد) عن حذيفة قال
 قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو من أجل البيوت ابتناه الله تعالى لسليمان بن داود عليه السلام من ذهب وفضة ودر
 وياقوت وزمرود وذلك ان سليمان بن داود لما بناه مخمره الجن يأتونه بالذهب والفضة من المعادن وأتوه
 بالجواهر والياقوت والزمرود ومخمره الجن حتى ينوه من هذه الاصناف قال حذيفة فقلت يا رسول الله
 كيف أخذت هذه الاشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما عصوا
 الله وقتلوا الانبياء سلط الله عليهم فقتل نصر وهو من الجوس وكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى
 فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديدا (لجاسوا خلال الديار) أي فترددوا في
 أوساط الديار ودخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والاطفال وأخذوا الاموال وجميع ما
 كان في بيت المقدس من هذه الاصناف فاحتملوها على سبعين ألفا ومائة ألف محملة حتى أودعوها أرض
 بابل فأقاموا يستخدمون بني اسرائيل ويستملكونهم بالخزى والعقاب والنكال مائة عام (وكن) أي

ذلك البعث (وعدا مفعولا) أي منجزا (ثم ردنا لكم الكرة) أي الدولة (عليهم) أي على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبت عن ذنوبكم ورجعتم عن الفساد بظهور كورش الحمداني على بخت نصر (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعد ما نهبت أموالكم (وبنين) بعد ما سبت أولادكم (وجعلناكم أكثر نفيرا) أي رجالا وعددا أي ثم إن الله عز وجل رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس وهو كورش الحمداني أن تسير إلى المجوس في أرض بابل وإن تستنقذ من في أيديهم من بني إسرائيل فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان من البيت المقدس ورد الله إليه كما كان أول مرة (إن أحسنتم) بفعل الطاعات (أحسنتم لأنفسكم) فإن ببركة تلك الطاعات يفتح الله به عليكم أبواب الخيرات (وإن أسأتم) بفعل المحرمات (فلها) أي فقد أسأتم إلى أنفسكم فإبشؤم تلك المعاصي يفتح الله به عليكم أبواب العقوبات (فأذا جاء وعد الآخرة) أي وعد المرة الآخرة بعثنا تطوس بن اسبيانوس الرومي مع جنوده (ليسوا وجوهكم) أي ليجمعوا آثار الحزن ظاهرة في وجوهكم وقرأ ابن قمار وأبو بكر عن عاصم وحمة ليسوا بالتوحيد أي يحزن الله أو الوعد أو البعث وجوهكم وقرأ الكسائي لنسوة بنون العظيمة (وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة) أي كما دخل الأعداء فيه في أول مرة (وليتبروا ما علوا) أي ليهلكوا البلاد التي علوا عليها (تقبيرا) أي اهلاكا أي فلما رجعت بنو إسرائيل إلى البيت المقدس قادوا إلى المعاصي فسلط الله عليهم ملائكة ومقيم صرف غزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ جميع ما في بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعه في كنيسة الذهب فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدى ويرده إلى بيت المقدس وهو ألف سفينة وسبع مائة سفينة يرعى بها على بابل حتى ينقل إلى بيت المقدس (عسى ربكم أن يرحكم) أي لعل ربكم أن يرحكم بعد المرة الآخرة إن تبت توبة أخرى من المعاصي يا بني إسرائيل (وإن عدتم) إلى الفساد مرة أخرى (عدنا) إلى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى وإن عدتم إلى الاحسان عدنا إلى الرحمة وقد عادوا إلى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب لمحمد صلى الله عليه وسلم وكتمان ما ورد في التوراة والإنجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدي العرب فجري القتل والجلاء على قريظة وبني النضير وبني قينقاع ويهود خيبر والباقي منهم مقهورون بضرب الجزية (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي سجننا لا يستطيعون الخروج منها أبدا (إن هذا القرآن) الذي آتيناكم (يهدي) كل الناس (التي هي أقوم) أي للطريقة التي هي أقوم الطرائق وهي ملة الإسلام فبعضهم يصل بهدايته وهم المؤمنون وبعضهم لا وهم الكافرون (ويشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات) من التقوى والاحسان (أن لهم أجرا كبيرا) أي بأن لهم في مقابلة تلك الأعمال أجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما) وهو عذاب جهنم وهذا عطف على قوله إن لهم فالقرآن يشير المؤمنين ببشارتين بأجر كبير وبتعذيب أعدائهم واعلم أن أكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب الجسمانيين وإن بعضهم قال لن تمسنا النار إلا أياما معدودات فهم بذلك صاروا كالمنكرين للآخرة (ويدعو الإنسان بالشردها بالخير) في الأحاح أي إن الإنسان قديما لم يعلم في الدعا طلبا لشيء يعتقد أن خيره فيه مع أن ذلك الشيء يكون منبع ضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل هذا العمل لكونه مغترا بظواهر الأمور غير متفحص عن حقائقها وأسرارها روى أن النضر بن الحرث قال اللهم انصر خير الحزبين اللهم إن كان

هذا هو الحق من عندك الى آخره فأجاب الله تعالى دعاءه وضر بتدبيره يوم بدر وقيل المراد ان الانسان
 في وقت الضجر يلعن نفسه وأهله وولده وماله ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلاك (وكان
 الانسان) بحسب جبلته (عجولا) أي فحجرا لا يتأني الى ان يزول عنه ما يطرأ عليه فأن كل أحد من
 الناس لا يخلو عن عجلة ولو تركها لكان تركها أصح في الدنيا والدين (وجعلنا الليل والنهار آيتين)
 أي علامتين دالتين على تمام علمنا وكمال قدرتنا فلما بين الله تعالى ان هذا القرآن يدل على الطريق
 الاقوم ذكر الدلائل الدالة على وحدته تعالى وهو عجائب العالم العلوي والسفلي فالقرآن نعم الدين ووجود
 الليل والنهار نعم الدنيا فلولاهما لما حصل للخلق الراحة والكسب والقرآن مخرج من المحكم والمتشابه
 فكذلك الدهر مركب من الليل والنهار فالحكم كالنهار والمتشابه كالليل فكأن القصور من التكليف
 لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذلك الزمان لا يحصل الانتفاع به الا بالليل والنهار (فمعمونا آية الليل)
 وهي القمر لانه يبدو في أول الامر على صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يشرع
 في الانتقاص قليلا قليلا الى أن يعود الى المحاق (وجعلنا آية النهار) وهي الشمس (مبصرة) أي
 مضيئة ذات أشعة تظهر بها الاشياء المظلمة فالأضواء سبب لحصول الابصار (لتبتغوا فضلا من ربكم)
 أي لتطلبوا في الليل والنهار فضل ربكم من الرزق الحلال بالكسب ومن الثواب الجزيل بإداء الطاعات
 واحتراز المنهيات (ولتعلموا) بتعاقبهما (عدد السنين والحساب) أي حساب ما دون السنين من
 الشهور والايام والساعات لأقامة مصالحكم الدينية والدنيوية (وكل شيء) تفتقرون اليه في مصالح
 دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) أي بيناه في القرآن تبينا بليغا لا شبهة فيه فظهر كون القرآن
 يهدي للتي هي أقوم ظهورا بينا (وكل انسان أزمانه طائر) أي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر
 (في عنقه) وذكر العنق كناية عن شدة اللزوم أي أزمانه عمله كل يوم القلادة أو الغناء للصيغة بحيث
 لا يفارقه عمله أبدا فان كان خيرا كان زينة له كالطوق وان كان شرا كان شيناه كالغل على رقبة وانما
 يكنى العمل بالطير لان العرب اذا أرادوا الاقدام على عمل اعتبروا أحوال الطير فهل يطير متيامنا أو
 متياسرا أو صاعدا الى الجوى غير ذلك فيستدلون بكل واحد منها على الخير والشر والسعادة والخوسة
 فلما كثرت ذلك منهم سمى نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه وقيل المراد بالطائر حقيقة
 الالهة التي كتبها الملائكة الحفظة فإذ مات العبد طويت تلك الهيعة وجعلت معه في قبره حتى تخرج
 له يوم القيامة وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يا رسول الله ما أول ما يلقي الميت اذا أدخل قبره
 قال يا ابن مسعود ما سألتني عنه أحد الا أنت فأول ما يناديه ملائكة اسمعروا ما يجوس خلال المقابر فيقول
 يا عبد الله اكتب عملك فيقول ليس معي دواة ولا قرطاس ولا قلم فيقول كفنك قرطاسك ومدادك ريقك
 وقلمك أصبعك فيقطع له قطعة من كفته ثم يشرع العبد يكتب وان كان غير كاتب في الدنيا فيذكر حيث
 حسنته وسيئاته كيوم واحد ثم يطوى الملائكة القطعة ويلقونها في عنقه ثم قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وكل انسان أزمانه طائر في عنقه أي عمله فيه وقيل المراد بالطائر كتاب اجابته في القبر لتذكره وتذكر
 (وتخرج له يوم القيامة كتابا) أي مكتوبا فيه عمله (يلقاه) أي يلقي الانسان وقرأ ابن طاهر يلقيه بضم
 الياء وفتح اللام والقاف المشددة أي يعطاه (منشورا) أي مفتوحا ويقال له (اقرأ كتابك) قال
 الحسن وقتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقال بكر بن عبد الله يؤتى بالمؤمن يوم القيامة
 بصحيفته وهو يقرؤها وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته في جوف صحيفته وهو يقرؤها

حتى اذا ظن انها قد اوبقتة قال الله تعالى اذهب فقد غفرت لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره
 (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي محاسباً قال الحسن ومن عدل الله في حقك جعلك
 حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ له تعالى انك قضيت انك لست بظلام للعبيد
 فاجعلني أخاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (من اهتدى فانما يهتدى
 لنفسه) أي من اهتدى بهداية القرآن وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهى عنه فانما
 تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى من لم يهتد فان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله (ومن ضل
 فانما يضل عليها) أي ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما بال ضلاله عليها الا على من لم يباشره
 (ولا ترزوا رزواً أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة للاثم اثم نفس أخرى بطبيعة النفس حتى يمكن
 تخاص النفس الثانية عن اثمها ولكن يحمل عليها بالقصاص فلا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى فكل
 أحد مختص بذنب نفسه وهذا قطع لا طماع الكفار حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق
 فالعقاب على اسلافهم الذين قلدوهم الدين الفاسد (وما كنا معذبين) قوماً بالهلاك (حتى نبعث)
 اليهم (رسولاً) يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويهد الشرائع وأهل الفترتين
 بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد عليهم السلام ثلاثة عشر قسماً ستة سعداء وأربعة أشقياء وثلاثة
 تحت المشيئة فأما السعداء فقسم واحد الله تعالى بنور وجده في قلبه كقسم بن ساعدة فانه كان اذا سئل
 هل لهذا العالم اله قال البعرة تدل على البعير واثراً لاقدام يدل على المسير وقسم واحد الله تعالى بما تجلي
 لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه وقسم ألقي في نفسه واطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم
 فأمن به في عالم الغيب وقسم اتبع ملة حق عن تقدمه وقسم طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى
 الله عليه وسلم فأمن به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله
 أجران وأما الأشقياء فقسم عطل بلا نظر بل بتقليد وقسم عطل بعدما أثبت بالاستقصاء نظر وقسم أشرك
 عن تقليد محض وقسم علم الحق وعانده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقرب وجود الاله عن نظر
 ناقص لضعف في طبائعه وقسم أشرك عن نظراً خطأ فيه وقسم عطل بعدما أثبت بغير نظر قوى ونقل عن
 السيوطي ان أبوى النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث
 رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة (واذا أردنا أن نهلك قرية
 أمرنا مترفيها) أي واذا ادنا وقت تعلق ارادتنا بالهلاك قرية بعذاب الاستئصال أمرنا على لسان الرسول
 المبعوث الى أهلها رؤسائها بالاهمال الصالحات وهي الايمان والطاعة وروى رواية غير مشهورة عن نافع
 وابن عباس أمرنا مترفيها بعد الهزيمة أي كثراً أغنياءها وفساقها وعن أبي هريرة أمرنا بتشد يد الميم أي
 جعلنا جباريها أمراء (ففسقوا فيها) أي فخرجوا عما أمرهم الله وعملوا المعاصي فيها (الحق عليها
 القول) أي فثبت عليها ما توعدناهم به على لسان رسولنا من الاهلاك (فدمرناها تدميراً) أي
 فأهلكناها اهلاًك الاستئصال (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) أي وكثيراً أهلكنا من الامم
 الماضية من بعد قوم نوح فان الطريق الذي ذكرناه هو عادتنا مع الذين يفسقون من القرون الذين كانوا
 بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم وانما قال تعالى من بعد نوح لانه أول من كذب قومه وخوف تعالى بهذه
 الآية كفار مكة (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) فانه تعالى عالم بجميع المعلومات راء لجميع
 المراتب وثبت انه قادر على كل الممكنات فكان قادراً على ايصال الجزاء الى كل أحد بقدر استحقاقه فانه

منزه عن الظلم وهذه بشارة عظيمة لأهل الطاعة وتخويف عظيم لأهل المعصية (من كان يريد)
بالذي يعمل (العاجلة) أي الدار العاجلة فقط (عجلنا له فيها) أي في تلك الدار (مانشاء) تهجيله
من نعيمها (من يريد) تهجيل مانشاءه وهذا بدل من الضمير بإعادة الجار بدل بعض من كل فلا
يجد لكل واحد جميع ما يهواه فان كثير من الكفار يعرضون عن الدين في طلب الدنيا ثم يبقون
محرومين عن الدنيا والدين (ثم جعلنا له) في الآخرة مكان ما عجلناه (جهنم) وما فيها من أنواع
العذاب (يصلها) أي يدخلها (مذموما) أي مهانا بالذم (مدحورا) أي مطرودا من رحمة الله
تعالى قيل نزلت هذه الآية في مرتدين ثمانية (ومن أراد الآخرة) أي أراد بعمله ثواب الآخرة
(وسعى لها) أي للدار الآخرة (سعيها) بأن يكون العمل من باب القرب والطاعات (وهو مؤمن)
إيمانا صحيحا (فأولئك كان سعيهم) أي عملهم (مشكورا) أي مقبولا عند الله أحسن القبول
قيل نزلت هذه الآية في بلال المؤذن (كلا) أي كل واحد من الفريقين يريد الدنيا ويريد
الآخرة (غد) أي يزيد بالعطاء (هؤلاء) أي الذين يريدون الدنيا (وهؤلاء) أي الذين يريدون الآخرة
وهذان بدلان من كلا فان الله يوسع عليهم ما في الرزق من الأموال والأولاد وغيرهما من أسباب العز
والزينة في الدنيا (من عطاء ربك) أي من معطاء الواسع وهذا متعلق بنمذ (وما كان عطاء ربك) أي
معطاء في الدنيا (محظورا) أي ممنوعا من أحد مؤمنا كان أو كافرا لان الكل مخلوقون في دار العمل
فأزاح تعالى العذر عن الكل وأوصل تعالى متاع الدنيا الى الكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح (أنظر)
أيها الانسان بنظر الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فيما أمددناهم به من العطايا في الدنيا
فمن وضع ورفيع وظالع وضيع ومالك وعملوك وموسر وصعلوك (وللاخرة أكبر درجات) من درجات
الدنيا فان درجات الآخرة باقية غير متناهية ونعم الدنيا فانية متناهية (وأكثر تفضيلا) من تفضيل
درجات الدنيا أي التفاوت في الآخرة أكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودرجاتها ثم ذكر الله
تعالى من أنواع التكاليف خمسة وعشرين نوبا بعضها أصلي وبعضها فرعي وهي تفصيل لثلاثة شروط
لأهل الثواب وهي ارادة الآخرة بالعمل وان يسعى سعيها موافقا لطلب الآخرة وأن يكون مؤمنا فقال
(لا تجعل) أيها الانسان (مع الله الها آخر فتعبد) أي فتمكث في الناس أو فتتهجر عن سعادة الآخرة
أو فتصير (مذموما) من الملائكة والمؤمنين (مخذولا) من الله تعالى (وقضى ربك) أي أمرا أمرا
جزما وقرأ على وابن عباس وعبد الله ووصي ربك (أن لا تعبدوا الاياه) فان امام مفسرة أو مخففة من
الثقل واسمها ضمير الشأن ولانهاية (وبالوالدين) أي احسنوا بهما (احسانا) عظيما كاملا فان
احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ومع ذلك لا تحصل المكافاة
لان انعامهم ما عليك كان على سبيل الابتداء وفي الامثال المشهورة ان البادي بالبر لا يكافأ (اما يبلغن
عندك الكبرأحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أي ان يبلغا الى حالة الضعف وهما عندك في آخر
العمر كما كنت عندهما في أول العمر فلا تتضرع لهما بما تستعذر منه ولا تستثقل من مؤنه أي ولا
تقل له كلا ما رديثا ذا وجدت منه راحة تؤذيك كما انهما لا يتقدران منك حين كنت تخرا أو تبول وقرأ
حمزة والكسائي يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وقرأ ابن كثير وابن طمر أف بفتح الفاء من غير
تنوين وناقع وحفص بكسر الفاء مع التنوين والباقون بكسر الفاء من غير تنوين (ولا تهرهما) أي
لا تغلظ لهما في الكلام والمراد من قوله تعالى فلا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل أو الكثير

ومن قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه (وقل لهما قولا كريما) أي
لينا حسنا بان يخاطبه بالكلام المقرون بامارات التعظيم (واخفض لهما جناح الذل) أي لين لهما
جانبك المذلول والمراد فعل التواضع لهما (من الرحمة) أي من أجل فرط عطفك عليهما ورفقتك لهما
بسبب ضعفهما لا لاجل خوفك من العار (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي ادع لهما بالرحمة ولو
خمس مرات في اليوم والليله بان تقول رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخرية رحمة مثل تربيتهما اياي
في صغري ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي لاجل تربيتهم - مالي (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من
الاخلاص وعدمه في برهما (ان تكونوا صالحين) أي صادقين في نية البر بالوالدين ان كنتم رجاءين الى
الله تعالى (فانه) تعالى (كان للاقابين) أي للرجاءين اليه تعالى عما فرط منهم (غفورا) فيكفر
عنهم سيئاتهم (وأت ذا القربي) أي اعط ذا القرابة من جهة الاب والام وان بعد (حقه) من صلة
الرحم بالمال أو غيره (والمسكين) أي اعط المسكين حقه من الاحسان اليه (وابن السبيل) أي اعط
الضيف النازل بلك حقه وهو اكرامه ثلاثة أيام (ولا تبذر تبذيرا) وهو انفاق المال في المعصية وفي
الفقر والسعة (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي أتباعهم في الصرف في المعاصي (وكان
الشيطان لربه كفورا) فانه يستعمل يده في المعاصي والافساد في الارض وكذلك كل من رزقه الله
تعالى مالا أوجاهه فصرفه الى غير مرضاة الله تعالى كان كفورا لنعمة الله تعالى فكان المبذرون موافقين
للشياطين في تلك الصفة (وأما تعرض عنهم -م ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أي ان أعرضت عن ذي
القربي والمسكين وابن السبيل حياء من التصريح بالرد لكونك كنت فقيرا في وقت طلبهم منك (فقل لهم
قولا مبسورا) أي ليناسهلا بان تعدهم بالاعطاء عند مجي الرزق أو تقول لهم الله يسهل وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول هذه الآية اذ لم يكن عنده ما يعطى وسئل يقول يرزقنا الله تعالى واياكم
من فضله اه وقوله تعالى ابتغاء رحمة من ربك ترجوها كناية عن الفقر لان فاقد المال يطلب رحمة الله
فسمى الفقير بابتغاء رحمة الله من اطلاق اسم المسبب على اسم السبب (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك)
أي لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة المنوعة من الانبساط أي لا تمسك عن الانفاق بحيث تضيق
على نفسك وأهلك (ولا تبسطها) في الانفاق (كل البسط) أي في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات
أي ولا تتوسع في الانفاق توسعا مفرط بحيث لا يبقى في يدك شيء (فتتعدملوما) أي فتصير ملوما عند
الله وعند أصحابك فهم يلومونك على تضيق المال بالكلية وابقاء الاهل والولد في الضر وتبقى ملوما عند
نفسك بسبب سوء تدبيرك وترك الحزم في مهمات معاشك (محسورا) أي نادما أو منقطعاعندك
الاحباب بسبب ذهاب الاسباب (ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ان الله يوسع الرزق على
البعض ويضيقه على البعض الآخر وهو رب المربوب ويدفع حاجاته على مقدار الصلاح فعلى العباد أن
يقصدوا في الانفاق وان يستموا بسنته تعالى (انه كان بعباده خيرا بصيرا) فيعلم من مصالحهم ما يخفى
عليهم ويعلم ان مصلحة كل انسان في ان يعطيه الا ذلك القدر فالتقاررت في أرزاق العباد لاجل رعاية
الصالح لا لاجل البخل (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) أي خشية وقوع فقر بكم فقتل الاولاد ان
كان لحوف الفقر فهو سوء ظن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم فالاول
ضد التعظيم لامر الله تعالى والثاني ضد الشفقة على خلق الله قال بعضهم والذي حملهم على قتل الاولاد
البخل وطول الامل (نحن نرزقهم واياكم) أي نرزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شيء فيطرا عليكم

ما تخشونه من الفقر (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) أى ذنبا عظيما. وقرأ الجمهور بكسر الحاء وسكون الطاء وقرأ ابن عامر بفتح الحاء والطاء مع القصر بمعنى ضد الصواب وقرأ ابن كثير بفتح الحاء والطاء مع المد (ولا تقربوا الزنا) بانيان مقدماته (انه) أى الزنا (كان فأحشة) أى ظاهرة القبح لاشتماله على فساد الانساب وعلى التقاتل فان الانسان لا يعرف ان الولد الذى أتت به الزانية أهوم منه أو من غيره فلا يقوم بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانه قطاع النسل وخراب العالم (وساء سيلا) لانه لا يبقى فرق بين الانسان والبهائم فى عدم اختصاص الذكور بالاناث فآله تعالى وصف الزنا فى آية أخرى بصفات ثلاثة فالذى لم يذكر هنا كونه مقتافان المرأة اذا تمرنت على الزنا يستقذرها كل طبع سليم وكل خاطر سليم واذا اشتهرت بالزنا تنفر عن مقارنتها طبع أكثر الخلق حينئذ لا تحصل لها الالف ولا يتم الازدواج (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بالاسلام والعهد (الابالحق) أى بسبب الحق وهو عند القصاص فهو متعلق بلاقته (ومن قتل مظلوما) بغير حق يبيع القتل للقاتل (فقد جعلنا الوليه) من الوارث أو السلطان عند عدم الوارث (سلطانا) أى استيلاء على القاتل يؤاخذ بالقصاص أو بالدية (فلا يسرف فى القتل) أى فلا يسرف الولي فى أمر القتل بأن يزيد على القتل المثلثة وقطع الاعضاء أو بان يقتل غير القاتل من أقاربه أو بان تقتل الاثنين مكان الواحد أو بان يقتل القاتل مع أخذ الدية وقيل المعنى ولا يسرف القاتل الظالم والاسراف هو اقدمه على القتل بالظلم وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف بالتاء على الخطاب أى لا تسرف فى القتل أيها الولي أى اکتف باستيفاء القصاص ولا تطلب الزيادة أو لا تسرف أيها الانسان أى لا تفعل القتل الذى هو ظلم محض فانك ان قتلت مظلوما استولى فى القصاص منك وبعض هذا اقراء ولا تسرفوا (انه كان منصورا) قال مجاهد ان المقتول المظلوم كان منصورا فى الدنيا بإيجاب القود على قاتله وفى الآخرة بكثرة الثواب له وبكثرة العقاب لقاتله وقال قتادة ان ولي المقتول كان منصورا على القاتل حيث أوجب الله له القصاص أو الدية وأمر الحكام بمعونته فى استيفاء حقه فليكتف بهذا القدر ولا يطمع فى الزيادة (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) وهى حفظه وارباعه (حتى يبلغ أشده) أى حتى يبلغ الى حيث يمكنه بسبب رشده القيام بمصالح ماله فحينئذ تزول ولاية غيره عنه فان بلغ غير كامل العقل لم تزل الولاية عنه (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم وبين ربكم أو جرى بينكم وبين الناس (ان العهد كان مسئولا) أى مسئولا عنه فيستل الناكث ويعاتب عليه يوم القيامة (وأوفوا الكيل) أى أتموه (اذا كلمتم) لغيركم (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أى بعيزان العدل بحيث لا يميل الى أحد الجانبين (ذلك) أى الوزن بالميزان المعتدل وايضا الكيل والعهد (خير) فى الدنيا فانه يوجب الذكر الجميل بين الناس (وأحسن تأويلا) أى عاقبة فى الآخرة فانه يخلص من العقاب الشديد (ولا تقف ما ليس لك به علم) أى لا تكن أيها الانسان فى اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كن يتبع مسل كما يدرى أنه يوصله الى مقصده والمراد بالعلم هو الظن المستفاد من سند (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) أى كل واحد من تلك الاعضاء (كان عنه مسئولا) أى كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه أى عما فعل به صاحبه ولا يبعد أن يخلق الله الحياة والعقل والنطق فى هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال عليها فى هذا دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية روى عن شكل بن حميد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعويذا أتعوذ به فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر ممع وشر بصرى وشر لساني وشر قلبي وشر مني

قال لحفظتها (ولا تمس في الارض مرحا) أي ذاشدة فرح أي لا تمس مشيا يدل على الكبرياء والعظمة
 (انك لن تحرق الارض) أي لن تنقيها بشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لن يبلغ طولك
 الجبال والمعنى تواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله فلا يليق بك التكبر (كل ذلك) أي
 المذكور من الخصال الخمس والعشرين (كان سيئه) بضم الهمزة والهاء أي السيئ منه وهي المنهيات
 الاثني عشرة (عند ربك مكروها) أي محرما مبعوضا فاعله معاقبا عليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 سيئة بالتاء وبالنصب وهو خبر كان وعند ربك صفة لسيئة ومكروها خبر ثان لكان والمعنى كل ما تقدم
 من المنهيات وهي اثنتا عشرة خصلة كان سيئة أي ذنبها (ذلك عما أوحى إليك ربك) أي ذلك التكاليف
 الاربعة وعشرون نوعا بعض ما أوحى إليك ربك (من الحكمة) التي هي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير
 لاجل العمل به وهذا خبر ثان (ولا تجعل مع الله الهاء آخر فتلقى في جهنم ملوما) يلومك نفسك وغيرها
 (مدحورا) أي مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أي أختاركم ربكم لخصمكم بالذكور
 (واتخذ) لنفسه (من الملائكة اناثا) أي ان كفار مكة اعتقدوا أن أشرف الاولاد البنون وأخسهم
 البنات ثم انهم أثبتوا البنين لانفسهم مع علمهم بنهاية نقصهم وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله هو
 الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وذلك يدل على نهاية جهلهم (انكم لتقولون) بسبب ذلك الاعتقاد
 (قولا عظيما) في الفرية على الله حيث يجعلونه تعالى من نوع الاجسام ثم تنسبون اليه ما تكرهون من
 أخس الاولاد ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالانوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان
 (ولقد صرفنا) أي كرمنا هذه الدلائل (في هذا القرآن) أي في مواضع منه (ليذكروا) بفتح الذا وال كاف
 وتشديد هاء أي ليعرفوا بطلان ما يقولونه وقرأ حمزة والكسائي ليذكر واسا كنه الذا لمضمومة الكاف
 أي ليفهموا ما في القرآن أوليذكروه بالسنتهم فان الذكر باللسان قديودى الى تأثر القلب بعينه (وما
 يزيدهم) أي والحال ما يزيدهم ذلك التكرير (الانفورا) أي تباعدوا عن الايمان وهذا دليل على أن
 الله ما أراد الايمان من الكفار (قل) في اظهار بطلان ذلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى
 (آلهة كما يقولون) أي كونا موافقا لما يقولون (إذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا) أي لطلبوا الى من له
 الملك سبيلا بالمغالبة كما هو دين الملوك بعضهم مع بعض وقيل المعنى لو كانت هذه الاصنام تقربكم الى
 الله زلفى كما تقولون لطلبت لانفسها المراتب العالية فلما لم تقدر على ذلك فكيف يدرك في العقل أن تقربكم
 الى الله منزلة (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) أي تنزه الله وارتفع بصفات الكمال عن الشركاء
 والنقائص ارتقا عظيما (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) أي تنزه الله تعالى السموات
 السبع والارض عن كل نقص بدلالة أحوالها على توحيد الله تعالى وقدرته ولطيف حكمته فكأنها
 تنطق بذلك ويصير لها منزلة التسبيح وتسبح العقلاء بلسان المقال وقرأ ابن كثير كما يقولون وعما يقولون
 ويسبح بالياء في هذه الثلاثة وقرأ حمزة والكسائي كلها بالتاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم في
 الاول بالتاء على الخطاب وفي الثاني والثالث بالياء وقرأ حفص عن عاصم الاولين بالياء على الحكاية
 والآخر بالتاء وقرأ أبو عمرو والاول والآخر بالتاء والاول بالياء (وان من شيء الا يسبح بحمده) أي
 ما من شيء من الاشياء حيوانا كان أو نباتا أو جمادا الا ينزهه تعالى متلبسا بحمده بلسان الحال عما
 لا يليق بداته تعالى من لوازم الامكان فالأ كوان بأسرها شاهدة بتلك النزاهة (ولكن لا تفقهون) أيها
 المشركون (تسبحهم) فان الكفار وان كانوا مقرين بالسنتهم بإثبات اله العالم لم يتفكروا في أنواع

الدلائل ولم يعلموا كمال قدرته تعالى فاستبعدوا كونه تعالى قادرا على النشر والحشر فهم فافلون عن أكثر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد لانهم أثبتوا لله شركا وزوجا ولدا وقرى لا يفتنون على صيغة المبني للمفعول مع فتح الفاء وتشديد القاف (انه كان حليما) ولذلك لم يعاجلهم بالعقوبة مع غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم ولذا كان (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن) بمكة (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي المنكرين للبعث (حجابا مستورا) روى ابن عباس ان أباسفيا ن والنضر بن الحرث وأباجهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون الى حديثه فقال النضر يوما ما أدري ما يقول محمد غير اني أرى شفته تتحرك بشئ وقال أبوسفيا ن اني لا أرى بعض ما يقوله حقا وقال أبوجهل هو مجنون وقال أبولهب هو كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فترأت هذه الآية والله تعالى خلق حجابا في عيونهم يمنعهم عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وعن ادراك ما عليه من النبوة وعن فهم قدره الجليل وذلك الجباب شئ لا يراه أحد فكان مستورا من هذا الوجه (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي موانع من (أن يفقهوه) أي يفهموا القرآن حق الفهم (وفي آذانهم وقرا) أي صمما مانعا من سماعه اللائق به أي كان بعضهم يحجب بصره عن رؤية النبي اذا أراد بركوه وهو يقرأ القرآن وبعضهم يحجب قلبه عن ادراك القرآن ويحجب سمعه عن سماعه (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي غير مقررون بألهتهم في الألوهية وهذا منصوب على الحال من ربك أو على الظرف (ولوا على أديبارهم نفورا) أي متباعدين عن قولك أي كان الكفار عند استماع القرآن على حالتين فاذا سمعوا من القرآن ما ليس فيه ذكر الله بقوا متحيرين لا يفهمون منه شيئا واذ اسمعوا آية فيها ذكر الله تعالى وذكى الشرك بالله تركوا ذلك المجلس ولا يستطيعون سماع القرآن (فمن أعلم بما يستمعون) الى قراءة القرآن (به) أي بسببه من الهز والتكذيب (اذ يستمعون اليك) أي الى قراءة تلك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان كلما قرأ القرآن قام عن عيئنه رجلا ن وعن يساره رجلا ن من ولد قصي أو من بني عبد الدار فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار (واذهبهم فجيأ ذيقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أي ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم اذهبهم ذروهم فجيأ ذيقول المشركون بعضهم لبعض انكم ان اتبعتم محمد افقدنا تبعتم رجلا زال عقله عن حد الاعتدال روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ طعاما ويدعوا اليه أشراف قريش من المشركين ففعل على ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله حتى تطيعكم العرب وتنقاد لكم ألهم فأبوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوة الى الله تعالى يقولون بينهم متناجين هوسا حروهم مستهور وما أشبه ذلك من القول فأخبر الله تعالى بانهم يقولون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع الا رجلا مخدوعا من قبل الشيطان فانه يتخيل له فيظن أنه ملك ومن جهة الناس فان محمد ايتعلم من بعض الناس هذه الكلمات وأولئك يخدعون به هذه الحكايات (أنظر) يا أشرف الرسل (كيف ضربوا لك الامثال) فكل أحد شبهك بشئ آخر فقالوا انه كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون (فضلوا) في جميع ذلك القول من طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن يمكن أن يقبله أحد فيأتون بما لا يرتاب في بطلانه أحد (وقالوا انكنا) أي صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) أي ترا بارميا (أثنابهموتون خلقا جديدا) أي مخلوقين تجدد الروح فينا بعد الموت (قل) لهم يا أكرم الرسل (كونوا حجارة أو حديد أو خلقا) آخر (عما يكبر في صدوركم) والمعنى لو تكونون حجارة مع

أنها لا تقبل الحياة بحال أو حد يداع أنه أصلب من الحجارة أو خلقا غيرهما كأننا من الأشياء التي تعظم في
 اعتقادكم عن قبول الحياة كالسحوات والأرض فلا بد من إيجاد الحياة فيكم فإن قدرته تعالى لا تعجز عن
 إحياءكم لا شراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاما ممزقة وقد كانت طريقة موصوفة
 بالحياة من قبل والشيء أقبل لما اعتيد فيه عالم يعتد (فسيقولون) عماديا في الاستهزاء (من يعيدنا)
 أي من الذي يقدر على إعادة الحياة إلينا إذا صرنا كذلك (قل الذي فطركم أول مرة) أي قل ارشادهم
 إلى طريقة الاستدلال فالذي ابتدأ خلقكم أول مرة من غير مثال يعيدكم إلى الحياة بالقدرة التي
 ابتدأكم بها فكالم تعجز تلك عن البداءة لا تعجز عن إعادة (فسيقولون أليكم رؤسهم) أي فسيحركونها
 جهنم تهيبا وتكذيبا لقولك (ويقولون) استهزاء (متى هو) أي الذي وعدتنا من إعادة (قل
 عسى أن يكون) ذلك (قريبا) إذ كل آت قريب (يوم يدعوكم) على لسان امرأ فيل بالنداء الذي
 يسمعكم من القبور وهو النفخة الأخيرة فإن امرأ فيل ينادي أيتها الأجسام البالية والعظام الخرة
 والأجزاء المتفرقة عودي كما كنت بقدرة الله تعالى وبإذنه (فستحيون بحمده) قال سعيد بن جبير أي
 فيخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك قال المفسرون
 حمدا حين لا ينفعهم الحمد وقال الزمخشري بحمده حال منهم أي حامدين وهذا مبالغة في انقيادهم للبعث
 (وتظنون) عند ما ترون الأهل الهائلة (إن لبثتم) أي ما كنتم في القبور وأوفي الدنيا (الأقليل)
 كالذي مر على قرية (وقل لعبادي) أي المؤمنين إذا أردتم اتيان الجمعة على المخالفين فاذكروها غير
 مخلوط بالشتم والسب فيقالونهم بعثله ولا يخاشنوه بل (يقولوا) لهم الكلمة (التي هي أحسن)
 كأن يقولوا يهديكم الله وقيل نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى
 بالعفو (إن الشيطان ينزغ بينهم) أي يهيج الشريين الناس ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم
 الخصامة (إن الشيطان كان) في قديم الزمان (للإنسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة (ربكم
 أعلم بكم) أي بعاقبة أمركم (إن يشأ ربكم) بأن يوفقكم للإيمان والمعرفة إلى أن تموتوا فينجيكم من
 العذاب (أو إن يشأ يعذبكم) بأن يعيثكم على الكفر فيعذبكم إلا أن تلك المشيئة ثابتة عنكم فاجتهدوا
 أنتم في طلب الدين الحق ولا تصروا على الباطل لثلاث نصير وأحرومين عن السعادات الأبدية ويقال هذه
 تفسير للتي هي أحسن أي قولوا لهم هذه الكلمة ولا تقولوا أيها المؤمنون للمشركين أنكم من أهل النار
 فإنه مما يهيجهم على الشر مع أن عاقبة أمرهم مغيبة عنكم فعسى يهديهم الله إلى الإيمان ويقال إن يشأ
 ينجيكم منهم وإن يشأ يسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلًا) أي موكولا إليك أمرهم فتفسرهم
 على الإيمان وأما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومرض أحبابك بالمدارة عليهم فإن اللين عند الدعوة يؤثر
 في القلب ويفيد حصول المقصود (وإليك أعلم بمن في السموات والأرض) أي بأحوالهم فيختار منهم لنبوته
 وولايته من يشاء من يستحق ذلك وهو ردد عليهم إذ قالوا بعيد أن يكون يتيم أي طالب نبيا ولا يجوز إطلاق
 يتيم على النبي صلى الله عليه وسلم لا شعاره بالتحقير حتى أفتى بعض المالكية بقتل قائله كما في الشفاء
 (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية لا بكمرة الأموال والاتباع وهذا إشارة
 إلى تفضيل رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وآتيناداد زبورًا) فيه ذكر فضل سيدنا محمد
 صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم النبيين وأتمه خير الأمم وكون الأرض يرثها عباد الله الصالحون وهم محمد
 وأمه وهذا بيان أن تفضيل داود بإيتاء الزبور لا بإيتاء الملأ والسلطنة ورد لقول اليهود لا نبي بعد موسى

ولا كتاب بعد التوراة أى فاذا أعطى الله تعالى التوراة فلم يبعد أن يعطى داود زبوراً وعيسى الانجيل
ومحمد القرآن ولم يبعد أن يفضل محمد على جميع الخلق فكيف تنكر اليهود ذلك وكفار قريش فضل محمد
واعطاءه القرآن (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) أى قل يا أشرف الخلق للكفار ادعوا عند الشدة
الذين عبدتم من دون الله كعيسى ومريم وعزير وطائفة من الملائكة وطائفة من الجن (فلا يملكون)
أى لا يستطيعون (كشف الضر عنكم) أى رفع الشدة عنكم (ولا تحويلاً) للضر إلى
غيركم (أولئك الذين يدعون) أى الذين يتألهونهم (يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) أى
يحرص من هو أقرب إلى ربهم القربة بالطاعة إليه فأولئك مبتداً وخبره يبتغون والذين عطف
بيان والوسيلة مفعول يبتغون والى ربهم متعلق بالوسيلة وأى موصولة بدل من فاعل يبتغون
وقيل إن اسم الموصول خبر لاسم الإشارة ويبتغون حال من فاعل يدعون والمعنى أولئك المعبودون
لهم يعبدون ربهم يطلبون بتلك العبادة القربة إلى ربهم والغضيلة عنده وهم أقرب إليه (ويرجون
رحمته) بها (ويخافون عذابه) بتركها كدأب سائر العباد فإنهم من كشف الضر فكيف يكونون
آلهة (إن عذاب ربك كان محذوراً) أى يجب الحذر عنه (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم
القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً) أى وما من قرية طائفة أهلها أو طائفة الأوتهاك أماً بالموت وأماً بالعذاب
فإلصاحمة يكون أهلاً كها بالموت والطالحمة يكون أهلاً كها بالعذاب بنحو السيف أو المعنى ما من
قرية من قرى الكفار إلا وتخرّب أماً بالاستئصال بالكلية أو تعذب بعذاب شديد دون ذلك كقتل
كبرائهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الأموال وأخذ الجزية وبغنون العقوبات الأخروية
(كان ذلك) أى الإهلاك والتعذيب (فى الكتاب) أى اللوح المحفوظ (مسطوراً) أى مكتوباً وقد
بين فيه أسباب ذلك ووقته وروى عن بعضهم أن خراب مكة من الحبشة وخراب المدينة بالجوع
والبصرة بالغرق والكوفة بالترك وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وعن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خراباً بالمدينة (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب
بها الأولون) أى ما منعنا من إرسال المجهزات التى طلبتها قريش من أحياء الموتى وقلب الصخر فاذها
وازالة الجبال عن مكة ليزرعوا مكانها الاتكذيب الأولين بالمجهزات حين جاءتهم باقتراحهم فاستحقوا
عذاب الاستئصال أى لو أظهر الله تلك المجهزات المقترحة لقريش ثم لم يؤمنوا بها صاروا مستحقين
لعذاب الاستئصال لكن أنزله على هذه الأمة غير جائز لأن الله تعالى علم أن فيهم من سيؤمن أو يؤمن
أولادهم فلهذه المصلحة ما أجابهم الله تعالى إلى مطلوبهم (وأتينا نوحاً) باقتراحهم (الناقة مبصرة)
بكسر الصاد أى مبينة لنبوته صالح (فظلوا بها) أى ظلموا أنفسهم بتكذيبهم بها وأقبلوا أنفسهم
للهلاك بعقرها (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الاتخويفاً) من نزول العذاب المستأصل على
المقترحين فإن لم يخافوا ذلك نزل أو ما نرسل بغير مقترحة كالمجهزات وآيات القرآن الاتخويفاً بعذاب
الآخرة فإن أمر المكذبين بها مؤخر إلى يوم القيامة (واذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) أى واذكر
يا أشرف الخلق اذبحرناك بأن الله يغلب أهل مكة ويقهرهم ويظهر دولته عليهم وهذه بشارة بوقعة بدر
وعبر الله بالماضى لأن كل ما أخبر الله بوقوعه فهو واجب الوقوع فكان كالواقع (وما جعلنا الرؤيا التى
أريناك) ليلة المعراج وهى ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم على البقعة بعيني رأسه من عجائب الارض
والسماء (الافتنة للناس) أى الامتحان لأهل مكة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة

الاسراء منهم من كذبه ومنهم من كفر بعد اسلامه ومنهم من نافق ومنهم من توقف في حاله ومنهم من تردد في قلبه ومنهم من صدق كلامه صلى الله عليه وسلم وازداد المخلصون ايمانا (والشجرة الملعونة) أى المذمومة (في القرآن) وهى الرقوم أى وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا قتنة للناس حيث قالوا ان محمد ابن عم ان نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر فكيف تنبت في النار شجرة رطبة وهى تحرق الشجر فينسبوا لله الهز عن خلق شجرة في النار خافلين عن قدرته تعالى على كل شئ وان النعمة تبطلع الجمر والحديد المحمى بالنار ولا يحرقها وان السهمندل وهى دويبة في بلاد الترك يتخذ من وبره مناديل فاذا اتسخت طرحت في النار فيذهب وسخها وتبقى هى سالمة لا تعمل فيها النار (وتخوفهم) بشجرة الرقوم وبعذاب الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) ذلك التخويف (الاطغيانا كبيرا) أى الاتعاديان في المعصية متجاوزا عن الحد فلوانا أرسلنا نجا اقترحوه من الآيات لازدادوا تعاديا في العناد فاهلكوا بعذاب الاستئصال كعادة من قبلهم وقد حكمنا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى (واذ قلنا للملائكة) الذين كانوا في الارض (اسجدوا لآدم) بوضع الجهة عليه اما هو المسجود له أو هو قبلة السجود والمسجود له هو الله تعالى (فسجدوا الا ابليس) وكان داخلا تحت الامر بالسجود لانه مندرج تحت زميرهم (قال) عندما وجهه الله تعالى (أأمجد لمن خلقت طينا) أى من طين (قال) أى ابليس بعد الاستنظار (أرأيتك هذا الذى كرمت على) أى أخبرني عن هذا الذى فضلت على بأمرى بالسجود له لم فضلت على وأنا خير منه من حيث أنا مخلوق من العنصر العالى (لئن أخرتن) حيا (الى يوم القيامة لا خنتك ذريته) أى لاستأصلتهم بالاغواء أولا قودنهم -م الى المعاصى كما تغاد الدابة بجعلها (الاقليلا) لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم -م قرأ ابن كثير أخرتن باثبات ياء المتكلم في الوصل والوقف وقرأ عاصم وابن عامر وحزرة والكسافى بال حذف وقرأ نافع وأبو عمرو باثباته في الوصل دون الوقف (قال) تعالى له (اذهب) أى امض لشأنك الذى اخترته واعلم (فمن تبعك منهم) أى ذرية آدم في دينك (فان جهنم جزاؤكم) أى جزاؤك ومن تبعك (جزاؤهم موفورا) أى مكافأ فكل معصية توجد يحصل لابليس مثل وزر ذلك العامل لانه هو الاصل فيها فاذا لا يخاطب بالوعيد (واستغفر) أى استرل (من استطعت منهم) استرل له (بصوتك) أى بدعائك الى معصية الله تعالى (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى واجمع عليهم وهو باجنودك الركاب والمشاة فروى أبو الفصحى عن ابن عباس انه قال كل راكب أو ماشى في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وجنوده وقرأ حفص عن عاصم ورجلك بكسر الجيم وقرأ غيره بالضم أو بالسكون (وشاركهم في الاموال) أى فى كل تصرف قبيح فيها (والاولاد) أى في الافعال القبيحة والحرق الذميمة والاديان الزائفة والاسماء المنكرة (وعدهم) أى بالاماني الباطلة (وما بعدهم الشيطان الا غرورا) أى ما بعدهم من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور وهذه الجملة اعتراض واقع بين الجمل التى خاطب الله بها الشيطان (ان عبادى) المخلصين (ليس لك عليهم سلطان) أى غلبة وقدرة على اغوائهم (وكفى بربك وكىلا) أى حفيظا فان الشيطان وان كان قادرا على الوسوسة فان الله أرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان (ربكم الذى يرزقكم الفلك في البحر) أى الذى يسوق لناعقكم السفن على وجه البحر (لتبتغوا من فضله) أى رزقه تعالى بالتجارة وغيرها (انه كان بكم رحيمًا) حيث سهل عليكم ما يعسر من أسباب ما تحتاجون اليه (واذا مسكم الضر) أى خوف الغرق (في البحر ضل من تدعون) أى ذهب عن خواطركم ما كنتم

تعبدون من دون الله (الآيات) تعالى فتسألون من الله تعالى النجاة لأنكم تعلمون أنه لا ينجيكم سواه
(فلما نجاكم) من الفرق وأخرجكم من البحر (إلى البر أعرضتم) عن الشكر والتوحيد ورجعتم
إلى الاشرار (وكان الانسان كفورا) أي منكر النعم الله (أفأمنتم أن يخسف بكم) أي أمجوتكم من هول
البحر فأمنتم أن تغور البر بكم (جانب البر) الذي أنتم فيه ونصيركم تحت الثرى كما خسف بقارون
(أو يرسل عليكم) من فوقكم (حاصبا) أي ريحاً ترمي بحجارة كما أرسل على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم
وكيلاً) أي حافظاً يحفظكم من ذلك (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) أي في البحر (تارة أخرى) بأسباب
تجسكم إلى أن تركبوه وإن كرهتم (فيرسل عليكم قاصفاً) أي كاسراً (من الريح فيغرقكم) بعد كسر
فلككم في البحر (بما كفرتم) أي بسبب أشراككم وكفرانكم لنعمة الانجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به
تبيعا) أي أثراً يطالبنا بما فعلنا بكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهذه الخمسة أن تخسف أو ترسل أن
نعيدكم فتُرسل فتغرقكم بنون العظمة على سبيل الالتفات والباقون بياء الغيبة (واقدر منا بني آدم)
بالصورة والقامة المعتدة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات والعلم والنطق
وتناول الطعام باليد وغير ذلك (وحملناهم في البر) على الدواب وغيرها (والبحر) على السفن
(ورزقناهم من الطيبات) أي من أنواع المستلذات الحيوانية كاللحم والسمن واللبن والنباتية كالثمار
والحبوب (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) أي فضلناهم على غير الملائكة تفضيلاً عظيماً
بالعقل والقوى المدركة التي يميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح فحق عليهم أن يشكروا هذه
النعم ويسمعوا أقوالهم في تحصيل العتاة الحققة (يوم ندعو كل أناس بأمامهم) أي عن
اقتدوا به روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينادي يوم القيامة يا أمة إبراهيم يا أمة موسى يا أمة
عيسى يا أمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادي يا أتباع
فرعون يا أتباع غرود يا أتباع غود وقال الضحاك وابن زيد أي بكتبهم الذي أنزل عليهم فينادي في
القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل وقال الربيع وأبو العالية والحسن أي بكتاب
أعمالهم كأن يقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر وقيل بآدابهم فيقال يا حنفي يا شافعي
يا معتزلي يا قدرى ونحو ذلك وقرئ يدعى كل أناس على البناء للمفعول (فمن أوتي كتابه بيمينه) وهم أولوا
البصائر في الدنيا (فأولئك يقرؤون كتابهم) الذي أعطوه تبجاً بما سطر فيه من الحسنات (ولا
يظلمون) أي لا ينقصون من أجور أعمالهم المكتوبة في كتبهم (فتيلاً) أي قدر فتيل وهو القشرة
التي في شق النواة (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) أي من كان في الدنيا أعمى مما يرى
من قدرة الله في خلق السموات والأرض والبحار والجبال والناس والدواب وعن الشكر عن النعم
المذكورة في الآيات المتقدمة فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ويستولى الخوف والدهشة على
قلبه فيثقل لسانه عن قراءة كتابه (وأضل سبيلاً) من الأعمى لتعطل الآلات بالكلية (وان كادوا
ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) أي إن الشأن قاربوا أن يزيلوك عن حكم القرآن (لتفتري علينا
غيره) أي لتكذب علينا غير الذي أوحينا إليك (واذا لا تخذوك خليلاً) أي لو اتبعت أهواءهم
لكننت ولياً لهم ونخرجت من ولايتي قال ابن عباس في رواية عطاء قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسألوه شططا وقالوا متعبنا باللات سنة وحرم واديننا كما حرمت مكة ثم جرها وطيرها وحشها
فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يجبههم فكرر وأذلك الالتماس وقالوا أنا نحب أن تعرف العرب

فضلنا عليهم فان كرهت ما تقول وخشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك
فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وداخلهم الطمع فصاح عليهم عمر وقال أما ترون رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولولا أن
ثبتناك لقد كنت تركن اليهم شيئا قليلا) أي لولا تشييتنا إليك على الحق بعصمتنا إليك لقاربت أن تميل
اليهم شيئا يسيرا فيمّا طلبوك (إذا) لو قاربت الميل من قلبك (لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)
أي لصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة (ثم) إذا أذقناك العذاب
المضاعف (لأجعلك علينا نصيرا) أي أحدا يخلصك من عذابنا (وان كادوا يستغفرونك) أي
ليستغفروا لك (من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافا لك الا قليلا) أي وإذا لو أخرجوك لا
يلبثون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى نهلكهم قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر
الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء اغتابعوا بالشام وهي بلاد
مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلم يخرجوا الى الشام آمنابك وأتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج
الاخوف الروم فان كنت رسول الله فأنه مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من
المدينة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين
الله فنزلت هذه الآية فرجع ثم قتل منهم بني قريظة وأجل بني النضير بعد زمن قليل وعلى هذا الآية
مدنية والمراد بالأرض أرض المدينة وهذا قول السكبي وقال قتادة ومجاهد هم المشركون ان يخرجوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بنفسه فأهلكوا ابدا بعد
هجرة صلى الله عليه وسلم وعلى هذا الآية مكية والمراد بالأرض أرض مكة وهذا اختيار الزجاج وقرأ نافع
وابن كثير وأبو عمرو وشعبة خلفك بفتح الخاء وسكون اللام والباقيون خلافا بكسر الخاء وفتح اللام مع
المد (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أي سنناستته فيمن قد أرسلنا قبلك أي ان عادة الله ان يهلك
كل قوم آخر جوا نبيهم من بينهم (ولا تجد لسنةنا تحويلا) أي تغييرا أي أن ما أحرى الله تعالى به العادة
لا يقدر أحد ان يبدل تلك العادة (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أي لاجل زوال الشمس عن كبد السهاء
(الى غسق الليل) أي الى اجتماع ظلمة الليل وهو وقت صلاة العشاء والمعنى أقم الصلاة من وقت زوال
الشمس الى ظلمة الليل بأن تديم كل صلاة في وقتها فيدخل في هذا الظهر والعصر والمغرب (وقرآن
الفجر) أي أقم صلاة الفجر (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تحضره الملائكة السكاتبون والحفظة فانهم
يتعاقبون على ابن آدم في صلاة الصبح وصلاة العصر وتشهد شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء وتبدل
النوم بالانتباه فتشهد العقول بأنه لا يقدر على قلب كيسة هذا العالم الا الخالق المدبر بالحكمة البالغة
وتشهد الجماعة الكثيرة (ومن الليل فتهجد به) أي وقم بعض الليل فترك النوم في ذلك الوقت للصلاة
وقيل المعنى تهجد بالقرآن بعض الليل أي صل في ذلك بالقرآن (نافلة لك) أي زيادة لك في كثرة الثواب
وارتفاع الدرجات مختصة بك فان كل طاعة يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة لا يكون
تأثيرها في كفاية الذنوب البتة لان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بل يكون تأثيرها في زيادة
الدرجات وكثرة الثواب فلهذا سميت نافلة بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهذه
الطاعات لهم لتكفير الذنوب فلهذا السبب قال تعالى نافلة لك أي ان الطاعات هذه زوائد في حقك لا في
غيرك كما نقل عن مجاهد والسدي ومن قال ان صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا

معنى نافلة لك ان صلاة الليل فريضة عليك زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون امتك (عسى أن
يعتلك ربك مقام محمودا) أي ان يقيمك ربك مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وروى أبو
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لامتي (وقل رب
أدخلني مدخل صدق) أي في المدينة (وأخرجني مخرج صدق) أي من مكة اليها وذلك حين أمر
النبي بالهجرة كما قاله ابن عباس والحسن أو المعنى وأخرجني من المدينة الى مكة فالبا عليها بفتحها وقيل
الأكمل مما سبق أن يقال رب أدخلني في الصلاة وأخرجني منها مع الصدق والاخلص وحضور قلبي
بذكرك ومع القيام بلوازم شكرك والاكمل من ذلك أن يقال رب أدخلني في القيام بهما أدا شر يعقل
وأخرجني بعد الفراغ منها اخرج اياي بقي هي منها تبعة والا على مما سبق أن يقال رب أدخلني في بحار دلائل
توحيدك وتنزيهك ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل في آثار حدوث
المحدثات الى الاستغراق في معرفة الفرد المنزه عن التغيرات وقيل المعنى رب أدخلني القبر اذ خال امرضيا
وأخرجني منه عند البعث اخرج اياي من ضياء ملقى بالكرامة (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي
اجعل لي في هذا البلد من لدنك قوة ظاهرة في تثبيت دينك واطهار شرعك أو اجعل لي من عندك حجة بينة
تنصرف بها على جميع من يخالفني (وقل جاء الحق) أي ظهر الاسلام (وزهق الباطل) أي هلك
الشرك وتسويلا للشيطان (ان الباطل) أي أي باطل كان (كان) بجملته (زهوقا) زائلا
على أسرع الوجوه (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من جميع الامراض الظاهرة والباطنة (ورحمة
للمؤمنين) لان القرآن يعلم كيفية اكتساب العلوم العالية والاخلاق الفاضلة التي يصل بها الانسان الى
قرب رب العالمين (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) أي لا يزيد القرآن المشركين الا هلاكا بتركهم
(واذا أنعم منّا على الانسان) بأن وصل الى مطلوبه (أعرض) أي اغتر و صار خافلا عن طاعة الله
(ونأى بجانبه) أي تباعد من أهل الحق ولم يقتد بهم تعظما لنفسه كديدن المستكبرين (واذا مسه
الشر) أي أصابه بلاء (كان يئوسا) أي قنوطا من رحمة الله حزينا ولم يتفرغ لذكر الله تعالى (قل
كل) أي كل أحد (يعمل) عمله (على شاكلته) أي طريقته التي توافق حاله في الهدى والضلالة
فان كانت نفسه ظاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وان كانت نفسه خبيثة صدرت عنه أفعال رديئة (فربكم
أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي أصوب طريقا (ويسألونك عن الروح) الذي هو سبب حياة البدن بنفخه
فيه (قل الروح من أمر ربي) أي من فعل ربي أو من علم ربي فانه عما اختص الله تعالى بعلمه روى ان
اليهود قالوا اقريش سلوا محمدا عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عنها جميعا
أو سككت فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين صلى الله عليه وسلم لهم القصة
وأبهم شأن الروح وهو مبهم في التوراة (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فان عقول الخلق عاجزة عن معرفة
حقيقة الروح وقال بعضهم جاء في الخبر في بعض الروايات ان الله تعالى خلق ثلاثمائة وستين ألف
عالم ولكن جعلها محصورة في عالمين وهما الخلق والامر كما قال تعالى أله الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين فعبر عن عالم الدنيا وهو ما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس
بالخلق وعبر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة العقل والقلب والسر والروح والخي
بالامر فعالم الامر هو الاوليات التي خلقها الله تعالى للبقاء بمحض الامر التكويني من غير تحصيل من
أصل وهي الروح والعقل والعلم والارواح والعرش والكرسي والجنة والنار وهي عالم الامر أم الله

أوجدته بلا واسطة شيء بل بأمر كن من لا شيء ولما كان أمره تعالى قديما فما يكون بالامر القديم
كان باقيا وان كان حادثا وسمى عالم الخلق خلقا لانه تعالى أوجده بوساطة شيء مخلوق خلقه للفناء فعنى
الروح من أمر ربي انه من عالم الامر والبقاء لانه عالم الخلق والفناء اه فلا يمكن تعريف الروح بعباديه
ولا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما يمكن هذا القدر الاجمالي ولذا قال تعالى وما أوتيتم من العلم
الا قليلا أي وما أعطيتكم من العلم فيما عند الله الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس (ولئن شئنا
لنذهبن بالذي أوحينا إليك) من القرآن أي انزيلن العلم به عن القلوب وعن المصاحف (ثم لا تجد لك
به) أي القرآن (علينا أو كيلا) أي من تتوكل عليه في استرداد شيء منه محفوظا مسطورا (الارحة
من ربك) أي لكن أبقيناك الى قرب قيام الساعة رحمة من ربك فعند ذلك يرفع من الصدور والمصاحف
(ان فضله كان عليك كبيرا) بابقاء العلم والقرآن عليك وبجعلك سيد ولد آدم وخاتم النبيين واعطائك
المقام المحمود (قل) لمن يزعمون أن القرآن من كلام البشر (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا
بعثل هذا القرآن لا يأتون بعثله) أي لئن اتفق الانس والجن والملائكة على أن يأتوا بعثله هذا القرآن في
البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يقدرون على اتيان مثله وتخصيص الثقلين بالذكرا لان المنكر في
كونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لان غيرهما قادر على المعارضة (ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً) أي معيناً بضم أقوى ما فيه أي أقوى ما في صاحبه (واقدر صرفنا) أي كررنا بوجوه مختلفة
توجب زيادة بيان (للناس) أي لاهل مكة (في هذا القرآن) المنعوت بالنعوت الفاضلة (من كل
مثل) أي من كل معنى يبيع يشبه المثل في القرابة ليتلقوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أي فلم يرض
أكثر أهل مكة (الا كفورا) أي بجحود الحق (وقالوا) عند ظهور عجزهم بالقرآن وغيره من
المجرات الباهرة (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض) أي أرض مكة (ينبوا) أي عينا لا ينضب
ماؤها (أو تكون لك) وحدك (جنة) أي بستان تستراشجاره ماتحتهم العرصة (من نخيل وعنب)
أي وأشجار عنب وعبر بالثمرة لان الانتفاع بغيرها من الكرم قليل (فتفجر) أي أنت (الانهار
خلاها) أي وسطها (تفجيرا) والمراد اجراء الانهار في وسط البستان عند سقيها أو ادامة اجرائها
وتفجير الاولى تكون بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم عند عاصم وحزمة والكسافي وبضم التاء وفتح الفاء
وكسر الجيم المشددة عند الباقيين ولم تختلف السبعة في تفجير الثانية انها مشددة (أو تسقط السماء كما
زعمت) بقولك ان نشأ فحسب بهم الارض أو نسقط عليهم كسفان السماء (علينا كسفا) أي قطعا
بالعذاب (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) أي مقابلين ومرثيين لنا (أو يكون لك بيت من زخرف) أي
ذهب وفضة كامل الحسن (أو ترقى في السماء) أي تصعد اليها (ولن نؤمن لرقبك) أي لصعودك
الى السماء أصلا (حتى تنزل علينا كتابا) من الله (نقرؤه) فيه أنك رسول الله البنا أي لما ظهر لهم كونه
القرآن مبعوثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أنواع من المجرات كما حكى عن ابن عباس أن
رؤساء أهل مكة أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان
أرض مكة ضيقة فسير جبالها لنتفع فيها ونجزلنا فيها عيوننا نزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلاها تفجيرا فقال لا أقدر عليه فقيل أو يكون لك بيت من
زخرف فيغنيلك عنا فقال لا أقدر عليه فقيل له أما تستطيع أن تأتي قومك بما يسألونك فقال لا أستطيع
قالوا فإذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن

أمية المخزومي وهو ابن مائة سنة صلى الله عليه وسلم لا أو من بك أبا حتى تشد سلبا إلى السماء فتصعد فيه ونحن ننظر إليك فتأتي بتسعة منشرة معك بأربعة من الملائكة يشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا أدري أنؤمن بك أم لا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) وقرأ ابن كثير وابن عامر قال بصيغة الماضي (سبحان ربي) أي أتزه ربي عن أن يكون له اتیان وذهاب وأتعب من اقتراحاتهم (هل كنت إلا بشر رسولاً) أي ما موراً من قبل ربي بتبليغ الرسالة كسائر الرسل لا يأتون قومهم إلا بما ينظرونه الله عليهم من الآيات (وما منع الناس) أي أهل مكة (أن يؤمنوا) بنبيوتك (اذ جاءهم الهدى) أي القرآن (الأن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً) إلينا أي وما منع الناس من الإيمان وقت مجي الوحي إلا اعتقادهم أن الله تعالى لو أرسل رسولاً إلى الخلق لوجب أن يكون من الملائكة وأنكارهم أن يكون من جنس البشر (قل) لهم من جهتنا جواباً لقولهم (لو كان في الأرض ملائكة يمشون) عليها (مطمئنين) أي قارين فيها من غير أن يعرجوا في السماء (لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) أي لو كان أهل الأرض ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة أما لو كان أهل الأرض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر لتمكنهم من الاجتماع والفهم منه لما تلتهم له في الجنس (قل) لهم (كفى بالله) وحده (شهيداً بيني وبينكم) باني رسوله إليكم (انه كان بعباده خبيراً بصيراً) أي محيطاً ببواطن أحوالهم وظواهرها أي فانكم انما أنكرتم هذا المحض الحسد والاستسكاف من الانقياد للحق (ومن يهد الله فهو المهتد) بحذف الياء من الرسم هنا وفي الكهف وأما في النطق فقرأ نافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلوا وحذفها وقفا وحذفها الباقيون في الحالين (ومن يضل فلن ينجدهم أولياء) أي أنصاراً (من دونه) تعالى يهدونهم إلى طريق الحق أي فمن سبق لهم حكم الله بالإيمان وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال استحال أن ينقلبوا عن ذلك الضلال وإن يوجد من يصرفهم عنه (وفتحشرهم يوم القيامة على وجوههم) فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عمياً) لا يبصرون ما يسر أعينهم (وبكلاً) لا ينطقون ما يقبل منهم (وصحاً) لا يسمعون ما يلزم سامعهم (ما وأهم جهنم كلاً حيث) أي سكن لهم بعداً كل جلودهم ولحومهم بأن لم يبق فيهم ما يتعلق به النار (زدناهم سعيراً) أي توقداً بأعادة الجلود واللحوم ولعل ذلك عقوبة لهم على إنكارهم الأعادة بعد الغناء بتكريرها مرة بعد أخرى لبروها عياناً حيث لم يعلموا عابرها (ذلك) العذاب (جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) الدالة على صحة الألادة دلالة واضحة (وقالوا) منكرين لقد درتنا (أنذا كنا عظاماً ورفاتاً) أي تراباً رميمًا (أئننا لمبعوثون خلقاً جديداً) أي بعثنا جديداً (أولم يروا) أي ألم يتفكروا ولم يبصروا ببعث قلوبهم (أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق) أي يعيد بالاحياء (مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه) أي وقتاً معلوماً عند الله لا شك فيه عند المؤمنين وهو يوم القيامة (فأبى الظالمون) أي لم يقبل المشركون بعد هذه الدلائل الظاهرة (الأكفورا) أي جهوداً للاجل (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي خزائن رزقه التي أفاضها على كافة الموجودات (إذا لامسكم) ماملككم (خشية الانفاق) أي مخافة الفقر فلا فائدة في إسعافكم بذلك المطلوب الذي التمسوه (وكان الإنسان قتوراً) أي بخيلاً (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي واضحات الدلالة على نبوته وهي اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع

والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات (فاسأل بني اسرائيل) أى فاسأل يا أشرف الرسل بني اسرائيل الذين كانوا في زمانك عن موسى فيما جرى بينه وبين فرعون وقومه ليظهر صدق ما ذكرته عند المشركين فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد وهذه الجملة اعتراضية بين العامل والمعمول (اذ جاءهم) أى حين جاء موسى بني اسرائيل الذين كانوا في زمانه عليه السلام وهذا الطرف متعلق بآتينافاظهر ما آتيناه من الآيات عند فرعون وبلغه ما أرسل به (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) أى مغلوب العقل (قال) لفرعون (لقد علمت) قرأ الكسائي بضم التاء والباقون بفتحها قاله في قراءة على والفتح قراءة ابن عباس (ما أنزل هؤلاء) الآيات على (الارب السموات والارض بصائر) أى أدلة ظاهرة يستدل بها على صدق ولكنك تنكرها للحسد وحب الدنيا (وانى لاظنك) أى لا علمك (يا فرعون مشورا) أى ملعونا ممنوعا من الخير (فأراد أن يستفزهم) أى أراد فرعون أن يخرج موسى وقومه (من الارض) بالقتل (فأغرقناه ومن معه جميعا) في البحر (وقلنا من بعده) أى من بعد اغراقهم (بني اسرائيل اسكنوا الارض) أى أرض الشام ومصر (فأذا جاء وعد الآخرة) أى البعث بعد الموت (جئنا بكم) من قبوركم الى المحشر (لغيفا) أى مختلطين أنتم وهم فيختلط جميع الخلق المسلم والكافر والبر والفاجر ثم نحكم بينكم ونغير سعداءكم من أشقيائكم (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) أى ما أردنا بأنزال القرآن الا اثبات الحق وكما أردنا هذا المعنى فكذلك حصل هذا المعنى ووصل اليهم بعد أنزاله عليهم ليس فيه تبديل أو يقال وما أنزلنا القرآن الا ملتبساً بالحكمة المقتضية لأنزاله وما نزل الا ملتبساً بما اشتمل عليه من العقائد والاحكام ونحوها (وما أرسلناك) يا أفضل الخلق (الامبشرا) للطبيع بالثواب (وتقيرا) للعاصي بالعقاب فهو لاه الجاهل الذين اقترحوا عليك تلك المجهزات وعمدوا عن قبول دينك لاشئ عليك من كفرهم (وقرأنا فرقناه) وقرأ العامة بتخفيف الراء أى بينا حلاله وحرامه وأفرقنا فيه بين الحق والباطل وقرأ على وجماعة من الصحابة وغيرهم بالتشديد أى فرقنا آياته بين أمر ونهى وحكم وأحكام ومواظ و أمثال وقصص وأخبار ماضية ومستقبله وأنزلناه مفرقا في ثلاث وعشرين سنة أو في عشرين سنة على الخلاف في تقارن النبوة والرسالة وتعاقبهما (لتقرأه على الناس على مكث) بضم الميم وفتحها أى على أن لتكون الاحاطة على دقائقه وحقائقه أسهل (ونزلناه) من عندنا (تنزيلا) متفرقا آية وآيتين وثلاثا وهكذا بحسب ما تقتضيه الحكمة وما يحصل من الوقائع (قل) للذين اقترحوا تلك المجهزات (آمنوا به) أى القرآن (أولا تؤمنوا) فان ايمانكم به لا يزيدكم كمالا وامتناعكم عن الايمان به لا يورثه نقصا (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أى من قبل نزول القرآن منهم يزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام ومسلمان الفارسي (اذا يتلى) أى القرآن (عليهم يخرون للاذقان) أى يسقطون على وجوههم بغاية الخوف (مجددا) لله شكر على انجاز وعده في تلك الكتب من بعثتك ونزول القرآن (ويقولون) في سجودهم (سبحان ربنا) أى تنزيها له عن خلف وعده (ان) أى ان الشأن (كان وعد ربنا) بأنزال القرآن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم (لنفعلوا) أى منجزا (ويخرون للاذقان) للسجود لما أترفهم من مواظع القرآن (يبكون) من خشية الله (ويزيدهم) أى القرآن أو البكاء أو السجود أو التلو (خشوعا) أى تواضعا لله كما يزيدهم يقينا بالله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) أى هو المعبود بحق بهذا الاسم قال ابن عباس محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن

آلهتنا وهو يدعو المحبين فانزل الله هذه الآية أي ان شئتم قولوا يا الله وان شئتم قولوا يا رحمن (أي اياما تدعوا
 فله الاسماء الحسنى) أي أي هذين الاسمين مهميت فهو حسن لان المسمى بذلك الاسماء الحسنى
 ومعنى حسن اسماء الله كونها مفيدة لمعاني التمجيد والتقديس والتعجيد والتعظيم وعلى صفات الجلال
 والكمال (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءة صلاتك (ولا تخافت بها) أي بقراءة تها روى سعيد بن جبير
 عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعوا المشركون سبوه
 وسبوا من جاء به فآوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا
 تخافت بها فلا تسمع أصحابك (وابتغ بين ذلك) أي اطلب بين الجهر والخفاقة (سبيلا) أي أمرا
 وسطا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة وكان أبو بكر يخفي صوته بالقراءة
 في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ي
 بكر لم تخفي صوتك فقال أنا جئ ربي وقد علم حاجتي وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال أزعج الشيطان وأوقظ
 الوسنان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وعمر أن يخفض صوته قليلا (وقل
 الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كما يزعم اليهود والنصارى وبنو ملج حيث قالوا عزير بن الله والمسيح ابن الله
 والملائكة بنات الله فكل من له ولد هو محدث محتاج فلا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وكل
 من له ولد عسل جميع النعم لولده فاذا لم يكن له ولد أفاض تلك النعم على عبيده فلو كان له تعالى ولد لكان
 منقضيافلا يقدر على كمال الانعام في كل الاوقات فلا يستحق الحمد على الاطلاق (ولم يكن له شريك في
 الملك) أي في الألوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة لانه لو كان معه اله آخر لتصرف في
 الموجودات فلا يعرف حينئذ ان هذه النعم حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر
 (ولم يكن له ولي من الدن) أي ناصر منه لانه لو جاز عليه ناصر من أجل المذلة لم يجب شكره لجواز أن يكون
 غيره تعالى حمله على الانعام أو منعه منه (وكبره تكبيرا) فالتعظيم يجب أن يكون مقرونا بالتكبير
 والتكبير يكون في ذاته تعالى بأن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته وانه غني عن كل ما سواه وفي صفاته بأن
 يقتعدان كل صفة له فهو من صفات الجلال والكمال والعز والعظمة وكل واحد من تلك الصفات لانهاية له
 وان كل صفة له قد عتد سرمدية منزوعة عن التغير وفي أفعاله كأن يقول أنا محمد الله ونكبره عن أن يجري في
 سلطانه شيء ولا على وفق حكمه وارادته فالكل واقع بقضاء الله وقدرته وارادته وفي أحكامه بأن يعتقد أنه
 ملك مطاع فلا اعتراض لاحد عليه في شيء من أحكامه يعزم من يشاء ويذل من يشاء وفي أمهاته بأن لا يدكر
 الا بأمهاته الحسنى ولا يصف الا بصفاته المنزهة ثم ينبغي للعبد بعد أن يبلغ في التكبير والتعظيم والتحميد
 والطاعة مقدار عقله وفهمه أن يعترف بأرقعه وفهمه لا يفي بعرفة جلال الله ولسانه لا يفي بشكره
 وأعضائه لا تفي بخدمته فكبر الله عن أن يكون تكبيره واقيا بكنه مجده وعزته وروى أن قول العبد الله
 أكبر خير من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من
 بني عبد المطلب هلمه وقل الحمد لله الآية واسأل الله الرحمة قبل الموت وعند الموت وبعد الموت أنه تعالى ناشر
 العظام بعد الموت وسمع الصوت حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آمين

سورة الكهف مكية غير آيتين ذكر فيهما عين بن حصن الغزاري وهي مائة واحدة
 عشرة آية وكلما ألف وخمسمائة وسبع وسبعون
 وروى فها ستة آلاف وأربع مائة وستون

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) وهو الاعلام بثبوت الحمد لله وانشاء لاشياء بذلك (الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) أي القرآن (ولم يجعل له عوجا) أي اختلا لا في النظم وتنافيا في المعنى وهو كامل في ذاته وهذه الجملة معطوفة على أنزل (قيما) أي وجعله قائما بمصالح العباد وأحكام الدين وقيل هاتان الجملتان حالان من الكتاب متواليان أي غير مجعول له عوجا قيما لينذر تعالى بالكتاب الكافرين (بأسا شديدا من لدنه) أي عذابا شديدا نازلا من عنده تعالى (ويبشر المؤمنين) أي المصدقين به وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وسكون الموحدة وضم الشين (الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) في الجنة (ما كثر فيه أبدا) أي خالدين في الاجر من غير انتهاء (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله واليهود القائلون عزير بن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله (ما لهم به من علم ولا آياتهم) أي ليس لهم ولا احد من أسلافهم الذين قلده علم بهذا القول أهو صواب أو خطأ بل انما قالوه رميا عن جهالة من غير فكر (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) فكلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية فعلى النصب يكون فاعل كبرت مضمر مفسر بما بعده وهو لاذم والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت الكلمة كلمة خارجة من أفواههم تلك المقالة الشنعاء والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب أي ما أكبرها كلمة (ان يقولون الا كذبا) أي ما يقولون في ذلك الشأن الا مقولا كذبا (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) والمراد بالترجي النهي عن الغم أي لا تهلك نفسك بالغم من بعد اعراضهم عن الايمان بك (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي بهذا القرآن (أسفا) أي لفرط الحزن (انا جعلنا ما على الارض) حيوانا كان أو نباتا أو معدنا (زينة لها) أي الارض ليتمتع بها الناظرون من المكلفين ويتفغوا بها نظرا واستدلالا فان العقارب والحيات من حيث تكبرها العذاب الآخرة من نوع المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالة على وجود الصانع ووحدته (انبلوهم) أي لنعام لهم معاملة من يختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أيهم أطوع لله وأشد استمرا على خدمته (وانا لجاعلون ما عليها) أي الارض من المخلوقات قاطبة عند تنهاى عمر الدنيا (صعيد جرزا) أي ترا بالانبات فيه (أم حسبت) أي أظننت (أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا) أي من بين آياتنا (عجبا) أي آية ذات عجب وفي الآيات أي آثار قدرة الله تعالى ما هو أعجب من ذلك وهي السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار وعجبا خبر كان ومن آياتنا حال منه والكهف هو الغار الواسع في الجبل والرقم كلب أصحاب الكهف وقيل هولوح رصاصي أو هجري كتبت فيه أسماءهم وقصتهم وجعل على باب الكهف وهم كانوا فتية من أشرف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدتهم (اذا رأى الفتية الى الكهف) ظرف لعجبا أي حين التجأ الشبان الى الكهف (فقالوا) عقب استقرارهم فيه (ربنا آتنا من لدنك رحمة) خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهي لنا من أمرنا رشدا) أي يهتد لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك اصابة للطريق الموصل الى المطلوب (فضربنا على آذانهم) أي فغلب هذا القول القينا على آذانهم حجابا يمنع من أن تصل الى أسماعهم الاصوات الموقظة من نومهم (في الكهف سنين عددا) أي معدودة وفي الكهف حال من المضاف اليه (ثم بعثناهم) أي أيقظناهم من نومهم الثقيل (لنعلم) أي لنعام لهم معاملة من يختبرهم (أي الحزبين) أي المختلفين في مدة لبثهم (أحصى لما لبثوا أمدا) أي ضبط غاية لبثهم فيظهر لهم عجزهم ويفوضون

ذلك الى العليم الخبير ويتعرفون ما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم فيزدادون يقيناً بكل قدرته تعالى وعلمه ويستبصرون به أمر البعث ويكون ذلك لطفاً للمؤمنين زمانهم وآية بينة لكفارهم فالمراد بالحزين نفس أصحاب الكهف وأحصى فعل ماض وأما مفعول به وقرئ لي علم بالياء مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل من الاعلام أي ليعلم الله الناس أي الحزين أحصى الخ (فمن نقص عليك) يا أشرف الخلق (نبأهم بالحق) أي على وجه الصدق (انهم فتية) أي جماعة من الشبان (آمنوا برهم) بالتحقيق لا بالتقليد (وزدناهم هدى) أي بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين (وربطنا على قلوبهم) أي قلوبناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأخوان واجترأوا على الرد على دقيانوس الجبار (اذقوا) أي حين انتصبوا لاظهار شعار الدين أو وقت قاموا بين يدي الملك دقيانوس الكافر فانه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله تعالى هؤلاء الفتية حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا برؤية الله تعالى وصرحوا بالبراءة من الشركاء (فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه الهة) أي لن نعبد أبداً معبوداً آخر (لقد قلنا إذا شططا) أي والله لئن عبدنا غيره لقد قلنا حينئذ قولاً زوراً على الله قال أصحاب الكهف عند خروجه من عند الملك دقيانوس الكافر (هؤلاء قومنا اتخذوا) أي عبدوا (من دونه آلهة) فقومنا عطف بيان لآية الإشارة أو خبره واتخذوا حال منه (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا يأتون على عبادتهم بحجة ظاهرة وهذا انكار وتجهيز وتبكيث لهم (فمن أظلم من افترى على الله كذباً) أي فليس أحد أظلم من افترى على الله كذباً بنسبة الشريك اليه تعالى فان الحكم بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافتراء على الله وهذا من أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد قال بعض الفتية لبعض وقت اعترأ لهم (واذا اعترأتموهم وما يعبدون) أي واذا أردتم اعترأهم واعتزال الشيء الذي تعبدونه (الا الله فأولوا الى الكهف) أي التجهؤوا اليه وهذا جواب اذ (ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسطها عليكم في الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أي ويسهل لكم من أمركم الذي أنتم عليه من الفرار بالدين ما تنتفعون به غداً وقرأ نافع وابن عامر وطاسم في رواية مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والجمهور بالعكس (وترى الشمس) خطاب لكل أحد بيان لحالهم بعد ما صاروا الى الكهف وهذا ليس اخباراً بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الاخبار بكون الكهف بحيث لو أبصرته تبصر الشمس (إذا طلعت تزاور) قرأ ابن عامر تزاوراً كنه الزاى مشدداً لراى ونافع وابن كثير وأبو عمرو تزاور بتشديد الزاى وبالالف وعاصم وحزمة والكسائي تزاور بالتخفيف والالف أي تميل (عن كهفهم ذات اليمين) أي جانب الكهف الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاع الشمس (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي تعدل عن سمت رؤسهم الى جهة الشمال الذي يلي المشرق فان الله منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم وذلك خارق للعادة وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف (وهم في لجوة منه) أي والحال انهم في فضاء متسع من الكهف معرض لاصابة الشمس (ذلك) أي المذكور من انامتهم وحمايتهم من اصابة الشمس لهم في ذلك الغار تلك المدة الطويلة (من آياتنا الله) العجيبة على كمال علمه وقدرته وعلى وحدته (من يهد الله الى الحق بالتوفيق له) (فهو المهتد) أي الذي أصاب الفلاح مثل أصحاب الكهف (ومن يضل الله) (فلن يجده) أبداً (وليامر شدا) أي ناصر اهديه الى الفلاح كدقيانوس الكافر وأصحابه (وتحسبهم أيقاظاً) أي لو رأيتم أيها المخاطب لا نفتح عيونهم على هيئة الناظر (وهم رقود) أي نيام

(ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لينال النسيم جميع أبدانهم ولئلا يتأثر ما يلي الأرض منها بطول المكث فأن الله قادر على حفظهم من غير تقلب ولكن جعل لكل شئ سبيبا في أغلب الاحوال (وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد) أي بموضع الباب من الكهف وكان الكلب أغرا وأصغرا وأصهبا وأحمرأ وأصغرا أصغرا أصغرا قطمير أوربان أوتتوه أو قطمور أو ثورا وحران وكان لواحد منهم فلما خرجوا تبعهم فنعوه فأنطقه الله وتكلم وقال أنا أحب أحباب الله فكنوه من الذهب معهم فلما ناموا نام كنومهم ولما استيقظوا استيقظ معهم ولما ماتوا مات معهم (لوا طلعت عليهم) أي لو شاهدتهم (لوليت منهم فرارا) أي لا دبرت عنهم هربا لما شاهدت منهم (ولمئت منهم رعبا) أي خوفا إلا الصدر لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة فكل من رآهم فزع فزعاً شديداً وقرأنا فاعرفوا ابن كثير للمث بتشديد اللام وروى أيضاً عن ابن كثير بالتخفيف كالجمهور وقرأ السوسي بإبدال الهمزة ياء وقفوا وصلوا وحزوا في الوقف فقط وقرأ ابن عامر والكسافي رعباً بضم العين في جميع القرآن والباقون بالاسكان (وكذلك) أي كما أغناهم وحفظنا أجسادهم من البلى آية دالة على كمال قدرتنا (بعثناهم) أي أيقظناهم من النوم بعدمضي ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضاً في مدة لبثهم (قال قائل منهم) هو رئيسهم واسمه مكسيمينا (كم لبثتم) أي كم مقدار مكثكم في منامكم في هذا الغار (قالوا) أي بعضهم (لبثنا يوماً) لأنهم دخلوا الكهف غدوة ثم ناموا طلوع الشمس وكان انتباههم آخر النهار فلما خرجوا فنظروا إلى الشمس وقد بقي منه شيء قالوا (أو بعض يوم قالوا) أي بعض آخر منهم وهو مكسيمينا (ربكم أعلم بما لبثتم) فأنتم لا تعلمون مدة لبثكم (فابعثوا أحدكم) هو علي بن أبي طالب (قاله ابن أمير) (بورقكم هذه إلى المدينة) وهي منبج أو أفسوس بضم الهمزة هذا في الجاهلية وتسمى في الإسلام طرسوس بفتح الراء (فلينظروا إليها) أي أي أهلها (أزكى طعاماً) أي أبعد عن كل حرام لأن ملكهم كان ظالماً وأهله أهل بلدهم كانوا مجوساً وفيهم قوم يخفون إيمانهم (فليأتكم برزق) أي بطعام (منه) أي من ذلك الأزكى (وليتلطف) أي وليرفق في الشراء كي لا يغيب وفي دخول المدينة لئلا يعرف (ولا يشعر بكم أحداً) أي لا يخبر بكم أحد من أهل المدينة فإن ذلك يستلزم شيوع أخباركم (أنهم ان ينظروا عليكم) أي ان يطلعوا على أنفسكم أو على مكانكم (يرجوكم) أي أي يبتلوكم بالرجم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي يصيروكم إلى ملتهم كرها (ولن تغفوها) أي لن تسعدوا (إذا) أي ان دخلتم فيها ولو بالسكر (أبداً) أي في الدنيا والآخرة (وكذلك) أي وكما أغناهم وبعثناهم (أعثرنا عليهم) أي أطلعنا الناس المؤمنين والكافرين على أحوالهم وكان ملكهم يومئذ مسلماً يسهى يستغاد وذلك ان دقيانوس مات وقبضت قرين ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح واختلف أهل مملكته في الحشر وبعث الأجساد من القبور فشق في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا لنمات الحشر الأرواح دون الأجساد فان الجسد تأكله الأرض وقال بعضهم تبع الأرواح والأجساد جميعاً وكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمر البعث لهم حتى دخل بيته وأغلق بابه ولبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع إلى الله تعالى في طلب حجة وبرهان فأعثره الله على أهل الكهف فانهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكر ورقه لانه ظهرت في بشرة وجهه آثار عجيبة تدل على ان مدته قد طال طولاً خارجاً عن العادة ولان ورقه كان على ضرب دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كثر اذ ذهبوا به إلى الملك وكان صالحاً قد آمن هو ومن معه فلما نظر إليه قال

لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعو الله أن يرينيهم وسأل الفتى
 فأخبره بأنه ومن معه خرجوا فرارا من الملك دقيانوس فسر الملك بذلك وقال لقومه اعبل الله قد بعث
 لكم آية فلنسرا إلى الكهف معه فركب مع أهل المدينة اليهم فلما دنوا إلى الكهف قال عليخانا أنا
 أدخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم وأعلمهم بأن الأمة أمة مسلمة فخرجوا إلى الملك وعظموه
 وعظمهم ثم رجعوا إلى كهفهم ورجع من شك في بعث الأجساد فهذا معنى أعثرنا عليهم (ليعلموا) أي
 الذين أعثرناهم وهم الملك ورعيته على أحوالهم الهيبة (أن وعد الله) بالبعث للروح والجنة معا
 (حق) أي صادق بطريق أن القادر على انامتهم مدة طويلة وابقائهم على حالهم بلا غداء قادر على
 احياء الموتى قال بعض العارفين علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت (وأن الساعة) أي
 وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء (لأريب فيها) أي لاشك في قيامها (أذيتنازعون بينهم
 أمرهم) في صحة البعث وهذا طرف لقوله تعالى أعثرنا لقلوبهم ليعلموا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون
 بينهم أمرهم ليرتفع الخلاف ويتمين الحق (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أي لما أعثرناهم عليهم فرأوا
 ما رأوا فعدا الفتية إلى كهفهم فأماهم الله تعالى فقال بعضهم ابنوا على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق
 اليهم الناس ضنا بتربيتهم (ربهم أعلم بهم) كان المتنازعون لما رأوا عدم اهتدائهم إلى حقيقة حالهم
 من حيث النسب والاسم ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويض للامر إلى علام
 الغيوب (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلمون وأولياء أصحاب الكهف أو رؤساء
 البلد (لنتخذن عليهم مسجدا) نعبد الله فيه ونستبق آثارهم بسبب ذلك المسجد (سيقولون) أي
 يقول بعض المتنازعين لك يا أشرف الخلق وهم اليهود أو السيد وأصحابه وهم اليعقوبية من نصارى
 مجرانهم (ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون) أي النصارى أو العاقب وأصحابه وهم النسطورية منهم هم
 (خمس سادسهم كلبهم رجما بالغيب) أي ظنا بالغيب من غير دليل ولا برهان (ويقولون) أي المسلمون
 أو المملكانية من النصارى هم (سبعة وثمانهم كلبهم قل) يا أشرف الخلق (ربهم أعلم بعدتهم ما يعلمهم
 الا قليل) من الناس وكان على رضى الله عنه يقول كانوا سبعة وأسماءهم عليخانا مكشلينا مشليينا
 هؤلاء الثلاثة أصحاب عين الملك وكان عن يساره من نوح دبر نوح شاذنوش وكان الملك يستشير هؤلاء
 الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشطيبيوش
 واسم كلبه قطمير وقال ابن عباس هم سبعة مكشلينا عليخانا طونس نينونس سار بونس ذونوانس
 فليستطيونس وهو الراعي وعن ابن مسعود كانوا تسعة واسمهم ابن اسحق عليخانا مكشلينا محسلينا
 مرطونس كسوطونس سورس يكر بوس بطسوس قالوس اهو قال ابن عباس رضى الله عنهما خواص
 أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولطف الحريق تكذب على خرقة وترعى في وسط
 النار تطفأ بأذن الله تعالى ولبكاء الطفل والحى المثلثة وللصداع تشد على العضد الا عين ولا م الصبيان
 ولا ركوب في البر والبحر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الاثمين (فلا تمارفهم) أي فلا تجادل معهم
 في عدد الفتية (الامرأه ظاهرا) بأن لا تكذبهم في تعيين ذلك العدد بل تقول هذا التعيين لا دليل عليه
 (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أي لا تشاور إلى أحد من أهل الككات في شأن الفتية (ولا تقولن)
 يا أكرم الرسل (لشيء) أي لاجل شيء تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشيء (غدا) أي فيما
 يستقبل من الزمان (الا أن يشاء الله) أي الا قائلا ان شاء الله أي لا تقل لشيء في حال من الأحوال الا

في حال تلبسك بالتعليق بالمشيئة بأن تقول ان شاء الله نزلت هذه الآية حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألو صلى الله عليه وسلم فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثنى فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبت قريش (واذ كر ربك) بالتسبيح والاستغفار (اذانسيت) كلمة الاستثناء وهذا مبالغة في الخشوع على ذكر هذه الكلمة (وقل عسى أن يهدين ربى لا قرب من هذا رسدا) أى لعل ربى يؤتيني أعظم دلالة على صحة نبوتى من نبأ أصحاب الكهف (ولبشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهذا الخبر من الله عن مدة لبثهم ردأ على أهل الكتاب المختلفين فيها فقال بعضهم ثلاثمائة وبعضهم ثلاثمائة وتسع والسنون عندهم شمسية فهذان القولان غير ما أخبر الله به من أن السنين ثلاثمائة وتسع قرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين لأن السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية عشرة أيام واحد عشرين ساعة وخمس ساعة قرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة بغير تنوين فهو مضاف لسنين والباقون بالتنوين فسنين عطف بيان (قل الله أعلم بما لبثوا) أى بالزمان الذى لبثوا فيه في نومهم قبل بعثهم أى الله أعلم بحقيقة ذلك وكيفيته فأرجعوا الى خبر الله دون ما يقوله أهل الكتاب وهذا اشارة الى أن الاخبار من الله لا من عنده صلى الله عليه وسلم (له غيب السموات والارض) أى له تعالى علم ما خفى من أحوال أهلها ما لانه موجودها ومديرها (أبصر به وأسمع) أى ما أبصر الله وما أسمع به بكل شئ وهذا التعجب يدل على ان شاء الله تعالى بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجب به شئ ولا يحول عنه حائل (مالهم) أى لا أهل السموات والارض (من دونه) تعالى (من ولى) يتولى أمورهم ويقوم لهم تدبير أنفسهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير اعلامه تعالى (ولا يشرك) تعالى (في حكمه أحدا) فلما حكم تعالى أن لبثهم هو هذا المقدار فليس لاحد أن يقول قولا بخلافه وقرأ ابن عامر لا تشرك بالتاء على الخطاب لكل أحد وبالجزم على النهى أى ولا تسأل أحدا عما أخبرك الله به من عدة أصحاب الكهف ومن مدة لبثهم في الغار واقتصر على حكمه تعالى ولا تشرك أحدا في طلب معرفة هذه الواقعة (واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك) ولا تسمع لقولهم أثبت بقرآن غير هذا أو بدله (لا مبدل لسكلماته) أى لا قادر على تبديلها (ولن تجد من دونه) تعالى (ملتحدا) أى ملجأ تعدل اليه ان همت بالتبديل للقرآن (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أى يعبدونه في كل الاوقات قرأ ابن عامر بالغداة بضم الغين وسكون الدال (يريدون وجهه) أى يريدون بعبادتهم لرضاه تعالى (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تنصرف عينك عنهم الى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) أى ترغب في مجالسة الاغنياء وجميل الصورة (ولا تطع) في تحية الفقراء عن مجالسك (من أغفلنا قلبه) أى وجدنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) أى عن توحيدنا (واتبع هواه) في عبادة الاصنام (وكان أمره) في متابعة الهوى (فرطاً) أى ضائعاً نزلت هذه الآية في عيينة بن حصن الفزارى فإنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان الفارسي وعليه شملة قد عرق فيها ويده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي أما يؤذيه ريح هؤلاء ونحن سادة مضر واشرافها ان أسلمنا تسلم الناس وما يمنعنا من اتباع هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً وقد أسلم هو رضى الله عنه وحسن اسلامه وكان في حنين من المؤلفة قلوبهم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بعير وكذلك أعطى الاقرع بن حابس وأعطى العباس بن مرداس أربعين بعيراً وروى أبو

سعيد رضى الله عنه قال كنت بالساقى عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر بعضهم العرى وقارى يقرأ من القرآن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله ونحن نسمع فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرت ان أصير نفسى معهم ثم جلس وسطنا وقال ابشروا يا صعايلك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بمقدار خمسين ألف سنة (وقل الحق من ربكم) أى قل لا والله الغافلين هذا الدين الحق انما أتى من عند الله فان قبلتموه عاد النفع اليكم وان لم تقبلوه عاد الضر اليكم ولا تعلق لذلك بالفقر والغنى والقبح والحسن والخمول والشهرة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فانه تعالى لم يأذن فى طرده من آمن وعمل صالحا لاجل ان يدخل فى الايمان جمع من الكفار وهذه الصيغة تهديد وليست بتخيير (انا اعتدنا للظالمين) أى هيا لنا من أنف عن قبول الحق لاجل ان من قبلوه فقراء (نارا أحاط بهم مرادقها) أى فسطاطها فلا محصل لهم منها (وان يستغيثوا) من العطش (يفاثوا بما كالمهل) أى كدردى الزيت أو كالفضة المذابة (يشوى الوجوه) أى اذا قرب الى الغم يشرب سقطت فروة وجهه (بشس الشراب) ذلك الماء لان المقصود بشرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ فى احتراق الاجسام مبلغا عظيما (وساءت مرتقعا) أى وساءت النار منزلا ومجتمعا للرفقة مع الكفار والسياطين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانا نضيع أجر من أحسن عملا) أى لا تبطل ثواب من أخلص عملا (أولئك لهم جنات تجري من تحتهم) أى من تحت مساكنهم (الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب) ويسور المؤمن فى الجنة بسوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ فيكون فى يده هذه الأنواع الثلاثة وفى الحديث الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء (و يلبسون ثيابا خضرا من سندس) وهو الديباج اللطيف (واستبرق) وهو الديباج الصفيق فان الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة (متكئين فيها على الارائك) أى ويجلسون فى الجنة متربعين على السرر فى الجمال وهى بيوت تزين بأنواع الزينة اما السرير وحده فلا يسمى أريكة (نعم الثواب) ذلك (وحسنت) أى الارائك (مرتقعا) أى منزلا ومجتمعا للرفقة مع الانبياء والصالحين (واضرب لهم مثلا رجلين) أى بين هؤلاء الذين يطلبون طرد المؤمنين لضعفهم مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين شريكين فى بنى اسرائيل أحدهما كافرا اسمه قطروس والآخر مؤمنا اسمه يهوذا أو تليخا لهما ثمانية آلاف دينار فاقسماهما فاشترى أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وانى اشترى منك أرضا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم انى دار بألف دينار فقال هذا اللهم ان فلانا بنى دارا بألف دينار وانى اشترى منك دارا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم انى أحطب اليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا اللهم انى اشترى منك خدما ومتاعا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريق حتى مر به فى حشوه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال له فلان قال نعم فقال ما شأنك قال أصابتنى حاجة بعدك فأتيتك لتعطينى بخير قال فما فعل بك فقال قصص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين فطرده ووجهه على التصديق بحاله وآل أمره الى ما حكاه الله تعالى فنزل فى شأنه ما قوله تعالى واصرب لهم مثلا رجلين (جعلنا الاحد هـ) وهو الكافر (جنتين من أعناب) أى بستاتين من كروم

متنوعة (وحققنا ما بنخل) أى جعلنا النخل محيطا بالجنة (وجعلنا بينهما) أى وسط أرض
الجنة (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والقوا كه فتأتى هذه الأرض فى كل وقت بمنفعة
فكانت منافعتها متواصلة (كأن الجنة أتت أكلها) أى أخرجت ثمرها كل عام (ولم تظلم منه)
أى لم تنقص من ثمرها (شيئا) وجرنا خلاهما) أى أجرنا فى داخل تلك الجنة (نهر) وفى قراءة
يعقوب وجرنا بالتخفيف (وكان له) أى لصاحب الجنة (ثمر) قرأ عاصم بفتح الشاء والميم أى ثمر
البستان وقرأ أبو عمرو وبضم الشاء وسكون الميم والباقون بضم الشاء والميم فى الموضعين أى أنواع المال من
الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك (فقال) أى صاحب الجنة (أصاحبه) الذى جعل مثالا للفقراء
المؤمنين (وهو) أى صاحب الجنة (بمحاوره) أى يراجع صاحبه بالكلام الذى فيه الافتخار
بالمال والناس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أى أكثر أصحابا من الأولاد وغيرهم ويقال وهو أى
صاحبه المؤمن يراجع الكافر فى الكلام بالوعظ والدعاء إلى الإيمان بالله وبالبعث (ودخل جنته)
أى بستانه مع صاحبه يطوف به فيها ويريه حسناتها (وهو ظالم لنفسه) أى ضار لها بكفره وعجبه واعتماده
على ماله (قال) استثناف بيان لسبب الظلم (ما أظن أن تبيد هذه أبدا) أى ما أظن أن تفتنى هذه
الجنة أبدا (وما أظن الساعة) أى القيامة التى هى وقت البعث (قائمة) أى حاصلة (ولئن رددت
إلى ربى) بالبعث عند قيامه كما تقول (لأجدن) يومئذ (خيرا منها) أى من هذه الجنة (منقلبا)
أى عاقبة وسبب هذه اليمين الفاجرة اعتقاده انما أعطاه الله المال فى الدنيا لكرامته عنده تعالى وهى معه
بعد الموت وقرأ نافع وابن كثير منهما أى الجنة (قال له) أى لصاحب الجنة (صاحبه) الذى هو
المؤمن (وهو) أى المؤمن (بمحاوره) أى يجاوب الكافر بالتوبيخ على شكه فى حصول البعث
(أأكفر بالذى خلقك من تراب) أى من آدم وهو من تراب (ثم من نطفة) لا ييل وأملك (ثم سواك
رجلا) أى صيرك انسانا ذكرا وهياك هيئة تعقل وتصلح للتكليف فهل يجوز فى العقل مع هذه الحالة
اهماله تعالى أمرك فان من قدر على بدء خلقه من تراب قدر ان يعيده منه وجعل الكافر بالبعث كفرا
بالله لان منشأ الشك فى كمال قدرة الله (لكنا) أى لكن أنا أقول (هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا)
أى أنت كافر بالله لكنى مؤمن به موحد ثم قال المؤمن للكافر (ولو لا اذ دخلت جنتك) أى وهلا حين
دخلت بستانك (قلت) عندا عجائبها (ما شاء الله) أى الامر هو الذى شاء الله (لا قوة الا بالله) أى
لا قوة لاحد على أمر من الامور الا بأمانته الله واقداره وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى
شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) وخدما فى الدنيا
(فعسى ربى أن يؤتين) أى يعطينى فى الآخرة (خيرا من جنتك) لايمانى (ويرسل عليها) أى
على جنتك (حسبانا) أى نارا (من السماء فتصير عصيما زلقا) أى فتصير جنتك أرضا ملساء
لانبات فيها بحيث تنزلق الرجل لكفرك (أو يصير ماؤها غورا) أى فائضا فى الأرض (فلن تستطيع
أنت (له) أى الماء (طلبها) أى حيلة تدركه بها وقوله تعالى أو يصير عطف على قوله تعالى فتصير
وان كان الحسبان بمعنى النار لانها الحكم الالهى بتخريب الجنة فيمتسبب عنه صيرورتها ترابا أملس أو
صيرورة ماؤها غائرا ثم أخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال (وأحيط بثمره) أى أهلك ثمر بستانه
بالكلية وجميع أمواله (فأصبح يقلب كفيه) أى صار يضرب احداهما على الاخرى وانما يفعل هذا
ندامة (على ما أنفق فيها) أى فى عمارة جنته لانه أنفق ما يمكن ادخاره من الأموال الكثيرة فى مثل هذا

الشئ السريع الزوال وقوله على ما أنفق متعلق بقلب لانه ضمن معنى ينعدم كأنه قيل فأصبح ينعدم على
 ما صنع فان من عظمت ندامته يصفق احدي يديه على الأخرى (وهي) أى الجنة (خاوية على عروشها)
 أى ساقطة على سقوف الجنة وهي سقطت على الجدران وهذه اللفظة كناية عن هلاك البستان بالكناية
 (ويقول) أى الكافر تلها على تلف المال (يا) أى تنبهوا يا قومى (ليتني لم أشرك بربى أحدا) وهذا
 السكافر تذكر كلام المؤمن وعلم انما هلكت جنته بشؤم شركه فمضى أن لا يكون مشركا فلم يصبه ما أصابه
 (ولم تكن له) أى الكافر (فئة ينصرونه) يدفع الهلاك عن الجنة أو برد الهلاك منها أو باتيان مثله
 (من دون الله) فانه وحده قادر على ذلك وقرأ حمزة والكسائي ولم يكن بالياء التحتية والباقون بالتاء
 الفوقية (وما كان منتصرا) أى قادر ابن نفسه على واحد من هذه الامور (هنالك الولاية) أى فى مثل
 ذلك الوقت وفى ذلك المقام النصرة (لله الحق) فلا يقدر عليها أحد وقرأ حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو
 بمعنى الملك فالمعنى أى فى تلك الدار الآخرة السلطان لله والباقون يفتحها أى النصرة وقرأ أبو عمرو
 والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرأ الباقر بالجرف صفة لله أى الثابت الذى لا يزول (هو) تعالى
 (خير ثوبا) أى ائابة فى الآخرة لمن آمن به والتجبال به (وخير عقبا) أى عاقبة لمن رجاء وعمل لوجهه
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر يضم القاف وعاصم وحزرة بتسكينها وقرئ عقي
 كرجى والكل بمعنى العاقبة (واضرب لهم) أى واذا كر للذين افتخروا بأموالهم على فقراء المسلمين
 (مثل الحياة الدنيا) أى صفتها الهيبة فى فنائها (كما أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الارض)
 أى اختلف بعض أنواع النبات ببعضها الآخر بسبب هذا الماء أى صار النبات فى المنظر فى غاية الحسن
 (فأصبح هشيمًا) أى فصار النبات بعد بهجتها يابسًا مكسورا (تذروه الرياح) أى تفرقه ولم يبق منها
 شئ وقرأ حمزة والكسائي الريح بالتوحيد (وكان الله على كل شئ مقتدرا) أى قادر على الكمال
 بتكوينه أولا وتفجته وسطا وابطاله آخرافأحوال الدنيا كذلك تظهر أولا فى غاية النضارة ثم تتزايد
 قليلا قليلا ثم تأخذ فى الانحطاط الى أن تنتهى الى الفناء ومثل هذا الشئ ليس للعاقل أن يفرح به (المال
 والبنون زينة الحياة الدنيا) وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقراض فيقع بالعاقل أن يفخر
 به (والباقيات الصالحات) أى اعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها أبدا من الصلوات الخمس واعمال
 الحج وصيام رمضان والطيب من القول (خير عند ربك) أى فى الآخرة (ثوبا) فتعود الى صاحبها
 (وخير أملا) فينال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يرجوه فى الدنيا لان صاحب تلك الاعمال يأمل فى
 الدنيا نصيبه من ثواب الله فى الآخرة وللغزالي فى هذا وجه لطيف فقال روى ان من قال سبحان الله حصل
 له من الثواب عشر حسنات فاذا قال والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال
 والله أكبر صارت أربعين وتحقيق القول فى ذلك أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق فى معرفة الله
 وفى محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه تعالى منزها عن كل ما لا يليق به فحصل هذا العرفان
 سعادة عظيمة وموجبة كاملة فاذا قال مع ذلك والحمد لله فقد أقرب إلى الله تعالى مع كونه منزها عن كل
 ما لا ينبغى فهو المبتدى لافادة كل ما ينبغى ولا فاضة كل خير وكمال فاذا قال مع ذلك ولا اله الا الله فقد أقر
 بأنه ليس فى الوجود موجود منزوع عن كل ما لا ينبغى مبتدى لافاضة كل ما ينبغى الا الواجب فاذا قال والله
 أكبر ومعنى أكبر أى أعظم من أن يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة أربعة
 فكانت درجات الثواب أربعة فهذه الكلمات الأربع تسمى الباقيات الصالحات (ويوم نسير الجبال)

أى واذكر لهم حين نسير أجزاء الجبال عن وجه الأرض بعد أن يجعلها غبارا مفرقا وقرأ ابن كثير وأبو
 عمرو وابن عامر تسير الجبال بالتاء الفوقية بالبناء للمفعول ويرفع الجبال (وترى الأرض) خطاب لكل
 أحد وقرئ على صيغة البناء للمفعول (بارزة) أى ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبال وأشجار و بناء
 وحيوان وظل وبهار (وحشرناهم) أى جمعنا الخلائق إلى الموقف من كل أوب للحساب (فلم تغادر منهم)
 أى لم تترك من الأولين والآخرين (أحدا) الا وجمعناهم لذلك اليوم (وعرضوا على ربك) كعرض
 الجند على السلطان ليقضى بينهم (صفا) أى مصطفىين وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين
 والآخرين في صعيد واحد صوفاري حديث آخر أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون أه
 مقولاهم (لقد جئتمونا) كائنين (كما خلقناكم أول مرة) حفاة عراة غرلا بلا أموال وأعوان (بل
 زعمتم) في الدنيا (أن لن نجعل لكم موعدا) أى وقتا للبعث (ووضع الكتاب) أى وضع في هذا اليوم
 كتاب كل إنسان في يده اليمنى إن كان مؤمنا وفي يده اليسرى إن كان كافرا فقد تطايرت الكتب إلى
 أيدي الخلق مثل الثلج (فترى المجرمين) أى المشركين والمنافقين (مشفقين عافيه) أى خائفين مما
 في الكتاب من أعمالهم الخبيثة أى يحصل لهم خوف العقاب من الله بذنوبهم وخوف الفضيحة عند الخلق
 بظهور الجرائم لأهل الموقف (ويقولون) عندوقوفهم على ما في الكتاب من السيئات (يا ربنا) أى
 يا هلكتنا (مال هذا الكتاب) أى أى شئ له (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) من أعمالنا (الا أحصاها
 أى عدها) (ووجدوا ما عملوا) في الدنيا من السيئات (حاضرا) أى مكتوبا في مصحفهم (ولا يظلم
 ربك أحدا) فلا ينقص من حسنات أحد ولا يزيد على سيئات أحد (وانقلنا) أى واذكر لهم وقت
 قولنا (للائكة أمجدوا لا آدم فمسجدوا) جميعا امتثالا بالأمر (الابليس) فإنه لم يسجد بل تكبر
 على آدم لانه افتخر بأصله (كان من الجن) أى من نوع الجن الذين هم الشياطين فالذى خلق من نار
 هو أبوه (ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعته بترك السجود (أفتتخذونه وذريته أولياء) أى
 أبعد ما وجد من ابليس ما وجد تتخذونه وذريته أصدقاء يا بني آدم (من دوني) فتطيعونهم بدل طاعتي
 (وهم لكم عدو) أى والحال أن ابليس وذريته لكم أعداء (بئس للظالمين بدلا) من الله تعالى في
 الطاعة ابليس وذريته وعن مجاهد قال ولد ابليس خمسة بتر والاعور وزنبرور ومشوط وداسم فبتر
 صاحب المصائب والاعور صاحب الزنا وزنبرور الذي يفرق بين الناس ويبصر الرجل عيوب غيره ومشوط
 صاحب المصائب والاعور يأتى بها فيلقبها في أفواه الناس ولا يجحدون لها أصلا وداسم الذي إذا دخل
 الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله دخل معه وإذا أكل ولم يذكرك اسم الله أكل معه (ما أشهدتهم) أى
 ما أحضرت ابليس وذريته (خلق السموات والأرض) فأنى خلقتهم قبل خلقهم (ولا خلق أنفسهم)
 أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض (وما كنت متخذ المضلين) للناس وهم الشياطين (عضدا) أى
 أعوانا في شأن الخلق حتى يتوهم شركتهم في بعض أحكام الربوبية والمعنى ما أطلعهم على أسرار
 التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فكيف تطيعونهم يا بني آدم
 (ويوم يقول) أى واذكر لهم يا أشرف الخلق أحوال المشركين وآلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله تعجيزا
 وقرأ حمزة بنون العظمة (نادوا شركا) أى نادوا آلهتهم التي قلتم أنهم شركا (الذين زعمتم) أى عبدتم
 لمنعوكم من عذابي (فدعوهم) للافاقة (فلم يستجيبوا لهم) إلى ما دعوهم إليه (وجعلنا بينهم) أى المشركين
 وآلهتهم (موبقا) أى حازبا بعيدا أو واديا في جهنم من فيج ودم وذلك أن المشركين الذين اتخذوا من دون

الله آلهة الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم عليهم السلام دعوا هؤلاء فلم يجيبوهم استهانة بهم واشتغالا
بأنفسهم ثم حبس بينهم فأدخل الله تعالى هؤلاء المشركين جهنم وأدخل عزيرا وعيسى ومريم الجنة وسار
الملائكة الى حيث أراد الله من الكرامة وحصل بين الكفار ومعبودهم هذا الخاجز وهو ذلك الوادي
(ورأى المجرمون) أي الكافرون (النار) من مكان بعيد (فظنوا أنهم واقعوها) أي محالطوها في تلك
الساعة من غير تأخير لشدة ما يسمعون من تغيطها وزفيرها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي معدلا الى غيرها
لان الملائكة تسوقهم اليها (ولقد صرفنا) أي ذكرنا على وجوه كثيرة (في هذا القرآن للناس) أي
لمنفعتهم (من كل مثل) أي من كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في
في الغرابة كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا (وكان الانسان) بجبلته (أكثر شي جدلا) أي وكان
خصومة الانسان بالباطل أكثر شي فيه (وما منع الناس) أي اهل مكة (أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى)
أي القرآن الهادي الى الايمان (ويستغفروا ربهم) عفا فرط منهم من الذنوب (الا أن تأتيهم سنة
الاولين) أي الا طلب اتيان سنتنا في الاولين وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) وقرأ
حزرة وعاصم والكسائي بضم القاف والباء أي أنواعا من العذاب تتواصل مع كونهم أحياء والباقيون
بكسر القاف وقع الباء أي عيانا وقرئ بفتحين أي مستقبلا (وما ترسل المرسلين) الى الامم (الا
مبشرين) بالثواب على أفعال الطاعة (ومنذرين) بالعقاب على أفعال المعصية (ويجادل الذين
كفروا) المرسلين (بالباطل) أي باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ليدحضوا به الحق) أي
ليبطلوا بجدهم الشرائع (واتخذوا آياتي) التي هي معجزات الرسل (وما أنذروا) أي وانذارهم
بالعذاب (هزوا) أي مخزية (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) أي ليس أحد أظلم ممن وعظ بالقرآن
(فأعرض عنها) أي فصرف عن تلك الآيات ولم يتدبرها (ونسي ما قدمت يداي) أي تغافل عن كفره
وذنوبه ولم يتفكر في عاقبته (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية (أن يفقهوه) أي مانعة
من أن يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) أي صمما مانعا من استماعه (وان تدعهم الى الهدى) أي
الى التوحيد (فلن يهتدوا اذن أبدا) أي فلن يوجد منهم اهتداء البتة مدة التكليف (وربك الغفور)
أي البليغ لستر ذنوبهم بالحلم عنها الى وقت آخر (ذوالرحمة) بتأخير العقوبة عنهم (لويؤاخذهم)
أي لو يريد الله مؤاخذتهم (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد)
أي وقت هلاكهم (ان يجسدوا من دونه) أي العذاب (موثلا) أي مرجعا فن يكون مرجعه
العذاب فلا يوجد منه الخلاص (وتلك القرى) أي وأهل قرى عاد وثمود وأمثالهما (أهلكناهم) في
الدنيا (لما ظلموا) أي حين كفروا (وجعلنا المهلكهم موعدا) أي وقتا معيننا لا يتأخرون عنه وقرأ
شعبة بفتح الميم واللام أي هلاكهم وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام أي لوقت هلاكهم والباقيون بضم
الميم وفتح اللام أي لاهلاكنا اياهم (واذ قال) أي واذكر حين قال (موسى لفتهاه) يوشع بن نون بن
افرايم بن يوسف عليه السلام وكان يوشع من أشرف بني اسرائيل وانما موسى قدام موسى عليه السلام لانه
كان يخدمه وكان موسى عليه السلام وقع في قلبه ان ليس في الارض أحد أعلم مني فقال الله يا موسى ان
لي في الارض عبدا أعبد لي منك وأعلم وهو الخضر فقال موسى يا رب دلني عليه فقال الله له خذ معك ما لحا
وامضي على شاطئ البحر حتى تلقى مضره عندها عين الحياة فانضع على السمكة منها حتى تحيا السمكة فثم
تلقى الخضر فأخذ حوتا فجعله في مكمل فقال لفتهاه اذا فقت الحوت فاخبرني فذهب عيسى بن (لا أبرح)

أى لا أزال سائرا (حتى أبلغ جميع البحرين) أى ملتي بحرف فارس والروم مما يلي المشرق (أو أمضى حقبا)
 أى أو أسير زمانا طويلا أتيقن معه فوات الطلب أو أسير ثمانين سنة (فلما بلغا جميع بينهما) أى بلغا موضعا
 يجتمع فيه موسى وصاحبه الذى كان يقصده وهو الخضر (نسيا حوتهما) أى نسيا خبر حوتهما وتفقدا أمره
 وقد جعل فقدانه اشارة لوجدان المطلوب (فاتخذ سبيله في البحر مريا) أى فادركته الحياة بسبب برد
 الماء الذى أصابه فتحرك في المسكن لخرج منه وسقط في البحر فاتخذ الحوت في البحر مسلكا كالسرب
 قبل ان القى كان يغسل السمكة لانها كانت ملحة فظفرت وسارت (فلما جاوزا) أى موسى وقتاه جميع
 البحرين وذهبا كثيرا وألقى على موسى الجوع (قالا لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا) الذى
 بعد مجاوزة الصخرة (نصيبا) أى تعبنا قبل ان موسى لم يتعب ولم يجوع قبل ذلك (قال) أى فتاه
 (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) أى أبصرت حالنا اذ اقمنا عند الصخرة (فانى نسيت الحوت) أى خبر
 الحوت (وما انسانيه الا الشيطان ان أذكره) بدل اشتمال من الماء أى وما انساني ذكر أمر الحوت
 لك الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقرأ حفص بضم الهاء من أنسانيه (واتخذ) أى الحوت
 (سبيله في البحر عجبا) أى اتخذ اذ عجبا وهو كون مسلكه كالسرب فلم يلتزم الماء وجمد مات تحت الحوت
 منه حتى رجع موسى اليه فرأى مسلكه وكون الحوت قدمات وأكل شقه الا يسر ثم حي بعد ذلك (قال)
 أى موسى (ذلك) أى الذى ذكرت من أمر الحوت (ما كنا نبغ) أى الذى كنا نطلبه لانه اشارة
 الظفر بالمطلوب وهو لقاء الخضر وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثبات الياء وصلالا وقفوا بن كثير أثبتها
 في الحالين والباقون حذفوها في الحالين اتباعا للرسم (فارتداعلى آثارهما قصصا) أى فرجعا
 مقتشين آثارهما أو فاقصصا على آثارهما اقتصاصا حتى أتيا الصخرة (فوجدنا عبدا من عبادنا)
 وهو الخضر واسمه بليان ملكان وكنيته أبو العباس وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك الذين ترهبوا
 وتركوا الدنيا وروى أنهم ما وجدوا الخضر وهو نائم على وجه الماء وهو مغطى بشوب أبيض وأخضر طرفه
 تحت رجليه والآخر تحت رأسه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام ياني بني
 اسرائيل فقال له موسى ومن أخبرك اني بني اسرائيل فقال الذى أدراك بي وذلك على والصحيح ان
 الخضر نبى وذهب الجمهور الى انه حي الى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة (آتيناهم رحمة من عندنا) أى
 أكرمناه بالنبوة كما قاله ابن عباس (وعلمناه من لدنا علما) وهو علم الغيوب (قال له موسى) على
 سبيل التأديب والتلطف في ظرف الاستئذان (هل أتبعك) أى ههناك (على أن تعلمن) أثبت الياء
 نافع وأبو عمرو وصلالا وقفوا بن كثير في الحالين والباقون حذفوها (عما علمت رشدا) أى علمنا يرشدني
 في ديني وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشين والباقون بضم الراء وتسكين الشين قال له الخضر كفى
 بالتوراة علما وبينى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرني بهذا فحيث (قال) له الخضر يا موسى
 (انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى على ما لم تعلم به بيانا وحكمة أى انك
 يا موسى لا تصبر على أمور لم تعلم حقائقها يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علميه لا تعلمه أى وهو علم
 الكشف وأنت على علم من علم الله علمه أى وهو علم ظاهر الشريعة (قال) له موسى
 (ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) عطف على صابرا أى ستجدني صابرا على ما أرى منك
 وغير مخالف لأمرك (قال) له الخضر (فان اتبعني) أى ههناك (فلا تسألني عن شيء) تشاهده
 من أفعالي ولو منكرا بحسب علمك الظاهر (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبتدى بأخبارك

ببيان ذلك الشيء وقرأ ابن عامر فلا تسألن بالنون المثقلة وبغير ياء وروى عنه تسألني مثقلة مع الياء
 وهي قراءة نافع وقرأ باقي السبعة بسكون اللام وتخفيف النون وقرأ أبو جعفر هنا تسألن بفتح السين واللام
 وتشديد النون من غير همز (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة
 وأما يوشع فقد صرفه موسى إلى بني إسرائيل أو كان معهما وانما لم يذكر في الآية لأنه تابع لموسى فاكتمل
 بذكر المتبوع عن التابع فالمقصود ذكر موسى والخضر (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) أي ثقبها الخضر
 وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلما وأهلها أن يحملوهم فعرفوا الخضر
 بعلامة حملوهم بغير نول فلما لجوا أي وصلوا إلى الماء الغزير أخذوا الخضر وأساوا وأخرج بها الوحان من
 السفينة (قال) له موسى (أخرقتها لتغرق أهلها) أي لتغرق أنت أهل هذه السفينة وقرأ حمزة والكسائي
 ليغرق أهلها بالياء المفتوحة وفتح الراء ورفع أهلها (لقد جئت شيئا مرمورا) أي لقد فعلت شيئا عظيما
 شديدا على القوم روى أن الماء لم يدخل السفينة وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به
 الحرق (قال) له الخضر (ألم أقل أنك لن تستطيع معي صبرا قال) موسى (لا تأخذني بما نسيت)
 أي بما تركت من وصيتك أول مرة أو هذان التوريتي وإيهام خلاف المراد فيتقى موسى بها الكذب
 مع التوصل إلى الغرض وهو بسط عذره في الانكار فالمراد بما نسيت شيئا آخر غير الوصية لكنه أوهم أنها
 المنسية (ولا ترهقني من أمري عسرا) أي لا تكلفني مشقة في أمر صحبتي أي لا تقبل الخضر عذر موسى
 فخرج من السفينة (فانطلقا حتى إذا القيما غلاما) بين قريتين لم يبلغ الحنث يلعب مع عشرة صبيان
 كان وضئ الوجه اسمه خيشور فأخذ الخضر (فقتله) بذبحه مضطجعا بالسكين أو بقتل عنقه (قال)
 له موسى (أقتلت نفسا زكية) أي بريئة من الذنوب (بغير نفس) أي بغير قتل نفس محرمة وقرأ نافع
 وابن كثير وأبو عمرو وبالف بعد الزاي وبتخفيف الياء والباءون بالتشديد وبقية (لقد جئت شيئا
 منكرا) أي لقد فعلت فعلا منكرا (قال) الخضر (ألم أقل لك) يا موسى (أنك لن تستطيع معي صبرا) قيل إن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر
 لموسى وتحاملا في الخطأ (أنك لن تستطيع معي صبرا) قيل إن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر
 العهد الذي أنت عليه (قال) موسى (أن سألتك عن شيء بعدها) أي بعد هذه المرة (فلا تصاحبني)
 أي لا تجعلني صاحبك وقرئ لا تصحبني بضم التاء وسكون الصاد (قد بلغت من لدن عذرا) أي قد
 وجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات وقرأ نافع وأبو بكر عن عادم في بعض الروايات بتخفيف
 النون وضم الدال وفي بعض الروايات عن عاصم بضم اللام وسكون الدال روى عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال رحم الله أخي موسى استحييا فقال ذلك ولوليت مع صاحبه لا بصر أعجب إلا عجب (فانطلقا
 حتى إذا أتيا أهل قرية) بعد الغروب في ليلة باردة ممطرة وهي انطاكية أو أبرقة (استطعما أهلها) أي
 طلبوا من أهلها الخبز على سبيل الضيافة فأقام الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل ربما
 وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد وعن أبي هريرة قال أطمعتم ما امرأة من أهل بركة بعد أن طلبا من
 الرجال فلم يطعموهما فعدوا النساء لهم ولعنار جالهم فقلوه تعالى استطعما جوابا إذا أوصفت لقرية (فأبوا
 أن يضيفوهم) عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لثاما (فوجدافيهما) أي القرية (جدارا)
 مائلا (يريد أن ينقض) أي يقرب من السقوط وكان ارتفاعه مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وامتداده
 على وجه الأرض خمسمائة ذراع (فأقامه) أي رفعه الخضر بيده فاستقام أو مسحه بيده فاستوى
 أو هدمه ثم بناه (قال) موسى (لو شئت) يا خضر (لأخذت عليه أجرا) أي طلبت على عملي أجره تصرفها

الى تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات أى كان ينبغي لك أن تأخذ منهم جعلاً على فعلك لتقصيرهم
 فينامع حاجتنا وليس لنا فى اصلاح الجدار فائدة فهو من فضول العمل وروى عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال كانت الاولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة همداً قيل فى تفسير هذه الآيات التى
 وقعت لموسى مع الخضر أنهم اختلفوا على موسى وعتب عليه وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة فودى ياموسى
 أين كان تدبيرك هذا وأنت فى التابوت مطر وحافى اليم لما أنكر أمر الغلام قيل له أين أنكرت هذا من
 وكرك للقبطى وقضائك عليه فلما أنكر إقامة الجدار فودى أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب
 دون أجر (قال) له الخضر (هذا فراق بيني وبينك) أى هذا الانكار على ترك الأجر سبب فراق حصل
 بيني وبينك (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) السين للتأكيـد لا للاستقبال لعدم تراخي التنبئة
 أى أظهر لك بيان وجه ما لم تصبر عليه أى حكمة هذه الامور الثلاثة قبل فراقك لك (أما السفينة) التى
 أخرجتها (فكانت لمساكين يعملون فى البحر) فيعبرون بالناس مؤجرين للسفينة لحمل الامتعة ونحوها
 كانت لعشرة اخوة من المساكين ورثوها من أبيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر فاما العمال منهم
 فأحدهم كان مجذوماً والثانى كان أعور والثالث كان أعرج والرابع كان آدر والخامس كان مجنونا
 لا تنقطع عنه الحى الدهركاه وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعـد
 ومجنون وكان البحر الذين يعملون فيه ما بين فارس والروم (فأردت أن أعيبها) أى أن أجعلها ذات
 عيب (وكن ورثهاهم) أى أمامهم كما قرأ به ابن عباس وابن جرير (ملك) كقراصمه هدد بن بداء وجلندى
 ابن كركر (يأخذ كل سفينة) صحبة كما قرأ بذلك ابن عباس وابن جرير (غصبا) من أحمالها
 ولم يكن عندهم علم به فلذلك ثقبتهما فاذا جاوزا الملك أصلهما (وأما الغلام) الذى قتلته (فكان
 أبواه مؤمنين) من تلك القرية اسم الأب كاذباً واسم الأم سهواً (نخشينا أن يرهقهما) أى
 نخشانا أن يحمل الوالدين المؤمنين (طغيانا وكفرا) لمحبتهما له وقرى الخاف ربك أى كره ربك كراهة من
 خاف سوء عاقبة الامر أن يلحق الوالدين معصية وكفراً أو يقال فعلم ربك أن يوقعهما فى الكفر وقيل
 ان أبويه فرح به حين ولدوا وحرنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلا كهما فليرض العبد بقضاء الله
 تعالى فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيره من قضائه فيما يحب وقيل كان الغلام رجلاً كافراً الصاقتالا
 فمن ذلك قتله الخضر وكان اسمه جيسور (فأردنا أن يبدلهمار بهما خيراً منه زكاة) أى صلاحاً وطهارة
 من الذنوب والاخلق الرديئة (وأقرب رحماً) أى عطفاً بأبويه وأوصل رحماً بأن يكون أبر بهما قال
 ابن عباس أبداً لا بنتاً ولدت نبياً وهو الذى كان بعد موسى الذى قالت له بنو اسرائيل ابعت لنا ملكاً نقاتل
 فى سبيل الله وكان اسمه شععون وقرأ أبو عمرو ونافع بفتح الباء وتشديد الدال هنا وفى التحرير وفى القلم
 وقرأ ابن هارم فى إحدى الروايتين عن أبي عمرو ورحابضم الحاء (وأما الجدار) الذى سويتـه (فكان
 لغلامين يتيمين) هما أصرم وصريم ابنا كاشع وأمه مادنيا (فى المدينة) وهى المعبر عنها أولاً
 بالقرية تحة راء الحسة أهلها وعبر عنها هنا بالمدينة تعظيماً لها من حيث اشتغالها على هذين الغلامين
 وأبيهما (وكان تحته كنز لهما) عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كن ذهباً وفضة
 رواء البخارى فى تاريخه والترمذى والحاكم وقيل كان لوطاً من ذهب مكتوباً فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
 كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن
 يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد

رسول الله (وكان أبوهم صالحا) وهذا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء وقد روى
 ابن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي قوتهما وكما رأيهما
 (ويستخرجا كنزهما) أي دفينهما من تحت الجدار ولولا أني أقمته لا تقض وخرج الكثر من تحته وضاع
 بالكلية (رحمة من ربك) مفعول له وعامله أراد أي نعمة لهما من ربك أو عامله مقدر أي فعلت هذه
 الأفعال وحيما من ربك (وما فعلته) أي ما فعلت ما رأيت من هذه الأحوال (عن أمرى) أي عن
 اجتهادي ورأيي (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي ذلك الأجوبة الثلاثة تفسير ما لم تصبر عليه من
 الوقائع الثلاثة وحذف التاء بعد السين هنا للتخفيف روى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق
 الخضر قال له أوصني قال لا تطلب العلم لتحديثه واطلبه لتعمل به وقيل إن الخضر لما أراد أن يفارق
 موسى قال له موسى أوصني قال كن بساما ولا تكن فخما كلودع اللجاجة ولا تمس في غير حاجة ولا تبع
 على الخطأين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران (ويسألونك عن ذي القرنين) أي يسألك
 يا أشرف الخلق أهل مكة عن خبر ذي القرنين اسمه اسكندر بن فيلغوس اليوناني كان عبدا صالحا ملكه
 الله الأرض وأعطاها العلم والحكمة وألبسه الهيبة وكان وزيره الخضر والصحيح أنه لم يكن نبيا وإنما كان
 ملكا صالحا عادلا ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وكان داعيا إلى الله (قل)
 لهم في الجواب (سأتلو عليكم منه ذكرا) أي سأذكر لكم من حال ذي القرنين خبرا مذكورا والسبب
 للتأكيد وللدلالة على التحقق (إنما كماله في الأرض) أي أنا جعلنا له قدرة على التصرف في الأرض من
 حيث التدبير والرأي وعلى الأسباب حيث مخرجه السحاب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء
 وسهل عليه السير في الأرض (وأتيناها من كل شيء) يحتاج إليه في إصلاح ملكه (سببا) أي
 طريقا يوصله إلى ذلك الشيء المقصود كآلات السير وكثرة الجند (فأتبع سببا) أي فأخذ طريقا يوصله
 إلى استقصاء بقاع الأرض ليملاها عدلا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى الأرض من جهة
 المغرب بحيث لا يمكن أحدا من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي
 فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال (وجدناها) أي الشمس (تغرب) في رأي العين
 (في عين) أي بحر محيط (حمة) أي ذات طين أسود شديد السخونة كما يدل عليه قراءة شعبة وحزرة
 والكسائي وابن عامر حامية بألف بعد الحاء وبياء بعد الميم وهي قراءة ابن مسعود وطلحة (ووجد
 عندها) أي عند تلك العين (قوما) كفار الباسم جلودا وحوش وطعامهم ما يلفظه البحر من الحمل
 (قلنا) بالهام (يا ذا القرنين أما أن تعذب) بالقتل (وأما أن تخففهم حسنا) أي أمر إذا حسن
 بأن تتركهم أحياء (قال) أي ذو القرنين (أما من ظلم) نفسه باستقراره على الكفر (فسوف نعذبه) بالقتل
 بعد طول الدعاء إلى الإسلام (ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه) فيها (عذابا نكرا) أي شديدا وهو
 عذاب النار (وأما من آمن) بسبب دعوتي (وعمل صالحا فله جزاء حسنى) قرأ حمزة والكسائي
 وحفص عن عاصم بنصب جزاء أي فله الجنة في الآخرة من جهة الجزاء وقرأ الباقون برفعهم والاضافة أي فله
 في الدارين جزاء الفعلة الحسنى التي هي الإيمان والعمل الصالح (وسنقول له) أي لمن آمن (من) من
 أمرنا يسرا) أي قولنا سهلا نأمر به من الإكراه والخراج وغيرهما ولا نأمره بالصعب الشاق (ثم
 أتبع سببا) أي ثم أخذ ذو القرنين طريقا نحو المشرق من جهة الجنوب (حتى إذا بلغ مطلع الشمس)
 أي موضع طلوعها من معمورة الأرض (وجدناها) أي الشمس (تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل

لهم من دونها) أي الشمس (سترا) من اللباس فيكونون عراة أبدا فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب
 أو البحر فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم (كذلك) أي أمر ذي القرنين فيهم كأمراء في أهل المغرب
 لحكم في أهل المطلع كما حكم في أهل المغرب من تعذيب الظالمين والاحسان إلى المؤمنين (وقد أحطنا بما
 لديه خبرا) أي وقد علمنا بما كان عند ذي القرنين من الخبر (ثم أتبع سيبا) أي ثم سلك ذو القرنين
 طريقا معترضا بين المشرق والمغرب أخذ انحدار روم من الجنوب إلى الشمال (حتى إذا بلغ بين السدين)
 أي بين الجبلين العالين الأملسين فلا يستطيع الصعود عليهما في آخر بلاد الترك عما يلي المشرق
 ويسمى كل منهما سدا لأنه سد حاج الأرض (وجد من دونهما) أي من وراءهما مجاورا عنهما (قوما
 لا يكادون يفقهون قولا) أي أمه من الناس لا يقربون يفهمون قول غيرهم لقلة فطنتهم وفي قراءة حمزة
 والكسائي ضم الياء وسكون الفاء وكسر القاف أي لا يفهمون الناس كلامهم لغرابة لغتهم وهم من أولاد
 يافث وذو القرنين من أولاد سام قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث أما سام
 فهو أبو العرب والعجم والروم وأما حام فهو أبو الحبشة والنيج والنوبة وأما يافث فهو أبو الترك والخزر
 والصقالية ويأجوج ومأجوج (قالوا) لذي القرنين بواسطة ترجمان عن هو مجاورهم ويفهم
 كلامهم أو بغير ترجمان على أن فهم ذي القرنين كلامهم وأفهام كلامه أي أنهم من جملة ما أعطاه الله
 تعالى من الأسباب (يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) أي في أرضنا يا كلون
 كل شيء أخضر ويحملون كل شيء يابس ويقتلون أولادنا وهي يأجوج ومأجوج لكثرة هم وروى
 حذيفة حديثا مرفوعا أن يأجوج أمة ومأجوج أمة فكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى
 ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسرون إلى خراب الدنيا وهم ثلاثة
 أصناف صنف منهم أمثال شجر الصنوبر طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم طوله وعرضه
 سواء عشرون ومائة ذراع وهو لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفتش أحدهم إحدى أذنيه
 ويلتصق بالآخرى لا يبرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم
 بالشام وساقهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية (فهل نجعل لك خراجا) وفي قراءة حمزة
 والكسائي بفتح الراء مع مده والباقي بسكون الراء ف قيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما
 كان على البلد وقيل الخرج ما كان بالتبرع والخراج ما يلزم أدائه (على أن تجعل بيننا وبينهم)
 أي يأجوج ومأجوج (سدا) أي حاجز بين هذين الجبلين فلا يصلون إلينا (قال) ذو القرنين
 (ما مكني فيه ربي خير) أي ما جعلني في سبيل قادر من المال الكثير والملك الواسع وسائر الأسباب
 خير مما تعرضون علي من الجعل فلا حاجة بي إليه وقرأ ابن كثير مكني بفتح الهمزة (فأعينوني
 بقوة) أي بآلات الحديد وبصناع يحسنون البناء والعمل (أجعل بينكم وبينهم ردا)
 أي حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو أكبر من السد وأوثق (أتوني زبرا الحديد) بعد الهمزة أي أعطوني
 قطع الحديد الكبيرة وقرأ حمزة أثوني بوصل الهمزة في الموضعين ووافقه أبو بكر هنا وخالفه في الموضع
 الثاني والمعنى جيتوني زبرا حديدا فزبر على قراءة همزة الوصل منصوبة على إسقاط الخافض وحفر
 ذو القرنين الأساس حتى بلغ المأمور جعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
 بينها الخطب والفهم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما وكان طوله مائة فرسخ (حتى إذا ساوى بين
 الصدفين) أي بين طرفي الجبلين بالبناء أي أنهم جاؤا إذا القرنين زبرا حديدا فشرع بيني شيئا قويا حتى

اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لها في السهل وكان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين
 ذراعا ووضع المنافع والنار حول ذلك (قال) للعملة (انفقوا) بالكيران في الحديد المبني فنفقوا (حتى
 اذا جعله نارا) أي اذا جعل الحديد مثل النار (قال) للذين يتولون أمر النحاس من الاذابة ونفحوها
 (أتوني) أي اعطوني نحاسا مذابا. (أفرغ عليه قطرا) أي أصب على الحديد الحمى نحاسا مذابا فافرغه
 عليه فدخل مكان الخطب والغم فامتزج بالحديد والتصق ببعضه ببعض وصار جبلا صلبا وهذه كرامة
 عظيمة حيث صرف الله تأثير الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك الناحين والمفرغين للقطر (فاستطاعوا)
 بحذف تاء بعد السين أي فلم يقدر يا جوج وما جوج (أن يظهره) أي أن يعلوا ظهر الجبل لارتفاعه
 وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي خرقا من أسفله لصلا بته وثخنه لانه كان خمسين ذراعا وكان
 ارتفاعه مائتي ذراع وكان طول السد على وجه الأرض مائة فرسخ ومسيرة الفرمخ ساعة ونصف فتكون
 مسيرة السد مائة وخمسين ساعة مسيرة اثني عشر يوما ونصفا (قال) أي ذو القرنين لمن عنده (هذا)
 السد (رحمة) أي نعمة عظيمة (من ربي) على جميع الخلق (فاذا جاء وعد ربي) أي وقت وعد ربي
 بخروج يا جوج وما جوج (جعله) أي هذا السد (دكا) بالمد أي أرضا مستوية وقرى دكا أي مكسورا
 حتى يصير ترابا (وكان وعد ربي) بخروجهم وقت قرب الساعة (حقا) أي صدقا (وتركنا بعضهم
 يومئذ يوج في بعض) أي صيرنا بعض يا جوج وما جوج يوم خروجه من السد يختلط ببعضهم الآخر من
 شدة الازدحام عند خروجهم لكثرة هم وذلك عقب موت الدجال فينجاز عيسى بالموثمين إلى جبل الطور
 فرار منهم روى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من
 الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ولا يصلون إلى من تحصن منهم بوردا وذكور
 ويحبس نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لا حدهم خيرا من مائة دينار فيتوجهون إلى الله
 تعالى بالدعاء فيسلط الله تعالى دودا في أنوفهم أو آذانهم فيموتون به ثم يهب نبي الله عيسى وأصحابه إلى
 الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه رجمهم وننتهم فيتوجه نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى
 فيرسل سبحانه وتعالى عليهم طيرا فتلقهم في البحر ثم يرسل مطرا يغسل الأرض حتى تصير كالمرآة ثم يقال
 للأرض انبتي ثمرك وركت في يومئذ كل العصابة من الرمانه ويستظلون بقمفها ويبارك في الغنم
 والابل حتى أن اللقمة لتسكن في الجماعة الكثيرة فيبينما هم كذلك اذ بعث الله تعالى عليهم رجلا طيبة
 فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر
 فعليهم تقوم الساعة (ونفخ في الصور) نفخة ثانية للبعث (لجمعناهم) أي يا جوج وما جوج وغيرهم
 (جما) أي جمعا عجيبا بعدما تفرقت أوصالهم وعزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء (وعرضنا
 جهنم يومئذ للكافرين عرضا) أي أظهرناهم مع قريهم منها يوم اذ جمعنا الخلائق كافة اظهرا هائل
 فذلك يجري مجرى عقابهم لحصول النعم العظيم بسبب رؤيتهم وسماعها تغيطا وزفيرا (الذين كانت أعينهم)
 أي أعين قلوبهم وهم في الدنيا (في غطاء) أي غشاوة كثيفة (عن ذكرى) على وجه يليق بشأن
 وعن كتابي فلا يهتدون به (وكانوا لا يستطيعون سمعا) إلى قراءة القرآن فلا يؤمنون به (أحسب
 الذين كفروا) أي كفروا بي مع جلالة شأني فظنوا (أن يتخذوا عبادي من دوني) من الملائكة
 وعيسى وعزير (أولياء) أي معبودين ينصرونهم من عذابي والمعنى أظنوا أنهم يتفعون بمن عبدوه
 من عبادي مع اعراضهم عن تدبر الآيات النجعية والمجاهدة وقرأ أبو بكر الحسب الذين كفروا وبسكون

السين ورفع الباه وذكر أنه قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أي أفكافهم اتخذهم ذلك من دون طاعتي (أنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا (قل هل ننبئكم بالأخسرين أهالا) في الآخرة (الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم (في الحياة الدنيا) متعلق بسعيهم لا بضل وذلك كالعتق والوقف وانعانة الملهوف لأن الكفر لا تنفع معه طاعة (وهم يحسبون) أي والحال أنهم يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أي يحسنون في أعمالهم بالآتيان بها على الوجه اللائق ويحسبون أنهم ينتفعون بآثارها قيل المراد بهم أهل الكباين وقيل الرهبانية الذين يحسبون أنفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياض الشاقة وجملة وهم يحسبون حال من فاعل ضل وهو أولى من كونها حالا من المضاف إليه (أولئك الذين كفروا بآياتهم) أي بدلائله الداعية إلى توحيد عقلا ونقلا (ولقائه) أي وكفروا بالبعث بعد الموت وبرؤيته تعالى في الآخرة (لخبطت أعمالهم) أي بطلت لأنكارهم الدلائل (فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي فلانجعل لمن خبطت أعمالهم حبوطا كليا يوم القيامة قدرا بل تزدري بهم فليس لهم عندنا قيمة أصلا ولا يوزن من خيراتهم قدر ذرة (ذلك جزاؤهم) أي ذلك الذي ذكرناه من أنواع الوعيد هو جزاؤهم (جهنم) عطف ببيان للخبير (بما كفروا واتخذوا آياتي) الدالة على وحدانيتي (ورسلي) المؤيدتين بالمعجزات (هزوا) أي مهزوا بهما (ان الذين آمنوا) بآياتهم ولقائه (وعملوا الصالحات) من الأعمال (كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى ووعد (جنات الفردوس نزلا) أي منزلا خبر كانت ولهم متعلق بمحذوف حال من نزلا (حالين فيها لا يبيغون عنها حولا) أي لا يطلبون تحولا إلى غيرها وهذا يدل على غاية الكمال فلا مزيد عليها في خيرات الجنة حتى يريد أشياء غيرها فإن الإنسان في الدنيا إذا وصل إلى أي درجة كانت من السعادات فهو طامع الطرف إلى ما هو أعلى منها وعن كعب أنه قال ليس في الجنات أعلى من جنة الفردوس وفيها الأمور والمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار الأربع فإذ سألت الله تعالى فاسأله الفردوس فإن فوقه عرش الرحمن ومنه تنبع أنهار الجنة (قل لو كان البحر ممدادا لكانت كلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) أي قل يا أشرف الخلق لو كان ماء البحر ممدادا لكثير كلمات علم ربي وحكمته لنفد ماء البحر مع كثرة في كتابها ولم يبق منه شيء لتناهيها من غير أن تنفذ كلمات ربي لعدم تناهيها وقراء حزة والكسائي ينفذ بالياء التحتية (ولو جئنا بمثله) أي بمثل ماء البحر (مددا) أي زيادة لنفد البحر ولم تنفذ كلمات ربي وقبل هنا بمعنى غير أو بمعنى دون وروى أن يحيى بن أخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أرتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت هذه الآية أي أن ذلك الحكمة خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ثم أمر الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريقة التواضع فقال (قل) لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى (انما أنا بشر مثلكم) لا ادعى الاحاطة بكلماته تعالى التامة (يوحى إلى) من تلك الكلمات (انما الهكم اله واحد) لا شريك له في الخلق ولا في سائر أحكام الألوهية وانما عزت عنكم ذلك الوحي (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى (فليعمل) لتحصيل تلك الطلبة العزيرة (هملا صالحا) لا تعاقب تلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أشرا كما جليا كما فعله الذين كفروا بآياتهم ولقائه ولا أشرا كما خفيا كما يفعل أهل الرياء روى أن جندب بن زهير العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعمل العمل لله فإذا أطلع عليه سرى فقال صلى الله

عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شور لك فيه فنزلت هذه الآية تصديقاً له وروى انه صلى الله عليه وسلم
قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية فالر واية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله
الر يا موالسعة والر واية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدي به
والمقام الاول مقام المبتدئين والمقام الثاني مقام
الكاملين والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله
ومحبته اجمعين
آمين

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني اوله سورة مريم﴾

فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن المجيد المسمى بمراح لبید الشیخ محمد نورى

صفحة	تم
سورة الفاتحة ٢	صفحة
سورة البقرة ٣	
سورة آل عمران ٧٧	
سورة النساء ١٢٨	
سورة المائدة ١٧٧	
سورة الانعام ٢١٨	
سورة الاعراف ٥٢٩	
سورة الانفال ٣٠٠	
سورة التوبة ٣١٤	
صفحة	
سورة يونس ٣٤٤	
سورة هود ٣٦٠	
سورة يوسف ٣٧٧	
سورة الرعد ٤٠٠	
سورة ابراهيم ٤١٠	
سورة الحجر ٤١٨	
سورة النحل ٤٢٦	
سورة الاسراء ٤٤٧	
سورة الكهف ٤٦٧	



To: www.al-mostafa.com